UNIVERSAL
LIBRARY
OU_236024
UNIVERSAL
LIBRARY

ما شاء الله كان

الجزء الرابع

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل
تأليف الامام العلامه قدوة الامه وعلم الائمه ناصر
الشريعة ومحيي السنه علاء الدين على بن محمد بن
ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن
فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من
رمضان سنة ٧٢٥ هجريه
تغمده الله برحمته
آمين

﴿ وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل ﴾
﴿ تأليف الامام الجليل محيي السنة أبى محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
﴿ عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

﴿ قال فى كشف الظنون ﴾

(معالم التنزيل فى التفسير) للامام محيي السنة أبي محمد حسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعي المتوفى سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بمطبعة التقدم العلمية بمصر

(سنة ١٣٣٢ هجريه)

﴿ على نفقة أبناء المرحوم مولوى محمد بن غلام رسول السورتى
عبد الستار وعبد الصمد وعبد الرزاق أصحاب المكتبة المحمدية
فى (بومباى) حفظهم الله ﴾

٥٤ ف
ح - ل
تنقيح

وما توفيقي الا بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احداهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني انها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أي الاخبار والقصص التي قصصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي أنزل اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني مشركي مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهي الاساطين والدعائم التي تكون تحت السقف وفي قوله (ترونها) قولان أحدهما ان الرؤية ترجع

﴿ سورة الرعد ﴾
مكية الا قوله ولا يزال الذين كفروا وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا وهي ثلاث وأربعون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(المر) قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم وأرى (تلك آيات الكتاب) يعني تلك الاخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقدمة (والذي أنزل اليك) يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك (من ربك الحق) أي هو الحق فاعتصم به فيكون محل الذي رفعا على الابتداء والحق خبره وقيل محله خفض يعني تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك ثم ابتدأ الحق يعني ذلك الحق وقال ابن عباس أراد بالكتاب القرآن ومعناه هذه آيات الكتاب يعني القرآن ثم قال وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) قال مقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه فرد قولهم ثم بين دلائل ربوبيته فقال عز من قائل (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) يعني بلا سواري واحدها عمود مثل أديم وأدم وعمد أيضا جمعه مثل رسول ورسل ومعناه نفي العمد أصلا وهو الاصح يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها قال اياس بن معاوية السماء عقبية على الارض مثل القبة

الى

الى السماء يعنى وأنتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعنى ليس من دونهما دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفى العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثانى ان الرؤية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية لاخرى عن ابن عباس والقول الاول أصح * وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه فى سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعنى ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد (كل يجرى لاجل مسمى) يعنى الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس أراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعنى انهما يجريان فى منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء فى الحركة (يدبر الامر) يعنى انه تعالى يدبر أمر العالم العلوى والسفلى ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعنى انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهى خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثانى الموجودات الحادثة فى العالم وهى الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يعنى انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكى توقنوا وتصدقوا بلقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم * قوله تعالى (وهو الذى مد الارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهى رفع السموات بغير عمد وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذى مد الارض أى بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منبسطة كالا كف وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر انه مد الارض وأنه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى أصدق قيلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعنى فى الارض (رواسى) يعنى جبالا ثابتة يقال رسا الشئ يرسو اذا ثبت وأرساه غيره أثبته قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الارض (وأنهارا) يعنى وجعل فى الارض أنهارا جارية لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعنى صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا (يغشى الليل النهار) يعنى يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان فى ذلك) يعنى الذى تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (لآيات) أى دلالات (لقوم يتفكرون) يعنى فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب فى طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة فى القلب ولهذا روى تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله اذ كان الله منزها أن يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك لانه يستعمل فى طلب المعانى ودو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها * قوله عز وجل (وفى الارض قطع متجاورات) يعنى متقاربات

وقيل ترونها راجعة الى العمد معناه لها عمد ولكن لا ترونها وزعم أن عمدها جبل قاف وهو محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة (ثم استوى على العرش) علا عليه (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران (كل يجرى) أى يجريان على ما يريد الله عز وجل (لاجل مسمى) أى الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقال ابن عباس أراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان اليها ولا يجاوزانها (يدبر الامر) يقضيه وحده (يفصل الآيات) يبين الدلالات (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكى توقنوا بوعده وتصدقوه (وهو الذى مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسى) جبالا ثابتة واحدتها راسية قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الارض (وأنهارا) أى وجعل فيها أنهارا (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أى صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا (يغشى الليل النهار) أى يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيستدلون والتفكر تصرف القلب فى طلب معانى الاشياء (وفى الارض قطع متجاورات) متقاربات يقرب بعضها من بعض وهى مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قرية الزرع وهذه كثيرة الزرع

(وجنات) أى بساتين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) رفعها كلها ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب عطفا على الجنات وجرها الآخرون نسقا على الاعناب والصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد (وغير صنوان) هى النخلة المنفردة بأصلها وقال أهل التفسير صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام قنوان جمع قنو ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى العباس ان عم الرجل صنو أبيه ولا فرق فى الصنوان والقنوان بين التثنية والجمع الا فى الاعراب وذلك ان النون فى التثنية مكسورة غير منونة وفى الجمع منونة (يسقى بماء واحد) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالياء أى يسقى ذلك كله بماء واحد وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى وجنات ولقوله تعالى من بعد ونفضل بعضها على بعض ولم يقل بعضه والماء (٤) جسم رقيق مائع به حياة كل نام (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر والطعم قرأ حمزة والكسائى ويفضل بالياء لقوله تعالى يدبر الأمر يفصل الآيات وقرأ الآخرون بالنون على معنى ونحن نفضل بعضها على بعض فى الاكل وجاء فى الحديث ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الفارسى كجيد التمر والدقل والحلو والحامض قال مجاهد كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد قال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة واحدة فى يد الرحمن عزوجل فسطحها فصارت قطعا متجاورة فينزل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب تخشع وتقسو قلوب فتلهو قال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (ان فى ذلك) الذى ذكرت (لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم) العجب تغير النفس برؤية المستبعد فى العادة والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومعناه انك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة مع اقرارهم بابتداء الخلق فعجب أمرهم وكان المشركون ينكرون البعث مع اقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى وقد تقرر فى القلوب ان الاعادة أهون من الابتداء فهذا موضع العجب وقيل معناه وان تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم مالا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها وهم قدروا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم أى فتعجب أيضا من قولهم (أئذا كنا ترابا) بعد الموت (أئنا لفى خلق جديد) أى نعاد خلقا جديدا كما كنا قبل الموت قرأ نافع والكسائى ويعقوب أئذا مستفهما انابتركه على الخبر ضده أبو جعفر وابن عامر وكذلك فى سبحان فى موضعين والمؤمنون والم السجدة وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما وفى الصافات فى موضعين

بعضها من بعض وهى مختلفة فى الطبائع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع (وجنات) يعنى بساتين والجنة كل بستان ذى شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك سمى جنة لانه يستر باشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهى النخلات يجتمعن من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عمه العباس عم الرجل صنو أبيه يعنى انهما من أصل واحد (وغير صنوان) هى النخلة المنفردة بأصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق (يسقى بماء واحد) يعنى أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل فى حده جوهر سيال به قوام الارواح (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) يعنى فى الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الدقل والعرسيان والحلو والحامض أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا قيل انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وقوله تعالى (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر (لآيات لقوم يعقلون) يعنى فيتدبرون ويتفكرون فى الآيات الدالة على وحدانيته * قوله تعالى (وان تعجب فعجب قولهم) العجب تبعيد النفس رؤية المستبعد فى العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب فى حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب فى الآية للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد أن كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب أمرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال ما رأوا فعجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر فى النفوس ان الاعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم (أئذا كنا ترابا) يعنى بعد الموت (أئنا لفى خلق جديد) يعنى نعاد خلقا جديدا

هكذا الا أن أبا جعفر يوافق نافعا فى أول الصافات فيقدم الاستفهام و يعقوب لا يستفهم الثانية أئذا متنا انا لمدينون قال الله تعالى (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله (و يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجىء وقته والسيئة ههنا هى العقوبة والحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى مضت من قبلهم فى الامم التى عصت رسلها العقوبات والمثلات جمع المثلة بفتح الميم وضم الثاء مثل صدقة وصدقات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب و يقول الذين كفروا لولا أنزل (٥) عليه) أى على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أى علامة وحجة على نبوّته قال الله تعالى (انما أنت منذر) مخوف (ولكل قوم هاد) أى لكل قوم نبى يدعوهم الى الله تعالى وقال الكلبى داع يدعوهم الى الحق أو الى الضلالة وقال عكرمة الهادى محمد صلى الله عليه وسلم يقول انما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أى داع وقال سعيد بن جبير الهادى هو الله تعالى قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تغيض الارحام) أى ما تنقص (وما تزداد) قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان نقصانا فى الولد لان دم الحيض غذاء الولد فى الرحم فاذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد و يتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم وقيل اذا حاضت ينتقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان فى الغذاء والزيادة فى المدة وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وأقل مدة الحمل ستة أشهر فقد يولد المولود لهذه المدة و يعيش واختلفوا فى أكثرها فقال قوم أكثرها سنتان وهو قول عائشة رضى الله عنها و به قال أبو حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى أن أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعى رحمه الله قال حماد بن سلمة انما سمى هرم بن حبان هرما لانه بقى فى بطن أمه أربع سنين

بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال فى حقهم (أولئك الذين كفروا بربهم) وفيه دليل على ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان الله على كل شئ قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر (وأولئك الاغلال فى أعناقهم) يعنى يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق وقيل أراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون (و يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجىء وقته والمراد بالسيئة هنا هى العقوبة و بالحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وقد خلت من قبلهم المثلات) يعنى وقد مضت فى الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثاء المثلثة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا ليرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعنى للمصرّين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب قوله تعالى (و يقول الذين كفروا) يعنى من أهل مكة (لولا) أى هلا (أنزل عليه) يعنى على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعنى مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) أى ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شئ (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادى هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعى والمعنى انما عليك الانذار يا محمد والهادى هو الله يهدى من يشاء وقال عكرمة فى رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى ولكل قوم نبى يهديهم وقال أبو العالية الهادى هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادى هو القائد الى الخير لا الى الشر * قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل أنثى يعنى من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تغيض) يعنى وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا فى الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد فى الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد و يتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة فى وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام

(وكل شئ عنده بمقدار) أى بتقدير وحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه (عالم الغيب والشهادة الكبير) الذى كل شئ دونه (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته قوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أى يستوى فى علم الله المسر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) أى مستتر بظلمة الليل (وسارب بالنهار) أى ذاهب فى سربه ظاهر والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق قال القتيبى سارب

بالنهار أى متصرف فى حوائجه قال ابن عباس هو صاحب ريبة مستخف بالليل فاذا خرج بالنهار أرى الناس انه برىء من الاثم وقيل مستخف بالليل أى ظاهر من قولهم خفيت الشئ اذا أظهرته وأخفيته اذا كتمته وسارب بالنهار أى متوار داخل فى سرب (له معقبات) أى لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل جاء فى عقبها ملائكة النهار واذا صعدت ملائكة النهار جاء فى عقبها ملائكة الليل والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر بلفظ التأنيث لان واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع الجمع معقبات كما قيل أبناوات سعد ورجالات بكر أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر ابن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم

فالنقصان فى الغذاء زيادة فى مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر فأقل مدة الحمل ستة أشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا فى أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعى وقال حماد بن أبى سليمة انما سمى هرم بن حبان هرما لانه بقى فى بطن أمه أربع سنين وعند مالك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شئ عنده بمقدار) يعنى بتقدير وحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على أكمل الوجود وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذى لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر فى الحس (الكبير) أى العظيم الذى يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدره وانه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعنى المنزه عن صفات النقص المتعالى عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص * قوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أى مستو منكم من أخفى القول وكتمه ومن أظهره وأعلنه والمعنى انه قد استوى فى علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) أى مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) أى ذاهب بالنهار فى سربه ظاهر والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبى السارب المتصرف فى حوائجه قال ابن عباس فى هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس انه برىء من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشئ اذا أظهرته وأخفيته اذا كتمته وسارب بالنهار أى متوار دخل فى السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقت به الالسن وسواء من أقدم على القبائح مستترا فى ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرا فى النهار فان علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعنى لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة ذكورا لان واحدها معقب وجمعها معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل أبناوات سعد ورجالات بكر (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم

أمر

يصلون قوله تعالى (من بين يديه ومن خلفه) يعنى من قدام هذا المستخفى بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه من ورا ظهره (يحفظونه من أمر الله) يعنى بأمر الله أى يحفظونه باذن الله ما لم يجئ القدر فاذا جاء القدر خلوا عنه وقيل يحفظونه من أمر الله أى مما أمر الله به من الحفظ عنه قال مجاهد ما من عبد الا وله ملك موكل به يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شئ يأتيه يريده الا قال وراءك الا شئ يأذن الله

فيه فيصيبه قال كعب الاحبار لولا ان الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطاعمكم ومشاربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن وقال عكرمة الاية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم وقيل الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات كما قال الله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال ابن جريج معنى يحفظونه أي يحفظون عليه من أمر الله يعني الحسنات والسيئات وقيل الهاء في له راجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انه قال له معقبات يعني لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله يعني من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الايات في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان أعور وكان من أجمل الناس فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه

أمر الله بامر الله واذنه مالم يجئ القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شئ يأتيه يؤذيه الا قال له الملك وراءك الا شئ يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن ابن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من أجمل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فأقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي ان أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أوليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى الى أربد بن ربيعة اذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وشبابا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعني الله من ذلك وابناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما

فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد مالي ان أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك الى انما ذلك الى الله عز وجل يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أوليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر أوصى الى أربد بن ربيعة اذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعك الله تعالى من ذلك وابناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لافرقنهما بر محى فارسل الله ملكا فلطمه بجناحه فأرداه في التراب وخرجت على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره فاجاب الله دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم فقتل عامرا بالطعن وأربد بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في هذه القصة قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله يعني تلك المعقبات من أمر الله وفيه

تقديم وتأخير وقال لهذين (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الحال الجميلة فيعصوا ربهم (واذا أراد الله بقوم سوأ) أى عذابا وهلاكا (فلا مرد له) أى لا راد له (وما لهم من دونه من وال) أى ملجأ يلجؤن اليه وقيل وال يلى أمرهم ويمنع العذاب عنهم قوله (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) (٨) قيل خوفا من الصاعقة وطمعا فى نفع المطر وقيل الخوف للمسافر يخاف منه الاذى أو المشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة وقيل الخوف من المطر فى غير مكانه وابانه والطمع اذا كان فى مكانه وابانه ومن البلدان ما اذا مطروا قحطوا واذا لم يمطروا أخصبوا (وينشئ السحاب الثقال) بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أى أبداها فبدت والسحاب جمع واحدتها سحابة قال على رضى الله عنه السحاب غربال الماء (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على ان الرعد اسم ملك يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان أصابته صاعقة فعلى ديته وعن عبد الله بن الزبير انه كان اذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول ان هذا لوعيد لاهل الارض شديد وفى بعض الاخبار يقول الله تعالى لو ان عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس الرعد

أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج فى أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض فى الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعنى ملك الموت لا نفذتهما برمحى فأرسل الله اليه ملكا فلطمه فأرداه فى التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عامر بن الطفيل فمات بالطعن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل فى شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أى بأمر الله وقيل ان تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله (ان الله لا يغير ما بقوم) خطاب لهذين عامر ابن الطفيل وأربد بن ربيعة يعنى لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التى أنعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعنى من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى (واذا أراد الله بقوم سوأ) يعنى هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعنى لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضائه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعنى وليس لهم من دون الله من وال يلى أمرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم * قوله عز وجل (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا أراد الله بقوم سوأ ذكر فى هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذى يعنى هو الله الذى يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفى كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع فى نزول المطر الثانى انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن فى جرينه يعنى بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له فى نزول المطر نفع كالزارع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان فى غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان فى مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا أمطرت قحطت واذا لم تمطر أخصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعنى بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أى أبداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالى من الماء وأصل السحب الجر ومنه سمى السحاب سحابا اما لجر الريح له أو لجره الماء أولانجراره فى سيره (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذى يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسما للملك من الملائكة وانما أفرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهى حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذى مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره فى حديث آخر وهو صوت (١) من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من

(١) قوله صوت اعله سوط كما يقتضيه السياق اه مصححه

خيفته

ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء فى نقرة ابهامه وانه يسبح الله تعالى فاذا سبح لا يبقى ملك فى السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر (والملائكة من خيفته) أى تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته وقيل أراد بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد

جعل الله تعالى له أعوانا فهم خائفون خاضعون طائعون قوله تعالى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه (فيصيب بها من يشاء) كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون) يخاصمون (في الله) نزلت في شأن أربد بن ربيعة حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك أمن درأم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فاحرقته وسئل الحسن عن قوله عز وجل ويرسل الصواعق الآية قال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله ورسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني اليه مم هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الاولى وقال أجيب محمدا الى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الاولى وأخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبيناهم جلوس عنده ينازعونه ويدعونه وهو يقول هذه المقالة اذا رتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس

خيفته وهو على كل شيء قدير فان أصابه صاعقة فعلي ديته وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء في نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلك بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون في الله) يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا أحكمت فتله نزلت في شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك أمن درأم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني اليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيأ بل قال أجيب محمدا الى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الاولى شيأ بل قال أخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبيناهم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيأ اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من أين علمتم ذلك قالوا قد أوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان أربد لما جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد المحال) أي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم يمحل به محلا اذا أراد به سوأ وقيل هو من قولهم يمحل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك ويمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من المحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم

فجاؤا يسعون ليخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من أين علمتم فقالوا أوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله (وهو شديد المحال) قال علي رضي الله عنه شديد الاخذ وقال ابن عباس شديد الحول وقال الحسن شديد الحقد وقال مجاهد شديد القوة وقال أبو عبيدة

شديد العقوبة وقيل شديد المكر والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة (له دعوة الحق) أى لله دعوة الصدق قال على رضى الله عنه دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وقيل الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله عز وجل (والذين يدعون من دونه) أى يعبدون الاصنام من دون الله تعالى (لا يستجيبون لهم بشئ) أى لا يجيبونهم بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضر (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) أى الا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقابض على الماء لا يكون فى يده شئ ولا يبلغ الى فيه منه شئ كذلك الذى يدعو الاصنام وهى لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شئ وقيل معناه كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده الى البئر فلا يبلغ قعر البئر الى الماء ولا يرتفع اليه الماء فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها وهى لا تقدر على شئ وعن ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسطا كفيه مثل ضربه الله لخيبة الكفار (وما دعاء الكافرين) أصنامهم (الا فى ضلال) يضل عنهم اذا احتاجوا اليه كما قال وضل عنهم ما كانوا يفترون وما كانوا يدعون وقال الضحاك عن ابن عباس وما دعاء الكافرين ربهم الا فى ضلال لان أصواتهم محجوبة عن الله تعالى (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا) يعنى الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعنى المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف

اختلفت عبارات المفسرين فى معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك انه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون فى الله أخبر انه أشد جدالا منهم * قوله تعالى (له دعوة الحق) يعنى لله دعوة الصدق قال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة و يعطى الداعى سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا جدوى فيرد دعاءه الثانى ان تضاف الى الحق الذى هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق * فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما * قلت أما على قصة أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون فى الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه أن دعا عليهم وقيل فى معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعنى والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهى الاصنام التى يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشئ) يعنى لا يجيبونهم بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضرر ان دعوهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعنى الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جمادا لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشرب به فيبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا أصابعه لا يكون فى يده منه شئ ولا يبلغ الى فيه منه شئ كذلك الذى يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع ولا يفيده منها شئ وقيل شبه بالرجل العطشان الذى يرى الماء من بعيد بعينيه فهو يشير بكفيه الى الماء و يدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه فى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم ألبتة ثم ختم هذا بقوله (وما دعاء الكافرين) يعنى أصنامهم (الا فى ضلال) يعنى يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس فى هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى * قوله عز وجل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) فى معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول فى معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من فى السموات يعنى الملائكة ومن فى الارض من الانس يعنى المؤمنين طوعا وكرها يعنى من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعنى المنافقين الداخلين فى المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثانى هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففى اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار

من الجن والانس فلا يسجدون لله ألبتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له * وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري ولا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال أفهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم * قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بأن الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أي قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شئ فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للمشركين (أفاتخذتم من دونه) يعني من دون الله (أولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموهم أنصارا يعني الاصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لا تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقه) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيأ فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا استفهام انكاري أي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيأ حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر

(وظلالهم) يعني ظلال الساجدين طوعا وكرها تسجد لله عز وجل طوعا قال مجاهد ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره (بالغدو والآصال) يعني اذا سجد بالغدو والعشي يسجد معه ظله والآصال جمع الاصل والاصل جمع الاصيل وهو ما بين العصر الى غروب الشمس وقيل ظلالهم أي أشخاصهم بالغدو والآصال بالبكر والعشايا وقيل سجود الظل تذليله لما أريد له قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) أي خالقهما ومدبرهما فسيقولون الله لانهم يقرون بان الله خالقهم وخالق السموات والارض فاذا أجابوك فقل أنت أيضا يا محمد الله وروي انه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا أجب أنت فأمره الله عز وجل فقال (قل) أنت يا محمد (الله) ثم قال الله لهم الزاما للحجة (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) معناه انكم مع اقراركم بان الله خالق السموات والارض اتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله يعني الاصنام وهم (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف يملكون لكم ثم ضرب لهم مثلا فقال (قل هل يستوي الاعمى والبصير) كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن (أم هل تستوي) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يستوي بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لانه لا حائل بين الفعل والاسم المؤنث (الظلمات والنور) أي كما لا يستوي الظلمات والنور لا يستوي الكفر والايمان (أم جعلوا) أي جعلوا (لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أي اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق الله وما خلق آلهتهم

كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شئ) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شئ مما يصح أن يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شئ من العموم الذى يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شئ وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته * وقوله عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعنى المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيها الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال فى الوادى فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء فى النهر فحذف فى لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بمثلها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار مائها وانما نكر أودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل فى كل الاودية بل ينزل فى أرض دون أرض و يسيل فى واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعنى قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء نفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وغيره فى معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها أجادب فبالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا فى الصحيحين وهى الارض التى لا تنبت الكلأ جمع جدب على غير قياس وقياسه أجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابى هى التى تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفى رواية الهروى اخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهى الغدير الذى يمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو فى صحيح مسلم من الرعى ووقع فى صحيح البخارى وزرعوا بزيادة زاى من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه فى دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التى أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من أنواع الارض الطيبة التى تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعى وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحيا به قلبه و يحفظه و يعمل به و يعلمه غيره فينتفع به و ينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم النوع الثانى من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهى امساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجىء المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الارض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ثاقبة فاذا بلغهم شئ من العلم لا ينتفعون به فى أنفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم * وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحبب

(قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل فقال عز وجل (أنزل) يعنى الله عز وجل (من السماء ماء) يعنى المطر (فسالت) من ذلك الماء (أودية بقدرها) أى فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل) الذى حدث من ذلك الماء (زبدا

رابيا) الزبد الخبث الذى يظهر على وجه الماء وكذلك على وجه القدر رابيا آى عاليا مرتفعا فوق الماء فالماء الصافى الباقى هو الحق والذاهب الزائل الذى يتعلق بالاشجار وجوانب الاودية هو الباطل وقيل قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن والاودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله عز وجل (ومما توقدون عليه فى النار) قرأ حمزة والكسائى وحفص يوقدون بالياء لقوله تعالى ما ينفع الناس ولاخطابة ههنا وقرأ الآخرون بالتاء ومما توقدون أى ومن الذى توقدون عليه النار والايقاد جعل النار تحت الشئ ليذوب (ابتغاء حلية) أى لطلب زينة وأراد الذهب والفضة لان الحلية تطلب منهما (أو متاع) أى طلب متاع وهو ما ينتفع به وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص والصفر تذاب فيتخذ منها الاوانى وغيرها مما ينتفع بها (زبد مثله كذلك يضرب الحق والباطل) أى اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالباقى الصافى من هذه الجواهر مثل الحق والزبد الذى لا ينتفع به مثل الباطل (فأما الزبد) الذى علا السيل والفلز (فيذهب جفاء) أى ضائعا باطلا والجفاء ما رمى به الوادى من الزبد والقدر الى جنباته يقال جفا الوادى وأجفأ اذا ألقى غثاءه وأجفأت القدر وجفأت اذا غلت وألقت زبدها فاذا سكنت لم يبق فيها شئ معناه ان الباطل وان علا فى وقت فانه يضمحل وقيل جفاء أى متفرقا يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته وذهبت به (وأما ما ينفع الناس) يعنى الماء والفلز من الذهب والفضة والصفر والنحاس (فيمكث فى الارض) أى يبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الامثال) جعل الله هذا مثلا للحق والباطل يعنى ان الباطل كالزبد يذهب ويضمحل والحق كالماء والفلز يبقى فى القلوب وقيل هذا تسلية للمؤمنين يعنى ان أمر المشركين كالزبد يرى فى الصورة شيأ وليس له حقيقة وأمر المؤمنين كالماء المستقر فى مكانه له البقاء والثبات قوله تعالى (للذين استجابوا) أجابوا (لربهم) فأطاعوه (الحسنى) الجنة (والذين لم يستجيبوا له)

وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذى حدث من ذلك الماء زبدا (رابيا) يعنى عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى (ومما توقدون عليه فى النار) الايقاد جعل الحطب فى النار لتتقد تلك النار تحت الشئ ليذوب (ابتغاء حلية) يعنى لطلب زينة والضمير فى قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما (أو متاع) يعنى أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الاوانى وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع به فى البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاوانى متاع (زبد مثله) يعنى ان ذلك الذى يوقد عليه فى النار اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافى من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافى الثابت والباطل هو الزبد الطافى الذى لا ينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعنى ضائعا باطلا والجفاء ما رمى به الوادى من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا فى وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعنى الماء الصافى والجوهر الجيد من هذه الاجسام التى تذاب (فيمكث فى الارض) يعنى يثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الامثال) قال أهل التفسير والمعانى هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق فى بعض الاوقات والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذى يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافى الذى ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذى هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا فى وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافى الذى ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذى لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذى يحصل فى قلوب العباد على ما قسم لها فى الازل لان الوادى اذا سال كنس كل شئ فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك اذا سال وادى قلب العبد بالنور الذى قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى يذهب البواطل وهى الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهى الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال * وقوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل اللام فى للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعنى الجنة وقيل الحسنى هى المنفعة العظمى فى الحسن وهى المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعنى الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه

لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) أي لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداء من النار (أولئك لهم سوء الحساب) قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شئ (ومأواهم) في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) الفراش أي بئس ما مهدلهم قوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق) فيؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو أعمى) عنه لا يعلمه ولا يعمل به قيل نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمار وأبي جهل فالاول حمزة أو عمار والثاني أبو جهل وهو الاعمى أي لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه (انما يتذكر) يتعظ (أولوا الالباب) ذوو العقول (الذين يوفون بعهد الله) بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه (ولا ينقضون الميثاق) وقيل أراد العهد الذي أخذه على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قيل أراد به الايمان بجميع الكتب والرسل ولا يفرقون بينهما والاكثرون على انه أراد به صلة الرحم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي سلمة أن عبد الرحمن بن عوف عاد أبا الدرداء فقال يعني عبد الرحمن (١٤) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني أنبأنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد ابن زنجويه ثنا ابن أبي أويس قال حدثني سليمان بن بلال عن معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوى الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فذاك لك ثم قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني أنبأنا أبو جعفر الرياني وضمه ثنا حميد بن زنجويه ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا كثير بن عبد الله اليشكري ثنا الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج العباد له ظهر وبطن والامانة والرحم تنادي ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا شعبة عن عيينة بن عبد الرحمن قال سمعت أبي يحدث عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب أحرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قاطع

(لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) يعني لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا لربهم (لهم سوء الحساب) قال ابراهيم النخعي سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شئ (ومأواهم) يعني في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعني وبئس ما مهد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم قوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو أعمى) يعني أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالاول هو حمزة أو عمار والثاني هو أبو جهل وحمل الآية على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهلكة (انما يتذكر أولوا الألباب) يعني انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار * قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وقيل أراد بالعهد ما أخذه على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين أحد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بتته أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أحمد بن اسحق الصيدلاني أنا أبو نصر أحمد بن محمد بن نصر ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا عمرو بن عثمان قال سمعت موسى بن طلحة يذكر عن أبي أيوب الانصاري ان اعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره فقال أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال صلى الله عليه وسلم تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى وأبو نعيم قالا ثنا قطر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها رواه محمد بن اسمعيل عن محمد بن كثير عن سفيان عن قطر وقال اذا قطعت رحمه وصلها قوله تعالى (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا) على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله عز وجل وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل عن الشهوات وقيل عن المعاصي (ابتغاء وجه ربهم) طلب تعظيمه ان يخالفوه (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) يعني يؤدون الزكاة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يدفعون بالصالح من العمل السيئ من العمل وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات وجاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب حدثنا أبو الخير أنه سمع عقبة بن عامر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت عنه حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج الى الارض وقال ابن كيسان معنى الآية يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم معروفا نظيره قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى ثمانية أبواب الجنة

وضده القطع قوله وأن ينسأ له في أثره الاثر هنا الاجل وسمي الاجل أثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين أحدهما أن يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاد فيه والثاني أن يزيده في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل ومثراة في المال ومنسأة في الاثر أخرجه الترمذي * وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكروا نما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام أركانها وهيآتها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك أداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما بترك أداء الزكاة فالاولى أن يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج عن الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس

(أولئك لهم عقبى الدار) يعنى الجنة أى عاقبتهم دار الثواب ثم بين ذلك فقال (جنات عدن) بساتين اقامة (يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) قيل من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور (سلام عليكم) أى يقولون سلام عليكم وقيل يقولون سلمكم الله من الآفات التى تخافون منها قال مقاتل يدخلون عليهم فى مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل يقولون سلام عليكم (بما صبرتم فنعم عقبى الدار) أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الله بن أبى توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد ابن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله ابن المبارك عن بقية بن الوليد حدثنى أرطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول جلست الى أبى أمامة فقال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل ملك من ملائكة الله فيستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا هو بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الذى يليه للذى يليه ملك يستأذن كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبى الدار) يعنى فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما أنتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعدلهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعنى خالفوا أمره ومعنى من

يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبى معناه اذا سفه عليهم حلموا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هى تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى (أولئك) يعنى من أتى بهذه الاعمال (لهم عقبى الدار) يعنى الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبى الدار يعنى بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به (يدخلونها) يعنى الدار التى تقدم وصفها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) يعنى ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه أصلح فى عمله قال الواحدى والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه فى أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتى بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة فى الوعد به اذ كل من كان صالحا فى عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازى قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو مات عنه وروى انه لما كبرت سودة أراد النبى صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فأمسكها رجاء أن تحشر فى جملة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه * وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعنى من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس يريد به التحية من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) يعنى يقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعنى يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التى كنتم تخافونها فى الدنيا وأدخلكم بما صبرتم فى دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعنى سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم فى مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوى بسنده عن أبى أمامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) هذا فى الكفار

بعد

(و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أى يؤمنون ببعض الأنبياء و يكفرون ببعض وقيل يقطعون الرحم (و يفسدون فى الارض) أى يعملون بالمعاصى (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) يعنى النار وقيل سوء المنقلب لان منقلب الناس دورهم قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر) أى يوسع على من يشاء و يضيق على من يشاء (وفرحوا بالحيوة الدنيا) يعنى مشركى مكة أشروا و بطروا والفرح لذة فى القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا حرام (وما الحيوة الدنيا فى الآخرة الا متاع) أى قليل ذاهب قال الكلبى كمثل السكرجة والقصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب (و يقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء و يهدى اليه من أناب) أى يهدى اليه من يشاء بالانابة وقيل يرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه (الذين آمنوا) فى محل النصب بدل من قوله من أناب (وتطمئن) تسكن (قلوبهم بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن والسكون يكون باليقين والاضطراب يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن قلوب المؤمنين و يستقر فيها اليقين قال ابن عباس هذا فى الحلف يقول اذا حلف المسلم بالله على شئ تسكن قلوب المؤمنين اليه فان قيل أليس قد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فكيف تكون الطمأنينة والوجل فى حالة واحدة قيل الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وتطمئن اذا ذكرت فضل

بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعنى ما بينهم و بين المؤمنين من الرحم والقرابة (و يفسدون فى الارض) يعنى بالكفر والمعاصى (أولئك) يعنى من هذه صفته (لهم اللعنة) يعنى الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعنى النار لان منقلب الناس فى العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهى الجنة والكفار لهم سوء الدار وهى النار * قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر) يعنى يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله و يضيق على من يشاء من عباده فيفقره و يقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرحوا بالحيوة الدنيا) يعنى مشركى مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا و بطروا والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحيوة الدنيا فى الآخرة) يعنى بالنسبة الى الآخرة (الا متاع) أى قليل ذاهب قال الكلبى المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها فى الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها (و يقول الذين كفروا) يعنى من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعنى هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) أى قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله (و يهدى اليه من أناب) يعنى و يرشد الى دينه والايمان به من أناب بقلبه ورجع اليه بكليته (الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم) يعنى وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين و يستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا فى الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه * فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى فى أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما فى حال واحد * قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف العلماء فى تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة أعين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفى رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيرا وقال ابراهيم النخعى خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء فى الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوبا لك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروى عن أبى أمامة وأبى هريرة وأبى الدرداء ان طوبى اسم شجرة فى الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة فى جنة عدن أصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة فى الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروى عن أبى سعيد الخدرى ان رجلا سأل رسول الله

الله وكرمه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ابتداء وقوله (طوبى لهم) خبره واختلفوا فى تفسير طوبى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعما لهم وقال قتادة حسنى لهم وقال معمر عن قتادة هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيرا وقال ابراهيم خير لهم وكرامة قال الفراء أصله من الطيب والواو فيه لضمة الطاء وفيه لغتان تقول العرب طوبا لك وطوبى لك أى لهم الطيب

(وحسن مآب) أى حسن المنقلب وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية وقال الربيع هو البستان بلغة الهند وروى عن أبى أمامة وأبى هريرة وأبى الدرداء قالوا طوبى شجرة فى الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة فى جنة عدن أصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله تعالى فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح وروى عن أبى سعيد الخدرى ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طوبى قال شجرة فى الجنة ظلها مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنبأنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن زياد مولى بنى مخزوم انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه ان فى الجنة

صلى الله عليه وسلم - ن طوبى فقال هى شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا عن أبى هريرة قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذى أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أو حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوى وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال ان فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقى لعبدى عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة زاد البخارى فى روايته واقرؤا ان شئتم وظل ممدود * وقوله تعالى (وحسن مآب) يعنى ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه فى الآخرة وهى الجنة * قوله عز وجل (كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم) يعنى كما أرسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك الى أمم قد خلت ومضت (لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك) يعنى لتقرأ على أمتك الذى أوحينا اليك من القرآن وشرائع الدين (وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الآية مدنية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما نكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعنى أنهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الحجر يدعو ويقول فى دعائه يا الله يا رحمن فرجع أبو

لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذى أنزل التوراة على موسى عليه السلام والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن الاشعث ابن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله عز وجل لها تفتقى لعبدى عما شاء فتفتقت له عن فرس بسرجه ولجامه

وهيئته كما شاء وتفتقت له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وعن الثياب قوله تعالى (كذلك أرسلناك فى أمة) جهل أى كما أرسلنا الانبياء الى الامم أرسلناك الى هذه الامة (قد خلت) مضت (من قبلها أمم لتتلوا) لتقرأ (عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جريج الآية مدنية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الحجر يدعو ويقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى

(قل) لهم يا محمد ان الرحمن الذى أنكرتم معرفته (هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت) اعتمدت (واليه متاب) أى توبتى ومرجعى قوله (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية نزلت فى نفر من مشركى مكة منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية جلسوا خلف الكعبة فارسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقال له عبد الله بن أبى أمية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها عيونا وأنهارا لنغرس فيها الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت

جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى (قل) أى قل يا محمد ان الرحمن الذى أنكرتم معرفته (هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت) يعنى عليه اعتمدت فى أمورى كلها (واليه متاب) يعنى واليه توبتى ورجوعى * قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية نزلت فى نفر من مشركى قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبى صلى الله عليه وسلم فأتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبى أمية ان سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفتح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست بأهون على ربك من سليمان أو أحى لنا جدك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله عن أمرك أحق أو باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله من عيسى فانزل الله هذه الآية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فأذهبت عن وجه الارض (أو قطعت به الارض) يعنى شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) فأحياها واختلفوا فى جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو أن قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شئ أتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقديره الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق فى علمنا فيهم كما قال ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى (بل لله الامر جميعا) يعنى فى هذه الاشياء وفى غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل (أفلم ييأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبى هذه لغة النخع وقيل هى لغة هوازن واختلف أهل اللغة فى هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد ألم ييأس ألم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب اذ يأسرونني * ألم تيأسوا انى ابن فارس زهدم

يعنى ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر

ألم ييأس الاقوام انى أنا ابنه * وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

يعنى ألم يعلم الاقوام قال قطرب يئس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس فى مكان العلم

أهون على ربك من داود عليه السلام حيث سخر له الجبال تسبح معه أو سخر لنا الريح فنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت ولست بأهون على ربك من سليمان أو أحى لنا جدك قصيا أو من شئت من آبائنا وموتانا لنسأله عن أمرك أحق ما تقول أم باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله عز وجل ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض (أو قطعت به الارض) أى شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) واختلفوا فى جواب لو فقال قوم جوابه محذوف اكتفاء بمعرفة السامعين مراده وتقديره لكان هذا القرآن كقول الشاعر

فاقسم لو شئ أتانا رسوله
سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شئ أتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال الآخرون جواب لو متقدم وتقديره الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال كانه قال لو سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا لما سبق من علمنا فيهم كما قال ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ثم قال (بل لله الامر جميعا) أى فى هذه الاشياء ان شاء فعل وان شاء لم يفعل (أفلم ييأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبى هى لغة النخع وقيل هى لغة هوازن يدل عليه قراءة ابن عباس أفلم يتبين الذين آمنوا وأنكر الفراء ان يكون ذلك بمعنى العلم وزعم انه لم يسمع أحدا من العرب يقول يئست بمعنى علمت ولكن معنى العلم فيه مضمر وذلك ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا فى أن يفعل الله ما سألوا فييؤسهم فنزل أفلم ييأس الذين آمنوا يعنى

الصحابة رضى الله عنهم أجمعين من ايمان هؤلاء أى لم ييأسوا علما وكل من علم شيأ يئس من خلافه يقول ألم ييئسهم العلم (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أى نازلة وداهية تقرعهم من أنواع البلاء أحيانا بالجدب وأحيانا بالسلب وأحيانا بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثهم اليهم (أو تحل) يعنى السرية أو القارعة (قريبا من دارهم) وقيل أو تحل أى تنزل أنت يا محمد بنفسك قريبا من دارهم (حتى يأتى وعد الله) قيل يوم القيامة وقيل الفتح والنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه (ان الله لا يخلف الميعاد) وكان الكفار يسألون هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزؤا بك (فأمليت للذين كفروا) أمهلتهم وأطلت لهم المدة ومنه الملوان وهما الليل والنهار (ثم أخذتهم) عاقبتهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) أى عقابى لهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما عملت وجوابه محذوف تقديره كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه (وجعلوا لله شركاء قل سموهم) بينوا أسماءهم وقيل صفوهم ثم انظروا هل هى أهل لأن تعبد (أم تنبؤنه) أى أتخبرون الله (بما لا يعلم فى الارض) فانه لا يعلم لنفسه شريكا ولا فى الارض الها غيره (أم بظاهر) يعنى أم تتعلقون بظاهر (من القول) مسموع وهو فى الحقيقة باطل لا أصل له وقيل بزائل من القول قال الشاعر

وعيرنى الواشون انى أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أى زائل (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم وقال مجاهد شركهم وكذبهم على الله (وصدوا عن السبيل) أى صرفوا عن الدين قرأ أهل الكوفة

لان علمك بالشئ ويقينك به ييئسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس فى موضع كلام العرب للعلم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى أن يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى ييأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائى ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف فى القرآن من اليأس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرأب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) يعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندى ان معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو يشاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان فى معنى الآية قولين أحدهما ان ييأس بمعنى علم والقول الثانى انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على أن الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعنى من الكفر والاعمال الخبيثة (قارعة) أى نازلة وداهية تقرعهم بأنواع البلايا أحيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (أو تحل) يعنى السرايا أو البلية (قريبا من دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم (حتى يأتى وعد الله) يعنى النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (ان الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبى صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد * قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسل من قبلك (فأمليت للذين كفروا) يعنى فأمهلتهم وأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعنى بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم فى الدنيا بالقحط والقتل والاسر وفى الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعنى فكيف كان عقابى لهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعنى أفمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير أو شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان أحسنت ويعاقبها ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهى الاصنام التى لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعنى وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التى جعلوها لله شركاء (قل سموهم) يعنى له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هى أهل لان تعبد (أم تنبؤنه) يعنى أم تخبرون الله (بما لا يعلم فى الارض) يعنى انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفى العلم بأن يكون له شريك (أم بظاهر من القول) يعنى انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لا أصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر أحد أن يتصرف فى الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد * وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا

و يعقوب وصدوا وفى حم المؤمن وصد بضم الصاد فيهما وقرأ الاخرون بالفتح لقوله تعالى ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله وقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله (ومن يضلل الله) يخذلانه اياه (فما له من هاد لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالقتل والاسر (ولعذاب الآخرة أشق) أشد (وما لهم من الله من واق) مانع يمنعهم من العذاب قوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفة الجنة كقوله تعالى ولله المثل الأعلى أى الصفة العليا (تجرى من تحتها الانهار) أى صفة الجنة التى وعد المتقون ان الانهار تجرى من تحتها وقيل مثل صلة

صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أى عن الايمان (ومن يضلل الله فما له من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء فى قراءة أكثر القراء (لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) يعنى بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق) يعنى أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذى هو الصدع (وما لهم من الله) يعنى من عذاب الله (من واق) يعنى من مانع يمنعهم من عذابه * قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفة الجنة التى وعد المتقون (تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم) لا ينقطع أبدا (وظلها) يعنى انه دائم لا ينقطع أبدا وليس فى الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفى الآية رد على جهم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفى الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنتهى الى سكون دائم كما يقول أبو الهذيل واستدل القاضى عبد الجبار المعتزلى بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعنى لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون فى السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن بعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الا ان الذى نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من آيتين احداهما قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين * وقوله تعالى (تلك عقبى الذين اتقوا) يعنى ان عاقبة أهل التقوى هى الجنة (وعقبى الكافرين النار) يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) فى المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذى أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الاحزاب) يعنى الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة * فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه * قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن بجملته لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد بأهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعنى بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا فى القرآن فى الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن فى القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك

مجازها الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار (أكلها دائم) أى لا ينقطع ثمرها ونعيمها (وظلها) أى ظلها ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا ان نعيم الجنة يفنى (تلك عقبى) أى عاقبة (الذين اتقوا) يعنى الجنة (وعقبى الكافرين النار) قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) يعنى القرآن وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (يفرحون بما أنزل اليك) من القرآن (ومن الاحزاب) يعنى الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اليهود والنصارى (من ينكر بعضه) هذا قول مجاهد وقتادة وقال الآخرون كان ذكر الرحمن قليلا فى القرآن فى الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة فلما كرر الله ذكره فى القرآن فرحوا به فأنزل الله سبحانه وتعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه يعنى مشركى مكة حين كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله عز وجل وهم بذكر الرحمن هم كافرون وهم يكفرون بالرحمن وانما قال بعضه لانهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن

(قل) يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب) أى مرجعى (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) يقول كما أنزلنا اليك الكتاب يا محمد فانكره الاحزاب كذلك أنزلنا اليك الحكم والدين عربيا نسب الى العرب لانه نزل بلغتهم فكذب به الاحزاب وقيل نظم الآية كما أنزل الكتب على الرسل بلغاتهم فكذلك أنزلنا عليك الكتاب حكما عربيا (ولئن اتبعت أهواءهم) فى الملة وقيل فى القبلة (بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل ان المشركين قالوا ان هذا الرجل ليست له همة الا فى النساء فانزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) هذا جواب عبد الله بن أبى أمية ثم قال (لكل أجل كتاب) يقول لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه وقيل لكل أجل أجله الله كتاب أثبت فيه وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أى لكل كتاب أجل ومدة أى الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب ويثبت بالتخفيف وقرأ الاخرون بالتشديد واختلفوا فى معنى الآية فقال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة وروينا عن حذيفة بن أسيد عن النبى صلى الله عليه وسلم يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين ذلك أو خمس وأربعين ليلة فيقول يا رب أشقى أو سعيد فيكتبان فيقول أى رب أذكر أم أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص وعن عمر وابن مسعود انهما قالا يمحو السعادة والشقاوة أيضا ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء روى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فاثبتنى فيها وان كنت كتبتنى على الشقاوة فامحنى

ومن الاحزاب يعنى مشركى مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) أى قل يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله) يعنى وحده (ولا أشرك به) شيأ (اليه أدعوا) أى الى الله والى الايمان به أدعو الناس (واليه مآب) يعنى مرجعى يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع أهوائهم فى ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم فى الصلاة لبيت المقدس (بعد ما جاءك من العلم) يعنى بأنك على الحق وان قبلتك الكعبة هى الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبى صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى (مالك من الله من ولى ولا واق) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبى صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبعمائة امرأة سرية فلم يقدح ذلك فى نبوته وكان لابيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا فى نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قادحا فى نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يأكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبى أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية فى اثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فما لهم أن يقترحوا عليه شيأ واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل أجل كتاب) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقد كانوا يستعجلون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاه كتابا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل أجل أجله الله كتابا قد أثبته فيه وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدا وما سبب

وأثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ومثله عن ابن مسعود وفي بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فترد الى ثلاثة أيام والرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فتمد الى ثلاثين سنة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني زياد بن محمد الانصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله عز وجل في آخر

ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في أم الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت وقيل معنى الآية ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قوله أكلت شربت دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب هذا قول الضحاك والكلبي وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه كل شئ ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال عطية عن ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في طاعة الله عز وجل فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجئ أجله الى يوم أجله وعن سعيد ابن جبير قال يمحو الله ما يشاء من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال الله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس بيانه قوله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه فامسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه بيانه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها الآية

ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها * فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيا أو الشقي سعيدا وقد صح في فضل صلة الرحم أن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت * قلت قد تكرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله أن زيدا يموت في وقت معين استحال أن يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بأجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا أن يصل رحمه فان وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصوير الزيادة وأما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر أيضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل المحو اذهاب أثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الآية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروي عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول

(وعنده أم الكتاب) أى أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يبدل ولا يغير وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب الذى لا يغير منه شئ وعن عطاء عن ابن عباس قال ان الله تعالى لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت لله فى كل يوم فيه ثلثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون (وامانرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب قبل وفاتك (أو نتوفينك) قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) ليس عليك الا ذلك (وعلينا الحساب) الجزاء يوم القيامة قوله تعالى (أولم يروا) يعنى أهل مكة الذين يسألون محمدا صلى الله عليه وسلم الآيات (أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) أكثر المفسرين على ان المراد منه فتح ديار الشرك فان مازاد فى ديار الاسلام فقد نقص من ديار الشرك يقول أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها فنفتحها لمحمد أرضا بعد أرض حوالى أرضهم أفلا يعتبرون هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وقال قوم هو خراب الارض معناه أولم يروا انا نأتى الارض فنخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون ان نفعل بهم ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة قال قبض الناس وعن الشعبى مثله وقال عطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا اسمعيل بن

الآيات

اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها وان كنت كتبتنى من أهل الشقاوة فامحنى منها وأثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد فى بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوى بغير سند وروى بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى فى ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر فى الساعة الاولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص فى بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبى يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذى يمحو والذى يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعنى من جاء أجله فيذهبه ويثبت من لم يجئ أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدى يمحو الله ما يشاء يعنى القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا فى الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت فى أول كل سنة حكما فاذا مضت السنة محاه وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو فى المحن والمصائب فهى مثبتة فى الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد * فان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات * قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيأ ولا يثبت شيأ الا ما سبق به علمه فى الازل وعليه يترتب القضاء والقدر ﴿مسئلة﴾ استدلت الرافضة على مذهبهم فى البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو أن يعتقد شيأ ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت والجواب عن هذه المسئلة أن هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلى وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازى فى تفسير هذه الآية * وقوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعنى أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذى لا يغير شئ منها وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون (وامانرينك) يعنى يا محمد (بعض الذى نعدهم) يعنى من العذاب (أو نتوفينك) يعنى قبل أن نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعنى ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ (وعلينا الحساب) يعنى وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم * قوله عز وجل (أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) يعنى أولم ير كفار مكة الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم

الآيات أنا نأتي الارض يعني أرض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أو لم يروا أنا نأتي الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالي أراضيهم أفلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا في ديارهم وزيادة في ديار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أو لم يروا أنا نأتي الارض فنخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا قال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي رضي الله عنه انما مثل الفقهاء كمثل الاكف اذا قطعت كف لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد ابن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت مني * أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد أشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقديره ان يقال أو لم يروا أن كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز ايصال الكلام بما قبله * وقوله تعالى (والله يحكم لا معقب لحكمه) يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذ حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غيره بتغيير ولا نقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين مكروا بأنبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى (فلله المكر جميعا) يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه أي هو من خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كأنه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الا من أراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعني ان جميع اكتساب العباد وتأثيراتهم معلومة لله هو خالقها أو خلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين (وسيعلم الكافر)

يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي رضي الله عنه انما مثل الفقهاء كمثل الاكف اذا قطعت كف لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم (والله يحكم لا معقب لحكمه) لا راد لقضائه ولا ناقض لحكمه (وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشركي مكة والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر (فلله المكر جميعا) أي عند الله جزاء مكرهم وقيل ان الله خالق مكرهم جميعا بيده الخير والشر واليه النفع والضر فلا يضر مكر أحد أحدا الا باذنه (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو الكافر على التوحيد وقرأ الآخرون الكفار على الجمع

(لمن عقبى الدار) أى عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار و يدخل المؤمنون الجنة (و يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم) انى رسول اليكم (ومن عنده علم الكتاب) يريد مؤمنى أهل الكتاب يشهدون أيضا على ذلك قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبى هذا وقال السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة وقال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله عز وجل يدل عليه قراءة عبد الله بن عباس ومن عنده بكسر الميم والدال أى من عند الله عز وجل وقرأ الحسن وسعيد بن جبير ومن عنده بكسر الميم والدال علم الكتاب على الفعل المجهول دليل هذه القراءة وعلمناه من لدنا علما وقوله الرحمن علم القرآن

﴿ سورة ابراهيم عليه السلام ﴾

مكية وهى احدى وخمسون آية الا آيتين من قوله تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا الى قوله فان مصيركم الى النار

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الر كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه اليك) يا محمد يعنى القرآن (لتخرج الناس من الظلمات الى النور) أى لتدعوهم من ظلمات الضلالة الى نور الايمان (باذن ربهم) بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم (الى صراط العزيز الحميد) أى الى دينه والعزيز هو الغالب والحميد هو المستحق للحمد (الله) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر الله بالرفع على الاستئناف وخبره فيما بعده وقرأ الآخرون بالخفض نعتا للعزيز الحميد وكان يعقوب اذا وصل خفض وقال أبو عمرو الخفض على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض

على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعنى أبا جهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (لمن عقبى الدار) والمعنى أنهم وان كانوا جاهلا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة فى الآخرة حين يدخلون النار و يدخل المؤمنون الجنة * قوله تعالى (و يقول الذين كفروا لست مرسلا) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيدا بينى و بينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعنى ومن عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلفوا فى الذى عنده علم الكتاب من هو فروى العوفى عن ابن عباس أنهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وأنكره من أنكره منهم وقيل انهم مؤمنو أهل الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبى هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذى يستحق العبادة و بالذى لا يعلم علم ما فى اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بينى و بينكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا أنه خلاف الاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهى قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذى جئتكم به معجز ظاهر و برهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم هذه الصفة كان شهيدا بينى و بينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ﴾

وهى مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا الى آخر الآيتين وهى احدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (الر كتاب أنزلناه اليك) يعنى هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعنى بهذا القرآن والمراد من الظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله وفيه دليل على ان طرق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهى صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا (باذن ربهم) يعنى بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم (الى صراط العزيز الحميد) يعنى الى دين الاسلام وهو دينه الذى أمر به عباده والعزيز هو الغالب الذى لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال أبو عمرو وقراءة الخفض على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى ملكا وما فيهما

عبيده (وويل للكافرين) يعنى الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذى له ما فى السموات وما فى الارض وعبدوا من لا يملك شيأ البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما فى السموات وما فى الارض (من عذاب شديد) يعنى معدّ لهم فى الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة) يعنى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (ويصدّون عن سبيل الله) أى ويمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبغونها عوجا) يعنى ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائدين عن القصد وقيل الهاء فى ويبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام (أولئك) يعنى من هذه صفته (فى ضلال بعيد) يعنى عن الحق وقيل يجوز أن يراد فى ضلال بعيد ذى بعد أو فيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق * قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعنى بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى (ليبين لهم) يعنى ما يأتون وما يذرون * فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجنّ والانس وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع * قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب و بلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بألسنتهم و يدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم فى عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم فى ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت الحجة ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير أهله واذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ فى اجتهاد المجتهدين فى تعليم معانيه وتفهيم فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) يعنى ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادى المضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعنى الذى يغلب ولا يغلب (الحكيم) فى جميع أفعاله * قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) المراد بالآيات المعجزات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة (أن أخرج قومك من الظلمات الى النور) أى أن أخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وذكرهم بأيام الله) قال ابن عباس وأبىّ بن كعب ومجاهد وقتادة يعنى بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله فى الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أى بوقائعهم وانما أراد بما كان فى أيام الله من النعمة والنقمة فأخبر بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بما أنعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله وقيل بايام الله فى حق موسى أن يذكر قومه بأيام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدى القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد أن كانوا مملوكين (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بأيام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا

يمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبغونها عوجا) يطلبونها زيغا وميلا يريد يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق أى بجهة الحرام (أولئك فى ضلال بعيد) قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) بلغتهم ليفهموا عنه فان قيل كيف هذا وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق قيل بعث من العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بعث الرسل الى الاطراف يدعونهم الى الله عز وجل ويترجمون لهم بالسنتهم (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور) أى من الكفر الى الايمان بالدعوة (وذكرهم بأيام الله) قال ابن عباس وأبىّ بن كعب ومجاهد وقتادة بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله فى الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أى بوقائعهم وانما أراد بما كان فى أيام الله من النعمة والمحنة فاجتزأ بذكر الايام عنها لانها كانت معلومة عندهم (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وأراد لكل مؤمن لان الصبر والشكر من خصال المؤمنين (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم

نعمة الله عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون) أي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب و يذبحون أبناءكم) * فان قلت قال في سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا و يذبحون بزيادة واو فما الفرق * قلت انما حذفت الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءني القوم زيد وعمرو اذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح و بالتذبيح أيضا فقوله و يذبحون نوع آخر من العذاب لا انه تفسير للعذاب (و يستحيون نساءكم) يعني يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) * فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم * قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه أولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم * فان قلت هب ان تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء * قلت كانوا يستحيونهن و يتركونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن أي أعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وآذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعني يا بني اسرائيل ماخولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لازيدنكم) يعني نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد و بذلك تتأكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر (ان عذابي لشديد) يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها (وقال موسى ان تكفروا) يعني يا بني اسرائيل (أنتم ومن في الارض جميعا) يعني والناس كلهم جميعا فان مضرة ذلك يعود على أنفسكم لحرمانها الخير كله (فان الله لغني) يعني عن جميع خلقه (حميد) أي محمود في جميع أفعاله لانه متفضل وعادل (ألم يأتكم نبأ) يعني خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم و يحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بذلك أمر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة بأحوال من تقدم وهلاكهم (والذين من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شئ ألا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان نفسه أبا أبا الى آدم لانه لا يعلم أولئك الآباء الا الله * وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات

يسومونهم (و يستحيون نساءكم) يتركونهن احياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي أعلم يقال أذن وتأذن بمعنى واحد مثل أوعد وتوعد (لئن شكرتم) نعمتي فآمنتم وأطعتم (لازيدنكم) في النعمة وقيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب (ولئن كفرتم) نعمتي فجحدتموها ولم تشكروها (ان عذابي لشديد) وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) أي غني عن خلقه حميد محمود في أفعاله لانه فيها متفضل وعادل (ألم يأتكم نبأ الذين) خبر الذين (من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) يعني من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال بعد ما قرأ هذه الآية كذب النسابون وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال بين ابراهيم و بين عدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله تعالى وكان مالك بن أنس يكره ان ينسب الانسان نفسه أبا أبا الى آدم وكذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم أولئك الآباء أحد الا الله عز وجل (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالدلالات الواضحات

(فردوا أيديهم في أفواههم) قال ابن مسعود عضوا على أيديهم غيظا كما قال عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم قال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا أيديهم في أفواههم أي في أفواه أنفسهم أي وضعوا الايدي على الافواه اشارة الى الرسل أن اسكتوا وقال مقاتل فردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم ومعناه ردوا ما لو قبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد أي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الامم ردوا على رسلهم (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقروا بأنهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقروا بأن الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) يعني يوجب الريبة أو يوقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه * فان قلت انهم قالوا أولا انا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر أو داخل فيه * قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسلهم) يعني مجيبين لامهم (أفي الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الامم مجيبين للرسل (ان أنتم) يعني ما أنتم (الا بشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسلطان مبين) يعني حجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) يعني ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان أنتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في دفع شرور أعدائهم عنهم (ومالنا أن لا نتوكل على الله) يعني ان الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقد هدانا سبلنا) يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتمونا) يعني به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) * فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين * قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل

(فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الايدي والافواه قولان أحدهما ان المراد بهما تان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم ومعناه ردوا ما لو قبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد أي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الامم ردوا على رسلهم (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقروا بأنهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقروا بأن الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) يعني يوجب الريبة أو يوقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه * فان قلت انهم قالوا أولا انا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر أو داخل فيه * قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسلهم) يعني مجيبين لامهم (أفي الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الامم مجيبين للرسل (ان أنتم) يعني ما أنتم (الا بشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسلطان مبين) يعني حجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) يعني ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان أنتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في دفع شرور أعدائهم عنهم (ومالنا أن لا نتوكل على الله) يعني ان الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقد هدانا سبلنا) يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتمونا) يعني به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) * فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين * قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل

وقد عرفنا ان لا ننال شيأ الا بقضائه وقدره (وقد هدانا سبلنا) بين لنا الرشد وبصرنا طريق النجاة (ولنصبرن) اللام لام القسم مجازه والله لنصبرن (على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون

وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) يعنون الا ان ترجعوا أو حتى ترجعوا الى ديننا (فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم) أى بعد هلاكهم (ذلك لمن خاف مقامى) أى قيامه بين يدى كما قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فاضاف قيام العبد الى نفسه كما تقول ندمت على ضربك أى على ضربى اياك (وخاف وعيد) أى عقابى قوله (واستفتحوا) أى استنصروا قال ابن عباس ومقاتل يعنى الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا نظيره قوله تعالى واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وقال مجاهد وقتادة واستفتحوا يعنى الرسل وذلك انهم لما يئسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب كما قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم الآية (وخاب) خسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار الذى لا يرى فوقه أحدا والجبرية طلب العلو بما لا غاية وراءه وهذا الوصف لا يكون الا لله عزوجل وقيل الجبار الذى يجبر الخلق على مراده والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وعن ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة العنيد الذى أبى أن يقول لا اله الا الله (من ورائه جهنم) أى أمامه كقوله تعالى وكان وراءهم ملك أى أمامهم قال أبو عبيدة هو من الاضداد وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يريد انه سيأتيك وأنا من وراء فلان يعنى أصل اليه وقال مقاتل من ورائه جهنم أى بعده (ويسقى من ماء صديد) أى من ماء هو صديد وهو ما يسيل من أبدان الكفار من القيح والدم وقال محمد بن كعب ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (يتجرعه) أى يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته (ولا يكاد يسيغه) أى لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعنى ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أى يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أى قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس

والتوكل الثانى فيه اشارة الى السعى فى التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) يعنى ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم أيها الرسل من بلادنا وأرضنا واما عودكم فى ملتنا * فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على ملتهم فى أول الامر حتى يعودوا فيها * قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أممهم فلما أرسلوا اليهم أظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله فقالوا لهم لتعودن فى ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من أول الامر انما نشؤا على التوحيد لا يعرفون غيره (فأوحى اليهم ربهم) يعنى ان الله تعالى أوحى الى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) يعنى ان عاقبة أمرهم الى الهلاك فلا تخافوهم (ولنسكننكم الارض من بعدهم) يعنى من بعد هلاكهم (ذلك) يعنى ذلك الاسكان (لمن خاف مقامى) يعنى خاف مقامه بين يدى يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف أفعالها الى أنفسها كقولهم ندمت على ضربى اياك وندمت على ضرب مثله (وخاف وعيد) أى وخاف عذابى * قوله عزوجل (واستفتحوا) يعنى واستنصروا قال ابن عباس يعنى الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أممهم وذلك انهم لما أيسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعنى وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار فى صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم فى حق الانسان وقيل الجبار الذى لا يرى فوقه أحدا وقيل الجبار المتعظم فى نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى يأبى أن يقول لا اله الا الله وقيل العنيد هو المعجب بما عنده وقيل العنيد الذى يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعنى هى أمامه وهو صائر اليها قال أبو عبيدة هو من الاضداد يعنى انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعنى انه سيأتيك (ويسقى) يعنى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظى هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) أى يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه (ولا يكاد يسيغه) أى لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعنى ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أى يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أى قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس لمرارته وحرارته (ولا يكاد يسيغه) يكاد صلة أى لا يسيغه كقوله تعالى لم يكد يراها أى لم يرها قال ابن عباس لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلى فى جوفه أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأ محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم ابن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عزوجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه

(ويأتيه الموت من كل مكان) يعني يجدهم الموت وألمه من كل مكان من اعضائه قال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله (وما هو بميت) فيستريح

عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي في جوفه عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها * وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) يعني ان الكافر يجد ألم الموت وشدته من كل مكان من اعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (ومن ورائه) يعني أمامه (عذاب غليظ) أي شديد قيل هو الخلود في النار * قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيأ في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان الحر والبرد والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضرب الله تعالى لاعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير واقراء الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وأبطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم أنهم أتعبوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدرون مما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده (ألم ر أن الله خلق السموات والارض بالحق) يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطوع لله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات والارض قادر على افناء قوم واماتتهم وايجاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يتكم يا معشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت

قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته ولا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة تطيرها لا يموت فيها ولا يحيى (ومن ورائه) أمامه (عذاب غليظ) شديد وقيل العذاب الغليظ الخلود في النار (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) يعني مثل أعمال الذين كفروا بربهم كقوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كما يقال يوم حار ويوم بارد لان الحر والبرد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانها قد ذكرت من قبل وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار يريد انهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لانهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به فذلك قوله تعالى (لا يقدرون) يعني الكفار (مما كسبوا) في الدنيا (على شيء) في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السموات والارض) قرأ حمزة والكسائي خالق السموات والارض وفي سورة النور خالق كل دابة مضافا وقرأ الآخرون خلق على الماضي والارض وكل بالنصب (بالحق) أي لم يخلقهما باطلا وانما خلقهما لامر عظيم (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) سواكم أطوع لله منكم (وما ذلك على الله بعزيز) منيع شديد يعني ان الاشياء تسهل في القدرة لا يصعب على الله شيء وان جل وعظم

قوله تعالى (وبرزوا لله جميعا) أى خرجوا من قبورهم الى الله وظهروا جميعا (فقال الضعفاء) يعنى الاتباع (للذين استكبروا) أى تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء (انا كنا لكم تبعا) جمع تابع مثل حرس وحارس (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا من عذاب الله من شئ قالوا) يعنى القادة للمتبوعين (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو هدانا الله لدعوناكم الى الهدى فلما أضلنا دعوناكم الى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) مهرب ولا منجا قال مقاتل يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع ثم يقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فحينئذ يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال محمد بن كعب القرظى بلغنى ان أهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله تعالى وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ستون (٣٢) وثلاثمائة يوم واليوم كألف سنة مما تعدون ثم لحظ الهم بعد الثمانين انكم ماكثون فلما أيسوا مما قبله قال بعضهم لبعض انه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهلموا فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم فاجمعوا على الصبر فطال صبرهم ثم جزعوا فطال جزعهم فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أى من منجا قال فقام ابليس عند ذلك فخطبهم وذلك قوله تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق الآية فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قال فنادوا الثانية فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فرد عليهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها الآيات فنادوا الثالثة ربنا

*قوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعنى وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل فى البراز وذلك ان يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى القضاء وأورد بلفظ الماضى وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل فى الوجود (فقال الضعفاء) يعنى الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (انا كنا لكم تبعا) يعنى فى الدين والاعتقاد (فهل أنتم) يعنى فى هذا اليوم (مغنون عنا) يعنى دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا (قالوا) يعنى الرؤساء والقادة والمتبوعون للتابعين (لو هدانا الله لهديناكم) يعنى لو أرشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم الى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعنى مستويان علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (ما لنا من محيص) يعنى من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظى بلغنى ان أهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم عند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص * قوله تعالى (وقال الشيطان) يعنى ابليس (لما قضى الامر) يعنى لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأخذ أهل النار فى لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر فى النار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (ان الله وعدكم وعد الحق) فيه اضمار تقديره فصدق فى وعده (ووعدتكم فأخلفتكم) يعنى الوعد وقيل يقول لهم انى قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار (وما كان لى عليكم من سلطان) يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به (الا أن دعوتكم) هذا استثناء منقطع معناه ولكن دعوتكم

أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فرد عليهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال الآيات منقطع ثم نادوا الرابعة ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل صالحا فرد عليهم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير الآية قال فمكث عليهم ما شاء الله ثم ناداهم ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء عنهم فاقبل بعضهم على بعض ينفخ بعضهم فى وجوه بعض وأطبقت عليهم النار قوله تعالى (وقال الشيطان) يعنى ابليس (لما قضى الامر) أى فرغ منه فادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال مقاتل يوضع له منبر فى النار فيراه فيجتمع عليه الكفار باللائمة فيقول لهم (ان الله وعدكم وعد الحق) فوفى لكم به (ووعدتكم فأخلفتكم) وقيل يقول لهم قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار (وما كان لى عليكم من سلطان) ولاية وقيل لم آتكم بحجة فيما دعوتكم اليه (الا أن دعوتكم) هذا استثناء منقطع معناه ولكن دعوتكم

(فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) باجابتى ومتابعتى من غير سلطان ولا برهان (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم (وما أنتم بمصرخىّ) بمغيثى قرأ الاعمش وحمزة بمصرخى بكسر الياء والآخرون بالنصب لاجل التضعيف ومن كسر فلالتقاء الساكنين حركت الى الكسر لان الياء أخت الكسرة وأهل النحو لم يرضوه وقيل انه لغة بنى يربوع والاصل بمصرخينى فذهبت النون لاجل الاضافة وأدغمت ياء الجماعة فى ياء الاضافة (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) أى كفرت بجعلكم اياى شريكا فى عبادته وتبرأت من ذلك (ان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب أليم) أخبرنا محمد بن عبد الله ابن أبى توبة أنبأنا محمد ابن أحمد الحارث أنبأنا محمد ابن يعقوب الكسائى أنبأنا عبد الله بن محمود ثنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشيد بن سعد أخبرنى عبد الرحمن بن زياد عن دخين الحجرى عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة ذكر الحديث ثم قال يقول عيسى عليه السلام ذلكم النبى الامى فيأتونى فيأذن الله لى أن أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شمها أحد حتى آتى ربى عزوجل فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى الى ظهر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون له قد وجد المؤمنون من يشفع لهم

منقطع معناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) يعنى ما كان منى الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا الىّ ولا تسمعوا قولى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى باجابتى ومتابعتى من غير حجة ولا دليل (ما أنا بمصرخكم) يعنى بمغيثكم ولا منقذكم (وما أنتم بمصرخىّ) يعنى بمغيثى ولا منقذى مما أنا فيه (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) يعنى كفرت بجعلكم اياى شريكا له فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك (ان الظالمين لهم عذاب أليم) روى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتونى فيأذن الله لى أن أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شمها أحد حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى الى ظهر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية * وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) لما شرح الله عزوجل حال الكفار الاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم فى الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (باذن ربهم) لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله (تحيتهم فيها سلام) فيحتمل ان بعضهم يحيى بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة * قوله عزوجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عزوجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم تر أى بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى اياك فعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شبها والمثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولا فى شئ آخر بينهما مشابهة ليتبين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشبيه شئ بشئ آخر (كلمة طيبة) هى قول لا اله الا الله فى قول ابن عباس وجمهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعنى كشجرة طيبة الثمرة قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرونى عن شجرة تشبه الرجل أو قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة قال فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى انها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيأ فقال عمر لأن تكون قلتها أحب الىّ من كذا وكذا وفى رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى قال

فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم تعظم لجهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية قوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام) يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم وقيل المحيى بالسلام هو الله عزوجل قوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) ألم تعلم والمثل قول سائر لتشبيه شئ بشئ (كلمة طيبة) وهى قول لا اله الا الله (كشجرة طيبة) وهى النخلة يريد كشجرة طيبة الثمرة وقال أبو ظبيان عن ابن عباس هى

شجرة في الجنة (أصلها ثابت) في الارض (وفرعها) أعلاها (في السماء) كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فاذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهي الى الله عز وجل قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (تؤتي أكلها) تعطي ثمرها (كل حين باذن ربها) والحين في اللغة هو الوقت وقد اختلفوا في معناه ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لان النخلة تثمر كل سنة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر من وقت اطلاعها الى صرامها وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل أربعة أشهر من حين ظهورها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران من حين تؤكل الى الصرام وقال الربيع بن أنس كل حين أي كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء (٣٤) اما تمرا أو رطبا أو بسرا كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة ايمانه لا تنقطع أبدا بل تصل اليه في كل وقت والحكمة في تمثيل الايمان بالشجرة هي ان الشجرة لا تكون شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنبأنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنبأنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل ابن جعفر ثنا عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي قال عبد الله فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة قال عبد الله فذكرت ذلك لعمر فقال لأن تكون قلت هي النخلة كان أحب الي من كذا وكذا وقيل الحكمة

عبد الله بن عمر ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه انها المؤمن * وقوله (أصلها ثابت) يعني في الارض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء (تؤتي أكلها) يعني ثمرها (كل حين باذن ربها) يعني بأمر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعني من وقت طلعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر يعني ان مدة حملها باطنا وظاهرا ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت أن يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطري الرطب فأكلها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث ان ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين بركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان * وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصويرا للمعاني وتذكيرا ومواعظ لمن تذكر واتعظ * قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعني الحنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه أيضا انها الثوم وعنه أيضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء (اجتثت) يعني استؤصلت وقطعت (من فوق الارض ما لها من قرار) يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا اعتقاد أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة

في تشبيهها بالنخلة من بين سائر الاشجار أن النخلة شبيه الاشجار بالانسان من حيث انها اذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار تتشعب من جوانبها بعد قطع رؤسها ولانها تشبه الانسان في أنها لا تحمل الا بالتلقيح ولانها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم قيل ومن عمتنا قال النخلة (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة) وهي الشرك (كشجرة خبيثة) وهي الحنظل وقيل هي الثوم وقيل الكشوث وهي العشقة (اجتثت) يعني انقلعت (من فوق الارض ما لها من قرار) ثبات معناه وليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح

قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) كلمة التوحيد وهي قول لا اله الا الله (في الحيوة الدنيا) يعني قبل الموت (وفي الاخرة) يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين وقيل في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر وفي الآخرة عند البعث والاول أصح أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو الوليد ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت سعيد بن عبيدة عن البراء ابن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر ابن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة بهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عياش ابن الوليد ثنا عبد الاعلى ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك انه حدثهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث أنس قال وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ثم أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسمعيل التميمي ثنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا عبد الله بن سعيد ثنا أسد بن موسى ثنا عنبسة بن سعد بن كثير حدثني جدي عن

الشجرة الخبيثة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظلة أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح * قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله (في الحيوة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية وأما الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم بمعناه وزاد في رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له اسكن وإن الكافر والمنافق اذا وضع في قبره أتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضرب به بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين وأخرجه النسائي أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع الى أهلي فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال

آبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يسمع خفق النعال اذا ولى عنه الناس مدبرين ثم يجلس ويوضع كفنه فى عنقه ثم يسال
وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر
النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول
هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع الى أهلى فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه
الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا أو كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدرى

فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وروى عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن وقال فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد فينتهرانه ويقولان له الثانية من ربك وما دينك ومن نبيك وهى آخر فتنة تعرض على المؤمن فيثبته الله عز وجل فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى قال فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفونى أخبرنا

للارض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهت الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وبيده عود ينكت به فى الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد فى رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفى رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له وما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد فى رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره وان كان الكافر فذكر موته قال فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فافرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زاد فى رواية ثم يقبض له أعمى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن ثمامة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فاذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى أخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم فى القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق فى الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها فى قلبه أعظم فينبغى للعبد المسلم أن يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله فى جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت فى القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت فى القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شئ قدير * وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعنى ان الله تعالى لا يهدى المشركين الى الجواب الصواب فى

أبو الحسن محمد بن أحمد الترابى أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام أنبأنا أبو الحسن القبر
أحمد بن سيار القرشى ثنا ابراهيم بن موسى الفراء أبو اسحق ثنا هشام بن يوسف ثنا عبد الله بن يحيى عن هانئ مولى عثمان قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا الله له التثبيت فانه الآن يسأل وقال عمرو بن العاص فى سياق الموت وهو يبكى فاذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فاذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمه حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى قوله تعالى (ويضل الله الظالمين) أى لا يهدى المشركين الى الجواب بالصواب فى القبر

(و يفعل الله ما يشاء) من التوفيق والخذلان والتثبيت وتركه التثبيت قوله تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسمعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم والله كفار قريش وقال عمر هم قريش ومحمد صلى الله عليه وسلم نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال البوار يوم بدر قوله بدلوا نعمت الله أي غيروا نعمة الله عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم حيث ابتعثه الله منهم كفرا كفروا به فأحلوا أي أنزلوا قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار البوار الهلاك ثم بين دار البوار فقال (جهنم يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) المستقر وعن علي كرم الله وجهه الذين بدلوا نعمة الله كفرا هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب هم الأخران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا الى حين (وجعلوا لله أندادا) أمثالا وليس لله تعالى ند (ليضلوا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكذلك في الحج وسورة لقمان والزمر ليضل وقرأ الآخرون بضم الياء على معنى ليضلوا الناس (عن سبيله قل تمتعوا) عيشوا في الدنيا (فان مصيركم الى النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة) قال الفراء هذا جزم على الجزاء (و ينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) مخالة وصداقة (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) باذنه

القبر (و يفعل الله ما يشاء) يعني من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) (خ) عن ابن عباس في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية هم والله كفار قريش قال عمر هم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال البوار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش فجروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأخران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه ان الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعني ومن تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعني المستقر (وجعلوا لله أندادا) يعني أمثالا وأشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا أياما قلائل (فان مصيركم الى النار) يعني في الآخرة * قوله تعالى (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة) يعني يقيموا الصلاة الواجبة واقامتها اتمام أركانها (و ينفقوا مما رزقناهم) قيل أراد بهذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعني ينفقون أموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل أراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعني لا فداء في ذلك اليوم (ولا خلال) يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون مخالة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة انما هي الاعمال اما أن يثاب بها أو يعاقب عليها * فان قلت كيف نفى الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثباتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراه أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة أحوالا مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالة لله في محبته * قوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء أراده فقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانها أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فأخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر

(وسخر لكم الانهار) ذللها لكم تجرونها حيث شئتم (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يجريان فيما يعود الى مصالح العباد ولا يفتران قال ابن عباس دؤبهما في طاعة الله عز وجل (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة

(وآتاكم من كل ما سألتموه) يعني آتاكم من كل شئ سألتموه شيأ فحذف الشئ الثاني اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير نحو قولك فلان يعلم كل شئ وآتاه كل الناس وأنت تريد بعضهم نظيره قوله تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شئ وقرأ الحسن من كل بالتنوين ما على النفي يعني من كل ما لم تسألوه يعني أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها (وان تعدوا نعمت الله) أي نعم الله (لا تحصوها) أي لا تطيقوا عدها ولا القيام بشكرها (ان الانسان لظلوم كفار) أي ظالم لنفسه بالمعصية كافر بربه في نعمته وقيل الظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه والكافر من يجحد منعمه قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) يعني الحرم (آمنا) ذا أمن يؤمن فيه (واجنبني) ابعدني (وبني) أن نعبد الاصنام) يقال جنبت الشئ وأجنبته جنبا وجنبته تجنيبا واجتنبته اجتنابا بمعنى واحد فان قيل قد كان ابراهيم معصوما من عبادة الاصنام فكيف يستقيم السؤال وقد عبد كثير من بنيه الاصنام فأين الاجابة قيل الدعاء في حق ابراهيم لزيادة العصمة والتثبيت وأما دعاؤه لبنيه فاراد بنيه من صلبه ولم يعبد منهم أحد الصنم وقيل ان دعاءه لمن كان مؤمنا من بنيه

لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الانهار) يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزروع والثمرات ولا في الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في طاعة الله أي في مسيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخيره لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم (وآتاكم من كل ما سألتموه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ما سألتموه شيأ فحذف شيأ اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعني وآتاكم من كل شئ سألتموه ومالم تسألوه لان نعمه علينا كثير من أن تحصى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثرتها (ان الانسان) قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلوم كفار) يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغيره من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار بالنعمة يجمع ويمنع * قوله سبحانه وتعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعني ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة * فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا * قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) يعني ابعدني وبني أن نعبد الاصنام * فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثاني ان الانبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون عن عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أيضا أن يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام * قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بأن قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذو السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس

(رب انهن أضللن كثيرا من الناس) يعني ضل بهن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن وهذا من القلوب نظيره قوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه أي يخوفهم بأوليائه وقيل نسب الاضلال الى الاصنام لانهن سبب فيه، كما يقول القائل فتنتني الدنيا نسب الفتنة الى الدنيا لانها سبب الفتنة (فمن تبعني فانه مني) أي من أهل ديني وملتي (ومن عصاني فانك غفور رحيم) قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب وقال مقاتل بن حيان ومن عصاني فيما دون الشرك وقيل قال ذلك قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك قوله تعالى (ربنا اني أسكنت من ذريتي) أدخل من للتبعيض ومجاز الآية أسكنت من ذريتي ولدا (بواد غير ذي زرع) وهو مكة لان مكة واد بين جبلين (عند بيتك المحرم) سماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن

يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن أبي كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس أول ما اتخذ النساء المناطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم عليه السلام وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت

الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة أمن على نفسه وماله من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلمها انه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها وأما الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه أيضا الوجه الاول ان دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول أن ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صنما قط الوجه الثاني انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن أذن الله أن يدعوله فكأنه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه انه قال في آخر الآية فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * وقوله تعالى (رب انهن) يعني الاصنام (أضللن كثيرا من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيئا حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما افتتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعني فانه مني) يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين بديني المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر

اذا حاولت في أسد فجورا * فاني لست منك ولست مني

أراد ولست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه انه مني حكمه حكمي جار مجراي في القرب والاختصاص (ومن عصاني) يعني في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرأ منهما والوجه الآخر ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على أن تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب * قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن

فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلبط أو قال يتلوى وانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من

عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف وفى رواية قدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيتا لله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته أخرجه البخارى باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله فى تفسير سورة البقرة وأما تفسير الآية فقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى من للتبعيض أى بعض ذريتى وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لانه واد بين جبلين جبل أبى قبيس وجبل اجياد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمى محرما لان الزائرين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لانه أعتق من الجبابرة أو من الطوفان * فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك * قلت يحتمل ان الله عز وجل أوحى اليه وأعلمه ان له هناك بيتا قد كان فى سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى جرى فى سابق علمك أنه سيحدث فى هذا المكان (ربنا ليقيموا الصلوة) اللام فى ليقيموا متعلقة باسكنت يعنى أسكنت قوما من ذريتى وهم اسمعيل وأولاده بهذا الوادى الذى لا زرع فيه ليقيموا أى لاجل أن يقيموا أو لكى يقيموا الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس) قال البغوى جمع

الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء فى سقائها لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة وان هناك بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان موضع البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء ولعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وكان أنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته ذكرنا تلك القصة فى سورة البقرة قوله تعالى (ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل أفئدة من الناس) الافئدة جمع الفؤاد

الوفد (تهوى اليهم) تحن وتشتاق اليهم قال السدى رحمه الله أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزى أفئدة من الناس أى قلوب جماعة من الناس فلهذا جعله جمع فؤاد قال ابن الانبارى وانما عبر عن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع أفئدة فجعلهما جارحة واحدة واللفظة من فى قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعى يقال هوى يهوى هويا اذا استقط من علو الى سفل وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانبارى معناه تحط اليهم وتحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة فى هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفى هذا بيان أن حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بأنهم ينتفعون بمن يأتى اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام فى هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته (وارزقهم من الثمرات) يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزروع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ * وقوله تعالى (لعلهم يشكرون) يعنى لعلهم يشكرون هذه النعم التى أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) يعنى انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفى من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذى زرع وما نعلن يعنى من البكاء وقيل ما نخفى يعنى من الحزن المتمكن فى القلب وما نعلن يعنى ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضيعنا (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) قيل هذا من تتمة قول ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد فى هذا السن من أعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق * فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق فى الدعاء فى وقت واحد وانما بشر باسحق بعد اسمعيل بزمان طويل * قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عند ما بشر باسحق وذلك انه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ولا يرد على هذا ما ورد فى الحديث انه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وأمه لان الذى صح فى الحديث انه دعا بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فى وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (ان ربى لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لى من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله (رب اجعلنى مقيم الصلوة) يعنى ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها فى أوقاتها (ومن ذريتى) أى واجعل من ذريتى من يقيم الصلاة وانما

(تهوى اليهم) تشتاق وتحن اليهم قال السدى معناه أمل قلوبهم الى هذا الموضع قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس وهم المسلمون (وارزقهم من الثمرات) ما رزقت سكان القرى ذوات الماء (لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) من أمورنا وقال ابن عباس ومقاتل من الوجد باسمعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذى زرع (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) قيل هذا كله قول ابراهيم متصل بما قبله وقال الاكثرون يقول الله عز وجل وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) أعطانى على كبر السن (اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء) قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة (رب اجعلنى مقيم الصلوة) يعنى ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها (ومن ذريتى) يعنى اجعل من ذريتى من يقيمون الصلاة

(ربنا وتقبل دعاء) أى عملى وعبادتى سمى العبادة دعاء وجاء فى الحديث الدعاء مخ العبادة وقيل معناه استجب دعائى (ربنا اغفر لى ولوالدى) فان قيل كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين قيل قد قيل ان أمه أسلمت وقيل أراد ان أسلما وتابا وقيل قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه وقد بين الله عذر خليله فى استغفاره لابيه فى سورة التوبة (وللمؤمنين) أى اغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) أى يبدو ويظهر وقيل أراد يوم الحساب يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما قوله تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقيقة الامور والآية لتسلية المظلوم وتهديد الظالم (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) أى لا تغمض من هول ما ترى فى ذلك اليوم وقيل ترتفع وتزول عن أماكنها (مهطعين) قال قتادة مسرعين قال سعيد بن جبير الاهطاع النسلان كعدو الذئب وقال مجاهد مديمى النظر ومعنى الاهطاع انهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يعرفون مواطن أقدامهم (مقنعى رؤسهم) أى رافعى رؤسهم قال القتيبى المقنع الذى يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه وقال الحسن وجوه الناس يومئذ الى السماء لا ينظر أحد الى أحد (لا يرتد اليهم طرفهم) لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة النظر وهى شاخصة قد شغلهم ما بين أيهم (وأفئدتهم هواء) أى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت فى حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود الى مكانها فأفئدتهم

أدخل لفظة من التى هى للتبعيض فى قوله ومن ذريتى لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتى وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لى) * فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له * قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شئ الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولوالدى) * فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين * قلت أراد انهما ان أسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعنى واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعنى يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة * قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعترى الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا فى حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بأن لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم * فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون * قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى اثبتوا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثانى ان المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون ولا يخفى عليه شئ وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبى صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجهله بصفاته (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما ترى فى ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أبى عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعى وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقنعى رؤسهم) الاقناع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف من صفتهم انهم رافعو رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أى لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف فهى شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفئدتهم هواء) أى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها ومعنى الآية ان أفئدتهم خالية فارغة

هواء لا شيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والارض هواء لخلوه وقيل خالية لا تعي شيأ ولا تعقل من الخوف وقال الاخفش جوفا لا عقول لها والعرب تسمي كل أجوف خلو هواء وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواء أي مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها والابصار شاخصة من هول ذلك اليوم (وأنذر الناس) خوفهم (يوم) أي بيوم (يأتيهم العذاب) هو يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أشركوا (ربنا أخرنا) أمهلنا (الى أجل قريب) هذا سؤالهم الرد الى الدنيا أي ارجعنا اليها (نجب دعوتك ونتبع الرسل) فيجابون (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) حلفتم في دار الدنيا (مالكم من زوال) عنها أي لا تبعثون وهو قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (وسكنتم) في الدنيا (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والعصيان يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) أي عرفتم عقوبتنا اياهم (وضربنا لكم الامثال) أي بينا ان مثلكم كمثلهم (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم) أي جزاء مكرهم (وان كان مكرهم) قرأ علي وابن مسعود وان كاد مكرهم بالدال وقرأ العامة بالنون (لتزول منه الجبال) قرأ العامة لتزول بكسر اللام الاولى ونصب الثانية معناه وما كان مكرهم لتزول قال الحسن ان كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلعم الذي هو ثابت كثبوت الجبال. وقرأ ابن جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية معناه أن مكرهم وان عظم حتى بلغ محلا يزيل الجبال لم يقدروا على ازالة أمر محمد وقال قتادة معناه وان كان مكرهم شركهم لتزول منه الجبال وهو معنى قوله تعالى وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ويحكى عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في معنى الآية انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه وذلك انه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهي حتى أصعد السماء فاعلم ما فيها فعمد الى أربعة أفرخ من النسور فربأها حتى شبت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من أسفل وبابا من أعلى وقعد نمرود مع رجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت وجعل على رؤسها اللحم وربط التابوت بأرجل النسور وخلاها فطرن وصعدن طمعا في اللحم حتى مضى يوم وأبعدن في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب ونظر فقال ان السما كهيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغية أين تريد قال عكرمة كان معه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفيت شغل الله السماء قال ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات ويشكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال

لا تعي شيأ ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواء أي مترددة تهوى في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدته (وأنذر الناس) يعني وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا أخرنا الى أجل قريب) يعني أمهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فينفعهم ذلك وهو قوله تعالى (نجب دعوتك ونتبع الرسل) فأجيبوا بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعني في دار الدنيا (مالكم من زوال) يعني مالكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا اياهم (وضربنا لكم الامثال) يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك * قوله سبحانه وتعالى (وقد مكروا مكرهم) اختلفوا في الضمير الى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم بك * وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعني جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعني وان كان مكرهم لا ضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قولا آخر وهو انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج

(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (ان الله عزيز ذو انتقام) قوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثني أبو حازم بن دينار عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن خالد هو ابن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة وعن ابن مسعود في هذه الآية قال تبدل الارض بأرض كفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل فيها خطيئة وقال علي بن أبي طالب تبدل الارض من فضة والسماء من ذهب وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وقيل معنى التبديل جعل السموات جنانا وجعل الارض نيرانا وقيل تبديل الارض تغييرها من هيئة الى هيئة وهي تسيير جبالها وطم أنهارها وتسوية أوديتها وقلع أشجارها وجعلها قاعا صفصفا وتبديل السموات تغييرها عن حالها بتكوير شمسها وخسوف قمرها وانتثار نجومها وكونها مرة كالدهان ومرة كالمهل أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن داود هو ابن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط وروى عن ثوبان ان حبرا من أحبار اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر

ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهي حتى أصعد الى السماء فأعلم ما فيها فعمد الى أربعة أفراخ من النسور فربأهن حتى كبرت وشبت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل ثم جوّع النسور ونصب خشبات أربعا في أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما أحمر وقعد هو في التابوت وأقعد معه رجلا آخر وأمر بالنسور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت النسور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النسور يوما أجمع حتى بعدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغي أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب وأخذ معه الرس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها في بحر في الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخا بالدم قال كفيت الاله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات الى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله وأولياءه ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (ان الله عزيز) أي غالب (ذو انتقام) يعني من أعدائه * قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لا ذاتهما فاما تبديل الارض فبتغيير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شيء الا ذهب وتمد مد الاديم وأما تبديل السماء فهو أن تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها ويكوّران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لاحد أخرجاه في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المائل الى حمرة كأن النار مسته بياض وجهها الى الحمرة وقوله ليس بها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد بتبديل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنائها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه

هذه الآية قال تبدل الارض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال أبى بن كعب فى معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسماء جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب الفرظى تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لاهل الجنة أخرجاه فى الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح هذا الحديث أما النزل فبضم النون والزاى ويجوز اسكان الزاى وهو ما يعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء وقال أهل اللغة هى الظلمة التى توضع فى الملة يتكفؤها بالهمزة بيده أى يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتسوى لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام فى اليد فى حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كمثله شئ ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالظلمة أى الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لأهل الجنة والله على كل شئ قدير * فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه و بين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها * قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان أن حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم فى الظلمة دون الجسر ذكره البغوى بغير سند ففى هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثانى مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * وقوله تعالى (وبرزوا) يعنى وخرجوا من قبورهم (لله) يعنى لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى فالواحد الذى لا ثانى له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذى يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد * قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعنى مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشئ بالشئ اذا شددته معه فى رباط واحد (فى الاصفاد) يعنى فى القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقال أبو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهى القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض (سرابيلهم) يعنى قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل ما لبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ فى اشتعال النار فى الجلود ولو أراد الله المبالغة فى احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذى انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعنى تعلوها وتجللها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) يعنى من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعنى هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا أنما هو اله واحد) يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليذكر أولوا الالباب) يعنى وليتعظ بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الحجر ﴾

مكية باجماعهم وهى تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا

قوله تعالى (وبرزوا) خرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) مشدودين بعضهم ببعض (فى الاصفاد) فى القيود والاغلال واحدها صفد وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته قال أبو عبيدة تقول العرب صفدت الرجل فهو مصفود وصفدته بالتشديد فهو مصفد وقيل يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة بيانه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يعنى قرناءهم من الشياطين وقيل معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد بالقيود ومنه قيل للجبل قرن (سرابيلهم) أى قمصهم واحدها سربال (من قطران) هو ما تهنأ به الابل وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين والقطر النحاس والصفر المذاب والآن الذى انتهى حره قال الله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (وتغشى وجوههم النار) أى تعلو (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) هذا) أى هذا القرآن (بلاغ) أى تبليغ وعظة (للناس ولينذروا) وليخوفوا (به وليعلموا أنما هو اله واحد) أى ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله (وليذكر أولوا الالباب) أى ليتعظ أولو العقول

﴿ سورة الحجر ﴾

مكية وهى تسعة وتسعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الر) معناه أنا الله أرى (تلك آيات الكتاب) أى هذه آيات الكتاب (وقرآن) أى وآيات قرآن (مبين) أى بين الحلال من الحرام والحق من الباطل فان قيل لم ذكر الكتاب ثم قال وقرآن مبين وكلاهما واحد قلنا قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فان الكتاب ما يكتب والقرآن

ما يجمع بعضه الى بعض وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل وبالقرآن هذا الكتاب (ربما)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله سبحانه وتعالى (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذى وعد الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرآنا وأى قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما فى ذلك من الفائدة وهى التفخيم والتعظيم والمبين الذى يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءنى ورب ما جاءنى زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ كأنك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ (يود الذين كفروا) وقيل ما فى ربما بمعنى حين أى رب حين يود يعنى يتمنى الذين كفروا لان التمنى هو تشهى حصول ما يوده واختلف المفسرون فى الوقت الذى يتمنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين أحدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمنى قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثانى ان هذا التمنى يكون فى الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم فى بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمنى حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمته فيأمر الله بكل من كان من أهل القبلة فى النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوى بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزى وقال واليه ذهب ابن عباس فى رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وابراهيم يعنى النخعى * فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون فى تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للائم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا القليل أبلغ فى التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم فى كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم * فان قلت رب لا تدخل الا على الماضى فكيف قال ربما يودو هو فى المستقبل * قلت لان المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه كأنه قال ربما ود * قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) يعنى دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا فى دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلههم الامل) يعنى ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعنى

قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدها وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير ورب تدخل على الاسم وربما على الفعل يقال رب رجل جاءنى وربما جاءنى رجل وأدخل ما ههنا للفعل بعدها (يود) يتمنى (الذين كفروا لو كانوا مسلمين) واختلفوا فى الحالة التى يتمنى الكافر فيها الاسلام قال الضحاك حالة المعاينة وقيل يوم القيامة والمشهور انه حين يخرج الله المؤمنين من النار وروى عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفر الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة فى النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

ربما للتكثير أو أراد ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم أحيانا (ذرهم) يا محمد يعنى الذين كفروا (يأكلوا) فى الدنيا (ويتمتعوا) من لذاتها (ويلههم) اذا يشغلهم (الامل) عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) اذا وردوا القيامة ذاقوا وبال ما صنعوا وهذا تهديد ووعيد وقال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وقوله فسوف يعلمون تهديد آخر فى يومنا العيش بين تهديدين والآية نسختها آية القتال

(وما أهلكنا من قرية) أي من أهل قرية (الا ولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب لا يتقدم عليه ولا يأتيهم العذاب حتى يبلغوه ولا يتأخر عنهم (ما تسبق من أمة أجلها) من صلة أي ما تسبق أمة أجلها (وما يستأخرون) أي الموت لا يتقدم ولا يتأخر وقيل العذاب وقيل الاجل المضروب (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) وذكروا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء (لوما) هلا (تأتينا بالملائكة) شاهدين لك بالصدق على ما تقول ان الله أرسلك (ان كنت من الصادقين) انك نبي (ما ننزل الملائكة) قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنونين الملائكة نصب وقرأ أبو بكر بالتاء وضمها وفتح الزاي الملائكة رفع وقرأ الباقون بالتاء وفتحها وفتح الزاي الملائكة رفع (الا بالحق) أي بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة لعجلوا بالعذاب (وما كانوا اذا منظرين) أي مؤخرين وقد كان الكفار يطلبون انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله تعالى بهذا ومعناه انهم لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال (انا نحن نزلنا الذكر) يعني القرآن (وانا له لحافظون) أي نحفظ القرآن من الشياطين ان يزيدوا فيه أو ينقصوا منه أو يبدلوا بغيره قال الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والباطل هو ابليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه وقيل الهاء في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم أي انا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء كما قال جل ذكره والله يعصمك من الناس

اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن أبي طالب انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الا ولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا في الوقت الذي حدلهم في اللوح المحفوظ (ما تسبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد يعني أحد وقيل هي على أصلها لانها تفيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي آكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وانما أدخل الهاء في أجلها لارادة الامة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال * قوله عز وجل (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) يعني القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه انك لمجنون في ادعائك الرسالة (لوما) قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا (تأتينا بالملائكة) يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك وادعائك الرسالة (ما ننزل الملائكة الا بالحق) يعني بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعني لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فأجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا (انا نحن نزلنا الذكر) يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فأخبر الله عز وجل انه هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم (وانا له لحافظون) الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه أمرا معلوما الا ان القول الاول أصح وأشهر وهو قول الاكثرين لانه أشبه بظاهر التنزيل وردالكناية الى أقرب مذكور أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بأن جعله معجزا باقيا مبينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير

نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون وأساؤا الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد أسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشئ في الشئ كادخال الخيط في المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدي قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازي احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال * وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الاولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لولا تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان أحدهما انهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا العنادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت أبصارنا) قال ابن عباس سدت أبصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكور يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة * قوله سبحانه وتعالى

قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك) أي رسلا (في شيع الاولين) أي في أمم القرون الماضية والشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم على رأي واحد (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كما فعلوا بك ذكره تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (كذلك نسلكه) أي كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه ندخله (في قلوب المجرمين) يعني مشركي مكة قومك وفيه رد على القدرية (لا يؤمنون به) يعني لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (وقد خلت) مضت (سنة الاولين) أي وقائع الله تعالى بالاهلاك فيمن كذب الرسل من الامم الخالية يخوف أهل مكة (ولو فتحنا عليهم) يعني على الذين يقولون لوما تأتينا بالملائكة (بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) فظلت الملائكة يعرجون فيه وهم يرونها عيانا هذا قول الاكثرين وقال الحسن معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيه أي يصعدون والاول أصح (لقالوا انما سكرت) سدت (أبصارنا) قاله ابن عباس وقال الحسن سحرت وقال قتادة أخذت وقال الكلبي عميت وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف أي حبست ومنعت النظر كما يسكر النهر لحبس الماء (بل نحن قوم مسحورون) أي عمل فينا السحر فسحرنا محمد

قوله تعالى (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) والبروج هى النجوم الكبار ماخوذ من الظهور يقال تبرجت المرأة أى ظهرت وأراد بها المنازل التى تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهى اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس (وزيناها) أى السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم) مرجوم وقيل ملعون قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة ماسمعوا فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث فى الارض حادث قال فبعثهم فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الا من استرق السمع) لكن من استرق السمع (فأتبعه شهاب مبين) والشهاب الشعلة من النار وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا ويسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أوحيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس فى البوادى

(ولقد جعلنا فى السماء بروجا) يعنى البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحدها برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعنى منازلهما وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم العظام قال أبو اسحق يريد ون نجوم هذه البروج وهى نجوم على ماصورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعنى السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) يعنى المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذى أوجد كل شئ وخلقه وصوره (وحفظناها) يعنى السماء (من كل شيطان رجيم) أى مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فما منهم من أحد يريد أن يسترق السمع الا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث فى الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الا من استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأتبعه) أى لحقه (شهاب مبين) والشهاب شعلة من نار ساطع سمى الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس فى قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أوحيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس فى البوادى (خ) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء

فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع أحدهم الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن أبى مريم ثنا الليث ثنا ابن أبى جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلعم انها سمعت النبى صلعم يقول ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الامر الذى قضى فى السماء فتسترق الشياطين

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين أحدهما انها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوّته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمى بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمى ويعضده ماروى أن يعقوب بن المغيرة بن الاخنس ابن شريق قال أول من فزع للرمى بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بنى علاج وكان أهدى العرب فقالوا له ألم تر ماحدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طى الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لامر أراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية * مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عيهم قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشددت أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بينا هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى أوليائهم ويرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

فالعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي فانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمى بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعنى بسطناها على وجه الماء كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بأن الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا أصحاب التفسير بأن الله أخبر في كتابه بأنها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لأخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض (وألقينا فيها رواسي) يعنى جبالا ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فأثبتها بالجبال (وأنبتنا فيها) أى في الارض لان أنواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مذكور ولقوله تعالى

الاخنس بن شريق ان أول من فزع للرمى بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو ابن أمية أحد بنى علاج وكان أهدى العرب فقالوا له ألم تر ماحدث في السماء من القذف بالنجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهى والله طى الدنيا وهلاك الخلق الذى فيها وان كانت نجوما غيرها وهى والله ثابتة على حالها فهذا لامر أراده الله تعالى بهذا الخلق قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظ وشدد أمرها حين بعث محمد صلعم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة فصار شدة الحراسة والاهتمام بالرجم بعد مبعثه وقيل ان النجم ينقض فيرمى الشياطين ثم يعود الى مكانه والله أعلم قوله تعالى (والارض مددناها) بسطناها على وجه الماء يقال انها مسيرة خمسمائة سنة في مثلها دحيت من تحت الكعبة (وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت وقد كانت الارض تميد الى أن أرساها الله بالجبال (وأنبتنا فيها) أى في الارض

(من كل شئ موزون) بقدر معلوم وقيل يعني في الجبال وهي جواهرها من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يوزن وزنا وقال ابن زيد هي الاشياء التي توزن وزنا (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة قيل أراد بها المطاعم والمشارب والملابس وقيل ما يعيش به الآدمي في الدنيا (ومن لستم له برازقين) أي جعلنا فيها معايش من لستم له برازقين من الدواب والانعام أي جعلناها لكم وكفيناكم رزقها ومن في الآية بمعنى ما كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل من في موضعها لانه أراد المماليك مع الدواب وقيل من في محل الخفض عطفا على الكاف والميم في لكم (وان من شئ) أي وما من شئ (الا عندنا خزائنه) أي مفاتيح خزائنه وقيل أراد به المطر (وما ننزله الا بقدر معلوم) لكل أرض حد مقدر ويقال لا تنزل من السماء قطرة الا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله

عزوجل ويشاء وعن جعفر

(من كل شئ موزون) وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدر وفعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معايشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عني به الشئ الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطأ والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران بالوزن (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطير أنتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش (وان من شئ الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشئ للحفظ يقال خزن الشئ اذا أحرزه فقيل أراد مفاتيح الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وأمره وتدبيره * قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا أراد الله بقوم خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة واذا أراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك * وحكى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لقحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الريح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح

ابن محمد عن أبيه عن جده قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) أي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب وهو جمع لاقحة يقال ناقة لاقحة اذا حملت الولد قال ابن مسعود يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم تمطر وقال أبو عبيدة أراد باللواقح الملاقح واحدتها ملقحة لانها تلقح الاشجار قال عبيد بن عمير يبعث الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر وقال أبو بكر بن عياش لا تمطر قطرة من السحاب الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيه فالصبا تهيجه والشمال تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه وفي الخبر ان اللقح رياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت ريح الجنوب الا وبعث عينا غدقة واما الريح العقيم فانها تأتي بالعذاب ولا تلقح أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا من لا أتهم بحديثه ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عزوجل فارسلنا عليهم ريحا صرصرا واذا رسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات قرأ حمزة وحده وأرسلنا الريح لواقح على الوحدة والوجه ان الريح يراد بها الجنس والكثرة ولهذا وصفت بالجمع في قوله لواقح وقرأ الباقون الرياح بالالف على الجمع ووجهه ظاهر وذلك انها وصفت بقوله لواقح وهي جماعة فينبغي أن يكون المرسل أيضا جماعة ليتوافقا

قوله (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) أى جعلناه المطر لكم سقيا يقال أسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان

لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه ودوابه تقول العرب أسقيته (وما أنتم له بخازنين) يعنى المطر فى خزائننا لا فى خزائنكم وقال سفيان بمانعين (وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون) بأن نميت جميع الخلائق فلا يبقى حى سوانا والوارث من صفات الله عزوجل قيل الباقى بعد فناء الخلق وقيل معناه ان مصير الخلق اليه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) قال ابن عباس أراد بالمستقدمين الاموات وبالمستأخرين الاحياء قال الشعبى الاولين والآخرين وقال عكرمة المستقدمون من خلق الله والمستأخرون من لم يخلق الله قال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون فى الطاعة والخير والمستأخرون المبطؤن عنها وقيل المستقدمون فى الصفوف فى الصلاة والمستأخرون فيها وذلك ان النساء كن يخرجن الى صلاة الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من فى قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صفوف الرجال ليقرب من النساء ومن النساء من كانت فى قلبها ريبة فتقدم الى أول صفوف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وقال الاوزاعى أراد المصلين فى أول الوقت والمؤخرين الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين فى صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم ومن لا يسلم

المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر فى هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فأنزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء الا بعد أن تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقح وان ألفحت غيرها لان معناها النسبة كما يقال درهم وازن أى ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمعنى لانه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازى عنه بأن قال هذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أى ذات لقاح وقيل ان الريح فى نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحابا ثقالا أى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقحت اذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد فى بعض الاخبار ان الملقح الرياح الجنوب وفى بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب الا وأنبعت عينا غدقة (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوى بسنده الى الشافعى الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثا النبى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس فى كتاب الله عزوجل انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات وقوله سبحانه وتعالى (فأنزلنا من السماء ماء) يعنى المطر (فأسقيناكموه) يعنى جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته يقال أسقيناه (وما أنتم له) يعنى للمطر (بخازنين) يعنى ان المطر فى خزائننا لا فى خزائنكم وقيل وما أنتم له بمانعين (وانا لنحن نحيى ونميت) يعنى بيدنا احياء الخلق وامانتهم لا يقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا لنحن يفيد الحصر يعنى لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بأن نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك الملك لنا والوارث هو الباقى بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقى بعد فناء خلقه الذين أمتعهم بما آتاهم فى الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداؤه منه تعالى فاذا فنى جميع الخلائق رجع الذى كانوا يملكونه فى الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه * قوله عزوجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون فى الصف الاول لئلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون فى الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله عزوجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه النسائى وأخرجه الترمذى وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزى نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوى وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من فى قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من فى قلبها ريبة فتتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبى هريرة وقال ابن عباس

(وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) على ماعلم منهم وقيل يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والاخرين أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا أبو سعيد الصيرفي ثنا أبو العباس الاصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات على شئ بعثه الله عليه قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم عليه السلام سمي انسانا لظهوره وادراك ابصاره وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي (من صلصال) وهو الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة أي صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر

عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون يعني فيهما وقال الاوزاعي أراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين وبالمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخرا وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الاية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الاية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شئ من أحوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) يعني على ماعلم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ماماتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ماماتعليه * قوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي (من صلصال) يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي اذا انضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم اذا أنتن (من حمأ) يعني من الطين الاسود (مسنون) أي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ماذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخمره حتى اسود وأنتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حمأ مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة انسان أجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما ان آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا استتر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ريح حارة

الطيب الذي اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم وأصل اذا أنتن (من حمأ) والحمأ الطين المنتن الاسود (مسنون) أي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء أي صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار وفي بعض الآثار ان الله عز وجل لما خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيرا أسود ثم خلق منه آدم عليه السلام (والجان خلقناه من قبل) قال ابن عباس هو أبو الجن كما ان آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس خلق قبل آدم ويقال الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويحيون ويموتون وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ويموتون اذا مات ابليس وذكر وهب ان من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون

بمنزلة الآدميين ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون (من نار السموم) والسموم ريح حارة تدخل مسام الانسان فتقتله يقال السموم بالنهار والحرور بالليل وعن الكلبي عن أبي صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب فاذا أراد الله أن يحدث أمرا خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون في خرق ذلك الحجاب وقيل نار السموم لهب النار وقيل من نار السموم أي من نار جهنم وعن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار فاما الملائكة فانهم خلقوا من النور

قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا) أى سأخلق بشرا (من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) وعدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) فصار بشرا حيا والروح جسم لطيف يحيا به الانسان وأضافه الى نفسه تشريفا (فقعوا له ساجدين) سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة) الذين أمروا بالسجود (كلهم أجمعون) فان قيل لم قال كلهم أجمعون وقد حصل المقصود بقوله فسجد الملائكة قلنا زعم الخليل وسيبويه انه ذكر ذلك تأكيدا وذكر المبرد أن قوله فسجد الملائكة كان من المحتمل انه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الاشكال ثم كان يحتمل انهم سجدوا فى أوقات مختلفة فزال ذلك الاشكال بقوله أجمعون وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه ان الله عز وجل قال لجماعة من الملائكة اسجدوا لادم فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لادم فسجدوا (الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) أراد انى أفضل منه لانه طينى وأنا نارى والنار تأكل الطين (قال فاخرج منها) أى من الجنة (فانك رجيم) طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون فى السموات والارض (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون) أراد الخبيث أن لا يموت (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) أى الوقت الذى يموت فيه الخلائق وهو النفخة الاولى ويقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ويقال انه لم تكن اجابة الله تعالى اياه فى الامهال اكراما له بل كانت زيادة فى بلائه وشقائه

تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التى تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التى تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهى نار بين السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التى تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حى من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور قوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة) أى واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة (انى خالق بشرا) سمى الآدمى بشرا لانه جسم كثيف ظاهر البشرة ظاهر الجلد (من صلصال من حمأ مسنون) تقدم تفسيره (فاذا سويته) يعنى عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) النفخ عبارة عن اجراء الريح فى تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح فى النشأة الأولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحى وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيأتى الكلام على الروح فى تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسألونك عن الروح ان شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم انى خالق بشرا أمرهم بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم) يعنى الذين أمروا بالسجود لآدم (أجمعون) قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا بأسرهم ثم عند هذا بقى احتمال آخر وهو انهم سجدوا فى أوقات متفرقة أو فى دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال قول الخليل وسيبويه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حالا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لادم فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا (الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين) يعنى مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فسجدوا (قال) يعنى قال الله (يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال) يعنى ابليس (لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طينى الاصل وابليس نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه أفضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أى طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون فى السموات والارض * فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذى هو يوم القيامة * قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التى عليه كأنه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له (قال رب فانظرنى) يعنى أخرنى (الى يوم يبعثون) يعنى يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فلهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فأجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه فى الامهال اكراما له بل كانت زيادة فى بلائه وشقائه

اكراما

(قال رب بما أغويتني) أضلالتني وقيل خيبتني من رحمتك (لأزينن لهم في الارض) حب الدنيا ومعاصيك (ولأغوينهم) أي لأضلنهم
(أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) المؤمنين الذين أخلصوا لك بالطاعة والتوحيد ومن فتح اللام أي من أخلصته بتوحيدك فهديته
واصطفيته (قال) الله تعالى (هذا صراط علي مستقيم) قال الحسن معناه صراط الي مستقيم قال مجاهد الحق يرجع الى الله تعالى وعليه طريقه
ولا يعوج عليه شيء وقال الاخفش يعني على الدلالة على الصراط المستقيم قال الكسائي هذا على التهديد

اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة له في بلائه وشقائه وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم
لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل ان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم
بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون أجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم يعني اليوم الذي عينت وسألت الانظار اليه (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم في قوله بما وما مصدرية
وجواب القسم (لأزينن) والمعنى فبإغوائك اياي لأزينن لهم في الارض وقيل هي باء السبب يعني بسبب
كوني غاويا لازينن (لهم في الارض) يعني لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك (ولأغوينهم أجمعين) يعني
بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق
بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال (الا عبادك منهم المخلصين) يعني المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد
والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الا من أخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك
وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص
فعل الشيء خالصا لله عن شائبة الغير فكل من أتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو اما أن يكون مراده
بتلك الطاعة وجه الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان
لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين
الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أي
الجانبين رجح أخذ به (قال) يعني قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط علي مستقيم) قال الحسن معناه هذا
صراط الي مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج الى شيء وقال الاخفش معناه
على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه
طريقك علي أي لا تنفلت مني وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا
عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق علي والي يؤدي الى كرامتي ورضواني (ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان) أي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين الا عبادك
منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على
أحد من عبيده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعاني ليس لك عليهم سلطان على
قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان أن تلقيهم في ذنب يضيق عنه
عفوي وهؤلاء خاصته أي الذين هداهم واجتباهم من عباده (الا من اتبعك من الغاوين) يعني الا من اتبع
ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به (وان جهنم لموعدهم أجمعين)
يعني موعدا بليس وأشياعه وأتباعه (لها) يعني لجهنم (سبعة أبواب) يعني سبع طبقات قال علي بن أبي طالب
تدرون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال
ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم
جزء مقسوم) يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء وجزأنه جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه
وتعالى يجزئ أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر

والوعيد كما يقول الرجل
لمن يخاصمه طريقك على
أي لا تنفلت مني كما قال
عز وجل ان ربك لبالمرصاد
وقيل معناه على استقامته
بالبيان والبرهان والتوفيق
والهداية وقرأ ابن سيرين
وقتادة ويعقوب على من
العلو أي رفيع وعبر بعضهم
عنه رفيع أن ينال مستقيم
أن يمال (ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان) أي قوة
قال أهل المعاني يعني على
قلوبهم وسئل سفيان بن
عيينة عن هذه الاية فقال
معناه ليس لك عليهم
سلطان تلقيهم في ذنب
يضيق عنه عفوي وهؤلاء
ثنية الله الذين هداهم
واجتباهم (الا من اتبعك
من الغاوين وان جهنم
لموعدهم أجمعين) يعني
موعدا بليس ومن تبعه
(لها سبعة أبواب) أطباق
قال علي كرم الله وجهه
تدرون كيف أبواب
النار هكذا ووضع احدى
يديه على الاخرى أي
سبعة أبواب بعضها فوق
بعض وان الله وضع
الجنان على العرض ووضع

النيران بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم
جزء مقسوم) أي لكل دركة قوم يسكنونها وقال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون
وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله
تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وروى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف

على أمتي أو قال على أمة محمد قوله تعالى (ان المتقين في جنات وعيون) أي في بساتين وأنهار (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوا الجنة (بسلام) أي بسلامة (آمنين) من الموت والخروج والآفات (ونزعنا) أخرجنا (ما في صدورهم من غل) هو الشحناء والعداوة والحقد والحسد (اخوانا) نصب على الحال (على سرر) جمع سرير (متقابلين) يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد منهم الى قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا ودّ أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان و يتحدثان (لا يمسهم) لا يصيبهم (فيها نصب) أي تعب (وما هم منها بمخرجين) هذه أنص آية في القرآن على الخلود قوله تعالى (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما على نفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون و بين أيديكم النار فنزل جبريل بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي من رحمتي (وأن عذابي هو العذاب الأليم) قال قتادة بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب ابن عبد الرحمن عن عمرو ابن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة ثلاثة

مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * قوله سبحانه وتعالى (ان المتقين في جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والأمن من الموت ومن جميع الآفات (ونزعنا ما في صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن في القلب و يطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (اخوانا) يعني في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب (على سرر) جمع سرير قال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيأ للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعاء الى الجابية (متقابلين) يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان و يتحدثان (لا يمسهم فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا اعياء (وما هم منها) يعني من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال و بقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان * قوله سبحانه وتعالى (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون و بين أيديكم النار فنزل جبريل بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند (وأن عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأدخل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ

يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار

قوله تعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) أى عن الضيافة والضيف اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال) ابراهيم (انا منكم وجلون) خائفون لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) قرأ حمزة وحده نبشرك بفتح النون واسكان الباء وضم الشين وتخفيفها وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء وكسر الشين وتشديدها (بغلام عليم) أى غلام فى صغره عليم فى كبره يعنى اسحق فتعجب ابراهيم عليه السلام من كبره وكبر امرأته (قال أبشرتمونى) أى بالولد (على أن مسنى الكبر) أى على حال الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) فبأى شئ تبشرون قرأ نافع بكسر النون وتخفيفها أى تبشرون وقرأ ابن كثير بكسرها وبتشديد النون أى تبشرونى أدغمت نون الجمع فى نون الاضافة وقرأ الآخرون بفتح النون وتخفيفها (قالوا بشرناك بالحق) أى بالصدق (فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط) قرأ أبو عمرو والكسائى ويعقوب بكسر النون والآخرون بفتحها وهما لغتان قنط يقنط وقنط يقنط أى من ييأس (من رحمة ربه الا الضالون) أى الخاسرون والقنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكره (قال) ابراهيم لهم (فما خطبكم) ما شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا

ثلاثة أولها قوله أنى وثانيها أنا وثالثها ادخال الالف واللام فى الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل انى أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابى هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه فى التزام المغفرة والرحمة * قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ما قبله أى واخبر يا محمد عبادى عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا مملت اليه والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع فى عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (اذ دخلوا عليه) يعنى اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أى نسلم سلاما (قال) يعنى ابراهيم (انا منكم وجلون) أى خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) يعنى لا تخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعنى أنهم بشروه بولد ذكر غلام فى صغره عليم فى كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته (قال أبشرتمونى) يعنى بالولد (على أن مسنى الكبر) يعنى على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعنى فبأى شئ تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعنى بالصدق الذى قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكرا تكثر ذريته وهو اسحق (فلا تكن من القانطين) يعنى فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير (قال) يعنى ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يعنى من ييأس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلالة (قال) يعنى ابراهيم (فما خطبكم) يعنى فما شأنكم وما الامر الذى جئتم فيه (أيها المرسلون) والمعنى ما الامر الذى جئتم به سوى ما بشرتمونى به من الولد (قالوا) يعنى الملائكة (انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى لهلاك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعنى أشياعه وأتباعه من أهل دينه (انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته) يعنى امرأة لوط (قدرنا) يعنى قضينا وانما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بأمر الملك (انها لمن الغابرين) يعنى لمن الباقين فى العذاب والاستثناء من النفى اثبات ومن الاثبات نفى فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم فى زى شبان مردان حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعنى لا أعرفكم ولا أعرف من أى الاقوام أنتم ولا لاى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعنى الملائكة

الى قوم مجرمين) مشركين (الا آل لوط) أتباعه وأهل دينه (انا لمنجوهم أجمعين) خفف الجيم حمزة والكسائى وشدده الباقون (الا امرأته) أى امرأة لوط (قدرنا) قضينا (انها لمن الغابرين) الباقين فى العذاب والاستثناء من النفى اثبات ومن الاثبات نفى فاستثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين قرأ أبو بكر قدرنا ههنا وفى سورة النمل بتخفيف الدال والباقون بتشديدها (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) أى انا لا أعرفكم (قالوا

بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى يشكون فى انه نازل بهم وهو العذاب لانه كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه (وأتيناك بالحق) باليقين وقيل بالعذاب (وانا لصادقون فاسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم) أى خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) حتى لا يرتاعوا من العذاب اذا نزل بقومهم وقيل جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعنى الشأم وقال مقاتل يعنى زغر وقيل الاردن (وقضينا اليه ذلك الامر) أى وقضينا الى آل لوط ذلك الامر أى أحكمنا الامر الذى أمرنا فى قوم لوط وأخبرناه

(أن دابر هؤلاء) يدل عليه قراءة عبد الله وقلنا له ان دابر هؤلاء يعنى أصلهم (مقطوع) مستأصل (مصبحين) اذا دخلوا فى الصبح (وجاء أهل المدينة) يعنى سدوم (يستبشرون) بأضياف لوط أى يبشر بعضهم بعضا طمعا فى ركوب الفاحشة منهم (قال) لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفى) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) فيهم (واتقوا الله ولا تخزون) ولا تخجلون (قالوا أولم ننهك عن العالمين) أى ألم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل ألم ننهك ان تدخل الغرباء المدينة فانا نركب منهم الفاحشة (قال هؤلاء بناتى) أزوجكم اياهن ان أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام (ان كنتم فاعلين) ما آمركم به وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبى كالوالد لامته قال الله تعالى (لعمرك) يا محمد أى وحياتك (انهم لفى سكرتهم) حيرتهم وضلالتهم (يعمهون) يترددون قال قتادة يلعبون

(بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنى جئناك بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه (وأتيناك بالحق) يعنى باليقين الذى لا شك فيه (وانا لصادقون) يعنى فيما أخبرناك به من اهلاكهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشئ وبعضه (واتبع أدبارهم) يعنى واتبع آثار أهلك وسر خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعنى حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع فى السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شئ وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولئلا يتخلف أحد منهم فينا له العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعنى الى الشأم وقيل الاردن وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعنى وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذى حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذى قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أبهم الامر الذى قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشأنه (وجاء أهل المدينة) يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعنى يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم فى المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا فى غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفى) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعنى فيهم يقال فضحه يفضحه اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فى أمرهم (ولا تخزون) يعنى ولا تخجلون (قالوا) يعنى قوم لوط الذين جاؤا اليه (أولم ننهك عن العالمين) يعنى أولم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل معناه أولم ننهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا فى أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه (هؤلاء بناتى) أزوجكم اياهن ان أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبى كالوالد لامته (ان كنتم فاعلين) يعنى ما آمركم به (لعمرك) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمى فحذف الخبر لان فى الكلام دلالة عليه (انهم لفى سكرتهم) يعنى فى حيرتهم وضلالهم وقيل فى غفلتهم (يعمهون) يعنى يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعنى حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذى نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره فى سورة هود (ان فى ذلك) يعنى الذى نزل بهم من العذاب (لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التاويل ما روى عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله

روى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس انه قال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم الله تعالى بحياة أحد الا بحياته (فأخذتهم الصيحة مشرقين) أى حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب حين أصبحوا وتمامه حين أشرقوا (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال مجاهد للمتفرسين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين

(وانها) يعني قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) أي بطريق واضح وقال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل (ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان) وقد كان (أصحاب الايكة) الغيضة (لظالمين) لكافرين واللام للتاكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل (فانتقمنا منهم) بالعذاب وذلك ان الله سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجؤا اليها يلتمسون الروح فبعث عليهم منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة (وانهما) يعني مدينتي قوم لوط وأصحاب الايكة (لبامام مبين) لبطريق واضح مستبين قوله تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر) وهي مدينة ثمود قوم صالح وهي بين المدينة والشام (المرسلين) أراد صالحا وحده وانما ذكر بلفظ الجمع لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل كلهم (وآتيناهم آياتنا) يعني الناقة وولدها والبئر والآية في الناقة خروجها من الصخرة وكبرها وقرب ولادها وغزارة لبنها (فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الخراب ووقوع الجبل عليهم (فاخذتهم الصيحة) يعني صيحة العذاب (مصبحين) أي داخلين في وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من الشرك والاعمال الخبيثة أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الله بن أبي توبة أنبانا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود أنبانا ابراهيم ابن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري أنا سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم قال وتقنع بردائه وهو على الرحل وقال عبد الرزاق عن معمر ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي قوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة) يعني القيامة (لآتية) يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته (فاصفح الصفح الجميل) فاعرض عنهم واعف عفوا حسنا نسختها آية القتال

ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخير وهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعني قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (لآية للمؤمنين) يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان كان أصحاب الايكة لظالمين) يعني كان أصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذ بأنفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم جميعا (وانهما) يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الايكة (لبامام مبين) يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع ولان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده * قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآتيناهم آياتنا) يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الايات (معرضين) يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) يعني خوفا من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف (فاخذتهم الصيحة) يعني العذاب (مصبحين) يعني وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ان يصيبكم ما أصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي * قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاظهار الحق والعذاب وهو أن يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لآتية) يعني وان القيامة لتاتي ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته (فاصفح الصفح الجميل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل

(إن ربك هو الخلاق العليم) بخلقه قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) قال عمر وعلي فاتحة الكتاب وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبير أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب ثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن هي السبع المثاني (والقرآن العظيم) وعن ابن مسعود قال السبع المثاني هي فاتحة الكتاب والقرآن العظيم سائر القرآن واختلفوا في ان الفاتحة لم سميت مثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد بنصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما روينا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقال الحسين بن الفضل سميت مثاني لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة كل مرة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد سميت مثاني لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فما أعطاها غيرهم وقال أبو زيد البلخي سميت مثاني لانها تثني أهل الشر عن الفسق من قول العرب ثنيت عناني وقيل لان أولها ثناء وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع المثاني هي السبع الطوال أولها سورة البقرة وآخرها الانفال مع التوبة وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو بكر محمد بن حمدون ابن خالد وعبد الله بن محمد ابن مسلم قالا أنبانا هلال بن العلاء ثنا حجاج بن محمد عن أيوب بن عتبة عن يحيى ابن كثير عن شداد بن عبد الله عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتي النبي صلى الله عليه وسلم السبع الطوال وأعطى موسى ستا فلما ألقى الالواح رفع ثنتان وبقي أربع قال ابن عباس وانما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخير والشر والعبر والخبر ثنيت فيها وقال طاوس القرآن كله مثاني قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القرآن مثاني لان الانباء والقصص ثنيت فيه وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن فيكون تقديره على هذا وهي القرآن العظيم وقيل الواو مقحمة مجازه ولقد آتيناك سبعا من المثاني القرآن العظيم

ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف (إن ربك هو الخلاق العليم) يعني انه سبحانه وتعالى خالق خلقه وعالم ما هم فاعلوه وما يصلحهم * قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع أهل التفسير وليس فيها من المدني شيء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلانها سبع آيات باجماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مثناة وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تثني أهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن

قوله تعالى (لا تمدّن عينيك) يا محمد (الى ما متعنا به أزواجا) أصنافا (منهم) أى من الكفار متمنيا لها نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة فى الدنيا ومزاحمة أهلها عليها (ولا تحزن عليهم) أى لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم فى الدنيا أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن المقرى ثنا عيسى بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك أنا جهم بن أوس قال سمعت عبد الله بن أبى مريم ومر به عبد الله بن رستم فى موكبه فقال لابن أبى مريم انى لأشتهى مجالستك وحديثك فلما مضى قال ابن أبى مريم سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدرى ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت فبلغ ذلك وهب بن منبه فأرسل اليه وهب أبا داود الاعور فقال يا أبا فلان ما قاتلا لا يموت قال ابن أبى مريم النار أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفر السرخسى أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه ثنا أبو الحسن ابن أبى اسحق ثنا ابراهيم ابن عبد الله العبسى أنا وكيع عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقيل هذه الآية متصلة بما قبلها وذلك انه لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاه عن

القرآن واحدى سور لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثانى فى تفسير قوله سبعا من المثانى انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود فى رواية عنه وابن عباس وفى رواية عنه وسعيد بن جبير وفى رواية عنه السبع الطوال هى سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا فى السابعة فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هى سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المئين مكان الانجيل وأعطانى مكان الزبور المثانى وفضلنى ربى بالمفصل أخرجه البغوى باسناده الثعلبى قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثانى لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهى مكية وأجيب عن هذا الايراد بأن الله سبحانه وتعالى حكم فى سابق علمه بانزال هذه السورة على النبى صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السورة القول الثالث ان السبع المثانى هى السور التى هى دون الطوال وفوق المفصل وهى المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم وأعطانى مكان الزبور المثانى والقول الرابع ان السبع المثانى هى القرآن كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى وسمى القرآن كله مثانى لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه * فان قلت كيف يصح عطف القرآن فى قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثانى وهل هو العطف الشئ على نفسه * قلت اذا عنى بالسبع المثانى فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف عليه السلام واذا عنى بالسبع المثانى القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهى القرآن العظيم وانما سمى القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم * قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى لا تمدن عينيك يا محمد (الى ما متعنا به أزواجا) يعنى أصنافا (منهم) يعنى من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة فى الدنيا ومزاحمة أهلها عليها والمعنى انك قد أوتيت القرآن العظيم الذى فيه غنى عن كل شئ فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعنى لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشئ اذا أدام النظر اليه مستحسنا له فيحصل له من ذلك تمنى ذلك الشئ المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شئ من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعنى ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم فى الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا ففيه النهى عن الالتفات الى أموال الكفار والالتفات اليهم أيضا وروى البغوى بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدرى ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل وما هو قال النار (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه لفظ البخارى ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الاغنياء فما كان أحد أكثر هما منى كنت أرى دابة خيرا من دابتى وثوبا خيرا من ثوبى فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت * وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعنى لين جانبك

الرغبة فى الدنيا روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أى من لم يستغن بالقرآن وتأول هذه الآية قوله تعالى (واخفض جناحك) لين جانبك

(للمؤمنين) وارفق بهم والجناح من ابن آدم جانباه (وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين) قال الفراء مجازه أنذركم عذابا كعذاب المقتسمين حكى عن ابن عباس أنه قال هم اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن عضين) جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وقال مجاهد هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه وقيل المقتسمون قوم اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الاولين وقيل الاقتسام هو انهم فرقوا القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ساحر كاهن شاعر وقال مقاتل كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا عقاب مكة وطرقها وقعدوا على تلقيها فيقولون لمن جاء من الحجاج لا تغتروا بهذا الرجل الخارج الذي يدعي النبوة منا وتقول طائفة منهم انه مجنون وطائفة انه كاهن وطائفة انه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكما فاذا سئل عنه قال صدق أولئك يعني المقتسمين وقوله عضين قيل هو جمع عضو ماخوذ من قولهم عضيت الشئ تعضية اذا فرقته ومعناه انهم جعلوا القرآن أعضاء فقال بعضهم سحر وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم أساطير الاولين وقيل هو جمع عضة يقال عضة وعضين مثل برة وبرين وعزة وعزين وأصلها عضهة ذهبت هاؤها الاصلية كما نقصوا من الشفة وأصلها شفهة بدليل انك تقول في التصغير شفيهة والمراد بالعضة الكذب والبهتان وقيل المراد بالعضين العضة وهو السحر يريد انهم سموا القرآن سحرا (فوربك لنسألنهم أجمعين) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) في الدنيا قال محمد بن اسمعيل قال عدة من أهل العلم عن قول لا اله الا الله فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قيل قال ابن عباس لا يسألهم هل عملتم لانه أعلم بهم منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان يعني استعلاما وقوله لنسألنهم أجمعين يعني توبيخا وتقريعا وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها فنظير ذلك قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون

(للمؤمنين) وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أي وقل لهم يا محمد (اني أنا النذير المبين) لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به اليهم والانذار تبليغ مع تخويف والمعنى اني أنا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين البين النذارة (كما أنزلنا على المقتسمين) يعني أنذركم عذابا كعذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لانهم أقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه أساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سالوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاؤا الي صددتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسالوه عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا * وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشئ اذا فرقته وجعلته أجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن أجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعني انهم جعلوا القرآن سحرا (فوربك لنسألنهم أجمعين) أقسم الله بنفسه انه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعني عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لا إله الا الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين * فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم أجمعين و بين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان * قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل عملتم لانه أعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان يعني سؤال استعلام وقوله لنسالنهم أجمعين

قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهره ويروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وقال الاخفش افرق أى افرق بالقرآن بين الحق والباطل وقال سيبويه اقض بما تؤمر وأصل الصدع الفصل والفرق أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية باظهار الدعوة وروى عن عبد الله ابن عبيدة قال كان مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) نسختها آية القتال (انا كفيناك المستهزئين) يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصدع بأمر الله ولا تخف أحدا غير الله عز وجل فان الله كافيك من عاداك كما كفاك المستهزئين وهم خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد المطلب بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ابن زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحارث بن قيس بن الطلاطلة فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام النبى صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة نبال يريش نبالا له وعليه برد يمان وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه الكبر ان يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر به العاص بن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله فاشار جبريل الى أخمص رجليه وقال قد كفيته فخرج على راحلته ومعه ابنان له ينتزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة فى أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا قال عبد سوء فاشار بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فعمى فذهب ضوء بصره ووجعت عيناه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفى رواية الكلبى أتاه جبريل وهو قاعد فى أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحدا يصنع بك شيأ غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلنى رب محمد ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله على انه ابن خالى فقال قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات حبنا وفى رواية الكلبى انه خرج من أهله فاصابه السموم فاسود حتى عاد حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول قتلنى رب محمد ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومأ الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه أكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين بك وبالقرآن

سؤال تو بيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا انه قال فى الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون فى بعض المواقف ولا يسئلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى فى آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون * قوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهره ويروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل الصدع الشق والفرق أى افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) أى اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى (انا كفيناك المستهزئين) أكثر المفسرين على أن هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحدا غيرى فانى أنا كافيك وحافظك ممن عاداك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزؤن بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى والاسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة كذا ذكره البغوى وقال ابن الجوزى الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهرى عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمه قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبالا له وعليه برد يمانى وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر أن يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضربه فى ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص بن وائل السهمى فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فاشار جبريل الى أخمص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة ينتزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ شبرقة فدخل منها شوكة فى أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى

(الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) وقيل استهزاؤهم واقتسامهم هو ان الله لما أنزل فى القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة النمل وسورة العنكبوت كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء يقول هذا فى سورة البقرة ويقول هذا فى سورة النحل ويقول هذا فى سورة العنكبوت فانزل الله تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين)

من المصلين المتواضعين وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعنى من المصلين وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أى الموت الموقن به وهذا معنى ما ذكر فى سورة مريم وأوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا أخبرنا المطهر ابن على الفارسى أنا محمد بن ابراهيم الصالحى أنا عبد الله محمد بن جعفر بن الشيخ الحافظ ثنا أمية بن محمد الصواف البصرى ثنا محمد ابن يحيى الازدى ثنا أبى والهيثم بن خارجة قالا ثنا اسمعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم عن أبى مسلم الخولانى عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وروى عن عمر رضى الله عنه قال نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريت له بمائتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون ذكره البغوى بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ورجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفى رواية الكلبى قال أتاه جبريل وهو قاعد فى أصل شجرة ومعه غلام له وفى رواية فجعل ينطح رأسه فى الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيأ غيرك فمات وهو يقول قتلنى محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على انه خالى فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفى رواية الكلبى انه خرج من أهله فأصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلنى رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه أكل حوتا ما لحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعنى بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) يعنى اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد * قوله سبحانه وتعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) يعنى بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) يعنى من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعنى من المصلين روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب فى زوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة فكأنه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء أعطيتنى ما أحب أو كفيتنى ما أكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بى ما تشاء * قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعنى الموت الموقن به الذى لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك فى جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت فى عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى فى سورة مريم وأوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا روى البغوى بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو شريت له بمائتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون والله أعلم

﴿ تفسير سورة النحل ﴾

مكية الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة فى قتل حمزة قاله ابن عباس وفى رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهى قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هى مكية الا خمس آيات وهى قوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا

وقوله يغذيانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو شريت له بمائتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترونه والله أعلم

﴿ سورة النحل ﴾ مكية مائتان وثمان وعشرون آية الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى آخر السورة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (أتى) أى جاء ودنا وقرب (أمر الله) قال ابن عرفة تقول العرب أتاك الامر وهو متوقع بعد أى أتى أمر الله وعده (فلا تستعجلوه) وقوعا أمر الله قال الكلبى وغيره المراد منه القيامة قال ابن عباس لما نزلت قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما لم ينزل شئ قالوا ما نرى شيا فنزل قوله اقترب للناس حسابهم فأشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى أتى أمر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب الشئ قبل حينه ولما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه وان كادت لتسبقنى قال ابن عباس كان بعث النبى صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل عليه السلام بأهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر ههنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف وذلك ان النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) معناه تعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون (ينزل الملائكة) قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاى والملائكة نصب وقرأ يعقوب بالتاء وفتحها وفتح الزاى والملائكة رفع ينزل الملائكة (بالروح) بالوحى سماه روحا لانه يحيى به القلوب والحق قال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة قال أبو عبيدة بالروح يعنى مع الروح وهو جبرائيل (من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا) أعلموا (أنه لا اله الا أنا فاتقون) وقيل معناه مروهم بقول لا اله الا الله منذرين مخوفين بالقرآن ان لم يقولوا وقوله فاتقون أى فخافون (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) أى ارتفع عما يشركون (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) نزلت فى أبى بن خلف الجمحى وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال أتقول ان الله تعالى يحيى هذا بعدما قد رم كما قال جل ذكره وضرب لنا مثلا ونسى خلقه نزلت فيه أيضا والصحيح ان الآية عامة وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوا

وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتم الى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهى مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعنى جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الامر وهو متوقع المجيء بعد ما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا (فلا تستعجلوه) يعنى وقوعا والمراد به مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شئ قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب مجيء الشئ قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما أخرجاه فى الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفى رواية بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا الى النبى صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر ههنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعنى تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون * قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعنى بالوحى (من أمره) وانما سمى الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعنى على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحى الى الخلق (أن أنذروا) يعنى بأن أعلموا (أنه لا اله الا أنا فاتقون) أى فخافون وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعنى مخوفين بالقرآن (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعنى انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت فى أبى بن خلف الجمحى وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيى هذا العظم بعدما رم فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم والصحيح ان الآية عامة فى كل ما يقع من الخصومة فى الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف

قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم * قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به فى سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به فى ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهى الابل والبقر والغنم قال الواحدى ثم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدأ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعنى النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام (ومنها تأكلون) يعنى من لحومها * فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها * قلت الاكل من هذه الانعام هو الذى يعتمده الناس فى معايشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فغير معتد به فى الاغلب وأكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب فى الاكل من هذه الانعام * فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس * قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أى فى الانعام (جمال) أى زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الاراحة رد الابل بالعشى الى مراحها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى قال أهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم فى ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشى الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء ثغاء يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح أربابها بها وتتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس * فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح * قلت لان الجمال فى الاراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ فى التفرق والانتشار للرعى فى البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل فى الاراحة أكثر منه فى التسريح فوجب تقديمه * وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل أثقالكم) الاثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعنى غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين (لم تكونوا بالغيه) يعنى بالغى ذلك البلد الذى تقصدونه (الا بشق الانفس) يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشئ والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها (ان ربكم لرؤف رحيم) يعنى بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع * قوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعنى وجعلها زينة مع المنافع التى فيها

من جحود نعم الله مع ظهورها عليهم قوله تعالى (والانعام خلقها) يعنى الابل والبقر والغنم (لكم فيها دفء) يعنى من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولحفا تستدفؤن بها (ومنافع) بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها (ومنها تأكلون) يعنى لحومها (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) أى حين تردونها بالعشى من مراعيها الى مباركها التى تأوى اليها (وحين تسرحون) أى تخرجونها بالغداة من مراحها الى مسارحها وقدم الرواح لان المنافع تؤخذ منها بعد الرواح ومالكها يكون أعجب بها اذا راحت (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد) آخر غير بلدكم قال عكرمة البلد مكة (لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) أى بالمشقة والجهد والشق النصف أيضا أى لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها وقرأ أبو جعفر بشق بفتح الشين وهما لغتان مثل رطل ورطل (ان ربكم لرؤف رحيم) بخلقه حيث جعل لهم هذه المنافع (والخيل) يعنى وخلق الخيل وهى اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والنساء والسماء (والبغال والحمير لتركبوها وزينة) يعنى وجعلها زينة لكم مع المنافع التى فيها واحتج بهذه الآية من حرم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية فقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة وذهب جماعة الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير وبه قال الشافعى وأحمد واسحق ومن أباحها قال ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته واحتجوا بما أخبرنا

(فصل)

عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن عمرو وهو ابن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في لحوم الخيل أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسمعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا الحسن بن الفرج ثنا عمرو بن خالد ثنا عبد الله بن عبد الكريم عن عطاء بن أبي رباح عن جابر انهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن لحوم البغال والحمير وروى عن المقدام بن معدي كرب عن خالد بن الوليد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير واسناده ضعيف (ويخلق مالا تعلمون) قيل يعني ما أعد الله في الجنة لاهلها وفي النار لاهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة يعني السوس في النبات والدود في الفواكه قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) يعني بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل بيان الحق بالآيات والبراهين والقصد الصراط المستقيم (ومنها جائر) يعني ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج فالقصد من السبيل دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر ابن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع دليله قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل (ولو شاء لهداكم أجمعين) نظيره قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها قوله (هو الذي أنزل من السماء ماء

﴿فصل﴾ احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا أيضا بأن منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علمنا تحريم أكله ولو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فأكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا التحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا بها جمعا بين النصين والله أعلم * وقوله تعالى (ويخلق مالا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل التفصيل ذكر بعدها مالا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم ويخلق مالا تعلمون يعني مما أعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق مالا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه * قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا أداك الى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالايات والبراهين (ومنها جائر) يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع (ولو شاء لهداكم أجمعين) فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم * قوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال هو الذي أنزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من

السماء ماء يعني المطر (لكم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني تشربونه (ومنه) يعني ومن ذلك الماء (شجر) الشجر في اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدي عن أهل اللغة أنهم قالوا الشجر أصناف ما جل وعظم وهو الذي يبقى على الشتاء ومادق وهو صنفان أحدهما تبقى له أدوحة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو اسحق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشد * نطعمها اللحم اذا عز الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن اذا أجدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الآية يعني الكلا ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر (فيه) يعني في الشجر (تسيمون) يعني ترعون مواشيكم يقال أسمت السائمة اذا خليتها ترعى وسامت هي اذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) أي ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم لكم (به) أي بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر في الثمار تفصيلا واجمالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبيه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من أنواع الثمار (لآية) يعني علامة دالة على قدرتنا وواحدانيتنا (لقوم يتفكرون) يعني فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم تفسيره في سورة الاعراف (مسخرات) يعني مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فأخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مذللات (بأمره) يعني بأمر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وأنها ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يعني أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وأن جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أراده منهم (وما ذرأ لكم في الارض) يعني وما خلق لكم في الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار (مختلفا ألوانه) يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى (ان في ذلك لآية لقوم يذكرون) يعني فيعتبرون بذلك * قوله سبحانه وتعالى (وهو الذي سخر) لكم (البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر البحر (لتأكلوا منه لحما طريا) فبدأ بذكر الاكل لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله ما لحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطري الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلقه لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لان زينة النساء بالحلي وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعني السفن (مواخر فيه) يعني جواري فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى

لكم منه شراب) تشربونه (ومنه شجر) أي من ذلك الماء شرب أشجاركم وحياة نباتكم (فيه) يعني في الشجر (تسيمون) ترعون مواشيكم (ينبت لكم به) أي ينبت الله لكم به يعني بالماء الذي أنزل وقرأ أبو بكر عن عاصم ننبت بالنون (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم) ذلل لكم (الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات) مذللات (بأمره) أي باذنه وقرأ حفص عن عاصم والنجوم مسخرات بالرفع على الابتداء (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ) خلق (لكم) لاجلكم أي وسخر ما خلق لاجلكم (في الارض) من الدواب والاشجار والثمار وغيرها (مختلفا) نصب على الحال (ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون) يعتبرون (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) يعني السمك (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك مواخر فيه) جواري فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وهو انك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة وقال الحسن مواخر أي مملوءة وقال الفراء والاخفش مواخر شواق تشق الماء بجؤجؤها قال مجاهد تمخر السفن الرياح وأصل المخر الرفع والشق وفي الحديث اذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح أي لينظر من أين مجراها

سفينتين

سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل المخر في اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني أنها اذا جرت يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعني صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر أي مملوءة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعني الارباح بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) يعني انعام الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم (وألقى في الارض رواسي) يعني جبالا ثقالا (أن تميد بكم) يعني لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فأصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال (وأنهارا) يعني وجعل فيها أنهارا الان في ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وأنهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان (لعلكم تهتدون) يعني بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف مالا علم له به * قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ماذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء أفمن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيأ البتة لانها جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تذكرون) يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكره بقي في الآية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جمادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها أجريت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل أن يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيأ البتة والله أعلم * وقوله تعالى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين الى

(ولتبتغوا من فضله) يعني التجارة (ولعلكم تشكرون) اذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم (وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم) أي لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل والميد هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد قال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال (وأنهارا وسبلا) أي وجعل فيها أنهارا وطرقا مختلفة (لعلكم تهتدون) الى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني معالم الطرق قال بعضهم ههنا تم الكلام ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون) قال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والجبال تكون علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به قال السدي أراد بالنجوم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي يهتدون بها الى الطرق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة للسماء

ومعالم للطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف مالا علم له به (أفمن يخلق) يعني الله تعالى (كمن لا يخلق) يعني الاصنام (أفلا تذكرون وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها

ان الله لغفور) لتقصيركم فى شكر نعمه (رحيم) بكم حيث وسع عليكم النعم و لم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصى (والله يعلم ما تسرّون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام وقرأ عاصم و يعقوب يدعون بالياء (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون أموات) أى الاصنام (غير أحياء وما يشعرون) يعنى الاصنام (أيان) متى (يبعثون) والقرآن يدل على ان الاصنام تبعث وتجعل فيها الحياة فتتبرأ من عابديها وقيل ما يدرى الكفار عبدة الاصنام متى يبعثون قوله تعالى (الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة (وهم مستكبرون) متعظمون (لا جرم) حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين)

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن يحيى البسطامى أنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن ابراهيم بن سحتونة أنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهرى ثنا على بن الحسن ابن أبى عيسى الهلالى ثنا يحيى بن حماد ثنا شعبة عن ابان بن ثعلب عن فضيل العقيمى عن ابراهيم النخعى عن علقمة بن قيس عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فقال رجل يارسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس (واذا قيل لهم) يعنى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركو مكة

غير ذلك مما أنعم به عليه فى نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التى لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها يعنى ولو اجتهدتم فى ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تقدرون عليه (ان الله لغفور) يعنى لتقصيركم فى القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعنى بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى (والله يعلم ما تسرّون وما تعلنون) يعنى ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرّون أشياء وهو ما كانوا يعكرون بالنبى صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعنى ومايظهرون من ايذائه فأخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرّها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها فى الآية المتقدمة ذكر فى هذه الآية ان الاله الذى يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام التى تدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) * فان قلت قوله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيأ فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيأ وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور فى تلك الآية فما فائدة التكرار * قلت فائدته ان المعنى المذكور فى الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيأ فقط والمذكور فى هذه الآية أنهم لا يخلقون شيأ وأنهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة فى المعنى وهو فائدة التكرار (أموات) أى جمادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعنى كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذى يستحق أن يعبد هو الحىّ الذى لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة فى غير موضعها * وقوله (وما يشعرون) يعنى هذه الاصنام (أيان يبعثون) يعنى متى يبعثون وفيه دليل على أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه ما يدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون * قوله سبحانه وتعالى (الهكم اله واحد) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو اله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعنى جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعنى عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا (لا جرم) يعنى حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين) يعنى عن اتباع الحق

(م) عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعنى أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيأ وكذا معنى غمصته أى انتقصت به وازدريته * قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعنى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) يعنى أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام فى ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعنى ذنوب أنفسهم

أى ليجعلوا (أوزارهم) ذنوب أنفسهم (كاملة) وانما ذكر الكمال لان البلايا التى تلحقهم فى الدنيا وما يفعلون فيها من الحسنات لا تكفر عنهم شيأ (يوم القيامة) وانما

وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التى أصابتهم فى الدنيا وأعمال البر التى عملوها فى الدنيا لا تكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام فخر الدين الرازى وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا فى حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة * وقوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعنى و يحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع والسبب فيه ماروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل و يدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدى ولفظة من فى قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ ولكنها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (ألا ساء ما يزرون) يعنى ألا بئس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله سبحانه وتعالى (قد مكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السماء و يقاتل أهلها فى زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقى فأهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت ألسنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوى وفى هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عربا منهم جرهم الذى نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا فى قديم الزمان بالعربية و يدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله أعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة فى جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير * وقوله سبحانه وتعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) يعنى قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بأن أتاهم بريح قصفت بنيانهم من أعلا وأتاهم بزلازل قلعت بنيانهم من قواعده وأساسه هذا اذا حملنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الآية على القول الثانى وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر بآخر فأهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على ألسنة الناس من حفر بئرا لاخيه أوقعه الله فيه * وقوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى سقط عليهم السقف فأهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم أهلكوا وماتوا تحته (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى فى مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم

ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) بغير حجة فيصدونهم عن الايمان (ألا ساء ما يزرون) ما يحملون أنا أبو عبد الله محمد ابن الفضل الحرقى أنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهرى أنا أحمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ قوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم) وهو نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل ليصعد السماء قال ابن عباس و وهب كان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقى وهم تحته ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) أى قصد تخريب بنيانهم من أصولها (فخر عليهم السقف) يعنى أعلى البيوت (من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من مأمنهم

(ثم يوم القيامة يخزيهم) يهينهم بالعذاب (ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم) تخالفون المؤمنون فيهم مالهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب وكسر نافع النون من تشاقون على الاضافة والآخرون بفتحها (قال الذين أوتوا العلم) وهم المؤمنون (ان الخزى) الهوان (اليوم والسوء) أى العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه قرأ حمزة يتوفاهم بالياء وكذلك ما بعده (ظالمى أنفسهم) بالكفر ونصب على الحال أى فى حال كفرهم (فالقوا السلم) أى استسلموا وانقادوا وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) شرك فقال لهم الملائكة (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) قال عكرمة عنى بذلك من قتل من الكفار ببدر (فادخلوا) أى يقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) عن الايمان (وقيل للذين اتقوا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء سأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون ولو لم تلقه خير فيقول السائل أنا شر وفدان رجعت الى قومى دون أن أدخل مكة فالقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبى مبعوث فذلك قوله وقيل للذين اتقوا (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) يعنى أنزل خيرا ثم ابتدأ فقال (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) كرامة من الله قال ابن عباس هى تضعيف الاجر الى العشر وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن (جنات (ولدار الآخرة) أى ولدار الحال الاخرة (خير ولنعم دار المتقين) قال الحسن هى الدنيا لان أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة وقال أكثر المفسرين هى الجنة ثم فسرها فقال

(ثم يوم القيامة يخزيهم) يعنى يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بأن العذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزى هو العذاب مع الهوان (ويقول) يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة (أين شركائى) يعنى فى زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعنى كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم فى شأنهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى مالهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعنى المؤمنين وقيل الملائكة (ان الخزى) يعنى الهوان (اليوم) يعنى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعنى العذاب (على الكافرين) وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤن بالمؤمنين فى الدنيا وينكرون عليهم أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فيكون أعظم فى الهوان والخزى * قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) تقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (ظالمى أنفسهم) يعنى بالكفر (فألقوا السلم) يعنى انهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) يعنى فلا فائدة لكم فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أى فيقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) يعنى مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (فلبئس مثوى المتكبرين) يعنى عن الايمان * قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وذلك ان أحياء العرب كانوا يبعثون الى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد أنا شر وافدان رجعت الى قومى من دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبى مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعنى أنزل خيرا * فان قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا * قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا معقولا للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده فى الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) يعنى ما لهم فى الآخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعنى الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان أهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله

(جنات عدن) يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان أى أقام به (يدخلونها) يعنى تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجرى من تحتها الانهار) يعنى تجرى الانهار فى هذه الجنات من تحت دورأهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) يعنى فى الجنات (ما يشاؤن) يعنى ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤن لا يفيد الحصر وذلك يدل على أن الانسان لا يجد كل ما يريد فى الدنيا (كذلك يجزى الله المتقين) أى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أنهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعنى الملائكة لهم (سلام عليكم) يعنى تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضله ورحمته أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة * قلت قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى شرح مسلم اعلم أن مذهب أهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة فى سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح فى خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفى ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التى تدل على أن الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أن يدخل بالاعمال أى بسببها وهى من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده * قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هؤلاء الذين أشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد (الا أن تأتيهم الملائكة) يعنى لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعنى بتعذيبه اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى باكتسابهم المعاصى والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيئات ما عملوا) يعنى فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) يعنى ان مشركى مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول فى انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان لحصل جئت أو لم تجئ ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت أو لم تجئ واذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة فى بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا ان الكل من الله فكانت

(جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أفعالهم وأقوالهم وقيل معناه ان وفاتهم تقع طيبة سهلة (يقولون) يعنى الملائكة لهم (سلام عليكم) وقيل معناه يبلغونهم سلام الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) قوله (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى يوم القيامة وقيل العذاب (كذلك فعل الذين من قبلهم) أى كفروا كما كفر الذين من قبلهم (وما ظلمهم الله) بتعذيبه اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا) عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة (وحاق بهم) نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا

بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى أحكام الله وفى أفعاله وهو باطل لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه فى أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان فى حكم الله وسنته فى عباده ارسال الرسل اليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فمن هداه فهو المهتدى ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله فى عباده أنه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدى من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد وأما قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شئ) يعنى الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا أن الله رضيها لنا لغيرذلك ولهدانا الى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما فى الامم الخالية (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يعنى ليس اليهم هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) يعنى كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعنى ان الرسل كانوا يأمرونهم بأن يعبدوا الله وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعنى فمن الامم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعنى هداه الله الى الايمان به وتصديق رسله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعنى ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق فى الازل حتى مات على الكفر والضلال وفى هذه الآية أبين دليل على أن الهادى والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف فى عباده فيهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به فى سابق علمه (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعنى فسيروا فى الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما آل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم ان أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم * قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هداهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء وايمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لا يهدى من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعنى لا يهدى الله من أضله وقيل معناه لا يهتدى من أضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادى له (ومالهم من ناصرين) أى مانعين يمنعونهم من العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الجوزى سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذى أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله أبو العالية وتقرير الشبهة التى حصلت للمشركين فى انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم فى انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم فى قولهم فقال تعالى (بلى) يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفى والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوجده من العدم ولم يك شيأ فالذى أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية أهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعنى ان الذى وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) يعنى من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذى لا خلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين)

فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) أى ليس اليهم الهداية انما اليهم التبليغ (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) أى كما بعثنا فيكم (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهو كل معبود من دون الله (فمنهم من هدى الله) أى هداه الله الى دينه (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى وجبت بالقضاء السابق حتى مات على كفره (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أى مآل أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك (ان تحرص على هداهم) يا محمد (فان الله لا يهدى من يضل) قرأ أهل الكوفة يهدى بفتح الياء وكسر الدال أى لا يهدى الله من أضله وقيل معناه لا يهتدى من أضله الله وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الدال يعنى من أضله الله فلا هادى له كما قال من يضلل الله فلا هادى له (ومالهم من ناصرين) أى مانعين من العذاب قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) وهم منكرو البعث قال الله تعالى ردا عليهم (بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون) أى ليظهر لهم الحق فيما يختلفون (فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين)

يعنى

انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يقول الله تعالى اذا أردنا أن نبعث الموتى فلا تعب علينا فى احيائهم ولا فى شئ مما يحدث انما نقول له كن فيكون أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى عبدى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياى أن يقول لن يعيدنا كما بدأنا وأما شتمه اياى أن يقول اتخذ الله ولدا وأنا الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد قوله تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا) عذبوا وأوذوا فى الله نزلت فى بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وجبير وأبى جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وقال قتادة هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصارا من المؤمنين (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) وهو انه أنزلهم المدينة روى أن عمر بن الخطاب كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة أفضل ثم تلا هذه الآية

يعنى فى قولهم لا بعث بعد الموت (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد أن يحيى الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه فى احيائهم وبعثهم انما يقول لشئ أراده كن فيكون على ما أراد لانه القادر الذى لا يعجزه شئ أراده (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى ويكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى أما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا وأما تكذيبه اياى فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى وفى رواية كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك أما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * وقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا) يعنى أوذوا وعذبوا نزلت فى بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبى جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فأما بلال فكان أصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتراه منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب فقال لهم انى رجل كبير ان كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باقيهم فأعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث أخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب * وقوله تعالى (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) يعنى لنبوئنهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم فى الدنيا دارا حسنة أو بلدة حسنة وهى المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخر لك فى الاخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه ليحسنن اليهم فى الدنيا بأن يفتح لهم مكة ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة فى الدنيا التوفيق والهداية فى الدين (ولأجر الآخرة أكبر) يعنى أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم فى الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم فى الآخرة لزادوا فى الجد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) يعنى فى الله على ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعنى صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال فى سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) يعنى فى أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل فى هذه الآية وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك

وقيل معناه لنحسنن اليهم فى الدنيا وقيل الحسنة فى الدنيا التوفيق والهداية (ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) وقوله لو كانوا يعلمون ينصرف الى المشركين لان المؤمنين كانوا يعلمونه (الذين صبروا) فى الله على ما نالهم (وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من قبلك

الا رجالا نوحى اليهم) نزلت هذه الآية جوابا لمشركى مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا فأجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعنى مثلك نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة (فاسئلوا أهل الذكر) يعنى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم بأن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لا تعلمون) الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم يا هؤلاء لا تعلمون ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا فى المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم فى قوله فاسئلوا أهل الذكر يعنى أهل العلم والمعنى فاسئلوا أهل الذكر الذى هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون أنتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (وأنزلنا اليك الذكر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيها للغافلين (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعنى ما أجمل اليك من أحكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلهم يتفكرون) يعنى فيما أنزل اليهم فيعملوا به (أفأمن الذين مكروا السيآت) فيه حذف تقديره المكرات السيآت وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا فى أذيتهم والمكر عبارة عن السعى بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعى فى أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيآت نمرود ومن هو مثله والصحيح أن المراد بهم كفار مكة (أن يخسف الله بهم الارض) يعنى كما خسف بقرون من قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم فى تقلبهم) يعنى فى تصرفهم فى الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم فى السفر كما هو قادر على اهلاكهم فى الحضر وقال ابن عباس يأخذهم فى اختلافهم وقال ابن جريج فى اقبالهم وادبارهم يعنى انه تعالى قادر على أن يأخذهم فى ليلهم ونهارهم وفى جميع أحوالهم (فما هم بمعجزين) يعنى بسابقين الله أو يفوتونه بل هو قادر عليهم (أو يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعنى على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به انه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشئ بعد الشئ حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيحتمل أنه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبى هو من الخوف يعنى يهلك طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل فى الارض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو بآفات تحدث قليلا قليلا الى أن يأتى الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى

الا رجالا نوحى اليهم) نزلت رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا (فاسئلوا أهل الذكر) يعنى مؤمنى أهل الكتاب (ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) واختلفوا فى الجالب للباء فى قوله بالبينات قيل هى راجعة الى قوله وما أرسلنا والا بمعنى غير مجازه وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحى اليهم ولم نبعث ملائكة وقيل تأويله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) أراد بالذكر الوحى وكان النبى صلى الله عليه وسلم مبينا للوحى وبيان الكتاب يطلب من السنة (ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا) عملوا (السيآت) من قبل يعنى نمرود بن كنعان وغيره من الكفار (أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم) بالعذاب (فى تقلبهم) تصرفهم فى الاسفار وقال ابن عباس فى اختلافهم وقال ابن جريج فى اقبالهم وادبارهم (فما هم بمعجزين) السابقين الله (أو يأخذهم على تخوف) والتخوف النقص أى ينقص من أطرافهم ونواحيهم شيأ بعد شئ حتى يهلك جميعهم يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا نقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل وقال الضحاك والكلبى هو من الخوف أى أن يعذب طائفة ليتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم

ختم

(فان ربكم لرؤف رحيم) حين لم يعجل بالعقوبة قوله (أولم يروا الى ما خلق الله من شئ) قرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب وكذلك فى سورة العنكبوت والآخرون بالياء خبرا عن الذين مكروا السيآت الى ما خلق الله من شئ من جسم قائم له ظل (يتفيؤ) قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتاء والاخرون بالياء (ظلاله) أى تميل وتدور من جانب الى جانب فهى فى أول النهار على حال ثم تنقلص ثم تعود فى آخر النهار الى حال أخرى سجدا لله فيلا نها ودورانها سجودها لله عز وجل ويقال للظل بالعشى فىء لانه فاء أى رجع من (٧٧) المغرب الى المشرق فالفىء الرجوع والسجود الميل يقال سجدت النخلة اذا مالت قوله عز وجل (عن اليمين والشمائل سجدا لله) قال قتادة والضحاك أما اليمين فاول النهار والشمائل آخر النهار تسجد الظلال لله وقال الكلبى الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك وكذلك اذا غابت فاذا طلعت كان من قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك ثم بعده كان خلفك فاذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤه وتقلبه وهو سجوده وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله وقيل المراد من الظلال سجود الاشخاص فان قيل لم وحد اليمين وجمع الشمائل قيل من شأن العرب فى اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة كقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقيل اليمين يرجع الى قوله ما خلق الله ولفظ ما واحد والشمائل جمع يرجع الى المعنى (وهم داخرون) صاغرون (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض) انما أخبر بما لغلبة ما لا يعقل على من يعقل فى العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث (من دابة) أراد من كل حيوان يدب ويقال السجود الطاعة والاشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد قال الله تعالى قالتا أتينا طائعين وقيل سجود الاشياء تذللها وتسخرها لما أريدت له وسخرت له وقيل سجود الجمادات وما لا يعقل ظهور أثر الصنع فيه على معنى انه يدعو الغافلين الى السجود لله عند التامل والتدبر فيه قال الله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق (والملائكة) خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما فى السموات

ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب * قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ما خلق الله من شئ) يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التى يكون معها نظر الى الشئ ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (تتفيؤ ظلاله) يعنى تميل وتدور من جانب الى جانب فهى من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود فى آخر النهار الى حلة أخرى ويقال للظل بالعشى فىء لانه من فاء يفىء اذا رجع من المغرب الى المشرق والفىء الرجوع قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى مفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال (عن اليمين والشمائل) قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى المغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشئ وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشئ يراد به الجمع (سجدا لله) فى معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى أن جميع الاشياء التى لها ظلال فهى منقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شئ ساجد لله سواء كان ذلك الشئ يسجد لله أولا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أى صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذى يفعل ما تأمره به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله تعالى * فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون * قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء * قوله عز وجل (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما فى قوله ما فى السموات وما فى الارض للتغليب لان ما لا يعقل أكثر ممن يعقل فى العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولانه لو أتى بمن التى هى للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسمانى يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة فى قوله (والملائكة) لانهم أولو أجنحة يطيرون بها أو

والارض تشريفا ورفعا لشانهم وقيل لحر وجوههم من الموصوفين بالدبيب اذلهم أجنحة يطيرون بها وقيل أراد ولله يسجد ما فى السموات من الملائكة وما فى الارض من دابة وتسجد الملائكة (وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم) كقوله وهو القاهر فوق عباده

أفردهم بالذكر وان كانوا من جملة من فى السموات لشرفهم وقيل أراد ولله يسجد ما فى السموات من الملائكة وما فى الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لا يستكبرون) يعنى الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويفعلون ما يؤمرون) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال أبو ذر لوددت انى كنت شجرة تعضد أخرجه الترمذى وقال عن أبى ذر موقوفا

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها * قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) لما أخبر الله عز وجل فى الآية المتقدمة ان كل ما فى السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم فى ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى فى هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيد لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعنى ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله تبارك وتعالى (انما هو اله واحد) لان الالهين لا يكونان الا متساويين فى الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية وذلك قوله تعالى انما هو اله واحد يعنى لا يجوز أن يكون فى الوجود الهان اثنان انما هو اله واحد (فاياى فارهبون) يعنى فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه أبلغ فى الترهيب من قوله فاياه فارهبوا فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياى فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه (وله ما فى السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له فى الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيد اله وفى ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما فى السموات والارض يعنى عبيدا وملكا (وله الدين واصبا) يعنى وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب فى حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائمة أبدا (أفغير الله تتقون) يعنى انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له فى ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار * قوله عز وجل (وما بكم من نعمة فمن الله) يعنى من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين فى الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى بين فى هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها (ثم اذا مسكم الضر) أى الشدة والامراض والاسقام (فاليه تجأرون) يعنى اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضر فى بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا يدعى الا اياه

(ويفعلون ما يؤمرون) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا محمد بن سمعان ثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم الشعرانى ثنا محمد بن يحيى الذهلى ثنا عبيد الله بن موسى العبسى ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك يمجد الله ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولصعدتم الى الصعدات تجأرون قال أبو ذر ياليتنى كنت شجرة تعضد رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع عن أبى أحمد الزبيرى عن اسرائيل وقال الا وملك واضع جبهته ساجدا لله قوله تعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين) الطاعة والاخلاص (واصبا) دائما ثابتا معناه ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك غير الله عز وجل فان الطاعة تدوم له ولا تنقطع (أفغير الله تتقون) أى تخافون ليكشفها استفهام على طريق الانكار قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) أى وما يكن بكم من نعمة فمن الله (ثم اذا مسكم الضر) القحط والمرض (فاليه تجأرون) تضجون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة

(ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا) ليجحدوا (بما آتيناهم) وهذه الام تسمى لام العاقبة أى حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء (فتمتعوا) أى عيشوا فى الدنيا المدة التى ضربتها لكم (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم هذا وعيد لهم (ويجعلون لما لا يعلمون) له حقا أى الاصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الاموال وهو ما جعلوا

ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم) يعنى ثم اذا أزال الشدة والبلاء عنكم (اذا فريق منكم) يعنى طائفة وجماعة منكم (بربهم يشركون) يعنى انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذى كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) قيل ان هذه اللام لام كى ويكون المعنى على هذا انهم انما أشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم فى كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا فى اللذة التى أنتم فيها الى المدة التى ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعنى عاقبة أمركم الى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم * قوله سبحانه وتعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) قيل الضمير فى قوله لما لا يعلمون عائد الى المشركين يعنى ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعنى ان الاصنام لا تعلم شيأ البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفى العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين أولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثانى قال لانا اذا قلنا انه عائد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لا يعلمون انه اله ولا له حق نصيبا واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نحتج الى هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم وقوله (مما رزقناهم) يعنى ان المشركين جعلوا الاصنام نصيبا من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التى رزقهم الله وتقدم تفسيره فى سورة الانعام (تالله) أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسئلن عما كنتم تفترون) يعنى عما كنتم تكذبون فى الدنيا فى قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من أموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء أو لدخول لفظ التأنيث فى تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم ما يشتهون) يعنى ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعنى البنين (واذا بشر أحدهم بالانثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذى يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التى تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر أحدهم بالانثى (ظل وجهه مسودا) يعنى متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التى حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى أحدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ * وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعنى انه ظل ممتلئا غما وحزنا (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعنى انه يختفى من ذلك القول الذى بشر به وذلك ان العرب كانوا فى الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم الى أن يعلم ما ولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى (أيمسكه على هون) يعنى على هوان وانما ذكر الضمير فى أيمسكه لانه عائد الى ما بشر به فى قوله واذا بشر أحدهم (أم يدسه فى التراب) يعنى أم يخفى الذى بشر به فى التراب والدس اخفاء الشئ قال أهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب فى ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الحمية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فيهن فكان

للاوثان من حروثهم وانعامهم فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع من الخبر الى الخطاب فقال (تالله لتسئلن) يوم القيامة (عما كنتم تفترون) فى الدنيا (ويجعلون لله البنات) وهم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله تعالى (سبحانه ولهم ما يشتهون) أى ويجعلون لانفسهم البنين الذين يشتهونهم فيكون ما فى محل النصب ويجوز أن يكون على الابتداء فيكون ما فى محل الرفع (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا) متغيرا من الغم والكراهية (وهو كظيم) وهو ممتلئ حزنا وغيظا فهو يكظمه أى يمسكه ولا يظهره (يتوارى) أى يختفى (من القوم من سوء ما بشر به) من الحزن والعار ثم يتفكر (أيمسكه) ذكر الكناية ردا على ما (على هون) أى هوان (أم يدسه فى التراب) أى يخفيه فيئده وذلك ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء فيهن وكان الرجل من العرب اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الابل والغنم فى البادية واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى أذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فاذا بلغ بها البئر قال لها انظرى الى هذه البئر فيدفعها من خلفها فى البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوى البئر بالارض فذلك قوله عز وجل أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب وكان صعصعة عم الفرزدق اذا أحس بشئ من ذلك وجه الى والد البنت ابلا يحييها بذلك

فقال الفرزدق يفتخر به وعمى الذى منع الوائدات * فاحيا الوئيد فلم يوأد (ألا ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين نظيره ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل بئس حكمهم وأد البنات (للذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولانفسهم البنين (مثل السوء) صفة السوء من الاحتياج الى الولد وكراهية الاناث وقتلهن خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) الصفة العليا وهى التوحيد وانه لا اله الا هو وقيل جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات قال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله (وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم (ما ترك عليها) أى على الارض كناية عن غير مذكور (من دابة) قال قتادة فى الآية قد فعل الله ذلك من زمن نوح فاهلك من على الارض الا من كان فى سفينة نوح عليه السلام روى ان أبا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بئس ما قلت ان الحبارى تموت فى وكرها بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل لتعذب فى جحرها بذنب ابن آدم وقيل ان معنى الآية لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الا بناء فلم يبق فى الارض أحد (ولكن يؤخرهم الى أجل) يمهلهم بحلمه الى أجل (مسمى) الى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قوله عز وجل (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم يعنى البنات القول (وتصف) أى تقول (ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعنى البنين محل ان نصب بدل عن الكذب قال يمان يعنى بالحسنى الجنة فى المعاد يقولون نحن فى الجنة ان كان محمد اصادقا بالوعد فى البعث

الرجل من العرب فى الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها تركها حتى اذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى أذهب بها الى احمائها ويكون قد حفر لها حفرة فى الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظرى الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها فى تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم (١) الفرزدق اذا أحس بشئ من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك وعمى الذى منع الوائدات * فاحيا الوئيد فلم يوأد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة فى النار أخرجه أبو داود * وقوله تعالى (ألا ساء ما يحكمون) يعنى بئس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لأنفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه ألا ساء ما يحكمون فى وأد البنات (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعنى صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكر وكراهتهم الاناث وقتلهن خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) أى الصفة العليا المقدسة وهى ان له التوحيد وانه المنزه عن الولد وانه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله (وهو العزيز) أى الممتنع فى كبريائه وجلاله (الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم * فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى فى آية أخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم فى تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة * قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان فى جنس الناس الانبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله (ما ترك عليها) يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض (من دابة) يعنى ان الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فأهلك من كان على وجه الارض الا من كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان أبا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بئس ما قلت ان الحبارى تموت هزالا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب فى جحرها بذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الا بناء فلم يبق فى الارض أحد (ولكن يؤخرهم) يعنى يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (الى أجل مسمى) يعنى الى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولا ينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى لانفسهم وهى البنات (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا

---

(١) قوله صعصعة عم كذا بالنسخ التى بأيدينا والصواب جد وكذا قوله (وعمى الذى) الصواب وجد الذى كما هو مقرر فى كتب الادب اه

(لا جرم) حقا قال ابن عباس بلى (أن لهم النار) فى الاخرة (وأنهم مفرطون) قرأ نافع بكسر الراء أى مسرفون وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أى مضيعون أمر الله وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير مبعدون وقال مقاتل متروكون قال قتادة معجلون الى النار قال الفراء مقدمون الى النار ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى متقدمكم (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) كما أرسلنا الى هذه الامة (فزين لهم الشيطان أعمالهم) الخبيثة (فهو وليهم) ناصرهم (اليوم) وقرينهم سماه وليا لهم لطاعتهم اياه (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) من الدين والاحكام (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) أى ما أنزلنا عليك الكتاب الا بيانا وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله لتبين (والله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فأحيا به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبوستها (ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سمع القلوب لا سمع الآذان (وان لكم فى الانعام لعبرة) لعظة (نسقيكم) بفتح النون ههنا وفى المؤمنين قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لغتان (مما فى بطونه) قال الفراء رد الكناية الى النعم والنعم والانعام واحد ولفظ النعم مذكر قال أبو عبيدة والاخفش النعم يذكر ويؤنث فمن أنث فللمعنى الجمع ومن ذكر فلحكم اللفظ قال الكسائى رده الى ما يعنى فى بطون ماذكرنا

القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لأنا على الحق فأكذبهم الله تعالى فقال (لا جرم أن لهم النار) يعنى فى الآخرة لا الجنة (وأنهم مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لامر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط ما تقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى متقدمكم (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) يعنى كما أرسلناك الى هذه الامة لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعنى أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدى أحدا وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) أى ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) يعنى فى أمر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورحمة) يعنى وما أنزلنا عليك الكتاب الا بيانا وهدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون به * قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فأحيا به) يعنى بالماء (الارض) يعنى بالنبات والزروع (بعد موتها) يعنى يبسها وجدوبتها (ان فى ذلك لآية) يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعنى سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات الله أى القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم فى الانعام لعبرة) يعنى اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقيكم مما فى بطونه) الضمير عائد الى الانعام وكان حقه أن يقال مما فى بطونها واختلف النحويون فى الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما فى بطونه وقال فى سورة المؤمنين مما فى بطونها وهذا قول أبى عبيدة والاخفش وقال الكسائى انه رده الى ما ذكر يعنى مما فى بطون ماذكرنا وقال غيره الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كأنه قال نسقيكم مما فى بطونه اللبن فأضمر اللبن اذ ليس لكلها لبن (من بين فرث) وهو ما فى الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) يعنى من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر فى كرشها وطبخته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما فالكبد مسلطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائغا للشاربين) يعنى هنيئا سهلا يجرى فى الحلق بسهولة قيل انه لم يغص أحد باللبن قط هذا قول المفسرين فى معنى هذه الاية وحكى الامام فخر الدين الرازى قول الحكماء فى ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان فى الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما رأى أحد فى كرشها دما ولا لبنا بل الحق أن الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى

وقال المؤرخ الكناية مردودة الى البعض والجزء كأنه قال نسقيكم مما فى بطونه اللبن اذ ليس لكلها لبن واللبن فيه مضمر (من بين فرث) وهو ما فى الكرش من الثفل فاذا خرج منه لا يسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث (سائغا للشاربين) هنيئا يجرى على السهولة فى الحلق وقيل انه لم يغص أحد باللبن قط قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر فى كرشها وطبخته كان أسفله الفرث وأوسطه اللبن وأعلاه الدم والكبد مسلطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى فيجرى الدم فى العروق واللبن فى

معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الأمعاء ثم ذلك الذى حصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فأما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال وأما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فيذهب فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددى رخو أبيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن فى الضرع يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته فى حلمة الثدى ثقبا صغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص أو الحلب وما كان كثيفا احتبس فى البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعنى جاريا فى حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا * قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعنى ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه) الضمير فى منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن أبى ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك * فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل فى معرض الانعام والامتنان * قلت قال العلماء فى الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية فى الوقت الذى كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه فى هذه الآية على تحريم الخمر أيضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفى عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعى ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال وأولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى أن هذه الآية نزلت بمكة فى وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة وقال أبو عبيدة فى معنى الآية السكر الطعم يقال هذا سكر لك أى طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر أى سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول أبى عبيدة ان السكر الطعم (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من انعامه على عباده (لآية) يعنى دلالة وحجة واضحة (لقوم يعقلون) يعنى ان من كان عاقلا استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا قادرا على ما يريد * قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك الى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر فى هذه الآية اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهى النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته وأصل الوحى الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز

الضرع ويبقى الفرث كما هو (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعنى ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه) والكناية فى منه عائدة الى ما المحذوفة أى ما تتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال قوم السكر الخمر والرزق الحسن الخل والزبيب والتمر والرب قالوا وهذا قبل تحريم الخمر والى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد ابن جبير والحسن ومجاهد وقال الشعبى السكر ما شربت والرزق الحسن ما أكلت وروى العوفى عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر النبيذ المسكر وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعى ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال وأولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ روى عن ابن عباس قال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل وقال أبو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك أى طعم (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل) أى ألهمها وقذف فى أنفسها ففهمته والنحل زنابير العسل واحدتها نحلة

والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله الى أنبيائه وحي والى أوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له وألهمها رشدها وقدر في أنفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فالهمها الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وألهمها الله تعالى أيضا أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذ الحكم فيها وهي تطيعه وتمتثل أمره ويكون هذا الاميرأكبرها جثة وأعظمها خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أنها تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني أعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز وكذا أنثها الله تعالى فقال (أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يعني يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي الى الكهوف ومنه أهلي وهو الذي يأوي الى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوي اليها وقال ابن زيد أراد بالذي يعرشون الكروم (ثم كلي من كل الثمرات) يعني من بعض الثمرات لانها لا تأكل من جميع الثمار فلفظة كل ههنا ليست للعموم (فاسلكي سبل ربك) يعني الطرق التي ألهمك الله أن تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات (ذللا) قيل انها نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤا وأرادوا لا تستعصي عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف ألوانه) يعني ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي أنه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فتجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لا نفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فانا نشاهد أن النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه أيضا ويعضد هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحله العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من أنه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو ألطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن

(أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يبنون وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الاماكن فهي تأوي اليها قال ابن زيد هي الكروم (ثم كلي من كل الثمرات) ليس معنى الكل العموم وهو كقوله تعالى وأوتيت من كل شئ (فاسلكي سبل ربك) فادخلي طرق ربك (ذللا) قيل هي نعت الطرق يقول هي مذللة للنحل سهلة المسالك قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان سلكته وقال آخرون الذلل نعت النحل أي مطيعة منقادة بالتسخير يقال ان أربابها ينقلونها من مكان الى مكان ولها يعسوب اذا وقف وقفت واذا سار سارت (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف ألوانه) أبيض وأحمر وأصفر

اذا أطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم * وقوله تعالى (فيه) يعنى فى الشراب الذى يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذ الضمير فى قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا فى هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وفى رواية أخرى عنه عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شئ الا لطخ الموضع بالعسل ويقر أيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض الملحدين ومن فى قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول فى الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من أنواع كثيرة منها التخم والهيضات وقد أجمع الاطباء فى مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال أعينت مادامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل أن يكون اسهال الشخص المذكور فى الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ما هو عليه أو تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى أن فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذى كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه أن أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجارى على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب التى اعترض بها والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحى الالهى أن العسل الذى أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه فى الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما وعد به من أن فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعنى باستعجالك للشفاء فى أول مرة والله أعلم بمراده وأسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش قلنا فى الجواب عن هذا الاعتراض أيضا ان قوله فيه شفاء للناس مع انه يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه فى الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه فى الجملة دواء وان نفعه أكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والأشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثانى انه شفاء للاوجاع التى شفاؤها فيه وهذا قول السدى وقال مجاهد فى قوله فيه شفاء للناس يعنى القرآن لانه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول أصح لان الضمير يجب أن يعود الى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير اليه لانه أقرب مذكور * وقوله سبحانه وتعالى (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعنى فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا * قوله عز وجل (والله خلقكم) يعنى أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) يعنى عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) يعنى أردأه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها من النشوء والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية

(فيه شفاء للناس) أى فى العسل وقال مجاهد أى فى القرآن والاول أولى أنا اسمعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة عن أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا قال قد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ قال عبد الله ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وروى عنه أنه قال عليكم بالشفاءين القرآن والعسل (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فيعتبرون (والله خلقكم ثم يتوفاكم) صبيانا أو شبانا أو كهولا (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أردئه قال مقاتل يعنى الهرم قال قتادة أرذل العمر تسعون سنة روى عن على قال أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة

(لكيلا يعلم بعد علم شيأ) لكيلا يعقل بعد عقله الاول شيأ (ان الله عليم قدير) أنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا موسى بن اسمعيل ثنا هارون بن موسى ثنا أبو عبد الله الاعور عن شعيب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) بسط على واحد وضيق على الآخر وقال وكثر (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم) من العبيد (فهم فيه سواء) أي حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك يقول الله تعالى لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل فهل منكم أحد يشرك مملوكه في زوجته وفراشه وماله أفتعدلون بالله خلقه وعباده (أفبنعمة الله يجحدون) بالاشراك به وقرأ أبو بكر بالتاء لقوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق والآخرون بالياء لقوله فهم فيه سواء قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء خلق من آدم زوجته حواء وقيل من أنفسكم أي من جنسكم أزواجا (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) قال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا أنهم الاصهار فيكون معنى الآية على هذا القول وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل بسببهم الاختان والاصهار وقال عكرمة والحسن والضحاك هم الخدم قال مجاهد هم الاعوان من أعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقال قتادة مهنة تمتهنونهم ويخدمونكم من أولادكم قال الكلبي ومقاتل البنين الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينونه على عمله وروى مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس انهم ولد الولد وروى العوفي عنه انهم بنو امرأة الرجل ليسوا منه

القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم اني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات * وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) يعني ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيأ لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد أن كان عالما جاهلا ليريكم الله من قدرته أنه كما قدر على اماتته واحيائه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته أنه كما قدر على نقله من الهرم الى الجهل انه قادر على احيائه بعد اماتته ليكون ذلك دليلا على صحة هذا البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيأ وقال في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات * وقوله تعالى (ان الله عليم) يعني بما صنع أوليائه وأعدائه (قدير) يعني على ما يريد * قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم) يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء الله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الآية ان الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا (فهم فيه) يعني في رزقه (سواء) فلا تحسبن أن الموالي يردون رزقهم على مماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي الموالي للمماليك والمقصود منه بيان ان الرازق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في الرزق سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمماليك والمالك هو الله سبحانه وتعالى * وقوله (أفبنعمة الله يجحدون) فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره * قوله عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء خلق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك

(ورزقكم من الطيبات) من النعم الحلال (أفبالباطل) يعني الاصنام (يؤمنون و بنعمت الله هم يكفرون) يعني التوحيد والاسلام وقيل الباطل الشيطان أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة و بنعمة الله أي بما أحل الله لهم يكفرون بجحدون تحليله (و يعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات) يعني المطر (والارض) يعني النبات (شيأ) قال الاخفش هو بدل من الرزق معناه انهم لا يملكون من أمر الرزق شيأ قليلا ولا كثيرا وقال الفراء نصب شيأ بوقوع الرزق عليه أي لا يرزق شيأ (ولا يستطيعون) ولا يقدرون على شئ يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع أو دفع ضر (فلا تضربوا لله الامثال) يعني الاشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له شريكا فانه واحد لا مثل له (ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) خطأ ما تضربون من الامثال ثم ضرب مثلا للمؤمن الكافر فقال جل ذكره (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ) هذا مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا (ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضاء الله سرا وجهرا فأثابه الله عليه الجنة (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان لمكان من وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع وكذلك قوله لا يستطيعون بالجمع لاجل من معناه هل يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن الطائع وروى ابن جريج عن عطاء وقال في قوله تعالى عبدا مملوكا أي أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال

نسعى ونحفد أي نسرع الى طاعتك فهذا أصله في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا انهم أصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية وجعل لكم من أزواجكم بنين و بنات تزوجونهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه و يخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتهنون و يخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه انهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك و بالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهما مغايرة (ورزقكم من الطيبات) يعني النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله (أفبالباطل يؤمنون) يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون ان لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكار أي ليس لهم ذلك (و بنعمت الله هم يكفرون) يعني انهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما أحل الله لهم (و يعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض) يعني الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات الذي في الارض معدنه (شيأ) يعني لا يملك من الرزق شيأ قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما لا يرزق شيأ (ولا يستطيعون) يعني ولا يقدرون على شئ يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع أو دفع ضر (فلا تضربوا لله الامثال) يعني لا تشبهوا الله بخلقه فانه لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق أو الرازق بالمرزوق أو القادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعني ما أنتم عليه من ضرب الامثال له (وأنتم لا تعلمون) خطأ ما تضربون له من الامثال * قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا) لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف و بين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه و ينفق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال و بين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شئ البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شئ هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شئ وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيأ والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فأثابه الله الجنة على ذلك * فان قلت لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف * قلت انما ذكر المملوك ليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لا يقدر على شئ احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيأ (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوي الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن الطائع

(الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول ليس الامر كما يقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله عز وجل لانه المنعم والخالق والرازق ولكن أكثر الكفار لا يعلمون ثم ضرب مثلا للاصنام فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه) كل ثقل وو بال على مولاه ابن عمه وأهل ولايته (أينما يوجهه) يرسله (لا يأت بخير) لانه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه هذا مثل الاصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهو كل على مولاه عابده يحتاج الى أن يحمله ويضعه ويخدمه (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) يعنى الله فانه قادر متكلم يأمر بالتوحيد (وهو على صراط مستقيم) قال الكلبى يعنى يدلكم على صراط مستقيم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر يرويه عطية عن ابن عباس قال عطاء الابكم أبى بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان ابن مظعون وقال مقاتل نزلت فى هاشم بن عمرو بن الحرث بن ربيعة القرشى وكان قليل الخير يعادى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى عثمان ابن عفان ومولاه كان عثمان ينفق عليه وكان مولاه يكره الاسلام (ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة) فى قرب كونها (الا كلمح البصر) اذا قال له كن فيكون (أو هو أقرب) بل هو أقرب (ان الله على كل شئ قدير) نزلت

وقال عطاء فى قوله عبدا مملوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو أبو بكر الصديق ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا هذه الاصنام التى عبدها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجزة لا يدلها على أحد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل الحمد والثناء الحسن (بل أكثرهم) يعنى الكفار (لا يعلمون) يعنى ان الحمد لله لا لهذه الاصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذى ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والابكم الذى لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شئ) هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أى ثقيل على من يلى أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه أى غليظ ثقيل على مولاه (أينما يوجهه) أى حيثما يرسله ويصرفه فى طلب حاجة أو كفاية مهم (لا يأت بخير) يعنى لا يأت بنجح لانه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوى) يعنى من هذه صفته (هو) يعنى صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعنى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات ذو رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) فى نفسه (على صراط مستقيم) يعنى على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما فى نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضرب به الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحمته وألطافه وللاصنام التى هى أموات جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهى كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذى لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم فى كل مؤمن وكافر وقيل هى على الخصوص فالذى يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذى يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذى يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق فى سبيل الله تعالى فهو الذى لا يأتى بخير وقيل المراد بالابكم الذى لا يأتى بخير أبى بن خلف وبالذى يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والارض) أخبر الله عز وجل فى الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شئ منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعنى فى قيامها والساعة هى الوقت الذى يقوم الناس فيه لموقف الحساب (الا كلمح البصر) يعنى فى السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين أيضا (أو هو أقرب) يعنى ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيأ قال له كن فيكون فى أسرع من لمح البصر وهو قوله (ان الله على كل شئ قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شيأ كان أسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتى فى أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شئ * قوله عز وجل (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ) ثم الكلام هنا لان الانسان خلق فى أول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدى سبيلا ثم ابتدأ فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى ان الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهى الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم فى أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب

فى الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) قرأ الكسائى بطون وبيوت امهاتكم بكسر الهمزة وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم (لا تعلمون شيأ) ثم الكلام ثم ابتداء فقال جل وعلا (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات وانما أعطاهم العلم بعد الخروج

(لعلكم تشكرون) نعمه من كون السمع والابصار والافئدة قبل الخروج اذ يسمع الطفل ويبصر ولا يعلم وهذه الجوارح من غيره هذه الصفات كالمعدوم كما قال فيمن لا يسمع الحق ولا يبصر العبر ولا يعقل الثواب صم بكم عمى فهم لا يرجعون لا يشكرون نعمه (ألم يروا) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء والباقون بالياء لقوله ويعبدون (الى الطير مسخرات) مذللات (في جو السماء) وهو الهوى بين السماء والارض روى عن كعب الاحبار ان الطير ترفع اثنى عشر ميلا ولا ترفع فوق هذا وفوق الجو السماك وفوق السماك السماء (ما يمسكهن) في الهواء (الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم) التي هي من الحجر والمدر (سكنا) أي مسكنا تسكنونه (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط من الانطاع والادم (تستخفونها) أي يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) رحلتكم في سفركم قرأ ابن عامر وأهل الكوفة ساكنة العين والآخرون بفتحها وهو أجزل اللغتين (ويوم اقامتكم) في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) يعني أصواف الضأن وأوبار الابل واشعار المعز والكناية راجعة الى الانعام (أثاثا) قال ابن عباس مالا قال مجاهد متاعا قال الفتيبي الاثاث المال جميعه من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره هو متاع البيت من الفرش والاكسية (ومتاعا) بلاغا ينتفعون بها (الى حين) يستكن يعني الى حين الموت وقيل الى حين تبلى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الابنية والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) يعني الاسراب والغيران واحدها كن

مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما أنعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون أمهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون أمهاتكم وسوّاكم وصوّركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم به في الآخرة * فان قلت ظاهر الآية يدل على ان جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه * قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك * وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (ألم يروا الى الطير مسخرات) يعني مذللات (في جو السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يمسكهن الا الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا أذللها وممسكا أمسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم * قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنا) يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف أو بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعني يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعني في يوم سيركم ورحيلكم في أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعني وتخف عليكم أيضا في اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعني ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثاثا) يعني تتخذون أثاثا الاثاث متاع البيت الكبير وأصله من أث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال أثاث اذا كثر قال ابن عباس أثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال أجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعني وبلاغا وهو ما يتمتعون به (الى حين) يعني الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت * فان قلت أي فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق * قلت الاثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما أن يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر احتاج في سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فأما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره

(وجعل لكم سرابيل) قمصا من الكتان والقز والقطن والصوف (تقيكم) تمنعكم (الحر) قال أهل المعانى أراد الحر والبردا كتفاء بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والبأس الحرب يعنى تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصيبكم (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) تخلصون له الطاعة قال عطاء الخراسانى انما أنزل القرآن على قدر معرفتهم فقال وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها لانهم كانوا أصحاب وبر وشعر وكما قال وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقى من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر (فان تولوا) فان أعرضوا فلا يلحقك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير (فانما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال السدى نعمة الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسلام لانه من أعظم النعم التى أنعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة أنكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم فى هذه السورة من النعم يقرون بأنها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامتثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبى انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله أنعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها فى طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها (وأكثرهم الكافرون) انما قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر أن أكثرهم كافرون أتبعه بذكر الوعيد لهم فى الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعنى رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على أممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يعنى فى الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم فى الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم فى معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولا هم يستعتبون) الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هى الغلظة والموجدة التى يجدها الانسان فى نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما فى نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الاية انهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم فى ذلك اليوم لان الاخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا بهم

الله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا (وأكثرهم الكافرون) الجاحدون قوله عز وجل (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) يعنى رسولا (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار وقيل فى الكلام أصلا (ولا هم يستعتبون) يسترضون يعنى لا يكلفون أن يرضوا بهم لان الاخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبون وحقيقة المعنى فى الاستعتاب انه

التعرض لطلب الرضا وهذا الباب منسد فى الآخرة على الكفار (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب) يعنى جهنم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين أشركوا) يوم القيامة (شركاءهم) أوثانهم (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) أربابا ونعبدهم (فألقوا)

يعنى الاوثان (اليهم القول) أى قالوا لهم (انكم لكاذبون) فى تسميتنا آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا (وألقوا) يعنى المشركين (الى الله يومئذ السلم) استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيأ (وضل) وزال (عنهم ما كانوا يفترون) من انها تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) منعوا الناس عن طريق الحق (زدناهم عذابا فوق العذاب) قال عبد الله عقارب لها أنياب أمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة يجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب (بما كانوا يفسدون) فى الدنيا بالكفر وصد الناس عن الايمان (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبيها لان الانبياء كانت تبعث الى الامم منها (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) الذين بعثت اليهم (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) بيانا (لكل شئ) يحتاج اليه من الامر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام (وهدى) من الضلالة (ورحمة وبشرى) بشارة (للمسلمين ان الله يأمر بالعدل) بالانصاف (والاحسان) الى الناس وعن ابن عباس العدل التوحيد والاحسان أداء الفرائض وعنه أيضا الاحسان الاخلاص فى التوحيد وذلك معنى قول النبى صلعم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه وقال مقاتل العدل التوحيد

فالاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار فى الآخرة (واذا رأى الذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى (العذاب) يعنى عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعنى العذاب (ولا هم ينظرون) يعنى لا يؤخرون ولا يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا) يعنى يوم القيامة (شركاءهم) يعنى أصنامهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) يعنى أربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة (فألقوا) يعنى الاصنام (اليهم) يعنى الى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعنى ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعنى فى تسميتنا آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا * فان قلت الاصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام * قلت لا يبعد أن الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها فى الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها أن تكذب الكفار ويراها الكفار وهى فى غاية الذلة والحقارة فيزداد دون بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعنى المشركين (الى الله يومئذ السلم) يعنى انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيأ (وضل عنهم) يعنى وزال عن المشركين (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون فى الدنيا فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعنى ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول فى الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعنى زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى واختلفوا فى هذه الزيادة ما هى فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعنى ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبى شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها (من أنفسهم) يعنى منهم لان كل نبى انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم وبما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعنى على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (تبيانا لكل شئ) تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعنى لما أمر به ومانهى عنه وقال أهل المعانى تبيانا لكل شئ يعنى من أمور الدين إما بالنص عليه أو بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبى صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بين ما فى القرآن من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين (وهدى) يعنى من الضلالة (ورحمة) يعنى لمن آمن به وصدقه (وبشرى للمسلمين) يعنى وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل * قوله سبحانه وتعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفى رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كانك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب أن يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الاسلام وقال فى رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل فى اللغة المساواة فى كل شئ من غير زيادة فى شئ ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير

والاحسان العفو عن الناس (وايتاء ذى القربى) صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) ماقبح من القول والفعل وقال ابن عباس الزنا (والمنكر) مالا يعرف فى شريعة ولا سنة (والبغى) والكبر والظلم وقال ابن عيينة العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن يكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته (يعظكم لعلكم تذكرون) لعلكم تتعظون قال ابن مسعود أجمع آية فى القرآن هذه الآية وقال أيوب عن عكرمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد ان الله يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن أخى أعد فعاد عليه فقال ان له والله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وماهو بقول البشر قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) والعهد ههنا هو اليمين قال الشعبى العهد يمين وكفارته كفارة اليمين (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) تشديدها فتحنثوا فيها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شهيدا بالوفاء (ان الله يعلم ما تفعلون) واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وان كان حكمها عاما قيل نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم الله بالوفاء بها وقال مجاهد وقتادة نزلت فى حلف أهل الجاهلية ثم ضرب الله مثلا لنقض العهد فقال (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) أى من بعد غزله

فالعدل هو المساواة فى المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان أن تحسن الى من أساء اليك وقيل يأمر بالعدل فى الافعال وبالاحسان فى الاقوال فلا يفعل الا ماهو عدل ولا يقول الا ماهو حسن (وايتاء ذى القربى) يعنى ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعنى الزنا وقال غيره الفحشاء ماقبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعنى الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة (والبغى) يعنى الكبر والظلم وقيل البغى هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصى البغى ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لدك الباغى وقال ابن عيينة فى هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة فى الاقوال والافعال وذكر فى مقابلته الفحشاء وهى ماقبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من أساء اليك وذكر فى مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من أحسن اليك وذكر ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر فى مقابلته البغى وهو ان يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى (يعظكم لعلكم تذكرون) يعنى انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكى تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية فى القرآن لخير وشر هذه الآية وقال أهل المعانى لما قال الله تعالى فى الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ بين فى هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فما من شئ يحتاج اليه الناس فى أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن أخى أعد على فأعاد ها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر * قوله عز وجل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر فى هذه الآية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال القتيبى العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف يمينا ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذى خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت فى حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) يعنى تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين لانه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيدا بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ما تفعلون) يعنى من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعنى فى نقض العهد (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) يعنى من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبى ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو

واحكامه قال الكلبى ومقاتل هى امرأة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وتلقب بجمر وكانت بها وسوسة وكانت اتخذت مغزلا بقدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتامر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فهذا كان رأيها ومعناه

انها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك أنتم اذا نقضتم العهد لا كففتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به (أنكاثا) يعني انقاضا واحدتها نكث وهو ما نقض بعد الفتل غزلا كان أو حبلا (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) أي دخلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في شيء للفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الوفاء ويبطن النقض (أن تكون) أي لأن تكون (أمة هي أربى) أي أكثر وأعلى (من أمة) قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر فمعناه طلبتم العز بنقض العهد بان كانت أمة أكثر من أمة فنهاهم الله عن ذلك (انما يبلوكم الله به) يختبركم الله بأمره اياكم بالوفاء بالعهد (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) على ملة واحدة وهي الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بخذلانه اياهم عدلا منه (ويهدي من يشاء) بتوفيقه اياهم فضلا منه (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا) خديعة وفسادا (بينكم) فتغرون بها الناس فيسكنون الى ايمانكم ويأمنون ثم تنقضونها (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة زلت قدمه (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله) قيل معناه سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد (ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعني لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن أوفوا بها (انما عند الله هو) من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (خير لكم ان كنتم تعلمون) فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال (ما عندكم ينفد) أي الدنيا وما فيها يفنى (وما عند الله باق ولنجزين) قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء (الذين صبروا) على الوفاء في السراء والضراء (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر ثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن أبي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب

ابن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر أو لوبر وتأمر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دأبها والمعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفى به (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد الفتل (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعني دغلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه (أن تكون) يعني لان تكون (أمة هي أربى من أمة) يعني أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد لان كانت أمة أي جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهد وا وحالفوا (انما يبلوكم الله به) يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو أعلم بكم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسيء المخالف * قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يعني بخذلانه اياه عدلا منه (ويهدي من يشاء) بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أو يغفر له * قوله عز وجل (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) يعني خديعة وفسادا بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا الى أيمانكم ويأمنوا اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا المعنى تأكيدا عليهم واظهارا لعظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشريعته وقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها (ان ما عند الله) يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعني من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب (وما عند الله باق) يعني من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزين الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني ثواب صبرهم (بأحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الاشعري ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى * وقوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) * فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكر والانثى * قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعلم الوعد للنوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروى العوفي عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الآية (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة * قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وساوس الشيطان عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفثه وهمزته قال نفخته الكبر ونفثته السحر وهمزته المونة أخرجه أبو داود المونة الجنون والفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا الان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا فأما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله واذا أردت أن تسافر فتأهب وأيضا فان الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته

مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير وعطاء هي الرزق الحلال قال الحسن هي القناعة وقال مقاتل بن حيان يعني العيش في الطاعة قال أبو بكر الوراق هي حلاوة الطاعة قال مجاهد وقتادة هي الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا تطيب الحياة لاحد الا في الجنة (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) قوله سبحانه وتعالى (فاذا قرأت القرآن) أي اذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن وأكثر العلماء على ان الاستعاذة قبل القراءة وقال أبو هريرة بعدها ولفظه أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عاصما عن ابن جبير ابن مطعم عن أبيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قال فكبر فقال الله أكبر كبيرا ثلاث مرات والحمد لله كثيرا ثلاث مرات وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاث مرات اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفخه ونفثه قال عمرو ونفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه المونة والمونة الجنون والاستعاذة بالله هي الاعتصام به

(انه ليس له سلطان) حجة وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر (انما سلطانه على الذين يتولونه) يطيعونه ويدخلون في ولايته (والذين هم به مشركون) أي بالله مشركون وقيل الكناية راجعة الى الشيطان ومجازه الذين هم من أجله مشركون بالله (واذا بدلنا آية مكان آية) يعني واذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكما آخر (والله أعلم بما ينزل) أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يغير ويبدل من أحكامه (قالوا (٩٤) انما أنت) يا محمد (مفتر) مختلق وذلك ان المشركين قالوا ان محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه قال الله (بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة القرآن وبيان الناسخ والمنسوخ (قل نزله) يعني القرآن (روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) بالصدق (ليثبت الذين آمنوا) أي ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) آدمي وما هو من عند الله واختلفوا في هذا البشر قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه بشر يعني يعيش وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم من عايش مملوك كان لحويطب ابن عبد العزى وكان قد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجمي اللسان وقال ابن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لاحدهما يسار يكنى أبا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن التوراة فيقف ويستمع قال الضحاك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا آذاه الكفار يقعد اليهما ويستريح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما فنزلت هذه الآية قال الله تعالى تكذيبا لهم

والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك أوهم ان له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم فأزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر (١) ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان ضعف كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه) يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا أطعته وتوليت عنه اذا أعرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعني بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من أجله مشركون بالله * قوله سبحانه وتعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) وذلك ان المشركين من أهل مكة قالوا ان محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فأنزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم آية فأبدلناه مكانه حكما آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو أصلح لخلقه وبما يغير ويبدل من أحكامه أي هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما أنت مفتر) أي تختلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافتراء والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل أكثرهم لا يعلمون) يعني لا يعلمون فائدة الناسخ وتبديل المنسوخ (قل) أي قل لهم يا محمد (نزله) يعني القرآن (روح القدس) يعني جبريل صلى الله عليه وسلم أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعني ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعني ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى وبشرى) يعني وهو هدى وبشرى (للمسلمين) * قوله عز وجل (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فأجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة

---

(١) قوله ويظهر من هذا اسم الاشارة راجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من الفخر فانه لم يذكر في هذا المحل قول سفيان وذكر ما قبله وما بعده وعبارته صحيحة بخلاف ما هنا فانه يوهم رجوع اسم الاشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر اه

(لسان الذى يلحدون اليه) أى يميلون و يشيرون اليه (أعجمى) الاعجمى الذى لا يفصح وان كان ينزل بالبادية والعجمى منسوب الى العجم وان كان فصيحا والاعرابى البدوى والعربى منسوب الى العرب وان لم يكن فصيحا (وهذا لسان عربى مبين) فصيح وأراد باللسان القرآن والعرب تقول اللغة لسان وروى ان الرجل الذى كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) لا يرشدهم الله (ولهم عذاب أليم) ثم أخبر الله تعالى ان الكفار هم المفترون فقال (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قيل قد قال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون فما معنى قوله وأولئك هم الكاذبون قيل انما يفترى الكذب اخبارعن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أى كذبت فى هذا القول ومن عادتك الكذب أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوهرى أنا جدى أبو بكر محمد بن عمر بن حفص ثنا أبو بكر محمد بن الفرج الازرق ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا يعلى ابن الاشدق عن عبد الله ابن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عمار وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا و بلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانهار بطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة ففتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا فى الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد ففعل بعضهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر يارسول الله نلت منك وذكرت

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبنى المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومى نصرانى عبد لبعض بنى الحضرمى يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لاحدهما يسار و يكنى أبا فكيهة و يقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فربما مر بهما النبى صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف و يستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آذاه الكفار يقعد اليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانيا وقد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار انهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه و يزعم انه وحى من الله عز وجل وهو كاذب فى ذلك فأجاب الله عنه وأنزل هذه الاية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذى يلحدون اليه) يعنى يميلون و يشيرون اليه (أعجمى) يعنى هو أعجمى والاعجمى هو الذى لا يفصح فى كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمى زياد الاعجم لانه كان فى لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمى منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابى الذى يسكن البادية والعربى الذى يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب (وهذا لسان عربى مبين) يعنى بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذى يشيرون اليه رجل أعجمى فى لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذى عجزتم أنتم عنه وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو أعجمى على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذى يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى أوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذى يشيرون اليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل اليه وروى ان الرجل الذى كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعنى لا يصدقون انها من عند الله (لا يهديهم الله) يعنى لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الاخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعنى انما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش انما أنت مفتر (وأولئك هم الكاذبون) يعنى فى قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم * فان قلت قد قال تبارك وتعالى انما يفترى الكذب فما معنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثانى هو الاول * قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفترى الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أى كذبت فى هذا القول ومن عادتك الكذب وفى الآية دليل على ان الكذب من أفحش الذنوب الكبار لان الكاذب المفترى هو الذى لا يؤمن بآيات الله روى البغوى باسناده الثعلبى عن عبد الله بن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره

وقلبه مطمئن بالايمان) نزلت فى عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا و بلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فأما سمية أم عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلا فى الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فبا يعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت فى أناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش فى الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا فى أول الاسلام قبل ان يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت فى جبر مولى عامر بن الحضرمى أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم أسلم عامر بن الحضرمى مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى أن يقال ان الآية عامة فى كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا * فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء فى الامن أكره * قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما شابه ما يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

﴿فصل فى حكم الآية﴾ قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذى يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب و بلال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أدراع الحديد وأجلسوا فى حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد أوقدوا لى نارا ما أطفأها الا ودك ظهرى وأجمعوا على ان من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتى بالمعاريض و بما يوهم انه كفر فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الايمان غير معتقدا ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن أكره بالسيف أو القتل على ان يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء فى طلاق المكره فقال الشافعى رضى الله تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لا اكراه فى الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفى ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفى آثاره والمعنى انه لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) يعنى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) يعنى يكون ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) يعنى لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم

أهلهم بخير قال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية قال مجاهد نزلت فى ناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هاجروا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش فى الطريق ففتنوهم فكفروا كارهين وقال مقاتل نزلت فى جبر مولى عامر ابن الحضرمى أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها (وقلبه مطمئن بالايمان) ثم أسلم مولى عامر بن الحضرمى وحسن اسلامه وهاجر جبر مع سيده (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى فتح صدره بالكفر بالقبول فاختاره (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وأجمع العلماء على ان من أكره على كلمة الكفر يجوز له أن يقول بلسانه واذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفرا وان أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل واختلف أهل العلم فى طلاق المكره فذهب أكثرهم الى انه لا يقع (ذلك بانهم استحبوا) آثروا (الحيوة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) لا يرشدهم (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم

وابصارهم

وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم (لا جرم) أى حقا (أنهم فى الاخرة هم الخاسرون) أى المغبونون (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) عذبوا ومنعوا من الاسلام فتنهم المشركون (ثم جاهدوا وصبروا) على الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد تلك الفتنة والغفلة (لغفور رحيم) نزلت فى عياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل من الرضاعة وفى أبى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أبى أسيد الثقفى فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لامه من الرضاعة فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه أسلم وحسن اسلامه فأنزل الله هذه الآية وقرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء ورده الى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين (يوم تأتى كل نفس تجادل) تخاصم وتحتج (عن نفسها) بما أسلفت من خير وشر مشتغلا بها لا تتفرغ الى غيرها (وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) روى أن عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار خوّفنا قال يا أمير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأتت عليك ساعات وأنت لا تهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل منتخب الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك الا نفسى وان تصديق ذلك الذى أنزله الله عليكم يوم تأتى كل نفس

وأبصارهم) تقدم تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعنى عما يراد بهم من العذاب فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) يعنى ان الانسان انما يعمل فى الدنيا ليربح فى الآخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر * قوله عز وجل (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول فى الاسلام فتنهم المشركون (ثم جاهدوا وصبروا) على الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعنى من بعد الفتنة التى فتنوها (لغفور رحيم) نزلت هذه الاية فى عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل من الرضاعة وقيل كان أخاه لامه وفى أبى جندل بن سهيل ابن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لامه فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنيات فى السور المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك * قوله سبحانه وتعالى (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) يعنى تخاصم وتحتج عن نفسها اى بما أسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها * فان قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها * قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هى مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هى بدنه فهى عينها وذاتها أيضا والمعنى يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعنى جزاء ما عملت فى الدنيا من خير أو شر (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيأ بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوّفنا فقال يا أمير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأتت عليك ساعات وأنت لا يهمك الا نفسك وان جهنم لتزفر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك الا نفسى وان تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لى أيد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشبة ليست لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لسانى وبه أبصرت عيناى وبه مشت رجلاى فضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعد دخلا حائطا يعنى بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب * قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولا فى شئ آخر بينهما مشابهة ليبين

تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم يكن لى أيد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا أعين أبصر بها فنجنى وعذبه ويقول الجسد يارب خلقتنى كالخشب لم تبطش يدى ولم تمش رجلى ولم تبصر عينى فجاء هذا كشعاع النور فبه نطق لسانى وأبصرت عينى وبطشت يدى ومشت رجلى قال فيضرب الله لهما مثلا فقال انما مثلكما مثل أعمى ومقعد دخلا حائطا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد يراه ولا يناله فحمل الاعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية

أحدهما الآخر ويصوّره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره فى معنى من المعانى أى معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا أو لم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيأ مفروضا ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكثرون من المفسرين على أنها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشرى فى كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وههنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة فى أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلا لقريتكم أى بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز أن تكون القرية بدلا من مثلا لانها هى الممثل بها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون انه أراد مكة فى تمثيلها بقرية صفتها ماذكر وقال ابن الجوزى فى هذه القرية قولان أحدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثانى أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت بالمدينة فى قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة فى أهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ماقلت ان الخوف المذكور فى هذه الآية فى قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعثها فى قول جميع المفسرين لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده وأما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعنى مكة (كانت آمنة) يعنى ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة) يعنى قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا) يعنى واسعا (من كل مكان) يعنى يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى تجبى اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق أهله من الثمرات (فكفرت) يعنى هذه القرية والمراد أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التى أنعم الله بها على أهل مكة فلما قابلوا نعم الله التى أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وقالوا ماهذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون وذكر اللباس لان ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم (والخوف) يعنى خوف بعوث النبى صلى الله عليه وسلم وسراياه التى كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم * فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع * قلت قال صاحب الكشاف أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا

كانت آمنة) يعنى مكة كانت آمنة لا يهاج أهلها ولا يغار عليها (مطمئنة) قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال للانتجاع كما يحتاج اليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) يحمل اليها من البر والبحر نظيره تجبى اليه ثمرات كل شئ (فكفرت بأنعم الله) جمع النعمة وقيل جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس (فأذاقها الله لباس الجوع) ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماهذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون وذكر اللباس لان ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم (والخوف) يعنى بعوث النبى صلى الله عليه وسلم وسراياه التى كانت تطيف بهم

والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على الملابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام فخر الدين الرازي جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما أن المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسيق الينا عذبها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ايذائه وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة الى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم * قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فأخذهم العذاب) يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم في الآية (وهم ظالمون) يعني كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) في المخاطبين بهذا قولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني أنهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم (حلالا طيبا) يعني ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعني التي أنعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعده هنا وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعني لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعني لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل)

(بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) قوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) أي لا تقولوا لوصف ألسنتكم أو لاجل وصفكم الكذب أي انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره (هذا حلال وهذا حرام) يعني البحيرة والسائبة (لتفتروا على الله الكذب) فتقولون ان الله أمرنا بهذا (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجون من عذاب الله (متاع قليل) يعني الذي هم فيه متاع قليل أو لهم متاع قليل في الدنيا

(ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم بغيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) يعنى بالاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعدها) أى من بعد الجهالة (لغفور رحيم) قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة) قال ابن مسعود الامة معلم الخير أى كان معلم الخير يأتم به أهل الدنيا وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما اجتمع فى أمة قال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار قال قتادة ليس من أهل دين الا يتولونه ويرضونه (قانتا لله) مطيعا له وقيل قائما بأوامر الله تعالى (حنيفا) مستقيما على دين الاسلام وقيل مخلصا (ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه) اختاره (وهداه الى صراط مستقيم) أى الى دين الحق (وآتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى الرسالة والخلة وقيل لسان الصدق والثناء الحسن وقال مقاتل بن حيان يعنى الصلاة عليه فى قول هذه الامة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وقيل أولادا أبرارا على الكبر وقيل القبول العام فى جميع الامم (وانه فى الآخرة لمن الصالحين)

يعنى متاعهم فى الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى ما سبق ذكره وبيانه فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعنى بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم * وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصى وكل ما لا ينبغى وكل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية فانما يصدر عنه بسبب جهله اما لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوأ بجهالة ثم تاب وأصلح العمل فى المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعنى من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعنى أصلحوا العمل فى المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعدها) يعنى من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعنى لمن تاب وآمن (رحيم) يعنى بجميع المؤمنين والتائبين * قوله سبحانه وتعالى (ان ابراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزى عن ابن الانبارى انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهى فى المعنى الذى يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع فى أمة ومنه قول الشاعر

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

ثم للمفسرين فى معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعنى انه كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا الثانى قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة واحدة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذى يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى انى جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذى لاجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمى ابراهيم عليه السلام أمة لانه قام مقام أمة فى عبادة الله (قانتا لله) يعنى مطيعا لله وقيل هو القائم بأوامر الله (حنيفا) مسلما يعنى مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختتن وضحى وأقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعنى أنه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره (شاكرا لأنعمه) يعنى انه كان شاكرا لله على أنعمه التى أنعم بها عليه (اجتباه) أى اختاره لنبوته واصطفاه لخلته (وهداه الى صراط مستقيم) يعنى هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم (وآتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى الرسالة والخلة وقيل هى لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام فى جميع الامم فان الله حببه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلى فى التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه أولادا أبرارا على الكبر (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى فى أعلى مقامات الصالحين فى الجنة وقيل معناه وانه فى الآخرة لمع الصالحين يعنى الانبياء فى الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه

مع آبائه الصالحين فى الجنة وفى الآية تقديم وتأخير مجازه وآتيناه فى الدنيا والاخرة حسنة وانه لمن الصالحين وتعالى

(ثم أوحينا اليك) يا محمد (أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا) حاجا مسلما (وما كان من المشركين) وقال أهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ في شريعته وما لم ينسخ صار شرعا قوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي خالفوا فيه قيل معناه انما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه وقيل معناه ما فرض الله تعظيم السبت وتحريمه الا على الذين اختلفوا فيه يعني اليهود

وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم) يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره * وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيأ من صنعتكم وستة أيام لصنعتكم فأبوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا اليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد أنهم يعني غيرانهم أو الا انهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياضا وقد جاء ان موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن ان يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فابدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا انهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزادوا واحدى على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الاخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل * فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا

فقال قوم هو أعظم الايام لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء يوم الجمعة ثم سبت يوم السبت وقال قوم بل أعظم الايام يوم الاحد لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق الاشياء فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله عليهم وقد افترض عليهم تعظيم يوم الجمعة قال الكلبي أمرهم موسى بالجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنعتكم وستة أيام لصناعتكم فابوا وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام يوم الجمعة فقالوا لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله الجمعة هذه الامة فقبلوها وبورك لهم فيها أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي أنبأنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم يعني يوم الجمعة فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد قال الله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال قتادة الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم

(وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) يعنى مواعظ القرآن وقيل الموعظة الحسنة هى الدعاء الى الله بالترغيب والترهيب وقيل هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف (وجادلهم بالتى هى أحسن) وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التى هى

أحسن أى أعرض عن أذاهم ولا تقصر فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق نسختها آية القتال (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) هذه الآيات نزلت بالمدينة فى شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة ابن الراهب فان أباه أبا عامر الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تلبث فى بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال أما انها لو أكلتها لم تدخل النار أبدا ان حمزة أكرم على الله تعالى من أن يدخل شيأ من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك أبا السائب فانك ما علمتك الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرنى ان أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن أظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا الآية

اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخلق الاشياء فى يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيدا * قلت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيأ وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد فى شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفى معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير فى زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة فى تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيأ وهم الناهون والقول الاول أقرب الى الصحة * وقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى فى أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب * قوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعنى ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم (وجادلهم بالتى هى أحسن) يعنى بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم أصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم أوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة القسم الثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتى هى أحسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أى ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين فى الدعوة وجادلهم بالتى هى أحسن أى أعرض عن أذاهم ولا تقصر فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعنى انما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازى كل عامل بعمله * قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) نزلت هذه الآية بالمدينة فى سبب شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة

السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر الراهب وذلك ان أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وآذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انها لو أكلتها لم تدخل النار أبدا حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيأ من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمتنا ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن أظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فأنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر ونمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبي ابن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا أربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل أو مثلة ونحوها فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على ان الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بأن الترك أولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين والعافين

﴿فصل﴾ اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية القول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق وفي القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم * قوله عز وجل (واصبر وما صبرك الا بالله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعني على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى رحمة الله ورضوانه (ولا تك في ضيق مما يمكرون) يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال أبو عمرو الضيق بالفتح هو بالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وأما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال الفتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى ولا تك في أمر ضيق من مكرهم

(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) أي ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى نصبر وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه قال ابن عباس والضحاك كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال فلما أعز الاسلام وأهله نزلت براءة وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين الاية محكمة نزلت في من ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (واصبر وما صبرك الا بالله) أي بمعونة الله وتوفيقه (ولا تحزن عليهم) في اعراضهم عنك (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي مما فعلوا من الافاعيل قرأ ابن كثير ههنا وفي النمل ضيق بكسر الضاد وقرأ الاخرون بفتح الضاد قال أهل الكوفة هما لغتان مثل رطل ورطل وقال أبو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيدة الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن فأما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال ابن قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو صفة كأنه قال ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم

قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة فى الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا فى الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فيك الا ان الفائدة فى قوله ولا تك فى ضيق هى ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة فى ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) أى اتقوا المثلة والزيادة فى القصاص وسائر المناهى (والذين هم محسنون) يعنى بالعفو عن الجانى وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى ان أردت أيها الانسان أن أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفى هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشائخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية فى المال ولا مال لى ولكنى أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الاسراء﴾

﴿فصل فى نزولها﴾ قال ابن الجوزى هى مكية فى قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس أنه قال هى مكية الا ثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب أدخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتى تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عزوجل (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل سئ هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة وأصله فى اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغى الذى أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان بعبده أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الامة فى ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عزوجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتنى الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا * فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل * قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه أسرى به فى بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر وأكثر فدل تنكير الليل على البعضية (من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفى حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتى بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبى طالب وهى بنت عمه أخت على رضى الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (الى المسجد الاقصى) يعنى الى بيت المقدس سمى أقصى لبعده عن المسجد الحرام أو لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يعنى بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة * فان قلت ظاهر الآية يدل على أن الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الاقصى فقط * قلت قد كان الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى فقط أنه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده

(ان الله مع الذين اتقوا) المناهى (والذين هم محسنون) بالعون والنصرة

﴿سورة الاسراء﴾

مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) سبحان الله تنزه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة وتكون سبحان بمعنى التعجب أسرى بعبده أى سيره وكذلك سرى به والعبد هو محمد صلى الله عليه وسلم (من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من مسجد مكة روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق فذكر حديث المعراج وقال قوم عرج به من دار أم هانئ بنت أبى طالب ومعنى قوله من المسجد الحرام أى من الحرم قال مقاتل كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ويقال كان فى رجب وقيل كان فى رمضان (الى المسجد الاقصى) يعنى بيت المقدس وسمى أقصى لانه أبعد المساجد التى تزار وقيل لبعده من المسجد الحرام (الذى باركنا حوله) بالانهار والاشجار والثمار وقال مجاهد سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى وفيه الصخرة ومنه يحشر الناس يوم القيامة

(لنريه من آياتنا) من عجائب قدرتنا وقد رأى هناك الانبياء والآيات الكبرى (انه هو السميع البصير) ذكر السميع لينبه على انه المجيب لدعائه وذكر البصير لينبه على انه الحافظ له فى ظلمة الليل وروى عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تقول ما فقد جسد النبى صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه والاكثرون على انه أسرى بجسده فى اليقظة وتواترت الاخبار الصحيحة على ذلك أخبرنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمى أنا أبو عبد الله محمد ابن يوسف الفربرى ثنا أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى ثنا هدبة بن خالد ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة ثنا قال البخارى وقال لى خليفة العصفرى ثنا يزيد ابن زريع ثنا سعيد بن هشام قال ثنا قتادة ثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به ثنا قال البخارى ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ح وأخبرنا أبو سعيد اسمعيل ابن عبد القاهر أنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسى أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودى ثنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البنانى عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخل حديث بعضهم فى بعض قال أبو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عنى سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه وقال مالك بن صعصعة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينا أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر بين النائم واليقظان وذكر بين رجلين فأتيت بطشت

الى السماء أولا لاشتداد انكارهم لذلك فلما أخبر انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبر به من العلامات التى فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه الى السماء فجعل الاسراء الى المسجد الاقصى كالتوطئة لمعراجه الى السماء * وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يعنى من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الانبياء يصلى بهم ورأى الآيات العظام * فان قلت لفظة من فى قوله من آياتنا تقتضى التبعيض وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به فما وجهه * قلت ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضا ولآيات الله أفضل من ذلك وأكثر والذى أراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم (انه هو السميع) لاقواله ودعائه (البصير) لافعاله الحافظ له فى ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازى كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

﴿فصل﴾ فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينا أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذ أتانى آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبى ما يعنى به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود أهو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال

من ذهب مملوء حكمة وايمانا فشق من النحر الى مراق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم ملىء وقيل حشي ثم أعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن
بماء زمزم ثم ملىء ايمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته فانطلقت مع جبريل
حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت (١٠٦)

فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح الباب فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال لي هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وفي حديث أبي ذر علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا أبوك آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن قبل شماله بكى ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى بن زكريا وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا يوسف واذا هو قد أعطي شطر الحسن قال هذا يوسف فسلم عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس فسلم عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا هارون فسلم عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا موسى فسلم عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعثت بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان ياجبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية أخرى وأجزي بالحسنة عشرا وفي رواية أخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملىء ايمانا وحكمة وفيه فرفع الى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل اليه قال نعم فافتح ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت ياجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا

فسلمت عليه فرد علي ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال

مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأباحبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نمر انه سمع أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتي بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء مما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه وردعليه السلام وقال مرحبا وأهلا بابني نعم الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى

جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فلما جاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعدبي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد

السلام ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اليه آخر ما عليهم وقال ثابت عن أنس فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا أوراقها مثل

من ذهب مملوء حكمة وايمانا فشق من النحر الى مراق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم ملىء وقيل حشي ثم أعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملىء ايمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت

فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح الباب فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال لي هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وفي حديث أبي ذر علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا أبوك آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينك ضحك واذا نظر عن قبل شماله بكى ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى بن زكريا وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فرد علي السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا يوسف واذا هو قد أعطي شطر الحسن قال هذا يوسف فسلم عليه

مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان ياجبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية أخرى وأجزي بالحسنة عشرا وفي رواية أخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملىء ايمانا وحكمة وفيه فرفع الى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل اليه قال نعم فافتح ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت ياجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قال ثم مررت بابراهيم فقال

فسلمت عليه فرد علي ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء

الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فلما جاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأباحبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نمر انه سمع أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتي بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه وردعليه السلام وقال مرحبا وأهلا بابني نعم الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يرده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى

السلام ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اليه آخر ما عليهم وقال ثابت عن أنس فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا أوراقها مثل

فقال واذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان قال هذا النيل والفرات عنصرهما واحد ثم مضى به الى السماء الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك وساق الحديث وقال ثم عرج بى الى السماء السابعة وقال قال موسى رب لم أظن ان ترفع على أحدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فاوحى اليه فيما أوحى اليه خمسين صلاة كل يوم وليلة وقال فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى اسرائيل قومى على أدنى من ذلك فضعفوا عنه وتركوه فامتك أضعف قلوبا وأجسادا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان أمتى ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنهم فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك فى أم الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك فقال موسى ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد والله استحييت من ربى مما اختلفت اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام وروى مسلم هذا الحديث مختصرا عن هارون بن سعيد الايلى — جواز

فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك فى المنام والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التى تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة انه قال كل ذلك كان رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أو لشدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلألئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لا يقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال لى اخترفاخترت اللبن وهو قول جبريل اخترت الفطرة يعنى فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها أم الخبائث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بى حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وأن يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه ان للسماء أبوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفى الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه الاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقيل غيره وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان فى وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بى الى السدرة هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهى اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين أو أكثر قوله فرجعت الى ربى قال الشيخ محيى الدين النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربى معناه وبين موضع مناجاة ربى عز وجل * قلت وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فانه سيأتى ان شاء الله تعالى فى تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمتى خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفى الرواية الاخرى فوضع عنى عشرا وفى الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما أثبت من شريك فالمراد حط عنى خمسا الى آخره ثم قال هى خمس وهن خمسون يعنى خمسين فى الاجر والثواب لان الحسنة بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على

عن ابن وهب عن سليمان بن بلال قال شيخنا الامام رضى الله عنه قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا لمحمد بن اسمعيل ولمسلم فى كتابيهما شيأ لا يحتمل مخرجا الا هذا وأحال الامر فيه الى شريك بن عبد الله وذلك انه ذكر فيه ان ذلك قبل ان يوحى اليه واتفق أهل العلم على ان المعراج كان

يعد الوحى بنحو من اثنتى عشرة سنة قبل الهجرة بسنة وفيه ايضا ان الجبار دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذى دنا فتدلى جبريل عليه السلام قال شيخنا الامام رضى الله عنه وهذا الاعتراض عندى لا يصح لان هذا كان رؤيا فى النوم أراه الله عز وجل قبل الوحى بدليل آخر الحديث قال فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى قبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه من قبل كما انه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وروى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذى طوى قال ياجبريل ان قومى لا يصدقونى قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة أسرى بى أصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت ان الناس يكذبونى فروى انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به أبو جهل فجلس اليه فقال له كالمستهزئ هل استفدت من شئ قال نعم انى أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير أبو جهل انه ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث قال أتحدث قومك بما حدثتنى به قال نعم قال أبو جهل يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا قال فانتفضت المجالس فجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتنى قال نعم أسرى بى الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا وارتد أناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبى بكر فقال له هل لك فى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أوتصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة قبل أن يصبح قال نعم انى أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان فى القوم من أتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا

جواز نسخ الشئ قبل فعله وفى أول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق أيضا فى صغره وهو عند حليمة التى كانت ترضعه فالمراد بالشق الثانى زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغها فى صدرى * فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك * قلت يحتمل انه جعل فى الطست شئ يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمى ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من أحسن المجاز وقوله فى صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره فى الحديث بانه نسم بنيه يعنى أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بأن أرواح المؤمنين فى السماء وأرواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون فى السماء والجواب عنه أنه يحتمل ان أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو فى السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله فى ادريس مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على ان ادريس هو اخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبى صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم جده فكان ينبغى أن يقول بالنبى الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضى عياض قال الشيخ محيى الدين ليس فى الحديث ما يمنع كون ادريس أبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وان كان أبا لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

﴿فصل﴾ فى ذكر الآيات التى ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء قال البغوى روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذى طوى قال ياجبريل ان قومى لا يصدقونى قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى بى الى السماء أصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت ان الناس يكذبونى فروى انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شئ قال نعم أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتنى به قال نعم قال أبو جهل يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا فانتفضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتنى قال نعم أسرى بى الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبى بكر فقال هل لك فى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أوتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال

ثم انى لا صدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وفى القوم من قد أتى المسجد الأقصى
فقالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الاقصى قال نعم قال فذهبت أنعت وأنعت فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت قال فجيء بالمسجد
وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب

المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس علىّ قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل
فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهى أهم الينا
هل لقيت منها شيأ قال نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من
ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال
ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى مر فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت
يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها
وهيئتها فقال كنت فى شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها
كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا
وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه
فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه
العير قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين (م) عن أبى هريرة
رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن
مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لى
أنظر اليه ما يسألونى عن شئ الا أنبأتهم به وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل
ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى
واذا ابراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم فلما
فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام
(ق) عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبنى قريش قمت الى الحجر فجلى الله الى بيت
المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه زاد البخارى فى رواية له لما كذبنى قريش حين أسرى بى الى
بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسرى بى
عند الكثيب الاحمر فاذا هو قائم يصلى فى قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت
المقدس قال جبريل كذا بأصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق أخرجه الترمذى * فان قلت كيف رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلى فى قبره وكيف صلى بالانبياء فى بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم فى
السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم فى الدار الآخرة * قلت
أما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء فى بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلى بهم ويعرفوا
فضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم فى السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم
وأما مروره بموسى وهو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما
صلاة الانبياء وهم فى الدار الآخرة فهم فى حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء
وذلك من أعمال الاخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد فى الحديث انهم يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص فى الآخرة كما خصهم فى الدنيا بخصائص

ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهى أهم الينا فهل لقيت منها شيأ قال نعم مررت على عير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا لهم وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى طوى فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا هذه آية قالوا فأخبرنا عن عيرنا نحن متى تجيء قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى أتوا كدى فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم والله هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه والله الابل قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال لهم

فلم يؤمنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين أنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودى أنبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنى زهير بن حرب ثنا حجين بن المثنى أنبأنا عبد العزيز وهو ابن أبى سلمة عن عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن

مسراي فسالتني عن أشياء من بيت المقدس لم أنبئها قال فكربت كربا ما كربت مثله قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شئ الا أنبأتهم به ولقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام قوله عز وجل (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل أن لا) بأن لا (تتخذوا من دوني وكيلا) ربا كفيلا قرأ أبو عمرو لا تخذوا بالياء لانه خبر عنهم والآخرون بالتاء يعني قلنا لهم لا تتخذوا (ذرية من حملنا) قال مجاهد هذا نداء يعني يا ذرية من حملنا (مع نوح) في السفينة فأنجيناهم من الطوفان (انه كان عبدا شكورا) كان نوح عليه السلام اذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسمي عبدا شكورا أي كثير الشكر قوله عز وجل (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) الآيات روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الانبياء بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار اليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها حتى قتل على دم يحيى ابن زكريا عليه السلام سبعين ألفا ثم سبى أهلها وأولاد الانبياء وسلب حلي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفا ومائة ألف عجلة من حلي قلت يا رسول الله كان بيت المقدس عظيما قال أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد وكان عمده ذهبا أعطاه الله ذلك وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الاشياء في طرفة عين فسار بها بختنصر حتى نزل بابل فأقام بنو اسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس فيهم الانبياء ثم ان الله رحمهم فأوحى الى ملك من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمنا أن يسير اليهم ليستنقذ بقايا بني اسرائيل فسار كورش لبني اسرائيل وحلى بيت المقدس حتى رده اليه فأقام بنو اسرائيل مطيعين لله تعالى مائة سنة ثم انهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكا يقال له انطيانوس فغزا بني اسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس وقال لهم يا بني اسرائيل ان عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبي فعادوا فسلط الله عليهم ملكا رومية يقال له قاقس بن استيانوس فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من صفة حلي بيت المقدس ويرده المهدي الى بيت المقدس هو ألف وسبعمائة سفينة يرمى بها على بابها حتى تنقل الى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والآخرين قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم محسنا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم

لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق * قوله سبحانه وتعالى (وآتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني اسرائيل أن لا تتخذوا) يعني وقلنا لهم لا تتخذوا (من دوني وكيلا) يعني ربا كفيلا (ذرية) يعني يا ذرية (من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك * قوله عز وجل (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب)

كما أخبر على لسان موسى عليه السلام ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك الملك عليهم بعث معه نبيا يسدده ويرشده لا ينزل عليهم الكتب انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعياء بن أصفيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وشعياء هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام فقال ابشري أورستم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا طويلا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث وشعياء معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة فجاء النبي شعياء وقال له يا ملك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا فكبر ذلك على الملك فقال يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال لم يأتني وحي فبينما هم على ذلك أوحى الله الى شعياء النبي أن ائت ملك بني اسرائيل فره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعياء ملك بني اسرائيل صديقة فقال له ان ربك قد أوحى الي أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال شعياء لصديقة أقبل على القبلة فصلى ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سري وعلانيتي لك وأنت الرحمن فاستجاب له وكان عبدا صالحا فأوحى الله الى شعياء أن يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه وأخر له أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعياء فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال يا إلهي واله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله الى

شعياء أن قل للملك صديقة فيامر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله فى قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل وشفى وقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعياء قل له انى قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم يختنصر فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة يا ملك بنى اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فى القتلى فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فأدركه الطلب فى مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم يختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم الى ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب له قد أتانى خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التى يرحمكم بها قبل ان أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كم بما شاء وان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك على ربك ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلكم ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قرادلو قتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير حرسه فقذف فى رقابهم الجوامع فطافت بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايليا وكان يرزقهم كل يوم خبزين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فأمر بهم الملك الى سجن القتل فاوحى الله الى شعياء عليه السلام ان قل لملك بنى اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل الملك صديقة ما أمر به فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبرربهم وخبر نبيهم فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد من ربهم وكان أمر سنجاريب تخويفا لهم ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جده يعمل عمله فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى اسرائيل صديقة فرح أمر بنى اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعياء معهم ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم فى قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام النبى شعياء أنطق الله على لسانه بالوحى فقال يا سماء استمعى ويا أرض أنصتى فان الله يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها (١١٤) فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار لما يذكر الارى الذى شبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وانى ضارب لهم مثلا فليسمعوه وقل لهم كيف ترون فى الارض كانت خرابا زمانا ما موات لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب أرضه وهو قوى أو ان يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصورا وأنبط نهرا وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه قيما ذا رأى وهمة حفيظا قويا أمينا فلما أطلعت جاء طلعها خروبا قالوا بئست الارض هذه فنرى ان يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال الله قل لهم فان الجدار دينى وان القصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى وان الغراس هم وان الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها فايديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها يشيدون لى البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لى المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فاى حاجة لى الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لاذكر وأسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذى يمنعنى ان أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى أم كيف تزكى عندى صدقاتهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب دعاءهم وانما هو قول بألسنتهم بلا فعل والفعل من ذلك بعيد انما أستجيب للداعى اللين وانما أسمع قول المستعفف المسكين وان من علامة رضاى رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاؤا ان يأتوا بالحديث مثله فعلوا ولو شاؤا ان يطلعوا على علم الغيب بما يوحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبته وحتمته على نفسى وجعلت دونه أجلا مؤجلا لا بد أنه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو فى أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا

يعنى أعلمناهم وأخبرناهم فيما

بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤن فليؤلفوا مثل الحكمة التي بها أدبر أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض ان أجعل النبوة في الأجراء وان أجعل الملك في الرعاء والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحكمة في الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون واني باعث لذلك نبيا أميا أميا أمينا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده بكل جميل وأدب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته والحمد دينه وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا الى وايمانا واخلاصا لي يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون لي الثياب على الانصاف قربانهم دماءهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعيا عن مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران وذكر ابن اسحق انه الخضر واسمه أرمياء سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارمياء أن ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به (١١٥) وذكرهم نعمتي وعرفهم باحداثهم فقال ارمياء يارب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني

آتيناهم من الكتاب انهم

قال الله تعالى أولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيتي وان القلوب والالسنة بيدي أقلبها كيف شئت اني معك ولن يصل اليك شئ معي فقام ارمياء فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى واني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارمياء اني مهلك بني اسرائيل ببابل و بابل من أهل بابل على ما ذكرنا في سورة البقرة فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفوه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملأوه ثم أمرهم أن يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بناشئة بيت المقدس و بالصبيان السبعين الالف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزل الله ببني اسرائيل بظلمهم فذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا أعجبته اذ رأى شيأ أصابه فأنساه الله الذي رأى فدعا دانيال وحننيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذراري الانبياء وسألهم عنها قالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها و بتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذي رأى وسألهم عنه فجاؤه وقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها قال صدقتم قال فما تأويلها قالوا نا تأويلها انك رأيت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكا و بعضهم كان أحسن ملكا و بعضهم كان أشبه ملكا الفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا لبختنصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين كنا سألناك ان تعطينا هم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن اليهم فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم قال شأنكم بهم فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل ذلك فلما قربوهم للقتل بكوا الى الله تعالى وقالوا يارب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدا لله أن يحييهم فقتلوا الا من استبقى بختنصر منهم دانيال ثم لما أراد الله هلاك بختنصر انبعث وتيقظ فقال لمن في يده من بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربته والناس الذين قتلهم منهم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا

وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببني اسرائيل قال فاخبروني كيف لي ان أطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا لي فاني قد فرغت من الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلائق قال لتفعلن أولا قتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله تعالى عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته وينجي الله من بقي من بني اسرائيل في يديه فردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع الى الشام يبكي عليها ليلا ونهارا وقد خرج من الناس فهو كذلك اذ أقبل اليه رجل فقال يا عزير ما يبكيك قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي لا يصلح أمر دنيانا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذي وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء ثلثات التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حتى لم يحبوا حبه شيأ قط ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتل زكريا فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب الفيل فقال اني كنت حلفت بالهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماءهم في وسط عسكري الا أن لا أجد أحدا أقتله فامره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم عنه فقال يا بني اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان يتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسهم فلم يهدأ (١١٦) فامر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فامر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان ان الدم لا يهدأ قال لهم يا بني اسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على أمر بكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار أنثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجهد منه وشدة القتل صدقوا الخبر (لتفسدن فقالوا ان هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو انا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني بمثل هذا انتقم بكم منكم فلما رأى بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بني اسرائيل قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل ان لا أبقي من قومك أحدا فهدأ الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل وأيقنت انه لا رب غيره وقال لبني اسرائيل ان خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماءكم وسط عسكره واني لست أستطيع اذا أعصيه قالوا له افعل ما أمرت به فامرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم فلم يظن خردوش الا أن ما في الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أفنى بني اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي أنزل الله ببني اسرائيل وذلك قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانية الا ان بقايا بني اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة الى أن بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططيوس بن اسطيانوس الرومي فاخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة فلا يبقى أحد منهم الا وعليه الصغار والجزية وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره وقال قتادة بعث الله عليهم جالوت في الاولى فسبى وقتل وخرب ثم رددنا لكم الكرة عليهم يعني في زمان داود فاذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم بختنصر فسبى وخرب ثم قال عسى ربكم أن يرحمكم فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشرما بحضرتهم فبعث الله عليهم ما شاء من نقمته وعقوبته ثم بعث الله عليهم العرب كما قال واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فهم في العذاب الى يوم القيامة وذكر السدي باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في النوم ان خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فاقبل ليسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فالقاها ثم قعد فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم فقال اشتر بهذا طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا فاكلوا وشربوا

سيفسدون وهو قوله تعالى

وفعل فى اليوم الثانى كذلك وفى اليوم الثالث كذلك ثم قال انى أحب أن تكتب لى أمانا ان أنت ملكت يوما من الدهر فقال أتسخر منى فقال انى لا أسخر منك ولكن ما عليك ان تتخذ بها عندى يدا فكتب له أمانا وقال أرأيت ان جئت والناس حولك قد حالوا بينى وبينك قال ترفع صحيفتك على قصبة فاعرفك فكتب له وأعطاه ثم ان ملك بنى اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدنى مجلسه وانه هوى ابنة امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا وعمدت حين جلس الملك على شرابه فلبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر فان أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها سالت رأس يحيى بن زكريا ان يؤتى به فى طست ففعلت ذلك فلما أرادها قالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال فما تسألينى قالت رأس يحيى بن زكريا ان يؤتى به فى هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا فقالت ما أريد الا هذا فلما أبت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم ويقول ويل لك لا تحل لك ويكرر ذلك فلما أصبح اذا دمه يغلى فامر بتراب فالقى عليه فرقى الدم يعنى صعد الدم يغلى ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يغلى فبعث صخا بن ملك بابل جيشا اليهم وأمر عليهم بختنصر فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان فلما سمعوا به تحصنوا منه فى مدائنهم فلما اشتد عليهم المقام أرادوا الرجوع فخرجت اليه عجوز من عجائز بنى اسرائيل فقالت تريد أن ترجع قبل فتح المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى قالت أرأيت ان فتحت لك المدينة تعطينى ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف اذا أمرتك أن تكف قال نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء فناديا نحن نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فانها سوف تتساقط ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها فقالت كف يدك وانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا وقالت اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن قالت كف الآن يدك فان الله لم يرض اذا قتل نبى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله فاتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته فخرب بيت المقدس وطرح فيه الجيف وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وذهب معه بوجوه بنى اسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بابل وجد صخا بين قدمات فتملك مكانه وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه فحسدهم المجوس ووشوا بهم اليه وقالوا له ان دانيال وأصحابه لا يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك فسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم

(لتفسدن فى الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم فى الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام فى لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن فى الارض يعنى بالمعاصى والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعنى ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما) يعنى

فامر الملك بحد فحدلهم فالقوا فيه وهم ستة وألقى معهم بسبع ضاريا كلهم فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخدش منهم أحدا ووجدوا معهم رجلا سابعا فقال ما هذا السابع انما كان راستة فخرج السابع وكان ملكا فلطمه لطمة فصار فى صورة الوحش ومسخه الله سبع سنين وذكر وهب ان الله مسخ بختنصر نسرا فى الطيور ثم مسخه ثورا فى الدواب ثم مسخه أسدا فى الوحوش فكان مسخه سبع سنين وقلبه فى ذلك قلب انسان ثم رد الله اليه ملكه فآمن فسئل وهب أكان مؤمنا فقال وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال أحرق بيت الله وكتبه وقتل الانبياء فغضب الله عليه فلم يقبل توبته وقال السدى ثم ان بختنصر لما رجع الى صورته بعد المسخ ورد الله اليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم طعاما وشرابا فاكلوا وشربوا وقال للبواب انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين فان قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرنى بذلك فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شد عليه فقال ويحك أنا بختنصر فقال كذبت بختنصر أمرنى فضربه فقتله هذا ما ذكره فى المبتدأ الا أن رواية من روى ان بختنصر غزى بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السير بل هم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بنى اسرائيل عند قتلهم شعياء فى عهد أرمياء ومن وقت أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربع مائة واحدى وستون سنة وذلك انهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى حين عمارته فى عهد كيوس بن أخشورش بن أصبهيد بابل من قبل بهمن بن أسفنديار سبعين سنة ثم من بعد عمارته الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة ثم من بعد مملكته الى قتل يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاث وستون سنة والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن اسحق قوله عز وجل وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب أى أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب أنهم سيفسدون والقضاء على وجوه يكون أمرا كقوله وقضى ربك ويكون حكما كقوله ان ربك يقضى بينهم ويكون خلقا كقوله فقضاهن سبع سموات وقال ابن عباس وقتادة يعنى وقضينا عليهم فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (لتفسدن) لام القسم مجازه والله لتفسدن (فى الارض مرتين) بالمعاصى والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما) يعنى أولى المرتين قال قتادة افسادهم فى المرة الاولى ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحارم وقال محمد بن اسحق افسادهم فى المرة الاولى قتل شعياء بين الشجرة وارتكابهم المعاصى

أولى المرتين قيل افسادهم فى المرة الاولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم فى المرة الاولى قتلهم شعياء فى الشجرة وارتكابهم المعاصى (بعثنا عليكم عبادا لنا) يعنى جالوت وجنوده وهو الذى قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من أهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلى وهو الاصح (أولى بأس شديد) يعنى ذوى بطش وقوة فى الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعنى طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعنى قضاء كائنا لا زما لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعنى رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعنى أكثر عددا (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) يعنى لها ثوابها وجزاء احسانها (وان أسأتم فلها) يعنى فعليها اساءتها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى (ليسوؤا وجوهكم) يعنى ليحزنوكم وقرئ بالنون أى ليسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة) يعنى وقت افسادهم الاول (وليتبروا ما علوا تتبيرا) يعنى وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بنى اسرائيل اهلاكا ﴿ذكر القصة فى هذه الآية﴾ قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا ليسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التى فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعياء هو الذى بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال ابشرى أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك يعنى صديقة بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فجاء شعياء النبى اليه وقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبى الله هل أتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال شعياء لم يأتنى وحى فى ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله الى شعياء النبى أن ائت ملك بنى اسرائيل فمره أن يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فاتى شعياء ملك بنى اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الىّ أن آمرك أن توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة ياقدوس يا متقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منى سرى وعلانيتى لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله الى شعياء أن يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعياء فأخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفى فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله

(بعثنا عليكم عبادا لنا) قال قتادة يعنى جالوت الخزرى وجنوده وهو الذى قتله داود وقال سعيد بن جبير يعنى سنجاريب من أهل نينوى وقال ابن اسحاق بختنصر البابلى (أولى بأس) وأصحابه وهو الاظهر (أولى بأس) ذوى بطش (شديد) فى الحرب (فجاسوا) أى فطافوا وداروا (خلال الديار) وسطها يطلبونكم ويقتلونكم والجوس طلب الشئ بالاستقصاء قال الفراء جاسوا قتلوكم بين بيوتكم (وكان وعدا مفعولا) قضاء كائنا لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة) يعنى الرجعة والدولة (عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) عددا أى من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان (إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم) أى لها ثوابها (وان أسأتم فلها) أى فعليها كقوله تعالى فسلام لك أى عليك وقيل فلها الجزاء والعقاب (فاذا جاء وعد الاخرة) أى المرة الاخيرة من افسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم خردوش وططيوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم فذلك قوله تعالى (ليسوؤا وجوهكم) أى تحزن وجوهكم وسوء الوجه بادخال الغم والحزن قرأ الكسائى ويعقوب لنسوء بالنون وفتح الهمزة على التعظيم كقوله وقضينا وبعثنا وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة على التوحيد أى ليسوء الله وجوهكم وقيل ليسوء الوعد وجوهكم وقرأ الباقون بالياء وضم الهمزة على الجمع أى ليسوء العباد أولو البأس الشديد وجوهكم لشعياء (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة وليتبروا) وليهلكوا (ما علوا) أى ما غلبوا عليه من بلادكم (تتبيرا)

لشعياء قل له انى قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بنى اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب فى مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب قد أتانى خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التى يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صدقة الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كم بما شاء وان ربنا لم يمتعك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير حرسه أن يقذف فى رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يرزقهم فى كل يوم خبزين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك صديقة القتل خير مما نحن فيه وما تفعل بنا فامر بهم الى السجن فاوحى الله الى شعياء النبى أن قل لملك بنى اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعياء للملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فاخبرهم كيف فعل الله تعالى بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنجاريب تخويفا لبنى اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنجاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى اسرائيل صديقة فرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعياء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم فى قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحى فقال يا سماء استمعى ويا أرض أنصتى فان الله يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتنا طحت كباشها فقتل بعضها بعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الارى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وانى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون فى أرض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه قيما ذا رأى وهمة حفيظا قويا أمينا فلما أطلعت جاء طلعها خروبا فقالوا بئست الارض هذه فترى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا موات لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار دينى والقصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى وان الغراس هم وان الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الىّ بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون لى البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لى المساجد

ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى حاجة لى الى تشييد البيوت واست أسكنها وأى حاجة لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها الاذكر وأسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويحادّنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وانما هو قولهم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما استجيب للداعى اللين وانما استمع قول المستضعف المستكين وان من علامة رضاى رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتأليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبته وحتمته على نفسى وجعلت دونه أجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو فى أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها أمضيت فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يؤلفوا ما يشاؤن فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التى أدبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض أن أجعل النبوّة فى الاجراء وأن أجعل الملك فى الرعاء والعز فى الاذلاء والقوّة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحكمة فى الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون وانى باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوّال للخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لى وايمانا بى واخلاصا لى يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لى فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدّسون على رؤس الاشراف يطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون لى الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران وذكر ابن اسحق أنه الخضر واسمه أرمياء سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضراء فبعث الله أرمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فأوحى الله الى أرمياء أن ائت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمى وعرفهم باحداثهم فقال أرمياء يارب انى ضعيف ان لم تقوّنى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى قال الله تعالى أولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتى وان القلوب والالسنة بيدى أقلبها كيف شئت انى معك وان يصل اليك شئ معى فقام

أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وانى حلفت بعزتى لا قيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى أرمياء انى مهلك بنى اسرائيل بيافث و يافث من أهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشأم وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم أن يجمعوا من فى بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق ثلثا أقرهم بالشأم وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بأناث بيت المقدس و بالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزل الله عز وجل ببنى اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر أقام فى سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيأ أصابه فانساه الذى رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذراري الانبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها فقال ما أذكرها ولئن لم تخبرونى بها و بتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من خزف وركبتاه وفخذاه من نحاس و بطنه من فضة وصدره من ذهب و رأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهى التى أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت الملوك بعضهم كان ألين ملكا و بعضهم كان أحسن ملكا و بعضهم كان أشد ملكا والفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع و يصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا لبختنصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين سالناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساء انا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم فقال شانكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان فى يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يارب بنا أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحييهم فقتلوا الا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر ابعث فقال لمن فى يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذى خربت والناس الذى قتلت منكم وما هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرمهم و يعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببنى اسرائيل قال فاخبرونى كيف لى أن أطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها وأتخذها الى ملكا فانى قد فرغت من أهل الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلائق قال لتفعلن أولا قتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل فى يده و ردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه و يزعمون ان الله سبحانه وتعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من

السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكى ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له ياعزير ما يبكيك قال أبكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين أظهرنا الذى لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذى وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فثملت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرائيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حبا لم يحبوا حبه شيأ قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت بالهى لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى يسيل الدم فى وسط عسكرى الا أن لا أجد أحدا أقتله فامره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يا بنى اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى أخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتمونى فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فامر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان ان الدم لا يهدأ قال لهم يا بنى اسرائيل ويلكم اصدقونى واصبروا على أمر ربكم فقد طالما ملكتم فى الارض تفعلون ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبى كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كنا أرشدنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا فى بنى اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحدا الا أقتلته فهدأ الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وأيقنت انه لا رب غيره وقال لبنى اسرائيل ان خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لا أستطيع أن أعصيه قالوا له افعل ما أمرت به فامرهم فحفروا خندقا وأمرهم باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم فى العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشى فلم يظن خردوش الا أن ما فى الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله بنى اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بنى اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة الى أن بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانيوس الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فما لبثوا فى أمة الا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون

(عسى ربكم) يا بني اسرائيل (أن يرحمكم) بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وان عدتم عدنا) اى ان عدتم الى المعصية عدنا الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) سجنا ومحبسا من الحصر وهو الحبس قال الحسن حصيرا أى فراشا وذهب الى الحصير الذى يبسط ويفرش (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) أى الى الطريقة التى هى أصوب وقيل الى الكلمة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعنى القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) بان لهم (أجرا كبيرا) وهو الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) وهو النار وقوله تعالى (ويدع الانسان) حذف الواو لفظا لاستثقال اللام الساكنة كقوله سندع الزبانية وحذف فى الخط أيضا وهى غير محذوفة فى اللفظ ومعناه ويدعو الانسان على ماله وولده ونفسه (بالشر) فيقول عند الغضب اللهم العنه واهلكه ونحوهما (دعاءه بالخير) أى كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله (وكان الانسان عجولا) بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه قال جماعة من أهل التفسير وقال ابن عباس ضجرا لا صبر له على السراء والضراء قوله عز وجل (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أى علامتين دالتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا (فمحونا آية الليل) قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو أثر المحو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتتوصلوا بياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف فى معايشكم (ولتعلموا) أى باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أى

بأمره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وان الملك هوى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسألها يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى وحمدت حين جلس الملك على شرابه فأبستها ثيابا فاخرا وطيبتها وأبستها الحلى وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو وادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها ما سألت سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتى به فى طست ففعلت فلما راودها قالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال فما تسألينى قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطست فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فأتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلى فأمر بتراب فألقى عليه فرقى الدم يغلى فلا زال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يرقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين ألفا حتى سكن دمه * قوله عز وجل (عسى ربكم أن يرحمكم) يعنى يا بنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وان عدتم) أى الى المعصية (عدنا) أى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى سجنا ومحبسا من الحصر الذى هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذى يبسط ويفترش * قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) أى الى الطريقة التى هى أصوب وقيل الى الكلمة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعنى القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعنى الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) يعنى النار فى الآخرة (ويدع الانسان) أى على نفسه وولده وماله (بالشر) يعنى قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) أى كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الانسان عجولا) أى بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء * قوسبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أى علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفى معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين أما فى الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على أن لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما فى الدنيا فلأن مصالح العباد لا تتم الا بهما ففى الليل يحصل السكون والراحة وفى النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى أن يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) أى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شئ (وجعلنا آية النهار مبصرة) أى تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو أثر المحو (وجعلنا آية النهار مبصرة) منيرة مضيئة يعنى يبصر بها قال الكسائى تقول العرب أبصر النهار اذا أضاء بحيث يبصر بها (لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) أى لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة

(وكل شئ فصلناه تفصيلا) قوله عز وجل (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقال الكلبى ومقاتل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به وقال الحسن يمنه وشؤمه وعن مجاهد ما من مولود الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد وقال أهل المعانى أراد بالطائر ما قضى الله عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة سمى طائرا على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها وقال أبو عبيدة والقتيبى أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم طار سهم فلان بكذا وكذا وخص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق وغيرهما مما يزين أو يشين فجرى كلام العرب بتشبيه الاشياء اللازمة الى الاعناق (ونخرج له) يقول الله تعالى ونحن نخرج له (يوم القيامة كتابا) وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء معناه ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا وقرأ أبو جعفر يخرج بالياء وضمها وفتح الراء (يلقاه) قرأ ابن عامر وأبو جعفر يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف يعنى يلقى الانسان ذلك الكتاب أى يؤتاه وقرأ الباقون بفتح الياء خفيفة أى يراه (منشورا) وفى الآثار ان الله تعالى يأمر الملك بطى الصحيفة اذا تم عمر العبد فلا تنشر الا فى يوم القيامة (اقرأ كتابك) أى يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك (١) من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعنى ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل * قوله سبحانه وتعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) فى معنى الآية قولان أحدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى بماذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه انه تعالى أمرهم بالاعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا

(١) قوله عدل عليك هكذا فى الاصل الطبع وفى بعض النسخ اليك سيدل عليك وفى الخطيب عدل والله فى حقك من الخ وفى الكشاف يا ابن آدم أنصفك والله من الخ اه مصححه

ما تحتاجون اليه منه ولو لا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم أن الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار (وكل شئ فصلناه تفصيلا) يعنى وكل شئ تفتقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال آيتى الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلا * قوله عز وجل (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعنى ألزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعنق فى قوله فى عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا فى عنقك أى قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحلى فى العنق وهو ما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالغل فى عنقه وهو ما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيآته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلتا معه فى عنقه فلا ينشران الا يوم القيامة (اقرأ كتابك) أى يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك (١) من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعنى ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) اقامة للحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) قرأ مجاهد أمرنا بالتشديد أى سلطنا شرارها ففسقوا وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب آمرنا بالمد أى أكثرنا وقرأ الباقون بالقصر مخففا أى أمرناهم بالطاعة ففسقوا ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا يقال أمرهم الله أى كثرهم الله وفى الحديث خير المال مهرة مأمورة أى كثيرة النسل ويقال منه أمر القوم يأمرون أمرا اذا كثروا وليس من الامر بمعنى الفعل فان الله لا يأمر بالفحشاء واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال لان المعانى الثلاثة تجتمع فيها يعنى الامر والامارة والكثرة مترفيها منعميها وأغنياءها

والقول

(فسقوا فيها ففق عليها القول) وجب عليها العذاب (فدمرناها تدميرا) أى خربناها وأهلكنا من فيها أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير ان زينب بنت أبى سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبى سفيان عن زينب بنت جحش ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتى تليها

قالت زينب فقلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله (وكم أهلكنا من القرون) أى المكذبة (من بعد نوح) يخوف كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) قال عبد الله بن أبى أوفى القرن مائة وعشرون سنة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول قرن وكان فى آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازنى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون سنة (من كان يريد العاجلة) يعنى الدنيا أى الدار العاجلة (عجلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتقتير (لمن نريد) أن نفعل به ذلك أو اهلاكه (ثم جعلنا له) فى الآخرة (جهنم يصلاها) يدخل نارها (مذموما مدحورا) مطرودا مبعدا (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) عمل عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا

والقول الثانى أمرنا مترفيها أى كثرنا فساقها يقال أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة أى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذى أبطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) أى خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة (ففق عليها القول) أى وجب عليها العقاب (فدمرناها تدميرا) أى أهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها قالت زينب قلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع فى هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث أى الشر * قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون) أى المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبد الله بن أبى أوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول قرن ويزيد بن معاوية فى آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازنى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يعنى انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لا يخفى عليه شئ من أحوال الخلق * قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) أى الدار العاجلة يعنى الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء) أى من البسط أو التقتير (لمن نريد) أن نفعل به ذلك أو اهلاكه وقيل فى معنى الآية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أى القدر الذى نشاء نعجله له فى الدنيا لا الذى يشاء هو ولمن نريد أن نعجل له شيأ قدرناه له وهذا ذم لمن أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من أرادها لا يدرك منها الا ما قدر له (ثم جعلنا له) أى فى الآخرة (جهنم يصلاها) أى يدخلها (مذموما مدحورا) أى مطرودا مبعدا * قوله سبحانه وتعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أى عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) أى مقبولا قيل فى الآية ثلاث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعى فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * قوله عز وجل (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) أى نمد كلا الفريقين من (من عطاء ربك) يعنى برزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما فى المآل (وما كان عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء فى الدنيا اذ لا حظ للكافر فى الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) أى فى الرزق والعمل يعنى طالب العاجلة وطالب الآخرة (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعنى ان تفاضل الخلق فى درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم فى درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل فى درجات الآخرة الى التفاضل فى درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته فى طلب الدنيا فلأن تقوى وتشتد رغبته فى طلب الآخرة أولى لانها دار المقامة * قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم

(كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) أى نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) أى يرزقهما جميعا ثم يختلف بهما الحال فى المآل (وما كان عطاء ربك) رزق ربك (محظورا) ممنوعا عن عباده فالمراد من العطاء العطاء فى الدنيا والا فلا حظ للكفار فى الاخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق والعمل الصالح يعنى طالب العاجلة وطالب الآخرة (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله الها آخر

(فتقعد مذموما مخذولا) مذموما من غير حمد مخذولا من غير نصر قوله عز وجل (وقضى ربك) وأمر ربك قاله ابن عباس وقتادة والحسن قال الربيع بن أنس وأوجب ربك قال مجاهد ووصى ربك وحكى عن الضحاك بن مزاحم انه قرأ ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا (ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) أى وأمر بالوالدين احسانا بارّ بهما وعطفا عليهما (اما يبلغن عندك الكبر) قرأ حمزة والكسائى بالالف على التثنية فعلى هذا قوله (أحدهما أو كلاهما) كلام مستأنف كقوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا وقوله الذين ظلموا ابتداء وقرأ الباقون يبلغن على التوحيد (فلا تقل لهما أف) فيه ثلاث لغات قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء وقرأ أبو جعفر ونافع وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منوّن ومعناها واحد وهى كلمة كراهية قال أبو عبيدة أصل التف والآف الوسخ على الاصابع اذا فتلتها وقيل الآف ما يكون فى المغابن من الوسخ والتف ما يكون فى الاصابع وقيل الآف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار وقيل

الآف وسخ الظفر والتف ما رفعته يدك من الارض من شئ حقير (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما (وقل لهما قولا كريما) حسنا جميلا لينا قال ابن المسيب كقول العبد المذنب للسيد الفظ وقال مجاهد لا تسمهما ولا تكنهما وقل لهما يا أبتاه يا أماه وقال مجاهد فى هذه الآية أيضا اذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تقذرهما ولا تقل لهما أف حين تميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيرا (واخفض لهما جناح الذل) أى ألن جانبك لهما واخضع لهما قال عروة ابن الزبير ألن لهما حتى لا تمتنع عن شئ أحباه (من الرحمة) من الشفقة (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) أراد اذا كانا مسلمين قال ابن عباس هذا منسوخ بقوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو مسعود

منسوخ

محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن يعنى السلمى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوالد أوسط أبواب الجنة فاحفظ ان شئت أو ضيع أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن على الزراد أنا أبو بكر محمد بن ادريس الجرجانى أنا أبو الحسن على بن الحسين المالينى أنا الحسن بن سفيان ثنا يحيى بن حبيب ابن عدى ثنا خالد بن الحارث عن سعيد عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رضا الله فى رضا الوالد وسخط الله فى سخط الوالد أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمتام الضبى ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد ابن ناموية الاصفهانى أنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصرى أنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا ربعى بن علية عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن أبى

والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله الها آخر وهذا أولى (فتقعد مذموما) أى من غير حمد (مخذولا) أى بغير ناصر * قوله سبحانه وتعالى (وقضى ربك) أى وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهى قراءة على وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوّز ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم فى الدين (ألا تعبدوا الا اياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أى وأمر بالوالدين احسانا أى برّا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك فى آخر العمر كما كنت عندهما فى أول العمر واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان فى حق الوالدين خمسة أشياء الاول قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) وهى كلمة تضجر وكراهية وقيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا اسقط عليك تراب أو رماد ونفخت فيه تزيله تقول أف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم والثانى قوله (ولا تنهرهما) أى تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى * فان قلت المنع من التافيف أبلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع * قلت المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد عليها الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما) أى حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا أماه يا أبتاه وقيل لا يكنيهما وقيل هو أن يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) أى ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شئ أحباه (من الرحمة) أى من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت فى حال الصغر مفتقرا اليهما الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) أى وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا مسلمين فأما اذا كانا كافرين فان الدعاء

سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم أنف امرئ أدرك أبويه الكبر فلم يدخلاه الجنة (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من بر الوالدين وعقوقهما (ان تكونوا صالحين) أبرارا مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك (فانه كان للأوّابين) بعد المعصية (غفورا) قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل يكون منه البادرة الى أبويه لا يريد به الا الخير فانه لا يؤاخذ به قال سعيد ابن المسيب الأوّاب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب قال سعيد بن جبير الرجاع الى الخير وعن ابن عباس قال هو الرجاع الى الله فيما يجزيه وينوبه وعن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال هم المسبحون دليله قوله يا جبال أوّبي معه قال قتادة هم المصلون قال عون العقيلي هم الذين يصلون صلاة الضحى أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الدورقي الطوسي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا أبو النضر محمد بن محمد ابن يوسف ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائي عن قتادة عن القاسم بن عوف عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال من الضحى وقال محمد بن المنكدر الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء وروى عن ابن عباس أنه قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) يعني صلة الرحم وأراد به قرابة الانسان وعليه الاكثرون وعن علي بن الحسين أراد به قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل

منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بان يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما ﴿ فصل ﴾ في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحيّ والدك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أيّ قال برّ الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي من برّ الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) أي أبرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدي الى أذاهما ثم أتبتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم (فانه كان للأوّابين) للتوابين (غفورا) قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بهما وقال سعيد بن المسيب الاوّاب الذي يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاع الى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روى عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال أخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحرّ الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه اخفافها والفصال جمع فصيل وهي أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين * قوله سبحانه وتعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتي أقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أبي حنيفة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لا تلزم النفقة الا لوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل

ولا تبذر تبذيرا) أى لا تنفق مالك فى المعصية وقال مجاهد لو أنفق الانسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه قال شعبة كنت أمشى مع أبى اسحق فى طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بجص وآجر فقال هذا التبذير وفى قول عبد الله انفاق المال فى غير حقه (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أى أولياءهم والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) جحود النعمه (واما تعرضن عنهم) نزلت فى مهجع و بلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحايين

مايحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم و يمسك عن القول فنزل واما تعرضن عنهم يعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك ان تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) انتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) لينا وهى العدة أى عدهم وعدا جميلا وقيل القول الميسور ان تقول رزقنا الله وايانا (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر أتى صبى فقال يارسول الله ان أمى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر فعاد الى أمه فقالت قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه فاعطاه اياه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعنى ولا تمسك يدك عن النفقة فى الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) بالعطاء (كل البسط) فتعطى جميع ما عندك (فتقعد ملوما) يلومك سائلوك بالامساك اذا لم تعطهم على والملوم الذى أتى بما يلوم نفسه أو يلوم غيره (محسورا) منقطعا لا شئ عندك تنفقه يقال حسرته بالمسئلة اذا ألحفت عليه ودابة حسيرة اذا كانت كالة رازحة قال قتادة محسورا نادما على ما فرط منك (ان ربك يبسط) يوسع (الرزق لمن يشاء و يقدر) أى يقتر و يضيق (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه وأخبروا ان رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى

(ولا تبذر تبذيرا) أى لا تنفق مالك فى المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما أو مدا فى باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه وقيل هو انفاق المال فى العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة فى خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعنى أولياءهم وأصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وقيل أمثالهم فى الشر وهذا غاية المذمة لانه أشر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أى جحودا للنعمة فما ينبغى أن يطاع لانه يدعو الى مثل عمله * قوله عز وجل (واما تعرضن عنهم) نزلت فى مهجع و بلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحايين مايحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم و يمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) أى لينا جميلا أى عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو أن يقول رزقنا الله وايا كم من فضله * قوله سبحانه وتعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر أتى صبى فقال يارسول الله ان أمى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر فعاد الى أمه فقالت قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تمسك يدك عن النفقة فى الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) أى بالعطاء (كل البسط) أى فتعطى جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) اى عند الله لان السرف غير مرضى عنده وقيل ملوما عند نفسك وأصحابك أيضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم (محسورا) أى منقطعا لا شئ عندك تنفقه وقيل محسورا أى نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بأن ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) أى يوسع (الرزق لمن يشاء و يقدر) أى يقتر و يضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت فى أرزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد * قوله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أى فاقة وفقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغيرا كفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعنى ان الارزاق بيد الله فكما انه فتح أبواب الرزق

(ان قتلهم كان خطأ كبيرا) قرأ ابن عامر وأبو جعفر خطا بفتح الخاء والطاء مقصورا وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدودا وقرأ الاخرون بكسر الخاء وجزم الطاء ومعنى الكل واحد أى اثما كبيرا (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) وحقها ما روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد ايمانه أو زنى بعد احصانه أو قتل نفسا بغير نفس فيقتل بها (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى قوة وولاية على القاتل بالقتل قاله مجاهد وقال الضحاك سلطانه هو انه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا عنه (فلا يسرف فى القتل) قرأ حمزة والكسائى فلا تسرف بالتاء بخاطب ولى القتيل وقرأ الآخرون بالياء على الغائب أى لا يسرف الولى فى القتل واختلفوا فى هذا الاسراف الذى منع منه ولى القتيل فقال ابن عباس وأكثر المفسرين معناه لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقال سعيد بن جبير اذا كان القاتل واحدا فلا يقتل جماعة بدل واحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقال قتادة معناه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) فالهاء راجعة الى المقتول فى قوله ومن قتل مظلوما يعنى ان المقتول منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله هذا قول مجاهد وقال قتادة الهاء راجعة الى ولى المقتول معناه انه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل فى قوله فلا يسرف فى القتل انه أراد به القاتل المعتدى يقول لا يعتدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد) بالايمان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤلا) عنه وقال السدى كان مطلوبا وقيل العهد يسأل عن صاحب العهد فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسأل فيم قتلت (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس) قرأ حمزة والكسائى وحفص بالقسطاس بكسر القاف والباقون بضمه وهما لغتان وهو الميزان صغيرا كان أو كبيرا أى بميزان العدل وقال الحسن هو القبان قال مجاهد هو رومى وقال غيره هو عربى مأخوذ من القسط وهو العدل أى زنوا بالعدل (المستقيم)

على الرجال فكذلك يفتحه على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أى اثما كبيرا (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة) أى قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) أى بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم * قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الاصل فى القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الاسباب العرضية فقال الا بالحق أى الا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه فى الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا (فلا يسرف فى القتل) أى الولى قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعنى انه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الآخرة بتكفير خطاياه وقيل الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل فى قوله فلا يسرف فى القتل أراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتيل منصور عليه باستيفاء القصاص منه * قوله سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) أى بالطريقة التى هى أحسن وهى تنميته وحفظه عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والا لم ينفك عنه الحجر (وأوفوا بالعهد) أى الايمان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤلا) أى عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسئل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسئل فيما قتلت * قوله عز وجل (وأوفوا الكيل اذا كلتم) المراد منه اتمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومى وقيل سريانى والأصح انه عربى مأخوذ من القسط وهو العدل أى وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل

ذلك خير وأحسن تأويلا) أى عاقبة (ولا تقف مالیس لك به علم) قال قتادة لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال مجاهد لا ترم أحدا بما ليس لك به علم قال القتيبى لا تتبعه بالحدس والظن وهو فى اللغة اتباع الاثر يقال قفوت فلانا أقفوه وقفيته وأقفيته اذا اتبعت أثره وبه سميت القافة لتتبعهم الآثار قال القتيبى هو مأخوذ من القفو كانه يقفو الامور أى يكون فى اقفائها يتبعها ويتعرفها وحقيقة المعنى لا تتكلم أيها الانسان بالحدس والظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) قيل معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء وقوله كل أولئك أى كل هذه الجوارح والاعضاء وعلى القول الاول يرجع أولئك الى أربابها أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسن أنا أبو على حامد بن محمد الرفاء ثنا أبو الحسن على بن عبد العزيز أنا الفضل بن دكين ثنا سعيد بن أوس العبسى حدثنى بلال بن يحيى العبسى ان شتير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علمنى تعويذا أتعوذ به قال فاخذ بيدى ثم قال قل اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيى قال فحفظتها قال سعيد انى ماؤه (ولا تمش فى الارض مرحا) أى بطرا وكبرا وخيلاء وهو تفسير المشى فلذلك أخرجه على المصدر (انك لن تخرق الارض) أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أى لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك معناه ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيأ كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شئ وقيل ذكر ذلك لان من مشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم على بن أحمد الخزاعى أنا أبو الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا سفيان بن وكيع ثنا أبى عن المسعودى عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى يتكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب أخبرنا أبو محمد الجورجانى أنا أبو القاسم الخزاعى أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبى يونس عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) قرأ ابن عامر وأهل الكوفة برفع الهمزة وضم الهاء على الاضافة ومعناه كل الذى ذكرنا من قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه كان سيئه أى سيئ ما عددنا عليك عند ربك مكروها لان فيما عددنا أمورا حسنة كقوله وآت ذا القربى حقه واخفض لهما جناح الذل وغير ذلك وقرأ الآخرون سيئة منصوبة بمنونة يعنى كل الذى ذكرنا من قوله ولا تقتلوا أولادكم الى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه اذا الكل يرجع الى المنهى عنه دون غيره ولم يقل مكروهة لان فيه تقديما وتأخيرا تقديره كل ذلك كان مكروها سيئه وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة مجازه كل ذلك كان سيئة وكان مكروها راجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر

الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ فى المنع من التطفيف والنقصان سعيا فى ابقاء الاموال على أربابها (ذلك خير وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه أمره * قوله سبحانه وتعالى (ولا تقف) أى ولا تتبع (مالیس لك به علم) أى لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الامور ويتتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم فى أحد بالظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسئل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة فى أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى أربابها عن شكل بن حميد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله علمنى تعويذا أتعوذ به قال فاخذ بيدى ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر فؤادى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيى قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب قوله وشر منيى يعنى ماءه وذكره * قوله عز وجل (ولا تمش فى الارض مرحا) أى بطرا وكبرا وخيلاء (انك لن تخرق الارض) أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أى لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيأ كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب أخرجه الترمذى فى الشمائل قوله تكفؤا التكفؤ التمايل فى المشى الى قدام وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ أى كانه ينحدر من موضع عال عن أبى هريرة قال ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذى قوله لغير مكترث أى شاق والاكتراث الامر الذى يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) أى ما ذكر من

(ذلك) الذى ذكرناه (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة (ولا تجعل مع الله الها آخر) خاطب النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الايات والمراد منه الامة (فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا مبعدا من كل خير قوله عز وجل (أفاصفاكم ربكم) أى اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة يعنى اختاركم (بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركى مكة (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) يعنى الصبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد للتكثير والتكرير (ليذكروا) أى ليتذكروا ويتعظوا وقرأ حمزة والكسائى باسكان الذال وضم الكاف وكذلك فى الفرقان (وما يزيدهم) تصريفنا وتذكيرنا وتكريرنا (الا نفورا) ذهابا وتباعدا عن الحق (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة كما يقولون) قرأ حفص وابن كثير يقولون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء (اذا لابتغوا) لطلبوا يعنى الآلهة (الى ذى العرش سبيلا) بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لطلبوا الى ذى العرش سبيلا بالتقرب اليه قال قتادة لعرفوا الله بفضله وابتغوا ما يقربهم اليه والاول أصح ثم نزه نفسه فقال عز من قائل (سبحانه وتعالى عما يقولون) قرأ حمزة والكسائى تقولون بالتاء والآخرون بالياء (علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص ويعقوب تسبح بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث (وان من شئ الا يسبح بحمده) روى عن ابن عباس انه قال وان من شئ حى الا يسبح بحمده وقال قتادة يعنى الحيوانات والجمادات وقال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وعن المقدام بن معديكرب قال ان الغراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الثوب ليسبح ما دام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الوحش والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وقال ابراهيم النخعى وان من شئ جماد حى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقال مجاهد كل الاشياء

الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم * فان قلت كيف قيل سيئه مع قوله مكروها * قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة أى كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر * قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهى فى هذه الآيات (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) أى ان الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية فى جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهى عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب أن يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شئ ثم انه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى ان الشرك يجب ان يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال فى هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه ان يذكر له ان الفعل الذى أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذى لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير * قوله سبحانه وتعالى (أفاصفاكم ربكم) يعنى أخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة (بالبنين) يعنى اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بان الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعنى البنات * قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) يعنى العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد فى صرفنا للتكثير والتكرير (ليذكروا) أى ليتعظوا ويعتبروا (وما يزيدهم) أى تصريفنا وتذكيرنا (الا نفورا) أى تباعدا عن الحق (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا) أى لطلبوا يعنى هؤلاء الآلهة (الى ذى العرش سبيلا) أى بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لتعرفوا اليه فضله فابتغوا ما يقربهم اليه والاول أصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك المبالغة فى البراءة والبعد عما يصفونه به * قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) يعنى الملائكة والانس والجن (وان من شئ الا يسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شئ

بح لله حيا كان أو ميتا أو جمادا و تسبيحها سبحان الله و بحمده أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد اسمعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو أحمد الزبيري أنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا نعد الآيات بركة و أنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وقال بعض أهل المعاني تسبح السموات والارض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء مادامت تدل بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها والاول هو المنقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه اليه (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم (انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به قال قتادة هو الاكنة والمستور بمعنى الساتر كقوله وكان وعده مأتيا مفعول بمعنى فاعل وقيل مستور عن أعين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم بالحجاب عن الاعين الظاهرة كما روى عن سعيد ابن جبير انه لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر فلم تره فقالت لابي بكر أين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر شاعر لا رضخ برأسه فقال أبو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني و بينها يسترني (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) كراهية أن يفقهوه وقيل لئلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) ثقلا لئلا يسمعوه (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني اذا قلت لا اله الا الله في القرآن وأنت تتلوه (ولوا على أدبارهم نفورا) جمع نافر مثل قاعد وقعود و جالس وجلوس أي نافرين (نحن أعلم بما يستمعون به) قيل به صلة أي يطلبون سمعه (اذ يستمعون اليك) وأنت تقرأ القرآن (واذ هم نجوى) يتناجون في أمرك وقيل ذوو نجوى فبعضهم يقول هو مجنون و بعضهم يقول كاهن و بعضهم يقول ساحر و بعضهم يقول شاعر

حتى لا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاصطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وقيل وان من شيء جماد أو حي الا يسبح بحمد حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح الله حيوانا كان أو جمادا و تسبيحها سبحان الله و بحمده و يدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت واني لأعرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك و يصيرها بمنزلة التسبيح والقول الاول أصح كما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن نكل علمه اليه * وقوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم ولسانكم (انه كان حليما غفورا) أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح * قوله عز وجل (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر فلم تره فقالت لابي بكر أين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني و بينها (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) أي لئلا يفهموه (وفي آذانهم وقرا) اي ثقلا لئلا يسمعوه (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني اذا قلت لا اله الا الله وأنت تتلو القرآن (ولوا على أدبارهم نفورا) جمع نافر (نحن أعلم بما يستمعون به) أي من الهزء بك و بالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التكذيب (اذ يستمعون اليك) أي وأنت تقرأ القرآن (واذ هم نجوى) أي و بما يتناجون به في أمرك وقيل معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون و بعضهم يقول هو كاهن و بعضهم يقول ساحر أو

(اذ يقول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) مطبوبا وقال مجاهد مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق يقال ماسحرك عن كذا أي ماصرفك عنه وقال أبو عبيدة أي رجلا له سحر والسحر الرئة أي انه بشر مثلكم تغذى معللا بالطعام والشراب يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أي يغذى ويعلل (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) الاشباه فقالوا شاعر وساحر وكاهن ومجنون (فضلوا) فجاروا وحادوا (فلا يستطيعون سبيلا) أي وصولا الى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) بعد الموت قال مجاهد ترابا وقيل حطاما والرفات كل ما يكسر ويبلى من كل شئ كالفتات والحطام (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل) لهم يا محمد (كونوا حجارة أو حديدا) في الشدة والقوة وليس هذا بأمر الزام بل هو أمر تعجيز أي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة أو حديد في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل السماء والارض والجبال وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس ابن آدم شئ أكبر من الموت أي ولو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولا بعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) من من يبعثنا بعد الموت (قل الذي فطركم) خلقكم (أول مرة) ومن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسينغضون اليك رؤسهم) أي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها (ويقولون متى هو) أي البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب لان عسى من الله واجب نظيره قوله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (يوم يدعوكم) من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بأمره وقال قتادة بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) في الدنيا وقيل في القبور (الا قليلا) وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر ألوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة * قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي أحسن أي لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين أن يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقي العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة * قوله عز وجل (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) أي يوفقكم للايمان فتؤمنوا (أو ان يشأ يعذبكم) أي يميتكم على الشرك فتعذبوا

شاعر (اذ يقول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أي مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أي نغذى بهما (أنظر كيف ضربوا لك الامثال) أي الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) أي في جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) أي الى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما) أي بعد الموت (ورفاتا) أي ترابا وقيل الرفات هي الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال سبحانه وتعالى ردا عليهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) أي في الشدة (أو حديدا) أي في القوة وليس هذا بأمر الزام بل هو أمر تعجيز أي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة أو حديد في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السماء والارض والجبال لانها أعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شئ في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولا بعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) أي من يبعثنا بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسينغضون اليك رؤسهم) أي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين (ويقولون متى هو) يعني البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب (يوم يدعوكم) أي من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بأمره وقيل مقرين بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) في الدنيا أو في القبور (الا قليلا) لان الانسان لو مكث ألوفا من السنين في الدنيا أو في القبور عد ذلك قليلا في مدة القيامة والخلود قال قتادة يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة قوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) قال الكلبي كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وقل لعبادي يقولوا للكافرين التي هي أحسن ولا يكافؤهم بسفههم قال الحسن يقول له يهديك الله وكان هذا قبل الاذن في الجهاد والقتال وقيل نزلت في عمر ابن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقي العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) يوفقكم فتؤمنوا (أو ان يشأ يعذبكم) يميتكم على الشرك فتعذبوا قاله ابن جريج وقال الكلبي ان يشأ يرحمكم فينجيكم

من أهل مكة وان يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال (وربك أعلم بمن في السموات والارض) أي ربك العالم بمن في السموات والارض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملكهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) قيل جعل أهل السموات والارض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض قال قتادة في هذه الآية اتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما وقال لعيسى كن فيكون وآتى سليمان ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من بعده وآتى داود زبورا كما قال (وآتينا داود زبورا)

والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود ومعناه انكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله تعالى قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر) القحط والجوع (عنكم ولا تحويلا) الى غيركم أو تحويل الحال من العسر الى اليسر (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعني الذين يدعونهم المشركون انهم آلهة يعبدونهم قال ابن عباس ومجاهد وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم يبتغون أي يطلبون الى ربهم الوسيلة أي (وان

وقيل معناه ان يشأ يرحمكم فينجكم من أهل مكة أو ان يشأ يعذبكم أي يسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال (وربك أعلم بمن في السموات والارض) يعني ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات ويعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم ومللهم وأديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبورا) وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام * فان قلت لم خص داود في هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبياء * قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا وذلك ان داود أعطي مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم لا الملك والمال الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان أمته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت أن لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الآية انكم لن تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد أن يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام * قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) أي الجوع والقحط (ولا تحويلا) أي الى غيركم أو تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) أي الذين يدعون المشركون آلهة (يبتغون الى ربهم الوسيلة) أي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية * وقوله تعالى (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أيهم أقرب يبتغي الوسيلة الى الله و يتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (و يرجون رحمته) أي جنته (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أي حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق * قوله سبحانه وتعالى

(وان

القربة وقيل الوسيلة الدرجة أي يتضرعون الى الله في طلب الدرجة العليا وقيل الوسيلة كلما يتقرب به الى الله تعالى وقوله (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقال الزجاج أيهم أقرب يبتغي الوسيلة الى الله تعالى و يتقرب اليه بالعمل الصالح (و يرجون رحمته) جنته (ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) أي يطلب منه الحذر وقال عبد الله بن مسعود نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجنيون ولم يعلم الانس الذين كانوا يعبدونهم باسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية وقرأ ابن مسعود أولئك

الذين تدعون بالتاء (وان من قرية) ومامن قرية (الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أى مخربوها وملكو أهلها (أومعذبوها عذابا شديدا) بأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقال مقاتل وغيره مهلكوها فى حق المؤمنين بالاماتة أومعذبوها فى حق الكفار بأنواع العذاب قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله فى اهلاكها (كان ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ماخلق الله القلم فقال اكتب فقال ما أكتب قال القدر وما كان وما هو كائن الى الابد قوله (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحى الجبال عنهم فيزرعوا فاوحى الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن أستأنى بهم فعلت وان شئت أن أوتيهم ماسألوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا بل تستأنى بهم فانزل الله عز (١٣٥) وجل ومامنعنا أن نرسل بالايات

(وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أى بالموت والخراب (أومعذبوها عذابا شديدا) أى بالقتل وأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك فى حق المؤمنين الاماتة وفى حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله فى هلاكها (كان ذلك فى الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ (مسطورا) أى مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال ما أكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذى * قوله سبحانه وتعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) قال ابن عباس سال أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن أستأنى بهم فعلت وان شئت أن أوتيهم ماسالوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا بل تستأنى بهم فانزل الله عز وجل ومامنعنا أن نرسل بالآيات أى التى سالها كفار قومك الا أن كذب بها الاولون أى فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من سنتنا فى الامم اذا سالوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أى بينة وذلك لان آثار اهلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (فظلموا بها) أى جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) أى وما نرسل بالآيات الا تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعنى العبر والدلالات الا تخويفا أى انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون * قوله عز وجل (واذ قلنا لك) أى واذكر يا محمد اذ قلنا لك (ان ربك أحاط بالناس) أى ان قدرته محيطة بهم فهم فى قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدرون على أمر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك وما نعك منهم فلا تهبهم وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) الاكثرون من المفسرين على ان المراد منها ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهى ليلة أسرى به الى بيت المقدس أخرجه البخارى وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت

التى سألها كفار قريش الا أن كذب بها الاولون فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من شأننا فى الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة فى العذاب فقال جل ذكره بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ثم قال (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) مضيئة بينة (فظلموا بها) أى جحدوا بها انها من عند الله كما قال وما كانوا بآياتنا يظلمون أى بها يجحدون وقيل ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) أى العبر والدلالات (الا تخويفا) للعباد ليؤمنوا قال قتادة ان الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون قوله عز وجل (واذ قلنا لك

ان ربك أحاط بالناس) أى هم فى قبضته لا يقدرون على الخروج عن مشيئته فهو حافظك وما نعك منهم فلا تهبهم وامض الى ما أمرك الله به من تبليغ الرسالة كما قال والله يعصمك من الناس (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) فالاكثرون على ان المراد منه ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هى رؤيا عين أريها النبى صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والاكثرين والعرب تقول رأيت بعينى رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا وكان فتنة للناس وقال قوم أسرى بروحه دون بدنه وقال بعضهم كان له معراجان معراج رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب وقال قوم أراد بهذه الرؤيا ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فعجل السير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة وكان رجوعه فى ذلك العام بعدما أخبر انه يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم حتى دخلها فى العام المقبل فانزل الله تعالى لقد

صدق الله رسوله الرؤيا بالحق (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم مجازه والشجرة الملعونة المذكورة فى القرآن والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون وقيل معناه الملعون أكلها ونصب الشجرة عطفا على الرؤيا أى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك والشجرة الملعونة الا فتنة للناس فكانت الفتنة فى الرؤيا ما ذكرنا والفتنة فى الشجرة الملعونة من وجهين أحدهما ان أبا جهل قال ان ابن أبى كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه ينبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجرة والثانى أن عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر وقال أبو جهل يا جارية تعالى فزقمينا فأتت بالتمر والزبد فقال ياقوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد فوصفها الله تعالى فى الصافات وقيل الشجرة الملعونة هى التى تلتوى على الشجر فتخنقه يعنى الكشوث (ونخوفهم فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) أى تمردا وعتوا عظيما قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) أى خلقته من طين أنا جئت به وذلك ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله تعالى بعث ابليس حتى أخذ كفا من تراب الارض من عذبها وملحها فخلق منه آدم فمن خلقه من العذب فهو سعيد وان كان ابن كافرين ومن خلقه من الملح فهو شقى وان كان ابن نبى (قال) يعنى ابليس (أرأيتك) أى اخبرنى والكاف لتأكيد المخاطبة (هذا الذى كرمت علىّ) أى فضلته على (لئن أخرتن) أمهلتنى (الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) أى لأستأصلنهم بالاضلال يقال احتنك الجراد الزرع اذا أكله كله وقيل هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها اذا شد فى حنكها الاسفل حبلا يقودها أى لأقودنهم كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالاغواء (الا قليلا) يعنى المعصومين ومثانهم الذين استثناهم الله عز وجل فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (قال) الله (اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) وافرا مكملا يقال وفرته أفره وفرا وقوله (واستفزز) واستخفف واستجهد (من استطعت منهم) أى من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس وقتادة بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس قال الازهرى معناه ادعهم دعاء تستفزهم به الى جانبك أى تستخفهم وقال مجاهد بالغناء والمزامير (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) قيل اجمع عليهم مكايدك وخيلك يقال أجلبوا وجلبوا اذا

بعينى رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازدادا المخلصون ايمانا وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين فى اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه فى ذلك العام بعد ما أخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة فى العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أن ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بأنه لا اشكال فيه فانه لا يبعد ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم التى وصفها الله تعالى فى سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان أبا جهل قال ان ابن أبى كبشة يعنى النبى صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه تنبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال أبو جهل يا جارية تعالى فزقمينا فأتت بزبد وتمر فقال ياقوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد فأنزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون فى النار شجرا انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات * فان قلت أين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن * قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى أصل جهنم فى أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس فى رواية عنه ان الشجرة الملعونة هى الكشوث الذى يلتوى على الشجر والشوك فيجففه (ونخوفهم فما يزيدهم) أى التخويف (الا طغيانا كبيرا) أى تمردا وعتوا عظيما * قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) أى من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقى (قال) يعنى ابليس (أرأيتك) الكاف للمخاطب والمعنى أخبرنى (هذا الذى كرمت علىّ) أى فضلته على (ان أخرتن) أى أمهلتنى (الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) أى لأستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه لأقودنهم كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالاغواء (الا قليلا) يعنى المعصومين الذين استثناهم الله تعالى فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أى امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذى هو ضد المجىء (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) أى مكملا * قوله سبحانه وتعالى (واستفزز) أى استخف واستنزل واستعجل وازعج (من استطعت منهم) أى من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى اجمع عليهم مكايدك وحبائلك واحثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك

طما حوا يقول صح بخيلك ورجلك واحثهم عليه بالاغواء قال مقاتل استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم والخيل الركبان والرجل المشاة قال أهل التفسير كل راكب وماش فى معاصى الله فهو من جند ابليس وقال مجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس وهو كل من يقاتل فى المعصية والرجل والرجالة والراجلة واحد يقال راجل ورجل مثل تاجر وتجر وراكب وركب وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان (وشاركهم فى الاموال والاولاد) فالمشاركة فى الاموال كل ما أصيب من حرام أو أنفق فى حرام هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقال عطاء هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال الضحاك هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم وأما الشركة فى الاولاد روى عن ابن عباس انها الموؤدة وقال مجاهد والضحاك هم أولاد الزنا وقال الحسن وقتادة هو انهم

ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى فى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد فى الامر جئتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم فى الاموال والاولاد) أما المشاركة فى الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق فى حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لالهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة فى الاولاد فروى عن ابن عباس انها الموؤدة وقيل أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هى تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا أولادهم فى الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل فى فرجها كما ينزل الرجل وروى فى بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفى فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن (وعدهم) أى منهم الجميل فى طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد أن يقرر أولا انه لا مضرة فى فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو أنه لا مضرة البتة فى هذه المعاصى واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان فى الدنيا الا به فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده أن لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم أى شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل * فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء * قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك * وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) أى يزين الباطل بما يظن أنه حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التى يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) يعنى بعباده الانبياء وأهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى بربك وكيلا) أى حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس أن يأتى بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف فى قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا أى فالله سبحانه وتعالى أقدر

هوّدوا أولادهم ونصروهم ومجسوهم وعن ابن عباس رواية أخرى هو تسميتهم الاولاد عبد الحرث وعبد شمس وعبد العزى وعبد الدار ونحوها وروى عن جعفر بن محمد ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل فى فرجها كما ينزل الرجل وروى فى بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين يشارك فيهم الجن وروى ان رجلا قال لابن عباس ان امرأتى استيقظت وفى فرجها شعلة من نار قال ذلك من وطء الجن وفى الآثار ان ابليس لما أخرج الى الارض قال يارب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط فقال لا أستطيعه الا بك فزدنى قال استفزز من استطعت منهم بصوتك الآية فقال آدم يارب سلطت ابليس على وعلى ذريتى وانى لا أستطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظونه قال زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال زدنى قال التوبة معروضة مادام الروح فى الجسد فقال زدنى قال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وفى الخبر ان ابليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قراءتى قال الشعر قال فما كتابى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال وأين مسكنى قال الحمامات قال وأين مجلسى قال الاسواق قال فما مطعمى قال ما لم يذكر عليه اسمى قال ما شرابى قال كل مسكر قال وما حبالتى قال النساء قال وما أذانى قال المزامير قوله عز وجل (وعدهم) أى خذ منهم الجميل فى طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) والغرور تزيين الباطل بما يظن انه حق فان قيل كيف ذكر الله هذه الاشياء وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قيل هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل افعل ما شئت فسترى قوله (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) أى حافظا ومن يوكل الامر اليه

قوله عزوجل (ربكم الذى يزجى لكم الفلك) أى يسوق ويجرى لكم الفلك (فى البحر لتبتغوا من فضله) لتطلبوا من رزقه (انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر) الشدة وخوف الغرق (فى البحر ضل) أى بطل وسقط (من تدعون) من الآلهة (الا اياه) الا الله فلم تجدوا معينا سواه (فلما نجاكم) أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم (الى البر أعرضتم) عن الايمان والاخلاص والطاعة كفرانكم لنعمه

منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفى بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فزدنى قال استفزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يارب سلطت ابليس على وعلى ذريتى وانى لا أستطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدنى قال التوبة معروضة مادام الروح فى الجسد قال رب زدنى فقال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفى الخبر قال ابليس يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قراءتى قال الشعر قال فما كتابتى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال أى شئ مطعمى قال ما لم يذكر عليه اسمى قال فما شرابى قال كل مسكر قال وأين مسكنى قال الحمامات قال وأين مجلسى قال فى الاسواق قال وما حبائلى قال النساء قال وما أذانى قال المزمار * قوله سبحانه وتعالى (ربكم الذى يزجى) أى يسوق ويجرى (لكم الفلك) أى السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) أى لتطلبوا من رزقه بالارباح فى التجارة وغيرها (انه كان بكم رحيما) أى حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم (واذا مسكم الضر فى البحر) أى الشدة وخوف الغرق فى البحر (ضل من تدعون) أى ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون فى حوادثكم من الاصنام وغيرها (الا اياه) أى الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اعانتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) أى أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم (الى البر أعرضتم) أى عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى (وكان الانسان كفورا) أى جحودا (أفأمنتم) أى بعد انجائكم (أن نخسف بكم جانب البر) أى نقوره والمعنى ان الجهات كلها له وفى قدرته برا كان أو بحرا بل ان كان الغرق فى البحر ففى جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الغرق يغيب تحت الماء (أو نرسل عليكم حاصبا) أى نمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أى مانعا وناصرا (أم أمنتم أن نعيدكم فيه) أى فى البحر (تارة) أى مرة (أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أى عاصفا وهى الريح الشديدة وقيل الريح التى تقصف كل شئ من شجر وغيره (فنغرقكم بما كفرتم) أى بكفرانكم النعمة واعراضكم حين أنجيناكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا * قوله سبحانه وتعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) قال ابن عباس هو انهم يأكلون بالايدى وغير الآدمى يأكل بفيه من الارض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما فى الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس (وحملناهم فى البر) أى على الابل والخيل والحمير (والبحر) أى وحملناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم (ورزقناهم من الطيبات) يعنى لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا باطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا الغير الانسان

وكان الانسان كفورا أفأمنتم) بعد ذلك (أن يخسف بكم) يغور بكم (جانب البر) ناحية البر وهى الارض (أو يرسل عليكم حاصبا) أى يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط وقال أبو عبيدة والقتيبى الحاصب الريح التى ترمى بالحصباء وهى الحصا الصغار (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) قال قتادة مانعا (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) يعنى فى البحر (تارة) مرة (أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أى عاصفا وهى الريح الشديدة وقال أبو عبيدة هى الريح التى تقصف كل شئ أى تدقه وتحطمه وقال القتيبى هى التى تقصف الشجر أى تكسره (فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) ناصرا ولا ثائرا وتبيع بمعنى تابع أى تابعا مطالبا بالثار وقيل من يتبعنا بالانكار قرأ ابن كثير وأبو عمرو أن نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون فيهن لقوله علينا وقرأ الآخرون بالياء لقوله الا اياه وقرأ أبو جعفر ويعقوب فتغرقكم بالتاء يعنى الريح قوله عزوجل (ولقد كرمنا بنى آدم) روى عن ابن عباس انه قال هو انهم يأكلون بالايدى وغير الآدمى يأكل بفيه من الارض (وفضلناهم وروى عنه أنه قال بالعقل وقال الضحاك بالنطق وقال عطاء بتعديل القامة وامتدادها والدواب منكبة على وجوهها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بأن سخر لهم سائر الاشياء وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس (وحملناهم فى البر والبحر) أى حملناهم فى البر على الدواب وفى البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) يعنى لذيذ المطاعم والمشارب قال مقاتل السمن والزبد والتمر والحلوى وجعل

رزق غيرهم مالا يخفى (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وظاهر الآية انه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل وقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وأشباههم وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف فقال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله تعالى وأكثرهم كاذبون أى كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان والاولى أن يقال عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وروى عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أفضل وأكرم على الله من الملائكة الذين عنده قوله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) قال مجاهد وقتادة بنبيهم وقال أبو صالح والضحاك بكتابهم الذي أنزل عليهم وقال الحسن وأبو العالية بأعمالهم وقال قتادة أيضا بكتابهم الذي فيه أعمالهم بدليل سياق الآية فمن أوتي كتابه بيمينه ويسمى الكتاب اماما كما قال عز وجل وكل شئ أحصيناه في امام مبين وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا الى ضلالة أو هدى قال الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقال وجعلناهم أئمة يدعون الى النار وقيل بمعبودهم وعن سعيد بن المسيب قال كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر وقال محمد بن كعب بامامهم قيل يعني بأمهاتهم وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها لاجل عيسى عليه السلام والثاني لشرف الحسن والحسين والثالث لئلا يفتضح أولاد الزنا (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا) أي لا ينقص من حقهم قدر فتيل (ومن كان في هذه أعمى) اختلفوا في هذه الاشارة فقال قوم هي راجعة الى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الآيات من قوله ربكم الذي يزجي لكم الفلك الى قوله تفضيلا يقول ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى (فهو في) أمر (الآخرة) التي لم يعاين ولم ير (أعمى وأضل سبيلا) يروى هذا عن ابن عباس وقال الآخرون هي راجعة الى الدنيا يقول من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار وقال الحسن من كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الآخرة

(وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) واعلم ان الله تعالى قال في أول الآية ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والاولى التكرار والاقرب أن يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بني آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وأشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم * فان قلت كيف تصنع بكثير * قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع وأكثرهم كاذبون أراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفضيل وهو الاولى والراجح أن خواص بني آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بني آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده * قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا اما الى هدى واما الى ضلالة وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع أم يعني بأمهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنا (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) * فان قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا * قلت الفرق ان أصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأبينها (ولا يظلمون فتيلا) أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شئ (ومن كان في هذه أعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى اى عن هذه النعم التي قد عدها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم تعاين ولم تر (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا

أعمى وأضل سبيلا لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لا تقبل توبته وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم وكان أبو عمرو يكسر الاول ويفتح الثانى فهو فى الآخرة أشد عمى لقوله وأضل سبيلا قوله عز وجل (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك) الآية اختلفوا فى سبب نزولها قال سعيد بن جبير كان النبى صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم انى لها كاره بعد أن يدعونى حتى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك فأنزل الله هذه الآية قال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا أن لا ننحنى أى فى الصلاة ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاغية يعنى اللات والعزى فانى غير ممتعكم بها فقالوا يا رسول الله انا نحب أن تسمع العرب انك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية وان كادوا ليفتنونك ليصرفونك عن الذى أوحينا اليك

وقيل معناه ومن كان فى الدنيا كافرا فهو فى الآخرة أعمى لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لا تقبل توبته * قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك) قيل فى سبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى لها كاره بعد أن يدعونى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا ننحنى فى الصلاة أى لا ننحنى ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاغية يعنى اللات والعزى فانى غير ممتعكم بها فقالوا يا رسول الله انا نحب أن تسمع العرب انك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوته أن يعطيهم ذلك فانزل الله تعالى وان كادوا أى هموا ليفتنونك أى ليصرفونك عن الذى أوحينا اليك (لتفترى) أى لتختلق وتبتدع (علينا غيره) أى ما لم نقله (واذا) أى لو فعلت ما دعوك اليه (لاتخذوك خليلا) أى والوك ووافوك وصافوك (ولولا أن ثبتناك) أى على الحق بعصمتنا اياك (لقد كدت تركن) أى تميل (اليهم شيأ قليلا) أى قربت من الفعل * فان قلت كان النبى صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه * قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا أن ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم (اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) اى لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى ضعفنا لك العذاب فى الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) أى ناصرا يمنعك من عذابنا * قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فأتوه فقالوا يا أبا

(لتفترى) لتختلق (علينا غيره واذا) لو فعلت ما دعوك اليه (لاتخذوك خليلا) أى والوك وصافوك (ولولا أن ثبتناك) على الحق بعصمتنا (لقد كدت تركن) أى تميل (اليهم شيأ قليلا) أى قريبا من الفعل فان قيل كان النبى صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر قيل كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس قال قتادة كان النبى صلعم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله تعالى قال ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا وقد ثبته الله ولم يركن وهذا مثل قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا وقد تفضل فلم يتبعوا (اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) القاسم أى لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى أضعفنا لك العذاب فى الدنيا والآخرة وقيل الضعف هو العذاب سمى ضعفا لتضاعف الالم فيه (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) أى ناصرا يمنعك من عذابنا قوله تعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) اختلفوا فى معنى الآية فقال بعضهم هذه الآية مدنية قال الكلبى لما قدم رسول الله صلعم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا منهم فأتوه وقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء فان أرض الانبياء الشام وهى الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافتك الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبى صلعم على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويخرج فأنزل الله هذه الاية والارض ههنا هى المدينة وقال مجاهد وقتادة الارض أرض مكة والآية مكية هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وتمام الكفار كلهم أرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله عز وجل رسوله صلعم ولم يدنا لوا منه

ماأملوا والاستفزاز هو الازعاج بسرعة (واذا لا يلبثون خلفك) أى بعدك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص ويعقوب خلافك اعتبارا بقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ومعناهما واحد (الا قليلا) أى لا يلبثون بعدك الا قليلا حتى يهلكوا فعلى القول الاول مدة حياتهم وعلى الثانى ما بين خروج النبى صلعم الى المدينة الى أن قتلوا ببدر قوله عزوجل (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أى كسنتنا فانتصب بحذف الكاف وسنة الله فى الرسل اذا كذبتهم الامم أن لا يعذبهم مادام نبيهم بين أظهرهم فاذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أى تبديلا قوله (أقم الصلوة لدلوك الشمس) اختلفوا فى الدلوك روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال الدلوك هو الغروب وهو قول ابراهيم النخعى ومقاتل بن حيان والضحاك والسدى وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت وغربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به ولانا اذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر والى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء وقرآن الفجر هو صلاة الصبح قوله عزوجل (الى غسق الليل) أى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وقال قتادة وقت صلاة المغرب وقال مجاهد غروب الشمس (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لا تجوز الا بالقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففى ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القرآن وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة فى وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فى الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة فى أول وقتها أفضل * قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) أى قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم

القاسم لقد علمت ما هذه بارض أنبياء وان أرض الانبياء الشام وهى الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وأن الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبى صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فانزل الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم يمنا لوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج (واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا) أى لا يبقون بعدا خراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا * قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أى تبديلا * قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلوة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعى ومقاتل والضحاك والسدى قال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لا تجوز الا بالقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففى ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القرآن وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة فى وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فى الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة فى أول وقتها أفضل * قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) أى قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم

كان مشهودا) أى يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلعم يقول تفضل صلاة الجمع على صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به) أى قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد النوم يقال تهجد اذا قام بعد ما نام وهجد اذا نام والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبى صلعم فى الابتداء وعلى الامة لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا فى حق الامة بالصلوات الخمس وبقى الاستحباب قال الله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقى الوجوب فى حق النبى صلعم وروى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلعم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل

قوله عز وجل (نافلة لك) أي زيادة لك يريد فضيلة زائدة على سائر الفرائض فرضها الله عليك وذهب قوم الى ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصارت نافلة وهو قول مجاهد وقتادة لان الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قيل فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قيل التخصيص من حيث ان نوافل العباد كفارة لذنوبهم والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة و بشر بن معاذ قالا ثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة ابن شعبة قال قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال أفلا أكون عبدا شكورا أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله ابن أبي بكرة عن أبيه عن عبد الله بن

قيس بن مخرمة انه أخبره عن زيد بن خالد الجهني انه قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاثة عشرة ركعة أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره انه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قال فقالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق أنا يونس بن هرون بن عبد الاعلى أنا ابن وهب أخبرني يونس وابن أبي ذئب وعمرو بن الحرث ان ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين و يوتر بواحدة فيسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من أذان الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة فيخرج و بعضهم يزيد على بعض أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هرون أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه وقال كان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيا و يفطر حتى نقول لا يصوم منه شيا

والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس و بقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه و بقي الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (نافلة لك) أي زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك روى عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك * فان قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم * قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات

﴿فصل﴾ في الاحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال أفلا أكون عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهني قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبي داود (ق) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سال عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على أحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين و يوتر بواحدة و يسجد سجدتين قدر ما يسجد و يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر و تبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع

قوله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) عسى من الله تعالى واجب لانه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لامته لانه يحمده فيه الاولون والآخرون أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه أنا عبد الله بن يزيد المقرى أنا حيوة عن كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عياش ثنا سعيد بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلعم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيأ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل قال وقال الحجاج بن منهال ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهتموا بذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهي عنها ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول اني لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول اني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع

اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا أذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائما الا رأيناه أخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيأ ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيأ * وقوله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا في شيء ثم أحرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة وانى اختبأت دعوتي شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيأ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي

واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فاخرج فادخلهم الجنة قال قتادة وقد سمعته يقول فاخرج فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار الا من قد حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام (١٤٤) المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم وبهذا الاسناد قال حدثنا محمد بن

اسمعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا معبد بن هلال العنزي قال ذهبنا الى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة بمعناه وقال فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فذكر مثله وقال فيقال لي انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان قال فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فذكر مثله ثم يقال انطلق فاخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من ايمان فانطلق فافعل فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع أي مجتمع الذهن والرأي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني أذنبت ذنبا عظيما فأهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى

كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأستأذن على ربي تعالى فيؤذن لي فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فاقول يارب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله وروى عن عبد الله بن عمر قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم وأخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن ماموية ثنا أبو بكر

فيأتون
الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله وروى عن عبد الله بن عمر قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم وأخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن ماموية ثنا أبو بكر

محمد بن الحسين القطان ثنا محمد بن حنوية ثنا سعيد بن سليمان ثنا منصور بن أبي الاسود ثنا الليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أولهم خروجا اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وأنا شفيعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ بيض مكنون أو لؤلؤ منثور أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني الحكم بن موسى ثنا معقل يعني ابن زياد عن الاوزاعي حدثني أبو عمار حدثني عبد الله بن فروخ حدثني أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع والاخبار في الشفاعة متواترة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع بانفاق أهل السنة وروى عن يزيد ابن صهيب الفقيه قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج وكنت رجلا شابا فخرجنا في عصابة نريد الحج فررنا على المدينة فاذا جابر ابن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديث الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله ماهذا الذي يحدثون والله عز وجل يقول انك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فقال لي يافتى أتقرأ القرآن قلت نعم قال هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه وان قوما يخرجون من النار بعدما يكونون فيها قال فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعن مجاهد في قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يجلسه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسي

فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول انى عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتونى فأنطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد ففتحون لى ويقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد ففتحون لى ويرحبون بى فيقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذي قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت منه وقوله فاقعقعها أي أحركها حركة شديدة والقعقعة حكاية أصوات الترس وغيره مما له صوت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف على خدم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي قال أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت ياصاحب رسول الله ماهذا الذي تحدثون والله يقول انك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ ما قبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد أو كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى

قوله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد من المدخل والمخرج الادخال والاخراج واختلف أهل التفسير فيه فقال ابن عباس والحسن وقتادة أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقال الضحاك وأخرجني مخرج صدق من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهرا عليها بالفتح وقال مجاهد أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق

أبو وائل عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي * قوله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمنا عند الله (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به على من عاداني وعز اظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال يظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية * قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (وزهق الباطل) أي الشرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقا) أي مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة في وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد * قوله سبحانه وتعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء) من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء الامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين (١) أحدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لا جرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك أنها رقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء الامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة

(١) قوله لانها تنقسم الى نوعين أي الامراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية والعبارة في الفخر الرازي بغاية التهذيب فليراجع

وعن الحسن انه قال أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة وقيل أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي وقيل معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق أي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون أمينا ووجيها عند الله ووصف الادخال والاخراج بالصدق لما يؤل اليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين كما وصف القدم بالصدق فقال أن لهم قدم صدق عند ربهم (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) قال مجاهد حجة بينة وقال الحسن ملكا قويا تنصرني به على من ناوأني وعز اظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن لا طاقة له بهذا الامر الا بسلطان نصير فسأل سلطانا نصيرا كتاب الله وحدوده واقامة دينه قوله عز وجل (وقل جاء الحق) يعني القرآن (وزهق الباطل) أي ذهب الشيطان قاله قتادة وقال السدي الحق الاسلام والباطل الشرك وقيل الحق المؤمنين عبادة الله والباطل عبادة الاصنام (ان الباطل كان زهوقا) ذاهبا يقال زهقت نفسه أي خرجت أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قوله عز وجل (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) قيل من ليس للتبعيض ومعناه وننزل من القرآن ما هو كله

شفاء أى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف و يتضح به المشكل و يستشفى به من الشبهة و يهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فيكون رحمة له وقيل زيادة الخسارة للظالم من حيث ان كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب و يزدادهم خسارة قال قتادة لم يجالس هذا القرآن أحدا لا قام عنه بزيادة أو نقصان قضى الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله تعالى (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أى تباعد منا بنفسه أى ترك التقرب الى الله بالدعاء وقال عطاء تعظم وتكبر و يكسر النون والهمزة حمزة والكسائى و يفتح النون و يكسر الهمزة أبو بكر وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وناء مثل جاء قيل هو بمعنى نأى وقيل ناء من النوء وهو النهوض والقيام (واذا مسه الشر) الشدة والضر (كان يؤسا) أى آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع و يدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس ولا ينبغى للمؤمن أن ييأس من الاجابة وان تأخرت فيدع الدعاء قوله عز وجل (قل كل يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته قال الحسن وقتادة على نيته وقال مقاتل على خليقته قال الفراء على طريقته التى جبل عليها وقال القتيبى على طبيعته وجبلته وقيل على السبيل الذى اختاره لنفسه وهو من الشكل يقال لست على شكلى ولا شاكانى وكلها لغات متقاربة تقول العرب طريق ذو شواكل اذا تشعبت منه الطرق ومجاز الآية كل يعمل على ما يشبهه كما يقال فى المثل كل امرئ يشبهه فعله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أوضح طريقا قوله تعالى (و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) الآية أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قيس بن حفص ثنا عبد الواحد يعنى ابن زياد ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينا أنا أمشى مع النبى صلعم فى حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه نفر من اليهود فقال

للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الا قام عنه بزيادة او نقصان قضاه الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * قوله سبحانه وتعالى (واذا أنعمنا على الانسان) أى بالصحة والسعة (أعرض) أى عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أى تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أى الشدة والضر (كان يؤسا) أى آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع و يدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينبغى للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة * قوله عز وجل (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة أى على طريقته التى جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أوضح طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق * قوله سبحانه وتعالى (و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) (ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفى رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفى رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ينتظر الوحى وعرفت أنه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحى قال و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفى رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا فى قراءتنا العسيب جريد النخل وسمعته وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن شئ منها فليس بنبى وان أجاب عن اثنتين ولم يجب عن

بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجئ فيه بشئ تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه فقمت فلما انجلى عنه قال و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وفى رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا فى قراءتنا وروى عن ابن عباس أنه قال ان قريشا قد اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن شئ منها فليس بنبى وان أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبى فسلوه عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ما كان من أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ما خبره وعن الروح فسألوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فابث الوحى قال مجاهد اثنتى عشرة ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقال عكرمة أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشئ حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل بقوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ونزل فى الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا من عجبا ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب

و يسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى واختلفوا فى الروح الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن
عباس انه جبريل وهو قول الحسن وقتادة وروى عن على أنه قال ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها وقال
مجاهد خلق على صور بنى آدم لهم أيد وأرجل و رؤس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم من
الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع (١٤٨) السموات السبع والارضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة خلق الملائكة
وصورة وجهه على صورة
الآدميين يقوم يوم القيامة عن
يمين العرش وهو أقرب
الخلق الى الله عز وجل اليوم
عند الحجب السبعين وأقرب
الى الله يوم القيامة وهو ممن
يشفع لاهل التوحيد ولولا
أن بينه و بين الملائكة سترا
من نور لاحترق أهل السموات
من نوره وقيل الروح هو
القرآن وقيل المراد منه عيسى
عليه السلام فانه روح الله
وكلمته ومعناه انه ليس كما
يقوله اليهود ولا كما يقوله
النصارى وقال قوم هو الروح
المركب فى الخلق الذى يحيا
به الانسان وهو الاصح
وتكلم فيه قوم فقال بعضهم
هو الدم ألا ترى ان الحيوان
اذا مات لا يفوت منه شئ
الا الدم وقال قوم هو نفس
الحيوان بدليل انه يموت
باحتباس النفس وقال قوم
هو عرض وقال قوم هو
جسم لطيف وقال بعضهم
الروح معنى اجتمع فيه
النور والطيب والعلو والعلم
والبقاء ألا ترى انه اذا كان
موجودا يكون الانسان
موصوفا بجميع هذه الصفات

واحدة فهو نبى فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ما كان شأنهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل
بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم
غدا و لم يقل ان شاء الله فلبث الوحى قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما
وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مكث الوحى وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل
ذلك غدا الا أن يشاء الله ونزل فى الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل
فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله و يسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح و يسألونك عن الروح قل الروح من
أمر ربى واختلفوا فى الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه جبريل وعن على انه ملك له سبعون
ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد
خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل و رؤس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن
جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات والارض ومن فيها بلقمة واحدة
لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيامة على
يمين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو
ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه و بين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره وقيل
الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب فى الخلق الذى به يحيا
الانسان وهو أصح الاقوال وتكلم قوم فى ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم ألا ترى ان الانسان اذا مات
لا يفوت منه شئ الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض
وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء
ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل
وأقاويل الحكماء والصوفية فى ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها وأولى الاقاويل أن يوكل
علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربى أى من علم ربى الذى استأثر به (وما أوتيتم من العلم) أى من علم ربى
(الا قليلا) أى فى جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون أوتينا
التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع
الاضافة فوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه و بالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم
علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح هو ان الله عز وجل
استأثر بعلم الروح * قوله عز وجل (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك
وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا و بقيت كما كنت ما تدرى
ما الكتاب (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته

فاذا خرج ذهب الكل وأولى الاقاويل أن يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع محفوظا
على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله عز وجل قل الروح من أمر ربى قيل من علم ربى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) أى فى جنب علم الله قيل
هذا خطاب للرسول صلعم وقيل خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير وقيل كان النبى صلعم يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر
به أحدا الان ترك اخباره به كان علما لنبوته والاول أصح لان الله عز وجل استأثر بعلمه قوله تعالى (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) يعنى القرآن
معناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك لو شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك يعنى القرآن (ثم لا تجد [illegible] علينا وكيلا) أى من يتوكل برد القرآن اليك

(الا رحمة من ربك) هذا استثناء منقطع معناه ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك (ان فضله كان عليك كبيرا) فان قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل قيل المراد منه محوه من المصاحف واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيأ ولا يجدون في المصاحف شيأ ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب مالك وهو أعلم فيقول يارب أتلى ولا يعمل بي قوله جل وعلا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) عونا ومظاهرا نزلت حين قال الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلا طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق لانه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد وغيرها (فأبى أكثر الناس الا كفورا) جحودا (وقالوا لن نؤمن لك) لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) قرأ أهل الكوفة

محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك) معناه الا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا * فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل * قلت المراد منه محوه في المصاحف واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيأ ولا يجدون مما في المصاحف شيأ ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب أتلى ولا يعمل بي (ان فضله كان عليك كبيرا) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود * قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتاليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخالق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله * قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا * قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات أخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتغالون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا البختري بن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة ابن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد

و يعقوب تفجر بفتح التاء وضم الجيم مخففا لان الينبوع واحد وقرأ الباقون بالتشديد من التفجير واتفقوا على تشديد قوله فتفجر الانهار خلالها تفجيرا لان الانهار جمع والتشديد يدل على التكثير ولقوله تفجيرا من بعد روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية ابن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب

الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح الا وقد جئته فيما بينك و بيننا فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الامر الذي بك رئي تراه حتى قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني و بينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق منا بلادا

ولا أشد منا عيشا فسل لنا ربك الذى بعثك فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا و يبسط لنا بلادنا و يفجر فيها أنهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلعم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه منى فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه أصبر لأمر الله قالوا فان لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك وسله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال (١٥٠) ما بعثت بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك لو شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم فعله وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلعم وقام معه عبد الله بن أبى أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أومن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت ان لا اصدقك فانصرف رسول الله صلعم الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فأنزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعنى أرض مكة ينبوعا أى عيونا (أو تكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا)

فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم فى أمره بدء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقى من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا و بينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى بك رئى تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذى بعثك فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا و يبسط لنا بلادنا و يفجر لنا فيها الانهار كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لأمر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ما تريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبى أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أومن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وأنا أنظر حتى تاتيها فتاتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعنى أرض مكة ينبوعا أى عيونا (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) أى بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) أى تشقيقا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) أى قطعا (أو تاتى بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا أى يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا (أو يكون لك بيت من زخرف) أى من ذهب وأصله الزينة

تشقيقا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين أى قطعا وهى جمع كسفة وهى القطعة (أو والجانب مثل كسرة وكسر وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد وجمعها كساف وكسوف أى تسقطها طبقا واحدا وقيل أراد جانبا منها علينا وقيل معناه أيضا القطع وهى جمع التكسير مثل سدرة وسدر وفى الشعراء وسبأ كسفا بالفتح حفص وفى الروم ساكنة أبو جعفر ولابن عامر (أو تاتى بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا أى يكفلون بما تقول وقال الضحاك ضامنا وقال مجاهد هو جمع القبيلة أى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة وقال قتادة عيانا أى نراهم مقابلة أى معاينة وقال الفراء هو من قول العرب لقيت فلانا قبيلا وقبيلا أى معاينة (أو يكون لك بيت من زخرف) أى

من ذهب وأصله الزينة (أوترقى) تصعد (فى السماء) هذا قول عبد الله بن أبى أمية (ولن نؤمن لرقيك) لصعودك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك (قل سبحان ربى) وقرأ ابن كثير وابن عامر قال يعنى محمدا وقرأ الآخرون على الامر أى قل يا محمد (هل كنت الا بشرا رسولا) أمره بتنزيهه وتمجيده على معنى انه لو أراد أن ينزل ما طلبوا الفعل ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر وما أنا الا بشر وليس ما سألتم فى طوق البشر واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الاصابع وما أشبهها والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم قوله عز وجل (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا) جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) أراد ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله تعالى (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) مستوطنين مقيمين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) من جنسهم لان القلب الى الجنس أميل منه الى غير الجنس (قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم) انى رسوله اليكم (انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) يهدونهم (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا الحسن ابن شجاع الصوفى المعروف بابن الموصلى أنبانا أبو بكر ابن الهيثم ثنا جعفر بن محمد الصائغ ثنا حسين بن محمد ثنا سفيان عن قتادة عن أنس ان رجلا قال يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الذى أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه وجاء فى الحديث انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك (عميا و بكما وصما) فان قيل كيف وصفهم بانهم عمى و بكم وصم وقد قال ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا أثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قيل يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد اليهم هذه الاشياء وجواب آخر قال ابن عباس عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون شيا يسرهم وقال الحسن هذا حين يساقون الى الموقف الى ان يدخلوا النار وقال مقاتل هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون يصيرون باجمعهم عميا و بكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون

(أوترقى) أى تصعد (فى السماء ولن نؤمن لرقيك) أى لاجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبى أمية (قل) أى قل يا محمد (سبحان ربى) أمره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب (هل كنت الا بشرا رسولا) أى كسائر الرسل لا يمهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا الفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا الا بشر وليس ما سألتم فى طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم * قوله عز وجل (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أى الوحى والمعنى ومامنعهم الايمان بالقرآن و بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الا أن قالوا) أى جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فأجابهم الله بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أى مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أى من جنسهم لان الجنس الى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم) أى على انى رسوله اليكم وانى قد بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم (انه كان بعباده) يعنى المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) أى عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) أى يهدونهم وفيه أيضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال أن ينقلبوا عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) عن أنس أن رجلا قال يارسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذى الحدب كل ما ارتفع من الارض (عميا و بكما وصما) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون * فان قلت كيف وصفهم بانهم عمى و بكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع * قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة

(ما واهم جهنم كلما خبت) قال ابن عباس كلما سكنت أي سكن لهيبها وقال مجاهد طفئت وقال قتادة ضعفت وقيل هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار لان الله تعالى قال لا يفتر عنهم وقيل كلما خبت أي أرادت أن تخبو (زدناهم سعيرا) أي وقودا وقيل المراد من قوله كلما خبت أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها الى ما كانوا عليه وزيد في تسعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فاجابهم الله تعالى فقال (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض) في عظمتها وشدتها (قادر على أن يخلق مثلهم) في صغرهم وضعفهم نظيره قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (وجعل لهم أجلا) أي وقتا لعذابهم (لا ريب فيه) انه يأتيهم قيل هو الموت وقيل هو يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) أي جحودا وعنادا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي نعمة ربي وقيل رزق ربي (اذا لامسكتم) لبخلتم وحبستم (خشية الانفاق) أي خشية الفاقة قاله قتادة وقيل خشية النفاد يقال أنفق الرجل أي أملق وذهب ماله ونفق الشئ أي ذهب وقيل لأمسكتم عن الانفاق خشية الفقر (وكان الانسان قتورا) أي بخيلا ممسكا عن الانفاق قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي دلالات واضحات فهي الآيات التسع قال ابن عباس والضحاك هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات وذكر محمد بن كعب القرظي الطمس والبحر بدل السنين ونقص من الثمرات قال فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صارا حجرين والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجرا وقال بعضهم هن آيات الكتاب أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الثقفي أنا هرون بن محمد بن هرون العطاردي أنبأنا يوسف بن عبد الله بن ماهان ثنا الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال المرادي ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمع صارت له أربعة أعين فاتيا فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلا يديه وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان تبعناك أن يقتلنا

صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (مأواهم جهنم كلما خبت) أي سكن لهيبها وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه أرادت أن تخبو (زدناهم سعيرا) أي وقودا وقيل معناه خبت أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا الى ما كانوا عليه وزيد في سعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعني ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أجابهم الله ورد عليهم بقوله (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض) أي في عظمها وشدتها (قادر على أن يخلق مثلهم) أي في صغرهم وضعفهم (وجعل لهم أجلا) أي وقتا لعذابهم (لا ريب فيه) أي لا شك فيه أنه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) أي جحودا وعنادا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها (اذا لأمسكتم) أي لبخلتم وحبستم (خشية الانفاق) والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشئ (وكان الانسان قتورا) أي ممسكا بخيلا * فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل * قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج لا بد وان يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب فثبت بهذا أن الاصل في الانسان البخل * قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع أهله في الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال ياغلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن غسان ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمع صارت له أربعة أعين فاتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا

اليهود قوله عزوجل (فاسئل) يامحمد (بنى اسرائيل اذ جاءهم) موسى يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون خطابه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) أى مطبوبا سحروك قاله الكلبى وقال ابن عباس مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق وقال الفراء وأبو عبيدة ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل وقال محمد بن جرير معطى علم السحر فهذه العجائب التى تفعلها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) قرأ العامة بفتح التاء خطابا لفرعون وقرأ الكسائى بضم التاء ويروى ذلك عن على وقال لم يعلم الخبيث ان موسى على الحق ولو علم لآمن ولكن موسى هو الذى علم وقال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وهذه القراءة وهى نصب التاء أصح فى المعنى وعليه أكثر القراء لان موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن على رفع التاء لانه روى عن رجل من مراد عن على وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائى (ما أنزل هؤلاء) هذه الآيات التسع (الا رب السموات والارض بصائر) جمع بصيرة أى يبصر بها (وانى لاظنك يافرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقال مجاهد هالكا وقال قتادة مهلكا وقال الفراء أى مصروفا ممنوعا عن الخير يقال ما ثبرك عن هذا الامر أى ما منعك وصرفك عنه (فأراد أن يستفزهم) أى أراد فرعون أن يستفز موسى وبنى اسرائيل أى يخرجهم (من الارض) يعنى أرض مصر (فأغرقناه ومن معه جميعا) ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) أى من بعد هلاك فرعون (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) يعنى أرض مصر والشام (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى يوم القيامة (جئنا بكم لفيفا) أى جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء * قوله سبحانه وتعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعنى انا ما أردنا بانزال القرآن الا تقريره للحق فلما أردناه هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أنزلنا القرآن الا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير (وما أرسلناك الا مبشرا) يعنى بالجنة للمطيعين (ونذيرا) أى مخوفا بالنار للعاصين * قوله عزوجل (وقرآنا فرقناه) أى فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) أى على تؤدة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أى على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (ان الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وأبى ذر وغيرهم (اذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (يخرون للاذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجدا) أى يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أى تعظيما لربنا لانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أى كائنا واقعا (ويخرون

المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا فى السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبى قال فما يمنعكم أن تتبعونى قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال فى ذريته نبى وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسئل) يامحمد (بنى اسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون خاطبه وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (اذ جاءهم) يعنى جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عزوجل (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا أى سحروك وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التى تفعلها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده (ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض) يعنى الآيات التسع (بصائر) أى بينات يبصر بها (وانى لاظنك يافرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير (فاراد ان يستفزهم من الارض) معناه أراد فرعون أن يخرج موسى وبنى اسرائيل من أرض مصر (فأغرقناه ومن معه جميعا) أى أغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) أى من بعد هلاك فرعون (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) يعنى أرض مصر والشام (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى القيامة (جئنا بكم لفيفا) أى جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء * قوله سبحانه وتعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعنى انا ما أردنا بانزال القرآن الا تقريره للحق فلما أردناه هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أنزلنا القرآن الا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير (وما أرسلناك الا مبشرا) يعنى بالجنة للمطيعين (ونذيرا) أى مخوفا بالنار للعاصين * قوله عزوجل (وقرآنا فرقناه) أى فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) أى على تؤدة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أى على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (ان الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وأبى ذر وغيرهم (اذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (يخرون للاذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجدا) أى يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أى تعظيما لربنا لانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أى كائنا واقعا (ويخرون

القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلطين من كل نوع يقال لفت الجيوش اذا اختلطوا وجمع القيامة كذلك فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقال الكلبى فاذا جاء وعد الآخرة يعنى مجىء عيسى من السماء جئنا بكم لفيفا أى النزاع من كل قوم من ههنا وههنا لفوا جميعا (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعنى القرآن (وما أرسلناك الا مبشرا) للمطيعين (ونذيرا) للعاصين (وقرآنا فرقناه) قيل أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قراءة ابن عباس وقرآنا فرقناه بالتشديد وقراءة العامة بالتخفيف أى فصلناه وقيل بيناه وقال الحسن معناه فرقنا به بين الحق والباطل (لتقرأه على الناس على مكث) أى على تؤدة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أولا تؤمنوا) هذا على طريق الوعيد والتهديد (ان الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنو أهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وأبى ذر وغيرهم (اذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (يخرون للاذقان) أى يسقطون على الاذقان قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) أى كائنا واقعا (ويخرون

للاذقان يبكون) أي يخمون على الوجوه يبكون والبكاء مستحب عند قراءة القرآن (ويزيدهم) نزول القرآن (خشوعا) خضوعا لربهم نظيره قوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمرو بن بكر بن محمد المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسن بن الفضل البجلي أنا عاصم عن علي بن عاصم ثنا المسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن عن أبي عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا أخبرنا أبو القاسم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أنا أبو أحمد بن بكر بن محمد بن حمدان ثنا محمد بن يونس الكريمي أنبأنا عبد الله بن محمد الباهلي ثنا أبو حبيب الغنوي ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرمت النار على ثلاثة أعين عين بكت من خشية الله وعين سهرت في سبيل الله وعين غضت عن محارم الله قوله جل وعلا (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده يا الله

يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فأنزل الله تعالى هذه الآية

للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) أي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في منخري مسلم أبدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي * قوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم (أياما تدعوا) ما صلة ومعناه أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم أو من جميع أسمائه (فله الاسماء الحسنى) يعني اذا حسنت أسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلوتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك في الدعاء وقيل كان أعراب من بني تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فأنزل الله عز وجل ولا تجهر بصلوتك أي لا ترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولا تخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أي اطلب (بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال اني أسمعت من

ومعناه انهما اسمان لواحد (أياما تدعوا) قيل ما صلة معناه أيا تدعوا من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه (فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا يعقوب ابن ابراهيم ثنا هشيم ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة كان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلوتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم (وابتغ ناجيت بين ذلك سبيلا) وبهذا الاسناد عن محمد بن اسمعيل قال ثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر باسناده مثله وزاد وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقال قوم نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة رضي الله عنها والنخعي ومجاهد ومكحول أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا طلق بن غنام ثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها قالت أنزل ذلك في الدعاء وقال عبد الله بن شداد كان أعراب من بني تميم اذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا فيجهرون بذلك فأنزل الله هذه الآية ولا تجهر بصلوتك أي لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها والمخافتة خفض الصوت والسكوت وابتغ بين ذلك سبيلا أي بين الجهر والاخفاء أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخزاعي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا يحيى بن آدم ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن أبي رباح الانصاري عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض صوتك فقال اني أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال

لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك فقال انى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلعم بأن يحمده على وحدانيته ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله قال الحسين بن الفضل معناه الحمد لله الذى عرفني انه لم يتخذ ولدا (ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل) قال مجاهد لم يذل حتى يحتاج الى ولى يتعزز به (وكبره تكبيرا) أى وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولى أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ثنا أبو العباس الاصم ثنا محمد بن اسحق الصغانى ثنا نضر بن حماد أبو الحرث الوراق ثنا شعبة عن حبيب بن أبى ثابت قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى أنبأنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة أن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلعم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده أخبرنا أبو الفضل بن زياد ابن محمد الحنفى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن احمد الانصارى أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا يحيى بن خالد بن أيوب المخزومى ثنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشر الحزامى الانصارى عن طلحة بن حراش عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلعم قال ان أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنا عبد الرحمن بن أبى شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ثنا على ابن الجعد ثنا زهير ثنا منصور عن هلال بن بشار عن الربيع ابن خثيم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت

ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال انى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذى عرّفنى انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك فى الملك) والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولى من الذل) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به (وكبره تكبيرا) أى وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولى وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولى كان مستوجبا لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الكهف﴾

وهى مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) أى لم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس فى قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج قال غير مخلوق (قيما) أى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها (لينذر بأسا شديدا) معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس (من لدنه) أى من عنده (ويبشر

عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدأت

﴿سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) أثنى الله على نفسه بانعامه على خلقه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا قيما) فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا قيما أى مستقيما قال ابن عباس عدلا وقال الفراء قيما على الكتب كلها أى مصدقا لها ناسخا لشرائعها وقال قتادة ليس على التقديم والتأخير بل معناه أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ولكن جعله قيما قوله عز وجل ولم يجعل له عوجا أى تختلف على ما قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل معناه لم يجعله مخلوقا وروى عن ابن عباس فى قوله قرآنا عربيا غير ذى عوج أى غير مخلوق (لينذر بأسا شديدا) أى لينذر بأس شديد (من لدنه) أى من عنده (ويبشر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) أي الجنة (ماكثين فيه أبدا) أي مقيمين فيه (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم) أي قالوه عن جهل لا عن علم (كبرت) أي عظمت (كلمة) نصب على التمييز يقال تقديره كبرت الكلمة كلمة وقيل من كلمة فحذف من فانتصب (تخرج من أفواههم) أي تظهر من أفواههم (ان يقولون) ما يقولون (الا كذبا فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي القرآن (أسفا) أي حزنا وقيل غضبا (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) فان قيل أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قيل فيها زينة على معنى انها تدل على وحدانية الله تعالى وقال مجاهد أراد به الرجال خاصة هم زينة الارض وقيل أراد بهم العلماء والصلحاء وقيل الزينة بالنبات والاشجار والانهار كما قال حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت (لنبلوهم) لنختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) فالصعيد وجه الارض وقيل هو التراب جرزا يابسا أملس لا ينبت شيأ يقال جرزت الارض (١٥٦) اذا أكل نباتها قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يعني أظننت يا محمد ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب من آياتنا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف هو الغار في الجبل واختلفوا في الرقيم قال سعيد بن جبير هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الاقاويل ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم أي المكتوب والرقم الكتابة وحكى عن ابن عباس انه قال هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف وعلى هذا هو من رقمة الوادي وهو جانبه وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف فقال (اذ أوى الفتية الى الكهف) أي صاروا اليه واختلفوا في سبب مصيرهم الى الكهف فقال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم ولا يترك في قرية نزلها أحدا الا فتنه حتى يعبد الاصنام ويذبح للطواغيت أو قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي افسوس فلما نزلها كبر على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه وكان دقيانوس حين قدمها أمر أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا له واتخذ شرطا من الكفار من أهلها يتبعون أهل الايمان في أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يتسللون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فاقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وكانوا أمناء تهر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) يعني الجنة (ماكثين فيه) أي مقيمين فيه (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم) أي بالولد وباتخاذه يعني ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط * فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم * قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به (ولا لآبائهم) أي ولا لاسلافهم من قبل (كبرت) أي عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذبا) أي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب * قوله عز وجل (فلعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك (على آثارهم) أي من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعني القرآن (أسفا) أي حزنا وقيل غيظا (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها * فان قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين * قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى (لنبلوهم) فمن يبلو يجب أن لا يدخل في ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها (وانا لجاعلون ما عليها) أي من الزينة (صعيدا جرزا) يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شئ قوله سبحانه وتعالى (ام حسبت) أي أظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب آياتنا فان

بكوا وتضرعوا الى الله وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ان عبدنا غيره اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على مثل ذلك وقد دخلوا في مضلى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم سجود على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله فقالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا فرفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤن بك ويعصون أمرك فلما سمع بذلك بعث اليهم فأتي بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي نعبد في الارض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات من أهل مدينتكم اختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا واما ان أقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم سنا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك وقال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال مكسلمينا فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوسا كان عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال سأفرغ لكم فانجزلكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم الا اني أراكم شبانا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وتراجعون عقولكم ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمرهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم قريبا منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فأتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها وينزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له مخلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها ثم انطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه قال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه ففعل ذلك مرارا فقال لهم الكلب ياقوم ما تريدون مني لا تخشون جانبي أنا أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا اليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فروا براعي معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد الى الكهف وهو قريب من البلد قال ابن اسحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله (١٥٧) وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا

ما خلقنا من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم

وكان من أجملهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا باكثيابا المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقة فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا أصحابه بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت فنزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل وأخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة فنزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعضهم لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا الفد كانوا ظنوا اني غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري ما كنت لاحمل عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق ان ترحم قوما خرجوا مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فأتي بهم فسألهم عنهم فقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقال له آباؤهم فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا فأهلكوها في أسواق المدينة ثم انطلقوا وارتقوا الى جبل يدعى بمخلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروا قبرا لهم وهو يظن انهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما يندروس والآخر روناس ائتمرا أن يكتبا شان الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ففعلا وبنيا عليه فبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها وقد قذف الله في قلوب الفتية الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم

ايمانه فقالوا فى أنفسهم نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك ثم خرج الآخر فاجتمعوا امكان فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتى فيخلو بصاحبه ثم يفشى كل واحد منكم سره الى صاحبه ففعلوا فاذا هم جميعا على الايمان واذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان ابن فلان ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن وقال وهب بن منبه جاء حوارى عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فاراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا يسجد له فكره ان يدخلها فاتى حماما قريبا من المدينة فكان يؤاجر نفسه من الحمامى ويعمل فيه ورآى صاحب الحمام فى حمامه البركة واجتمع عليه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه وكان شرط صاحب الحمام ان الليل لى لا يحول بينى وبينه ولا بين الصلاة أحد وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحوارى وقال أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا وذهب فرجع مرة آخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت الى مقالته حتى دخلا معا فما تا فى الحمام وأتى الملك فقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فروا بصاحب لهم على مثل ايمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوه وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فنرون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك فى أصحابه يبتغونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فلما أراد رجل منهم دخوله أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل منهم أليس لو قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعا ففعل قال وهب فعبر بعدما سدوا عليهم باب الكهف زمان بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت غنمى فيه من المطر فما كنهم من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا وقال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى فى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل (١٥٨) الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا حياة الدنيا وانما نبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فجعل بيدروس يرسل الى

هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل

من يظن فيهم خيرا وانهم أئمة فى الخلق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما من رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره زمانا يتضرع الى الله تعالى ويبكى كله ويقول أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث اليهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد ومن المؤمنين فالقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه الكهف وكان اسم ذلك الرجل أوليا س أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب فلما فتحا باب الكهف أذن الله ذو القدرة والسلطان محيى الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون فيها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرى فى وجوههم ولا ألوانهم شئ ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون ان دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم أنبئنا ما الذى قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل اليهم انهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى يتساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم فى المدينة فلم توجدوا وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر عند دقيانوس ولا تشعرن بك أحدا وابتع لنا طعاما فائتنا به وزدنا على الطعام الذى جئنا به فقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس فكانت كخفاف الربع والربع أول ما ينتج من ولد الضأن فى الربيع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا ان يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون

لأهل الايمان اذ كان أمر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا وجعل ينظر يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب فتحول الى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول باليت شعري ما هذا أما عشية أمس فكان المسلمون يخبؤن هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلي نائم ثم يرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده فرقا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدار المدينة وقال في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على ظهر الارض انسان يذكر عيسى ابن مريم الا قتل وأما الغداة فاسمعهم وكل انسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحدا ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل ان أخزى فيها أو يصيبني شر فاهلك ثم انه أفاق فقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان يفطن بي لكان أكيس بي فدنا من الذين يبيعون الطعام فاخرج الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم فقال يعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها الى رجل آخر من أصحابه فنظر اليها فجعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا خبيئا في الارض منذ زمان ودهر طويل فلما رآهم تمليخا يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق منهم أفضلوا على قد أخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا فانطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل نأت بك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال في نفسه قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه فقالوا يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت فجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبر اليهم شيأ فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع اليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فينا قط وما نعرفه قط فجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم فلما اجتمع عليه

من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم

أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم وكان مستيقنا ان أباه واخوته بالمدينة وان حسبه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينا هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم اذ اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلق به اليهما ظن تمليخا انه ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون وجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء فقال في نفسه اللهم اله السماء واله الارض أفرغ اليوم علي صبرا وألجم معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي باليتهم يعلمون ما لقيت باليتهم يأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا تواثقنا لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نشرك به شيأ فرق بيني وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبدا وكنا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبدا يحدث به نفسه تمليخا فلما يخبر أصحابه حين يرجع اليهم حتى انتهوا الى الرجلين الصالحين اريوس وطنطيوس فلما رأى تمليخا انه لا يذهب به الى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء فاخذ اريوس وطنطيوس الورق فنظرا اليها وعجبا منها ثم قال له أحدهما أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال أحدهما فمن أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى اني من أهل هذه المدينة فقالوا ومن أبوك ومن يعرفك فيها فانبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول لهم غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينقلب منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة وانما أنت غلام شاب أتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط كما ترى وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانى لا ظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرف بهذا الكنز الذي وجدته فلما قال ذلك قال لهم تمليخا أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي قالوا سل لا نكتمك شيأ قال لهم ما فعل الملك دقيانوس قالوا لا نعرف اليوم على وجه الارض ملك يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال تمليخا انى اذا لحيران وما يصدقني أحد من الناس بما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وهو الاسلام وان الملك أكرهنا على عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لاشتري لهم طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف

أريكم أصحابي فلما سمع اريوس ما يقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه برنا أصحابه فانطلق معه اريوس وطنطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به ظنوا انه قد اخذ فذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدي الجبار ينتظر متى نأتيه فبيناهم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يروا الا اريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف وسبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم وقص عليهم القصة والنبأ كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله بأمر الله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا اريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء اهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا ومحشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيوس والكاب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث (١٦٠) فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الى الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهرانيهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله في ملكك وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث فاعجل الى فتية بعثهم الله عز وجل وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر الحياة رجع اليه عقله وذهب عنه غمه فقال احمدك الله رب السموات والارض واعبدك واسبح لك تطوعا على ورحمتني فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي وللعبد الصالح بيدروس الملك فلما نبأه أهل المدينة ركبوا اليه وسار وامعه حتى أتوا مدينة افسوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به وخروا سجدا على وجوههم وقام بيدروس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله تعالى أنفسهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في المنام فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا لما حمل الى الملك الصالح قال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر انه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمن الاول وان اسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة فدعا باللوح وقد نظر في اسمائهم فاذا هو من أولئك القوم وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم فانهم ان رأوكم معي أرعبتموهم فدخل فبشرهم فقبض الله أرواحهم وأعمى عليهم أثرهم فلم يهتدوا اليهم مرة ثانية وذلك قوله عز وجل اذ أوى الفتية الى الكهف أي صاروا الى الكهف يقال أوى فلان الى موضع كذا أي اتخذه منزلا الى الكهف وهو غار في جبل مخلوس واسم الكهف خيرم (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) ومعنى الرحمة الهداية في الدين وقيل الرزق (وهيئ لنا) يسر لنا (من أمرنا رشدا)

للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذ أوى الفتية الى الكهف) أي صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء (وهيئ لنا) أي أصلح لنا (من أمرنا رشدا) أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

﴿ ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه ﴾ قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها أفسوس استخفى منه أهل الايمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان في أماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في

الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة فى الايمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ماقطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عزوجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عزوجل فقال لهم الشرط ماخلفكم عن أمر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم مامنعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تعبد فى الارض وتجعلوا أنفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم ان لنا الها هو رب السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والتكبير من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع بنا مابدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأنجز لكم ماأوعدتكم من العقوبة ومايمنعنى أن أعجل ذلك لكم الا انى أراكم شبانا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم أن يذكرهم فأمروا بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له يخلوس (١) فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فيصنع بهم مايشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقى معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مر وابكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ماتريدون منى لاتخشوا منى أنا أحب أحباب الله عز وجل فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فرّوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عزوجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّا وكان من أجملهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ ورقة فينطلق الى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا أصحابه بشئ ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ماشاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى لاصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل فأخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوّذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله عزوجل على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظننا أن بى غضبا عليهم لجهلهم ماجهلوا من أمرى ما كنت لأجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا فى ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فأتى بهم فقال اخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى فقالوا أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا بأموالنا وأهلكوها فى أسواق المدينة ثم

أى ماتلتمس من خير رضاك ومافيه رشدنا وقال ابن عباس رشدا أى مخرجا من الغار فى سلامة

(١) قوله ينجلوس هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها مخلوس وفى حياة الحيوان منحلوس اه

انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل مايدرى ما يصنع بالفتية فألقى الله سبحانه وتعالى فى نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فأمر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر رومانس اهتما أن يكتبا شأن هؤلاء الفتية وأسماءهم وأنسابهم وأخبارهم فى لوحين من رصاص ويجعلاهما فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقى دقيانوس ما بقى ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان أحدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان فى قلوبهم فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه وقال فى نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنى عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره وجلس اليه من غير أن يظهره على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفش كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف فى جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان ابن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم أئمة فى الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شانهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله سبحانه وتعالى فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه ذلك الكهف وكان اسمه أوليانس ان يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيى الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى فى وجوههم ولا ألوانهم شئ ينكرونه وانهم

كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا تمليخا صاحب نفقتهم أنبئنا بما قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نيا ما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم فى المدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتغ لنا طعاما فأتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت تخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان أمر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول بالبيت شعرى ما هذا أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة فى هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلى نائم حالم ثم يرى انه ليس بنائم فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى فى أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما أدرى ما هذا أما عشية أمس فليس كان على الارض من يذكر عيسى ابن مريم الا قتل وأما اليوم فأسمع كل انسان يذكر عيسى ابن مريم لا يخاف ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التى أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقى فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال فى نفسه لعلى بى مسا أو أمرا أذهب عقلى والله يحق لى ان أسرع الخروج قبل أن يصيبنى فيها شر فأهلك فمضى الى الذين يبتاعون الطعام فأخرج لهم الورق التى كانت معه وأعطاها رجلا منهم وقال له بعنى بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا خبيئا فى الارض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل الناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا على قد أخذتم ورقى فأمسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لى به فقالوا له يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرناه وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت وانك ان لم تفعل نحملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت فى كل شئ كنت أحذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدرى ما يقول لهم وخاف حتى لم يجر على لسانه اليهم شئ فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه فى عنقه وجعلوا يسحبونه فى سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لا يدرى ما يقول لهم وكان متيقنا ان أباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله

فيخلصه من أيديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما اريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكى والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض أفرغ علىّ اليوم صبرا وألج معى روحا منك تؤيدنى به عند هذا الجبار وجعل يقول فى نفسه فرقوا بينى و بين اخوتى باليتهم يعلمون ما لقيت و باليتهم يأتوننى فنقوم جميعا بين يدى هذا الجبار فانا قد كنا تواثقنا على الايمان بالله وأن لا نشرك به أحدا أبدا ولا نفترق فى حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين اريوس وطنطيوس ورأى انه لم يذهب الى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ اريوس وطنطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا أين الكنز الذى وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائى ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدرى ما شأنى وما أقول لكم فقال له أحدهما ممن أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى أنى من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكى ينفلت منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أتظن انا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورق أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب أتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانى لا ظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدته فقال لهم تمليخا أخبرونى عما أسألكم عنه فان أنتم فعلتم صدقتكم عما عندى فقالوا له سل لا نكتمك شيأ قال فما فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك فى الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا انى اذا لحيران وما يصدقنى أحد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وان الملك أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فأتينا الى الكهف الذى فى جبل بنجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشترى لاصحابى طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا معكم كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف أريكم أصحابى فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا أصحابه فانطلق اريوس وطنطيوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى فيه ظنوا انه قد أخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك و يتخوّفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدى الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة اذ هم بأريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمن الطويل وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا اريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس و بيرونس وديموس و بطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم آية تدلهم على

البعث

البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض وأعبدك وأسبح لك تطولت على ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح بيدروس الملك ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة أفسوس فتلقاهم أهلها وساروا معهم نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرحبهم وخروا سجدا على وجوههم وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم - لوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذا هم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه فى منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا فى الزمان الاول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح فى خزانته فدعا باللوح ونظر فى أسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابى فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى حتى أدخل على أصحابى فأبشرهم فانهم ان رأوكم معى أرعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ أوى الفتية الى الكهف أى صاروا الى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أى هداية فى الدين وهيئ لنا أى يسر لنا من أمرنا رشدا أى ما نلتمس منه رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس أى مخرجا من الغار فى سلامة

* قوله سبحانه وتعالى (فضربنا على آذانهم) أى ألقينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (فى الكهف سنين عددا) أى أنمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أى من نومهم (لنعلم) أى علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا (أى الحزبين) أى الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) أى أحفظ لما مكثوا فى كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف * قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أى نقرأ عليك خبر أصحاب الكهف بالحق أى بالصدق (انهم فتية) أى شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أى ايمانا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) أى شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقوّيناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف (اذ قاموا) يعنى بين يدى دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا) أى الفتية (ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها) انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام (لقد قلنا اذا شططا) قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعنى أهل بلدهم (اتخذوا من دونه) أى من دون الله (آلهة) يعنى أصناما

الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (فى الكهف سنين عددا) أى أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد وقيل ذكره يدل على الكثرة فان القليل لا يعد فى العادة (ثم بعثناهم) يعنى من نومهم (لنعلم) أى علم المشاهدة (أى الحزبين) أى الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) وذلك ان أهل القرية تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف واختلفوا فى قوله أحصى لما لبثوا أحفظ لما مكثوا فى كهفهم نياما أمدا أى غاية وقال مجاهد عددا ونصبه على التفسير (نحن نقص عليك) نقرأ عليك (نبأهم) خبر أصحاب الكهف (بالحق) بالصدق (انهم فتية) شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ايمانا وبصيرة (وربطنا) شددنا (على قلوبهم) بالصبر والتثبيت وقوينا هم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف (اذ قاموا) بين يدى دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها) قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاوثان (لقد قلنا اذا شططا) يعنى ان دعونا غير الله لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس جورا وقال قتادة كذبا وأصل الشطط والاشطاط

(لولا) اى هلا (يأتون عليهم) أى على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة واضحة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) وزعم أن له شريكا أو ولدا ثم قال بعضهم لبعض (واذ اعتزلتموهم) يعنى قومكم (وما يعبدون الا الله) قرأ ابن مسعود وما يعبدون من دون الله وأما القراءة المعروفة فمعناها انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاوثان فقال اذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته (فأووا الى الكهف) فالجأوا اليه (ينشر لكم) يبسط لكم (ربكم من رحمته ويهيئ لكم) يسهل لكم (من أمركم مرفقا) أى ما يعود اليه يسركم ورفقكم قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ الاخرون بكسر الميم وفتح الفاء ومعناهما واحد وهو ما يرتفق به الانسان قوله تعالى (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) قرأ ابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاى وتشديد الراء على وزن تحمر وقرأ أهل الكوفة بفتح الزاى خفيفة وألف بعدها وقرأ الاخرون بتشديد الزاى وكلها بمعنى واحد أى تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) أى جانب اليمين (واذا غربت تقرضهم) أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال) أصل القرض القطع (وهم فى فجوة منه) أى متسع من الكهف وجمعها فجوات قال ابن قتيبة كان كهفهم مستقبل بنات نعش لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك قالوا اختار الله لهم مضطجعا فى مقنأة لا تدخل

يعبدونها (لولا) أى هلا (يأتون عليهم) أى على عبادة الاصنام (بسلطان بين) أى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى وزعم أن له شريكا أو ولدا ثم قال بعضهم لبعض (واذ اعتزلتموهم) يعنى قومكم (وما يعبدون الا الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته (فأووا الى الكهف) أى الجؤا اليه (ينشر لكم) أى يبسط لكم (ربكم من رحمته ويهيئ) أى يسهل (لكم من أمركم مرفقا) أى ما يعود اليه يسركم ورفقكم * قوله سبحانه وتعالى (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) أى تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) أى جانب اليمين (واذا غربت تقرضهم) أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) أى متسع من الكهف (ذلك من آيات الله) أى من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقنأة أبدا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أى أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعنى مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم (ومن يضلل) أى ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا) أى معينا (مرشدا) أى يرشده * قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل أحد (أيقاظا) أى منتبهين لان أعينهم مفتحة (وهم رقود) أى نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون فى يوم عاشوراء وقيل كان لهم فى السنة تقليبتان (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلبا أغر وعنه أنه كان فوق الفاطى ودون الكرزى والفلطى كلب صينى وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس فى الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم (بالوصيد) أى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب

علهم الشمس فتؤذيهم بحرها وتغير ألوانهم وهم فى متسع ينالهم برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه وقال بعضهم هذا القول خطأ وهو ان الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم ألا ترى انه قال (ذلك من آيات الله) من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التى يعتبر بها (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل) أى من يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا) معينا (مرشدا) قوله تعالى (وتحسبهم أيقاظا) أى منتبهين جمع يقظ ويقظ (وهم رقود) نيام جمع راقد مثل قاعد وقعود وانما اشتبه حالهم لانهم كانوا مفتحة أعينهم يتنفسون ولا يتكلون (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) مرة قد

للجنب الايمن ومرة للجنب الايسر قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم وقال أبو هريرة كان لهم فى كل سنة تقلبان (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) أكثر أهل التفسير على انه كان من جنس الكلاب وروى عن ابن جريج انه كان أسدا وسمى الاسد كلبا فان النبى صلعم دعا على عتبة بن أبى لهب فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه أسد والاول المعروف قال ابن عباس كان كلبا أغر ويروى عنه فوق الفلطى ودون الكرزى والقلطى كلب صينى وقال مقاتل كان أصفر وقال القرظى كانت شدة صفرته تضرب الى الحمرة وقال الكلبى لونه كالحليج وقيل لون الحجر قال ابن عباس اسمه قطمير وعن على اسمه ريان وقال الاوزاعى يشور وقال السدى يور وقال كعب صهبا قال خالد بن معدان ليس فى الجنة شئ من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام وقوله بالوصيد قال مجاهد والضحاك والوصيد فناء الكهف وقال عطاء الوصيد عتبة الباب وقال السدى الوصيد الباب وهو رواية عكرمة عن ابن عباس فان قيل لم يكن للكهف باب ولا عتبة قيل معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قال السدى كان أصحاب الكهف اذا انقلبوا انقلب الكلب معهم واذا انقلبوا الى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا الى الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها

(لواطلعت عليهم) يامحمد (لوليت منهم فرارا) لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم (ولملئت منهم رعبا) خوفا قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها واختلفوا في ان الرعب كان لماذا قيل من وحشة المكان وقال الكلبي لان أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا شعور وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنه لقد منع ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم قوله تعالى (وكذلك بعثناهم) أي كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يبعثوا للسؤال (قال قائل منهم) وهو رئيسهم مكسلمينا (كم لبثتم) في نومكم وذلك انهم استنكروا طول نومهم ويقال انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا (لبثنا يوما) وذلك انهم دخلوا الكهف غدوة فانتبهوا حين انتبهوا عشية فقالوا لبثنا يوما ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا الى شعورهم وأظفارهم علموا انهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وقيل ان رئيسهم مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) يعني تمليخا قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسرها ومعناهما واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (الى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس فسموها في الاسلام طرسوس (فلينظر أيها أزكى طعاما) أي أحل طعاما حتى لا يكون من غصب أو سبب حرام وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقال الضحاك أطيب طعاما وقال مقاتل بن حيان أجود طعاما وقال عكرمة أكثر وأصل الزكاة الزيادة وقيل أرخص طعاما (فليأتكم برزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (ولا يشعرن) ولا يعلمن (بكم أحدا) من الناس (انهم ان يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قال ابن جريج يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يضربوكم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي الى الكفر (ولن تفلحوا اذا أبدا) ان عدتم اليه قوله عز وجل (وكذلك أعثرنا عليهم) أي اطلعنا (عليهم) يقال عثرت على الشيء اذا اطلعت عليه وأعثرت غيري أي اطلعته (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني أصحاب بيدروس الذين أنكروا البعث (وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم)

قد بسط ذراعيه ووجه عليهم قيل كان يتقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها (لواطلعت عليهم) يامحمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولملئت منهم رعبا) أي خوفا من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كالمتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم * قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعني كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا (كم لبثتم) أي في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا لبثنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم (فابعثوا أحدكم) يعني تمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه الى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام أفسوس (فلينظر أيها أزكى طعاما) أي أحل طعاما وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأرخصه (فليأتكم برزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) أي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (ولا يشعرن) أي ولا يعلمن (بكم أحدا) أي من الناس (انهم ان يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي الكفر (ولن تفلحوا اذا أبدا) أي ان عدتم اليه * قوله عز وجل (وكذلك أعثرنا عليهم) أي أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني قوم بيدروس الذين أنكروا البعث (وأن الساعة لا ريب فيها) أي لا شك فيها انها آتية (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن عباس في البنيان فقال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا

قال ابن عباس يتنازعون فى البنيان فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبنى عليهم بنيانا لانهم من أهل نسبنا وقال عكرمة تنازعوا فى البعث فقال المسلمون البعث للاجساد والارواح وقال قوم للارواح دون الاجساد فبعثهم الله تعالى وأراهم ان البعث للاجساد والارواح وقيل تنازعوا فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) يعنى بيدروس الملك وأصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين بعد ما حكى قول النصارى فقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب) أى ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل هذا فى حق السبعة فقال (ويقولون) يعنى المسلمين (سبعة وثامنهم كلبهم) اختلفوا فى الواو فى قوله وثامنهم قيل تركها وذكرها سواء وقيل هى واو الحكم والتحقيق كأنه حكى اختلافهم وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله وثامنهم كلبهم والثامن لا يكون الا بعد السابع وقيل هذه واو الثمانية وذلك ان العرب تعد فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشره نظيره قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون الى قوله والناهون عن المنكر وقال فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا (قل ربى أعلم بعدتهم) أى بعددهم (ما يعلمهم الا قليل) أى الا قليل من الناس قال ابن عباس أنا من القليل كانوا سبعة وقال محمد بن اسحق كانوا ثمانية وقرأ وثامنهم كلبهم أى حافظهم والصحيح هو الاول وروى عن ابن عباس أنه قال هم مكسلمينا وتمليخا بعضهم ومرطونس وبينونس وسارينونس وذونوانس وكشفيططونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير (فلا تمار فيهم) أى لا تجادل ولا تقل فى عددهم وشأنهم (الا مراء ظاهرا) الا بظاهر ما قصصنا عليك يقول حسبك ما قصصت عليك فلا تزد عليه وقف عنده (ولا تستفت فيهم منهم) من أهل الكتاب (أحدا) أى لا ترجع الى قولهم بعد أن أخبرناك (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) يعنى اذا عزمت على أن تفعل غدا شيأ فلا تقل أفعل غدا حتى تقول ان شاء الله وذلك ان أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى أياما ثم نزلت هذه الآية (واذكر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان الى سنة وجوزه الحسن مادام فى المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد فلا يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالكلام وقال عكرمة معنى الآية واذكر ربك اذا غضبت وقال وهب مكتوب فى الانجيل ابن آدم اذكرنى حين

وقال المشركون نبنى بنيانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم فى البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فأراهم الله آية وأن البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) يعنى بيدروس وأصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا) * قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون) أى وقال العاقب وكان نسطوريا (خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى أولا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب أى ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل ذلك فى السبعة وتخصيص الشئ بالوصف يدل على ان الحال فى الباقى بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وأن يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى فى كونه رجما بالغيب وظنا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه فى الماضى والمستقبل لا يكون الا لله تعالى أو لمن أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا من أولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا (١) ويمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس وذونوانس وكشفيططونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير (فلا تمار فيهم) أى لا تجادل ولا تقل فى عددهم وشأنهم (الا مراء ظاهرا) أى الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه (ولا تستفت فيهم) أى فى أصحاب الكهف (منهم) أى من أهل الكتاب (أحدا) أى لا نرجع الى قول أحد منهم بعد أن أخبرناك قصتهم * قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) يعنى اذا عزمت على فعل شئ غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة فى سورة بنى اسرائيل (واذكر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوزه الحسن مادام فى المجلس وجوزه

(١) قوله مكسلمينا الخ وقع اختلاف كبير فى أسمائهم وذكر فى القاموس فى ذلك ثلاثة أقوال فليراجع

نغضب أذكرك حين أغضب وقال الضحاك والسدى هذا فى الصلاة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنبأنا الحسن بن أحمد المخلدى ثنا عبد الواحد أبو العباس السراج ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها (وقل عسى أن يهدينى ربى لاقرب من هذا رشدا) أى يثبتنى على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل أمر الله نبيه أن يذكره اذا نسى شيأ ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه ويقال هو ان القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عز وجل أن يخبرهم ان الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم فى الحجة وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقال بعضهم هذا شئ أمر أن يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسى الانسان ان شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا قوله عز وجل (ولبثوا فى كهفهم) يعنى أصحاب الكهف قال بعضهم هذا خبر عن أهل الكتاب انهم قالوا ذلك ولو كان خبرا من الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه وهذا قول قتادة ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا فى كهفهم ثم رد الله تعالى عليهم فقال قل الله أعلم بما لبثوا وقال الآخرون هذا اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف وهو الاصح وأما قوله قل الله أعلم بما لبثوا فمعناه ان الامر من مدة لبثهم كما ذكرنا فان نازعوك فيها فأجبهم وقل الله أعلم بما لبثوا أى هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل ان أهل

بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل فى معنى الآية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب فى التوراة والانجيل ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وقيل الآية فى الصلاة يدل عليه ما روى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى أقم الصلوة لذكرى متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتها أن يصليها اذا ذكرها (وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا) أى يثبتنى على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره اذا نسى شيأ ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسى وقيل ان القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا شئ أمره الله أن يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسى الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله ان شاء الله عسى أن يهدينى ربى لاقرب من هذا رشدا * قوله عز وجل (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعنى ان نازعوك فى مدة لبثهم فى الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أى هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعنى بعد قبض أرواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله * فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة * قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل ان عند أهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قمرية (له غيب السموات والارض) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أحوال أهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف (أبصر به وأسمع) معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شئ يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية (مالهم) أى ما لاهل السموات والارض (من دونه) أى من دون الله (من ولى) أى ناصر

الكتاب قالوا ان هذه المدة من لدن دخلوا الكهف الى يومنا هذا ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعنى بعد قبض أرواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله قوله تعالى (ثلثمائة سنين) قرأ حمزة والكسائى ثلثمائة بلا تنوين وقرأ الآخرون بالتنوين فان قيل لم قال ثلثمائة سنين ولم يقل سنة قيل نزل قوله ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين قال الفراء ومن العرب من يضع سنين فى موضع سنة وقيل معناه ولبثوا فى كهفهم سنين ثلثمائة (وازدادوا تسعا) قال الكلبى قالت نصارى نجران أما ثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت (قل الله أعلم بما لبثوا) روى عن على أنه قال عند أهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون فى ثلثمائة تسع سنين فلذلك قال وازدادوا تسعا (له غيب السموات والارض) فالغيب ما يغيب عن ادراك والله عز وجل لا يغيب عن ادراكه شئ (أبصر به وأسمع) أى ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أى لا يغيب عن سمعه وبصره شئ (مالهم) أى ما لاهل السموات والارض (من دونه) أى من دون الله (من ولى) ناصر

(ولا يشرك في حكمه أحدا) قرأ ابن عامر ويعقوب ولا تشرك بالتاء على الخطاب والنهي وقرأ الاخرون بالياء أي لا يشرك الله في حكمه أحدا وقيل الحكم ههنا علم الغيب أي لا يشرك في علم غيبه أحدا قوله عز وجل (واتل) أي واقرأ يا محمد (ما أوحي اليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه (لا مبدل لكلماته) قال الكلبي لا مغير للقرآن وقيل لا مغير لما أوعد بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد) أنت (من دونه) ان لم تتبع القرآن (ملتحدا) قال ابن عباس رضي الله عنهما حرزا وقال الحسن مدخلا وقال مجاهد ملجأ وقيل معدلا وقيل مهربا وأصله من الميل قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوص يشقها وينسجها فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها فان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من أتباعك

الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا فأنزل الله عز وجل واصبر نفسك أي احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون الله لا يريدون به عرضا من الدنيا قال قتادة نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم (ولا تعد) أي لا تصرف ولا تتجاوز (عيناك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الحيوة الدنيا) أي تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلناه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أي في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) ضياعا ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الي من ذلك شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم أي لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر (انا أعتدنا) أي هيأنا لمن تعتاد وهو العدة (للظالمين) أي الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التي تطيف

(ولا يشرك في حكمه أحدا) قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحدا وقيل في قضائه * قوله سبحانه وتعالى (واتل) أي واقرأ يا محمد (ما أوحي اليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل * فان قلت موجب هذا أن لا يتطرق النسخ اليه * قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما أوعد الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) أي من دون الله ان لم تتبع القرآن (ملتحدا) أي ملجأ وحرزا تعدل اليه * قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا فأنزل الله عز وجل واصبر نفسك أي احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعني طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم (ولا تعد) أي لا تصرف ولا تتجاوز (عيناك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الحيوة الدنيا) أي تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلناه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أي في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) قال قتادة ومجاهد ضياعا وقيل معناه ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقال مقاتل بن حيان سرفا وقال الفراء متروكا وقيل باطلا وقيل مخالفا للحق وقال الاخفش مجاوزا للحد قيل معنى التجاوز في الحمد هو قول عيينة ان أسلمنا أسلم الناس وهذا افراط عظيم (وقل الحق من ربكم) أي ما ذكر من الايمان والقرآن معناه قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا أيها الناس الحق من ربكم واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الي من ذلك شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم ولست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم نارا أحاط بكم سرادقها وان آمنتم فلكم ما وصف الله عز وجل لاهل طاعته وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر وهو قوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله (انا أعتدنا) أعددنا وهيأنا من الاعتداد وهو العدة (للظالمين) الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنبأنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلعم انه قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة قال ابن عباس هو حائط من نار وقال الكلبي هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب (وان يستغيثوا من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد ثنا عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلعم قال بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه وقال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت وقال مجاهد هو القيح والدم وسئل ابن مسعود عن المهل فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا ثم قال هذا أشبه شيء بالمهل (يشوي الوجوه) ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب وساءت) النار (مرتفقا) قال (١٧١) ابن عباس منزلا وقال مجاهد مجتمعا

بالفساطيط عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعون سنة أخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) أي من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه أخرجه الترمذي وقال رشدين أحد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب (يشوي الوجوه) أي ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب) أي ذلك الذي يغاثون به (وساءت) أي النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضي الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا وأصل المرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) أي لا نترك أعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم بأعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أي دار اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من تحتهم الانهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان يجري فيه الماء (يحلون فيها من أساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة أساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الرقيق (واستبرق) هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك (فيها) أي في الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهي السرر في الحجال ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم الثواب) أي نعم الجزاء (وحسنت) أي الجنات (مرتفقا) أي مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا جملة ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا * قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الاسود بن عبد الاسد

وقال عطاء مقرا وقال القتيبي مجلسا وأصل المرتفق المتكأ قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) فان قيل أين جواب قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل جوابه قوله أولئك لهم جنات عدن تجري وأما قوله انا لا نضيع فكلام معترض وقيل فيه اضمار ومعناه ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم ثم ذكر الجزاء فقال (أولئك لهم جنات عدن) أي اقامة يقال عدن فلان بالمكان اذا أقام به سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب) قال سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ ويواقيت (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) وهو ما رق من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه وهي الغلظ في ثياب الجنة احكامه وعن أبي عمران الجوني قال السندس هو الديباج المنسوج بالذهب (متكئين فيها) في الجنان (على الارائك) وهي السرر في الحجال واحدتها أريكة (نعم الثواب) أي نعم الجزاء (وحسنت) الجنان (مرتفقا) أي مجلسا ومقرا (واضرب لهم مثلا رجلين) الآية قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد ياليل وكان زوج أم سلمة قبل النبي صلعم والآخر كافر وهو الاسود بن عبد الاسد بن عبد ياليل وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه شبههما برجلين من بني اسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل تمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وقال وهب قطفير وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ما حكى عبد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسما فاشترى أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار فاني أشتري منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم ان صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال

(فأصبح) عن قريب (هشيما) يابسا قاله ابن عباس وقال الضحاك كسيرا والهشيم ما يبس وتفتت من النبات فأصبح هشيما (تذروه الرياح) قال ابن عباس تفرقه الرياح وقال أبو عبيدة مثله وقال القتيبي تنسفه (وكان الله على كل شئ مقتدرا) قادرا (المال والبنون) التي يفتخر بها عيينة وأصحابه الاغنياء (زينة الحيوة الدنيا) ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام (والباقيات الصالحات) اختلفوا فيها فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقد روينا ان النبي صلعم قال أفضل الكلام أربع كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخبرنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد الحنفي أنبأنا أبو بكر محمد بن (١٧٤) الحسين الحيري أخبرنا أبو جعفر عبد الله بن اسمعيل الهاشمي أنبأنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار أنبأنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان عن أبي صالح ثنا أبو لهيعة ثنا دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلعم انه قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يارسول الله قال الملة قيل وما هي يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال سعيد بن جبير ومسروق وابراهيم الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس ويروى هذا عن ابن عباس وعنه رواية أخرى انها الاعمال الصالحة وهو قول قتادة قوله تعالى (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخير أملا) أي ما يؤمله الانسان * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء وفتح الياء الجبال رفع دليله قوله تعالى واذا الجبال سيرت وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء الجبال نصب وسير الجبال نقلها من مكان الى مكان (وترى الارض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات كما قال فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال عطاء هو بروزها في باطنها من الموتى وغيرهم فترى باطن الارض ظاهرا (وحشرناهم) جميعا الى الموقف والحساب (فلم نغادر منهم) أي نترك منهم (أحدا وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وفوجا فوجا لانهم صف واحد وقيل قياما ثم يقال لهم يعني الكفار (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل فرادى كما ذكر في سورة الانعام وقيل غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يوم القيامة يقوله لمنكري البعث أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا احمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن أسد ثنا وهب عن

أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قريب (هشيما) قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه (وكان الله على كل شئ مقتدرا) أي قادرا * قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعني التي يفتخر بها عيينة وأصحابه الاغنياء (زينة الحيوة الدنيا) يعني ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك في الموطأ موقوفا عليه وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الاعمال الصالحة (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخير أملا) أي ما يؤمله الانسان * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هباء منثورا كما يسير السحاب (وترى الارض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروزها في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها (وحشرناهم) يعني جميعا الى موقف الحساب (فلم نغادر منهم أحدا) أي لم نترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وفوجا فوجا لانهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ألا وانه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فأقول سحقا سحقا قوله غرلا أي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا أي بعدا قال بعض العلماء ان المراد

ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلعم قال يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلعم قال انكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وأول من يكسى يوم القيامة ابراهيم وان ناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقول انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن مغلس ببغداد ثنا هرون بن اسحق الهمداني أنبأنا أبو خالد الاحمر عن حاتم بن أبي صغير عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة قال عراة حفاة قالت قلت والنساء قال والنساء قالت

المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (مما فيه) يعني من الاعمال السيئة (ويقولون) يعني اذا رأوها (ياويلتنا) أي ياهلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (الا أحصاها) أي عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم واللمس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لمو بقات الحقير الشيء الصغير التافه وقوله لمو بقات أي مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤاخذ أحدا بجرم لم يعمله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى * قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا) أي واذكر يا محمد اذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على أن الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف

قلت يا رسول الله نستحي قال يا عائشة الامر أشد من ذلك أن يهمهم أن ينظر بعضهم الى بعض قوله تعالى (ووضع الكتاب) يعني كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل معناه يوضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الاعمال السيئة (ويقولون) اذا رأوها (ياويلتنا) ياهلاكنا والويل والويلة الهلكة وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ومعنى النداء تنبيه المخاطبين (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من ذنوبنا قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم واللمس والقبلة والكبيرة الزنا (الا أحصاها) عددها قال السدي كتبها وأثبتها قال مقاتل ابن حيان حفظها أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد ابن هرون الطيسفوني أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام أنبأنا أبو الحسن أحمد بن يسار القرشي ثنا يوسف ابن عدي المصري ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض عن أبي حازم قال لا أعلمه الا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلعم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب لمو بقات قوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا وقال الضحاك لا يؤاخذ أحدا بجرم لم يعمله وقال عبد الله بن قيس يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورفعه بعضهم عن أبي موسى قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يقول واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن

كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس (ففسق) أى خرج (عن أمر ربه) عن طاعة ربه (أفتتخذونه) يعنى يا بنى آدم (وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) أى أعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما اذ أقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون الذرية الا من الزوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين للناس خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع فى موضعه أو يحتبس موضعه واذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر اسم الله فأقول داسم داسم وروى عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد ابن عيسى الجلودى أنبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن خلف الباهلى أنبأنا عبد الاعلى عن سعيد الجريرى عن أبى العلاء ان عثمان بن أبى العاص أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الشيطان قد حال بينى و بين صلاتى و بين قراءتى يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه وانفل على يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى وأخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو كريب محمد بن العلاء أنبأنا أبو معاوية ثنا الاعمش عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سرايا يفتنون الناس فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ قال ثم يجىء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه و بين امرأته قال فيدنيه منه و يقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه قوله تعالى (بئس للظالمين بدلا) قال قتادة بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم (ما أشهدتهم) ما أحضرتهم وقرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون والالف على التعظيم أى أحضرناهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقال الكلبى يعنى الملائكة (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) يقول ما أشهدتهم خلقا فأستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها

للملائكة وقوله أفتتخذونه وذريته فأثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن * وقوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعة ربه (أفتتخذونه) يعنى يا بنى آدم أفتتخذون ابليس (وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) يعنى أعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما اذ أقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد ابن آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجزة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه واذا أكل ولم يسم أكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر فأقول داسم داسم أعوذ بالله منه روى أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء أخرجه الترمذى (م) عن عثمان بن أبى العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بينى و بين صلاتى و بين قراءتى يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه وانفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سرايا فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ ثم يجىء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه و بين امرأته قال فيدنيه منه و يقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه * وقوله (بئس للظالمين بدلا) يعنى بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته * قوله سبحانه وتعالى (ما أشهدتهم) أى ما أحضرتهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) والمعنى ما أشهدتهم خلقها فأستعين بهم على خلقها

(وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى الشياطين الذين يضلون الناس عضدا أى أنصارا وأعوانا قوله تعالى (ويوم يقول) قرأ حمزة بالنون والآخرون بالياء أى يقول الله لهم يوم القيامة (نادوا شركائى) يعنى الاوثان (الذين زعمتم) انهم شركائى (فدعوهم) فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أى لم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعنى بين الاوثان وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وأهل الضلال (موبقا) مهلكا قاله عطاء والضحاك وقال ابن عباس هو واد فى النار وقال مجاهد واد فى جهنم وقال عكرمة هو نهر فى النار يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم قال ابن الاعرابى وكل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك يقال أوبقه أى أهلكه قال الفراء وجعلنا تواصلهم فى الدنيا مهلكا لهم فى الآخرة والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى لقد تقطع بينكم على قراءة من قرأ بالرفع (ورأى المجرمون النار) أى المشركون (فظنوا) أيقنوا (أنهم مواقعوها) داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب قوله تعالى (ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن للناس من كل مثل) أى ليتذكروا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) خصومة فى الباطل قال ابن

عباس أراد النضر بن الحارث

خلقها وأشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين) يعنى الشياطين الذين يضلون الناس (عضدا) يعنى أنصارا وأعوانا * قوله عز وجل (ويوم يقول نادوا) يعنى يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائى) يعنى الاصنام (الذين زعمتم) يعنى انهم شركائى (فدعوهم) أى فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعنى بين الاصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (موبقا) يعنى مهلكا قال ابن عباس هو واد فى النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك (ورأى المجرمون) أى المشركون (النار فظنوا) أى أيقنوا (انهم مواقعوها) أى داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أى معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها * قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا) أى بينا (فى هذا القرآن للناس من كل مثل) أى ليتذكروا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) أى خصومة فى الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجداله فى القرآن وقيل أراد به أبى بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الانسان أكثر شئ جدلا * قوله عز وجل (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) يعنى القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم لم يقدموا على الايمان والاستغفار (الا أن تأتيهم سنة الاولين) يعنى سنتنا فى اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أى عيانا من المقابلة وقيل فجأة * قوله سبحانه وتعالى (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) أى بالثواب على الطاعة (ومنذرين) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) أى ليبطلوا (به الحق) ويزيلوه (واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا) فيه اضمار يعنى اتخذوا ما أنذروا به وهو القرآن استهزاء * قوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر)

وجداله فى القرآن وقال الكلبى أراد به أبى بن خلف الجمحى وقيل المراد من الآية الكفار لقوله تعالى ويجادل الذين كفروا بالباطل وقيل هى على العموم وهذا أصح أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف أنبأنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى أنبأنا على بن الحسين ان الحسين بن على أخبره ان عليا أخبره ان رسول الله صلى طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى ليلة فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله ان أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته

وهو مول يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان أكثر شئ جدلا قوله عز وجل

(ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) القرآن والاسلام والبيان من الله عز وجل وقيل انه الرسول صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين) يعنى سنتنا فى اهلاكهم ان لم يؤمنوا وقيل الا طلب أن تأتيهم سنة الاولين من معاينة العذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أى عيانا من المقابلة وقال مجاهد فجأة وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة قبلا بضم القاف والباء جمع قبيل أى أصناف العذاب نوعا نوعا (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل) ويجادلهم قولهم أبعث الله بشرا رسولا ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وما أشبهه (ليدحضوا) ليبطلوا (به الحق) وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق (واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا) فيه اضمار يعنى وما أنذروا به وهو القرآن هزوا أى استهزاء (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ

أى وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أى تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسى ماقدمت يداه) أى ما عمل من المعاصى من قبل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغطية (أن يفقهوه) يريد لئلا يفهموه (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا وصمما (وان تدعهم) يامحمد (الى الهدى) أى الدين (فلن يهتدوا اذا أبدا) وهذا فى أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربك الغفور) أى البليغ المغفرة (ذو الرحمة) أى الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم) أى يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) أى فى الدنيا (بل لهم موعد) يعنى البعث والحساب (لن يجدوا من دونه موئلا) أى ملجأ (وتلك القرى) يعنى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا) أى كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى أجلا لاهلاكهم * قوله سبحانه وتعالى (واذ قال موسى لفتاه) الآيات أكثر العلماء على ان موسى المذكور فى هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من أولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر فى كتابه العزيز موسى الا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف وهو صاحب موسى وولى عهده بعد وفاته وقيل انه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعنى عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبى بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به قال تأخذ معك حوتا فاجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به فقال له فتاه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه

(بآيات ربه فأعرض عنها) تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسى ماقدمت يداه) أى ماعمل من المعاصى من قبل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغطية (أن يفقهوه) أى يفهموه يريد لئلا يفهموه (وفى آذانهم وقرا) أى صمما وثقلا (وان تدعهم) يامحمد (الى الهدى) الى الدين (فلن يهتدوا اذا أبدا) وهذا فى أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربك الغفور ذو الرحمة) ذو النعمة (لو يؤاخذهم) يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) فى الدنيا (بل لهم موعد) يعنى البعث والحساب (لن يجدوا من دونه موئلا) ملجأ (وتلك القرى أهلكناهم) يعنى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى أجلا قرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام وكذلك فى النمل مهلك أى لوقت هلاكهم وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أى لاهلاكهم قوله تعالى (واذ قال موسى لفتاه

لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) عامة أهل العلم قالوا انه موسى بن عمران وقال بعضهم هو موسى بن ميشا ر أولاد يوسف والاول أصح أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثمة فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به وقال له فتاه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقال موسى ذلك ما كنا نبغ نطلبه فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر عليك السلام وأنى بأرضك السلام فقال له أنا

بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي مائلا فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفي رواية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أي رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث يفقد الحوت زاد في رواية وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير

* قوله سبحانه وتعالى (لا أبرح) أي لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) قيل أراد بحر فارس والروم مما يلي

موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ياموسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل

البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده وقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض قال كان مائلا فقال الخضر بيده فاقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك الى قوله ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى رسول الله فذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله قيل بلى عبدنا الخضر قال يارب وأين قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي

رواية قيل له تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد الحوت فاخذ حوتا فجعله فى مكتل رجعنا الى التفسير قوله واذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون لا أبرح أى لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين قال قتادة بحر فارس وبحر الروم مما يلى المشرق وقال محمد بن كعب طنجة وقال أبى بن كعب أفريقية (أو أمضى حقبا) أى وان كان حقبا أى دهرا طويلا وزمانا وجمعه أحقاب والحقب جمع الحقب قال عبد الله بن عمر والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة حتى انتهيا الى الصخرة التى عند مجمع البحرين ليلا وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيأ الا حيى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله (فلما بلغا) يعنى موسى وفتاه (مجمع بينهما) أى بين البحرين (نسيا) تركا (حوتهما) وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه وأضاف النسيان اليهما لانهما جميعا تزوداه لسفرهما كما يقال خرج القوم الى موضع كذا وحملوا من

الزاد كذا وانما حمله واحد منهم (فاتخذ) أى الحوت (سبيله فى البحر سربا) أى مسلكا

وروى عن أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقال الكلبى توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح فى المكتل من ذلك الماء فعاش ثم وثب فى ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء وهو ذاهب الا يبس وقدر وينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسى صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد قوله تعالى (فلما جاوزا) يعنى ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعنى موسى (لفتاه آتنا غداءنا) أى طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أى تعبا وشدة وذلك انه ألقى على موسى الجوع بعدما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع فى طلبه (قال) يعنى يوشع (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) وهى صخرة كانت بالموضع الموعود (فانى نسيت الحوت) أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسى أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) اى وما انسانى ان اذكر لك امر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعنى وقع الحوت فى البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى فى الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل أى شئ أعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما اكل بعضه * قوله عز وجل (قال) يعنى موسى

المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية (أو أمضى حقبا) يعنى أو أسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة فى المكتل وهو الزنبيل الذى يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التى عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيأ الا حيى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وهاجت ودخلت فى البحر (فلما بلغا) يعنى موسى وفتاه (مجمع بينهما) أى بين البحرين (نسيا) أى تركا (حوتهما) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذى نسيه وانما أضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما أى نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) أى الحوت (سبيله فى البحر سربا) أى مسلكا وروى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقدر وينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسى صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعنى ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعنى موسى (لفتاه آتنا غداءنا) أى طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أى تعبا وشدة وذلك انه ألقى على موسى الجوع بعدما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع فى طلبه (قال) يعنى يوشع (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) وهى صخرة كانت بالموضع الموعود (فانى نسيت الحوت) أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسى أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) اى وما أنسانى ان أذكر لك امر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعنى وقع الحوت فى البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى فى الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل أى شئ أعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما اكل بعضه (قال) يعنى موسى (ذلك موسى (لفتاه آتنا غداءنا) أى طعامنا والغداء ما يعد للاكل غدوة والعشاء ما يعد للاكل عشية (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أى تعبا وشدة وذلك انه ألقى على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى مطلبه (قال) له فتاه يذكره (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) وهى صخرة كانت بالموضع الموعود قال هقل بن زياد هى الصخرة التى دون نهر الزيت (فانى نسيت الحوت) أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره فنسى ان يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد قيل فى الآية اضمار معناه نسيت ان أذكر لك أمر الحوت ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أى وما أنسانى أن أذكر لك أمر الحوت الا الشيطان وقرأ حفص أنسانيه وفى الفتح عليه الله بضم الهاء وقيل معناه أنسانيه لئلا أذكره (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع يقول طفر الحوت الى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجبا وروينا فى الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله فى البحر سربا قال له موسى عجبا كانه قال أعجب عجبا قال ابن زيد أى شئ أعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما أكل بعضه (قال) موسى

(ذلك ما كنا نبغ) أى نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا يقصان الاثر الذى جاآ منه أى يتتبعانه فوجدا عبدا من عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذى جاء فى التواريخ وثبت عن النبى صلعم انه الخضر واسمه بليا بن ملكان قيل كان من نسل نبى اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا فى الدنيا والخضر لقب له سمى بذلك لما أخبرنا أبو على حسان بن سعيد المنيعى أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى انا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلعم انما سمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء قال مجاهد سمى خضر الانه اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وانى بارضك السلام قال أنا موسى أتيتك (١٨١) لتعلمنى مما علمت رشدا وفى رواية أخرى لفيه مسجى بثوب مستلقيا على قفاه بعض الثوب تحت رأسه و بعضه تحت رجليه وفى رواية لقيه وهو يصلى و يروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر فذلك قوله تعالى (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة) أى نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أى علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم (قال له موسى هل أتبعك) يقول جئت لاتبعك وأصحبك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) قرأ أبو عمرو و يعقوب رشدا بفتح الراء والشين وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين أى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الاخبار انه لما قال له موسى هذا قال له الخضر كفى بالتوراة علما و بنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرنى بهذا فحينئذ (قال) له الخضر (انك لن تستطيع معى صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمورا منكرة ولا يجوز للانبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال له (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى علما (قال) موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا أعصى لك أمرا) أى لا أخالفك فيما تأمرنى به (قال فان اتبعتنى) أى فان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألنى عن شئ) أى مما أعمله مما تنكره ولا تعترض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى أبتدئ بذكره فأبين لك شأنه * قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) أى يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركبا فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول أى بغير عوض ولا عطاء فلما لجوا فى البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك

(ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا يقصان الذى جاآ منه و يتبعانه (فوجدا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فى التواريخ انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بنى اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمى به لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمى خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وانى بارضك السلام قال انا موسى أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب أى مغطى بثوب وقوله وانى بارضك السلام معناه من أين بارضك التى أنت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدا عبدا من عبادنا (آتيناه رحمة) أى نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أى علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم * فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه * قلت لا يخلو اما أن يكون الخضر من بنى اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بنى اسرائيل فهو من أمة موسى ولا جائز أن يكون أحد الامة أفضل من نبيها أو أعلى شأنا منه وان كان من غير بنى اسرائيل فقد قال الله تعالى لبنى اسرائيل وانى فضلتكم على العالمين أى على عالمى زمانكم (قال له موسى هل أتبعك) معناه جئت لأصحبك وأتبعك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما و بنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرنى بهذا فحينئذ (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معى صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى علما (قال) موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا أعصى لك أمرا) أى لا أخالفك فيما تأمرنى به (قال فان اتبعتنى) أى فان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألنى عن شئ) أى مما أعمله مما تنكره ولا تعترض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى أبتدئ بذكره فأبين لك شأنه * قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) أى يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركبا فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكنى أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبى بن كعب عن النبى صلعم قال مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما لجوا فى البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من السفينة فذلك قوله

(حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال) له موسى (أخرقتها لتغرق أهلها) قرأ حمزة والكسائي ليغرق بالياء وفتحها وفتح الراء أهلها بالرفع على اللزوم وقرأ الاخرون بالتاء ورفعها وكسر الراء أهلها بالنصب على ان الفعل للخضر (لقد جئت شيأ امرا) أي منكرا والامر في كلام العرب الداهية وأصله كل شئ شديد كثير يقال أمر القوم اذا كثروا واشتد أمرهم وقال القتيبي امرا أي عجبا وروى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرق وروى ان الخضر أخذ قدحا من الزجاج ورقع به خرق السفينة (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسي شيأ آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني) ولا تغشني (من أمري عسرا) وقيل لا تكلفني مشقة يقال أرهقته عسرا أي كلفته ذلك يقول لا تضيق علي أمري وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فرأيا غلمانا يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان أحسنهم وجها وكان وجهه يتوقد حسنا وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وأشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع برأسه وروى انه رضخ رأسه بالحجارة وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث وهو قول الاكثرين قال ابن عباس لم يكن نبي الله يقول أقتلت نفسا زاكية الا وهو صبي لم يبلغ وقال الحسن كان رجلا وقال شعيب الجبائي كان اسمه حيسور قال الكلبي كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى أبويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي انبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج انبا نا عبد الله بن مسلمة بن مغيث ثنا معمر بن سليمان عن ابيه عن رقية بن مصقلة عن ابي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا (قال) موسى (أقتلت نفسا زاكية) قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو زاكية بالالف وقرأ الآخرون زكية قال الكسائي والفراء معناهما واحد مثل القاسية والقسية وقال أبو عمرو بن العلاء الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي أذنبت ثم تابت (بغير نفس) اي لم تقتل نفسا بشئ وجب به عليها القتل (لقد جئت شيأ نكرا) اي منكرا قال قتادة النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لانه كان فيه تغريق جمع كثير قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر ههنا نكرا وفي سورة الطلاق بضم الكاف والآخرون بسكونها (قال) يعني الخضر (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) قيل زاد هنا لك لانه نقض العهد مرتين وفي القصة ان يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه المرة (فلا تصاحبني) وفارقني وقرأ يعقوب فلا تصحبني بغير الف من الصحبة

* قوله تعالى (حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال) يعني موسى له (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا) أي أتيت شيأ عظيما منكرا روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشا به الخرق (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) يعني موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسي شيأ آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني) أي لا تغشني (من أمري عسرا) والمعنى لا تعسر علي متابعتك وسيرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي امري (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فرأيا غلمانا يلعبون فأخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه اخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه واشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى انه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتلت نفسا زاكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه ابواه (ق) عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا فظ مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفسا زاكية) اي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي اذنبت ثم تابت (بغير نفس) اي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل (لقد جئت شيأ نكرا) اي منكرا عظيما وقيل النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيأ انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه (قال) يعني الخضر (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة تؤكيد للتوبيخ فعند هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه قال موسى ان سالتك

(قد بلغت من لدنى عذرا) قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر من لدنى خفيفة النون وقرأ الاخرون بتشديدها قال ابن عباس أى قد أعذرت فيما بينى وبينك وقيل قد حذرتنى انى لا أستطيع معك صبرا وقيل اتضح لك العذر فى مفارقتى أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبانا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن عبد الاعلى القيسى ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله تعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعنى انطاكية وقال ابن سيرين هى الابلة وهى أبعد الارض من السماء وقيل برقة وعن أبى هريرة بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) قال أبى بن كعب عن النبى صلى حتى اذا أتيا أهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروى انهما طافا فى القرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروى انهما طافا فى القوم فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما قال قتادة شر القرى التى لا تضيف الضيف وروى عن أبى هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعوا النسائهم ولعنا رجالهم قوله تعالى (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أى يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها (فأقامه) أى سواه وروى عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فاقامه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده فاستقام وروى عن ابن عباس هدمه ثم قعد يبنيه وقال السدى بل طينا وجعل يبنى الحائط (قال) موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وقرأ الآخرون لتخذت بتشديد التاء وفتح الخاء وهما لغتان مثل اتبع وتبع عليه يعنى على اصلاح الجدار أجرا يعنى جعلا معناه انك قد علمت انا جياع وان أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجرا (قال) الخضر (هذا فراق بينى وبينك) يعنى هذا وقت فراق بينى وبينك وقيل هذا الانكار على ترك الاجر هو المفرق بيننا وقال الزجاج معناه هذا فراق بيننا أى فراق اتصالنا وكرر بين تأكيدا (سأنبئك) أى سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وفى بعض التفاسير ان موسى أخذ بثوبه فقال أخبرنى بمعنى ما عملت قبل أن تفارقنى فقال (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) قال كعب كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيأ فلا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته يعملون فى البحر أى يؤاجرون ويكتسبون بها (فأردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم) أى أمامهم (ملك) كقوله من ورائه جهنم وقيل وراءهم خلفهم وكان رجوعهم فى

سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى أى فارقنى ولا تصاحبنى (قد بلغت من لدنى عذرا) قال ابن عباس أى قد أعذرت فيما بينى وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر فى مفارقتى والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه لولا انه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة أى حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعنى لمته ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بينى وبينك * قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعنى انطاكية وقيل الابلة وهى أبعد الارض من السماء وقيل هى بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) قال أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروى انهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبى هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا النسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التى لا تضيف الضيف (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أى يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة (فأقامه) أى سواه وفى حديث أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه (قال) يعنى موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) يعنى على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت انا جياع وان أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجرا (قال) يعنى الخضر (هذا فراق بينى وبينك) يعنى هذا وقت فراق بينى وبينك (سأنبئك) أى سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرنى بمعنى ما عملت قبل أن تفارقنى فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر أى يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيأ لا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير فى الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أى أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك)

طريقهم عليه والاول أصح يدل عليه قراءة ابن عباس وكان امامهم ملك (يأخذ كل سفينة غصبا) أى كل سفينة صالحة غصبا وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقها وعيبها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى وكان كافرا قال محمد بن اسحق اسمه متوله بن جلندى الازدى وقال شعيب الجبائى اسمه هدد بن بدد وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هى مرت به أن يدعها لعيبها فاذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها قيل سدوها بقار وردوقيل بالقار قوله تعالى (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أى فعلمنا وفى قراءة ابن عباس وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين فخشينا أى فعلمنا (أن يرهقهما) يغشيهما وقال الكلبى يكلفهما (طغيانا وكفرا) قال سعيد بن جبير فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه (فأردنا أن يبدلهما) قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بالتشديد ههنا وفى سورة التحريم والقلم وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان وفرق بعضهم فقال التبديل تغيير الشئ أو تغيير حاله وعين الشئ قائم والابدال رفع الشئ ووضع شئ آخر مكانه (ربهما خيرا منه زكوة) أى صلاحا وتقوى (وأقرب رحما) قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون بجزمها أى عطفا من الرحمة وقيل هو من الرحم والقرابة قال قتادة أى أوصل للرحم وأبر بالديه قال الكلبى أبدلهما الله جارية فتزوجها نبى من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال أبدلهما الله جارية ولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم قال مطرف فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب، قوله تعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) وكان اسمهما اصرم وصريم (وكان تحته كنز لهما) اختلفوا فى ذلك الكنز روى عن أبى الدرداء عن النبى صلعم أنه قال كان ذهبا وفضة وقال عكرمة كان مالا وعن سعيد بن جبير كان الكنز صحفا فيها علم وعن ابن عباس انه قال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما (وكان أبوهما صالحا) قيل ان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب انى لأصلى فاذكر ولدى فأزيد فى صلاتى (فأراد ربك أن يبلغا

أى اما مهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم فى طريقهم عليه والاول أصح (يأخذ كل سفينة غصبا) أى كل سفينة صالحة فخرقها وعيبها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى الازدى وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هى تمر به أن يدعها لعيبها فاذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها * قوله عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أى خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا (أن يرهقهما) أى غشيهما وقيل يكلفهما (طغيانا وكفرا) قيل معناه فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه (فأردنا أن يبدلهما ربهما) الابدال رفع الشئ ووضع آخر مكانه (خيرا منه زكوة) أى صلاحا وتقوى وقيل هو فى مقابلة قوله تعالى أقتلت نفسا زاكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة (وأقرب رحما) أى ويكون المبدل منه أقرب عطفا ورحمة بأبويه بأن يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبى من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذى قتل فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب * قوله سبحانه وتعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) قيل كان اسمهما أصرم وصريم (وكان تحته كنز لهما) روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة أخرجه الترمذى وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه وقيل الكنز اذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما (وكان أبوهما صالحا) قيل ان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته وعشيرته واهل دويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم قال سعيد بن المسيب انى لأصلى فاذكر ولدى فأزيد فى صلاتى قوله عز وجل (فأراد ربك ان يبلغا

أشدهما) أى يدركا و يعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة * فان قلت كيف قال فى الاولى فأردت وفى الثانية فأردنا وفى الثالثة فأراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ * قلت انه لما ذكر العيب أضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فأردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء فى علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح فى مال اليتيمين لاجل صلاح أبيهما أضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الابناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا لله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك أضافه الى الله تعالى (و يستخرجا كنزهما) يعنى اذا بلغا وعقلا وقويا (رحمة من ربك) أى نعمة من ربك (وما فعلته عن أمرى) أى باختيارى ورأيى بل فعلته بأمر الله والهامه اياى لان تنقيص أموال الناس واراقة دمائهم وتغيير أصولهم لا يكون الا بالنص وأمر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحى وذلك للانبياء والصحيح انه ولى لله وليس بنبى وأجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها بأسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى (ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا) أى لم تطق ان تصبر عليه روى ان موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به واختلف العلماء فى ان الخضر أحى أم ميت فقيل انه حى وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة والحكايات فى رؤيته والاجتماع به ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاواه هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب فى حياة الخضر فيما حكى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى وأخطأ ذو القرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده * وقوله عز وجل (و يسئلونك عن ذى القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس كذا صح الرومى وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر الدين فى تفسيره عن أبى الريحان السرورى المنجم فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه أبو كرب سمى بن عير بن ابن افريقيس الحميرى وهو الذى افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدى مسلما * ملكا علا فى الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغى * أسباب ملك من كريم مرشد
فرأى مآب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثأطة حرمد

قوله فرأى مآب الشمس أى ذهاب الشمس وقوله فى عين ذى خلب أى حماة والثأطة الحمأة أيضا والجمع ثأط والحرمد الطين الاسود وقيل سمى ذا القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروى عن على انه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فأحياه الله واختلفوا فى نبوته فقيل كان نبيا و يدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لا يكون الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطفيل سئل على عن ذى القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا

(أشدهما) أى بلغا و يعقلا وقيل ان يدركا شدتهما وقوتهما وقيل ثمان عشرة سنة (و يستخرجا) حينئذ (كنزهما رحمة) نعمة (من ربك وما فعلته عن أمرى) أى باختيارى ورأيى بل فعلته بأمر الله والهامه (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) أى لم تطق عليه صبرا واستطاع واسطاع بمعنى واحد روى ان موسى لما أراد أن يفارقه قال له أوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلفوا فى ان الخضر حى أم ميت قيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل ميت وكان سبب حياته فيما يحكى انه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وذهب آخرون الى انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم حى على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده قوله تعالى (و يسئلونك عن ذى القرنين

قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) خبرا واختلفوا فى نبوّته فقال بعضهم كان نبيا وقال أبو الطفيل سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله وأحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروى ان عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال سميتم باسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاكثرون على انه كان ملكا عادلا صالحا واختلفوا فى سبب تسميته بذى القرنين قال الزهرى لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه كان ملك الروم وفارس وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وقيل لانه كانت له ذؤابتان حسنتان وقيل لانه كان له قرنان تواريهما العمامة وروى أبو الطفيل عن على انه قال سمى ذا القرنين انه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فأحياه الله واختلفوا فى اسمه قيل اسمه (١٨٦) مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس بن

ولكن كان عبدا أحب الله فأحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال تسميتم بأسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم بأسماء الملائكة والاصح الذى عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى أرمينية وبوّب الابواب وبنى السدود انتهى ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذى هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذى القرنين (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أى خبرا يتضمن حاله * قوله سبحانه وتعالى (انا مكنا له فى الارض) أى وطأنا له والتمكين تمهيد الاسباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومده فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذلل له طريقها (وآتيناه من كل شئ) مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سببا) أى علما يتسبب به الى كل ما يريد ويسير به فى أقطار الارض وقيل قربنا له أقطار الارض (فأتبع سببا) أى سلك طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) أى ذات حمأة وهى الطينة السوداء وقرئ حامية أى حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال نجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين وقيل يجوز أن يكون معنى فى عين حمئة أى عندها عين حمئة أو فى رأى العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب فى وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كأنها تغيب فى البحر (ووجد عندها قوما) أى عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية حريحسا سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب أى تغيب (قلنا ياذا القرنين) يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل أن يكون الخطاب على لسان غيره (اما أن تعذب) يعنى تقتل من لم يدخل فى الاسلام (واما أن تتخذ فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين (قال أما

يامليوس الرومى قوله عز وجل (انا مكنا له فى الارض) أوطأنا والتمكين تمهيد الاسباب وقال على سخر له السحاب فحمله عليها ومده له فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكنه فى الارض وهو انه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها (وآتيناه من كل شئ) أى من كل شئ يحتاج اليه الخلق وقيل من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سببا) أى علما يتسبب به الى كل ما يريد ويسير به فى أقطار الارض والسبب ما يوصل به الى الشئ وقال الحسن بلاغا الى حيث أراد وقيل قربنا اليه أقطار الارض (فأتبع سببا) أى سلك وسار طريقا قرأ أهل الحجاز والبصرة فاتبع ثم اتبع موصولا مشددا وقرأ الآخرون بقطع الالف وجزم التاء وقيل معناهما واحد والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الالف فمعناه أدرك ولحق ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار يقال مازات أتبعه حتى اتبعته أى مازلت أسير خلفه حتى لحقته وقوله سببا أى طريقا وقال ابن عباس منزلا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) قرأ أبو جعفر وابو عامر وحمزة والكسائى وابو بكر حامية بالالف غير مهموزة أى حارة وقرأ الآخرون حمئة مهموزا بغير الف أى ذات حمأة وهى الطينة السوداء وسأل معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة ان تغرب الشمس قال نجد فى التوراة انها تغرب فى ماء وطين قال القتيبى يجوز ان يكون معنى قوله فى عين حمئة أى عندها عين حمئة أو فى رأى العين (ووجد عندها قوما) أى عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب (قلنا ياذا القرنين) يستدل بهذا من زعم انه كان نبيا فان الله تعالى خاطبه والاصح انه لم يكن نبيا والمراد منه الالهام (اما أن تعذب) يعنى اما ان تقتلهم ان لم يدخلوا فى الاسلام (واما أن تتخذ فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله بين الامرين (قال أما

من ظلم) كفر (فسوف نعذبه) أى نقتله (ثم يرد الى ربه) فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أى منكرا يعنى بالنار والنار أنكر من القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) قرأ حمزة والكسائى وأبو جعفر ويعقوب جزاء منصوبا منونا أى فله الحسنى جزاء نصب على المصدر وقرأ الآخرون بالرفع على الاضافة والحسنى الجنة واضافة الحسن اليها كما قال ولدار الآخرة خير والدار هى الآخرة وقيل المراد بالحسنى على هذه القراءة الاعمال الصالحة أى له جزاء الاعمال الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا وقال مجاهد يسرا أى معروفا (ثم أتبع سببا) أى سلك طرقا ومنازل (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أى موضع طلوعها (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال قتادة والحسن لم يكن بينهم وبين الشمس ستر وذلك انهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه بناء فكانوا يكونون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقال الحسن كانوا اذا طلعت الشمس يدخلون الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقال الكلبى هم قوم عراة يفترش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى قوله عز وجل (كذلك) قيل معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها والصحيح ان معناه كما حكم فى القوم الذين هم عند مغرب الشمس كذلك حكم فى الذين هم عند طلوع الشمس (وقد أحطنا بما لديه خبرا) يعنى بما عنده ومعه من الجند والعدة والآلات خبرا أى علما (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين)

من ظلم) أى كفر (فسوف نعذبه) أى نقتله (ثم يرد الى ربه) أى فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أى منكرا يعنى بالنار لانها أنكر من القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى جزاء أعماله الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا (ثم أتبع سببا) أى سلك طريقا ومنازل (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قيل انهم كانوا فى مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا فى أسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل انهم كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا فى الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج * قوله سبحانه وتعالى (كذلك) أى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم فى القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم فى القوم الذين عند مغربها وهو الاصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أى علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره * قوله عز وجل (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) هما هنا جبلان فى ناحية الشمال فى منقطع أرض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) أى أمام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا ياذا القرنين) * فان قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون * قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس (ان يأجوج ومأجوج) أصلهما من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها شبهوا به

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص السدين وسدا ههنا بفتح السين وافق حمزة والكسائى فى سدا وقرأ الآخرون بضم السين وفى يس سدا بالفتح حمزة وحفص وقرأ الباقون بالضم منهم من قال هما لغتان معناهما واحد وقال عكرمة ما كان من صنعة بنى آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو سد بالضم وقاله أبو عمرو وقيل السد بالفتح مصدر وبالضم اسم وهما هنا جبلان سد ذو القرنين ما بينهما حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم (وجد من دونهما قوما) يعنى أمام السدين (لا يكادون يفقهون قولا) قرأ حمزة والكسائى يفقهون

بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولا وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف أى لا يفهمون كلام غيرهم قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا ياذا القرنين) فان قيل كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون قيل كلم عنهم مترجم دليله قراءة ابن مسعود لا يكادون يفقهون قولا قال الذين من دونهم ياذا القرنين (ان يأجوج ومأجوج) قرأهما عاصم مهموزين والآخرون بغير همز وهما لغتان أصلهما من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وقيل بالهمز من أجيج النار وبترك الهمز اسمان أعجميان مثل هاروت وماروت وهم من أولاد يافث بن نوح قال الضحاك هم جيل من الترك قال السدى الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس فى رواية عطاء هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء روى عن حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد

حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقيل هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في السماء وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه و يلتحف الاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير ولا كلب الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشارق و بحيرة طبرية وعن علي أنه قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم احتلم (١) ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله له اني باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس و يأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين يارب بأي قوة أكابرهم و بأي جمع أكاثرهم و بأي لسان أناطقهم قال الله عز وجل اني سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك يهديك النور من أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا

لا يحصيه الا الله فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أجوافهم و بيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله في ناسك ثم مضى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الامتين ثم أخذ ناحية الارض اليسرى فأتى تاويل فعمل فيها كعمله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التي في وسط الارض فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش وعددا لهم أنياب وأضراس كالسباع يأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم ولا شك انهم سيملؤن الارض و يظهرون عليها و يفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير قال أعدوا الى الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب كالاظفار في أيدينا وأنياب وأضراس كالسباع ولهم هدب من الشعر في أجسادهم بوارهم و يتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احداهما و يلتحف بالاخرى يصيف في احداهما و يشتو في الاخرى يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذلك ذو القرنين انصرف الى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما فحفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض

لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام و يافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة و يافث أبو الترك والخزر والصقالبة و يأجوج وما جوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه و يلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق و بحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم احتلم (١) ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى اني باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس و يأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين بأي قوة أكابدهم و بأي جمع أكاثرهم و بأي لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى اني سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا

(١) قوله احتلم هذا مردود فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الشيطان والاحتلام من الشيطان اه من هامش

قوله تعالى (مفسدون فى الارض) قال الكلبى فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وأدخلوه أرضهم وقد لقوا منهم أذى شديدا وقتلا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون فى الارض عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) قرأ حمزة والكسائى خراجا بالالف وقرأ الآخرون خرجا بغير ألف وهما لغتان بمعنى واحد أى جعلا وأجرا من أموالنا وقال أبو عمرو الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه وقيل الخراج على الارض والخرج على الرقاب يقال أدخرج رأسك وخراج مدينتك (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أى حاجزا فلا يصلون الينا (قال) لهم ذو القرنين (ما مكنى فيه) قرأ ابن كثير مكننى بنونين ظاهرين وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الادغام أى ما قوانى عليه (ربى خير) من جعلكم (فاعينونى بقوة) معناه انى لا أريد المال بل أعينونى بابدانكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردما) أى سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (آتونى) اعطونى وقرأ أبو بكر ائتونى أى جيئونى (زبر الحديد) أى قطع الحديد واحدتها زبرة فأتوه بها وبالحطب وجعل بعضها على بعض فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد (حتى اذا ساوى بين الصدفين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضم الصاد والدال وجزم أبو بكر الدال وقرأ الآخرون بفتحها وهما الجبلان ساوى أى سوى بين طرفى الجبلين (قال انفخوا) وفى القصة انه جعل النفخ والحطب فى خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعنى فى النار (حتى اذا جعله نارا) أى صار الحديد نارا (قال آتونى) قرأ حمزة وأبو بكر وصلا وقرأ الآخرون بقطع الالف (أفرغ عليه قطرا) أى آتونى قطرا أفرغ عليه والافراغ الصب والقطر هو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس قال قتادة هو كالبر والبحر طريقة سوداء وطريقة حمراء وفى القصة ان عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعة مائتى ذراع وطوله فرسخ

وعدد لا يحصيهم الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم فى مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا فى دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله فى ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله فى الامتين وجند منهم جندا عظيما ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التى فى وسط الارض فلما كان فيما يلى منقطع الترك مما يلى المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذى روح خلق فى الارض وليس بزداد خلق كزيادتهم فلا شك أنهم يتملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير وقال أعدوا لى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع مناهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم هدب شعر يوارى أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف فى واحدة ويشتى فى واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج (مفسدون فى الارض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا حملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه أنهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا وأجرا من الاموال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أى حاجزا فلا يصلون الينا (قال) لهم ذو القرنين (ما مكنى فيه ربى خير) أى ما قوانى به ربى خير من جعلكم (فأعينونى بقوة) يعنى لا أريد منكم المال بل أعينونى بابدانكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردما) أى سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (آتونى) أى اعطونى وقيل جيئونى (١) (زبر الحديد) أى قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى بين طرفى الجبلين (قال انفخوا) يعنى فى النار (حتى اذا جعله نارا) أى صار نارا (قال آتونى أفرغ عليه) أى أصب عليه (قطرا) أى نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من

---

(١) قوله وقيل جيئونى ظاهره انه تفسير لآتونى مقطوع الهمزة ولا يصح انما يصح اذا كان تفسيرا لائتونى موصولها فليتأمل اه

(فما اسطاعوا أن يظهروه) ان يعلوه من فوقه لطوله وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) من أسفله لشدته وصلابته وقرأ حمزة فما اسطاعوا بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال فى الطاء (قال) يعنى ذا القرنين (هذا) أى السد (رحمة) نعمة (من ربى فاذا جاء وعد ربى) قيل القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) قرأ أهل الكوفة دكاء بالمد والهمز أى أرضا ملساء وقرأ الآخرون بلا مد أى جعله مدكوكا مستويا مع وجه الارض (وكان وعد ربى حقا) وروى قتادة عن أبى رافع عن أبى هريرة يرفعه ان يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله واستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فيرجع فيها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا فى اقفائهم فيهلكون وان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أنبأنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن مهران الرازى ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائى عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع (١٩٠) حتى ظننا انه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال ذات غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننا انه فى طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفنى عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه اليمنى طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله فما لبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم (وتركنا

العمل فيه (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى يعلوا عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أى من أسفله لشدته وصلابته (قال) يعنى ذو القرنين (هذا) أى السد (رحمة من ربى) أى نعمة من ربى (فاذا جاء وعد ربى) قيل يعنى يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) أى أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الارض (وكان وعد ربى حقا) (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس أصبعك السبابة فى وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الاخلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كأشد ما كان حتى اذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفى رواية تتحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الارض وعلونا من فى السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا فى رقابهم فيهلكون فوالذى نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا أخرجه الترمذى وقوله قسوة وعتوا أى غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون فى أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج * قوله عز وجل

واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملاه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي ألفا من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وبهذا الاسناد حدثنا مسلم بن الحجاج ثنا علي بن حجر السعدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر والوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الاسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما وقال وهب انهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الخشب والشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنبأنا أحمد أنبأنا أبي أنبأنا ابراهيم عن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج وفي القصة ان ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهرزور وذكر بعضهم ان عمره كان ينفا وثلاثين سنة قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم على بعض كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط انسيهم بجنيهم حيارى (ونفخ في الصور) لان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) في صعيد واحد (وعرضنا) أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) حتى يشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء والغطاء ما يغطى به الشيء ويستره (عن ذكري) يعني عن الايمان والقرآن وعن الهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع القبول والايمان لغلبة الشقاوة عليهم وقيل لا يعقلون وقيل كانوا لا يستطيعون أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله صلعم ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم له كقول الرجل لا أستطيع أن اسمع من فلان شيأ لعداوته (أفحسب) أفظن (الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء) ارباب يريد بالعباد عيسى والملائكة كلا بل هم لهم اعداء ويتبرؤن منهم قال ابن عباس يعني الشياطين اطاعوهم من دون الله وقال مقاتل الاصنام سماها عبادا كما قال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وجواب هذا الاستفهام محذوف قال ابن عباس يريد أني لا اغضب لنفسي يقول افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري اولياء واني لا اغضب لنفسي ولا اعاقبهم وقيل افظنوا انهم ينفعهم ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) اي منزلا قال ابن عباس هي مثواهم وقيل النزل ما يهيأ للضيف يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا) يعني الذين اتعبوا انفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحا فخسر وخاب سعيه واختلفوا فيهم قال ابن عباس وسعد بن ابي وقاص وقال هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان (الذين) حبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب هم أهل حروراء (ضل سعيهم) بطل عملهم واجتهادهم (في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) اي عملا

(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط انسهم بجنهم حيارى (ونفخ في الصور) فيه دليل على ان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) أي في صعيد واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) ليشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء وستر (عن ذكري) أي عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع قبول الايمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له * قوله تعالى (أفحسب) أي أفظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) يعني أرباب يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وأني لا أغضب لنفسي فلا أعاقبهم وقيل معناه أفظنوا انه ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء (انا أعتدنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالنزل للضيف * قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) يعني الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء يعني الخوارج (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم واجتهادهم (في الحيوة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أي عملا ثم وصفهم

(أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت) بطلت (أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا نجعل لهم خطرا وقدرا تقول العرب ما لفلان عندي وزن أي قدر لخسته أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أحمد عن محمد بن يوسف عن محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن عبد الله ثنا سعيد بن مريم أنبأنا المغيرة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قال أبو سعيد الخدري يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة اقدارهم ثم ابتدأ فقال (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي) يعني القرآن (ورسلي هزوا) أي سخرية ومهزوأ بهم قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) زوينا عن أبي هريرة رضي (١٩٢) الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها قال كعب الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش قال الزجاج هو بالرومية منقول الى لفظ العربية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الروضة المستحسنة وقيل هي التي تنبت ضروبا من النبات وجمعه فراديس (نزلا) قيل أي منزلا وقيل ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا ومعنى كانت لهم أي في علم الله قبل أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) لا يطلبون (عنها حولا) أي تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار الى دار اذا لم توافقه الى دار أخرى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزلت وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله قل لو كان البحر مدادا اسمى المداد مدادا لامداده الكاتب وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب (لنفد البحر) أي ماؤه (قبل أن تنفد) قرأ حمزة والكسائي ينفد بالياء لتقدم الفعل والباقون بالتاء (كلمات ربي) أي علمه وحكمه (ولو جئنا بمثله مددا) معناه لو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لنفد البحر ولم تنفد كلمات الله ولو جئنا بمثله مددا بمثل ماء البحر في كثرته مدادا وزيادة نظيره قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (قل انما أنا بشر مثلكم)

فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعني انهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء (فحبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيآت قال أبو سعيد الخدري يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدري بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) يعني سخرية واستهزاء * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) أي لا يطلبون (عنها حولا) أي تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار الى دار اذا لم توافقه الى دار أخرى * قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فأنزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله قل لو كان البحر مدادا اسمى المداد مدادا لامداده الكاتب وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب (لنفد البحر) أي ماؤه (قبل أن تنفد) قرأ حمزة والكسائي ينفد بالياء لتقدم الفعل والباقون بالتاء (كلمات ربي) أي علمه وحكمه (ولو جئنا بمثله مددا) معناه لو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لنفد البحر ولم تنفد كلمات الله ولو جئنا بمثله مددا بمثل ماء البحر في كثرته مدادا وزيادة نظيره قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (قل انما أنا بشر مثلكم)

يوحى الى أنما الهكم اله واحد) قال ابن عباس علم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه فامره الله ان يقر فيقول أنا آدمى مثلكم الا انى خصصت بالوحى وأكرمنى الله به يوحى الى أنما الهكم اله واحد لا شريك له (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى يخاف المصير اليه وقيل يأمل رؤية ربه فالرجاء يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن * ولا كل ما ترجو من الشر واقع

فجمع بين المعنيين (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرائى بعمله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنبأنا أبو نعيم أنا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال سمعت جندبا يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا

قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقر فيقول أنا آدمى مثلكم الا انى خصصت بالوحى وأكرمنى الله به وهو قوله تعالى (يوحى الى أنما إلهكم إله واحد) لا شريك له فى ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا) أى من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرائى بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما ان يراد به الله سبحانه وتعالى والثانى أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب ابن عبد الله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به قوله من سمع سمع الله به أى من عمل عملا مراآة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أى أسمعه المكروه (م) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فأنا منه برىء هو والذى عمله عن سعيد بن أبى فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى منادمن كان يشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه منه فان الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (م) عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة مريم عليها السلام ﴾

هى مكية وهى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم للقرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده (ذكر) أى هذا الذى نتلو عليك ذكر (رحمت ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته (اذ نادى) أى دعا (ربه) فى المحراب (نداء خفيا) أى دعاء سرا من قومه فى جوف الليل وقيل راعى سنة الله فى اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أبى ثنا شعيب قال ثنا الليث عن أبى الهاد عن عمرو عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى فأنا منه برىء هو للذى عمله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنبأنا أبو منصور محمد ابن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا حفص بن عمر ثنا همام عن قتادة عن سالم بن الجعد الغطفانى عن معدان بن أبى طلحة عن أبى الدرداء يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وأخبرنا عبد الواحد المليحى أنبانا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الاسود ثنا ابن لهيعة عن زياد عن سهل هو ابن معاذ عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدميه الى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

﴿ سورة مريم مكية وهى ثمان وتسعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (كهيعص) قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وضده ابن عامر وحمزة وبكسرهما الكسائى وأبو بكر والباقون بفتحهما ويظهر الدال عند الذال من صاد ذكر ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والباقون بالادغام قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل اسم للسورة وقيل هو قسم أقسم الله به وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال الكلبى معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده (ذكر) رفع بالمضمر أى هذا الذى نتلوه عليك ذكر (رحمت ربك) وفيه تقديم وتاخير معناه ذكر ربك (عبده زكريا) برحمته (اذ نادى) دعا (ربه) فى محرابه (نداء خفيا)

سيان لكن الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل فى الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب انى وهن) أى رق وضعف (العظم منى) أى من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشتعل الرأس) أى ابيض الشعر (شيبا) أى شمط (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى عودتنى الاجابة فيما مضى ولم تخيبنى وقيل معناه لما دعوتنى الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان (وانى خفت الموالى من ورائى) أى من بعد موتى والموالى هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أى لا تلد (فهب لى من لدنك وليا) أى اعطنى من عندك ولدا مرضيا (يرثنى ويرث من آل يعقوب) أى وليا ذا رشاد وقيل أراد به يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الحبورة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويبعد من زكريا وهو نبى من الانبياء ان يشفق على ماله أن يرثه بنو عمه وانما خاف أن يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما ان شاهد من بنى اسرائيل تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب رضيا) اى برا تقيا مرضيا * قوله تعالى (يا زكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يا زكريا (انا نبشرك بغلام) اى بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) اى لم يسم احد قبله بيحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه (قال رب أنى يكون لى) اى من اين يكون لى (غلام وكانت امرأتى عاقرا) اى وامرأتى عاقر (وقد بلغت من الكبر عتيا) اى يأسا يريد بذلك تحول الجسم ودقة العظم وتحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) اى يسير (وقد خلقتك من قبل) اى من قبل يحيى (ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية) اى دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) اى علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) اى صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه * قوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب) اى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون

من تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعمله لئلا يضيع الدين وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما (واجعله رب رضيا) أى برا تقيا مرضيا قوله عز وجل (يا زكريا انا نبشرك) وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاءه فقال يا زكريا انا نبشرك (بغلام) بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) قال قتادة والكلبى لم يسم أحد قبله يحيى وقال سعيد بن جبير وعطاء لم نجعل له شبها ومثلا كما قال الله تعالى هل تعلم له سميا أى مثلا والمعنى انه لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وقيل لم يكن له ميل فى أمر النساء لانه كان سيدا وحصورا وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أى لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى انما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى) من أين (يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يبسا وقال قتادة يريد تحول العظم يقال عتا الشيخ يعتو عتيا وعسيا اذا انتهى سنه وكبر وشيخ عات وعاس اذا صار الى حالة اليبس والجفاف وقرأ حمزة والكسائى عتيا وبكيا وصليا وجثيا بكسر أوائلهن والباقون برفعها وهما لغتان (قال كذلك قال ربك هو على هين) يسير (وقد خلقتك) قرأ حمزة والكسائى خلقناك بالنون والالف على التعظيم (من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية) دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس قال مجاهد أى لا يمنعك من الكلام مرض وقيل ثلاث ليال سويا أى متتابعا والاول أصح وفى القصة انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه قوله تعالى (فخرج على قومه من المحراب) وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم زكريا متغير اللون فأنكروه فقالوا مالك يا زكريا

(فأوحى اليهم) قال مجاهد كتب لهم في الارض (أن سبحوا) أي صلوا لله (بكرة) غدوة (وعشيا) معناه انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امر أنه ومنع الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة اشارة قوله عزوجل (يايحيى) قيل فيه حذف معناه وهبنا له يحيى وقلنا له يايحيى (خذ الكتاب) يعنى التوراة (بقوة) بجد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس رضى الله عنهما النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) رحمة من عندنا قال الحطيئة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه شعر (١٩٥) تحنن علي هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

فيدخلون و يصلون اذ خرج اليهم زكريا متغير اللون فأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فأوحى) أي فأوما وأشار (اليهم) وقيل كتب لهم في الارض (أن سبحوا) أي صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة اشارة * قوله عزوجل (يايحيى) فيه اضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يايحيى (خذ الكتاب) أي التوراة (بقوة) أي بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه * فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا * قلت لان أصل النبوة مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) أي رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

تحنن علي هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

أي ترحم علي (وزكوة) قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا في اخلاصه (وكان تقيا) أي مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط (وبرا بوالديه) أي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل و يضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) قيل هو أبلغ من العاصي والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا) معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر و يوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه و يوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط و يوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها * قوله عزوجل (واذكر في الكتاب) أي في القرآن (مريم اذ انتبذت) أي تنحت واعتزلت (من أهلها) أي من قومها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقه تفلي رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) أي فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس أي سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى

أي ترحم (وزكوة) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقال قتادة رضى الله عنه هي العمل الصالح وهو قول الضحاك ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم و يعمل عملا صالحا في اخلاص وقال الكلبي يعنى صدقة تصدق الله بها على أبويه (وكان تقيا) مسلما ومخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولا هم بها (وبرا بوالديه) أي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما (ولم يكن جبارا عصيا) الجبار المتكبر وقيل الجبار الذي يضرب و يقتل على الغضب والعصي العاصي (وسلام عليه) أي سلام له (يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا) قال سفيان ابن عيينة أوحش ما يكون الانسان في هذه الاحوال يوم يولد فيخرج مما كان فيه و يوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم و يوم يبعث حيا فيرى نفسه في محشر لم ير مثله فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن قوله عزوجل (واذكر في الكتاب) في القرآن (مريم اذ انتبذت) تنحت واعتزلت (من أهلها) من قومها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان يوما شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقه تفلي رأسها وقيل كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل قال الحسن ومن ثم اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس رضى الله عنهما سترا وقيل جلست وراء جدارا وقال مقاتل وراء جبل وقال عكرمة ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوى الخلق فذلك قوله

(فأرسلنا اليها روحنا) يعني جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشرا سويا) وقيل المراد بالروح عيسى عليه السلام جاء في صورة بشر فحملت به والاول أصح فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد و (قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) مؤمنا مطيعا فان قيل انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قيل هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم وكذلك ههنا معناه ينبغي أن يكون تقواك مانعا لك من الفجور (قال) لها جبريل (انما أنا رسول ربك لأهب لك) قرأ نافع وأهل البصرة ليهب لك أي ليهب لك ربك وقرأ الآخرون لأهب لك أسند الفعل الى الرسول وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (غلاما زكيا) ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أنى) من أين (يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) لم يقربني زوج (ولم أك بغيا)

فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن هنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك) قيل معناه كما قلت يا مريم ولكن (قال ربك) وقيل هكذا قال ربك (هو علي هين) أي خلق ولد بلا أب (ولنجعله آية) علامة (للناس) دلالة على قدرتنا (ورحمة منا) ونعمة لمن تبعه على دينه (وكان) ذلك (أمرا مقضيا) محكوما مفروغا عنه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل (فحملته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبست وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كم قميصها وقيل في فيها وقيل نفخ جبريل عليه السلام نفخا من بعيد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال (فانتبذت به) أي فلما حملته انتبذت به أي تنحت بالحمل وانفردت (مكانا قصيا) أي بعيدا من أهلها قال ابن

(فأرسلنا اليها روحنا) يعني جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أي سوي الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيأ وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد (قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أي مؤمنا مطيعا الله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها * فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا * قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغي أن تكون تقواك مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك لاهب) أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أنى يكون لي) أي من أين يكون لي (غلام ولم يمسسني بشر) أي ولم يقربني زوج (ولم أك بغيا) أي فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) أي هكذا قال ربك (هو علي هين) أي خلق ولدك بلا أب (ولنجعله آية للناس) أي علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) أي ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرا مقضيا) أي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل * قوله عز وجل (فحملته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام في الحال (فانتبذت به) أي فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت (مكانا قصيا) أي بعيدا من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي بمنة جبل صيهون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد اشد عبادة واجتهادا منهما واول من علم بحمل مريم يوسف فبقي متحيرا في امرها كلما اراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا اراد ان يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به ان قال انه وقع في نفسي من امرك شيء وقد حرصت على كتمانه

عباس رضي الله عنهما أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج فغلبني

واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل كان مدة حملها ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولدت لستة أشهر وقال مقاتل بن سليمان حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى

(فاجاءها) أى ألجأها وجاء بها (المخاض) وهو وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يابسة فى الصحراء فى شدة الشتاء لم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها لتستند اليها وتتمسك بها على وجع الولادة (قالت ياليتنى متّ قبل هذا) تمنت الموت استحياء من الناس وخوف الفضيحة (وكنت نسيا) قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح النون والباقون بكسرها وهما لغتان مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وهو الشئ المنسىّ والنسى فى اللغة كل ما ألقى ونسى ولم يذكر لحقارته (منسيا) أى متروكا قال قتادة شئ لا يعرف ولا يذكر قال عكرمة والضحاك ومجاهد جيفة ملقاة وقيل تعنى لم أخلق (فناداها من تحتها) قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائى وحفص من تحتها بكسر الميم والتاء يعنى جبريل عليه السلام وكانت مريم على أكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها فناداها وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء وأراد جبريل عليه السلام أيضا ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزنى) وهو قول مجاهد والحسن والاول قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والسدى وقتادة والضحاك وجماعة ان المنادى كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألا تحزنى (قد جعل ربك تحتك سريا) والسرى النهر الصغير وقيل تحتك أى جعله الله تحت أمرك ان أمرتيه أن يجرى جرى وان أمرتيه بالامساك أمسك قال

فغلبنى ذلك فرأيت أن أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال أخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر ان الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على كل شئ يقول له كن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنده من النهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا * قوله عزوجل (فأجاءها المخاض) أى ألجأها وجاء بها والمخاض وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يبست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت ياليتنى متّ قبل هذا) تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) يعنى شيأ حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت انها لم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) أى نهرا قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحنت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أى تحت أمرك ان أمرته أن يجرى جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سريا أى عيسى وكان عبدا سريا رفيعا (وهزى اليك) أى حرّكى اليك (بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه قال الربيع ابن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل (فكلى واشربى) أى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر (وقرّى عينا) أى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر أحدا) معناه يسألك عن

ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ضرب جبريل عليه السلام ويقال ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الارض فظهرت عين ماء عذب وجرى وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقال الحسن تحتك سريا يعنى عيسى وكان والله عبدا سريا يعنى رفيعا (وهزى اليك) يعنى قيل لمريم حرّكى (بجذع النخلة) تقول العرب هزه وهز به كما يقول حز رأسه وحز برأسه وأمدد الحبل وأمدد به (تساقط عليك) القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين يعنى تتساقط فأدغمت احدى التاءين فى السين يعنى تسقط عليك النخلة رطبا وخفف حمزة السين وحذف التاء التى أدغمها غيره وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تفاعل وتساقط بمعنى أسقط والتأنيث لاجل النخلة وقرأ يعقوب يساقط بالياء مشددة رده الى الجذع (رطبا جنيا) مجنيا وقيل الجنى هو الذى بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل قوله سبحانه وتعالى (فكلى واشربى) يعنى فكلى يا مريم من الرطب واشربى من ماء النهر (وقرّى عينا) يعنى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك يعنى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك من النظر اليه وقيل أقر الله عينه يعنى أنامها يقال قرّ يقرّ اذا سكن وقيل ان العين اذا بكت من السرور فالدمع بارد واذا بكت من الحزن فالدمع يكون حارا فمن هذا قيل أقر الله عينه وأسخن الله عينه (فاما ترين من البشر أحدا) يعنى ترين فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين معناه فاما ترين من البشر أحدا فسالك عن ولدك

(فقولى انى نذرت للرحمن صوما) يعنى صمتا وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضى الله عنه والصوم فى اللغة الامساك عن الطعام والشراب والكلام قال السدى كان فى بنى اسرائيل من اذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله تعالى أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القدر نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده (فلن أكلم اليوم انسيا) يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس (فأتت به قومها تحمله) وقيل انها ولدته ثم حملته فى الحال الى قومها وقال الكلبى حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبينا وعليه الى غار ومكث أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته مريم عليها السلام الى قومها فكلمها عيسى عليه السلام فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) عظيما منكرا قال أبو عبيدة كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فرى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر فلم أر عبقريا يفرى فريه يعنى يعمل عمله (يا أخت هرون) يريد يا شبيهة هرون قال قتادة وغيره كان هرون رجلا صالحا عابدا فى بنى

ولدك (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الافضل أولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب (فلن أكلم اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس * قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله) قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) أى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بأمر عجيب بديع (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس

(م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوا انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخا مريم لا أبيها وقيل كان من أمثل رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا أخا تميم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشبهوها به (ما كان أبوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بغيا) أى زانية فمن أين لك هذا الولد (فأشارت اليه) أى أشارت مريم الى عيسى أن كلمهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و (قال انى عبد الله) قال وهب أنا هاز كرياء

اسرائيل وروى انه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بنى اسرائيل سوى سائر الناس شبهوها به على معنى انا ظننا انك مثله فى الصلاح وليس المراد منه الاخوة فى النسب كما قال الله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين أى أشباههم

أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد ابن عيسى انا ابراهيم بن محمد ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا ابن ادريس عن أبيه عن سماك ابن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوا انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا سنة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند

سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم وقال الكلبى كان هرون أخا مريم من أبيها وكان أمثل رجل فى بنى اسرائيل وقال السدى انما عنوا به هرون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا أخا تميم وقيل كان هرون رجلا فاسقا فى بنى اسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس رضى الله عنهما زانيا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) أى زانية (فأشارت) مريم (اليه) أى الى عيسى عليه السلام أن كلموه قال ابن عباس رضى الله عنهما لما لم تكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وفى القصة لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا ثم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) أى من هو فى المهد وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان بمعنى هو وقال أبو عبيدة كان صلة أى كيف نكلم صبيا فى المهد وقد يجىء كان حشوا فى الكلام لا معنى له كقوله هل كنت الا بشرا رسولا أى هل أنا قال السدى فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الثدى واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه ف(قال انى عبد الله) وقال وهب أناها زكريا عند ما ضربتها اليهود

فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما وقال مقاتل بل هو يوم ولدني عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لئلا يتخذ الها (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) قيل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا وقيل هذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلعم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون أوتي الانجيل وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال وعن الحسن انه قال ألهم التوراة وهو في بطن أمه (وجعلني مباركا أينما كنت) أي نفاعا حيث ما توجهت وقال مجاهد معلما للخير وقال عطاء ادعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من تبعني (١٩٩) (وأوصاني بالصلوة والزكوة) أي أمرني

عندمناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولدني عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ الها * فان قلت ان الذي اشتدت اليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبودية الله تعالى * قلت كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) قيل معناه سيجعلني نبيا ويؤتيني الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه أوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو في بطن أمه (وجعلني مباركا أينما كنت) معناه اني نفاع أينما توجهت وقيل معلما للخير أدعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعني (وأوصاني بالصلوة والزكوة) أي أمرني بهما وكلفني فعلهما * فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث * قلت ان قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل المراد أوصاه بادائهما في الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغا عاقلا وهذا القول أظهر في سياق قوله (مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه في زمان جميع حياته حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه (وبرا بوالدتي) أي وجعلني برا بوالدتي (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي عاصيا لربي متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبي لين وأنا صغير في نفسي قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب (والسلام علي يوم ولدت) أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أي عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) أي من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أي ذلك الذي قال اني عبد الله هو عيسى ابن مريم (قول الحق) أي هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني بذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذي فيه يمترون) أي يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أي ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك (سبحانه اذا قضى أمرا) أي اذا أراد أن يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) أي لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذي أراده (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعني ولان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أخبرتكم به ان الله أمرني به هو الصراط المستقيم الذي

بهما فان قيل لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة قيل معناه بالزكاة لو كان لي مال وقيل أوصاني بالزكاة أي أمرني ان أوصيكم بالزكاة وقيل بالاستكثار من الخير (مادمت حيا وبرا بوالدتي) أي وجعلني برا بوالدتي (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي عاصيا لربه وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب (والسلام علي يوم ولدت) أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أي عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) من الاهوال فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى ابن مريم) قال الزجاج أي ذلك الذي قال اني عبد الله عيسى ابن مريم (قول الحق) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب قول الحق بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي قال قول الحق (الذي فيه يمترون) يختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول هو الله وقائل يقول هو

ساحر كذاب وقرأ الآخرون برفع اللام يعني هو قول الحق أي هذا الكلام هو قول الحق أضاف القول الى الحق كما قال حق اليقين ووعد الصدق وقيل هو نعت لعيسى ابن مريم يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله والحق هو الله الذي فيه يمترون يشكون ويختلفون ويقولون غير الحق ثم نفى عن نفسه الولد ثم عظم نفسه فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أي ما كان من صفته اتخاذ الولد وقيل اللام منقولة أي ما كان الله أن يتخذ من ولد (سبحانه اذا قضى أمرا) اذا أراد ان يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وان الله بفتح الالف يرجع الى قوله وأوصاني بالصلوة والزكوة وبان الله ربي وربكم وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الالف على الاستئناف (فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

(فقولى انى نذرت للرحمن صوما) يعنى صمتا وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضى الله عنه والصوم فى اللغة الامساك عن الطعام والشراب والكلام قال السدى كان فى بنى اسرائيل من اذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله تعالى أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القدر نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده (فلن أكلم اليوم انسيا) يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس (فأتت به قومها تحمله) وقيل انها ولدته ثم حملته فى الحال الى قومها وقال الكلبى حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبينا وعليه الى غار ومكث أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته مريم عليها السلام الى قومها فكلمها عيسى عليه السلام فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) عظيما منكرا قال أبو عبيدة كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فرى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر فلم أر عبقريا يفرى فريه يعنى يعمل عمله

(يا أخت هرون) يريد يا شبيهة هرون قال قتادة وغيره كان هرون رجلا صالحا عابدا فى بنى اسرائيل وروى انه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بنى اسرائيل سوى سائر الناس شبهوها به على معنى انا ظننا انك مثله فى الصلاح وليس المراد منه الاخوة فى النسب كما قال الله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين أى أشباههم

ولدك (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الافضل أولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب (فلن أكلم اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس * قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله) قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) أى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بأمر عجيب بديع (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوا انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخا مريم لابيها وقيل كان من أمثل رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا أخا تميم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشبهوها به (ما كان أبوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بغيا) أى زانية فمن أين لك هذا الولد (فأشارت اليه) أى أشارت مريم الى عيسى أن كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و (قال انى عبد الله) قال وهب أناها زكرياء عند أبيها وكان أمثل رجل فى بنى اسرائيل وقال السدى انما عنوا به هرون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا أخا تميم وقيل كان هرون رجلا فاسقا فى بنى اسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس رضى الله عنهما زانيا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) أى زانية فمن أين لك هذا الولد (فأشارت) مريم (اليه) أى الى عيسى عليه السلام أن كلموه قال ابن عباس رضى الله عنهما لما لم تكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وفى القصة لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا ثم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) أى من هو فى المهد وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان بمعنى هو وقال أبو عبيدة كان صلة أى كيف نكلم صبيا فى المهد وقد يجىء كان حشوا فى الكلام لا معنى له كقوله هل كنت الا بشرا رسولا أى هل أنا قال السدى فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الثدى واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه فـ(قال انى عبد الله) وقال وهب أناها زكريا عند ما فارتها اليهود

فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما وقال مقاتل بل هو يوم ولد انى عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لئلا يتخذ الها (آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيؤتينى الكتاب ويجعلنى نبيا وقيل هذا اخبار عما كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى صلعم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون أوتى الانجيل وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال وعن الحسن انه قال ألهم التوراة وهو فى بطن أمه (وجعلنى مباركا أينما كنت) أى نفاعا حيث ما توجهت وقال مجاهد معلما للخير وقال عطاء ادعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من تبعنى (١٩٩) (وأوصانى بالصلوة والزكوة) أى أمرنى

عندمناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولد انى عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ الها * فان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفى التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبودية الله تعالى * قلت كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصيل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى (آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتينى الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه أوتى الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو فى بطن أمه (وجعلنى مباركا أينما كنت) معناه انى نفاع أينما توجهت وقيل معلما للخير أدعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعنى (وأوصانى بالصلوة والزكوة) أى أمرنى بهما وكلفنى فعلهما * فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبى حتى يبلغ الحديث * قلت ان قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما فى الحال بل المراد أوصاه بادائهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغا عاقلا وهذا القول أظهر فى سياق قوله (مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه (وبرا بوالدتى) أى وجعلنى برا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) أى عاصيا لربى متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب (والسلام علىّ يوم ولدت) أى السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أى عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) أى من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أى ذلك الذى قال انى عبد الله هو عيسى ابن مريم (قول الحق) أى هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذى فيه يمترون) أى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغى له ذلك (سبحانه اذا قضى أمرا) أى اذا أراد أن يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) أى لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذى أراده (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى وربكم لا رب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أخبرتكم به ان الله أمرنى به هو الصراط المستقيم الذى

بهما فان قيل لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة قيل معناه بالزكاة لو كان لى مال وقيل أوصانى بالزكاة أى أمرنى ان أوصيكم بالزكاة وقيل بالاستكثار من الخير (مادمت حيا وبرا بوالدتى) أى وجعلنى برا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) أى عاصيا لربه وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أى السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أى عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) من الاهوال فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى ابن مريم) قال الزجاج أى ذلك الذى قال انى عبد الله عيسى ابن مريم (قول الحق) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب قول الحق بنصب اللام وهو نصب على المصدر أى قال قول الحق (الذى فيه يمترون) يختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول هو الله وقائل يقول هو

ساحر كذاب وقرأ الآخرون برفع اللام يعنى هو قول الحق أى هذا الكلام هو قول الحق أضاف القول الى الحق كما قال حق اليقين ووعد الصدق وقيل هو نعت لعيسى ابن مريم يعنى ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله والحق هو الله الذى فيه يمترون يشكون ويختلفون ويقولون غير الحق ثم نفى عن نفسه الولد ثم عظم نفسه فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أى ما كان من صفته اتخاذ الولد وقيل اللام منقولة أى ما كان الله أن يتخذ من ولد (سبحانه اذا قضى أمرا) اذا أراد ان يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وان الله بفتح الالف يرجع الى قوله وأوصانى بالصلوة والزكوة وبان الله ربى وربكم وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الالف على الاستئناف (فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

قوله (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعنى النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق فى أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) أى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر انهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا فى الدنيا قال الكلبى لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس الآية (يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أى فى خطأ بين (وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر) فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبى أنا الاعمش أنا أبو صالح عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد ياأهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى ياأهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم يقول ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار خلود فلا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ورواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع عن النضر بن اسمعيل عن الاعمش بهذا الاسناد وزاد فلولا ان الله تعالى قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله تعالى قضى لاهل النار الحياة والبقاء لماتوا ترحا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا معاذ بن أسد أنا عبد الله أنا عمر ابن محمد بن زيد عن أبيه انه حدثه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح فرغ ثم ينادى مناد ياأهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا ابو اليمان انا شعيب انا ابو الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى لا يدخل احد الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار احد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى انا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت انا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى انا الحسين بن الحسن انا ابن المبارك انا يحيى بن عبد الله قال سمعت ابى قال سمعت اباهريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت الا ندم قالوا فما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع

يؤدى الى الجنة (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعنى النصارى سموا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق فى أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة حين (أسمع بهم وأبصر) أى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر انهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) أى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعنى انهم فى الدنيا فى خطأ بين وفى الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون فى الآخرة فى ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين * قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) يعنى خوّف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمى بذلك لان المسىء يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا زاد فى الاحسان يدل عليه ما روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يموت الا ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع أخرجه الترمذى قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشئ الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعنى بيوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناديا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى مناد آخر ياأهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول ياأهل الجنة خلود بلا موت وياأهل النار خلود بلا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد الترمذى فيه فلو ان أحدا مات فرحا مات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا مات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشئ اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بجسم فى صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى برجى له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناد ياأهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخارى * وقوله تعالى (اذ قضى الامر) أى

(وهم فى غفلة) أى عما يفعل بهم فى الآخرة (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون قوله عز وجل (انا نحن نرث الأرض ومن عليها) أى نميت سكان الارض ونهلكهم جميعا ويبقى الرب وحده فيرثهم (والينا يرجعون) فنجزيهم بأعمالهم (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) الصديق الكثير الصدق القائم عليه وقيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث وقام بالاوامر فعمل بها فهو الصديق والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله تعالى اياه قوله تعالى (اذ قال) ابراهيم (لابيه) آزر وهو يعبد الاصنام (يا أبت) (٢٠١) لم تعبد مالا يسمع) صوتا (ولا يبصر) شيأ (ولا يغنى عنك) أى لا يكفيك (شيأ يا أبت انى قد جاءنى من العلم) بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعنى) على دينى (أهدك صراطا سويا) مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا وكان بمعنى الحال أى هو كذلك (يا أبت انى أخاف) أى اعلم (أن يمسك) يصيبك (عذاب من الرحمن) ان أقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) قرينا فى النار (قال) أبوه مجيبا له (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته) لئن لم تسكت وترجع عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها (لارجمنك) قال الكلبى ومقاتل والضحاك لاشتمنك ولا بعدنك عنى بالقول القبيح قال ابن عباس لاضربنك وقال الحسن لاقتلنك بالحجارة (واهجرنى مليا) قال الكلبى اجتنبنى طويلا وقال مجاهد وعكرمة حينا وقال سعيد بن جبير دهرا أصله المكث ومنه يقال تمليت حينا والملوان الليل والنهار وقال قتادة وعطاء سالما وقال

فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت. (وهم فى غفلة) أى عما يراد بهم فى الآخرة (وهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون (انا نحن نرث الارض ومن عليها) أى نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم (والينا يرجعون) فنجزيهم بأعمالهم * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) أى كثير الصدق وهو مبالغة فى كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبى انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله اياه وأى رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لابيه) يعنى آزر وهو يعبد الاصنام (يا أبت لم تعبد مالا يسمع) يعنى صوتا (ولا يبصر) ولا ينظر شيأ (ولا يغنى عنك) أى يكفيك (شيأ) وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح فى الالهية وذلك أن العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا هو (يا أبت انى قد جاءنى من العلم) يعنى بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعنى) أى على دينى (أهدك صراطا سويا) أى مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) أى لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) أى عاصيا (يا أبت انى أخاف) أى أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصر على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى واعلم أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه أولا على مايدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره باتباعه فى الايمان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على مالا ينبغى بقوله انى أخاف (أن يمسك) أى يصيبك (عذاب من الرحمن) أى ان أقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) أى قرينا فى النار وقيل صديقا له فى النار وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لامور أحدها شدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الابوة والرفق به وثانيها أن النبى الهادى الى الحق لا بد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل أحد فالاب أولى (قال) يعنى أبا مجيبا له (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) أى أتاركها أنت وتارك عبادتها (لئن لم تنته) أى ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها (لارجمنك) قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عنى بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرنى) أى اجتنبنى قال ابن عباس اعتزلنى سالما لا يصيبنك منى معرة (مليا) أى دهرا طويلا (قال) يعنى ابراهيم (سلام عليك) أى سلمت منى لا أصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا اسلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربى) قيل انه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربى توبة تنال بها المغفرة (انه كان بى حفيا) أى برا لطيفا والمراد انه يستجيب لى اذا دعوته لانه عودنى الاجابة لدعائى (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أى أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة

ابن عباس اعتزلنى سالما لا تصيبك منى معرة يقال فلان ملى بأمر كذا اذا كان كافيا (قال) ابراهيم (سلام عليك) أى سلمت منى لا أصيبك بمكروه وذلك انه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا اسلام هجران ومفارقة وقيل سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سأستغفر لك ربى) قيل انه لما أعياه أمره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله ان يرزقه التوحيد ويغفر له معناه سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة (انه كان بى حفيا) برا لطيفا قال الكلبى عالما يستجيب لى اذا دعوته قال مجاهد عودنى الاجابة لدعائى (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أى اعتزل ما تعبدون من دون الله قال مقاتل كان اعتزاله اياهم انه فارقهم من كوثى فهاجر منها الى الارض

المقدسة (وادعو ربى) أى اعبد ربى (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) أى عسى ان لا أشقى بدعائه وعبادته كما أنتم تشقون بعبادة الاصنام وقيل عسى أن يجيبنى اذا دعوته ولا يخيبنى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فذهب مهاجرا (وهبنا له) بعد الهجرة (اسحق و يعقوب) آنسنا وحشته من فراقهم وأقررنا عينه بأولاد كرام على الله عز وجل (وكلا جعلنا نبيا) يعنى اسحق و يعقوب (ووهبنا لهم من رحمتنا) أى نعمتنا قال الكلبى المال والولد وهو قول الاكثرين قالوا معناه ما بسط لهم فى الدنيا من سعة الرزق وقيل الكتاب والنبوة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعنى ثناء حسنا رفيعا فى كل أهل الاديان فكلهم

يتولونهم و يثنون عليهم قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) غير مراء

(وأدعو ربى) أى أعبد ربى الذى خلقنى وأنعم على (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) أى أرجو أن لا أشقى بدعاء ربى وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم * قوله عز وجل (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أى ذهب مهاجرا (وهبنا له) أى بعد الهجرة (اسحق و يعقوب) أى آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد أكرم على الله من أبيه (وكلا جعلنا نبيا) أى أنعمنا عليهما بالنبوّة (ووهبنا لهم من رحمتنا) أى مع ما وهبنا لهم من النبوّة وهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم فى الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعنى ثناء حسنا رفيعا فى أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم و يثنون عليهم * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام أى أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح أى مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبى ولا عكس (وناديناه من جانب الطور الايمن) أى من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين و يقال ان اسمه الز بير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودى يا موسى انى أنا الله رب العالمين (وقربناه) قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أى وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أى مناجيا (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى فأجاب الله دعوته وأرسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون أكبر من موسى * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبى صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قيل انه لم يعد شيأ الا وفى به وقيل انه وعد رجلا أن يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح ففى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبى عن الرجل يعد ميعادا الى أى وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده فى وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسمعيل بوادى مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أى مخبرا عن الله تعالى (وكان يأمر أهله) أى قومه وجميع أمته (بالصلوة والزكوة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهى الحنيفية التى افترضت علينا وقيل كان يبدأ باهله فى الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عند ربه مرضيا) أى قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوّته ورسالته وهذا نهاية فى المدح لان المرضى عند الله هو الفائز فى كل طاعة بأعلى الدرجات * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب ادريس) هو جد أبى نوح واسمه اخنوخ سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر فى علم الحساب (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هى الرفعة بعلو المرتبة فى الدنيا

أخلص العبادة والطاعة لله عز وجل وقرأ أهل الكوفة مخلصا بفتح اللام أى مختارا اختاره الله عز وجل وقيل أخلصه الله من الدنس (وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن) يعنى يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين و يقال اسمه الز بير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودى يا موسى انى أنا الله رب العالمين (وقربناه نجيا) أى مناجيا فالنجى المناجى كما يقال جليس ونديم قال ابن عباس معناه قربه فكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وذلك حين دعا موسى فقال واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى فاجاب الله دعاءه وأرسل الى هرون ولذلك سماه هبة له (واذكر فى الكتاب اسمعيل) وهو اسمعيل بن ابراهيم جد النبى صلعم (انه كان صادق الوعد) قال مجاهد لم يعد شيأ الا وفى به وقال مقاتل وعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع اليه الرجل فاقام اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقال الكلبى انتظره حتى حال عليه الحول (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) مخبرا عن الله عز وجل (وكان يأمر أهله) أى قومه وقيل أهله جميع أمته (بالصلوة والزكوة) قال ابن عباس يريد الى افترضها الله تعالى عليهم وهى الحنيفية التى افترضت علينا (وكان عند ربه مرضيا) قائما لله بطاعته قيل رضيه الله عز وجل لنبوّته ورسالته قوله (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو جد أبى نوح واسمه اخنوخ سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الثياب المخيطة وكانوا من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر فى علم النجوم والحساب (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا)

قيل هي الجنة وقيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلعم انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج وكان سبب رفع ادريس على ما قاله كعب وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت فيها يوما واحدا فأصابني المشقة الشديدة من وهج الشمس وأضرني حرها ضررا بليغا فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب ما الذي قضيت فيه حتى خففت عني ما آنا فيه قال ان عبدي ادريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته فقال يارب اجعل بيني و بينه خلة فأذن له حتى أتى ادريس فكان يسأله ادريس فقال له اني أخبرت انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر أجلي فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لي حاجة (٢٠٣) اليك فقال وما هي فقال صديق

وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خلقتني لحر الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب فاجمع بيني و بينه واجعل بيني و بينه خلة فأذن له حتى أتى ادريس فكان مما سأله أن قال اني أخبرت انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر أجلي لعلي أزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له لي اليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن ان أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك فقال لا أجده يموت الا عند مطلع الشمس قال اني أتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من عمر ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فأوحى الله اليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس لي اليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لأنظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال أريد أن أسأل مالكا أن يرفع أبوابها فأردها ففعل قال فكما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح فتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها فأنا وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله تعالى الى ملك الموت باني دخل الجنة و بأمري لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى

لي من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله قال ليس ذلك الي ولكن ان أحببت أعلمته أجله متى يموت فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال لا أجده يموت الا عند مطلع الشمس قال فاني اتيتك وتركته هناك قال فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من أجل ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا واختلفوا في انه حي في السماء أم ميت فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا أربعة من الانبياء في الاحياء اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السماء ادريس وعيسى وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه عز وجل في زيارته فأذن له فأتاه في

صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره ادريس فقال له في الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من أنت فقال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك قال فلي اليك حاجة قال ما هي قال تقبض روحي فأوحى الله اليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة قال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وغمه لأكون أشد استعدادا له ثم قال ادريس له ان لي اليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لأنظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله في رفعه فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى قال وما تريد قال تسأل مالكا حتى يفتح لي أبوابها فأردها ففعل ثم قال فكما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم

منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله انى ملك الموت باذنى دخل الجنة و بأمرى لا يخرج فهو حى هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) أى ادريس ونوحا (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يريد اسمعيل واسحق و يعقوب قوله (واسرائيل) أى ومن ذرية اسرائيل وهم موسى وهرون و زكريا و يحيى (وممن هدينا واجتبينا) هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا و بكيا) سجدا جمع ساجد و بكيا جمع باك أخبر الله ان الانبياء كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا و بكوا قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف) أى من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح و بالجزم الطالح قال السدى أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال مجاهد وقتادة هم قوم فى هذه الامة (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس (واتبعوا الشهوات) أى المعاصى وشرب الخمر أى آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون فى آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض فى الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن وهب الغى نهر فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه وقال ابن عباس الغى واد فى جهنم وان أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزانى المصر عليه واشارب الخمر المدمن عليها ولآكل الربا الذى لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة أدخلت على زوجها ولدا وقال عطاء الغى واد فى جهنم يسيل قيحا ودما وقال كعب هو واد فى جهنم أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا محمد بن أحمد الحارثى أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن هشيم بن بشير أنا زكريا ابن أبى مريم الخزاعى قال سمعت أبا أمامة الباهلى يقول ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوى أو قال صخرة تهوى عظمها كعشر عشر وات سمان فقال له مولى لعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد هل تحت ذلك شئ يا أبا أمامة قال نعم غى وآثام وقال الضحاك غيا خسرانا وقيل هلاكا وقيل عذابا وقوله فسوف يلقون غيا ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية (الا من تاب وآمن وعمل صالحا)

ورفعناه مكانا عليا واختلفوا فى انه حى فى السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حى واستدل بهذا وقالوا أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى الارض وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما ادريس وعيسى * قوله عز وجل (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أولئك اشارة الى المذكورين فى هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعنى ادريس ونوحا (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يعنى اسحق واسمعيل و يعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى أحوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (وممن هدينا واجتبينا) أى هؤلاء ممن أرشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (و بكيا) جمع باك أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا و بكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

﴿ فصل ﴾ وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة ألم السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك * قوله تعالى (فخلف من بعدهم) أى من بعد النبيين المذكورين (خلف) أى قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم فى هذه الامة (أضاعوا الصلوة) أى تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخروها عن وقتها وهو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تأتى المغرب (واتبعوا الشهوات) أى آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصى وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون فى آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض فى الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغى واد فى جهنم وان أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزانى المصر عليه واشارب الخمر المدمن عليها ولآكل الربا الذى لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد فى جهنم أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية * قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يعنى الا من تاب من التقصير فى الصلوات والمعاصى وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى

(فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ) أي لا ينقصون شيأ ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي انهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده مأتيا) أي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا وفحشا وهو فضول الكلام (الا سلاما) يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كما دتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتى به بالبكرة والعشي فوصف الله تعالى الجنة بذلك وقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباده * قوله عز وجل (وما نتنزل الا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علي حتى ساءظني واشتقت اليك فقال له جبريل وانى كنت أشوق اليك ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك وأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى * وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل أكد ذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ما مضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أي ما بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما

لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي فوصف الله عز وجل أهل جنته بذلك (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباده (وما نتنزل الا بأمر ربك) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا خلاد ابن يحيى أنا عمر بن ذر قال سمعت أبي يحدث عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علي حتى ساءظني واشتقت اليك فقال له جبريل انى كنت أشوق اليك ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله وما نتنزل الا بأمر ربك وأنزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي له علم ما بين أيدينا واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك أي ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل ما بين أيدينا من الارض اذا أردنا النزول اليها وما خلفنا السماء اذا نزلنا منها وما بين ذلك الهواء يريد ان ذلك كله لله عز وجل فلا نقدر على شيء الا بأمره

(وما كان ربك نسيا) أى ناسيا يقول ما نسيك ربك أى ما تركك والناسى التارك (رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) أى اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس رضى الله عنهما مثلا وقال سعيد بن جبير عدلا وقال الكلبى هل تعلم أحدا يسمى الله غيره (ويقول الانسان) يعنى أبى بن خلف الجمحى كان منكرا للبعث قال (أئذا مامت لسوف أخرج حيا) من القبر قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله عز وجل (أولا يذكر) أى يتذكر ويتفكر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف (الانسان) يعنى أبى بن خلف (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) أى لا يتفكر هذا الجاحد فى بدء خلقه فيستدل به على الاعادة ثم أقسم بنفسه فقال (فوربك لنحشرنهم) أى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطانه فى سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم) قيل فى جهنم (جثيا) قال ابن عباس رضى الله عنه جماعات جمع جثوة وقال الحسن والضحاك جمع جاث أى جاثين على الركب قال السدى قائمين على الركب لضيق المكان (ثم لننزعن) لنخرجن (من كل شيعة) أى من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا)

خلقناه ما مضى منها وما بين ذلك أى مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) أى ناسيا أى ما نسيك ربك وما تركك (رب السموات والارض وما بينهما) أى من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد أن يدبر أحوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) أى اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله * قوله تعالى (ويقول الانسان) أى جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو أبى بن خلف الجمحى وكان منكرا للبعث (أئذا مامت لسوف أخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى (أولا يذكر الانسان) أى يتذكر ويتفكر يعنى منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد فى بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولا ثم أقسم بنفسه فقال تعالى (فوربك) وفيه تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) أى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أى مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل * فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية * قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة فى مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الامور التى لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) أى لنخرجن (من كل شيعة) أى من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعنى جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم فى الشرك والمعنى أنه يقدم فى ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو أكبر جرما وأشد كفرا وفى بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان أشد منهم تمردا فى كفره خص بعذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره فى الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال فى جميعهم (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ولا يقال اولى الامم اشتراك القوم فى العذاب وقيل معنى الآية انهم احق بدخول النار * قوله عز وجل (وان منكم الا واردها) اى وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر أى والله

عتوا قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى جرأة وقال مجاهد فجورا يريد الاعتى فالاعتى وقال الكلبى قائدهم ورأسهم فى الشر يريد انه يقدم فى ادخال النار من هو أكبر جرما وأشد كفرا وفى بعض الآثار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر ورفع أيهم على معنى الذى يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا وقيل على الاستئناف ثم لننزعن يعمل فى موضع من كل شيعة (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أى أحق بدخول النار يقال صلى يصلى صليا مثل لقى يلقى لقيا وصلى يصلى صليا مثل مضى يمضى مضيا اذا دخل النار وقاسى حرها (وان منكم الا واردها) أى وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر أى والله ما منكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا فى معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية فى قوله واردها قال ابن عباس رضى الله عنه وهو قول الاكثرين معنى الورود ههنا هو الدخول والكناية راجعة الى النار وقالوا النار يدخلها البر والفاجر ثم ينجى الله المتقين فيخرجهم منها والدليل على ان الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار ان نافع بن الازرق مارى ابن عباس رضى الله عنهما فى الورود فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها وأنا أرجو أن يخرجنى الله منها وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا النار لا يدخلها مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وقالوا كل من دخلها لا يخرج منها والمراد من قوله وان منكم الا واردها الحضور والرؤية لا الدخول كما

قال تعالى ولما وردماء مدين أراد به الحضور وقال عكرمة الاية فى الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال وان منكم الا واردها يعنى القيامة والكناية راجعة اليها والاول أصح وعليه أهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا أى اتقوا الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت وقرأ الكسائى و يعقوب ننجى بالتخفيف والآخرون بالتشديد والدليل على هذا ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب ابن أحمد الطوسى أنا عبد الرحيم بن منيب أنا سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى

ما منكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا فى معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية فى قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود ههنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجى الله الذين اتقوا منها يدل عليه ما روى أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فى الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله أنا وأنت سنردها وأنا أرجو أن يخرجنى الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر * فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها * قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون و يحتمل أن الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت فى حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها * فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار * قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذى على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور وقال عكرمة الآية فى الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال وان منكم الا واردها يعنى القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول أصح وعليه أهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا أى الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفى رواية فيلج النار الا تحلة القسم أخرجاه فى الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها (م) عن أم مبشر الانصارية أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهى خامدة وفى الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وروى عن مجاهد فى قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قوله فيح جهنم أى وهجها وحرها * وقوله تعالى

الله عليه وسلم لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم وأراد بالقسم قوله وان منكم الا واردها أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا مسلم بن ابراهيم أنا هشام أنا قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير و يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة من خير و يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير وقال أبان عن قتادة من ايمان مكان خير أخبرنا أبو المظفر محمد بن اسمعيل بن على الشجاعى أنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجانى أنا أبو عثمان عمر بن عبد الله البصرى أنا محمد بن عبد الوهاب أنا محمد ابن الفضل أبو النعمان أنا سلام ابن مسكين أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا فى النار ينادى ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فأتنى بعبدى هذا قال فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبين يبكون قال فرجع فاخبر ربه عز وجل قال اذهب فانه فى موضع كذا وكذا قال فجاءه قال يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك قال يا رب شر مكان وشر مقيل قال ردوا عبدى قال ما كنت أرجو أن تعيدنى اليها اذ أخرجتنى منها قال الله تعالى للملائكته دعوا عبدى واما قوله عز وجل لا يسمعون حسيسها قيل ان الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم فى الجنة انهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لانه لم يقل لم يسمعوا حسيسها و يجوز أن لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم اياها لان الله عز وجل يجعلها عليهم بردا وسلاما وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهى خامدة وفى الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وروى عن مجاهد فى قوله عز وجل وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ

المؤمن من النار أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن المثنى أنا يحيى عن هشام أخبرني أبي عن عائشة عن النبي صلعم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودكم جهنم حتما لازما مقضيا قضاه الله عليكم (ثم ننجي الذين اتقوا) أي اتقوا الشرك وقرأ الكسائي ننجي بالتخفيف والباقون بالتشديد (ونذر الظالمين فيها جثيا) جميعا وقيل جاثين على الركب وفيه دليل على ان الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين وترك فيها الظالمين وهم المشركون أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي ان أبا هريرة أخبرهما ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة (٢٠٨) قال هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب فقالوا لا يا رسول الله قال فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيأ فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت ويبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون أول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرجه ممن كان يشهد أن لا اله الا الله أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار

(كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورود جهنم قضاء لازما قضاه الله تعالى عليكم وأوجبه (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم في أن صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل أن الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فبقي في النار أبدا وأجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك بقول لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي توهموها دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت احاديث تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيأ فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت العهود والمواثيق ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلك ان تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت

المواثيق ان تاكل أثر السجود فكل ابن آدم تأكله النار الا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان فعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء الله من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله ان يسكت ثم قال يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى أليس قد أعطيت العهود والميثاق ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلك ان تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت

ما شاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد اعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فاذا ضحك أذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطع أمنيته قال الله تعالى تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد لابي هريرة ان رسول الله صلعم قال قال الله تعالى لك ذلك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلعم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد اني سمعته يقول ذلك لك وعشرة أمثاله ورواه محمد بن اسمعيل عن محمود بن غيلان أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة بمعناه فقال فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا (٢٠٩) مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد ابن الحسين الحيري أنا حاجب ابن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلعم يعذب أناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت القثاء في حميل السيل ثم يدخلون الجنة أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي ابن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أنا هناد بن السري أنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم اني لاعرف آخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج منها زحفا فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول يارب قد أخذ الناس المنازل فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول نعم فيقال له تمن قال فيتمنى فيقال له فان لك الذي تمنيته وعشرة أضعاف الدنيا قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك الجبار قال فلقد رأيت رسول الله صلعم ضحك حتى بدت نواجذه أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن حسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة انها قالت قال رسول الله صلعم اني لارجو أن لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية قالت قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال فلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (واذا تتلى عليهم آياتنا

المواثيق والعهود أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته قال الله تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لابي هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضي الله تعالى عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه * قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة ق والقيامة ونتكلم ههنا على شرح غريب ألفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال أوبقته الذنوب أي أهلكته والمنجدل المرمى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا أي احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه قوله قشبني ريحها أي آذاني والقشب السم فكأنه قال قد سمني ريحها قوله وأحرقني ذكاؤها أي اشتعالها ولهبها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي أضراسه وأنيابه وقيل هي آخر الاسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حمالة السيل أخرجه الترمذي الحم الفحم والحمالة كل ما جاء به السيل فدلت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون * قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا

بينات) واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وذويه من قريش (للذين آمنوا) يعني فقراء أصحاب النبي صلعم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون ثيابهم فقالوا للمؤمنين (أي الفريقين خير مقاما) منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة وقرأ ابن كثير مقاما بضم الميم أي اقامة (وأحسن نديا) أي مجلسا ومتسلها النادي فأجابهم الله تعالى فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) أي متاعا وأموالا وقال مقاتل لباسا وثيابا (ورئيا) قرأ أكثر القراء بالهمز أي منظرا من الرؤية وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش رياً مشددا بغير همز وله تفسيران أحدهما هو الاول بطرح الهمز والثاني من الري الذي هو ضد العطش ومعناه الارتواء من النعمة فان المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة والفقير يظهر عليه ذبول الفقر (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب) وهو الاسر والقتل في الدنيا (واما الساعة) يعني القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) عند ذلك (من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أقل ناصرا أهم أم المؤمنون لانهم في النار والمؤمنون في الجنة وهذا رد عليهم في قوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي ايمانا وايقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) الاذكار والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) عاقبة ومرجعا قوله (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عمر بن حفص انا ابي انا الاعمش عن مسلم عن مسروق حدثنا خباب قال كنت قينا فعملت للعاص ابن وائل فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت أما والله حتى تموت ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت نعم قال انه سيكون لي ثم مال وولد فأقضيك فأنزل الله عز وجل أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا (أطلع الغيب) قال ابن عباس أنظر في اللوح المحفوظ وقال مجاهد أعلم الغيب حتى يعلم في الجنة هو أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني قال لا اله الا الله وقال قتادة يعني أعمل عملا صالحا قدمه وقال الكلبي اعهد اليه ان يدخل الجنة (كلا) رد عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب) سنحفظ عليه (ما يقول) فنجازيه به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (ونمد له من العذاب مدا) اى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه ما يقول) اى ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقوله ما يقول لانه زعم ان له مالا وولدا في الآخرة اى لا نعطيه ونعطي غيره فيكون الارث راجعا الى ما تحت القول لا الى نفس القول وقيل معنى قوله ونرثه ما يقول اى نحفظ ما يقول حتى نجازيه به (ويأتينا فردا) يوم القيامة بلا مال ولا ولد (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) اى منعة يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب

بينات) أي دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (للذين آمنوا) يعني فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أفخر ثيابهم (أي الفريقين خير مقاما) أي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة (وأحسن نديا) أي مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) أي متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا (ورئيا) أي منظرا من الرؤية (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب) اى الاسر والقتل في الدنيا (واما الساعة) يعني القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) اى عند ذلك (من هو شر مكانا) أي منزلا (وأضعف جندا) أي أقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أهم خير وهم في النار أم المؤمنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا * قوله تعالى (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي ايمانا وايقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) أي الاذكار والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أي عاقبة ومرجعا * قوله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب ابن الارت قال كنت رجلا قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين فأتيته أتقاضاه وفي رواية فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفا فجئته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت أفرأيت الذي كفر بآياتنا (وقال لأوتين مالا وولدا) الى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر في اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو في الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعني عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة (كلا) رد عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب ما يقول) أي سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الآخرة وقيل يأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (ونمد له من العذاب مدا) أي نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه ما يقول) معناه أي ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل يزول عنه ما عنده من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله (ويأتينا) يعني يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح أن يبعث في الآخرة بمال وولد * قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكونوا لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب

(كلا) اى ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) اى يجحدون الاصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم كما اخبر الله تعالى تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون (ويكونون عليهم ضدا) اى اعداء لهم وكانوا أولياء هم فى الدنيا وقيل اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطناهم عليهم وذلك حين قال لا بليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك الآية (تؤزهم أزا) تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والازواز هز التحريك أى تحركهم وتحثهم على المعاصى (فلا تعجل عليهم) أى لا تطلب عقوبتهم (انما نعد لهم عدا) قال الكلبى يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسون بها فى الدنيا الى الاجل الذى أجل لعذابهم قوله (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى اذكرهم يا محمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى الرحمن أى الى جنته وفدا أى جماعات جمع وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وقال ابن عباس ركبانا وقال أبو هريرة على الابل (٢١١) وقال على بن أبى طالب مايحشرون والله

(كلا) أى ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعنى تجحد الاصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) أى أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداءهم وكانوا أولياءهم فى الدنيا * قوله عز وجل (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطناهم عليهم (تؤزهم أزا) أى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصى تحريضا شديدا وفى الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) اى لا تعجل بطلب عقوبتهم (انما نعد لهم عدا) يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسونها فى الدنيا الى الاجل الذى اجل لعذابهم * قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) اى اذكرهم يا محمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى جنته وفدا أى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال أبو هريرة على الابل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه مايحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) أى الكافرين (الى جهنم وردا) أى مشاة قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذى * قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا من قال لا اله الا الله أى لا يشفع الا للمؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيأ ادا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما (تكاد السموات ينفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) أى تخسف بهم (وتخر الجبال هدا) أى تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أى من أجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) * فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات * قلت فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها ولا حلمى وانى لا اعجل بالعقوبة الثانى ان

على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) الكافرين الكاذبين (الى جهنم وردا) أى مشاة وقيل عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء الا بعد عطش (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا اله الا الله وقيل معناه لا يشفع الشافعون الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا يعنى المؤمنين كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى من رسول وقيل لا يشفع الا من شهد أن لا اله الا الله أى لا يشفع الا المؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله وقرأ حمزة والكسائى ولدا بضم الواو وسكون اللام ههنا وفى الزخرف وسورة نوح ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فى سورة نوح والباقون بفتح الواو واللام ههنا وهما لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم (لقد جئتم شيأ ادا) قال ابن عباس منكرا وقال قتادة ومجاهد عظيما وقال مقاتل لقد قلتم قولا عظيما والادفى كلام العرب أعظم الدواهى (تكاد السموات) قرأ نافع والكسائى يكاد بالياء ههنا وفى حمعسق لتقدم الفعل وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات (ينفطرن منه) ها هنا وفى حمعسق بالنون من الانفطار أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب وافق ابن عامر وحمزة ههنا لقوله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر وقرأ الباقون بالتاء من التفطر ومعناهما واحد يقال انفطر الشئ وتفطر أى تشقق (وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) أى تنكسر كسرا وقيل تنشق الارض أى تخسف بهم والانفطار فى السماء أن تسقط عليهم وتخر الجبال هدا أى تنطبق عليهم (أن دعوا) أى من أجل أن جعلوا (للرحمن ولدا) قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا الله ولدا ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال

(وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به (ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن) أي الا آتيه يوم القيامة (عبدا) ذليلا خاضعا يعني الخلق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شئ (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وحيدا ليس معه من الدنيا شئ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قال مجاهد يحبهم الله ويحببهم الى عباده المؤمنين أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله العبد قال لجبرائيل قد أحببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في أهل السماء ان الله عز وجل قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض العبد قال مالك لا أحسبه الا قال في البغض مثل ذلك قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب أهل الايمان اليه حتى يرزقه مودتهم (فانما يسرناه بلسانك) أي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذر به قوما لدا) شدادا في الخصومة جمع الألد وقال الحسن صما عن الحق قال مجاهد الألد الظالم الذي لا يستقيم قال أبو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس) هل ترى وقيل هل تجد (منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي صوتا والركز الصوت الخفي قال الحسن أي بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر

﴿سورة طه﴾

مكية وهي مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني والهاء أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أويس حدثني أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة التي ذكرت فيها البقرة من كنز تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة (طه) قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء ويكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر والباقون بفتحهما قيل هو قسم وقيل

يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد أن يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) اي آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شئ من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أي وحيدا ليس معه من أحوال الدنيا شئ * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اي محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا * قوله تعالى (فانما يسرناه) اي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذر به) اي بالقرآن (قوما لدا) اي شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وأيقنوا انه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو تسمع لهم ركزا) اي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا لم يبق منهم عين ولا اثر والله اعلم بمراده واسراركتابه

﴿تفسير سورة طه﴾

وهي مكية وهي مائة واربعة وقيل خمس وثلاثون آية والف وستمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من ألواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من اسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر

اسم من أسماء الله تعالى وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك معناه يا رجل وقال قتادة هو يا رجل بالسريانية وقال الكلبي هو يا انسان بلغة عكل وقال مقاتل معناه طأ الارض بقدميك يريد في التهجد وقال محمد بن كعب القرظي هو قسم أقسم الله عز وجل بطوله وهدايته قال سعيد بن جبير الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هاد قال الكلبي لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي لتتعنى وتتعب وأصل الشقاء في اللغة العناء (الا تذكرة لمن يخشى) أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى وقيل تقديره ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه الا تذكرة لمن يخشى (تنزيلا) بدل من قوله تذكرة (ممن خلق الارض) اى من الله الذى خلق الارض (والسموات العلى) يعنى العالية الرفيعة وهى جمع العليا كفعلى كبرى وكبر وصغرى وصغر (الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما) يعنى الهواء (وما تحت الثرى) والثرى هو التراب الندى قال الضحاك يعنى ما وارى الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على متن بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكر الله تعالى فى قصة لقمان فتكن فى صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله عز وجل البحار بحرا واحدا سالت فى جوف ذلك الثور فاذا وقعت فى جوفه يبست (وان تجهر بالقول) أى تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما تسر فى نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما أسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم فى نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسره الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسره فى نفسه وقيل السر هو العمل الذى يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب فى الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغى أن يحمل السر والاخفاء على ما فيه ثواب او عقاب فالسر هو الذى يسره المرء فى نفسه من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذى فضلت به اسماؤه فى الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن * قوله عز وجل (وهل اتاك حديث موسى) اى وقد اتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا فى

والهاء افتتاح اسمه هاد وقيل معناه يا رجل والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره ان يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعنى وتتعب (الا تذكرة لمن يخشى) أى لكن أنزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) اى من الله الذى خلق الارض والسموات العالية الرفيعة التى لا يقدر على خلقها فى عظمها وعلوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه فى سورة الاعراف مستوفى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما) يعنى الهواء (وما تحت الثرى) أى انه مالك لجميع ما فى الاربعة الاقسام والثرى هو التراب الندى وقيل معناه ما وراء الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت فى جوف ذلك الثور فاذا وقعت فى جوفه يبست * قوله تعالى (وان تجهر بالقول) اى تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما تسر فى نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم فى نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسره الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسره فى نفسه وقيل السر هو العمل الذى يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب فى الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغى أن يحمل السر والاخفاء على ما فيه ثواب او عقاب فالسر هو الذى يسره المرء فى نفسه من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذى فضلت به اسماؤه فى الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن * قوله عز وجل (وهل اتاك حديث موسى) اى وقد اتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا فى الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء وأخذ على

غير الطريق مخافة من ملوك الشام وامرأته في سقمها لا تدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يور وقيل ان موسى كان رجلا غيورا وكان يصحب الرفقة بالليل وينيخ بهم بالنهار لئلا ترى امرأته فاخطأ مرة الطريق في ليلة مظلمة شاتية لما أراد الله عز وجل من كرامته فجعل يقدح الزند فلا يورى فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) أقيموا واقرأ حمزة بضم الهاء ههنا وفي القصص (اني آنست) أي أبصرت (نارا لعلي آتيكم منها بقبس) قطعة من نار والقبس قطعة من نار يأخذها في طرف عمود من معظم النار (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على الطريق (فلما آتاها) رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها أطافت بها نار بيضاء تتقد كأضوأ ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضراء وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت من العوسج وقال وهب كانت من العليق وقيل كانت شجرة العناب وروى ذلك عن ابن عباس عنهما وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا وقال أكثر المفسرين انه نور الرب عز وجل وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقال سعيد ابن جبير هي النار بعينها وهي احدى حجب الله تعالى يدل عليه ما روينا عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حجابه النار لو كشفها الله لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وفي القصة ان موسى أخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت منه النار واذا نأى دنت فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك (نودي ياموسى اني أنا ربك) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو انى بفتح الالف على معنى نودي بانى وقرأ الآخرون بكسر الالف أي نودي فقيل اني أنا وقيل

الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل في شهرها لا يدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) أي أقيموا (اني آنست نارا) أي أبصرت نارا (لعلي آتيكم منها بقبس) أي شعلة من نار في طرف عود (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على الطريق (فلما أتاها) أي أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها أطافت بها نار بيضاء تتقد كأضوأ ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هي النار بعينها وهي احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك (نودي ياموسى اني أنا ربك) قال وهب نودي من الشجرة فقيل ياموسى فأجاب سريعا وما يدري من دعاه فقال اني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فاين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت أذنا وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وروى غير مدبوغ وانما أمر بخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل أمر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فألقاهما من وراء الوادي (انك بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى في استدارته (وأنا اخترتك) اصطفيتك برسالاتي وبكلامي (فاستمع لما يوحى) فيه نهاية الهيبة والجلال له كأنه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) ولا تعبد غيري (وأقم الصلوة لذكري) أي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري

ربك قال وهب نودي من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا لا يدري من دعاه فقال اني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فاين أنت قال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله فايقن به قوله عز وجل (فاخلع نعليك) وكان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وروى غير مدبوغ وقال عكرمة ومجاهد أمر بخلع النعلين ليباشر بقدمه تراب الارض المقدسة فتناله بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما موسى وألقاهما من وراء الوادي (انك بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وطوى اسم الوادي قرأ أهل الكوفة والشام طوى بالتنوين ههنا وفي سورة النازعات وقرأ الآخرون بلا تنوين لانه معدول به عن طاو فلما كان معدولا عن وجهه كان مصروفا عن اعرابه مثل عمر وزفر وقال الضحاك طوى واد مستدير عميق مثل المطوى في استدارته (وأنا اخترتك) اصطفيتك برسالاتي قرأ حمزة وأنا مشددة النون اخترناك على التعظيم (فاستمع لما يوحى) اليك (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) ولا تعبد غيري (وأقم الصلوة لذكري)

قال مجاهد أقم الصلاة لذكرني بها وقال مقاتل اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله الحفيد أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان انا همام انا قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك ثم قال سمعته يقول بعد ذلك أقم الصلوة لذكرى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قيل معناه ان الساعة آتية أخفيها وأكاد صلة وأكثر المفسرين قالوا معناه أكاد أخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف أبي بن كعب وفي مصحف عبد الله بن مسعود أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءة فكيف أظهرها لكم وذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كتمت سرك من نفسي أي أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء وقال الاخفش أكاد أي أريد ومعنى الآية ان الساعة آتية أريد أخفيها والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت (٢١٥) وقرأ الحسن أخفيها بفتح الالف أي

وقيل لا اخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة وأقم الصلوة لذكري وفي رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلوة لذكري (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قال اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان للشيء يقولون كتمت سرك في نفسي اي اخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي او يتوب منها في كل وقت مخافة معاجلة الاجل * قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) اي فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها (واتبع هواه) اي مراده وخالف امر الله (فتردى) اي فتهلك * قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة (قال هي عصاي) قيل كان لها شعبتان وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (أتوكأ عليها) اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا عييت وعند الوثبة (واهش بها على غنمي) اي اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها مآرب اخرى) اي حاجة ومنافع اخرى واراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر واذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها (فألقاها) اي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من اعظم ما يكون من الحيات (تسعى) اي تمشي بسرعة

أظهرها يقال خفيت الشيء اذا أظهرته وأخفيته اذا استرته قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة (من لا يؤمن بها واتبع هواه) مراده خالف أمر الله (فتردى) أي فتهلك قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انه معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك انه يعرفه ويريد ان ينضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه (قال هي عصاي) قيل وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن قال مقاتل اسمها نبعة (أتوكأ عليها) اعتمد عليها اذا مشيت واذا عييت وعند الوثبة (وأهش بها على غنمي)

اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم وقرأ عكرمه وأهس بالسين غير المعجمة أي أزجر بها الغنم والهس زجر الغنم (ولي فيها مآرب أخرى) حاجات ومنافع أخرى جمع مأربة بفتح الراء وضمها ولم يقل آخر لرؤس الآي وأراد بالمآرب ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وغير ذلك وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الارض فيخرج ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء واذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصنا كالشجرة وأورقت وأثمرت واذا أراد الاستقاء من البئر ادلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) انبذها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها (فالقاها) على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم وقال في موضع ثعبان وهو أكبر ما يكون من

الحيات فاما الحية فانها تجمع الصغير والكبير والذكر والانثى وقيل الجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا والثعبان عبارة عن انتهاء حالها وقيل انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم مايكون من الحيات صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقالها وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لاسنانها صريف عظيم فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر به فوقف استحياء منه ثم نودى (٢١٦) أن ياموسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) بيمينك (ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها الاولى أى نردها عصا كما كانت وكان على موسى مدرعة من صوف قد خللها بعيدان من الخلال فلما قال الله تعالى خذها لف طرف المدرعة على يده قال فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغنى عنك شيأ قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون أراد الله عزوجل أن يرى موسى ما أعطاه من الآية التى لا يقدر عليها مخلوق لئلا يفزع منها اذا ألقاها عند فرعون وقوله سيرتها نصب بحذف الى يريد الى سيرتها قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) يعنى ابطك قال مجاهد تحت عضدك وجناح الانسان عضده الى أصل ابطه (تخرج بيضاء) نيرة مشرقة (من غير سوء) من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضىء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) يعنى دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته * قوله عزوجل (اذهب الى فرعون انه طغى) يعنى جاوز الحد فى العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى ألبسك جلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علىّ وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس الا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لى صدرى) يعنى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله

على بطنها وقال فى موضع آخر كانها جان وهى الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال فى موضع آخر ثعبان وهو أكبر مايكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم مايكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر به فوقف استحياء منه ثم نودى ياموسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) يعنى بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما لقى آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها (سنعيدها سيرتها الاولى) أى الى هيئتها فتردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغنى عنك شيأ قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى موسى ما أعطاه من الآية التى لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا ألقاها عند فرعون قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) يعنى الى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) يعنى نيرة مشرقة (من غير سوء) يعنى من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضىء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أى دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته * قوله عزوجل (اذهب الى فرعون انه طغى) يعنى جاوز الحد فى العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى ألبسك جلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علىّ وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس الا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لى صدرى) يعنى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله

(تخرج بيضاء) نيرة مشرقة (من غير سوء) من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضىء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) يعنى دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) ولم يقل الكبر لرؤس الآى وقيل فيه اضمار معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى دليله قول ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته قوله تعالى (اذهب الى فرعون انه طغى) يعنى جاوز الحد فى العصيان والتمرد فادعه الى عبادتى (قال) موسى (رب اشرح لى صدرى) وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون وجنده فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده

(و يسرلى أمرى) يعنى سهل علىّ ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امرأته ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت آسية انه صبى لا يعقل ولا يميز وفى رواية ان أم موسى لما فطمته ردته فنشأ موسى فى حجر فرعون وامرأته آسية يربيانه واتخذاه ولدا فبينا هو يلعب بوما بين يدى فرعون و بيده قضيب يلعب به اذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير بضربه حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك انه صغير لا يعقل فجربه ان شئت فجاءت بطشتين فى أحدهما الجمر وفى الآخر الجواهر فوضعتهما بين يدى موسى فأراد أن يأخذ الجواهر فاخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار فأخذ جمرة فوضعها فى فمه فاحرقت لسانه وصارت عليه عقدة (يفقهوا قولى) يقول احلل العقدة كى يفقهوا كلامى (واجعل لى وزيرا) معينا وظهيرا (من أهلى) والوزير من يوازرك و يعينك و يحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخى) وكان هرون أكبر من موسى بأربع سنين وكان أفصح منه لسانا وأجمل وأوسم أبيض اللون وكان موسى آدم أقنى أجعد (اشدد به أزرى) قوّ به ظهرى

(وأشركه فى أمرى) يعنى فى النبوّة وتبليغ الرسالة وقرأ ابن عامر أشدد بفتح الالف وأشركه بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعنى افعل ذلك وقرأ الاخرون على الدعاء والمسئلة عطفا على ما تقدم من قوله رب اشرح لى صدرى و يسرلى أمرى (كى نسبحك كثيرا) قال الكلبى نصلى لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) نحمدك ونثنى عليك بما أوليتنا من نعمك (انك كنت بنا بصيرا) خبيرا عليما (قال) الله تعالى (قد أوتيت) أعطيت (سؤلك) جميع ما سألته (ياموسى ولقد منا عليك) أنعمنا عليك (مرة أخرى) يعنى قبل هذه المرة وهى (اذ أوحينا الى أمك) وحى الهام (ما يوحى) ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (أن اقذفيه فى التابوت) يعنى ألهمناها أن اجعليه فى التابوت (فاقذفيه فى اليم) يعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعنى شاطئ البحر (يأخذه عدوّ لى وعدوّ له) يعنى فرعون فأخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وثقوقه ثم ألقته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يجىء به الماء فأمر الغلمان والجوارى باخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه أحد الا أحبه لملاحة كانت فى عينى موسى (ولتصنع على عينى) لتربى و يحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (اذ تمشى أختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله

تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (و يسرلى أمرى) أى سهل علىّ ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته ان هذا عدوّى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبى لا يعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ فى حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون و بيده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك انه صبى لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين فى أحدهما جمر وفى الآخر جوهر فوضعهما بين يدى موسى فأراد أن يأخذ الجوهر فأخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا قولى) يعنى احلل العقدة كى يفهموا قولى (واجعل لى وزيرا من أهلى) يعنى معينا وظهيرا والوزير من يوازرك و يحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخى) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا وأجمل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أقنى جعدا (اشدد به أزرى) يعنى قوّ به ظهرى (وأشركه فى أمرى) يعنى فى أمر النبوّة وتبليغ الرسالة (كى نسبحك كثيرا) يعنى نصلى لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) يعنى نحمدك ونثنى عليك بما أوليتنا من جميل نعمك (انك كنت بنا بصيرا) يعنى خبيرا عليما (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك ياموسى) أى أعطيت جميع ما سألته (ولقد منا عليك مرة أخرى) يعنى قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) يعنى ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (أن اقذفيه فى التابوت) يعنى ألهمناها أن اجعليه فى التابوت (فاقذفيه فى اليم) يعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعنى شاطئ البحر (يأخذه عدوّ لى وعدوّ له) يعنى فرعون فأخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وثقوقه ثم ألقته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يجىء به الماء فأمر الغلمان والجوارى باخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه أحد الا أحبه لملاحة كانت فى عينى موسى (ولتصنع على عينى) لتربى و يحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (اذ تمشى أختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله

فى اليم) يعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعنى شاطئ النهر لفظه أمر ومعناه خبر ومجازه حتى يلقيه اليم بالساحل (يأخذه عدوّ لى وعدوله) يعنى فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وخصاصه يعنى شقوقه ثم ألقته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية اذ تابوت يجىء به الماء فامر الغلمان والجوارى باخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فاذا صبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قال عكرمة ما رآه أحد الا أحبه قال قتادة ملاحة كانت فى عينى موسى ما رآه أحد الا عشقه (ولتصنع على عينى) يعنى لتربى بمرأى ومنظر منى قرأ أبو جعفر ولتصنع بالجزم (اذ تمشى أختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله) يعنى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت ذلك لهم أخته قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى

(فرجعناك الى امك كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) اى ليذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان قتل قبطيا كافرا قال كعب الاحبار كان اذذاك ابن اثنتى عشرة سنة (فنجيناك من الغم) اى من غم القتل وكربه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس رضى الله عنه اختبرناك اختبارا وقال الضحاك ومقاتل ابتليناك ابتلاء وقال مجاهد اخلصناك اخلاصا وعن ابن عباس فى رواية سعيد بن جبير ان الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة خلصه الله منها اولها ان امه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدى امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه والفتون مصدر (فلبثت) فمكثت اى فخرجت من ارض مصر الى مدين فلبثت (سنين فى اهل مدين) يعنى ترعى الاغنام عشر سنين ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى وقال وهب لبث عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر زوجته صفوراء بنت شعيب وثمان عشرة سنة اقام عنده حتى ولد له (ثم جئت على قدر يا موسى) قال مقاتل على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وانما كان موعدا فى تقدير الله قال محمد بن كعب جئت على القدر الذى قدرت لك انك تجىء الى فيه وقال عبد الرحمن بن كيسان على رأس اربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه الى الانبياء وهذا معنى قول اكثر المفسرين اى على الموعد الذى وعده الله وقدره انه يوحى اليه بالرسالة وهو اربعون سنة قوله عز وجل (واصطنعتك لنفسى) اى اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى يعنى لتتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه باداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته قال الزجاج اخترتك لامرى أوحى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى اقمت بك عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب انت واخوك بآياتى) بدلالاتى وقال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى (ولا تنيا) ولا تضعفا وقال السدى لا تفترا وقال محمد بن كعب لا تقصرا (فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى) قرأ ابو عمرو واهل الحجاز لنفسى اذهب وذكرى اذهبا وان قومى اتخذوا من بعدى اسمه بفتح الياء فيهن ووافقهم ابو بكر من بعدى اسمه وقرأ الباقون باسكانها (فقولا له قولا لينا) يقول داريا وارفقا معه قال ابن عباس رضى الله عنه لا تعنفا فى قولكما وقال السدى وعكرمة كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقال مقاتل يعنى بالقول اللين هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقيل امرهما باللطافة فى القول لما له من حق التربية وقال السدى القول اللين ان موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لا يهرم معه وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما

تعالى (فرجعناك الى أمك كى تقر عينها) أى بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أى وليذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذذاك اثنتى عشرة سنة (فنجيناك من الغم) أى من غم القتل وكربه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها ان أمه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدى أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا (فلبثت) أى مكثت (سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا (ثم جئت على قدر يا موسى) أى جئت على القدر الذى قدرت أن تجىء فيه قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبياء فيه (واصطنعتك لنفسى) أى اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) اى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام (ولا تنيا) اى لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا (فى ذكرى) اى لا تقصرا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا) اى داريا وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى أن تزكى الآية وقيل انما أمرهما باللطافة لما له من حق تربيته موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريدان تكون مربوبا وأنت تعبد تريدان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رأيه وكان هرون بمصر فأمر الله موسى ان يأتى هرون واوحى الله الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما

قدم اخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن اقبل منه فقال له هامان كنت ارى ان لك عقلا ورأيا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فغلبه على رأيه وكان هرون بومئذ بمصر فأمر الله موسى ان يأتى هرون وأوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحله وأخبره بما أوحى اليه (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويخاف ويسلم فان قيل كيف قال لعله يتذكر وقد سبق فى علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قيل معناه اذهبا على رجاءمنكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقال الحسين بن الفضل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر ويخشى خاش اذا رأى برى والطافى بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية فقولا له قولا لينا فبكى يحيى وقال الهى هذا بركك بمن يقول أنا الاله فكيف برك

بمن يقول أنت الاله (قالا) يعنى موسى وهرون (ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعجل علينا بالقتل والعقوبة يقال فرط علىه فلان اذا عجل بمكروه وفرط منه أمر أى بدر وسبق (أو أن يطغى) أى يجاوز الحد فى الاساءة الينا (قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فامنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه فقولا انا رسولا ربك) أرسلنا اليك (فارسل معنا بنى اسرائيل) أى خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) لا تتعبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وما هى فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه التحية انما معناه سلم من عذاب الله من أسلم (انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أى انما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه (قال فمن ربكما يا موسى) من الاهكما الذى أرسلكما (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل أعطى كل شئ صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شئ صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهى الحجرة والحمار الاتان ثم هدى أهله كيف يأتى الذكر الانثى (قال) يعنى فرعون (فما بال القرون الاولى) أى فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خرفهم مصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى (قال) يعنى موسى (علمها عند ربى) أى أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل انما رد موسى علم ذلك

أوحى اليه * وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويخاف فيسلم * فان قلت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق فى علمه انه لا يتذكر ولا يسلم * قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكرا ويخشى خاش اذا رأى برى والطافى بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين أدركه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازى فقولا له قولا لينا الآية فبكى يحيى وقال الهى هذا رفقك بمن يقول أنا الاله فكيف رفقك بمن يقول أنت الاله (قالا) يعنى موسى وهرون (ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطغى) أى يجاوز الحد فى الاساءة الينا (قال) الله تعالى (لا تخافا انني معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فامنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه فقولا انا رسولا ربك) أى أرسلنا اليك ربك (فارسل معنا بنى اسرائيل) أى خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أى لا تتعبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وما هى فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم (انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أى انما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه (قال فمن ربكما يا موسى) أى فمن الهكما الذى أرسلكما (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل أعطى كل شئ صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شئ صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهى الحجرة والحمار الاتان ثم هدى أهله كيف يأتى الذكر الانثى (قال) يعنى فرعون (فما بال القرون الاولى) أى فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خرفهم مصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى (قال) يعنى موسى (علمها عند ربى) أى أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله لانه لم يعلم ذلك فان التوراة أنزلت اليه بعد هلاك فرعون وقومه

(في كتاب) يعني في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شئ ولا يغيب عن شئ (ولا ينسى) ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل لا ينسى أي لا يترك الانتقام فينتقم من الكفار ويجازي المؤمن (الذي جعل لكم الارض مهدا) قرأ أهل الكوفة مهدا ههنا وفي الزخرف فيكون مصدرا أي فرشا وقرأ الآخرون مهادا كقوله تعالى ألم نجعل الارض مهادا أي فراشا وهو اسم ما يفرش كالبساط اسم لما يبسط (وسلك لكم فيها سبلا) السلك ادخال الشئ في الشئ والمعنى أدخل في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها قال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا تسلكونها (وأنزل من السماء ماء) يعني المطر تم الاخبار عن موسى ثم أخبر الله عن نفسه بقوله (فأخرجنا به) بذلك الماء (أزواجا) أصنافا (من نبات شتى) مختلف الالوان والطعوم والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر فكل صنف منها زوج فمنها للناس ومنها للدواب (كلوا وارعوا) أي وارتعوا (أنعامكم) تقول العرب رعيت الغنم فرعت أي أسيموا أنعامكم ترعى (ان في ذلك) الذي ذكرت (لايات لاولي النهى) لذوي العقول واحدتها نهيه سميت نهية لانها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي قال الضحاك لاولي النهى الذين ينتهون عما حرم الله عليهم قال قتادة لذوي الورع (منها) أي من الارض (خلقناكم) يعني أباكم آدم وقال عطاء الخراساني ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى منها خلقناكم (وفيها نعيدكم) أي عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة أخرى) يوم البعث قوله تعالى (ولقد أريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني الآيات التسع التي أعطاها الله موسى (فكذب) بها وزعم انها سحر (وأبى) أن يسلم (قال) يعني فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) يعني أرض مصر (بسحرك ياموسى) أي تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي فاضرب بيننا وبينك أجلا وميقاتا (لا نخلفه) قرأ أبو جعفر لا نخلفه جزما لانجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب سوى بضم السين وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عدى وعدى وطوى وطوى قال مقاتل وقتادة مكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس نصفا ومعناه تستوي مسافة الفريقين اليه قال أبو عبيدة والقتيبي وسطا بين الفريقين قال مجاهد منصفا وقال الكلبي يعني سوى هذا المكان (قال موعدكم يوم الزينة) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي كان يوم عيدهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس وسعيد بن جبير يوم عاشوراء (وأن يحشر الناس ضحى) أي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون فجمع) يعني فرعون (كيده) يعني مكره وسحره وحيله (ثم أتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثني عشر ألفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) أي فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) اي خسر من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى * قوله تعالى (فتنازعوا)

الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شئ (ولا ينسى) أي فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذي جعل لكم الارض مهادا) أي فراشا وقيل مهدها لكم (وسلك لكم فيها سبلا) أي أدخل في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها (وأنزل من السماء ماء) يعني المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فأخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي أصنافا (من نبات شتى) أي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب (كلوا وارعوا أنعامكم) أي أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي (ان في ذلك) أي الذي ذكر (لآيات لاولي النهى) أي لذوي العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) أي من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) أي عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة أخرى) أي يوم القيامة للبعث والحساب * قوله تعالى (ولقد أريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني الآيات التسع التي أعطاها الله موسى (فكذب وأبى) يعني فرعون وزعم انها سحر وأبى أن يسلم (قال) يعني فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) يعني مصر (بسحرك ياموسى) تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي اضرب أجلا وميقاتا (لا نخلفه) لا نجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) أي مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوي مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعني موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيدهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وأن يحشر الناس ضحى) أي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون فجمع) يعني فرعون (كيده) يعني مكره وسحره وحيله (ثم أتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقال كعب كانوا اثني عشر ألفا وقيل أكثر من ذلك (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) قرأ حمزة والكسائي وحفص فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان قال مقاتل والكلبي فيهلككم وقال قتادة فيستأصلكم (وقد خاب من افترى)

فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا وتشاوروا يعنى السحرة فى أمر موسى سرا من فرعون قال الكلبى قالوا ـ را ان غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد ابن اسحق لما قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر (وأسروا النجوى) أى المناجاة يكون مصدرا واسما ثم (قالوا) وأسر بعضهم الى بعض يتناجون (ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون قرأ ابن كثير وحفص ان بتخفيف النون هذان أى ما هذان الا ساحران كقوله ان نظنك لمن الكاذبين أى ما نظنك الا من الكاذبين وشدد ابن كثير النون من هـذان وقرأ ابو عمرو ان بتشديد النون هذين بالياء على الاصل وقرأ الآخرون ان بتشديد النون هذان بالالف واختلفوا فيه فروى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ام المؤمنين انه خطأ من الكاتب وقال قوم هو لغة بالحارث بن كعب وخثعم وكنانة فانهم يجعلون الاثنين فى موضع الرفع والنصب والخفض بالالف يقولون اتانى الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان فلا يتركون الف التثنية فى شئ منها وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفا كما فى التثنية يقولون كسرت يداه وركبت علاه يعنى يديه وعليه وقال شاعرهم

تزودمنى بين اذناه ضربة * دعته الى هابى التراب عقيم

يريد بين اذنيه وقال آخر

ان اباها وابا اباها * قد بلغا فى المجد غايتاها

وقيل تقدير الآية انه هذان لهما فحذف الهاء وذهب جماعة الى ان حرف ان ههنا بمعنى نعم اى نعم هـذان روى ان اعرابيا سأل ابن الزبير شيأ فحرمه فقال لعن الله ناقة حملتنى اليك فقال ابن الزبير وصاحبها اى نعم وقال الشاعر

بكرت على عواذلى * يلمننى وألومهنه

ويقلن شيب قد علا * ك وقد كبرت فقلت انه

(فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا وتشاوروا يعنى السحرة فى أمر موسى سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر (وأسروا النجوى) أى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) يعنى من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم وأشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل أراد أهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل يعنى يريدان أن يذهبا بهم لانفسهما وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذى أنتم عليه (فاجمعوا كيدكم) أى لا تدعوا شيأ من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم (ثم ائتوا صفا) أى جمعا مصطفين ليكون أشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة (يا موسى اما أن تلقى) أى عصاك (واما أن نكون أول من ألقى) أى عصينا (قال) يعنى موسى (بل ألقوا) يعنى أنتم أولا (فاذا حبالهم) فيه اضمار أى فألقوا فاذا حبالهم (وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) قيل انهم لما ألقوا الحبال والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى كأن الارض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا فى ميل من كل جانب ورآها كأنها تسعى (فأوجس) أى أضمر وقيل وجد (فى نفسه خيفة موسى) قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم أن يلتبس عليهم الامر فيشكوا فى أمره فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) أى قال الله تعالى لموسى لا تخف (انك أنت الاعلى) أى الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر (وألق ما فى يمينك) أى عصاك والمعنى لا يخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فان فى يمينك شيأ أعظم منها كلها (تلقف) أى تلتقم وتبتلع

اى نعم (يريدان أن يخرجاكم من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم يقال هؤلاء طريقة قومهم اى اشرافهم والمثلى تأنيث الامثل وهو الافضل حدث الشعبى عن على قال يصرفان وجوه الناس اليهما قال قتادة طريقتهم المثلى كان بنو اسرائيل يومئذ أكثر القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان أن يذهبا بهم لانفسهم وقيل بطريقتكم المثلى اى بسنتكم ودينكم الذى أنتم عليه والمثلى نعت الطريق تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعنى على الصراط المستقيم (فاجمعوا كيدكم) قرأ أبو عمرو فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من الجمع أى لا تدعوا شيأ من كيدكم الا جئتم به بدليل قوله فجمع كيده وقرأ الآخرون بقطع الالف وكسر الميم فقد قيل معناه الجمع أيضا تقول العرب اجمعت الشئ فجمعته بمعنى واحد والصحيح ان معناه العزم والاحكام أى اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له لا تختلفوا فيختل أمركم (ثم ائتوا صفا) اى جميعا قاله مقاتل والكلبى وقال قوم اى مصطفين مجتمعين ليكون اشد لهيبتكم وقال ابو عبيدة الصف المجتمع ويسمى المصلى صفا معناه ثم ائتوا المكان الموعود صفا (وقد افلح اليوم من استعلى) اى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة (يا موسى اما ان تلقى) عصاك (واما ان نكون اول من القى) عصينا (قال) موسى (بل ألقوا) أنتم أولا (فاذا حبالهم) وفيه اضمار اى فالقوا فاذا حبالهم (وعصيهم) جمع العصا (يخيل اليه) قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالتاء ردا الى الحبال والعصى وقرأ الآخرون بالياء ردوه الى الكيد والسحر (من سحرهم انها تسعى) حتى ظن انها تسعى اى تمشى وذلك انهم كانوا لطخوا حبالهم وعصيهم بالزئبق فلما اصابه حر الشمس انهمست واهتزت فظن موسى انها تقصده وفى القصة انهم لما ألقوا الحبال والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كان الارض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا من كل جانب ورأوا انها تسعى (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) اى وجد وقيل اضمر فى نفسه خوفا واختلفوا فى خوفه فقيل خوف طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقال مقاتل خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا فى امره فلا يتبعونه (قلنا) لموسى (لا تخف انك انت الاعلى) أى الغالب يعنى لك الغلبة والظفر (وألق ما فى يمينك) يعنى العصا (تلقف) تلتقم

وتبتلع (ماصنعوا) قرأ ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الامر (انما صنعوا) أي الذي صنعوا (كيد ساحر) أي حيلة سحر هكذا قرأ حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف وقرأ الآخرون ساحر لان اضافة الكيد الى الفاعل أولى من اضافته الى الفعل وان كان ذلك لا يمتنع في العربية (ولا يفلح الساحر حيث أتى) من الارض قال ابن عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال (فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم) لرئيسكم ومعلمكم (الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل) يعني على جذوع النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا) يعني على ايماننا أنا أو رب موسى على ترك الايمان به (وأبقى) يعني أدوم (قالوا) يعني السحرة (لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) يعني الدلالات قال مقاتل يعني اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فأين حبالنا وعصينا وقيل من البينات يعني من اليقين والعلم حكى عن القاسم بن أبي بزة أنه قال انهم لما ألقوا سجدا ما رفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها ورأوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن

نؤثرك على ماجاءنا من البينات (والذي فطرنا) يعني ان نؤثرك على الله الذي فطرنا وقيل هو قسم (فاقض ما أنت قاض) يعني فاصنع ما أنت صانع (انما تقضي هذه الحيوة الدنيا) يعني أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) فان قيل كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين يحلفون بعزة فرعون ان لهم الغلبة قيل روى عن الحسن انه قال كان فرعون يكره قوما على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله وقد كان أكرههم في الابتداء وقال مقاتل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني اسرائيل كان عدو الله فرعون أكره الذين هم من بني اسرائيل على تعلم السحر

(ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر) أي حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر حيث أتى) أي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألفوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا أراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة (قال) يعني فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم) أي لرئيسكم وعظيمكم يعني انه أسحركم وأعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم (الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعني أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) يعني على جذوع النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا) يعني على ايماننا أنا أو رب موسى على ترك الايمان به (وأبقى) يعني أدوم (قالوا) يعني السحرة (لن نؤثرك) يعني لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) يعني الدلالات الواضحات قيل هي اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فأين حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات (والذي فطرنا) قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا (فاقض ما أنت قاض) يعني فاصنع ما أنت صانع (انما تقضي هذه الحيوة الدنيا) يعني انما أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) * فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين * قلت كان فرعون أكرههم في الابتداء على تعلمهم السحر لكي لا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني اسرائيل وكان فرعون أكره الذين هم من بني اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى اذا هو نام فاراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم فأكرههم على أن يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبقى) يعني خير منك ثوابا وأبقى عقابا وقيل خير منك ان أطيع وأبقى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) يعني من مات على الايمان (قد عمل

الصالحات

فذلك قوله وما أكرهتنا عليه من السحر وقال عبد العزيز بن أبان قالت السحرة لفرعون أرنا موسى اذا نام فاراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ان هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى عليهم الا أن يتعلموا فذلك قوله تعالى وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبقى) قال محمد بن اسحق خير منك ثوابا وأبقى عذابا وقال محمد بن كعب خير منك ثوابا ان أطيع وأبقى منك عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل من تمام قول السحرة مجرما أي مشركا يعني من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته) قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر وقالون ويعقوب وقرأ الآخرون بالاشباع (مؤمنا) أي من مات على الايمان (قد عمل

الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أى الرفيعة والعلى جمع العليا والعليا تانيث الاعلى (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يعنى تطهر من الذنوب وقال الكلبى أعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى انا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله السمسار انا أبو حمزة احمد بن محمد بن عباس الدهقان انا احمد بن عبد الجبار العطاردى انا ابو معاوية عن الاعمش عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلعم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى فى أفق من آفاق السماء وانما أبو بكر وعمر منهم وأنعما قوله عزوجل (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) يعنى اسر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا فى البحر) يعنى اجعل لهم طريقا فى البحر بالضرب بالعصا (يبسا) ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله أيبس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا) قرأ حمزة لا تخف بالجزم على النهى والباقون بالالف والرفع على النفى لقوله تعالى (ولا تخشى) قيل لا تخاف أن يدركك (٢٢٣) فرعون من ورائك ولا تخشى أن

الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) يعنى الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يعنى تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما أخرجه الترمذى قوله وأنعما يقال أحسن فلان الى فلان وأنعم يعنى أفضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهما منهم وزادا وتناهيا الى غايته * قوله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) يعنى اسر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا) يعنى اجعل لهم طريقا (فى البحر) بالضرب بالعصا (يبسا) يعنى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيبس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك (فأتبعهم) يعنى فلحقهم (فرعون بجنوده فغشيهم) يعنى أصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) يعنى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد * قوله عزوجل (يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكرهم الله النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تتقوّوا بنعمتى على المعاصى وقيل لا تدخروا (فيحل عليكم غضبى) يعنى يجب عليكم غضبى (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) يعنى هلك وسقط فى النار (وانى لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) يعنى وحد الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) يعنى أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة * قوله عزوجل (وما أعجلك) يعنى وما حملك على العجلة (عن قومك يا موسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك يا موسى فأجاب ربه فقال هم أولاء على أثرى)

يغرقك البحر أمامك (فأتبعهم) فلحقهم (فرعون بجنوده) وقيل معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى وقومه والباء فيه زائدة وكان هو فيهم (فغشيهم) أصابهم من (اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل غشيهم علاهم وسترهم من اليم ما غشيهم يريد غشيهم بعض ماء اليم لا كله وقيل غشيهم من اليم ما غشى قوم موسى فغرقهم ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) يعنى ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد قوله (يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون (وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم) قرأ حمزة والكسائى أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالتاء على التوحيد وقرأ الآخرون بالنون والالف

على التعظيم ولم يختلفوا فى ونزلنا لانه مكتوب بالالف (ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا قال الكلبى لا تكفروا النعمة فتكونوا ظالمين طاغين وقيل لا تنفقوا فى معصيتى وقيل لا تتقوّوا بنعمتى على معاصى وقيل لا تدخروا فادخروا فتدوّد (فيحل) قرأ الاعمش والكسائى فيحل بضم الحاء ومن يحلل بضم اللام يعنى ينزل وقرأ الآخرون بكسرها يعنى يجب (عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) هلك وتردى فى النار (وانى لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب من الشرك (وآمن) ووحد الله وصدقه (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال عطاء عن ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله له وقال قتادة وسفيان الثورى يعنى لزم الاسلام حتى مات عليه قال الشعبى ومقاتل والكلبى علم ان لذلك ثوابا وقال زيد بن أسلم تعلم العلم ليهتدى به كيف يعمل قال الضحاك استقام وقال سعيد بن جبير أقام على السنة والجماعة (وما أعجلك) يعنى وما حملك على العجلة (عن قومك) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه الى الجبل ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه عزوجل وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال الله تعالى له وما أعجلك عن قومك (يا موسى قال) مجيبا لربه تعالى (هم أولاء على أثرى) يعنى هم

بالقرب مني يأتون من بعدي (وعجلت اليك رب لترضى) لتزداد رضا (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفا من بعدك أي من بعد انطلاقك الى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم الى عبادة العجل وأضافه الى السامري لانهم ضلوا بسببه (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) صدقا انه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم) اي اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم به الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدي) قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) قرأ نافع وابو جعفر وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بضمها وقرأ الآخرون بكسرها اي ونحن نملك امرنا وقيل باختيارنا ومن قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا وذلك ان المرء اذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه (ولكنا حملنا) قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب حملنا بفتح الحاء وتخفيف الميم وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم اي جعلونا نحملها وكلفنا حملها (اوزارا من زينة القوم) من حلي قوم فرعون سماها اوزارا لانهم اخذوها على وجه العارية فلم يردوها وذلك ان بني اسرائيل كانوا قد استعاروا حليا من القبط وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر وقيل ان الله تعالى لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان فسماها اوزارا لذلك (فقذفناها) قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى قال السدي قال لهم هرون ان تلك غنيمة لا تحل فاحفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها

أي هم بالقرب مني يأتون على أثري من بعدي * فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولاء على أثري * قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منه الا تقدم سيره ثم أعقبه بجواب السؤال فقال (وعجلت اليك رب لترضى) أي لتزداد رضا (قال فانا قد فتنا قومك) أي فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفا (من بعدك) أي من بعد انطلاقك الى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما أضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت تضاف الى منشئها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا وأضلهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جار الموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أي حزينا جزعا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي صدقا يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فأخلفتم موعدي) يعني ما وعدوه من الاقامة على دينه الى أن يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بملك أمرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أي حملنا مع أنفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت أوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الآثام أي حملنا آثاما وذلك ان بني اسرائيل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم (فقذفناها) أي ألقيناها قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة وألقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك ألقى السامري) أي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هرون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه فالقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار) اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل (فقالوا هذا الهكم وإله موسى) يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا شيأ قط مثله (فنسي) قيل هو اخبار عن قول السامري أي ان موسى نسي الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله

فعلوا قوله فقذفناها اي طرحناها في الحفرة (فكذلك القى السامري) ما معه من الحلي فيها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما اوقد هرون نارا وقال اقذفوا فيها ما معكم فألقوه فيها ثم القى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل قال قتادة كان قد صر قبضة من ذلك التراب في عمامته (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم وإله موسى فنسي) أي تركه موسى ها هنا وذهب يطلبه وقيل اخطأ الطريق وضل قال الله تعالى

(أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا) أى لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم اذا دعوه (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وقيل ان هرون مر على السامرى وهو يصوغ العجل فقال له ماهذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال هرون اللهم اعطه ماسألك على ما فى نفسه فالقى التراب فى فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان ذلك بدعوة هرون والحقيقة ان ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بنى اسرائيل (ولقد قال لهم هرون من قبل) أى من قبل رجوع موسى (ياقوم انما فتنتم به) ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعونى) على دينى فى عبادة الله (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح) أى لن نزال (عليه) على عبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع

الينا موسى) فاعتزلهم هرون فى اثنى عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و (قال) له (ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) أشركوا (ألا تتبعن) أى أن تتبعنى ولا صلة أى تتبع أمرى ووصيتى يعنى هلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل أن لا تتبعنى أى مامنعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم تقريعا وزجرا لهم عما أتوه (أفعصيت أمرى) أى خالفت أمرى (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى بشعر رأسى وكان قد أخذ بذؤابتيه (انى خشيت أن تقول) يعنى لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بنى اسرائيل) يعنى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا أحزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) يعنى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) يعنى فما أمرك وشأنك وما الذى حملك على ما صنعت (ياسامرى قال) يعنى السامرى (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) يعنى من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) يعنى فقذفتها فى فم العجل فخار * فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس * قلت ذكروا فيه وجهين أحدهما ان أمه ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته فى كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا الشأنا فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه فلما سأله

الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا) أى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل * قوله عز وجل (ولقد قال لهم هرون من قبل) أى من قبل رجوع موسى (ياقوم انما فتنتم به) أى ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعونى) على دينى فى عبادة الله (وأطيعوا أمرى) يعنى فى ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ أحسن الوجوه لانه زجرهم أولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهى ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن لخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود (قالوا لن نبرح) يعنى لن نزال (عليه) يعنى على عبادة العجل (عاكفين) يعنى مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كأنهم قالوا ان نقبل حجتك ولا نقبل الاقول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و (قال) له (ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) أى أشركوا (ألا تتبعن) أى تتبع أمرى ووصيتى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما أتوه (أفعصيت أمرى) يعنى خالفت أمرى (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) يعنى بشعر رأسى وكان قد أخذ بذؤابتيه (انى خشيت أن تقول) يعنى لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بنى اسرائيل) يعنى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا أحزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) يعنى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) يعنى فما أمرك وشأنك وما الذى حملك على ما صنعت (ياسامرى قال) يعنى السامرى (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) يعنى من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) يعنى فقذفتها فى فم العجل فخار * فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس * قلت ذكروا فيه وجهين أحدهما ان أمه ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته فى كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا الشأنا فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه فلما سأله

لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا (ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) أى خشيت ان فارقتهم واتبعتك لصاروا أحزابا يتقاتلون فتقول أنت فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح أى ارفق بهم ثم أقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) أى ما أمرك وشأنك وما الذى حملك على ما صنعت (ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به) رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا قرأ حمزة والكسائى ما لم تبصروا بالتاء على الخطاب وقرأ الآخرون بالياء على الخبر (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من تراب أثر فرس جبريل (فنبذتها) أى ألقيتها فى فم العجل وقال بعضهم انما خار لهذا لان التراب كان مأخوذا من تحت حافر فرس جبريل فان قيل كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس قيل لان أمه لما ولدته فى السنة التى يقتل فيها البنون وضعته فى الكهف حذرا عليه فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة

(وكذلك سوّلت) أي زينت (لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة) أي مادمت حيا (أن تقول لا مساس) أي لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني اسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه قال ابن عباس لا مساس لك ولولدك والمساس من المماسة معناه لا يمس بعضنا بعضا فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحدا ولا يمسه أحد فعاقبه الله بذلك وكان اذا لقي أحدا يقول لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني وقيل كان اذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس أحد من غيرهم أحدا منهم حما جميعا في الوقت (وان لك) يا سامري (موعدا) امذابك (لن تخلفه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لن تخلفه بكسر اللام أي لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله ومعناه ان الله تعالى يكافئك على فعلك

موسى قال قبضت قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فأخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله أن يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سوّلت) يعني زينت (لي نفسي) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعني الى فعله غيري واتبعت فيه هواي (قال) يعني موسى للسامري (فاذهب فان لك في الحيوة) يعني مادمت حيا (أن تقول لا مساس) يعني لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد فعوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أوحش منها ولا أعظم وذلك أن موسى أمر بني اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس أحدا ولا يمسه أحد وقيل كان اذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا فتحامى الناس ومحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) يعني يا سامري (موعدا) يعني بعذابك في الآخرة (لن تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح أي لن تكذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهك) يعني الذي تزعم (الذي ظلت عليه عاكفا) يعني دمت عليه مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) أي لنذرينه (في اليم) يعني في البحر (نسفا) روى ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لانه كان قد صار لحما ودما ثم حرقه بالنار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه أي لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل (انما الهكم الله) يعني المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) يعني وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من يعبده قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعني من أخبار (ما قد سبق) يعني الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) يعني عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) يعني حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) يعني مقيمين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) يعني بئس ما حملوا أنفسهم من الاثم (يوم ينفخ في الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه أتبعه بقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) يعني نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) يعني يتشاورون (بينهم) ويتكلمون خفية (ان لبثتم) يعني مكثتم في الدنيا (الا عشرا) يعني عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) يعني يتشاورون فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أي أوفاهم عقلا وأعدلهم قولا

ولا نفوته (وانظر الى الهك) بزعمك (الذي ظلت عليه عاكفا) أي ظلت ودمت عليه مقيما تعبده والعرب تقول ظلت أفعل كذا بمعنى ظللت ومست بمعنى مسست (لنحرقنه) بالنار وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الاحراق (ثم لننسفنه) لنذرينه (في اليم) في البحر (نسفا) روى ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لانه كان قد صار لحما ودما ثم حرقه بالنار ثم ذراه في اليم قرأ ابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الراء لنبردنه بالمبرد ومنه قيل للمبرد المحرق وقال السدي أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم (انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) وسع علمه كل شيء (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) يعني القرآن (من أعرض عنه) أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) مقيمين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أي بئس ما حملوا على أنفسهم من الاثم كفروا بالقرآن (يوم ينفخ في الصور) قرأ أبو عمرو ننفخ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله ونحشر وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل (ونحشر المجرمين) المشركين (يومئذ زرقا) والزرقة هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه وقيل زرقا أي عميا وقيل عطاشا (يتخافتون بينهم) أي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية (ان لبثتم) أي ما مكثتم في الدنيا (الا عشرا) أي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو أربعون سنة لان العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا قال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي يتشاورون بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أوفاهم عقلا وأعدلهم قولا

(ان لبثتم الا يوما) قصر ذلك فى أعينهم فى جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله (و يسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله هذه الآية والنسف هو القلع يعنى يقلعها من أصلها و يجعلها هباء منثورا (فيذرها) يعنى فيدع أماكن الجبال من الارض (قاعا صفصفا) يعنى أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها والقاع ما انبسط من الارض والصفصف الاملس (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) قال مجاهد انخفاضا وارتفاعا وقال الحسن العوج ما انخفض من الارض والامت ما نشز من الروابى يعنى لا ترى واديا ولا رابية قال قتادة لا ترى فيها صدعا ولا أكمة (يومئذ يتبعون الداعى) أى صوت الداعى الذى يدعوهم الى موقف القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور فى فيه و يقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) يعنى لدعائه وهو من المقلوب يعنى لا عوج لهم (٢٢٧)

قولا (ان لبثتم الا يوما) قصر ذلك فى أعينهم فى جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل (و يسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أى يقلعها من أصولها و يجعلها هباء منثورا (فيذرها) أى يدع أماكن الجبال من الارض (قاعا صفصفا) أى أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) يعنى لا انخفاضا ولا ارتفاعا يعنى لا ترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعى) أى صوت الداعى الذى يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور فى فيه و يقف على صخرة بيت المقدس و يقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) أى لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحمن) يعنى سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع (فلا تسمع الا همسا) وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (يومئذ لا تنفع الشفاعة) لاحد من الناس (الا من أذن له الرحمن) يعنى الا من أذن له أن يشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهى لا تحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى أى يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن أن يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أى أيدى الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع الى ما أى هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى أى ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) يعنى ذلت وخضعت فى ذلك اليوم و يصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر * وقوله تعالى (للحى القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف أن يزاد على سيآته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها * قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أى كما بينا فى هذه السورة أو هذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآنا عربيا) أى بلسان العرب ليفهموه

عن دعاء الداعى لا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحمن) يعنى سكنت وذلت وخضعت ووصف الاصوات بالخشوع والمراد أهلها (فلا تسمع الا همسا) يعنى صوت ووطء الاقدام الى المحشر والهمس الصوت الخفى كصوت أخفاف الابل فى المشى وقال مجاهد هو تخافت الكلام وخفض الصوت و روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تحريك الشفاه من غير منطق (يومئذ لا تنفع الشفاعة) يعنى لا تنفع الشفاعة أحدا من الناس (الا من أذن له الرحمن) يعنى الا من أذن الله له أن يشفع (ورضى له قولا) يعنى و رضى قوله قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وهذا يدل على انه لا يشفع غير المؤمن (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى أى يعلم الله ما بين أيديهم ما قدموا وما خلفهم ما خلفوا من أمر الدنيا وقيل ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الاعمال (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع الى ما أى هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل الكناية راجعة الى الله لان عباده لا يحيطون به علما (وعنت الوجوه للحى القيوم) أى ذلت وخضعت ومنه قيل للاسير عان وقال طلق بن حبيب هو السجود على الجبهة للحى القيوم (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله والظلم هو الشرك (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف) قرأ ابن كثير فلا يخف مجزوما على النهى جوابا لقوله تعالى ومن يعمل وقرأ الآخرون فلا يخاف مرفوعا على الخبر (ظلما ولا هضما) قال ابن عباس لا يخاف أن يزاد على سيئاته ولا أن ينقص من حسناته وقال الحسن لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسىء وقال الضحاك لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها وأصل الهضم النقص والكسر ومنه هضم الطعام (وكذلك) أى كما بينا فى هذه السورة (أنزلناه) يعنى أنزلنا هذا الكتاب (قرآنا عربيا) يعنى بلسان العرب

(وصرفنا) يعني بينا (فيه من الوعيد) أي صرفنا القول فيه بذكر الوعيد (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم ذكرا) أي يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عتاب الله للامم الخالية (فتعالى الله الملك الحق) جل الله عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون (ولا تعجل بالقرآن) أراد ان النبي صلعم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك وقال ولا تعجل بالقرآن أي لا تعجل بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل من الابلاغ نظيره قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به (٢٢٨) وقرأ يعقوب نقضى بالنون وفتحها وكسر الضاد وفتح الياء وحيه بالنصب وقال مجاهد وقتادة معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه (وقل رب زدني علما) يعني بالقرآن ومعانيه وقيل علما الى ما علمت وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني ايمانا ويقينا قوله تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل) يعني أمرناه وأوحينا اليه أن لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى لعلهم يتقون (فنسي) فترك الامر والمعنى انهم نقضوا العهد فان آدم أيضا عهدنا اليه فنسي (ولم نجد له عزما) قال الحسن لم نجد له صبرا عما نهي عنه وقال عطية العوفي حفظا لما أمر به وقال ابن قتيبة رأيا معزوما حيث أطاع عدوه ابليس الذي حسده وأبى أن يسجد له والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل قال أبو أمامة الباهلي لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما فان قيل أتقولون ان آدم كان ناسيا لامر الله حين أكل من الشجرة

ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) أي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضي بيان الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكرا) أي انما أنزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم القرآن ذكرا يرغبهم في الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة * قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تعجل بالقرآن) أراد النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات أو النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تعجل بالقرآن أي ولا تعجل بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شئ علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شئ الا في العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما وايمانا ويقينا قوله عز وجل (ولقد عهدنا الى آدم) يعني أمرناه وأوحينا اليه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون (فنسي) أي فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذي هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) أي صبرا عما نهي عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه ابليس الذي حسده وأبى أن يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح أقرب * قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى) أن يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا) أي ابليس (عدو لك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل أهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه * فان قلت لم أسند الشقاء الى آدم دون حواء * قلت فيه وجهان أحدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني انه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي على زوجته (ان لك أن لا تجوع فيها) يعني في الجنة (ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها) أي تعطش (ولا تضحى) أي تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس في الجنة

قيل يجوز أن يكون نسي أمره ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان مؤاخذا به وانما رفع عنا وقيل نسي عقوبة شمس الله وظن انه نهاه تنزيها قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى) أن يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) يعني تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك قال السدي يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز وعن سعيد بن جبير قال أهبط الى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه ولم يقل فتشقيا رجوعا به الى آدم لان تعبه أكثر فان الرجل هو الساعي على زوجته وقيل لاجل رؤس الآي (ان لك أن لا تجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعرى وأنك) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بالفتح نسقا على قوله ألا تجوع فيها (لا تظمأ) لا تعطش (فيها ولا تضحى) يعني لا تبرز للشمس

فيؤذيك حرها وقال عكرمة لا تصيبك الشمس واذاها لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) يعني على شجرة ان أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) لا يبيد ولا يفنى (فأكلا) يعني آدم وحواء عليهما السلام (منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه) بأكل الشجرة (فغوى) يعني فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عن أكله فخاب ولم ينل مراده وقال ابن الاعرابي أي فسد عليه عيشه وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى آدم ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا أبو معاذ الشاه عبد الرحمن المزني أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد انا يونس بن عبد الاعلى الصدفي أنا سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين عاما فحج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى بأربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل تلومني على ان عملت عملا كتب الله علي ان أعمله قبل ان يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

﴿ الكلام على معنى الحديث وشرحه ﴾

قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أي جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومني على أمر قدره الله علي من قبل أن يخلقني

﴿ فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك ﴾ قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين

بكلامه وخط لك التوراة بيده أفتلومني على أمر قدره الله علي قبل ان يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى ورواه عبد الرحمن الاعرج عن أبي هريرة وزاد قال آدم يا موسى بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي ان أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

على التبليغ والتحريض والالارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوّز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن اثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجازه بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبائر الثاني قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوّة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوّة ويدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب أن لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز أيضا لان معنى النبوة والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت بديهة العقل أنه لا شيء أقبح ممن رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوّة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوّة وان الله تعالى قبل توبته وشرّفه بالنبوّة والرسالة وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما أي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان أحدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهى عنها لانه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم * فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب أو يستغفر من لا شيء عليه * قلت ان درجة الانبياء

(ثم اجتباه ربه) اختاره واصطفاه (فتاب عليه) بالعفو (وهدى) هداه الى التوبة حتى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى) يعنى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله فى الدنيا من الضلالة ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب وذلك بأن الله يقول فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى وقال الشعبى عن ابن عباس أجاره الله تعالى تابع القرآن من أن يضل فى الدنيا ويشقى فى الآخرة وقرأ هذه الآية (ومن أعرض عن ذكرى) يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) ضيقا روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى انهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط حتى تختلف اضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقال الحسن هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقال عكرمة هو الحرام وقال الضحاك هو الكسب الخبيث وعن ابن عباس قال الشقاء وروى عنه انه قال كل مال أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة وان أقواما أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله قال سعيد بن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقال مجاهد أعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) بالعين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أى كما (أتتك آياتنا فنسيتها) فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) تترك فى النار قال قتادة نسوا من الخير ولم ينسوا من العذاب (وكذلك) أى وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك (نجزى من أسرف) أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) مما نعذبهم به فى الدنيا والقبر (وأبقى) وأدوم (أفلم يهد لهم) يبين لهم القرآن يعنى كفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) ديارهم ومنازلهم اذا سافروا والخطاب لقريش كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك)

فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسننه فى عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم فى تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وأنوها على وجه التأويل أو السهو وتزيد وامن أمور الدنيا المباحة أو خذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاصى بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين أى يرونها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيآت وسنذكر فى كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى * قوله عز وجل (ثم اجتباه ربه) أى اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أى عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) أى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولا بليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فجعلا كأنهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما يأتينكم منى هدى) أى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) أى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل أى فى الدنيا ولا يشقى أى فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط فى القبر حتى تختلف أضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) يعنى بصير العين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) يعنى كما (أتتك آياتنا فنسيتها) يعنى فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) يعنى تترك فى النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك نجزى من أسرف) يعنى كما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك نجزى من أسرف أى أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) يعنى مما يعذبهم الله به فى الدنيا والقبر (وأبقى) يعنى وأدوم * قوله تعالى (أفلم يهد لهم) يعنى أفلم يبين القرآن لكفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) يعنى فى ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) أى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك)

لكان لزاما وأجل مسمى) فيه تقديم وتأخير تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم أى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاما أى لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) نسختها آية القتال (وسبح بحمد ربك) أى صل بأمر ربك وقيل صل لله بالحمد لله والثناء عليه (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الصبح (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن آناء الليل) ساعاته واحدها انى (فسبح) يعنى صلاة المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعنى صلاة الظهر وسمى وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء وقيل المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب لان الظهر فى آخر الطرف الاول من النهار وفى أول الطرف الآخر من النهار فهو فى طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك يصلى المغرب (لعلك ترضى) أى ترضى ثوابه فى المعاد وقرأ الكسائى وأبو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء أى تعطى ثوابه وقيل ترضى أى برضاك الله تعالى كما قال وكان عند ربه مرضيا وقيل معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة كما قال ولسوف يعطيك ربك فترضى

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدى انا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيبانى املاء أنا ابراهيم بن عبد الله السعدى أنا يزيد بن هرون أنا اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن ابى حازم عن جرير ابن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا فى رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام أى لا يزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض فى رؤيته والكاف فى قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لا للمرئى وهى فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق أو سلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعنى أو أسلفنى لقضيته وانى لامين فى السماء وأمين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أى لا تنظر نظرا تكاد تردده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له (الى ما متعنا به) أى أعطينا (أزواجا) أى أصنافا (منهم زهرة الحيوة الدنيا) أى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أى لنجعل ذلك فتنة لهم بأن نزيدهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا (ورزق ربك) أى فى المعاد فى الجنة (خير وأبقى) اى أدوم وقال أبى بن كعب من لم يعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن اتبع بصره ما فى ايدى الناس يطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله عليه فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه * قوله تعالى (وأمر أهلك) أى قومك وقيل من كان على دينك (بالصلوة) يعنى بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) يعنى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول (لا نسئلك رزقا)

أى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) نسختها آية السيف (وسبح بحمد ربك) أى صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) أى صلاة العصر (ومن آناء الليل) أى ومن ساعاته (فسبح) يعنى فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعنى صلاة الظهر سمى وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) أى ترضى ثوابه فى المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أى تعطى ثوابه وقيل برضاك ربك (ق) عن جرير ابن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا فى رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام أى لا يزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض فى رؤيته والكاف فى قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لا للمرئى وهى فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق أو سلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعنى أو أسلفنى لقضيته وانى لامين فى السماء وأمين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أى لا تنظر نظرا تكاد تردده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له (الى ما متعنا به) أى أعطينا (أزواجا) أى أصنافا (منهم زهرة الحيوة الدنيا) أى زينتها وبهجتها وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها (لنفتنهم فيه) أى لنجعل ذلك فتنة لهم بأن نزيدهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا (ورزق ربك) فى المعاد يعنى الجنة (خير وأبقى) قال أبى بن كعب من لم يستعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره فيما فى أيدى الناس يطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه (وأمر أهلك بالصلوة) أى قومك وقيل من كان على دينك كقوله تعالى وكان يأمر أهله بالصلوة (واصطبر عليها) أى اصبر على الصلوة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر (لا نسئلك رزقا)

لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك وانما نكلفك عملا (نحن نرزقك والعاقبة) الخاتمة الجميلة المحمودة (للتقوى) أى لاهل التقوى قال ابن عباس يعنى الذين صدقوك واتبعوك واتقونى وفى بعض المسانيد ان النبى صلعم كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) أى الآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة) قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم تأتهم لتأنيث البينة وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل ولان البينة هى البيان فرد الى المعنى بينة (ما فى الصحف الاولى) يعنى بيان ما فيها وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية وقيل أولم يأتهم بيان ما فى الصحف الاولى التوراة والانجيل وغيرهما من أنباء الامم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال

أى لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا (نحن نرزقك) أى بل نحن نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) أى الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفى بعض المسانيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضرّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية * قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) أى بالآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى) أى بيان ما فيها وهو القرآن لانه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما فى الصحف ما فى التوراة والانجيل وغيرهما من أخبار الامم انهم اقترحوا الايات فلما أتتهم لم يؤمنوا فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما فى الصحف الاولى هى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته وبعثته (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أى من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أى لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينا رسولا يدعونا (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متربص) أى منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) أى فانتظروا (فستعلمون) أى اذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوىّ) يعنى المستقيم (ومن اهتدى) يعنى من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام﴾

وهى مكية وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وستون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل (اقترب للناس حسابهم) أى وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم فى غفلة معرضون) أى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون فى عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسىء ثم اذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى ما يحدث الله من تنزيل شئ من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الاية بعد الآية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما فى القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (الا استمعوه وهم يلعبون) أى لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية قلوبهم)

أولئك (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) يعنى من قبل ارسال الرسول وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا) يدعونا أى لقالوا يوم القيامة (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) بالعذاب والذل والهوان والخزى والافتضاح (قل كل متربص) منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) فانتظروا (فستعلمون) اذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوىّ) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة نحن أم أنتم

﴿سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام﴾

مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقترب للناس) قيل اللام بمعنى من يعنى اقترب من الناس (حسابهم) يعنى وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يعنى

يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث (وهم فى غفلة معرضون) عن التأهب له (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى ما يحدث الله من تنزيل شئ من القرآن يذكرهم ويعظهم به قال مقاتل يحدث الله الامر بعد الامر وقيل الذكر المحدث ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى القرآن وأضافه الى الرب عز وجل لانه قال بأمر الرب (الا استمعوه وهم يلعبون) يعنى استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية) ساهية غافلة (قلوبهم) معرضة عن ذكر الله وقوله لاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت أن يتبع الاسم فى الاعراب واذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل فحالته فى الفصل النصب كقوله تعالى خشعا أبصارهم ودانية عليهم ظلالها ولاهية قلوبهم وفى الوصل حالة ما قبله من الاعراب كقوله ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها

(وأسروا النجوى الذين ظلموا) يعنى أشركوا قوله وأسروا فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر قال الكسائى فيه تقديم وتأخير أراد الذين ظلموا أسروا النجوى وقيل محل الذين رفع على الابتداء معناه وأسروا النجوى ثم قال وهم الذين ظلموا وقيل رفع على البدل من الضمير فى أسروا قال المبرد هذا كقولك ان الذين فى الدار انطلقوا بنو عبد الله على البدل مما فى انطلقوا ثم بين سرهم الذى تناجوا به فقال (هل هذا الا بشر مثلكم) أنكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة (أفتأتون السحر) يعنى تحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) تعلمون انه سحر (قل) لهم يا محمد (ربى يعلم القول فى السماء والارض) قرأ حمزة والكسائى وحفص قال ربى على الخبر عن محمد صلعم يعلم القول فى السماء والارض أى لا يخفى عليه شئ (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بأفعالهم (بل قالوا أضغاث أحلام) أباطيلها وأقاويلها وأهاويلها رآها فى النوم (بل افتراه) اختلقه (بل هو شاعر) يعنى ان المشركين اقتسموا القول (٢٣٤) فيه وفيما يقوله قال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم بل محمد شاعر

أى ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أى بالغوا فى اخفاء التناجى وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذى تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا الا بشر مثلكم) يعنى انهم أنكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من اشكاله أقرب (أفتأتون السحر) يعنى أتحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) يعنى تعلمون انه سحر (قل) لهم يا محمد (ربى يعلم القول فى السماء والارض) يعنى لا يخفى عليه شئ (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بافعالهم * قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعنى أباطيل وأهاويل رآها فى النوم (بل افتراه) يعنى اختلقه (بل هو شاعر) وذلك ان المشركين اقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (بآية) يعنى بحجة ان كان صادقا (كما أرسل الاولون) أى من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أى قبل مشركى مكة (من قرية) أى من أهل قرية أتتهم الآيات (أهلكناها) يعنى بالتكذيب (أفهم يؤمنون) يعنى ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء * قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى انا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما أرسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك (فاسئلوا أهل الذكر) يعنى أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن يعنى فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون) * قوله عز وجل (وما جعلناهم) أى الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) يعنى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) يعنى الذى وعدناهم باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) يعنى من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) يعنى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه * قوله عز وجل (لقد أنزلنا اليكم) يعنى يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) يعنى شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقل * قوله تعالى (وكم قصمنا) يعنى أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) يعنى كافرة والمراد أهل القرية (وأنشأنا بعدها) أى أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) أى عذابنا بحاسة البصر

وما جاءكم به شعر (فليأتنا) محمد (بآية) ان كان صادقا (كما أرسل الاولون) من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أى قبل مشركى مكة (من قرية) أى من أهل قرية أتتهم الآيات (أهلكناها) أهلكناهم بالتكذيب (أفهم يؤمنون) ان جاءتهم آية معناه أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يعنى انا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما أرسلنا رجالا نوحى اليهم (فاسئلوا أهل الذكر) يعنى أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلعم وأمر المشركين بسؤالهم لانهم الى تصديق من لم يؤمن بالنبى صلعم أقرب منهم الى تصديق من آمن به وقال ابن زيد أراد بالذكر القرآن أراد فاسئلوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم) (اذاهم
أى الرسل (جسدا) ولم يقل أجسادا لانه اسم الجنس (لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام يقول لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) فى الدنيا (ثم صدقناهم الوعد) الذى وعدناهم باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) يعنى أنجينا المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) يعنى المشركين المكذبين وكل مشرك مسرف على نفسه (لقد أنزلنا اليكم كتابا) يا معشر قريش (فيه ذكركم) يعنى شرفكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك وهو شرف لمن آمن به وقال مجاهد فيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكركم أى ذكر ما تحتاجون اليه من أمر دينكم (أفلا تعقلون وكم قصمنا) أهلكنا والقصم الكسر (من قرية كانت ظالمة) أى كافرة يعنى أهلها (وأنشأنا بعدها) يعنى أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) يعنى رأوا عذابنا بحاسة البصر

(اذاهم منها يركضون) يعنى يسرعون هاربين (لاتركضوا) يعنى قيل لهم لاتركضوا لاتهربوا لاتذهبوا (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) يعنى نعمتم به (ومساكنكم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم وقيل من دنياكم شيأ نزلت هذه الآية فى أهل حضرموت وهى قرية باليمن وكان أهلها من العرب فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر حتى قتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا فقالت الملائكة لهم استهزاء لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون قال قتادة لعلكم تسئلون شيأ من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاء بهم فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد فى جوّ السماء يا ثارات الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم فـ(قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم) أى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا دعاؤهم يدعون بها ويرددونها (حتى جعلناهم حصيدا) بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) ميتين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) أى عبثا وباطلا (لوأردنا أن نتخذ لهوا) اختلفوا فى اللهو قال ابن عباس فى رواية عطاء اللهو ههنا المرأة وهو قول الحسن وقتادة وقال فى رواية الكلبى اللهو الولد وهو قول السدى وهو فى المرأة أظهر لان الوطء يسمى لهوا فى اللغة والمرأة محل الوطء (لاتخذناه من لدنا) يعنى من عندنا من الحور العين لامن عندكم من أهل الارض وقيل معناه لوكان ذلك جائزا فى حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وتأويل الآية ان النصارى لما قالوا فى المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بهذا وقال لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (ان كنا فاعلين) يعنى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية (بل) يعنى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) يعنى نرمى ونسلط (بالحق) يعنى بالايمان (على الباطل) يعنى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) يعنى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد (وله من فى السموات والارض) يعنى عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم (ومن عنده) يعنى الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين فى جملة من فى السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم (لايستكبرون عن عبادته) يعنى لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) يعنى لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) يعنى لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم

(اذاهم منها يركضون) يعنى يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب (لاتركضوا) يعنى قيل لهم لا تهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) يعنى التنعم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية فى أهل حضرموت قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لاتركضوا أى لاتهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيأ من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جوّ السماء يا ثارات الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) يعنى لا نفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) يعنى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) يعنى بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) يعنى ميتين * قوله عزوجل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) معناه ما سوّينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو وانما سوّيناهما لفوائد منها التفكر فى خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التى لا تعد ولا تحصى (لوأردنا أن نتخذ لهوا) قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه انه الولد (لاتخذناه من لدنا) يعنى من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الارض وقيل معناه لوكان ذلك جائزا فى حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا فى المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (ان كنا فاعلين) يعنى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية (بل) يعنى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) يعنى نرمى ونسلط (بالحق) يعنى بالايمان (على الباطل) يعنى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) يعنى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وقال مجاهد مما تكذبون (وله من فى السموات والارض) عبيدا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) ولا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) لا يعيون يقال حسر واستحسر اذا تعب وأعيا وقال السدى لا ينقطعون عن العبادة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) لا يضعفون قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم

قال قتادة ومقاتل وابن جريج ان للنفى معنا مما كنا فاعلين وقيل ان كنا فاعلين للشرط أى ان كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا ولكنا لم نفعله لانه لا يليق بالربوبية (بل) يعنى دع ذلك الذى قالوا فانه كذب وباطل (نقذف) نرمى ونسلط (بالحق) بالايمان (على الباطل) على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) يعنى يهلكه وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ (فاذا هو زاهق) ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما بين من الحق حتى يضمحل ويذهب ثم أوعدهم على كذبهم فقال (ولكم الويل) يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وقال مجاهد مما تكذبون (وله من فى السموات والارض) عبيدا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) ولا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) لا يعيون يقال حسر واستحسر اذا تعب وأعيا وقال السدى لا ينقطعون عن العبادة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) لا يضعفون قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم

متصل دائم لا يفتر في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الارض (هم ينشرون) يعني يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) يعني في السماء والارض (آلهة الا الله) يعني غير الله (لفسدتا) يعني لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب ان يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا أو نقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومرادهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن واعلم ان كل من طعن في دلالة التمانع ففسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) يعني لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه (وهم يسئلون) يعني والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يسئل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعلته لم فعلته * قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما أبطل الله تعالى ان تكون آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا (هذا) يعني القرآن (ذكر من معي) يعني فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) يعني خبر

(أم اتخذوا آلهة) استفهام بمعنى الجحد أي لم يتخذوا (من الارض) يعني الاصنام من الخشب والحجارة وهما من الارض (هم ينشرون) يحيون الاموات ولا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم (لو كان فيهما) يعني في السماء والارض (آلهة الا الله) يعني غير الله (لفسدتا) خربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لان كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام ثم نزه نفسه فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) يعني عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) ويحكم على خلقه لانه الرب (وهم يسئلون) يعني الخلق يسئلون عن أفعالهم وأعمالهم لانهم عبيد (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) يعني حجتكم على ذلك ثم قال مستأنفا (هذا) يعني القرآن (ذكر من معي) فيه خبر من معي على ديني ومن تبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) خبر

(من قبلي) من الامم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وعن ابن عباس في رواية عطاء ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل ومعناه راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي اليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله وما أرسلناك وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول (أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وحدون (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أي هم عباد يعني الملائكة (مكرمون لا يسبقونه بالقول) لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) معناه انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) قال ابن عباس أي الا لمن قال لا اله الا الله وقال مجاهد أي لمن رضي عنه (وهم من خشيته مشفقون) خائفون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم اني اله من دونه) قال مقاتل عنى به ابليس حين دعا الى عبادة نفسه وامر بطاعة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل اني اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها (أولم ير الذين كفروا) قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير لم ير بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم معناه ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة كانتا شيئا واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد والفتق الشق قال كعب خلق الله السموات والارض

(من قبلي) أي من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا أو كان معه آلهة (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) * قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) أي فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون أي عن التأمل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بأنه لا اله الا هو * قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أي هم عباد يعني الملائكة (مكرمون) أي أكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) أي لا يتقدمونه (بالقول) أي لا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) المعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله تعالى عنه (وهم من خشيته مشفقون) أي خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم اني اله من دونه) قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل اني اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها * قوله عز وجل (أولم ير الذين كفروا) أي ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) أي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة * فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان * قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعني ان أكثر ما على وجه الارض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون (وجعلنا في الارض رواسي) أي جبالا ثوابت (أن تميد بهم) أي لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فارساها الله وأثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) أي في الرواسي

بعضها على بعض ثم خلق ريحا فوسطها ففتحهما بها قال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين قال عكرمة وعطية كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات وانما قال رتقا على التوحيد وهو من نعت السموات والارض لانه مصدر وضع موضع الاسم مثل الزور والصوم ونحوهما (وجعلنا) وخلقنا (من الماء كل شيء حي) أي أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعني انه سبب لحياة كل شيء والمفسرون يقولون يعني ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء لقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء قال أبو العالية يعني النطفة فان قيل قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء قيل هذا على وجه التكثير يعني ان أكثر الاحياء في الارض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي) أي جبالا ثوابت (أن تميد بهم) لئلا تميد بهم (وجعلنا فيها) في الرواسي

(فجاجا) طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين أى جعلنا بين الجبال طرقا كى يهتدوا الى مقاصدهم (سبلا) تفسير للفجاج (لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا) من أن تسقط دليله قوله تعالى ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب دليله قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم (وهم) يعنى الكفار (عن آياتها) أى عن ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها (معرضون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء من الجرى والسبح فذكر على ما يعقل والفلك مدار النجوم الذى يضمها والفلك فى كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه أفلاك ومنه فلكة المغزل وقال الحسن

(فجاجا) أى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلا) هو تفسير الفجاج (لعلهم يهتدون) أى الى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) أى من أن يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب (وهم) يعنى الكفار (عن آياتها معرضون) أى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها فى أفلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) أى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذى يضمها وهو فى كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل يريد ان الذى تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا باخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية * قوله عزوجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى أن لا يخلد فى الدنيا بشرا لا أنت ولا هم فان مت أنت أفيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك فان الله تعالى حى لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (ونبلوكم) أى نختبركم (بالشر والخير) أى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون (فتنة) أى ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا ترجعون) أى للحساب والجزاء * قوله عزوجل (واذا رآك الذين كفروا ان) أى ما (يتخذونك الا هزوا) أى سخريا قيل نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (أهذا الذى يذكر آلهتكم) أى يقول بعضهم لبعض أهذا الذى يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب * قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح فى رأس

الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل يريد ان الذى يجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة قال الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها قال مجاهد كهيئة حديد الرحى وقال بعضهم الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وهو معنى قول قتادة وقال الكلبى الفلك استدارة السماء وقال آخرون الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم قوله عزوجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) دوام البقاء فى الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) أى أفهم الخالدون ان مت قيل نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم) نختبركم (بالشر والخير) بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون (فتنة) ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك (الا هزوا) سخريا قال السدى آدم نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (أهذا الذى) أى يقول بعضهم لبعض أهذا الذى (يذكر آلهتكم) أى يعيبها يقال فلان يذكر فلانا أى يعيبه وفلان يذكر الله أى يعظمه ويبجله (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا مسيلمة وهم الثانية صلة (خلق الانسان من عجل) اختلفوا فيه فقال قوم معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع كما قال الله تعالى وكان الانسان عجولا قال سعيد بن جبير والسدى لما دخلت الروح فى رأس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخلت فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قائما قبل أن تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل والمراد بالانسان آدم وأورث

أولاده العجلة والعرب تقول للذى يكثر منه الشئ خلقت منه كما يقول خلقت من تعب وخلقت من غضب تريد المبالغة فى وصفه بذلك يدل على هذا قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقال قوم معناه خلق الانسان يعنى آدم من تعجيل فى خلق الله اياه لان خلقه كان بعد خلق كل شئ فى آخر النهار يوم الجمعة فأسرع فى خلقه قبل مغيب الشمس وقال مجاهد فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها وقال قوم من عجل أى من طين قال الشاعر

والنبع فى صخرة الصماء منبتة * والنخل ينبت بين الماء والعجل

(سأريكم آياتى فلا تستعجلون) هذا خطاب للمشركين نزل هذا فى المشركين كانوا يستعجلون بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء وقيل نزلت فى النضر بن الحارث فقال تعالى سأريكم آياتى أى مواعيدى فلا تستعجلون أى فلا تطلبوا العذاب من قبل وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل ولا عن ظهورهم السياط (ولا هم ينصرون) يمنعون من العذاب وجواب لو فى قوله لو يعلم الذين محذوف معناه لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد (بل تأتيهم) يعنى الساعة (بغتة) أى فجأة (فتبهتهم) أى تحيرهم يقال فلان مبهوت أى متحير (فلا يستطيعون) ردها ولا هم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) أى جزاء استهزائهم (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) ان أنزل بكم عذابه وقال ابن عباس من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) عن القرآن ومواعظ الله (معرضون أم لهم) أم صلة ٣ فيه وفى أمثاله (آلهة تمنعهم من دوننا) فيه تقديم وتأخير تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم صف الالهة بالضعف فقال تعالى (لا يستطيعون نصر أنفسهم) منع أنفسهم فكيف ينصرون عابديهم (ولا هم منا يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقال عطية عنه يجارون تقول العرب أنا لك جار وصاحب من فلان أى مجير منه وقال مجاهد ينصرون ويحفظون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) الكفار (وآباءهم) فى الدنيا أى أمهلناهم وقيل أعطيناهم النعمة (حتى طال عليهم العمر) أى امتد بهم الزمان فاغتروا (أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) أى ما ننقص من اطراف المشركين ونزيد فى أطراف المؤمنين يريد ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك أرضا فأرضا

آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل فى خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شئ فى آخر النهار يوم الجمعة فأسرع فى خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا أطوارا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل أى من طين قال الشاعر * والنخل ينبت بين الماء والعجل * أى بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانسانى يدل عليه قوله (سأريكم آياتى فلا تستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت فى النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتى أى مواعيدى فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعنى المشركين (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى انهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) يعنى لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السياط (ولا هم ينصرون) أى لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيهم) يعنى الساعة (بغتة) أى فجأة (فتبهتهم) أى تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أى صرفها ودفعها عنهم (ولا هم ينظرون) أى لا يمهلون للتوبة والمعذرة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أى يا محمد كما استهزأ بك قومك (فحاق) أى نزل وأحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) أى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم * قوله تعالى (قل من يكلؤكم) أى يحفظكم (بالليل) اذا نمتم (والنهار) اذا انصرفتم فى معايشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أى عن القرآن ومواعظه (معرضون) أى لا يتأملون فى شئ منها (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أى لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم (ولا هم منا يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) يعنى الكفار (وآباءهم) أى فى الدنيا بان أنعمنا عليهم وأمهلناهم (حتى طال عليهم العمر) أى امتد بهم الزمان فاغتروا (أفلا يرون) يعنى هؤلاء المشركين (أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) يعنى ننقص من أطراف المشركين ونزيد فى أطراف المؤمنين يريد بذلك

(أفهم الغالبون) أم نحن (قل انما أنذركم بالوحى) أى أخوّفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) قرأ ابن عباس رضى الله عنهما بالتاء وضمها وكسر الميم الصم نصبا جعل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم الصم رفع (اذا ما ينذرون) يخوفون (ولئن مستهم) أصابتهم (نفحة) قال ابن عباس رضى الله عنهما طرف وقيل قليل وقال ابن جريج نصيب من قولهم نفح فلان لفلان من ماله أى أعطاه حظا ونصيبا منه وقيل ضربة من قولهم نفحت الدابة برجلها اذا ضربت بها (من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) أى ياهلاكنا انا كنا مشركين دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا بالشرك (ونضع الموازين القسط) أى ذوات القسط والقسط العدل (ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ) أى لا تنقص من ثواب حسناتها ولا يزاد على سيآتها وفى الاخبار أن الميزان له لسان وكفتان روى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشى عليه ثم أفاق فقال يا الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال ياداود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة (وان كان) الشئ (مثقال حبة) أى زنة مثقال حبة (من خردل) قرأ أهل المدينة مثقال برفع اللام ههنا وفى سورة لقمان يعنى وان وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الآخرون على معنى وان كان ذلك الشئ مثقال حبة يعنى زنة مثقال حبة من خردل (أتينا بها) قوله أحضرناها النجازى بها (وكفى بنا حاسبين) قال السدى محصين والحسب معناه العدّ وقال ابن عباس رضى الله عنهما عالمين حافظين لان من حسب شيأ علمه وحفظه

ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك أرضا فأرضا وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا فى اتيان الارض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها فى ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن ارادتنا فيهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يامحمد (انما أنذركم بالوحى) أى أخوّفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) أى يخوّفون (ولئن مستهم) أى أصابتهم (نفحة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شئ قليل (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك * قوله عزوجل (ونضع الموازين القسط) أى ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجرى على حد العدل ومعنى وضعها احضارها (ليوم القيامة) أى لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم فى الاعمال فمن أحاطت حسناته بسيآته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والصحيح الذى عليه أئمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الاقوال أنه ميزان واحد وانما جمع لاعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عزوجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات قال ياداود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فعلى هذا ففى كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض طريقان أحدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيآت فى كفة والثانى أن يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة * فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * قلت هذه فى حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر * وقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيأ) يعنى لا تحبس عما لها وما عليها من خير وشر شيأ (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) معناه انه لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد فى اساءة مسىء وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتينا بها يعنى أحضرناها النجازى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذى السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت فى الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هى التى توزن لا أن الاعمال تجسد جواهر فتوزن والله أعلم * قوله تعالى (وكفى بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيأ فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان فى العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شئ وفى القدرة بحيث لا يعجز عن شئ فحقيق بالعاقل أن يكون بأشد الخوف منه ويروى عن الشبلى انه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا * ثم منوا فاعتقوا * هكذا سيمة الملو * ك بالمماليك يرفقوا

(ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقال ابن زيد الفرقان النصر على الاعداء كما قال الله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعنى يوم بدر لانه قال (وضياء) أدخل الواو فيه أى آتينا موسى النصر والضياء وهو التوراة ومن قال المراد بالفرقان التوراة قال الواو فى قوله وضياء زائدة مقحمة معناه آتيناه التوراة ضياء وقيل هو صفة أخرى للتوراة (وذكرا) تذكيرا (للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافونه ولم يروه (وهم من الساعة مشفقون) خائفون (وهذا ذكر مبارك) يعنى القرآن وهو ذكر لمن تذكر به مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير (أنزلناه أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) جاحدون وهذا استفهام توبيخ وتعيير قوله عز وجل (ولقد آتينا ابراهيم رشده) قال القرطبى أى صلاحه (من قبل) يعنى من قبل موسى وهرون وقال المفسرون رشده من قبل أى هداه من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير يريد هديناه صغيرا كما قال تعالى ليحيى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا (وكنا به عالمين) انه أهل للهداية والنبوّة (اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل) أى الصور يعنى الاصنام (التى أنتم لها عاكفون) يعنى على عبادتها مقيمون (قالوا

قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعنى التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة فى وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء (وذكرا للمتقين) يعنى يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها (الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه فى الخلوات اذا غابوا عن أعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أى خائفون (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) أى كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكرا مباركا أى هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرّك به ويطلب منه الخير (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) أى جاحدون * قوله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده) أى صلاحه وهداه (من قبل) أى من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير (وكنا به عالمين) أى انه من أهل الهداية والنبوّة (اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل) يعنى الصور والاصنام (التى أنتم لها عاكفون) أى مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أى فاقتدينا بهم (قال) يعنى ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) أى فى خطأ بين بعبادتكم اياها (قالوا أجئتنا بالحق) أى بالصدق (أم أنت من اللاعبين) يعنون أجادّ أنت فيما تقول أم لاعب (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) أى خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أى على انه الاله الذى يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض (وتالله لاكيدن أصنامكم) أى لامكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) أى منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا فى نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه الى الارض وقال انى سقيم أشتكى رجلى فتركوه ومضوا فنادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لاكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن فى بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذى يليه أصغر منه وهكذا الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدى الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد برّكت الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم البهم والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى اذا لم

وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) خطأ بين بعبادتكم اياها (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يعنون أجادّ أنت فيما تقول أم لاعب (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) يعنى على انه الاله الذى لا يستحق العبادة غيره وقيل من الشاهدين على انه خالق السموات والارض (وتالله لاكيدن أصنامكم) لامكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) يعنى بعد أن تدبروا منطلقين الى عيدكم قال مجاهد وقتادة انما قال ابراهيم هذا سرا من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد فافشاه عليه وقال انا سمعنا فتى يذكرهم يقال له

ابراهيم قال السدى كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم له يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم يقول أشتكى رجلى فلما مضوا نادى ابراهيم فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لاكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن فى بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد برّكت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر اليهم ابراهيم والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم تجيبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الصنم الاكبر علق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل

(فجعلهم جذاذا) قرأ الكسائى جذاذا بكسر الجيم أى كسرا وقطعا جمع جذيذ وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وقرأ الاخرون بضمها مثل الحطام والرفات (الا كبيرا لهم) فانه لم يكسره ووضع الفأس فى عنقه وقيل ربطه بيده وكانت اثنين وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وشبه وخشب وحجر وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان قوله تعالى (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه لعلهم يرجعون الى دينه والى ما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل لعلهم اليه يرجعون فيسئلونه فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم جذاذا (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) يعنى من المجرمين (قالوا) يعنى الذين سمعوا قول ابراهيم وتالله لاكيدن أصنامكم (سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم ويسبهم (يقال له ابراهيم) هو الذى نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه (قالوا فأتوا به على أعين الناس) قاله نمرود يقول جيؤا به ظاهرا بمرأى من الناس (لعلهم يشهدون) عليه أنه الذى فعله كرهوا ان يأخذوه بغير بينة قاله الحسن وقتادة والسدى وقال محمد بن اسحق لعلهم يشهدون أى يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب من أن يعبد معه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن وأراد بذلك ابراهيم اقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فسئلوهم ان كانوا ينطقون) حتى يخبروا من فعل ذلك بهم قال القتيبى معناه بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطا للفعل أى ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفى ضميره أنا فعلت وروى عن الكسائى انه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه فعله من فعله والاول أصح لما روى عن أبى هريرة ان رسول أنتم الله صلعم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هذه أختى وقيل فى قوله انى سقيم أى ساسقم وقيل سقيم القلب أى مغتم بضلالتكم وقوله لسارة هذه أختى أى فى الدين وهذه التأويلات لنفى الكذب عن ابراهيم والاول هو الاولى للحديث فيه ويجوز أن يكون الله عز وجل أذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف حتى أمر منادية فقال لاخوته أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا (فرجعوا الى أنفسهم) أى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما نراه الا كما قال (انكم

يبق الا الصنم العظيم علق الفأس فى عنقه وقيل فى يده ثم خرج فذلك قوله تعالى (فجعلهم جذاذا) أى كسرا وقطعا (الا كبيرا لهم) أى تركه ولم يكسره ووضع الفأس فى عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان * وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس فى عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم رأوا أصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) أى فى تكسيرها واجترائه عليها (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) أى يسبهم ويعيبهم (يقال له ابراهيم) أى هو الذى نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أى جيؤا به ظاهرا بمرأى من الناس وانما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) أى عليه بأنه الذى فعل ذلك كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) يعنى ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن وأراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسئلوهم ان كانوا ينطقون) أى حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفى ضمنه أنا فعلت ذلك (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختى لفظ الترمذى قيل فى قوله انى سقيم أى سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختى أى فى الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب * فان قلت قد سماها النبى صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته * قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات لنفى الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز أن يكون الله أذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه انه لو جاز ان يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال فى كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله (فرجعوا الى أنفسهم) يعنى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما نراه الا كما قال (انكم

أنتم الظالمون) يعني بعبادتكم من لا يتكلم وقيل أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسئلوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول ثم أدركتهم الشقاوة فهو معنى قوله ثم نكسوا على رؤسهم أي ردوا الى الكفر بعد ان أقروا على أنفسهم بالظلم يقال نكس المريض اذا رجع الى حالته الاولى وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليه السلام (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) ان عبدتموه (ولا يضركم) ان تركتم عبادته (أف لكم) يعني تبا وقذرا لكم (ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) يعني أليس لكم عقل تعرفون به هذا فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) يعني ان كنتم ناصرين لها وقال ابن عمر رضي الله عنهما ان الذي قال هذا رجل من الاكراد وقيل ان اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود فلما أجمع نمرود وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالخظيرة وقيل بنوا أتونا بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحتطبن في نار ابراهيم وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه فيها وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه فيه احتسابا قال ابن اسحق كانوا يجمعون الحطب شهرا فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب النار فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا في نصرته فقال الله تعالى انه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيري فان استغاث بأحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه

أنتم الظالمون) يعني بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أي ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) يعني فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) يعني ان عبدتموه (ولا يضركم) يعني ان تركتم عبادته (أف لكم) يعني تبا لكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) يعني أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) يعني انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن فيها (ان كنتم فاعلين) يعني ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾ فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالخظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحتطبن في نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا في نصرته فقال الله تعالى انه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيري فان استغاث بأحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه

وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي غيره خليل وأنا الهه وليس له اله غيري فان استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه فقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروى عن أبي بن كعب ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار قال لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال اما اليك فلا فقال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد الله بن موسى أو ابن سلام عنه أنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ النار على ابراهيم قال الله تعالى

(قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لولم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها ومن المعروف فى الآثار انه لم يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد أبدا قال السدى فاخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم فى ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت قط أياما أنعم منى من الايام التى كنت فيها فى النار قال ابن يسار وبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله جبريل اليه بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول لك اما علمت ان النار لا تضر أحبائى ثم نظر نمرود وأشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهلك الذى بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما أرى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيته معك مثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه * قوله عز وجل (وأرادوا به كيدا) يعنى أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى دماغه بعوضة فاهلكته * قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) يعنى من نمرود وقومه (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) يعنى الى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار

فى النار أتاه خازن المياه وقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن أبى بن كعب ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار (ق) عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الاوزاغ زاد البخارى وقال كان ينفخ على ابراهيم (قلنا) يعنى قال الله عز وجل (يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لولم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفى بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم فى ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم منى من الايام التى كنت فى النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائى ثم نظر نمرود وأشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهلك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقمت ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيته معك مثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حيث أبيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم اذا لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملتى وملكى ولكن سوف أذبحها فذبحها نمرود ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله منه قال شعيب الجبائى ألقى ابراهيم فى النار وهو ابن ست عشرة سنة قوله (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل معناه ان الله عز وجل أرسل على نمرود وأهله البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة فى دماغه فأهلكته قوله (ونجيناه ولوطا) من نمرود وقومه من أرض العراق (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) يعنى الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها بعث أكثر الانبياء وقال أبى بن كعب سماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التى هى فى بيت المقدس

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا أبو الحسين بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار انا أحمد بن منصور الرمادي انا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة ان عمر بن الخطاب قال لكعب ألا تحوّل الى المدينة فبها مهاجر رسول الله صلعم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه و بها كنزه من عباده أخبرنا ابو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري انا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز انا محمد بن زكريا العذافري انا اسحق الدبري انا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلعم يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم وقال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئه وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن

هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ وآمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثى من أرض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة وأقرب فبعثه الله نبيا فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين (ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة) قال مجاهد وعطاء معنى النافلة العطية وهما جميعا من عطاء الله نافلة

وقال أبيّ بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا و ينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لكعب ألا تحوّل الى المدينة فبها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه و بها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم أخرجه أبو داود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام ترغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وماذاك يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله أين تأمرني قال ههنا ونحا بيده نحو الشام أخرجه الترمذي قال محمد ابن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى (ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة) يعني عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى أعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق و يعقوب (وجعلناهم أئمة) يعني قدوة يهتدى بهم في الخير (يهدون بأمرنا) يعني يدعون الناس الى ديننا بامرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) يعني العمل بالشرائع (واقام الصلوة) يعني المحافظة عليها (وايتاء الزكوة) يعني الواجبة وخصهما لان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) يعني موحدين قوله عز وجل (ولوطا آتيناه حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث اتيان الذكور في أدبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا) قيل أراد برحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب (انه من الصالحين) أي الانبياء * قوله تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل) أي من قبل ابراهيم ولوط

يعني عطاء قال الحسن والضحاك فضلا وعن ابن عباس وأبيّ بن كعب وابن زيد وقتادة رضي الله عنهم النافلة هو يعقوب لان الله عز وجل أعطاه اسحق بدعائه حيث قال هب لي من الصالحين وزاده يعقوب وهو ولد الولد والنافلة الزيادة (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق و يعقوب (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) يقتدى بهم في الخيرات يهدون بأمرنا يدعون الناس الى ديننا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) يعني العمل بالشرائع (وإقام الصلوة) يعني المحافظة عليها (وايتاء الزكوة) اعطاءها (وكانوا لنا عابدين) موحدين (ولوطا آتيناه) يعني وآتينا لوطا وقيل واذكر لوطا آتيناه (حكما) يعني الفصل بين الخصوم بالحق (وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني سدوم وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم و يتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى) دعا (من قبل) يعني من قبل ابراهيم ولوط

(فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل لانه كان أطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والكرب أشد الغم (ونصرناه) منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) أن يصلوا اليه بسوء وقال أبو عبيدة يعني على القوم (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث) اختلفوا في الحرث قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا (اذ نفشت فيه غنم القوم) يعني رعته ليلا فأفسدته والنفش الرعي بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع (وكنا لحكمهم شاهدين) يعني كان ذلك بعلمنا وبمرأى منا لا يخفى علينا علمه قال الفراء جمع اثنين فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لان الاثنين جمع وهو مثل قوله فان كان له اخوة فلأمه السدس وهو يريد أخوين قال ابن عباس وقتادة والزهري وذلك ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا ووقعت

في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي وروي أنه قال بحق النبوة والابوة الا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك وقيل ان سليمان يوم حكم بذلك كان ابن احدى عشرة سنة وأما حكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدت المواشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الانصار فأفسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل المواشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علمناه وألهمناه حكم القضية (وكلا) أي داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) أي بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة واذا أخطؤا فلا اثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى

(فاستجبنا له) أي أجبنا دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم (ونصرناه) أي منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) * قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أشبه بالعرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) أي رعته ليلا فأفسدته وكان بلا راع (وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بأن أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فأفسدته فلم تبق منه شيأ فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي وروي أنه قال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الانصار فأفسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علمناه وألهمناه حكم القضية (وكلا) يعني داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم فعلا بالاجتهاد وقالوا يجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين الا ان داود أخطأ وأصاب

الغير فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه بها لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع الله

يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح أخبرنا أبو الحسن السرخسي انا زاهر بن أحمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا فافسدته فقضى رسول الله صلعم ان على أهل الحوائط حفظها بالنهار وان ما أفسدت المواشي بالليل ضمان على أهلها وذهب أصحاب الرأي الى ان المالك اذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ماشيته ليلا كان أو نهارا قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علمناه القضية وألهمناها سليمان (وكلا) يعني داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم فعلا بالاجتهاد وقالوا يجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين الا ان داود أخطأ وأصاب

سليمان وقالوا يجوز الخطأ على الانبياء الا انهم لا يقرون عليه فاما العلماء فلهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب ولا سنة فاذا أخطأوا فلا اثم عليهم فانه موضوع عنهم لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعى أنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم التيمى عن بسر بن سعيد أبى عن قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلعم يقول اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحى وكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود وهذا القائل يقول لا يجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحى وقالوا لا يجوز الخطأ على الانبياء واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهر الآية وبالخبر حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأى وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد مجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطأ عنه موضوع اذا لم يأل جهده أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى أنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الاعرج انه سمع أبا هريرة انه سمع رسول الله صلعم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان وأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه فى الصحيحين قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه (وكنا فاعلين) يعنى ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله ألان الحديد لداود بأن يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لتحصنكم) اى تمنعكم (من بأسكم) أى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به (فهل أنتم شاكرون) أى يقول ذلك لداود وأهل بيته * قوله عز وجل (ولسليمان الريح) أى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه (عاصفة) أى شديدة الهبوب

الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحى فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحى واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأى وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطأ عنه موضوع اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد فى هذا الحكم ان داود وقوم قدر الضرر فى الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب فى ذلك الضرر فى الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجنى عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم فى تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه فى الصحيحين قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه (وكنا فاعلين) ماذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) المراد باللبوس هنا الدروع لانها تلبس وهو فى اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل فى الاسلحة كلها وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب قال قتادة أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة (لتحصنكم) لتحرزكم وتمنعكم (من بأسكم) أى من حرب عدوكم قال السدى من وقع السلاح فيكم قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب لتحصنكم بالتاء يعنى الصنعة وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله وعلمناه وقرأ الآخرون بالياء وجعلوا الفعل للبوس وقيل ليحصنكم الله (فهل أنتم شاكرون) يقول لداود وأهل بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمى بطاعة الرسول (ولسليمان الريح عاصفة) أى وسخرنا

لسليمان الريح وهى هواء متحرك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه و يظهر للحس بحركته والريح يذكر و يؤنث عاصفة شديدة الهبوب فان قيل قد قال فى موضع آخر تجرى بأمره رخاء والرخاء اللين قيل كانت الريح تحت أمره ان أراد أن تشتد اشتدت وان أراد أن تلين لانت (تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها) يعنى الشام وذلك انها كانت تجرى لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكنا بكل شئ) علمناه (عالمين) بصحة التدبير فيه أى علمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه عز وجل قال وهب ابن منبه كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان امر أغزاء قل ما يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله فكان فيما يزعمون انه اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريده أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهرا فى روحة (٢٤٨) وشهرا فى غدوة الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء و بالمزرعة فما

* فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة * قلت كانت الريح تحت أمره ان أراد أن تشتد اشتدت وان أراد أن تلين لانت (تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها) يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكنا بكل شئ عالمين) أى بصحة التدبير فيه وعلمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه حلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امر أغزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهرا فى روحته وشهرا فى غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء و بالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكر لى ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان امامن الانس أومن الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فانا ثنون بالشام مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبى الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجرى بأمره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى ان سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر و يروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر

تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكر لى ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان امامن الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فانا ثنون بالشام قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة و يقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح وعن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسى فيجلس الانس فيما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن لما شغلت نبى الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله عز وجل فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجرى بأمره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن فى كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب فاذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به و بهم يقيل عند قوم بينه و بينهم شهر و يمسى عند قوم بينه و بينهم شهر ولا يدرى القوم الا وقد أظلهم معه الجيوش وروى ان سليمان سار من أرض العراق غاز يا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ بحمله وجنوده الريح وتظلهم الطير ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاءهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر و يروح على مثل ذلك ثم عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على أرض القندهار وخرج منها الى أرض مكران وكرمان ثم جاوزها حوالى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها الى الشام فقال بكسكر ثم راح وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند وجيش الجن انى قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله تعالى (ومن الشياطين) يعني وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) يعني يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) يعني دون الغوص وهو ما ذكر الله عز وجل يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية (وكنا لهم حافظين) حتى لا يخرجوا من أمره وقال الزجاج معناه حفظنا هم من أن يفسدوا ما عملوا وفي القصة ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا وأفسدوه قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه) يعني دعا ربه قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من أولاد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكانت له البثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من البقر والابل والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه من العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أثنان لكل أثنان من الولد اثنان وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان براتقيا رحيما بالمساكين يطعم المساكين ويكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لأنعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النغر ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع سموات فلما بعث محمد صلعم حجب من الثلاث الباقية فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد فصعد سريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال الهي نظرت في أمر عبدك (٢٤٩) أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه

وكان أمر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية ويتجاوزون في ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك (وكنا لهم حافظين) يعني حتى لا يخرجوا عن أمره وقيل حفظنا هم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه * قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه) يعني دعا ربه

فشكرك وعافيته فحمدك ولوا بتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع الى الارض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني قد سلطت على مال أيوب

 وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار وأحرقت كل شئ آتي عليه فقال له ابليس فأت الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت رؤسها وثبتت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منها أحد الا احترق فأحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قبيحة على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال أيوب الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها وقديما ما وطنت نفسي وما لي على الفناء فقال ابليس فان رب أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ذلك ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر الى الله ليس لك ان تفرح حين أعارك ولا ان تجزع حين قبض عاريته منك الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى أصحابه خائبا خاسرا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجشمت أمواتا عن آخرها وماتت رعاؤها ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه مثل الرد الاول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ آتي عليه قال فأت الفدادين والحرث فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شئ من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب

مثل رده الاول كلما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى منه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله صعد الى السماء فقال الهى ان أيوب يرى منك انك ما متعته بولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانها المصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله ابليس حتى جاء بنى أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى اذا مثل بهم كل مثلة رفع القصر فقلبه فصاروا منكسين ثم انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا وكانوا منكسين على رؤسهم تسيل دماؤهم ودماغهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمى لم تلدنى فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو أعلم فوقف ابليس ذليلا فقال يا الهى انما هون على أيوب المال والولد انه يرى منك انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه وكان الله عز وجل اعلم به لم يسلطه عليه الا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء للثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جميع جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيها حكة فحكها باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه وتقطع وتغير وأنتن وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة وهى بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم النمرود بلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به وكان ممن حضره منهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام منى لاسنانكم ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم وانتهرتم ألم تعلموا ان أيوب نبى الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الارض فى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على انه قد سخط عليه شيأ من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيأ من الكرامة التى أكرمه بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم ان الله يبتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك بدليل على سخطه عليهم ولا هوانه لهم ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان

﴿ ذكر قصة أيوب عليه السلام ﴾ قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن اموص بن تارخ ابن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان براتقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لأنعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النمر وقيل نفير ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدرك ابليس الحسد والبغى فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك وخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتى عليه قال ابليس اذهب فأت الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيم ممن كانوا

أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا أن يعيره بالمصيبة ولا أن يعنيه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله عز جلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما واجلالا لله عز وجل فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله عز وجل بالاعمال الزكية يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين وانهم لابرار نزهاء برءاء ومع المقصرين والمفرطين وانهم لاكياس أقوياء فقال أيوب ان الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله عليه نور الكرامة ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال رب لاى شئ خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني باليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت به وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي الكرام فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبدك ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتي وجعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم عمل فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلا نظر الى فيرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه انه عذاب أليم ثم نودي يا أيوب ان الله عز وجل يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد

كانوا عليها على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نارحتى غشيت ابلك وأحرقتها ومن فيها غيري فقال أيوب بعد أن فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو أولى بها اذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فأخرك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفريت من الجن عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ما اذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفة تنسف كل شئ تأتي عليه قال فأت الفدادين في الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمانهم الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى الى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشئ صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهي ان أيوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى أتى بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يريهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فأخبره وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمي لم تلدني فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهي انما هوّن على أيوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله

ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي ولا شبه لي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما تبلغه بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد بأطرافها وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شئ وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا تقلها دعم من تحتها هل تبلغ من حكمتك (٢٥٢) أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين أنت مني يوم نبعت الانهار وسكرت البحار بسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على أي شئ أرسيتها أو بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها وهل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شئ أنشئ السحاب أم هل تدري أين خزائن الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزائن الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لايوب فقال أيوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورائي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض علي يا الهي قد علمت ان كل الذي ذكرت صنيع يديك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شئت عملت لا يعجزك شئ ولا يخفى عليك خافية اذ لقتني البلايا يا الهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني فليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشئ يسخط ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني وأستغيث بك من عقابك فاغثني وأستعين بك على أمري فأعني وأتوكل عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشئ تكرهه مني قال الله تعالى يا أيوب تمذقني على وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون

عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا اليه فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم وانتهرتم ألم تعلموا ان أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيأ من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم ان يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم الخشية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا اشتاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار برءاء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس أقوياء قال أيوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتموني غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا عني قربانا لعل الله أن يقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد ستر ها الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم فيما خلا توقروني وأنا مسموع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي

عبرة لاهل البلاء وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن أصحابك قربانا فاستغفرلهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالواهة مترددة ثم قالت ياعبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ها هنا فقال لها هل تعرفينه اذا رأيتيه قالت نعم ومالي لا أعرفه ثم تبسم وقال أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته قال ابن عباس فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد فذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لاجله اني مسني الضر وفي مدة بلائه فروى ابن شهاب عن أنس رفعه ان أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب كان أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به فصرخ ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا له ماحزنك قال أعياني هذا العبد أيوب الذي لم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له أين

خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم كنتم أشد علي من مصيبتي ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يارب لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني ياليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولولا ان ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء في فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك سمعي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي ياأيوب ان الله يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد أزرك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما يبلغ لمثله مثلك أين أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين كنت مني يوم أنبعت الانهار وسكبت البحار بسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شيء أنشأت السحاب أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزانة الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على آثار قدرته ذكرها لايوب فقال أيوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض على الهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية الهي أوثقني البلاء فتكلمت ولم أملك نفسي فكان البلاء هو الذي أنطقني ليت الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخطك ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك وأستجير بك من جهد البلاء فأجرني وأستغيث بك من عقابك فاغثني وأستعينك على أمري فأغني وأتوكل عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني قال الله تعالى ياأيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء مكرك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قالوا نشير عليك من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك في أيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع مقالها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وماهو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال

الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح هذه لى أيوب و يبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الصحيح اذبح هذه السخلة واستروح قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك و يلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فذكرنا بتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال و يلك ما أنصفت ألا صبرت فى البلاء ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتنى أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى أتيتنى به على حرام وحرام على ان أذوق شيئا مما تأتينى به بعد اذ قلت لى هذا فاعزبى عنى فلا أراك فطردها فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شئ ظاهر الا سقط وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال الا وقد ضعفه الله حتى ذكر لنا ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردنى الى من أكله أدعه يموت جوعا و يضيع فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التى كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعين أيوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عن أيوب فدعاها وقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لا ادرى اضاع ام ما فعل به فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بلى فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت

وعز الصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فنه تناول وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك روى عن أنس برفعه ان أيوب لبث ببلائه ثمانى عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة لبنى اسرائيل سبع سنين وأشهرا يختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أحزنك قال أعيانى هذا العبد الذى لم أدع له مالا ولا ولدا ولم يزده الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له فأين مكرك الذى أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى أيوب فأشيروا على قالوا من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق ابليس حتى أتى رحمة امرأة أيوب وهى تصدق فتمثل لها فى صورة رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه و يتردد الديدان فى جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم انها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح لى هذه أيوب و يبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واستروح قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك و يلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال و يلك ما أنصفت ربك ألا صبرت فى البلاء ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتنى أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام ان أذوق منه شيأ أعزبى دعينى فلا أراك فطردها فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شئ ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان عليه وما كان له من أهل ومال الا وقد ضعفه الله له وذكرلنا ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردنى الى من أكله أدعه يموت جوعا و يضيع فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التى كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعينى أيوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عن أيوب فدعاها وقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لا ادرى اضاع ام ما فعل به فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بلى فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت

أما فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التى كانت واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعين أيوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عنه فدعاها أيوب فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة ولا أدرى أضاع أم ما فعل فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بلى قال فهل تعرفينه اذا رأيته فقالت وهل يخفى على

أما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانى أنا ايوب الذى امرتنى ان اذبح سخلة لا بليس وانى اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وقال وهب لبث أيوب فى البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال فقال لها انت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفينى قالت لا قال أنا اله الارض وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد الله اله السماء وتركنى فاغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندى ثم أراها اياهم ببطن الوادى الذى لقيها فيه قال وهب وقد سمعت انه انما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله عليه لعوفى مما به من البلاء والله أعلم وفى بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدى لى سجدة حتى أرد عليك المال والاولاد وأعافى زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله ابليس ليفتنك عن دينك ثم اقسم لو أن الله عافاه ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها واياى الى الكفر ثم ان الله عز وجل رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبر يمين أيوب فامره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وروى ان ابليس اتخذ تابوتا وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأة أيوب فلما مرت به امرأة أيوب تداوى الناس فرت به امرأة أيوب فقالت ياشيخ ان لى مريضا أفتداويه قال نعم والله لا أريد شيأ الا أن يقول اذا شفيته أنت شفيتنى فذكرت ذلك لايوب فقال هو ابليس قد خدعك ثم حلف ان شفاه الله ان يضربها مائة جلدة وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء وسئمها الناس ولم يستعملها أحد التمست له يوما من الايام ما يطعمه فاوجدت شيأ فخزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فاتته به فقال لها أين قرنك فاخبرته فحينئذ قال مسنى الضر وقال قوم انما قال ذلك حين قصدت الدودة الى قلبه ولسانه فخشى ان يفتر عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبى ثابت لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاآليه ولم يبق له الا عيناه فرأيا أمرا عظيما فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثانى ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت اليه طعاما والثالث قول ابليس انى أداويه على أن يقول أنت شفيتنى وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امرأتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عيل صبره فدعاه وحلف ليضربنها مائة جلدة وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الاعداء حتى روى نه قيل له بعدما عوفى ما كان أشد عليك فى بلائك قال شماتة الاعداء وقيل قال ذلك حين وقعت دودة من نخذه فردها الى موضعها وقال كلى فقد جعلنى الله طعامك فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاساه من عض الديدان فان قيل ان الله سماه صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله أنى مسنى الضر وأنى مسنى الشيطان بنصب قيل ليس هذا شكاية انما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له على ان الجزع انما هو فى الشكوى الى الخلق فاما الشكوى الى الله عز وجل فلا يكون جزعا ولا ترك صبر كما قال يعقوب انما أشكو بثى وحزنى الى الله قال سفيان بن عيينة وكذلك من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبى صلى الله عليه

أما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانى أنا ايوب الذى امرتنى ان اذبح سخلة لا بليس وانى اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وقال وهب لبث أيوب فى البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفينى قالت لا قال أنا اله الارض وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركنى فأغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندى ثم أراها اياه ببطن الوادى الذى لقيها فيه وفى بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدى لى سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافى زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها واياى الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد ان يبر يمين أيوب فأمره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسنى الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشى ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها ما قيل فى حقه لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثانى ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فأتته بطعام والثالث قول ابليس انى أداويه على أن يقول أنت شفيتنى وقيل مسنى الضر أى من شماتة الاعداء حتى روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك فى بلائك قال شماتة الاعداء * فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب * قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى المخلوق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبى صلى الله عليه

مغموما وأجدني مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه قال بل أنا وارأساه قوله (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء بارد فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فامره ان يركض برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما يكون من الرجال وأجملهم (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين رد الله عز وجل اليه أهله وأولاده باعيانهم أحياهم الله له وأعطاهم مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن قال الحسن آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رد الله اليه وأهله يدل عليه ما روى عن الضحاك عن ابن عباس ان الله عز وجل رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا قال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وقال ابن يسار كان له سبع بنين وسبع بنات وروى عن أنس رفعه انه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله عز وجل سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح الذهب وأفرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاض وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك

وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدني مغموما وأجدني مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل أنا وارأساه * قوله تعالى (فاستجبنا له) أي أجبناه دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره ان يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين رد الله اليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن أنس يرفعه انه كان له أندران أندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فأفرغت احداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الاخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضا وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام يصبرك فاخرج الى أندرك فخرج اليه فأرسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها وردها الى أندره فقال له الملك ما يكفيك ما في أندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكني لا غنى لي عن بركتك وقيل آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان أهلك في الآخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) أي نعمة (وذكرى للعابدين) يعني عظة وعبرة لهم * قوله عز وجل (واسمعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم (وادريس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد الى الذبح وأما ادريس فقد تقدمت قصته وأما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من بني اسرائيل وكان ملكا أوحى الله اليه اني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل انه يصل الليل

السلام يصبرك فاخرج على اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك اما يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد ابن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال أنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك وقال قوم آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله

الذين هلكوا فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا قال عكرمة قيل لايوب ان أهلك لك في الآخرة فان شئت عجلناهم ولا لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) أي نعمة من عندنا (وذكرى للعابدين) أي عظة وعبرة لهم قوله (واسمعيل) يعني ابن ابراهيم (وادريس) وهو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) على أمر الله واختلفوا في ذا الكفل فقال عطاء ان نبيا من أنبياء بني اسرائيل أوحى الله اليه اني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل لك انه يصلي بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي بين الناس ولا يغضب فقام رجل

تزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فرده ذلك اليوم فاستخلفه فأتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى و بين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فائتنى حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلما كان من الغد جلس يقضى بين الناس و ينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فائتنى فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق اذا رحت فائتنى ففاتته القائلة وراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت يدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم آمرك فقال أمامن قبلى فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه فى البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتنى ففعلت ما

ولا يفتر و يصوم النهار ولا يفطر و يقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال انى أستخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا أستخلفه يصوم النهار و يقوم الليل و يقضى ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فأتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى و بين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فائتنى حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس و ينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال وأخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل اذا قعدت فأتنى قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا جلست فأتنى وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق علىّ النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسوّر منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم آمرك قال أمامن قبلى فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه فى البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتنى وفعلت ما فعلت لا غضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به واختلف فى نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وأدخلناهم فى رحمتنا) يعنى ما أنعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه فى الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) * قوله عز وجل (وذا النون) أى واذكر صاحب الحوت أضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن عباس فى رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصف وبقى منهم سبطان ونصف فأوحى الله الى شعياء النبى أن سر الى حزقيل الملك

ترى لا غضبك فعصمك الله منى فسمى ذا الكفل لانه تكفل أمرا فوفى به وقيل ان ابليس جاءه وقال ان لى غريما يمطلنى فأحب أن تقوم معى وتستوفى حتى منه فانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب وروى انه اعتذر اليه وقال ان صاحبى هرب وقيل ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلى كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبضه الله فوفى به واختلفوا فى انه هل كان نبيا فقال بعضهم كان نبيا وقيل هو هو الياس وقيل زكريا وقال أبو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا (وأدخلناهم فى رحمتنا) يعنى ما أنعم به عليهم فى الدنيا من النبوة وصيرهم اليه فى الجنة من الثواب (انهم من الصالحين وذا النون) أى اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى

 (اذ ذهب مغاضبا) اختلفوا فى معناه فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية العوفى وغيره عن ابن عباس قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا و بقى سبطان ونصف فأوحى الله الى شعياء النبى أن سر الى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فانى ألقى معه فى قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس انه قوى أمين فدعا الملك بيونس فأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجى قال لا قال فهل سمانى لك قال لا قال فههنا غيرى أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبى وللملك ولقومه فأتى بحر الروم فركبه وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عن قومه العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جرّبوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى به رفع العذاب وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله تعالى وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشى أن يقتلوه لما بهم العذاب للميعاد فغضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التى تكون من واحد

كالمسافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا أى غضبان وقال الحسن انما غاضب ربه عز وجل من أجل انه أمره بالمسير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقيل له ان الامر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعلا يلبسها فلم ينظر وكان فى خلقه ضيق فذهب مغاضبا وعن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم فقال التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب بن منبه ان يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولى العزم من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت قوله (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه بالعقوبة قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبى وهو رواية العوفى عن ابن عباس يقال قدر الله الشئ تقديرا وقدره يقدره قدرا بمعنى واحد ومنه قوله نحن قدرنا بينكم الموت فى قراءة من خففها دليل هذا التأويل (٢٥٨) قراءة عمر بن عبد العزيز والزهرى فظن أن لن نقدر عليه بالتشديد وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس كقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى يضيق وقال ابن زيد وا ستفهام معناه فظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف وعن الحسن قال بلغنى ان يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن ان نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه فى بطن الحوت فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة وقال عطاء سبعة أيام وقيل ثلاثة أيام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة وقيل بلغ به تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه تعالى فى بطن الحوت وراجع نفسه فقال لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين حين عصيتك وما صنعت من شئ فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته والتأويلات فى المتقدمة أولى بحال الانبياء انه ذهب مغاضبا لقومه أو للملك (فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) يعنى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وروى عن أبى هريرة مرفوعا أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله اليه ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفى رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذاك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم فذلك قوله عز وجل

وقل له يوجه نبيا قويا فانى ألقى فى قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك باخراجى قال لا قال فهل سماني الله لك قال لا قال فههنا غيرى أنبياء أقوياء فأحلوا عليه فخرج مغاضبا للنبى وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشى أن يقتلوه مالم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فانذرهم فقال ألتمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولى العزم من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت * وقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه العقوبة قاله ابن عباس فى رواية عنه وقيل معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه فى بطن الحوت فمكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه فى بطن الحوت (فنادى فى الظلمات) أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) أى حيث عصيتك وما صنعت من شئ فلم أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى الله تعالى الى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم أهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم فذلك قوله عز وجل

(فاستجبنا له) أى أجبناه (ونجيناه من الغم) من تلك الظلمات (وكذلك ننجى المؤمنين) من كل كرب اذا دعونا واستغاثونا بنا قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبى بكر نجى بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لانها مكتوبة فى المصحف بنون واحدة واختلف النحاة فى هذه القراءة فذهب أكثرهم الى انها لحن لانه لو كان على ما لم يسم فاعله لم تسكن الياء ورفع المؤمنين ومنهم من صوبها وذكر الفراء ان لها وجها آخر وهو اضمار المصدر أى نجى النجاة المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا ثم تقول ضرب زيدا بالنصب على اضمار المصدر وسكن الياء فى نجى كما يسكنون فى يبقى ونحوها وقال القتيبى من قرأ بنون واحدة والتشديد فانما أراد ننجى من التنجية الا انه أدغم وحذف نونا طلبا للخفة ولم يرضه النحويون لبعد مخرج النون من الجيم والادغام يكون عند قرب المخرج وقرأ العامة ننجى بنونين من الانجاء وانما كتبت بنون واحدة لان النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا فى الاحذفوا النون من ان لخفائها واختلفوا فى ان رسالة يونس بن متى متى كانت فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل ان الله عز وجل ذكره فى سورة والصافات فنبذناه بالعراء ثم ذكر بعده وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال الآخرون انها كانت من قبل بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون قوله عز وجل (وزكريا اذ نادى ربه) أى دعا ربه (رب لا تذرنى فردا) أى وحيد الا ولد لى يساعدنى وارزقنى وارثا (وأنت خير الوارثين) هو ثناء على الله بانه الباقى بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) أى ولدا (وأصلحنا له زوجه) أى جعلناها ولودا بعد ما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فأصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) يعنى الانبياء المذكورين فى هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة فى الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم فى طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعنى انهم ضموا الى فعل الطاعات أمرين أحدهما الفزع الى الله لمكان الرغبة فى ثوابه والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لا ينبسط فى الامور خوفا من الوقوع فى الاثم * قوله تعالى (والتى أحصنت فرجها) أى احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسنى بشر ولم أك بغيا وهى مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) أمرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله (وجعلناها وابنها آية) أى دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من

فى الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) أى من تلك الظلمات (وكذلك ننجى المؤمنين) أى من الكروب اذا دعونا واستغاثونا بنا * فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله انى كنت من الظالمين * قلت أما الجواب الكلى فقد اختلفوا فى هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب التفصيلى لقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله على انه لقومه أو للملك أولى بحال الانبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أى لن نضيق عليه وذلك أن يونس ظن أنه مخير ان شاء أقام وان شاء خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه فى اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة وأما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه أو لضعفه عما حمله أولدعائه بالعذاب على قومه وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم * قوله عز وجل (وزكريا اذ نادى ربه) أى دعا ربه فقال (رب لا تذرنى فردا) أى وحيدا لا ولد لى يساعدنى وارزقنى وارثا (وأنت خير الوارثين) هو ثناء على الله بانه الباقى بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) أى ولدا (وأصلحنا له زوجه) أى جعلناها ولودا بعد ما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فأصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) يعنى الانبياء المذكورين فى هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة فى الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم فى طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) خوفا رغبا فى رحمة الله ورهبا من عذاب الله (وكانوا لنا خاشعين) أى متواضعين قال قتادة ذللا لامر الله قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم فى القلب (والتى أحصنت فرجها) حفظت من الحرام وأراد مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) أى أمرنا جبرائيل حتى نفخ فى جيب درعها وأحدثنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أى دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب ولم يقل آيتين وهما آيتان لان معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولان الاية كانت فيهما واحدة وهى انها أتت به من غير فحل قوله

(ان هذه أمتكم) أى ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أى دينا واحدا وهو الاسلام فأبطل ماسوى الاسلام من الاديان وأصل الامة الجماعة التى هى على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع (وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا وأحزابا قال الكلبى فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض والتقطع ههنا بمعنى التقطيع (كل الينا راجعون) فنجزيهم بأعمالهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) لا يجحد ولا يبطل عمله سعيه بل يشكر ويثاب عليه (وانا له كاتبون) لعمله حافظون وقيل معنى الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة (وحرام على قرية) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر وحرم بكسر الحاء بلا ألف وقرأ الباقون بالالف حرام وهما لغتان مثل حل وحلال قال ابن عباس معنى الآية وحرام على قرية أى أهل قرية (أهلكناها) أن يرجعوا بعد الهلاك فعلى هذا تكون لا صلة وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى هذا تكون لاثباته معناه واجب على أهل قرية أهلكناهم (أنهم لا يرجعون) الى الدنيا وقال الزجاج معناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أى حكمنا بهلاكهم أن يتقبل أعمالهم لانهم لا يرجعون أى لا يتوبون والدليل على هذا المعنى انه قال فى الآية التى قبلها فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أى يتقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقيبه وبين ان الكافر لا يتقبل عمله قوله تعالى (حتى اذا فتحت) قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب فتحت بالتشديد على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف (يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد عن يأجوج ومأجوج (وهم من كل حدب) أى نشز وتل والحدب المكان المرتفع (ينسلون) يسرعون النزول من الاكام والتلاع كنسلان الذئب وهو سرعة مشية واختلفوا فى هذه الكناية فقال قوم عنى بها يأجوج ومأجوج بدليل ماروينا عن النواس بن

غير أب * فان قلت هما آيتان فكيف قال آية * قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أى ولادتها اياه من غير أب آية * قوله تعالى (ان هذه أمتكم) أى ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أى دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ماسوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التى هى على مقصد واحد وجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أى لا دين سوى دينى ولا رب لكم غيرى فاعبدونى أى وحدونى (وتقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا وأحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض (كل الينا راجعون) فنجزيهم بأعمالهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أى لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه (وانا له كاتبون) أى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة * قوله عز وجل (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قال ابن عباس معناه وحرام على اهل قرية اهلكناهم ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان نقبل اعمالهم لانهم لا يتوبون * قوله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه اخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة اعشار بنى آدم (وهم من كل حدب ينسلون) اى يسرعون النزول من الآكام والتلال وفى هذه الكناية وجهان احدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ماروى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننا فى طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفنى عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهى الى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لاحد أن يقاتلهم فحرز عبادى

سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال و يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون وقال قوم أراد جميع الخلق يعني انهم يخرجون من قبورهم و يدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدث بالجيم والثاء كما قال فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي

أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو خيثمة زهير بن حرب أنا سفيان بن عيينة عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم و يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم قوله تعالى (واقترب الوعد الحق) يعني القيامة قال الفراء وجماعة الواو في قوله واقترب مقحمة فمعناه حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق كما قال الله تعالى فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أي ناديناه والدليل عليه ما روى عن حذيفة قال لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة فلوا المهر (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان

عبادي الى الطور و يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها و يمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء و يحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله فيهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة و يستظلون بقحفها و يبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم و يبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم

﴿شرح غريب ألفاظ الحديث﴾ قوله حتى ظننا في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله فخفض فيه ورفع أي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في أمره وقيل انه خفض من أمره تهويناله ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره قوله انه شاب قطط أي جعد الشعر وقوله طافئة أي خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة أي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول في الشيء قوله فعاث أي أفسد قوله اقدروا له قدره أي قدروا قدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين أي مقحطين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة و بالمعجمة أي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم أي لا قدرة ولا قوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون في أنوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم أي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة أي كالمرآة وجمعها زلف و يروى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصابة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون أي يختلفون والتهارج الاختلاف وأصله القتل ﴿الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون﴾ قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم و يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم * قوله عز وجل (واقترب الوعد الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة وقال قوم لا يجوز طرح الواو وجعلوا جواب حتى اذا فتحت في قوله يا ويلنا فيكون مجاز الآية حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا قوله (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) وفي قوله هي ثلاثة أوجه أحدها انها كناية عن الابصار ثم أظهر الابصار بيانا لمعناه فاذا الابصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثاني ان هي تكون عمادا كقوله فانها لا تعمى الابصار والثالث ان يكون تمام الكلام عند قوله هي على معنى فاذا هي بارزة يعني من قربها كأنها حاضرة ثم ابتدأ شاخصة

أبصار الذين كفروا على تقديم الخبر على الابتداء مجازها أبصار الذين كفروا شاخصة قال الكلبي شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله يقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها (انكم) أيها المشركون (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) يعني وقودها وقال مجاهد وقتادة حطبها والحصب في لغة أهل اليمن الحطب وقال عكرمة هذا الحطب بلغة الحبشة قال الضحاك يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصب وأصل الحصب الرمي قال الله عز وجل أرسلنا عليهم حاصبا أي ريحا ترميهم بحجارة وقرأ علي بن أبي طالب حطب جهنم (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) على الحقيقة (ما وردوها) أي ما دخل عابدوها النار (وكل فيها خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر ثم تلك التوابيت في توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى أحد منهم ان في النار أحدا يعذب غيره ثم استثنى فقال (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال بعض أهل العلم ان ههنا بمعنى الا معناه الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى أنت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشياطين فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل (لا يسمعون حسيسها) يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما اشتهت أنفسهم) أي من النعيم والكرامة (خالدون) أي مقيمون * قوله تعالى (لا

القيامة اذا قامت شخصت أبصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) أي في وضعنا العبادة في غير موضعها * قوله عز وجل (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) أي حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم في النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمي (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ما وردوها) أي ما دخل الاصنام النار وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر ثم تلك التوابيت في توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى أحد منهم ان في النار أحدا يعذب غيره * قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان ههنا بمعنى الا أي الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى أنت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح تعبد الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشياطين فأنزل الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاصنام لان الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو أراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله (لا يسمعون حسيسها) يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة والحس والحسيس الصوت الخفي (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) مقيمون كما قال وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين

(لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس الفزع الاكبر النفخة الاخيرة بدليل قوله عز وجل ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض قال الحسن حين يؤمر بالعبد الى النار قال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقال سعيد بن جبير والضحاك هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء) قرأ أبو جعفر تطوى السماء بالتاء وضمها وفتح الواو والسماء رفع على المجهول وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو والسماء نصب (كطي السجل للكتب) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع وقرأ الآخرون للكتاب على الواحد واختلفوا في السجل فقال السدي السجل ملك يكتب أعمال العباد واللام زائدة أي كطي السجل الكتب كقوله ردف لكم اللام فيه زائدة وقال ابن عباس ومجاهد والاكثرون السجل الصحيفة للكتب أي لاجل ما كتب معناه كطي الصحيفة على مكتوبها والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتبة والطي

(لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا أهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي في الدنيا * قوله عز وجل (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوي السماء كما يطوى السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أي قلفا * وقوله تعالى (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعني الاعادة والبعث بعد الموت * قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أي بعد ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل (أن الارض يرثها عبادي الصالحون) يعني أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان في هذا) أي في القرآن (لبلاغا) أي وصولا الى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) يعني مؤمنين لا يعبدون أحدا من دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون * قوله عز وجل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم

الدرج الذي هو ضد النشر (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وروى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعني الاعادة والبعث قوله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال سعيد ابن جبير ومجاهد الزبور جميع الكتب المنزلة والذكر أم الكتاب الذي عنده والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس والضحاك الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور زبور داود والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك أي أمامهم والارض بعد ذلك دحاها قبله (أن الارض) يعني أرض الجنة (يرثها عبادي الصالحون) قال مجاهد يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض وقال ابن عباس أراد ان أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد بالارض الارض المقدسة (ان في هذا) أي في هذا القرآن (لبلاغا) وصولا الى البغية أي من اتبع القرآن وعمل به وصل الى ما يرجوه من الثواب وقيل بلاغا أي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة أي كفاية والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر (لقوم عابدين) أي المؤمنين الذين يعبدون الله وقال ابن عباس عالمين وقال كعب الاحبار هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قال ابن زيد يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

لطول مدتهم وانقطاع آثارهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة (قل انما يوحى الىّ أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) يعنى منقادون لما يوحى الىّ من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر أى أسلموا (فان تولوا) أى أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) أى أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أى انذارا بينا نستوى فى علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه نستوى نحن وأنتم فى العلم به وقيل معناه لتستووا فى الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدرى) أى وما أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) يعنى يوم القيامة لا يعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أى لا يغيب عن علمه شئ منكم فى علانيتكم وسركم (وان أدرى لعله فتنة لكم) أى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم بكم (ومتاع الى حين) أى تتمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أى افصل بينى وبين من كذبنى (بالحق) أى بالعذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرنى عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

والله أعلم بمراده

وأسرار كتابه

﴿ تم الجزء الرابع من تفسير الخازن ويليه الجزء الخامس وأوله سورة الحج ﴾

أنما أنا رحمة مهداة (قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) أى أسلموا (فان تولوا فقل آذنتكم) أى أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) يعنى انذرا بينا نستوى فى علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتاهبوا لما يراد بكم يعنى آذنتكم على وجه نستوى نحن وأنتم فى العلم به وقيل لتستووا فى الايمان به (وان أدرى) يعنى وما أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) يعنى القيامة (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدرى لعله) يعنى لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور (فتنة) اختبار (لكم) ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم (ومتاع الى حين) يعنى تتمتعون الى انقضاء آجالكم (قال رب احكم بالحق) قرأ حفص عن عاصم قال رب احكم وقرأ الآخرون قل رب احكم يعنى افصل بينى وبين من كذبنى بالحق فان قيل كيف قال احكم بالحق والله لا يحكم الا بالحق قيل الحق ههنا بمعنى العذاب لانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر نظيره قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال أهل المعانى معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب منه أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب فى حكمه الحق (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) من الكذب والباطل

﴿ فهرست الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صفحة

٢ ﴿ تفسير سورة الرعد ﴾
١١ فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة (أي قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض)
٢٦ ﴿ تفسير سورة ابراهيم عليه السلام ﴾
٤٥ ﴿ تفسير سورة الحجر ﴾
٥٠ فصل اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين
٦٤ ﴿ تفسير سورة النحل ﴾
٦٧ فصل احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل (أي آية والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)
٩٦ فصل في حكم الآية (أي قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)
١٠٣ فصل اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين (أي قوله تعالى ادع الى سبيل ربك)
١٠٤ ﴿ تفسير سورة الاسراء ﴾
١٠٥ فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به
١٠٩ فصل قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيأ لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس
١٠٩ فصل في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج
١١١ فصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء
١١٨ ذكر القصة في هذه الآيات (أي الآيات التي أولها وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب)
١٢٧ فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين
١٤٢ فصل في الاحاديث الواردة في قيام الليل
١٥٥ ﴿ تفسير سورة الكهف ﴾
١٦٠ ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه
١٩٣ ﴿ تفسير سورة مريم عليها السلام ﴾
٢١٢ ﴿ تفسير سورة طه ﴾
٢٢٩ الكلام على معنى الحديث وشرحه (أي حديث احتج آدم وموسى الخ)
٢٢٩ فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك
٢٣٣ ﴿ تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾
٢٤٣ ذكر القصة في ذلك (أي قوله تعالى قالوا حرقوه الخ)
٢٥٠ ذكر قصة أيوب عليه السلام

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوي ﴾
﴿ الذي بهامش الخازن ﴾

صحيفة

٢ سورة الرعد
٢٦ سورة ابراهيم
٤٥ سورة الحجر
٦٤ سورة النحل
١٠٤ سورة الاسراء
١٥٥ سورة الكهف
١٩٣ سورة مريم
٢١٢ سورة طه
٢٣٣ سورة الانبياء

﴿ تمت ﴾

ما شاء الله كان

الجزء الخامس

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل
تأليف الامام العلامه قدوة الامه وعلم الائمه ناصر
الشريعة ومحيى السنه علاء الدين على بن محمد بن
ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن
فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من
رمضان سنة ٧٢٥ هجريه
تغمده الله برحمته
آمين

﴿ وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل ﴾
﴿ تأليف الامام الجليل محيى السنة أبى محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
﴿ عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

﴿ قال فى كشف الظنون ﴾
(معالم التنزيل فى التفسير) للامام محيى السنة أبى محمد حسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

﴿ الطبعة الاولى ﴾
بمطبعة التقدم العلمية بمصر
(سنة ١٣٣٢ هجريه)

﴿ على نفقة أبناء المرحوم مولوى محمد بن غلام رسول السورتى
عبد الستار وعبد الصمد وعبد الرزاق أصحاب المكتبة المحمدية
فى (بومباى) حفظهم الله ﴾

﴿سورة الحج﴾

مكية الا ومن الناس من يعبد الله الآيتين أو الا هذان خصمان الست آيات فمدنيات وهى أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) أى احذروا عقابه بطاعته (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) والزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحالة الهائلة واختلفوا فى هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبى هى من أشراط الساعة وقيل قيام الساعة وقال الحسن والسدى هذه الزلزلة تكون يوم القيامة وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) يعنى الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى يقال ذهلت عن كذا اذا تركته واشتغلت بغيره عنه (كل مرضعة عما أرضعت) أى كل امرأة معها ولد ترضعه يقال امرأة مرضع بلا ها اذا أريد به الصفة مثل حائض وحامل فاذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تسقط ولدها من هول ذلك اليوم قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها بغير تمام وهذا يدل على ان هذه الزلزلة تكون فى الدنيا لان بعد البعث لا يكون حمل ومن قال عذاب تكون فى القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر لا على حقيقته كقولهم أصابنا أمر يشيب منه الوليد يريد به شدته (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) قرأ حمزة والكسائى سكرى وما هم بسكرى بلا ألف وهما لغتان فى جمع السكران مثل كسلى وكسالى قال الحسن معناه وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وقيل معناه وترى الناس كأنهم سكارى (ولكن عذاب الله شديد) أخبرنا الامام أبو على الحسين

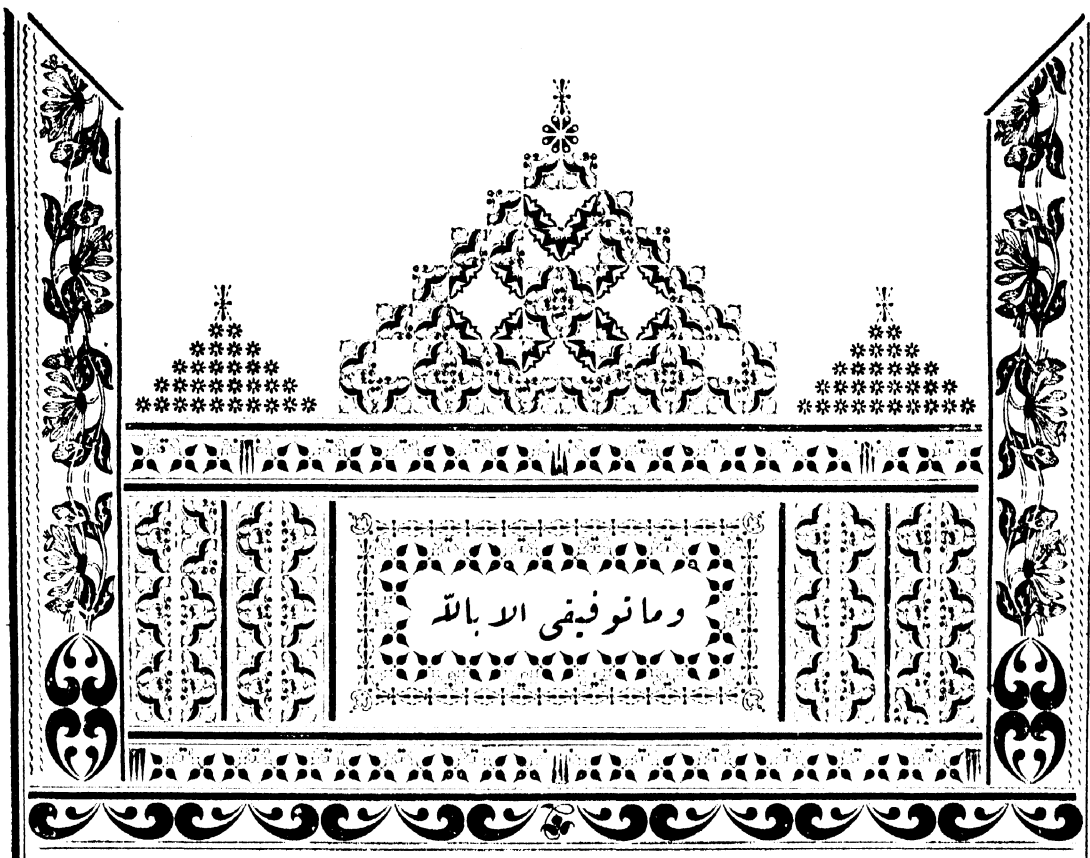

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تفسير سورة الحج﴾

وهى مكية غير ست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية وألف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) يعنى احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شئ أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هى من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) أى الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أى كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها الغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة فى الدنيا الان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة فى القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تريد به شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وما هم بسكارى) على التحقيق ولكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن

ابن محمد القاضي انا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي انا ابو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر انا ابراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي انا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول لبيك وسعديك والخير كله في يديك يا رب وما بعث النار قال فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فحينئذ يشيب المولود وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فيقولون وأينا ذاك الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد فقال الناس الله أكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة والله اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة والله لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة قال فكبر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم يومئذ في الناس الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض وروى عن عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري وغيرهما ان هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدورا والناس ما بين باك أو جالس (٣) حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول آدم من كل كم فيقول الله عز وجل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة قال فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو اذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ثم قال اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وان أهل الجنة مائة وعشرون صفا تكملون منها أمتي وما المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة بل كالشعرة السوداء في الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الاسود ثم قال ويدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم أو قال اللهم اجعله منهم فقام رجل منهم فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة قوله (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحارث وكان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا قوله تعالى (ويتبع) أي يتبع في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مريد) والمريد المتمرد المستمر في الشر (كتب عليه) قضى على الشيطان (أنه من تولاه) اتبعه (فأنه) يعني الشيطان (يضله) يعني الشيطان من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب) يعني شك (من البعث) يعني بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذريته من المني وأصلها الماء القليل (ثم من علقة) يعني من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا (ثم من مضغة) وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط

عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا * قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا (ويتبع) يعني في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مريد) يعني المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان أحدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني انه ابليس وجنوده (كتب عليه) يعني قضى على الشيطان (أنه من تولاه) يعني اتبعه (فأنه) يعني الشيطان (يضله) يعني يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو في ضلال ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب) يعني شك (من البعث) يعني بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذريته من المني وأصلها الماء القليل (ثم من علقة) يعني من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا (ثم من مضغة) وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط

عباس وقتادة مخلقة أي تامة وغير مخلقة غير تامة أي ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة وغير مصورة يعني السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط روى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق و بأي أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته (لنبين لكم) كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة (ونقر في الارحام ما نشاء) فلا تمجه ولا تسقطه (الى أجل مسمى) الى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة (ثم نخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا ولم يقل اطفالا لان العرب تذكر الجمع باسم الواحد وقيل تشبيها بالمصدر مثل عدل وزور (ثم لتبلغوا أشدكم) يعني الكمال والقوة (ومنكم من يتوفى) من قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أو الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيأ ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) أي يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات وذلك ان الارض ترتفع بالنبات فذلك تحركها (وربت) أي ارتفعت وزادت وقرأ أبو جعفر ورأت بالهمزة وكذلك في حم السجدة أي ارتفعت وعلت قال المبرد أراد اهتز وربا نباتها فحذف المضاف والاهتزاز في النبات أظهر يقال اهتز النبات أي طال وانما أنث لذكر الارض وقيل فيه تقديم وتأخير معناه ربت واهتزت (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي صنف حسن يبهج به من رآه أي يسر فهذا دليل آخر على البعث (ذلك بأن الله هو الحق) أي لتعلموا ان الله هو الحق (وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحارث (ولا هدى) بيان (ولا كتاب منير ثاني عطفه) متبختر التكبر وقال مجاهد وقتادة لاوى عنقه قال عطية وان زيد معرضا عما يدعى اليه تكبرا قال ابن جريج يعرض عن الحق تكبرا والعطف الجانب وعطفا الرجل جانباه عن يمين وشمال وهو

وقيل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها * وقوله تعالى (لنبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم أن تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونقر في الارحام ما نشاء) أي لا تسقطه ولا تمجه (الى أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيأ فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى الارض هامدة) أي يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات (وربت) أي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات (وأنبتت) هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذكرنا ذلك لتعلموا (بان الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أي انه اذا لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات (وأنه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق * قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحرث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي

لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة (ونقر في الارحام ما نشاء) فلا تمجه ولا تسقطه (الى أجل مسمى) الى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة (ثم نخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا ولم يقل اطفالا لان العرب تذكر الجمع باسم الواحد وقيل تشبيها بالمصدر مثل عدل وزور (ثم لتبلغوا أشدكم) يعني الكمال والقوة (ومنكم من يتوفى) من قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أو الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيأ ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) أي يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات وذلك ان الارض ترتفع بالنبات فذلك تحركها (وربت) أي ارتفعت وزادت وقرأ أبو جعفر ورأت بالهمزة وكذلك في حم السجدة أي ارتفعت وعلت قال المبرد أراد اهتز

الموضع الذى يعطفه الانسان أى يلويه ويميله عند الاعراض عن الشئ نظيره قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا وقال تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم (ليضل عن سبيل الله) عن دين الله (له فى الدنيا خزى) عذاب وهوان وهو القتل ببدر فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط يوم بدر صبرا (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) ويقال له (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أى وجه شاء تصرف فى عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم قول تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت فى قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته ذكرا وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن اليه وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت فى هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك الفتنة فانزل الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشئ وهو طرفه نحو حرف الجبل (٥) والحائط الذى القائم عليه غير مستقر فقيل

لاوى جنبه وعنقه متبخترا التكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أى عن دين الله (له فى الدنيا خزى) أى عذاب وهوان وهو أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبى معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) أى يقال له ذلك (بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) أى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أى وجه أراد يتصرف فى عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم * قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت فى قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت فى هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على شك وأصله من حرف الشئ وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذى غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكينة وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه (فان أصابه خير) أى صحة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطمأن به) أى رضى به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) أى بلاء فى جسمه وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) أى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذى كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أى خسر فى الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر فى الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود فى النار (ذلك هو الخسران المبين) أى الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) ان عصاه ولم يعبده (ومالا ينفعه) أى ان أطاعه وعبده (ذلك هو الضلال البعيد) أى عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) * فان قلت قد قال الله تعالى فى الآية الاولى يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه وقال فى هذه الآية يدعو لمن ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما * قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال فى الآية الاولى مالا يضره أى لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أى ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى

للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع فى أحد جانبى الطرف لضعف قيامه ولو عبدوا الله فى الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف قال الحسن هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه (فان أصابه خير) صحة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطمأن به) أى رضى به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) بلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذى كان عليه من الكفر (خسر الدنيا) يعنى هذا الشاك خسر الدنيا بفوات

ما كان يؤمله (والآخرة) بذهاب الدين والخلود فى النار قرأ يعقوب خاسر بالالف والآخرة جر (ذلك هو الخسران المبين) الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) ان عصاه ولم يعبده (ومالا ينفعه) ان أطاعه وعبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قالوا قد قال الله فى الآية السابقة يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه وقال ههنا لمن ضره أقرب من نفعه فكيف التوفيق بينهما قيل قوله فى الآية الاولى يدعو من دون الله مالا يضره أى لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أقرب من نفعه أى ضر عبادته فان قيل قد قال لمن ضره أقرب من نفعه ولا نفع فى عبادة الصنم أصلا قيل هذا على عادة العرب فانهم يقولون لما لا يكون أصلا بعيد كقوله ذلك رجع بعيد أى لا رجع أصلا فلما كان نفع الصنم بعيدا على معنى انه لا نفع فيه أصلا قيل ضره أقرب من نفعه لانه كأن السؤال الثالث قوله لمن ضره أقرب من نفعه ما وجه هذه اللام اختلفوا فيه فقال بعضهم هى صلة مجازها يدعو من ضره أقرب وكذلك قرأها ابن مسعود وقيل يدعو بمعنى يقول والخبر محذوف أى يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو اله وقيل معناه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو فحذف يدعو الاخيرة اجتزاء بالاولى ولوقات يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب ثم يحذف الاخير جاز وقيل على التوكيد معناه يدعو والله ان ضره أقرب من نفعه وقيل يدعو اله من

صلة قوله ذلك هو الضلال البعيد يقول ذلك هو الضلال البعيد ثم استأنف فقال لمن ضره أقرب من نفعه فيكون من فى محل الرفع بالابتداء وخبره (لبئس المولى) أى الناصر وقيل المعبود (ولبئس العشير) أى الصاحب والمخالط يعنى الوثن والعرب تسمى الزوج العشير لاجل المخالطة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله) يعنى نبيه محمدا صلعم (فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) أى بحبل (الى السماء) أراد بالسماء سقف البيت على قول الاكثرين أى ليشد حبلا فى سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) الحبل بعد الاختناق وقيل ثم ليقطع أى ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهبن كيده) صنعه وحيلته (ما يغيظ) ما بمعنى المصدر أى هل يذهبن كيده وحيلته غيظه معناه فليختنق غيظا حتى يموت وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق (٦) والموت ولكنه كما يقال للحاسد ان لم ترض هذا فاختنق ومت غيظا وقال ابن زيد المراد من السماء السماء المعروفة ومعنى الآية من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد فى أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله من السماء فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلعم الوحى الذى يأتيه من السماء فلينظر هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل وروى ان هذه الآية نزلت فى قوم من أسد وغطفان دعاهم النبى صلعم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف وقالوا لا يمكننا أن نسلم لانا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يؤوننا فنزلت هذه الآية وقال مجاهد النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة الى من ومعناه من كان يظن أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة نزلت فيمن أساء الظن بالله وخاف ألا يرزقه فليمدد بسبب الى السماء أى الى سماء البيت فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خيفة أن لا يرزق وقد يأتى النصر بمعنى الرزق تقول العرب من ينصرنى سورة نصره الله أى من يعطنى أعطاه الله قال أبو عبيدة تقول العرب أرض منصورة أى ممطورة قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر ويعقوب ثم ليقطع ثم ليقضوا بكسر اللام والباقون بجزمها لان الكل لام الامر زاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا بكسر اللام فيهما ومن كسر فى ثم ليقطع وفى ثم ليقضوا فرق بأن ثم مفصول من الكلام والواو كأنها من نفس الكلمة كالفاء فى قوله فلينظر (وكذلك) أى مثل ذلك يعنى ما تقدم من آيات القرآن (أنزلناه) يعنى القرآن (آيات بينات وأن الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعنى عبدة الاوثان (ان الله يفصل بينهم) يحكم بينهم (يوم القيامة ان الله على كل شىء شهيد)

سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية فى الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم أن يضروا وينفعوا وحجة هذا القول ان الله تعالى بين فى الآية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور فى هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) أى الناصر والمصاحب المعاشر * قوله عزوجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) أى بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأهل معصيته من الهوان * قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) يعنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا) أى باعلاء كلمته واظهار دينه (والآخرة) أى وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه (فليمدد بسبب) أى بحبل (الى السماء) أى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد حبلا فى سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أى الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهبن كيده) أى صنيعه وحيلته (ما يغيظ) أى فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد فى أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله فى السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفى الآية زجر للكافر عن الغيظ فيما لا فائدة فيه روى ان الآية نزلت فى قوم من أسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود محالفة فقالوا لا يمكننا أن نسلم لانا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتنقطع المحالفة بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يؤوننا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرنى نصره الله أى من يعطنى أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعنى القرآن (آيات بينات وأن الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعنى عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشياطين وهو ما عدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) أى يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد (ان الله على كل شىء شهيد) أى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجرى فى ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير

الم تر) ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قال مجاهد سجودها تحول ظلالها وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه وقيل سجودها بمعنى الطاعة فانه ما من جماد إلا وهو مطيع لله خاشع لله مسبح له كما أخبر الله تعالى عن السموات والأرض قالتا أتينا طائعين وقال في وصف الحجارة وان منها لما يهبط من خشية الله وقال تعالى وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا مذهب حسن موافق لأهل السنة قوله (وكثير من الناس) أي من هذه الأشياء كلها تسبح لله عز وجل وكثير من الناس يعني المسلمين (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله عز وجل والواو في قوله وكثير حق عليه العذاب واو للاستئناف (ومن يهن الله) أي يهنه الله (فما له من مكرم) أي من يذله الله فلا يكرمه أحد (ان الله يفعل ما يشاء) أي يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بارادته ومشيئته قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره والخصم اسم شبيه بالمصدر فلذلك قال اختصموا بلفظ الجمع كقوله وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب واختلفوا في هذين الخصمين

سورة البقرة * قوله عز وجل (ألم تر) أي ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جماد إلا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بمطاوعتها أفعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه * فان قلت هذا التأويل يبطله قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة * قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا أن بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره وأما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره أيضا فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة * فان قلت قوله من في السموات ومن في الأرض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس * قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا ودون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلالهم لله عز وجل (ومن يهن الله فما له من مكرم) أي من يذله الله فلا يكرمه أحد (ان الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

﴿فصل﴾ هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها * قوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين الخصمين فروى عن قيس بن عبادة قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عبادة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فئة من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا أنفسهم قالوا نعم اكفاء كرام

عن أبي مجلز عن قيس بن عبادة قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة أخبرنا عبد الواحد أنا أحمد أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا حجاج بن منهال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال أنا أبو مجلز عن قيس بن عبادة عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يعني يوم بدر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة فخرج اليه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسمعيل أنا يعقوب بن ابراهيم أنا هشيم أنا أبو هاشم

فتية من الأنصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم فقالوا رهط من الأنصار فقالوا حين انتسبوا أكفاء كرام ثم نادى منادیهم یا محمد أخرج الینا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلعم قم یا عبیدة بن الحارث و یا حمزة بن عبد المطلب و یا علی بن أبی طالب فلما دنوا قالوا من أنتم فذكروا فقالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبیدة وكان أسن القوم عتبة و بارز حمزة شیبة و بارز علی الولید بن عتبة فأما حمزة فلم یمهل أن قتل شیبة وعلی الولید بن عتبة واختلف عبیدة وعتبة بینهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلی بأسیافهما علی عتبة فذففا علیه واحتملا عبیدة الی أصحابه وقد قطعت رجله ومخها یسیل فلما أتوا به عبیدة الی رسول الله صلعم قال ألست شهیدا یا رسول الله قال بلی فقال عبیدة لو كان أبو طالب حیا لعلم انا أحق بما قال منه حیث یقول

ونسلمه حتی نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة نزلت الآیة فی المسلمین وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نحن أولی بالله منكم وأقدم منكم كتابا ونبینا قبل نبیكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بنبینا محمد صلعم ونبیكم و بما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبینا وكتابنا وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم فی ربهم وقال مجاهد وعطاء ابن أبی رباح والكلبی هم المؤمنون والكافرون كلهم من أی ملة كانوا وقال بعضهم جعل الادیان ستة فی قوله تعالی ان الذین آمنوا والذین هادوا الآیة فجعل خمسة للنار وواحدا للجنة فقوله تعالی هذان خصمان اختصموا فی ربهم ینصرف الیهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم وقال عكرمة هما الجنة والنار اختصمتا كما أخبرنا حسان ابن سعید المنیعی انا أبو طاهر الزیادی انا أبو بكر القطان انا احمد بن یوسف السلمی انا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرین والمتجبرین وقالت الجنة فمالی لا یدخلنی الا ضعفاء الناس وسقطهم وغزاتهم قال الله عز وجل للجنة انما أنت رحمتی أرحم بك من أشاء من عبادی وقال للنار انما أنت عذابی أعذب بك من أشاء من عبادی ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتی یضع الله تبارك وتعالی رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ و یزوی بعضها الی بعض ولا یظلم ربك من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله تعالی ینشئ لها خلقا وللبخاری اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعیف والاقوال الاولی أولی بالصحة لان حمل الكلام علی ظاهره أولی وقوله هذان كالاشارة الی سبب تقدم ذكره وهو أهل الادیان الستة وأیضا فانه ذكر صنفین أهل طاعته وأهل معصیته وذكر مآل الخصمین فقال تعالی (فالذین كفروا قطعت لهم ثیاب من نار) قال سعید بن جبیر ثیاب من نحاس مذاب ولیس من الآنیة شیء اذا حمی أشد حرا منه وسمی باسم الثیاب لانها تحیط بهم كاحاطة الثیاب وقیل یلبس أهل النار مقطعات من نار (یصب من فوق رؤوسهم الحمیم) أی الماء الحار الذی انتهت حرارته (یصهر به) أی یذاب بالحمیم الذی یصب من فوق رؤوسهم (ما فی بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن أبی هریرة أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان الحمیم لیصب علی رؤوسهم فینفذ حتی یخلص الی جوف أحدهم فیسلت ما فی جوفه حتی یمرق من قدمیه وهو الصهر ثم یعاد كما كان

فبارز عبیدة وكان أسن القوم عتبة و بارز حمزة شیبة و بارز علی الولید بن عتبة فأما حمزة فلم یمهل أن قتل شیبة وعلی الولید واختلف عبیدة وعتبة بینهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلی بأسیافهما علی عتبة فذففا علیه واحتملا عبیدة الی أصحابه وقد قطعت رجله ومخها یسیل فلما أتوا به الی رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ألست شهیدا یا رسول الله قال بلی فقال عبیدة لو كان أبو طالب حیا لعلم انا أحق بما قال منه حیث یقول

ونسلمه حتی نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآیة فی المسلمین وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولی بالله وأقدم منكم كتابا ونبینا قبل نبیكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبینا محمد صلی الله علیه وسلم ونبیكم و بما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبینا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم فی ربهم وقیل هم المؤمنون والكافرون من أی ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقیل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبی هریرة قال قال النبی صلی الله علیه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرین والمتجبرین وقالت الجنة فمالی لا یدخلنی الا ضعفاء الناس وسقطهم زاد فی روایة وغزاتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتی أرحم بك من أشاء من عبادی وقال للنار انما أنت عذابی أعذب بك من أشاء من عبادی ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتی یضع الله تبارك وتعالی رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ و یزوی بعضها الی بعض ولا یظلم ربك من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله تعالی ینشئ لها خلقا وللبخاری اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعیف والاقوال الاولی أولی بالصحة لان حمل الكلام علی ظاهره أولی وقوله هذان كالاشارة الی سبب تقدم ذكره وهو أهل الادیان الستة وأیضا فانه ذكر صنفین أهل طاعته وأهل معصیته وذكر مآل الخصمین فقال تعالی (فالذین كفروا قطعت لهم ثیاب من نار) قال سعید بن جبیر ثیاب من نحاس مذاب ولیس من الآنیة شیء اذا حمی أشد حرا منه وسمی باسم الثیاب لانها تحیط بهم كاحاطة الثیاب وقیل یلبس أهل النار مقطعات من نار (یصب من فوق رؤوسهم الحمیم) أی الماء الحار الذی انتهت حرارته (یصهر به) أی یذاب بالحمیم الذی یصب من فوق رؤوسهم (ما فی بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن أبی هریرة أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان الحمیم لیصب علی رؤوسهم فینفذ حتی یخلص الی جوف أحدهم فیسلت ما فی جوفه حتی یمرق من قدمیه وهو الصهر ثم یعاد كما كان

أخرجه أشاء من عبادی وقال للنار انما أنت عذابی أعذب بك من أشاء من عبادی ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتی یضع الله فیها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ و یزوی بعضها الی بعض ولا یظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله عز وجل ینشئ لها خلقا ثم بین الله عز وجل ما للخصمین فقال (فالذین كفروا قطعت لهم ثیاب من نار) قال سعید بن جبیر ثیاب من نحاس مذاب ولیس من الآنیة شیء اذا حمی أشد حرا منه وسمی باسم الثیاب لانها تحیط بهم كاحاطة الثیاب وقال بعضهم یلبس أهل النار مقطعات من النار (یصب من فوق رؤوسهم الحمیم) الحمیم هو الماء الحار الذی انتهت حرارته (یصهر به) أی یذاب بالحمیم (ما فی بطونهم) یقال صهرت الالیة والشحم بالنار اذا أذبتهما أصهرها صهرا معناه یذاب بالحمیم الذی یصب من فوق رؤوسهم حتی یسقط ما فی بطونهم من الشحوم والاحشاء (والجلود) أی یشوی حرها جلودهم فتتساقط أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن سعید بن زید عن أبی السمح عن أبی جحیرة واسمه عبد الرحمن عن أبی هریرة عن النبی صلعم قال ان الحمیم لیصب علی رؤوسهم فینفذ الجمجمة حتی یخلص الی جوفه فیسلت ما فی جوفه حتی یمرق من قدمیه وهو الصهر ثم یعاد كما كان قوله

تعالى (ولهم مقامع من حديد) سياط من حديد واحدتها مقمعة قال الليث المقمعة شبه الجرز من الحديد من قولهم قمعت رأسه اذا ضربته ضربا عنيفا وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) يعني كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم (أعيدوا فيها) يعني ردوا اليها بالمقامع وفي التفسير ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أي تقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق أي المحرق مثل الاليم والوجيع قال الزجاج هؤلاء أحد الخصمين وقال في الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب) جمع سوار (ولؤلؤا) قرأ أهل المدينة وعاصم ولؤلؤا ههنا وفي سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى ويحلون لؤلؤا ولانها مكتوبة في (٩) المصاحف بالالف وقرأ الآخرون بالخفض عطفا على قوله من ذهب وترك الهمزة الاولى في كل القرآن أبو جعفر وأبو بكر واختلفوا في وجه اثبات الالف فيه فقال أبو عمرو أثبتوها فيها كما أثبتوا في قالوا وكانوا وقال الكسائي أثبتوها للهمزة لان الهمزة حرف من الحروف (ولباسهم فيها حرير) أي انهم يلبسون في الجنة ثياب الابريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال اخبرنا عبد الواحد المليحي انا عبد الرحمن بن أبي شريح انا ابو القاسم البغوي انا علي بن الجعد انا شعبة عن قتادة عن داود السراج عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله اياه في الآخرة فان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو قوله تعالى (وهدوا الى الطيب من القول) قال

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) يعني سياط من حديد وهي الجرز من الحديد وفي الخبر لو وقع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) يعني كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم (أعيدوا فيها) يعني ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) يعني تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جد بهز ابن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة * قوله تعالى (وهدوا) من الهداية يعني أرشدوا (الى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهدوا الى صراط الحميد) يعني الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في أفعاله * قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعني بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أي بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام (والمسجد الحرام) يعني ويصدون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) أي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا (سواء العاكف) أي المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاور وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) أي الطاري المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم أن النبي

ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقال ابن زيد لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقال السدي أي القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهدوا الى صراط الحميد) الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في أفعاله قوله تعالى (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) عطف المستقبل على الماضي لان المراد من لفظ المستقبل الماضي كما قال تعالى في موضع آخر الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقيل معناه ان الذين كفروا فيما تقدم ويصدون عن سبيل الله في الحال أي وهم يصدون (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا كما قال وضع للناس (سواء) قرأ حفص عن عاصم ويعقوب سواء نصبا بايقاع الجعل عليه يتعدى الى مفعولين وقيل معناه مستويا فيه (العاكف فيه والباد) وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر وتم الكلام عند قوله للناس وأراد بالعاكف المقيم فيه وبالبادي الطاري المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقال قوم سواء العاكف فيه والبادي يعني في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة وقالوا المراد منه نفس المسجد

الحرام ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الصلاة فى المسجد الحرام والطواف بالبيت وقال الاخرون المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سواء فى النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير انه لا يزعج فيه أحد اذا كان قد سبق الى منزله وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت والمنازل وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا أبوابهم فى الموسم وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها وعلى القول الاول وهو الاقرب الى الصواب يجوز لان الله تعالى قال الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقال النبى صلعم يوم فتح مكة من دخل دار أبى سفيان فهو آمن فنسب الدار اليه نسب ملك واشترى عمر دار السجن بمكة بأربعة آلاف درهم فدل على جواز بيعها وهذا قول طاوس وعمرو بن دينار وبه قال (١٠) الشافعى قوله عز وجل (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) أى فى المسجد الحرام وهو الميل الى الظلم والباء فى قوله بالحاد زائدة كقوله تنبت بالدهن ومعناه من يرد فيه الحاد ا بظلم قال الاعشى ضمنت برزق عيالنا أرماحنا أى رزق عيالنا وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال معنى الآية من تكن ارادته فيه بان يلحد بظلم واختلفوا فى هذا الالحاد فقال مجاهد وقتادة هو الشرك وعبادة غير الله وقال قوم هو كل شئ كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقال عطاء هو دخول الحرم غير محرم أو ارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد أو قطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك وهذا معنى قول الضحاك وعن مجاهد انه قال تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال حبيب بن ابى ثابت هو احتكار الطعام بمكة وقال عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم قال السدى الا أن يتوب وروى عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله و بلى والله * قوله تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا واذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أى جهة يبنى فبعث الله تعالى ريحا خجوجا (١) فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدرى فبنى

صلى الله عليه وسلم قال يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سواء فى النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير انه لا يزعج أحد أحدا اذا كان قد سبق الى منزله وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا أبوابهم فى الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان أرض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادى فلما استويا ثبت أن سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعى احتج الشافعى فى ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار الى مالكيها وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أى فى المسجد الحرام (بالحاد بظلم) أى يميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شئ كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام فى الحرم الحاد فيه أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لو أن رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو أن رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم قال السدى الا أن يتوب وروى عن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الآخر فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله و بلى والله قوله تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أى وطأنا قال ابن عباس جعلنا وقيل بينا قال الزجاج جعلنا مكان البيت مبوأ ابراهيم وقال مقاتل بن حيان هيأنا واذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمان الطوفان ثم لما أمر الله تعالى ابراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبنى فبعث الله ريحا خجوجا (١) فكنست له ما حول البيت على الاساس وقال الكلبى بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدرى فبنى عليه

(١) الخجوج الريح الشديد المراد الملتوية فى هبوبها كالخجوجاة اه قاموس

قوله تعالى (أن لا تشرك بى شيا) أى عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بى شيا (وطهر بيتى للطائفين) أى الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أى المقيمين (والركع السجود) أى المصلين (وأذن فى الناس) أى اعلم ونادفى الناس (بالحج) فقال ابراهيم وما يبلغ صوتى فقال عليك الاذان وعلينا البلاغ فقام ابراهيم على المقام فارتفع المقام حتى صار كاطول الجبال فادخل أصبعيه فى أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس ألا ان ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد أبا قبيس ونادى وقال ابن عباس عنى بالناس فى هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن ان قوله وأذن فى الناس بالحج كلام مستأنف وان المأمور بهذا التأذين محمد صلعم أمر أن يفعل ذلك

فبنى عليه (أن لا تشرك بى شيأ) أى عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بى شيأ (وطهر بيتى) أى من الشرك والاوثان والاقذار (للطائفين) أى الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أى المقيمين فيه (والركع السجود) أى المصلين * قوله عز وجل (وأذن) أى أعلم ونادوالاذان فى اللغة الاعلام (فى الناس) قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (بالحج) فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتى فقال الله عليك الاذان وعلينا الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كأطول الجبال وأدخل أصبعه فى أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس ألا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد أبا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع (م) عن أبى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يأتوك رجالا) أى مشاة على أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أى ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفا لهم (يأتين) أى جماعة الابل (من كل فج عميق) أى من كل طريق بعيد فمن أتى مكة حاجا فكأنه قد أتى ابراهيم لانه مجيب نداءه * قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات) يعنى عشر ذى الحجة فى قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من أجل وقت الحج فى آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعنى الهدايا والضحايا تكون من النعم وهى الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون فى هذه الايام (فكلوا منها) أمر اباحة ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيأ فامر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى اذا كان تطوعا يجوز للمهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله فى قصة حجة الوداع قال وقدم على بيدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ما غبر وأشركه فى بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر وطبخت فاكل من لحمها وشرب من مرقها أخرجه مسلم قوله ما غبر أى ما بقى قوله ببضعة أى بقطعة واختلف العلماء فى الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدى أن يأكل منه شيأ قال الشافعى لا يأكل منه شيأ وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند

فى حجة الوداع وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلعم أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا قوله تعالى (يأتوك رجالا) أى مشاة على أرجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام (وعلى كل ضامر) أى ركبانا على كل ضامر والضامر البعير المهزول (يأتين من كل فج عميق) أى من كل طريق بعيد وانما جمع يأتين لمكان كل وأراد النوق (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) قال سعيد بن المسيب ومحمد بن على الباقر العفو والمغفرة وقال سعيد بن جبير التجارة وهى رواية ابن زيد عن ابن عباس قال الاسواق وقال مجاهد التجارة وما يرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات) يعنى عشر ذى الحجة فى قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج فى آخرها

ويروى عن على رضى الله عنه انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده وفى رواية عطاء عن ابن عباس انها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق وقال مقاتل المعلومات أيام التشريق (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعنى الهدايا والضحايا تكون من النعم وهى الابل والبقر والغنم واختار الزجاج ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان الذكر على بهيمة الانعام يدل على التسمية على نحرها ونحر الهدايا يكون فى هذه الايام (فكلوا منها) أمر اباحة وليس بواجب وانما قال ذلك لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيأ واتفق العلماء على ان الهدى اذا كان تطوعا يجوز للمهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهرى أنا أحمد بن على الكشميهنى أنا على بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال فى قصة

حجة الوداع وقدم على بيدن من اليمن وساق رسول الله صلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلم ثلاث وستين بدنة بيده ونحر على ما بقى ثم أمر رسول الله صلم ان تؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل فى قدر فاكلا من لحمها وحسيا من مرقها واختلفوا فى الهدى الواجب بالشرع هل يجوز للمهدى أن يأكل منه شيأ مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد فذهب قوم الى انه لا يجوز أن يأكل منه شيأ وبه قال الشافعى وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند أصحاب الرأى يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما قوله عزوجل (وأطعموا البائس الفقير) يعنى الزمن الفقير الذى لا شئ له والبائس الذى اشتد بؤسه والبؤس شدة الفقر (ثم ليقضوا تفثهم) التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والاظفار والشعث تقول العرب لمن تستقذره ما اتفثك أى ما أوسخك والحاج أشعث أغبر أى لم يحلق شعره ولم يقلم ظفره فقضاء التفث ازالة هذه الاشياء ليقضوا تفثهم أى ليزيلوا أدرانهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط والاستحداد وقلم الاظفار ولبس الثياب قال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها وقال مجاهد هو مناسك الحج وأخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقلم الاظفار وقيل التفث ههنا رمى الجمار قال الزجاج لا نعرف التفث ومعناه الا من القرآن قوله تعالى (وليوفوا نذورهم) قال مجاهد أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شئ يكون فى الحج أى ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذرا ولم ينذر والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وفى بنذره وقرأ عاصم برواية أبى بكر وليوفوا بنصب الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمى والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهى اليه ويمشى أربعا وهذا الطواف سنة لا شئ على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شئ بدأ به حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا زاد فى رواية ثم يصلى ركعتين يعنى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف فى الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة أشواط ويمشى أربعا ثم يصلى سجدتين والطواف الثانى هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمى والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أرانى الا حابستكم قال النبى صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفرى قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله أى أصابها بالعقر ووجع فى حلقها وقيل معناه دمثومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شئ يجرى على ألسنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى أن يفارقها حتى يطوف سبعا فان تركه فعليه دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل فى طواف الافاضة والوداع

أصحاب الرأى انه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما * وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعنى الزمن الذى لا شئ له * قوله تعالى (ثم ليقضوا تفثهم) أى ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج أشعث أغبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شئ يكون فى الحج أى ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره أو لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمى والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهى اليه ويمشى أربعا وهذا الطواف سنة لا شئ على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شئ بدأ به حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا زاد فى رواية ثم يصلى ركعتين يعنى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف فى الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة أشواط ويمشى أربعا ثم يصلى سجدتين والطواف الثانى هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمى والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أرانى الا حابستكم قال النبى صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفرى قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله أى أصابها بالعقر ووجع فى حلقها وقيل معناه دمثومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شئ يجرى على ألسنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى أن يفارقها حتى يطوف سبعا فان تركه فعليه دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل فى طواف الافاضة والوداع

وقوله ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهى اليه ويمشى أربعا وهذا الطواف سنة لا شئ على من تركه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد النعيمى أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أحمد هو أبو عيسى أنا ابن وهب أنا عمرو بن الحارث عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل القرشى انه سأل عروة بن الزبير فقال قد حج النبى صلم فأخبرتنى عائشة انه أول شئ بدأ به حين قدم انه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمرة ثم حج أبو بكر فكان أول شئ بدأ به الطواف بالبيت ثم لم يكن عمرة ثم عمر مثل ذلك ثم حج عثمان فرأيته أول شئ بدأ به الطواف بالبيت أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا أنس بن عياض عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلم انه كان اذا طاف فى الحج أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أطواف ويمشى أربعا ثم يصلى سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعا والطواف الثانى هو طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمى والحلق وهو واجب لا يحصل التحلل من الاحرام ما لم يأت به أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عمر بن حفص ثنا أبى أنا الاعمش أنا ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت

حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أراني الا حابستكم قال النبي صلعم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري فثبت بهذا ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر والطواف الثالث هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن سليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت الا انه رخص للمرأة الحائض والرمل مختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع قوله بالبيت العتيق اختلفوا في معنى العتيق فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة سمي عتيقا لان الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقال سفيان بن عيينة سمي عتيقا لانه لم يملك قط وقال الحسن وابن زيد سمي به لانه قديم وهو أول بيت (١٣) وضع للناس يقال دينار عتيق

وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك * قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها (فهو خير له عند ربه) أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي ان تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم (الا ما يتلى عليكم) أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) اي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الاوثان رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) يعني الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور والاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لأيمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك * قوله تعالى (حنفاء لله) يعني مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على ان المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا لغيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أي سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) يعني تسلبه وتذهب به (أو تهوي به الريح) يعني تميل وتذهب به (في مكان سحيق) يعني بعيد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه

أي قديم وقيل سمي عتيقا لان الله أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان (ذلك) أي الامر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي معاصي الله وما نهى عنه وتعظيمها ترك ملابستها قال الليث حرمات الله ما لا يحل انتهاكها وقال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وذهب قوم الى أن معنى الحرمات ههنا المناسك بدليل ما يتصل بها من الآيات وقال ابن زيد الحرمات ههنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والاحرام (فهو خير له عند ربه) أي تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أن تأكلوها اذا ذبحتموها وهي الابل والبقر والغنم (الا ما يتلى عليكم) تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أي عبادتها يقول كونوا على جانب منها فانها رجس أي سبب الرجس وهو العذاب والرجس بمعنى الرجز وقال الزجاج من ههنا للتجنيس أي اجتنبوا الاوثان التي هي رجس (واجتنبوا قول الزور) يعني الكذب والبهتان وقال ابن مسعود شهادة الزور وروى ان النبي صلعم قام خطيبا فقال يا أيها الناس عدلت شهادة الزور والاشراك بالله ثم قرأ هذه الآية وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك لبيك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك (حنفاء لله) مخلصين له (غير مشركين به) قال قتادة كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا يسمون حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أي حجاجا لله مسلمين موحدين يعني من أشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أي سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أي تستلبه الطير وتذهب به والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء أي تتخطفه (أو تهوي به الريح) أي تميل وتذهب به (في مكان سحيق) أي بعيد معناه ان بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل

بحال وقيل شبه حال الشرك بحال الهاوى من السماء فى انه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه واما بسقوطه الى المكان السحيق وقال الحسن شبه أعمال الكفار بهذه الحال فى انها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شئ منها (ذلك) يعنى الذى ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو اعلامها ليعلم انها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه فانها من تقوى القلوب أى فان تعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أى فى البدن قبل تسميتها للهدى (منافع) فى درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها (الى أجل مسمى) وهو أن يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعها هذا قول مجاهد وقول قتادة والضحاك ورواه مقسم عن ابن عباس وقيل معناه لكم فى الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعنى الى أن تنحروها وهو قول عطاء بن أبى رباح واختلف أهل العلم فى ركوب الهدى فقال قوم يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضر بها وهو قول مالك والشافعى وأحمد واسحق لما اخبرنا ابو الحسن السرخسى انا ابو على زاهر بن أحمد انا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة قال اركبها فقال انها بدنة قال اركبها ويلك فى الثانية أو الثالثة وكذلك قال له اشرب لبنها بعد ما فضل عن رى ولدها وقال أصحاب الرأى لا يركبها وقال قوم لا يركبها الا أن يضطر اليه وقال بعضهم أراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة لكم فيها منافع بالتجارة والاسواق الى أجل مسمى وهو الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع بالاجر والثواب فى قضاء المناسك الى أجل مسمى أى الى انقضاء أيام الحج (ثم محلها) أى منحرها (الى البيت العتيق) لا أى منحرها عند البيت العتيق يريد أرض الحرم كلها كما قال فلا تقربوا المسجد الحرام أى الحرم كله وروى عن جابر فى قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها الى البيت العتيق أى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق أى أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر قال الله تعالى (ولكل أمة) يعنى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرأ حمزة والكسائى بكسر السين ههنا وفى آخر السورة على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع يعنى مذبحا وهو موضع القربان وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر مثل المدخل والمخرج يعنى اراقة الدماء وذبح القربين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لانها لا تتكلم وقال بهيمة الانعام وقيدها بالنعم لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها فى القربين

اهلا كالبس وراءه اهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء فى علوه والذى ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التى تطرحه فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة * قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) يعنى تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها انها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أى فى البدن (منافع) قيل هى درها ونسلها وصوفها وو برها وركوب ظهرها (الى أجل مسمى) أى الى أن يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم فى الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعنى الى أن تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء فى ركوب الهدى فقال مالك والشافعى وأحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك فى الثانية أو الثالثة أخرجاه فى الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن رى ولدها وقال أصحاب الرأى لا يركبها الا أن يضطر اليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة لكم فيها منافع يعنى بالتجارة والاسواق الى أجل مسمى يعنى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع يعنى بالاجر والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء أيام الحج (ثم محلها الى البيت العتيق) يعنى منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر فى حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها يعنى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة * قوله تعالى (ولكل أمة) يعنى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين يعنى مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القربين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعنى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها

(فالهكم اله واحد) أى سموا على الذبائح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد (فله أسلموا) انقادوا وأطيعوا (و بشر المخبتين) قال ابن عباس وقتادة المتواضعين وقال مجاهد المطمئنين الى الله عز وجل والخبت المكان المطمئن من الارض وقال الاخفش الخاشعين وقال النخعى المخلصين وقال الكلبى هم الرقيقة قلوبهم وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) من البلاء والمصائب (والمقيمى الصلوة) أى المقيمين للصلاة فى أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) أى يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الابل العظام الصحاح الاجسام يقال بدن الرجل بدنا و بدانة اذا ضخم فأما اذا أسن واسترخى يقال بدن تبدينا قال عطاء والسدى البدن الابل والبقر أما الغنم فلا تسمى بدنة (جعلناها لكم من شعائر الله) من اعلام دينه سميت شعائر لانها تشعر وهو أن تطعن بحديدة فى سنامها فيعلم انها هدى (لكم فيها خير) النفع فى الدنيا والاجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أى عند نحرها (صواف) أى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها واحدى يديها و يدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله بن مسلمة انا يزيد بن زريع عن يونس عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد الصواف اذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم وقرأ ابن مسعود صوافن وهى أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث وهو مثل صواف وقرأ أبى والحسن ومجاهد صوافى بالياء أى صافية خالصة لله لا شريك له فيها (فاذا وجبت جنوبها) يعنى سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الارض وأصل الوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس اذا سقطت للمغيب (فكلوا منها) أمر اباحة (وأطعموا القانع والمعتر) اختلفوا فى معناهما فقال عكرمة وابراهيم وقتادة القانع الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذى يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذى لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسأل والمعتر هو الذى يريك نفسه و يتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجىء الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم (كذلك) يعنى مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) يعنى لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها يعنى لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) يعنى ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أريد به وجه الله (كذلك

لا يجوز ذبحه فى القرابين وان جاز أكله * قوله عز وجل (فالهكم اله واحد) يعنى سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد (فله أسلموا) يعنى أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (و بشر المخبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) يعنى خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) يعنى من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه (والمقيمى الصلوة) يعنى فى أوقاتها محافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) يعنى يتصدقون * قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) يعنى من أعلام دينه قيل لانها تشعر وهو أن تطعن بحديدة فى سنامها فيعلم بذلك انها هدى (لكم فيها خير) يعنى نفع فى الدنيا وثواب فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) يعنى عند نحرها (صواف) يعنى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها و يدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذا وجبت جنوبها) يعنى سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض (فكلوا منها) أمر اباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذى يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذى لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسأل والمعتر هو الذى يريك نفسه و يتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجىء الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم (كذلك) يعنى مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) يعنى لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها يعنى لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) يعنى ولكن ترفع اليه منكم الاعمال الصالحة والتقوى والاخلاص ما أريد به وجه الله (كذلك

يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر الذى يسأل وروى العوفى عن ابن عباس القانع الذى لا يعترض ولا يسأل والمعتر الذى يريك نفسه و يتعرض ولا يسأل فعلى هذين التأويلين يكون القانع من القناعة يقال قنع قناعة اذا رضى بما قسم له وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبى القانع الذى يسأل والمعتر الذى يتعرض ولا يسأل فيكون القانع من قنع يقنع قنوعا اذا سأل وقرأ الحسن والمعترى وهو مثل المعتر يقال عره واعتره وعراه واعتراه اذا أتى يطلب معروفه اما سؤالا واما تعرضا وقال ابن زيد القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجىء الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم (كذلك) يعنى مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) نعمة منا لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا انعامى عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فأنزل الله هذه الاية لن ينال الله لحومها ولا دماؤها قرأ يعقوب تنال وتناله بالتاء فيهما وقرأ العامة بالياء قال مقاتل لن يرفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يرفع اليه منكم الاعمال الصالحة والتقوى والاخلاص ما أريد به وجه الله (كذلك

سخرها لكم) يعني البدن (لتكبروا الله على ماهداكم) أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا (و بشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) قرأ ابن كثير وأهل البصرة يدفع وقرأ الآخرون يدافع بالالف يريد يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين و يمنعهم عن المؤمنين (ان الله لا يحب كل خوان كفور) يعني خوان في أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه قال الزجاج من تقرب الى الاصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور (أذن) قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الالف والباقون بفتحها أي أذن الله (للذين يقاتلون) قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص يقاتلون بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين أذن لهم بالجهاد يقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلعم فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج و يشكون ذلك الى رسول الله صلعم فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر رسول

الله صلعم فانزل الله عز وجل هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال فنزلت هذه الآية بالمدينة وقال مقاتل نزلت هذه الاية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فكانوا يمنعون فاذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة (بأنهم ظلموا) يعني بسبب ماظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء (وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) بدل من الذين الاولى (الا أن يقولوا ربنا الله) يعني لم يخرجوا من ديارهم الا لقولهم ربنا الله وحده (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بالجهاد واقامة الحدود (لهدمت) قرأ أهل المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير فالتخفيف يكون للتقليل والتكثير والتشديد يختص بالتكثير (صوامع) قال مجاهد والضحاك يعني صوامع الرهبان وقال قتادة صوامع الصابئين (و بيع) يعني بيع النصارى جمع بيعة وهي كنيسة النصارى (وصلوات) يعني كنائس اليهود و يسمونها بالعبرانية صلوثا (ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني مساجد المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع وصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وقال ابن زيد أراد بالصلوات صلوات أهل الاسلام فانها لا تنقطع اذا دخل العدو عليهم (ولينصرن الله من ينصره) يعني ينصر دينه ونبيه (ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) قال الزجاج هذا من صفة ناصريه ومعنى مكناهم نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن هذه الامة

سخرها لكم) يعني البدن (لتكبروا الله على ماهداكم) وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا (و بشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين * قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين و يمنعهم منهم و ينصرهم عليهم (ان الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان في أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور * قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيؤن من بين مضروب ومشجوج و يشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلموا أي بسبب ماظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء (وان الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) يعني انهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي بالجهاد واقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء (و بيع) هي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى (وصلوات) هي كنائس اليهود و يسمونها بالعبرانية صلوثا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه ونبيه (ان الله لقوي) أي على نصر من ينصر دينه (عزيز) أي لا يضام ولا يمنع مما يريده * قوله عز وجل (الذين ان مكناهم في الارض) أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى

(ولله عاقبة الامور) يعني آخر أمور الخلق ومصيرهم اليه يعني يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع ولا مدع قوله تعالى (وان يكذبوك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين) يعني أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم (فكيف كان نكير) يعني انكاري أي كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخالف النبي صلى الله عليه وسلم ويكذبه (فكأين) فكم (من قرية أهلكتها) بالتاء هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب وقرأ الآخرون أهلكناها بالنون والالف على التعظيم (وهي ظالمة) يعني وأهلها ظالمون (فهي خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (و بئر معطلة) يعني وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل من قولهم شاد بناءه اذا رفعه وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء مجصص من الشيد وهو الجص وقيل ان البئر المعطلة

صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الامور) أي آخر أمور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع * قوله تعالى (وان يكذبوك) فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) * فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى * قلت فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهو القبط الثاني كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره (فأمليت للكافرين) أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) أي عاقبتهم (فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه * قوله عز وجل (فكأين من قرية أهلكتها) وقرئ أهلكناها على التعظيم (وهي ظالمة) أي وأهلها ظالمون (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي على سقوفها (و بئر معطلة) أي وكم من بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله و بقي البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا من هم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم * قوله تعالى (أفلم يسيروا في الارض) يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أي يعلمون بها (أو آذان يسمعون بها) يعني ما يذكرلهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) المعنى ان عمى القلب هو الضار في أمر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومتعة و بصر القلوب هو البصر النافع (و يستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث (ولن يخلف الله وعده) أي انه أنجز ذلك يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعني يوما من الايام

والقصر المشيد باليمن اما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله و بقي البئر والقصر خاليين وروى أبو روق عن الضحاك ان هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح نجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي حضرموت لان صالحا لما حضره مات فبنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا ثم انهم عبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله عليهم نبيا يقال له حنظلة ابن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق

فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم (أفلم يسيروا في الارض) يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) يعني يعلمون بها (أو آذان يسمعون بها) يعني ما يذكرلهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فانها) الهاء عماد (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ذكر التي في الصدور تأكيدا كقوله يطير بجناحيه معناه ان العمى الضار هو عمى القلب فاما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين قال قتادة البصر الظاهر بلغة ومتعة و بصر القلب هو البصر النافع (و يستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء (ولن يخلف الله وعده) فانجز ذلك يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالياء ههنا لقوله يستعجلونك وقرأ الباقون بالتاء لانه أعم لانه خطاب للمستعجلين والمؤمنين واتفقوا في تنزيل السجدة انه بالتاء قال ابن عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقال مجاهد وعكرمة يوما من أيام الآخرة والدليل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يامعاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة قال ابن زيد وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون هذه أيام الآخرة وقوله مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم القيامة والمعنى على هذا انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة وقيل معناه وان يوما من أيام العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون فكيف تستعجلونه هذا كما يقال أيام الهموم طوال وأيام السرور قصار وقيل معناه ان يوما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء (وكأين من قرية أمليت لها) يعني أمهلتها (وهي ظالمة ثم أخذتها والي المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) يعني عملوا في ابطال آياتنا (معاجزين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ومعجزين بالتشديد ههنا وفي سورة سبأ يعني مثبطين الناس عن الايمان وقرأ الآخرون معاجزين بالالف يعني معاندين (١٨) مشاقين وقال قتادة معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ومعنى يعجزوننا أي يفوتوننا فلا نقدر عليهم وهذا كقوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا (أولئك أصحاب الجحيم) وقيل معاجزين مغالبين يريد كل واحد أن يظهر عجز صاحبه قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الآية قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه و بين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه و يتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها

السنة التي خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من أيام الآخرة يدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة وقيل ان يوما من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس (وكأين من قرية أمليت لها) يعني أمهلتها (وهي ظالمة) يعني مع استمرار أهلها على الظلم (ثم أخذتها) يعني أنزلت بهم العذاب (والي المصير) يعني مصيرهم الي في الآخرة ففيه وعيد وتهديد * قوله عز وجل (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) أمر الله رسوله أن يديم لهم التخويف والانذار وأن يقول لهم انما بعثت لكم منذرا (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول انما أنا نذير مبين أردف ذلك بأن أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة يعني ستر الصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر أيضا مع التوبة ورزق كريم يعني لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) يعني عملوا في ابطال آياتنا (معجزين) يعني مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين يعني معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا و يفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار (أولئك أصحاب الجحيم) * قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه و بين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه و يتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم و يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي و يميت و يخلق و يرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فأنزل الله هذه الآية

يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و بلغهم سجود قريش وقيل أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذى كانوا يحدثونه من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد الا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم قال

وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبى أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فأنزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و بلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذى كانوا يحدثونه من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذى يأتيه جبريل بالوحى عيانا ولا نبىّ النبى هو الذى تكون نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا الا اذا تمنى يعنى أحب شيأ واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان فى أمنيته يعنى فى مراده وقال ابن عباس اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى ما من نبى الا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبى الا ألقى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقى الشيطان وقال أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان فى أمنيته يعنى فى تلاوته قال حسان فى عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

* فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبى صلى الله عليه وسلم فى التلاوة وهو معصوم منه * قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة أحدها توهين أصل هذه القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذى يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقائل يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى الصلاة وآخر يقول قرأها وهو فى نادى قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك الى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذى جاء فى الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا

الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول وهو الذى يأتيه جبريل بالوحى عيانا ولا نبى وهو الذى يكون نبوّته الهاما أو مناما وكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا الا اذا تمنى قال بعضهم أى أحب شيا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان فى أمنيته يعنى مراده وعن ابن عباس قال اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه ووجد اليه سبيلا وما من نبى الا تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبى الا ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه فينسخ الله ما يلقى الشيطان وأكثر المفسرين قالوا معنى قوله تمنى يعنى تلا وقرأ كتاب الله تعالى ألقى الشيطان فى أمنيته يعنى فى تلاوته قال الشاعر فى عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخرها لاقى حمام المقادر

واختلفوا فى انه هل كان يقرأ فى الصلاة أو فى غير الصلاة فقال قوم كان يقرأ فى الصلاة وقال قوم كان يقرأ فى غير الصلاة فان

قيل كيف يجوز الغلط فى التلاوة على النبى صلى الله عليه وسلم وكان معصوما من الغلط فى أصل الدين وقال جل ذكره فى القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يعنى ابليس قيل قد اختلف الناس فى الجواب عنه فقال بعضهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقرأ ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته فظن المشركون ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأه وقال قتادة أغفى النبى صلى الله عليه وسلم اغفاءة فجرى ذلك

على لسانه بالقاء الشيطان ولم يكن له خبر والاكثرون قالوا جرى ذلك على لسانه بالقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث ان نبهه الله عليه وقيل ان شيطانا يقال له أبيض عمل هذا العمل وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يبطله ويذهبه (ثم يحكم الله آياته) فيثبتها (والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) أى محنة وبلية (للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية) يعنى الجافية (قلوبهم) عن قبول الحق وهم المشركون وذلك انهم افتتنوا لما سمعوا ذلك ثم نسخ ورفع فازدادوا عتوا وظنوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم يندم فيبطل (وان الظالمين) المشركين (لفى شقاق) ضلال (بعيد) أى فى خلاف شديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) التوحيد والقرآن وقال السدى التصديق بنسخ الله تعالى (أنه) يعنى ان الذى أحكم الله من آيات القرآن هو (الحق من ربك فيؤمنوا به) أى يعتقدوا انه من الله (فتخبت له قلوبهم) يعنى فتسكن اليه قلوبهم (وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) أى طريق قويم وهو الاسلام (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه) يعنى فى شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها وقال ابن جريج منه أى من القرآن وقيل من الدين وهو الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) يعنى القيامة وقيل الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال الضحاك وعكرمة عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة والاكثرون على ان اليوم العقيم يوم بدر لانه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة وسمى يوم بدر عقيما لانه لم يكن فى ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم التى لا تأتى بخير سحاب ولا مطر والعقم فى اللغة المنع يقال رجل عقيم اذا منع من الولد وقيل لانه لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه وقال ابن جريج لانهم لم ينظروا فيه الى الليل حتى قتلوا قبل المساء (الملك يومئذ) يعنى يوم القيامة

من حصى أو تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا أخرجه البخارى ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخارى فهذا الذى جاء فى الصحيح لم يذكر فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذى ذكره المفسرون عن ابن عباس فى هذه القصة فقد رواه عنه الكلبى وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة الجواب الثانى وهو من حيث المعنى هو أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح آلهة غير الله أو ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى نبهه جبريل عن ذلك فهذا كله ممتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث فى تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآى تفصيلا كما صح عنه فى قراءته فيحتمل ان الشيطان ترصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبى صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبى صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبى صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع فى تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان التمنى يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أى خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمنى اشتغل الخاطر فحصل السهو فى الافعال الظاهرة وعلى الثانى وهو تفسير التمنى بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى أى تلا وهو ما يقع للنبى صلى الله عليه وسلم من السهو فى اسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح فى الحديث لقد أذكرنى كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ فى العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم فى ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم * قوله عز وجل (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يبطله ويذهبه (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها (والله عليم حكيم) * قوله عز وجل (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) أى محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء (للذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أى الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين لفى شقاق بعيد) أى فى خلاف شديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) أى التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (انه الحق من ربك) أى الذى أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) أى يعتقدوا انه من الله عز وجل (فتخبت له قلوبهم) أى تسكن اليه (وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) أى الى طريق قويم وهو الاسلام * قوله عز وجل (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه) أى فى شك من القرآن وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أى فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أى عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن فى ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تاتى بخير وقيل لانه لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه (الملك يومئذ) يعنى يوم القيامة

(لله) من غير منازع (يحكم بينهم) ثم بين الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا فى سبيل الله) فارقوا أوطانهم وعشائرهم فى طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا) وهم كذلك قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) والرزق الحسن الذى لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة (وان الله لهو خير الرازقين) وقيل هو قوله بل احياء عند ربهم يرزقون (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) لان لهم فيه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) عنهم (ذلك) يعنى الامر ذلك الذى قصصنا عليكم (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) جازى الظالم بمثل ظلمه قال الحسن يعنى قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغى عليه) يعنى ظلم باخراجه من منزله يعنى ما أتاه المشركون من البغى على المسلمين حتى أحوجوهم الى مفارقة أوطانهم نزلت فى قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم قال الله تعالى (لينصرنه الله) والعقاب الاول بمعنى الجزاء (ان الله لعفو غفور) عفا عن مساوى المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم (ذلك) يعنى ذلك النصر (بأن الله) القادر على ما يشاء فمن قدرته انه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأنما يدعون) قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائى وحفص بالياء وقرأ الآخرون بالتاء يعنى المشركين (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى) العالى على كل شئ (الكبير) العظيم الذى كل شئ دونه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) بالنبات (ان الله لطيف) بأرزاق عباده واستخراج النبات من الارض (خبير) بما فى قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له ما فى السموات وما فى الارض) عبيدا وملكا (وان الله لهو الغنى) عن عباده (الحميد) فى أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك) يعنى وسخر لكم الفلك (تجرى فى البحر بأمره) وقيل ما فى الارض الدواب التى تركب فى البر والفلك التى تركب فى البحر (ويمسك السماء أن تقع على الارض) لكيلا تسقط على الارض (الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو

(لله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم) أى يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) * قوله تعالى (والذين هاجروا فى سبيل الله) أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم فى طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) أى لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين (وان الله لهو خير الرازقين) * فان قلت الرازق فى الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين * قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أى أعطاهم أرزاقهم وان الرازق فى الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعنى الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالعفو عنهم * قوله عز وجل (ذلك) أى الامر ذلك الذى قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) يعنى جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعنى قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغى عليه) يعنى ظلم باخراجه من منزله يعنى ما أتاه المشركون من البغى على المسلمين حتى أحوجوهم الى مفارقة أوطانهم نزلت فى قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا فى المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله ان الله لعفو) يعنى عن مساوى المؤمنين (غفور) يعنى لذنوبهم (ذلك) يعنى ذلك النصر (بأن الله) القادر على ما يشاء فمن قدرته انه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) فى معنى هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثانى هو ما يزيد فى أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى (وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق فى قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وأن ما يدعون) يعنى المشركين (من دونه هو الباطل) يعنى الاصنام التى ليس عندها ضر ولا نفع (وأن الله هو العلى) أى العالى على كل شئ (الكبير) أى العظيم فى قدرته وسلطانه * قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) يعنى بالنبات (ان الله لطيف) يعنى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان (خبير) يعنى بما فى قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى عبيدا وملكا (وان الله لهو الغنى الحميد) يعنى الغنى عن عباده الحميد فى أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض) يعنى الدواب التى تركب فى البر (والفلك) أى وسخر لكم السفن (تجرى فى البحر بأمره) يعنى سخرها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت (ويمسك السماء أن تقع) أى لكيلا تسقط (على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعنى انه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية فى الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم (وهو

الذى أحياكم) يعنى أنشأكم ولم تكونوا شيأ (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يوم البعث للثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) لنعم الله (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) قال ابن عباس يعنى شريعة هم عاملون بها وروى عنه انه قال عيدا قال قتادة ومجاهد موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة وقيل ما ألفايا ألفونه والمنسك فى كلام العرب الموضع المعتاد لعمل خير أو شر ومنه مناسك الحج لتردد الناس الى أماكن أعمال الحج (فلا ينازعنك فى الامر) يعنى فى أمر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء و بشر بن سفيان و يزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبى صلعم مالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله قال الزجاج معنى قوله لا ينازعنك أى لا تنازعهم أنت كما يقال لا يخاصمك فلان أى لا تخاصمه وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين و لا يجوز لا يضر بنك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك ان المنازعة والمخاصمة لا تتم الا باثنين فاذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك (وادع الى ربك) الى الايمان بربك (انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) فتعرفون حينئذ الحق من الباطل والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين الى خلاف ماذهب اليه الآخر (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك) كله (فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ان ذلك) يعنى علمه لجميع ذلك (على الله يسير و يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) حجة و برهانا (ومالیس لهم به علم) يعنى انهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم (وما للظالمين) للمشركين (من نصير) مانع يمنعهم من عذاب الله (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) يعنى الانكار يتبين ذلك فى وجوههم من الكراهية والعبوس (يكادون يسطون) يعنى يقعون و يبسطون اليهم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) يعنى بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ يقال سطا عليه وسطا به اذا تناوله بالبطش والعنف وأصل السطو القهر (قل) يا محمد لهم (أفأنبئكم بشر من ذلكم) يعنى بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذى تستمعون (النار) يعنى هى النار (وعدها الله الذين كفروا و بئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل) معنى ضرب جعل كقولهم ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمة أى جعل ذلك عليهم ومعنى الآية جعل لى شبه وشبه بى الاوثان أى جعل المشركون الاصنام شركائى فعبدوها ومعنى (فاستمعوا له) يعنى فاستمعوا حالها وصفتها ثم بين ذلك فقال (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء (لن يخلقوا ذبابا) واحدا فى صغره وقلته لانها لا تقدر عليه والذباب واحد وجمعه القليل أذبة والكثير ذباب مثل غراب وأغربة وغربان وضعفه

(ولو اجتمعوا له) يعنى لخلقه (وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلب منه وقال السدى كانوا يضعون الطعام بين يدى الاصنام فتقع الذباب عليه فيأكل منه وقال ابن زيد كانوا يحلون الاصنام باليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر و يطيبونها بالوان الطيب فربما يسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الالهة على استردادها فذلك قوله وان يسلبهم الذباب شيأ أى وان يسلب الذباب الاصنام شيا مما عليها لا يقدرون ان يستنقذوه منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه السلب وقيل على العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب وقال الضحاك الطالب العابد والمطلوب المعبود (ما قدروا الله حق قدره) ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ان أشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز الله يصطفى) يعنى يختار (من الملائكة رسلا) وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) يعنى يختار من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الانبياء عليهم السلام نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر ان الاختيار اليه يختار من يشاء من خلقه (ان الله سميع بصير) يعنى سميع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) ما خلفوا وقال الحسن ما بين أيديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد وقيل ما بين أيديهم ملائكته وكتبه ورسله قبل ان خلقهم وما خلفهم أى و يعلم ما هو كائن بعد فنائهم (والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) يعنى صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) يعنى وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله و يدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة

﴿فصل فى حكم سجود التلاوة هنا﴾ لم يختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا فى السجدة

وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) يعنى لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له (وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدى الاصنام فيقع الذباب عليه و يأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أى لو طلب الصنم أن يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ما قدروا الله حق قدره) يعنى ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز) يعنى غالب لا يقهر * قوله عز وجل (الله يصطفى من الملائكة) يعنى يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) يعنى و يختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (ان الله سميع) يعنى لاقوالهم (بصير) يعنى لافعالهم لا تخفى عليه خافية * قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) يعنى ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدى ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم و يعلم ما هو كائن بعد فنائهم (والى الله ترجع الامور) يعنى فى الاخرة * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) يعنى صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) يعنى وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله و يدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة

﴿فصل فى حكم سجود التلاوة هنا﴾ لم يختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا فى السجدة

بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أى وحدوه (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الرحم ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة واختلف أهل العلم فى سجود التلاوة عقيب قراءة هذه الآية فذهب قوم الى انه يسجد عندها وهو قول عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس و به قال ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق واحتجوا بما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبى أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى أنا أبو عيسى الترمذى أنا قتيبة أنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما وذهب قوم الى انه لا يسجد ههنا وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى وعدة سجود القرآن أربعة عشر عند أكثر أهل العلم منها ثلاث فى المفصل وذهب قوم الى انه ليس فى المفصل سجود وروى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس و به قال مالك وقد صح عن أبى هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلعم فى اقرأ واذا السماء انشقت وأبو هريرة من متأخرى الاسلام واختلفوا فى سجود ص فذهب الشافعى الى انه سجود شكر ليس من عزائم السجود و يروى ذلك عن ابن عباس وذهب قوم الى انه يسجد فيها وروى ذلك عن عمر و به قال سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وأحمد واسحق فعند ابن المبارك واسحق وأحمد وجماعة سجود

القرآن خمسة عشر سجدة فعدوا سجدتي الحج وسجدة ص وروى عن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه خمسة عشر سجدة في القرآن قوله (وجاهدوا في الله حق جهاده) قيل جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أيضا أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما قال تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم قال الضحاك ومقاتل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقال مقاتل بن سليمان نسخها قوله فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن تكون نيته خالصة صادقة لله عز وجل وقال السدي هو أن يطاع فلا يعصى وقال عبد الله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وهو حق الجهاد وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وأراد بالجهاد الاصغر الجهاد مع الكفار وبالجهاد الاكبر الجهاد مع النفس (هو اجتباكم) يعني اختاركم لدينه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق معناه ان المؤمن لا يبتلى بشئ من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة و بعضها برد المظالم والقصاص و بعضها بأنواع الكفارات فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من العقاب فيه وقيل من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس ذلك عليكم وسع الله عليكم حتى تتيقنوا وقال مقاتل يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتيمم عند فقد الماء وأكل الميتة عند الضرورة والافطار بالسفر والمرض والصلاة قاعدا عند العجز عن القيام وهو قول الكلبي وروى عن ابن عباس أنه قال الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاعمال التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة

الثانية فروى عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد واسحق يدل عليه ما روى عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفي الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما أخرجه الترمذي وأبو داود وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك في الموطأ وذهب قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدة سجود التلاوة فذهب الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم الى انها أربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة في الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد في احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في القرآن احدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده واه ودليل من قال في القرآن خمس عشرة سجدة ما روى عن عمرو بن العاص قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ واذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب * قوله عز وجل (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوي بغير سند قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس (هو اجتباكم) يعني اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فأي رتبة أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وهو ان المؤمن لا يبتلى بشئ من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة و بعضها برد المظالم والقصاص و بعضها بأنواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده قيل أعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة

أبيكم ابراهيم) يعنى كلمة أبيكم نصب بنزع حرف الصفة وقيل نصب على الاغراء يعنى اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم وانما أمرنا باتباع ملة ابراهيم لانها داخلة فى ملة محمد صلعم فان قيل فما وجه قوله ملة أبيكم وليس كل المسلمين يرجع نسبهم الى ابراهيم قيل خاطب به العرب وهم كانوا من نسل ابراهيم وقيل خاطب به جميع المسلمين وابراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الاب وهو كقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم وقال النبى صلعم انما أنا لكم مثل الوالد (هو سماكم) يعنى ان الله تعالى سماكم (المسلمين من قبل) يعنى من قبل نزول القرآن فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) يعنى وفى هذا الكتاب هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن زيد هو يرجع الى ابراهيم سماكم المسلمين فى أيامه من قبل هذا الوقت وفى هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة أن قد بلغكم (وتكونوا) أنتم (شهداء على الناس) ان رسلهم قد بلغتهم (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله) ثقوا بالله وتوكلوا عليه قال الحسن تمسكوا بدين الله وروى عن ابن عباس قال سلوا بكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوه ليثبتكم على دينه وقيل الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) وليكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) الناصر لكم

﴿ سورة المؤمنون ﴾ (٢٥) مكية وهى مائة وتسع عشرة آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أخبرنا ابو حامد أحمد بن عبد السلام الصالحى انا احمد بن الحسين الحيرى انا حاجب ابن أحمد الطوسى انا محمد بن حماد انا عبد الرزاق انا يونس ابن سليمان قال أملى على يونس صاحب ايلة عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القارى قال سمعت عمر بن الخطاب يقول كان اذا نزل على رسول الله صلعم الوحى يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فمكثنا ساعة وفى رواية فنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات ورواه أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وجماعة عن عبد الرزاق وقالوا واعطنا ولا تحرمنا وارضنا وارض عنا قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) قد حرف تأكيد وقال المحققون قد يقرب الماضى من الحال يدل على ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه فى الحال وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل والفلاح النجاة والبقاء قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا فى الجنة (الذين هم فى صلوتهم خاشعون) اختلفوا فى معنى الخشوع فقال ابن عباس مخبتون أذلاء وقال الحسن وقتادة خائفون وقال مقاتل متواضعون وقال مجاهد هو غض البصر وخفض الصوت والخشوع قريب من الخضوع الا أن الخضوع فى البدن والخشوع فى القلب والبصر والصوت قال الله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن وعن على رضى الله عنه هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا وقال سعيد بن جبير هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل حدثنا مسدد أنا ابو الاحوص انا أشعث بن سليم عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت سالت رسول الله صلعم عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وأخبرنا ابو الحسن المرخسى انا ابو على زاهر بن احمد انا ابو

أبيكم ابراهيم) لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم * فان قلت لم يكن ابراهيم أبا للامة كلها فكيف سماه أبا فى قوله ملة أبيكم ابراهيم * قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم كالوالد وفى قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولان أحدهما أن الكناية ترجع الى الله تعالى يعنى أن الله سماكم المسلمين فى الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثانى ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعنى ان ابراهيم سماكم المسلمين فى أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا (وفى هذا) أى وفى القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أى يوم القيامة أن قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) أى تشهدون يوم القيامة على الامم أن رسلهم قد بلغتهم (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله) يعنى ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا بكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا بكم أن يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) يعنى وليكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) أى الناصر لكم والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة المؤمنين ﴾

وهى مكية وهى مائة وثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فأنزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سرى عنه فقرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا أخرجه الترمذى * قوله عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا فى الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم فى صلوتهم خاشعون) قال ابن عباس مخبتون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل

الحسن القاسم بن بكر الطيالسي ببغداد أنا أبو أمية محمد بن ابراهيم الطرسوسي أنا عبد الغفار بن عبيد الله انا صالح بن أبي الاخضر عن الزهري عن أبي الاحوص عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه. وقال عمرو ابن دينار هو السكون وحسن الهيئة وقال ابن سيرين وغيره هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رموا بأبصارهم الى مواضع السجود أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا علي بن عبد الله أنا يحيى بن سعيد أنا ابن أبي عروبة أنا قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مابال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال عطاء هو أن

لا تعبث بشيء من جسدك في الصلاة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا سعيد عن عبد الرحمن المخزومي أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي الاحوص عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سواها والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال عطاء عن ابن عباس عن الشرك وقال الحسن عن المعاصي وقال الزجاج عن كل باطل ولهو ومالا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب قال الله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما أي اذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه (والذين هم للزكوة فاعلون) أي للزكاة الواجبة المجاوزون

متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فأما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم الى مواضع السجود وقيل الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر * قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو ومالا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب (والذين هم للزكوة فاعلون) أي الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا هي العمل الصالح والاول أولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (الا على أزواجهم) على بمعنى من (أو ما ملكت أيمانهم) يعني الاماء والجواري والآية في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعني بعدم حفظ فرجه من امرأته وأمته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الاتيان في غير المأتي وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم (فمن ابتغى وراء ذلك) أي التمس وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجواري المملوكة (فأولئك هم العادون) أي الظالمون

المجاوزون

مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا هو العمل الصالح أي والذين هم للعمل الصالح فاعلون (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم يجمع سوأة الرجل والمرأة وحفظ الفرج التعفف عن الحرام (الا على أزواجهم) أي من أزواجهم وعلى بمعنى من (أو ما ملكت أيمانهم) ما في محل الخفض يعني أو مما ملكت أيمانهم والآية في الرجال خاصة بدليل قوله أو ما ملكت أيمانهم والمرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعني بحفظ فرجه الا من امرأته أو أمته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيهما اذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الاتيان في غير المأتي وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور وهو على فعله ملوم (فمن ابتغى وراء ذلك) أي التمس وطلب سوى الازواج والولائد المملوكة (فأولئك هم العادون) الظالمون المتجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء قال ابن جريج

سألت عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير قال عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم (والذين هم لاماناتهم) قرأ ابن كثير لأماناتهم على التوحيد ههنا وفى سورة المعارج كقوله تعالى وعهدهم والباقون بالجمع كقوله عز وجل ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها (وعهدهم راعون) حافظون أى يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التى عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التى أوجبها الله عليه ويكون من العبيد كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها (والذين هم على صلواتهم) قرأ حمزة والكسائى صلاتهم على التوحيد والآخرون صلواتهم على الجمع (يحافظون) أى يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها كرر ذكر الصلاة ليبين ان المحافظة عليها واجبة كما ان الخشوع فيها واجب (أولئك) أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يرثون منازل أهل النار من الجنة وروى عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى

المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم * قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أى حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التى عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التى أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أى يداومون ويراعون أوقاتها واتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها * فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا * قلت هما ذكران مختلفان فليس تكرارا وصفهم أولا بالخشوع فى الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها * قوله عز وجل (أولئك) يعنى أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعنى يرثون منازل أهل النار من الجنة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوى بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة ويتالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذى (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون * قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم الانسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هى المنى لان النطفة تسل من الظهر ومن طين يعنى طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلالة أى سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعنى الذى هو الانسان جعلناه نطفة (فى قرار مكين) أى حريز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفة علقة) أى صيرنا النطفة قطعة دم جامد (فخلقنا العلقة مضغة) أى جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم أنشأناه خلقا آخر) أى مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جمادا ونامقا بعدما كان

الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فأما المؤمن فيبنى منزله الذى له فى الجنة ويهدم منزله الذى له فى النار وأما الكافر فيهدم منزله الذى فى الجنة ويبنى منزله الذى فى النار وقال بعضهم معنى الوراثة هو انه يؤل أمرهم الى الجنة ويتالونها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث قوله تعالى (الذين يرثون الفردوس) وهو أعلى الجنة قد ذكرناه فى سورة الكهف (هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون وجاء فى الحديث ان الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم

قال وعزتى لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث وقوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم والانسان اسم الجنس يقع على الواحد والجمع (من سلالة) روى عن ابن عباس انه قال السلالة صفوة الماء وقال مجاهد منى بنى آدم وقال عكرمة هو ماء يسيل من الظهر والعرب تسمى النطفة سلالة والولد سليلا وسلالة لانهما مسلولان منه قوله (من طين) يعنى طين آدم والسلالة تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبى من نطفة سلت من طين والطين آدم عليه السلام وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلالة أى سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعنى الذى هو الانسان جعلناه نطفة (فى قرار مكين) حريز وهو الرحم مكن وهى لاستقرارها فيه الى بلوغ أمدها (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما) قرأ ابن عامر وأبو بكر عظما فكسونا العظم بسكون الظاء على التوحيد فيهما وقرأ الآخرون بالجمع لان الانسان ذو عظام كثيرة وقيل بين كل خلقتين أربعون عاما (فكسونا العظام لحما) أى ألبسنا (ثم أنشأناه خلقا آخر) اختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس ومجاهد والشعبى وعكرمة

والضحاك وأبو العالية هو نفخ الروح فيه وقال قتادة نبات الاسنان والشعر وروى ابن جريج عن مجاهد انه استواء الشباب وعن الحسن قال ذكرا أو أنثى وروى العوفى عن ابن عباس ان ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الارتضاع الى القعود الى القيام الى المشى الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب فى البلاد الى ما بعدها (فتبارك الله) أى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) المصوّرين والمقدرين والخلق فى اللغة التقدير وقال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين يقال رجل خالق أى صانع وقال ابن جريج انما جمع الخالقين لان عيسى كان يخلق كما قال انى أخلق لكم من الطين فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك لميتون) والميت بالتشديد والمائت الذى لم يمت بعد وسيموت والميت بالتخفيف من مات ولذلك لم يجز التخفيف ههنا كقوله انك ميت وانهم ميتون (ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات سميت طرائق لتطارقها وهو ان بعضها فوق بعض يقال طارقت النعل اذا جعلت بعضه فوق بعض وقيل سميت طرائق لانها طرائق الملائكة (وما كنا عن الخلق غافلين) أى كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهى وقيل وما كنا عن الخلق غافلين أى بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) يعلمه الله قال مقاتل بقدر ما يكفيهم للمعيشة (فأسكناه فى الارض) يريد ما يبقى فى الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس فى الصيف عند انقطاع المطر وقيل فأسكناه فى الارض ثم أخرجنا منها ينابيع فماء الارض كله من السماء (وانا على ذهاب به لقادرون) حتى تهلكوا عطشا وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم وفى الخبر ان الله عز وجل أنزل أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان ودجلة والفرات وروى مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس من عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها الله الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندرانى عن مسلمة بن على عن مقاتل بن حيان

أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشى الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب فى البلاد الى ما بعدها (فتبارك الله) أى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) أى المصوّرين والمقدرين * فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله * قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فقال فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) أى بعد ما ذكر من تمام الخلق (لميتون) أى عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أى للحساب والجزاء * قوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) يعنى سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة فى الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) يعنى بل كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب، وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أى عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لا تخفى علينا خافية (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) أى يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم فى الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة (فأسكناه فى الارض) يعنى ما يبقى فى الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس فى الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه فى الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء فى الارض من السماء (وانا على ذهاب به لقادرون) وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة

قوله تعالى (فأنشأنا لكم به) يعني بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) شتاء وصيفا وخص النخيل والاعناب بالذكر لانها أكثر فواكه العرب (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة (تخرج من طور سيناء) وهي الزيتون قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو سيناء بكسر السين وقرأ الآخرون بفتحها واختلفوا في معناه وفي سنين في قوله تعالى وطور سينين قال مجاهد معناه البركة أي من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن أي من الجبل الحسن وقال الضحاك هو بالنبطية ومعناه الحسن وقال عكرمة هو بالحبشية وقال الكلبي معناه الشجر أي جبل ذو شجر وقيل هو بالسريانية الملتفة بالاشجار وقال مقاتل كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سينا وسينين بلغة النبط وقيل هو فيعال من السناء وهو الارتفاع قال ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى بين مصر وايلة وقال مجاهد سينا اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقال عكرمة هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب تنبت بضم التاء وكسر الباء وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الباء فمن قرأ بفتح التاء فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو الزيتون وقيل تنبت ومعها الدهن ومن قرأ بضم التاء اختلفوا فيه فمنهم من قال الباء زائدة معناه تنبت الدهن كما يقال أخذت ثوبه وأخذت بثوبه ومنهم من قال نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد كما قال زهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

أي نبت (وصبغ للآكلين) الصبغ والصباغ الادام الذي يلون الخبز اذا غمس فيه وينصبغ والادام كل ما يؤكل مع الخبز سواء ينصبغ به الخبز أولا يصبغ قال مقاتل جعل الله في هذه الشجرة أدما ودهنا فالادم الزيتون والدهن الزيت وقال خص الطور بالزيتون لان أول الزيتون نبت بها ويقال لان الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان قوله سبحانه وتعالى (وان لكم في الانعام لعبرة) يعني آية تعتبرون بها (نسقيكم) قرأ العامة بالنون وقرأ أبو جعفر ههنا بالتاء وفتحها (مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) يعني على الابل في البر وعلى الفلك في البحر (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من اله غيره) معبود سواه (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) يعني يتشرف بان يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعا وأنتم له تبع (ولو شاء الله لانزل ملائكة) يعني بابلاغ الوحي

من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى (فأنشأنا لكم به) أي بالماء (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) انما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) أي في الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) أي شتاء وصيفا (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وايلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) أي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الادام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة أدما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى في الارض نحو ثلاثة آلاف سنة * قوله عز وجل (وان لكم في الانعام لعبرة) أي آية تعتبرون بها (نسقيكم مما في بطونها) أي ألبانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه منهما شئ فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل (وعليها) أي وعلى الابل (وعلى الفلك تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر * قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) أي مالكم معبود سواه (أفلا تتقون) أي أفلا تخافون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور (يريد أن يتفضل عليكم) أي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأنتم له تبع (ولو شاء الله لانزل ملائكة) يعني بابلاغ

(ماسمعنا بهذا) الذى يدعونا اليه نوح (فى آبائنا الاولين) وقيل ماسمعنا بهذا أى بارسال بشر رسولا (ان هو الا رجل به جنة) يعنى جنون (فتربصوا به حتى حين) يعنى الى أن يموت فنستريح منه (قال رب انصرنى بما كذبون) يعنى أغنى باهلاكهم لتكذيبهم اياى (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها) أدخل فيها يقال سلكته فى كذا وأسلكته فيه (من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم) يعنى من سبق عليه الحكم بالهلاك (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت) اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) يعنى الكافرين (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) قرأ أبو بكر عن عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاى أى يريد موضع النزول قيل هذا هو السفينة بعد الركوب وقيل هو الارض بعد النزول ويحتمل انه أراد فى السفينة ويحتمل بعد الخروج وقرأ الباقون منزلا بضم

الميم وفتح الزاى أى انزالا مباركا فالبركة فى السفينة النجاة وفى النزول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة (وأنت خير المنزلين ان فى ذلك) يعنى الذى ذكرت من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله (لآيات) لدلالات على قدرته (وان كنا لمبتلين) يعنى وقد كنا وقيل وما كنا الا مبتلين أى مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم (ثم أنشأنا من بعدهم) من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا وقومه وقيل صالحا وقومه والاول أظهر (أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أى المصير الى الآخرة (وأترفناهم) نعمناهم ووسعنا عليهم (فى الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) يعنى مما تشربون منه (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) لمغبونون (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) من قبوركم احياء وأعادا نكم لما طال الكلام ومعنى الكلام أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون وكذلك هو فى قراءة عبد الله نظيره فى القرآن ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها (هيهات هيهات لما توعدون) قال ابن عباس هى كلمة بعد أى بعيد ما توعدون قرأ أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء وقرأ نصر بن عاصم بالضم وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعله مثل أين وكيف ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث ومن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء ووقف عليها أكثر القراء بالتاء ويروى عن الكسائى الوقف عليها بالهاء (ان هى) يعنون الدنيا (الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا) قيل فيه تقديم وتأخير أى نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت وقيل يموت الاباء ويحيا الابناء وقيل يموت قوم ويحيا قوم

الوحى (ماسمعنا بهذا) يعنى الذى يدعونا اليه نوح (فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة) يعنى جنون (فتربصوا به حتى حين) يعنى الى الموت فنستريح منه (قال رب انصرنى بما كذبون) يعنى أغنى باهلاكهم بتكذيبهم اياى (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) يعنى بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (فاذا جاء أمرنا) يعنى عذابنا (وفار التنور) قيل هو التنور الذى يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور (فاسلك فيها) يعنى فادخل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) يعنى من كل حيوان ذكرا وأنثى (وأهلك) يعنى وسائر من آمن بك (الا من سبق عليه القول) يعنى وجب عليه العذاب (منهم) يعنى الكفار وقيل أراد بأهله أهل بيته خاصة والذى سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) *قوله عز وجل (فاذا استويت) يعنى اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) يعنى فى السفينة (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) يعنى الكافرين (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء (وأنت خير المنزلين) معناه أنه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن أن يقول وأنت خير المنزلين لانه يحفظ من أنزله ويكلؤه فى سائر أحواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله (لآيات) يعنى دلالات على قدرتنا (وان كنا) يعنى وما كنا (لمبتلين) يعنى الا مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم * قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم) يعنى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) يعنى عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) يعنى هذه الطريقة التى أنتم عليها مخافة العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) يعنى بالمصير اليها (وأترفناهم) يعنى نعمناهم ووسعنا عليهم (فى الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) يعنى من مشربكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) يعنى لمغبونون (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) يعنى من قبوركم أحياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس أى بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر فى بدء أمرهم وقدرة الله على ايجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون أبدا (ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون

(ومانحن بمبعوثين) بمنشرين بعد الموت (ان هو) يعنون الرسول (الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل) أى عن قليل وما صلة (ليصبحن) ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فأخذتهم الصيحة) يعنى صيحة العذاب (بالحق) قيل أراد بالصيحة الهلاك وقيل صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم (فجعلناهم غثاء) وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر معناه صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض (فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) يعنى أقواما آخرين (ما تسبق من أمة أجلها) يعنى ما تسبق أمة أجلها ومن صلة أى وقت هلاكها (وما يستأخرون) وما يتأخرون عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) يعنى مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل نبيين زمانا طويلا وهى فعلى من المواترة قال الاصمعى يقال واترت الخبر اذا اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين مهلة واختلف القراء فيه فقرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو بالتنوين ويعقوب بالالف ولا يميله أبو عمرو فى الوقف فيها كالالف فى قولهم رأيت زيدا وقرأ الباقون بلا تنوين والوقف عندهم يكون بالياء ويميله حمزة والكسائى وهو مثل قولهم غضبى وسكرى وهو اسم جمع مثل شتى وعلى القراءتين التاء الاولى بدل من الواو وأصله وترى من المواترة والتواتر فجعلت الواو تاء مثل التقوى والتكلان (كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) بالهلاك أى أهلكنا بعضهم فى أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) يعنى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهى جمع أحدوثة وقيل جمع حديث قال الاخفش انما هو فى الشر واما فى الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحدوثة انما يقال صار فلان حديثا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) يعنى بحجة بينة من اليد والعصا وغيرهما (الى فرعون وملئه فاستكبروا) تعظموا عن الايمان (وكانوا قوما عالين) متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (أنؤمن لبشرين مثلنا) يعنى موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) مطيعون متذللون والعرب تسمى كل من دان للملك عابدا له (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) أى لكى يهتدى به قومه (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) دلالة على قدرتنا ولم يقل آيتين قيل معناه جعلنا شأنهما آية وقيل معناه جعلنا كل واحد منهما آية كقوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها (وآويناهما الى ربوة) الربوة المكان المرتفع من الارض واختلفت الاقوال فيها فقال عبد الله بن سلام هى دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل وقال الضحاك غوطة دمشق وقال أبو هريرة هى الرملة وقال عطاء عن ابن عباس هى بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب وقال كعب هى أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقال ابن زيد هى مصر وقال السدى أرض فلسطين (ذات قرار) أى مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها

ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (ومانحن بمبعوثين) يعنى بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم (الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) يعنى بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) يعنى ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فأخذتهم الصيحة بالحق) يعنى صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك (فجعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض (فبعدا) يعنى ألزمنا بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) قوله عز وجل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) يعنى أقواما آخرين (ما تسبق من أمة أجلها) يعنى وقت هلاكها (وما يستأخرون) يعنى عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) يعنى مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا (كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) يعنى بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) يعنى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بامرهم وشأنهم (فبعدا لقوم لا يؤمنون) قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) يعنى بحجة بينة كالعصا واليد وغيرهما (الى فرعون وملئه فاستكبروا) يعنى تعظموا عن الايمان (وكانوا قوما عالين) يعنى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (أنؤمن لبشرين مثلنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) يعنى مطيعون متذللون (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) يعنى بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلهم يهتدون) يعنى لكى يهتدى به قومه * قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) يعنى دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وأنطقه فى المهد * فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين * قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة (وآويناهما الى ربوة) يعنى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها * وقوله (ذات قرار) يعنى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها

(ومعين) فالمعين الماء الجارى الظاهر الذى تراه العيون مفعول من عانه يعينه اذا أدركه البصر قوله (يا أيها الرسل) قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدى والكلبى وجماعة أراد به محمدا صلى الله عليه وسلم وحده على مذهب العرب فى مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة وقال بعضهم أراد به عيسى وقيل أراد به جميع الرسل عليهم السلام (كلوا من الطيبات) أى الحلالات (واعملوا صالحا) الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة (انى بما تعملون عليم وان هذه) قرأ أهل الكوفة وان بكسر الالف على الابتداء وقرأ الباقون بفتح الالف وخفف ابن عامر النون وجعل ان صلة مجازه وهذه (أمتكم) وقرأ الباقون بتشديد النون على معنى وبان هذه تقديره بأن هذه أمتكم أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها (أمة واحدة) أى ملة واحدة وهى الاسلام (وأنا ربكم فاتقون) أى اتقونى لهذا وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم فأمركم واحد وأنا ربكم فاتقون فاحذرون وقيل هو نصب باضمار فعل أى اعلموا ان هذه أمتكم أى ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (فتقطعوا أمرهم) دينهم (بينهم) أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى (٣٢) ومجوسا (زبرا) أى فرقا وقطعا مختلفة واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة ومثله الزبرة وجمعها زبر ومنه زبر الحديد أى صاروا فرقا كزبر الحديد وقرأ بعض أهل الشام زبرا بفتح الباء قال قتادة ومجاهد زبرا أى كتبا يعنى دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذى دان به الآخر وقيل جعلوا كتبهم قطعا مختلفة آمنوا ببعض وكفروا ببعض وحرفوا البعض (كل حزب بما لديهم) أى بما عندهم من الدين (فرحون) معجبون ومسرورون (فذرهم فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلالهم وقيل عماياتهم وقيل غفلتهم (حتى حين) الى أن يموتوا (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين) ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) أى نعجل لهم فى الخيرات ونقدمها ثوابا لاعمالهم لرضا تناعنهم (بل لا يشعرون) ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون والاشفاق الخوف والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وأمنا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم وجلة) أى خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم الى ربهم راجعون) أى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد

(ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون * قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) أى استقيموا على ما يوجبه الشرع (انى بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلأن يكون تحذيرا لغيرهم أولى لما روى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم * قوله عز وجل (وان هذه أمتكم) أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها (أمة واحدة) أى ملة واحدة وهى الاسلام (وأنا ربكم فاتقون) أى فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فأمركم واحد وأنا ربكم فاتقون (فتقطعوا) أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (أمرهم) أى دينهم (بينهم زبرا) أى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أى مسرورون معجبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلالهم وقيل فى عماياتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى أن يموتوا (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين) أى ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) أى نعجل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لرضا تناعنهم (بل لا يشعرون) أى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن من جمع احسانا وخشية والمنافق من جمع اساءة وأمنا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وروى عن عائشة انها كانت تقرأ والذين يأتون ما أتوا أى يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم وجلة) ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم الى ربهم راجعون) لانهم يوقنون انهم يرجعون الى الله عز وجل قال الحسن عملوا لله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا عبد الله بن يوسف أنا محمد بن حامد حدثنا محمد بن الجهم أنا عبد الله بن عمر وأنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق قال لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه

ترد عليهم عن عائشة قالت قلت يارسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات أخرجه الترمذي * وقوله (أولئك يسارعون في الخيرات) أي يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أي اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات * قوله عز وجل (ولا نكلف نفسا الا وسعها) أي طاقتها فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أي يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) أي غفلة وجهالة (من هذا) يعني القرآن (ولهم أعمال) أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك) يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعني الكفار (لها) أي لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الازل من الشقاوة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أي رؤساءهم وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف (اذا هم يجأرون) أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لا تجأروا اليوم) يعني لا تجزعوا ولا تضجوا اليوم (انكم منا لا تنصرون) يعني لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) يعني ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الايمان (مستكبرين به) قال ابن عباس أي بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول أظهر (سامرا) يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الاهجار وهو الافحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى

من الخيرات هم لها عاملون والاول أظهر (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أي أخذنا أغنياءهم ورؤساءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقال الضحاك يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله عز وجل بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف (اذا هم يجأرون) يضجون ويجزعون ويستغيثون وأصل الجأر رفع الصوت بالتضرع (لا تجأروا اليوم) أي لا تضجوا (انكم منا لا تنصرون) لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقرى تتأخرون عن

الايمان (مستكبرين به) اختلفوا في هذه الكناية فأظهر الاقاويل انها تعود الى البيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام وتعظمهم به انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والاول أظهر ان المراد منه الحرم (سامرا) نصب على الحال أي انهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت ووحد سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت أراد تهجرون ليلا وقيل وحد سامر ومعناه الجمع كقوله ثم نخرجكم طفلا (تهجرون) قرأ نافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم من الاهجار وهو الافحاش في القول أي تفحشون وتقولون الخنا وذكر انهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ الآخرون تهجرون بفتح التاء وضم الجيم أي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان والقرآن وترفضونها وقيل هو من الهجر وهو القبيح

القبيح يقال هجر يهجر هجرا اذا قال غير الحق وقيل تهزؤن وتقولون ما لا تعلمون من قولهم هجر الرجل في منامه اذا هذى (أفلم يدبروا) يعني يتدبروا (القول) يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد صلعم (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم كذلك بعثنا محمدا صلعم اليهم وقيل أم بمعنى بل يعني بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين فلذلك أنكروا (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا صلعم (فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلعم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك (بل جاءهم بالحق) يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم) قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة الحق هو الله أي لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو اتبع مرادهم فسمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون (لفسدت السموات والارض)

وقال الفراء والزجاج المراد بالحق القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه لفسدت السموات والارض (ومن فيهن) وهو كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (بل أتيناهم بذكرهم) بما ذكرهم قال ابن عباس أي بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القرآن فهو كقوله تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم وانه لذكر لك ولقومك أي شرف لك ولقومك (فهم عن ذكرهم) يعني عن شرفهم (معرضون أم تسئلهم) على ما جئتهم به (خرجا) أجرا وجعلا (فخراج ربك خير) يعني ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) قرأ حمزة والكسائي خراجا فخراج كلاهما بالالف وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف وقرأ الآخرون خرجا بغير ألف فخراج بالالف (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لناكبون) لعادلون مائلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) قحط وجدوبة (للجوا) تمادوا (في طغيانهم يعمهون) ولم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا وما ذلوا لربهم وأصله طلب السكون (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير * قوله عز وجل (وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة) أي لتسمعوا بها

الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تهذون وتقولون ما لا تعلمون (أفلم يدبروا القول) يعني أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) يعني فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) أي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أي لفسد العالم (بل أتيناهم بذكرهم) قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن (فهم عن ذكرهم) أي شرفهم (معرضون أم تسئلهم) أي على ما جئتهم به (خرجا) أي أجرا وجعلا (فخراج ربك خير) أي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) تقدم تفسيره (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) أي الى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لناكبون) أي لعادلون عنه ومائلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي قحط وجدوبة (للجوا) أي تمادوا (في طغيانهم يعمهون) أي لم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل الله عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد أكلوا القد والعظام وشكا اليه الضر فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا وما ذلوا لربهم (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) أي القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير (وهو الذي أنشأ لكم السمع) أي أنشأ لكم الاسماع (والابصار والافئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا

(قليلا ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم) خلقكم (في الارض واليه تحشرون) تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان قال الفراء جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض (أفلا تعقلون) ما ترون من صنعه فتعتبرون (بل قالوا مثل ما قال الاولون) أي كذبوا كما كذب الاولون (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) الوعد (من قبل) أي وعد آباءنا قوم زعموا انهم رسل الله فلم نره حقيقة (ان هذا الا أساطير الاولين) أكاذيب الاولين (قل) يا محمد مجيبا لهم يعني أهل مكة (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) خالقها ومالكها (سيقولون لله) ولا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة فـ (قل) لهم اذا أقروا بذلك (أفلا تذكرون) فتعلمون ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب

بها وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم (واليه تحشرون) أي تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض (أفلا تعقلون) أي ما ترون من صنعه فتعتبروا (بل قالوا مثل ما قال الاولون) أي كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه أنكروا البعث مثل ما أنكر الاولون مع وضوح الادلة (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أي لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب (لقد وعدنا نحن) أي هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) أي وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نره حقيقة (ان هذا الا أساطير الاولين) أي أكاذيب الاولين * قوله تعالى (قل) أي يا محمد لاهل مكة (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) أي خالقها ومالكها (سيقولون لله) أي لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون أنها مخلوقة لله (قل) أي قل لهم يا محمد اذا أقروا بذلك (أفلا تذكرون) أي فتعلموا أن من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أي عبادة غيره وقيل معناه أفلا تحذرون عقابه (قل من بيده ملكوت كل شئ) أي ملك كل شئ (وهو يجير) أي يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أي لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من أراده بسوء (ان كنتم تعلمون) أي فاجيبوا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) أي فانى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناهم بالحق) أي بالصدق (وانهم لكاذبون) أي فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) أي من شريك (اذا لذهب كل اله بما خلق) أي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو (ولعلا بعضهم على بعض) أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه الواحد بيده ملكوت كل شئ ويقدر على كل شئ ثم نزه نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) أي من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أي تعظم من أن يوصف بما لا يليق به * قوله عز وجل (قل رب) أي يا رب (اما ترينى ما يوعدون) أي ما وعدتهم من العذاب (رب) أي يا رب (فلا تجعلنى في القوم الظالمين) أي لا تهلكني بهلاكهم (وانا على أن نريك ما نعدهم) أي من العذاب (لقادرون ادفع بالتى هي أحسن) يعني بالخلة التي هي أحسن وهي الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعني أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين

العرش العظيم سيقولون لله) قرأ العامة لله ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى كقول القائل للرجل من مولاك فيقول لفلان أي أنا لفلان وهو مولاي وقرأ أهل البصرة فيها الله وكذلك هو في مصحف أهل البصرة وفي سائر المصاحف مكتوب بالالف كالاول (قل أفلا تتقون) تحذرون (قل من بيده ملكوت كل شئ) الملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة (وهو يجير) أي يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أي لا يؤمن من أخافه الله أو يمنع هو من السوء من يشاء ولا يمنع منه من أراده بسوء (ان كنتم تعلمون) قيل معناه أجيبوا ان كنتم تعلمون (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) أي تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته والمعنى كيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناهم بالحق) بالصدق (وانهم لكاذبون) فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) أي من شريك (اذا لذهب كل اله بما خلق) أي تفرد بما خلقه فلم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع الاله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق (ولعلا بعضهم على بعض) أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم ثم نزه نفسه فقال (سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة) قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص عالم برفع الميم على الابتداء وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله في سبحان الله (فتعالى عما يشركون) أي تعظم عما يشركون ومعناه انه أعظم من أن يوصف بهذا الوصف قوله (قل رب اما ترينى) أي ان أريتني (ما يوعدون) أي ما أوعدتهم من العذاب (رب) أي يا رب (فلا تجعلنى في القوم الظالمين) أي لا تهلكني بهلاكهم (وانا على أن نريك ما نعدهم) من العذاب لهم (لقادرون ادفع بالتى هي أحسن) أي ادفع بالخلة التي هي أحسن هي الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعني أذاهم أمره بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة لسختها آية السيف

(نحن أعلم بما يصفون) يكذبون و يقولون من الشرك (وقل رب أعوذ بك) أى أمتنع وأعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزغاتهم وقال الحسن وساوسهم وقال مجاهد نفخهم ونفثهم وقال أهل المعانى دفعهم بالاغواء الى المعاصى وأصل الهمز شدة الدفع (وأعوذ بك رب أن يحضرون) فى شئ من أمورى وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوسه ثم أخبر ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) ولم يقل ارجعنى وهو يسأل الله وحده الرجعة على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومثله كثير فى القرآن وقيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لانهم استغاثوا بالله أولا ثم رجعوا الى مسئلة الملائكة الرجوع الى الدنيا قوله تعالى (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) أى ضيعت أن أقول لا اله الا الله وقيل أعمل بطاعة الله قال قتادة ما تمنى أن يرجع الى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا و يقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر اذا رأى العذاب

(كلا) كلمة ردع وزجر أى لا يرجع اليها (انها) يعنى سؤاله الرجعة (كلمة هو قائلها) ولا يناله (ومن ورائهم برزخ) أى أمامهم و بين أيديهم حاجز (الى يوم يبعثون) والبرزخ الحاجز بين الشيئين واختلفوا فى معناه ههنا فقال مجاهد حجاب بينهم و بين الرجوع الى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحاك البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو القبر وهم فيه الى يوم يبعثون (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) اختلفوا فى هذه النفخة فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود أخرى انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى منادهذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليات الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده وزوجته وأخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى رواية عطاء عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أى لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون فى الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا من أنت ومن أى قبيل أنت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قيل أليس قد جاء فى الحديث كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا نسبى وسببى قيل معناه ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب الا سببه ونسبه وهو الايمان والقرآن فان قيل قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال فى موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون الجواب ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان للقيامة أحوالا ومواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون و فى موطن يفيقون افاقة فيتساءلون

والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أى يكذبون و يقولون من الشرك * قوله عز وجل (وقل رب أعوذ بك) أى أمتنع وأعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصى (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أى فى شئ من أمورى وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له عن جبير بن مطعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمرو لا أدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ فى متن الحديث ونزيده ايضاحا قوله نفثه الشعر أى لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان و ينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ و يتعاظم و يجمع نفسه فيحتاج الى أن ينفخ وقوله وهمزه الموتة الموتة الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولا ثم رجع الى مسالة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) أى ضيعت وقيل تركت أى منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ما تمنى أن يرجع الى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا و يقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أى لا يرجع اليها (انها) يعنى مسألته الرجعة (كلمة هو قائلها) أى لا يناله (ومن ورائهم برزخ) أى من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز (الى يوم يبعثون) معناه ان بينهم و بين الرجعة حجابا وما نعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة * قوله تعالى (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه

قوله (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار) أى تسفع وقيل تحرق (وهم فيها كالحون) عابسون أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا محمد بن أحمد الحارثى أنا محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم عن الاعرج عن أبى هريرة قال يعظم الكافر فى النار مسيرة سبع ليال فيصير ضرسه مثل أحد وشفاههم عند سررهم سود زرق مقبوحون قوله تعالى (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) قرأ حمزة والكسائى شقاوتنا بالالف وفتح الشين وهما لغتان أى غلبت علينا شقوتنا التى كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) أى من النار (فان عدنا) لما تكره (فانا ظالمون قال اخسؤا) ابعدوا (فيها) كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) فى رفع العذاب فانى لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها الا الشهيق والزفير ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون روى عن عبد الله بن عمرو ان أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق ذكره البغوى بغير سند وأخرجه الترمذى بمعناه عن أبى الدرداء قوله فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة أى سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم (انه كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) أى تسخرون منهم وتستهزؤن

أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم يعنى لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون فى الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا من أنت ومن أى قبيلة أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع * فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال فى موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قلت قال ابن عباس ان للقيامة أحوالا ومواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون افاقة فيتساءلون * قوله عز وجل (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا) أى غبنوا (أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح) أى تسفع وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أى عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوى على النار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتنقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب * قوله تعالى (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أى التى كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) أى عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) أى من النار (فان عدنا) أى لما تكره (فانا ظالمون قال اخسؤا فيها) أى ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) أى فى رفع العذاب فانى لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو ان أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق وقال القرطبى اذا قيل لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض وأطبقت عليهم (انه) الهاء فى انه عماد وتسمى أيضا المجهولة (كان فريق من عبادى) وهم المؤمنون (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائى سخريا بضم السين ههنا وفى سورة ص وقرأ الباقون بكسرهما واتفقوا على الضم فى سورة الزخرف قال الخليل هما لغتان مثل قولهم بحر لجى ولجى بضم اللام وكسرها كوكب درى ودرى قال الفراء والكسائى الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى التسخير والاستعباد

بالفعل واتفقوا في سورة الزخرف بانه بمعنى التسخير (حتى أنسوكم) أي أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم (ذكري وكنتم منهم تضحكون) نظيره ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون قال مقاتل نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة كان كفار قريش يستهزؤن بهم (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) على أذاكم واستهزائكم في الدنيا (أنهم هم الفائزون) قرأ حمزة والكسائي انهم بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الاخرون بفتحها فيكون في موضع المفعول الثاني اني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة (قال كم لبثتم) قرأ حمزة والكسائي قل كم وقل ان على الامر والنهي ومعنى الآية قولوا أيها الكافرون فأخرج الكلام مخرج الواحد والمراد منه الجماعة اذ كان معناه مفهوما ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم أي قل يا أيها الكافرون وقرأ ابن كثير قل كم على الامر وقال ان على الخبر لان الثانية جواب وقرأ الآخرون قال فيهما جميعا أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبثتم (في الارض) أي في الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب (فاسئل العادين) الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم (قال ان لبثتم) أي ما لبثتم في الدنيا (الا قليلا) سماه قليلا لان الواحد وان طال مكثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الاخرة لان لبثه في الدنيا والقبر متناه (لو كنتم تعلمون) قدر لبثكم في الدنيا (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) لعبا وباطلا لا لحكمة وهو نصب على الحال أي عابثين وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وهو مثل قوله أيحسب الانسان أن يترك سدى وانما خلقتم للعبادة واقامة أوامر الله تعالى (وأنكم الينا لا ترجعون) أي أفحسبتم انكم الينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا بشر بن عمر أنا عبد الله بن لهيعة أنا عبد الله بن هبيرة عن حنش ان

بهم (حتى أنسوكم ذكري) أي أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) نزل في كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي على أذاكم واستهزائكم في الدنيا (أنهم هم الفائزون) أي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعني أن الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم في الارض) أي في الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) معناه انهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب (فاسئل العادين) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم (قال ان لبثتم) أي ما لبثتم في الدنيا (الا قليلا) سماه قليلا لان المرء وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) يعني قدر لبثكم في الدنيا * قوله عز وجل (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة أوامر الله عز وجل (وأنكم الينا لا ترجعون) أي في دار الآخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أي هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) أي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) يعني لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك (فانما حسابه) أي جزاؤه (عند ربه) أي هو مجازيه بعمله (انه لا يفلح الكافرون) يعني لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

﴿ تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الاحكام

وألزمناكم رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون فقال جل ذكره (فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) يعني السرير الحسن وقيل المرتفع (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) أي لا حجة له به ولا بينة لانه لا حجة في دعوى الشرك (فانما حسابه) جزاؤه (عند ربه) يجازيه بعمله كما قال تعالى ثم ان علينا حسابهم (انه لا يفلح الكافرون) لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

﴿ سورة النور مدنية وهي ثنتان أو أربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (سورة) أي هذه سورة (أنزلناها وفرضناها) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرضناها بتشديد الراء وقرأ الآخرون بالتخفيف أي أوجبنا ما فيها من الاحكام وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود والفرض التقدير قال الله عز وجل فنصف ما فرضتم أي قدرتم ودليل التخفيف قوله ان الذي فرض عليك القرآن وأما التشديد فمعناه وفصلناه وبيناه وقيل هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الايجاب أيضا والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض أي أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة

(وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات (لعلكم تذكرون) تتعظون قوله عز وجل (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أراد اذا كانا حرين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين فاجلدوا واضربوا كل واحد منهما مائة جلدة يقال جلده اذا ضرب جلده كما يقال رأسه و بطنه اذا ضرب رأسه و بطنه وذكر بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم وقد وردت السنة انه يجلد مائة و يغرب عاما وهو قول أكثر أهل العلم وان كان الزانى محصنا فعليه الرجم ذكرناه فى سورة النساء (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رحمة ورقة وقرأ ابن كثير رأفة بفتح الهمزة ولم يختلفوا فى سورة الحديد انها ساكنة لمجاورة قوله ورحمة والرأفة معنى يكون فى القلب لا ينهى عنه لانه لا يكون باختيار الانسان روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه لا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال يا بنى ان الله عز وجل لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فأوجعت واختلفوا فى معنى الآية فقال قوم لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقال جماعة معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية و يخفف فى حد الشرب وقال قتادة يجتهد فى حد الزنا و يخفف فى

الشرب والفرية (فى دين الله) أى فى حكم الله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه ان المؤمن لا تأخذه الرأفة اذا جاء أمر الله تعالى (وليشهد) وليحضر (عذابهما) حدهما اذا أقيم عليهما (طائفة) نفر (من المؤمنين) قال مجاهد والنخعى أقله رجل واحد فما فوقه وقال عكرمة وعطاء رجلان فصاعدا وقال الزهرى وقتادة ثلاثة فصاعدا وقال مالك وابن زيد أربعة بعدد شهود الزنا قوله (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفى المدينة نساء بغايا هن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين فى نكاحهن لينفقن عليهم فأستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبى رباح وقتادة والزهرى والشعبى ورواية العوفى عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت فى نساء بمكة والمدينة منهن تسع لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبى السائب المخزومى فكان الرجل ينكح الزانية فى الجاهلية يتخذها مالكة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبى مرثد الغنوى كان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة وكانت بمكة بغى يقال لها عناق وكانت صديقة له فى الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحنى فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت

وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرناها فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى واضحات (لعلكم تذكرون) يعنى تتعظون * قوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة فى وجوب الحد العقل والبلوغ و يشترط الاحصان فى الرجم و يجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا أى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أى الزانية والزانى مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام و به قال الشافعى وقال أبو حنيفة التغريب الى رأى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة و يغرب وتجلد المرأة ولا تغرب وان كان الزانى محصنا فعليه الرجم (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقيل معنى الرأفة أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية أى القذف و يخفف فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا و يخفف دون ذلك فى حد الفرية و يخفف دون ذلك فى حد الشرب (فى دين الله) أى فى حكم الله وروى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال يا بنى ان الله لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فأوجعت (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه ان المؤمن لا تأخذه الرأفة اذا جاء أمر الله وقيل هو من باب التهييج والالهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود (وليشهد) يعنى وليحضر (عذابهما) أى حدهما اذا أقيم عليهما (طائفة) يعنى نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا * قوله عز وجل (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفى المدينة نساء بغايا هن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين فى نكاحهن لينفقن عليهم فأستأنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وحرم على المؤمنين أن ينزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبى رباح وقتادة والزهرى والشعبى ورواية العوفى عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت فى نساء بمكة والمدينة منهن تسع لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبى السائب المخزومى فكان الرجل ينكح الزانية فى الجاهلية يتخذها مالكة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبى مرثد الغنوى كان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة وكانت بمكة بغى يقال لها عناق وكانت صديقة له فى الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحنى فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت

والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك فدعاني رسول الله صلعم فقرأها علي وقال لي لا تنكحها فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعناه ان الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا تزنى الا بزان أو مشرك وهو قول سعيد ابن جبير والضحاك بن مزاحم ورواه الوالبي عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبدا وقال الحسن الزاني المجلود لا ينكح الا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها الا زان مجلود قال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ فكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية فنسخها قوله وأنكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في أيامى المسلمين واحتج من جوز نكاح الزانية بما أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسمعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنا الحسن بن الفرج أنا عمرو بن خالد الحراني أنا عبيد الله عن عبد الكريم الجزري عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلعم فقال يا رسول الله ان امرأتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال فاني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص أن يجمع بينهما فابى الغلام قوله (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) أراد بالرمي القذف بالزنا وكل من رمى محصنا أو محصنة بالزنا فقال له زنيت أو يا زاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة ان كان حرا وان كان عبدا فيجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنى حتى ان من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره فقذفه قاذف فلا حد عليه فان أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد الذي وجب عليه حد الفرية وقد ثبت صدقه وقوله والذين يرمون المحصنات أي يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على زناهن فاجلدوهم ثمانين جلدة أي اضربوهم ثمانين جلدة

عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا الا نهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الاساري من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول أنكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيأ فنزلت الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود بألفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا تزنى الا بزان أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتي لا تمنع يد لامس فقال طلقها قال اني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الآية ان الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفائف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية * قوله تعالى (والذين يرمون) أي يقذفون بالزنا (المحصنات) يعني المسلمات الحرائر العفائف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية ان من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يا زاني أو يا زانية أو زنيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد أربعين

(ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبلها لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن ابن عباس وعمر وهذا هو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي وقالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي وهو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف يردونها في أحسن حاليه ويقبلونها في شر حاليه وذهب الشعبي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قيل اذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا قيل معناه لا تقبل شهادته أبدا ما دام هو مصرا على قذفه لان أبد كل انسان مدته على ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر أبدا يريد ما دام كافرا قوله (والذين يرمون أزواجهم) يقذفون نساءهم (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون على صحة ما قالوا (الا أنفسهم) غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب أربع شهادات برفع العين على خبر الابتداء أي فشهادة أحدهم التي تدرأ الحد أربع شهادات وقرأ الآخرون بالنصب أي فشهادة أحدهم أن

وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه لاجل الغيرة وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر أو يا خبيث أو يا مؤاجر أو قال امرأتي لا تريد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا الا أن يريد ذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فما زنيت أو ليست امرأتي زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا * وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قولهم وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل أن يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف ترد ونها في أحسن حاليه وتقبلونها في شر حاليه وذهب الشافعي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة * فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا * قلت معنى أبدا ما دام مصرا على القذف لان أبد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا يريد بذلك ما دام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته * قوله عز وجل (والذين يرمون) أي يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أي يشهدون على صحة ما قالوا (الا أنفسهم) أي غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمرا العجلاني جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرأيت لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أساله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يارسول الله ان أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين أخرجاه فى الصحيحين زاد فى رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به أحيمر كانه وحرة فلا أحسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى أمه قوله أسحم أى أسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين أى ممتلئ الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالمظاءة تلصق بالارض وأراد بها فى الحديث المبالغة فى قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم البينة أو حد فى ظهرك فقال يارسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد فى ظهرك فقال هلال بن أمية والذى بعثك بالحق انى لصادق ولينزلن الله مايبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهما فجاآ فقام هلال بن أمية فشهد والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفضح قومى سائر اليوم فمضت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا ماقضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن وفى رواية غير البخارى عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه حتى آتى باربعة شهداء فوالله ما كنت لآتى باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت مارأيت ان فى ظهرى لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ألا تسمعون مايقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ماتزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأته واجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يارسول الله بأبى أنت وأمى والله انى لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزنى بها فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يارسول الله انى جئت الى أهلى عشاء فوجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك فى وجهه فقال هلال والله يارسول الله انى لارى الكراهة فى وجهك مما أتيتك به والله يعلم انى لصادق وماقلت الا حقا وانى لارجو أن يجعل الله لى فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فبينما هم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحى فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحى قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر ياهلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يارسول الله قد صدقت وماقلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة ياهلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هى

(والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) قرأ نافع ويعقوب ان خفيفة وكذلك الثانية لعنة الله رفع ثم يعقوب قرأ غضب بالرفع وقرأ نافع غضب بكسر الضاد وفتح الباء على الفعل الماضي الله رفع وقرأ الآخرون ان بالتشديد فيهما لعنة نصب وغضب بفتح الضاد على الاسم الله جر وقرأ حفص عن عاصم والخامسة الثانية نصب أي ويشهد الشهادة الخامسة وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في ان كالاولى وسبب نزول هذه الآية ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمرا العجلاني جاء الى عاصم بن عدي الانصاري فقال له يا عاصم أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك يا عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاء عويمر فقال له يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التي سألته عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فات بها فقال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين وقال محمد بن اسمعيل أنا اسحق انا محمد بن يوسف انا الاوزاعي انا الزهري بهذا الاسناد بمثل معناه وزاد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا فان جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا

أحسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى أمه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد ابن عبد الله النعيمي انا محمد ابن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمد بن بشار انا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان انا عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي

الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يحدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهممت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لا يدري من أبوه الا ورق هو الا بيض وروى ابن عباس ان عويمرا لما لاعن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله اني ما قربتها منذ أربعة أشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية

صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهما فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شان وقال عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن اهيجه حتى آتي باربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما قال سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأته فاجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله اني لأعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله اني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلا مع امرأتي رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته وانهم لكذلك و رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل عليه حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكوا فانزل الله عز وجل والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل لك فرجا فقال لقد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بأبي أنت وأمي قد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله فان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهممت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين (٤٤) ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى بان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاما كانه جمل أورق على الشبه المكروه وكان بعد أميرا على مصر لا يدري من أبوه وقال ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان رأى رجل يلاعن منا مع امرأته رجلا فاخبر بما رأى جلد ثمانين جلدة وسماه المسلمون فاسقا ولا تقبل شهادته أبدا فكيف لنا بالشهداء ونحن اذا التمسنا الشهداء كان الرجل قد فرغ من حاجته ومر وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن محصن فاتى عويمر عاصما وقال لقد رأيت شريك بن السمحاء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي فاخبره وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله أقسم بالله اني رأيت شريكا على بطنها وانى ماقربتها منذ أربعة أشهر وانها حبلى من غيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رآني وشريكا نطيل السمر ونتحدث فحملته الغيرة على ما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشريك ما تقول فقال ما تقوله المرأة كذب فانزل الله عز وجل والذين يرمون أزواجهم الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله اني ما قربتها منذ أربعة أشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود وقال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد بالله

أشهد بالله انه ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه ما رآني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في أمرهما رأي ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو للذي رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق بشريك ﴿بيان حكم الآية﴾ ان الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف أجنبيا أو أجنبية يقام عليه الحد الا أن يأتي بأربعة يشهدون بالزنا أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد أحد هذين أولا عن سقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه واذا أراد الامام ان

ما أبصرته وان عويمر الملاعن كاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله انه ما رآني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه ما رآني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة ان كان رماها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأي ثم قال تحينوا بها الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لعويمر وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو للذي رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك والكلام في حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الاجنبي في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان لم تكن محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف أجنبيا يقام الحد عليه الا أن يقيم أربعة من الشهود على زناها أو يقر به المقذوف فيسقط عنه حد القذف وفي الزوجة اذا وجد أحد هذين أولا عن يسقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا زنى بما لا يمكنه اقامة البينة عليه ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا أقام الزوج البينة على زناها أو اعترفت بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ فيقيم الرجل ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سماه بعينه باللعان وان رماها بجماعة سماهم ويقول الزوج كما يلقنه الامام وان كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو الحمل لمن الزنا

يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة من الزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولدا وحمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج * قوله عز وجل (ويدرأ) أي يدفع (عنها العذاب) أي الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فان أرادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا قعد عن اقامة البينة وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأبيد التحريم وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان أو عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم وقال الزهري والاوزاعي وأصحاب الرأي لا يجري

ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة منها من غير تلقين الحاكم لا تكون محسوبة فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين زوجته وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه حد القذف ووجب على المرأة حد الزنا ان كانت غير محصنة ترجم وان كانت غير محصنة تجلد وتغرب فهذه خمسة أحكام تتعلق كلها بلعان الزوج قوله (ويدرأ) يدفع (عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) وأراد بالعذاب الحد كما قال في أول السورة وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أي حدهما ومعنى الآية ان الزوج اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا واذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الا الحكم واحد وهو سقوط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة على زناها فلا يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن يحبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة عن اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة على صدقه

والقاذف اذا قعد عن اقامة الحجة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا قعد عن اقامة البينة وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند كثير من أهل العلم وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه دون ماله فيلزمه الحد ويلحقه الولد ولكن لا يرتفع تأبيد التحريم وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أكذب الزوج نفسه جاز له أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل في تعلق الحكم به فكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان أو عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم وقال الزهري والاوزاعي وأصحاب الرأي لا يجري اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان الزوجان أو أحدهما رقيقا أو ذميا أو محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره كما قال الذين يظاهرون من نسائهم ثم يستوى الحر والعبد في الظهار ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو خليفته ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بعدد الالفاظ والمكان والزمان وأن يكون بمحضر جماعة من الناس أما الالفاظ المستحقة فلا يجوز الاخلال بها وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الاماكن ان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وفي سائر البلاد في المسجد الجامع عند المنبر والزمان هو أن يكون بعد صلاة العصر وأما الجمع فاقلهم أربعة والتغليظ بالجمع مستحب حتى لو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وهل التغليظ بالمكان

اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما الان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وأن يكون بمحضر جماعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشيء منها وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فاقله أربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وأن الله توّاب) أي يعود على من رجع عن المعاصي بالرحمة (حكيم) أي فيما فرضه من الحدود * قوله عز وجل (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الآيات سبب نزولها ما روى عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون اني فيه وكان

النساء

واجب أو مستحب فيه قولان قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله توّاب حكيم) جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان وأن الله توّاب يعود على من رجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود قوله (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الآيات سبب نزول هذه الآية ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا وان كان بعضهم أوعى له من بعض قالوا قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه وأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكل العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدوننى فيرجعون الىّ فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقودبى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفى رواية موغرين فى نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نمشى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت يا هنتاه أو لم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم قلت له أتأذن لى أن آتى أبوىّ قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوى فقلت لامى يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوّنى على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله قالت فأما أسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا وأما على بن أبى

النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدوننى فيرجعون الىّ فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقودبى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفى رواية موغرين فى نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول

فيرجعون الىّ فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان ابن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى و والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق يقودبى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبر الافك عبد الله بن أبىّ ابن سلول قال عروة أخبرت انه كان يشاع و يتحدث به عنده فيقره و يستمعه و يستوشيه وقال عروة

به وظننت انهم سيفقدوننى

أيضا لم يسم من أهل الافك أيضا الا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى والذى تولى كبر ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك لا أشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول

فى التنزه قبل التغائط وكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أى هنتاه أولم تسمعى ما قال قالت فقلت وما قال فأخبرتنى بقول أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضى فلما رجعت الى بيتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لى أن آتى أبوى قالت وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى يا أمتاه ماذا يتحدث

الناس قالت يا بنية هوّنى عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يسألهما ويستشيرهما فى فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه فقال أسامة أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما على فقال يا رسول الله لم يضيق عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك الخبر قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت لا يريرة والذى يبعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى عنه أذاه فى أهلى والله ما علمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على أهلى قالت فقام سعد بن معاذ أخو بنى عبد الاشهل فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك قالت فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعنى ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندى أبواى وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن ان البكاء فالق كبدى قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذ استأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكى معى فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة وقلت لابى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله فقلت لامى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن انى والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله ما أجد لى ولكم مثلا الا أبا يوسف اذ قال

فصبر فاستعذر من عبد الله بن أبى وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى عنه أذاه فى أهلى والله ما علمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على أهلى الا معى قالت فقام سعد بن معاذ أخو بنى عبد الاشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت عائشة وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم لسعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر قالت فلم

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت فبكيت يومى ذلك كله لا يرقا لى دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواى عندى قالت وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقا لى دمع حتى انى لأظن ان البكاء فالق كبدى فبينا أبواى جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكى معى قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة انه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة

فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا والله حينئذ أعلم انى بريئة وان الله مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لى ياعائشة احمدى الله وفى رواية قال ابشرى ياعائشة أما الله فقد برأك فقالت لى أمى قومى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذى أنزل براءتى قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فانزل الله عز وجل هذه الآيات فى براءتى قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة فانزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح الذى كان يجرى عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يازينب ماعلمت أو ما رأيت فقالت يارسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرهط زاد فى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد فى سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته أخرجاه فى الصحيحين زاد البخارى فى رواية عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لى من أهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا يبيت من أبياته فقال

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال أبى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى بريئة لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم مثلا الا أبا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشى والله يعلم انى حينئذ بريئة وان الله مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن ان الله منزل فى شأنى وحيا يتلى لشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى أنزل عليه قالت فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال ابشرى ياعائشة أما الله فقد برأك قالت فقالت لى أمى قومى اليه فقلت والله لا أقوم اليه فانى لا أحمد الا الله قالت وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الايات ثم أنزل الله فى براءتى قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذى قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم قال أبو بكر الصديق بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة

في التنزه قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال قالت فقلت وما قال فأخبرتني بقول أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك الخبر قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ أحد بني عبد الاشهل فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي اذ استأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة وقلت لابي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لامي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله ما أجد لي ولكم مثلا الا أبا يوسف اذ قال

فصبر فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على أهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الاشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت عائشة وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم لسعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر قالت فلم

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواي عندي قالت وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى اني لأظن ان البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة

فقلت لابي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال أي والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا اني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا الا أبا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم اني حينئذ بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن ان الله منزل في شأني وحيا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قال فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي يا عائشة احمدي الله وفي رواية قال ابشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فانزل الله عز وجل هذه الآيات في براءتي قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يا زينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط زاد في رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد في سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته أخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويشيعه ويستوشيه قال عروة ولم يسم لي من أهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا يبيت من أبياته فقال

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال ابشري يا عائشة أما الله فقد برأك قالت فقالت لي أمي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه فاني لا أحمد الا الله قالت وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات ثم أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم قال أبو بكر الصديق بلى والله اني لا أحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة

التي كان يشق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي و بصري والله ما علمت الا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط قالت عائشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله ورواه محمد بن اسمعيل عن يحيى بن بكير أنا الليث عن يونس عن ابن شهاب باسناده مثله وقال وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه الى قوله فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فقالت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل عني خادمتي فقالت لا والله ما علمت عليها عيبا الا انها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها فانتهرها بعض أصحابه فقال اصدقي رسول الله حتى أسقطوا المهابة فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا كما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وفيه قالت وأنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عنه وانى لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه و يقول أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك فقال لي أبواي قومي اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمد أحدا ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه أما تفسير قوله ان الذين جاؤا بالافك بالكذب وهو أسوأ الكذب سمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم افك الشيء اذا قلبه عن وجهه وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه عصبة منكم أي جماعة منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش زوجة طلحة

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها أتأذن لي أن يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت انه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿حل غريب ألفاظ هذا الحديث﴾ قوله وكلهم حدثني طائفة أي قطعة من حديثها قوله كان أوعى أي أحفظ له قولها آذن أي أعلم بالرحيل قولها فاذا عقد لي من جزع أظفار هو نوع من الخرز وهو الحجر اليماني المعروف قولها لم يهبلن أي يكثر لحمهن من السمن فيثقلن قولها انما يأكل العلقة من الطعام هو بضم العين أي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق قولها وليس بها منهم داع ولا مجيب أي ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قولها فتيممت أي قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير آخر الليل و بالتخفيف سير الليل كله قولها باسترجاعه هو قوله انا لله وانا اليه راجعون قولها فخمرت أي غطيت وجهي بجلبابي أي ازاري قولها موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أي أولها قولها والناس يفيضون أي يخوضون و يتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشيء يريبني أي شككت فيه قولها ولا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف أي الرفق بها واللطف في الافعال الرفق وفي الاقوال لين الكلام قولها حتى نقهت أي أفقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط و بول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف أو خز قولها تعس مسطح أي عثر وهو من الدعاء على الانسان أي سقط لوجهه قولها يا هنتاه أي بلهاء كأنها تنسبها الى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقأ لي دمع أي لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت بمعنى النفي أي ما رأيت منها أمرا أغمصه بالصاد المهملة أي أعيبه والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني أي من يقوم بعذري ان أنا كافأته على سوء صنيعه ان عاتبت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه أي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية أي حمله الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة قولها فتثاوروا الحيان أي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم أي يهوّن عليهم و يسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت ألممت قيل هو من اللمم وهو صغائر الذنوب وقيل معناه مقاربة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي أي انقطع جريانه قولها ما رام أي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسري عنه أي كشف عنه وقول زينب أحمي سمعي و بصري أي أمنعهما من أن أخبر بما لم أسمع ولم أبصر قولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أي من ستر أنثى قوله و يستوشيه أي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان أي متعففة رزان أي ثابتة ما تزن أي ترمى ولا تتهم برببة أي بأمر يريب الناس حيبة وتصبح غرثى أي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب أحدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان انه كان ينافح أي يناضل و يخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك أي بالكذب والافك أسوأ الكذب

ابن عبيد الله وغيرهم (لا تحسبوه شرا لكم) يا عائشة ويا صفوان وقيل هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان يعني لا تحسبوا الافك شرا لكم (بل هو خير لكم) لان الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم وسمي الافك افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم افك الشيء اذا قلبه عن وجهه وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الامر عن وجهه قوله تعالى (لكل امرئ منهم) يعني من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وقرأ العامة بالكسر قال الكسائي هما لغتان قال الضحاك قام باشاعة الحديث وهو عبد الله بن أبي ابن سلول وروى الزهري عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم قالت عبد الله بن أبي ابن سلول والعذاب الاليم هو النار في الآخرة وقد روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة في حديث الافك قالت ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فررنا بملأ من المنافقين وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس فقال عبد الله بن أبي رئيسهم من هذه قالوا عائشة قال والله ما نجت منه وما نجا منها وقال امرأة نبيكم بات مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها وشرع في ذلك أيضا حسان بن ثابت ومسطح (٥١) وحمنة فهو الذي تولى كبره وقال

لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصبة أي جماعة منكم أي عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله * فان قلت عبد الله بن أبي ابن سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم * قلت كان ينسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شرا لكم) يعني الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولأبويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان (بل هو خير لكم) يعني ان الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) اى من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) يعني تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وأقام باشاعته وهو عبد الله بن أبي ابن سلول (منهم) من العصبة (له عذاب عظيم) يعني عذاب النار في الآخرة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين * قوله عز وجل (لولا اذ سمعتموه) يعني الحديث الكذب وهو قول أهل الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم وأهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول أهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين (وقالوا هذا افك مبين) يعني كذب بين لا حقيقة له (لولا) يعني هلا (جاؤا عليه) يعني على ما رموا (بأربعة شهداء) يعني يشهدون بذلك (فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله) يعني في حكم الله (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواجر * فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت * قلت قيل هذا في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي وقيل معناه فاولئك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يأت بالشهود يجب زجره * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا اني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال

قوم هو حسان بن ثابت

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا بشر بن خالد أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعرا يشبب بأبيات له وقال

حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم تأذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره (منهم له عذاب عظيم) قالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت انه كان ينافح أو

يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين قوله (لولا) هلا (اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم (خيرا) قال الحسن بأهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة نظيره قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فسلموا على أنفسكم (وقالوا هذا افك مبين) أي كذب بين (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) أي على ما رموا (فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) فان قيل كيف يصيرون عند الله كاذبين اذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت قيل عند الله أي في حكم الله وقيل معناه كذبوهم بأمر الله وقيل هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم) خضتم (فيه) من الافك (عذاب عظيم) قال ابن عباس أي عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لانه ذكر عذاب الدنيا من قبل فقال تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد أصابهم فانه قد جلد وحد * وقد روت عمرة عن عائشة ان

النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية حد أربعة نفر عبد الله بن أبي وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
قوله تعالى (اذ تلقونه) تقولونه (بألسنتكم) قال مجاهد ومقاتل يرويه بعضكم عن بعض وقال الكلبي وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول
بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا وكذا قرأه أبي بن كعب وقال الزجاج يلقيه بعضكم الى بعض وقرأت عائشة تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف
من الولق وهو الكذب (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا) تظنون انه سهل لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) في الوزر (ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) هذا اللفظ ههنا بمعنى التعجب (هذا بهتان عظيم) يعني كذب عظيم يبهت و يتحير من عظمته
وفي بعض الاخبار ان أم أيوب قالت لابي أيوب الانصاري أما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال أبو أيوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت
الآية على وفق قوله (يعظكم الله) (٥٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما يحرّم الله عليكم وقال مجاهد ينهاكم الله (أن تعودوا

للتوبة وان أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك
والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب (اذ تلقونه بألسنتكم) أي يرويه بعضكم
عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض
(وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي من غير أن تعلموا أنه حق (وتحسبونه هينا) أي وتظنون انه سهل
لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) أي في الوزر (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) قيل
هو للتعجب وقيل هو للتنزيه (هذا بهتان عظيم) أي كذب عظيم يبهت و يحير من عظمه روى ان أم أيوب
الانصاري قالت لابي أيوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم
فنزلت الآية على وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرّم الله عليكم وقيل ينهاكم الله (أن تعودوا لمثله أبدا
ان كنتم مؤمنين و يبين الله لكم الآيات) أي في الامر والنهي (والله عليم) أي بأمر عائشة وصفوان (حكيم) أي
حكم براءتهما * قوله عز وجل (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا و يذيع (في الذين آمنوا)
قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من
أحب أن تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين
(لهم عذاب أليم في الدنيا) يعني الحد والذم على فعله (والآخرة) أي وفي الآخرة لهم النار (والله يعلم) أي كذبهم
و براءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وأنتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب أن تشيع
الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لا تعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعني لولا انعامه عليكم لعاجلكم
بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة (وأن الله رؤف رحيم) * قوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني آثاره ومسالكه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء
والمنكر) يعني بالقبائح من الاقوال والافعال وكل ما يكره الله عز وجل والآية عامة في حق كل أحد لان كل
مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا) يعني ما طهر ولا صلح والآية
عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل
الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن
عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يزكي) يعني يطهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة
والمغفرة (والله سميع) يعني لاقوالكم (عليم) يعني بما في قلوبكم * قوله عز وجل (ولا يأتل) يعني ولا يحلف من

لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين
و يبين الله لكم الآيات)
بالامر والنهي (والله عليم)
بأمر عائشة وصفوان بن
المعطل (حكيم) حكم
ببراءتهما قوله تعالى (ان الذين
يحبون أن تشيع الفاحشة)
يعني يظهر و يذيع الزنا
(في الذين آمنوا لهم عذاب
أليم في الدنيا والآخرة)
يعني عبد الله بن أبي
وأصحابه للمنافقين والعذاب
في الدنيا الحد وفي الآخرة
النار (والله يعلم) كذبهم
و براءة عائشة وما خاضوا
فيه من سخط الله (وأنتم
لا تعلمون ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وأن
الله رؤف رحيم) جواب
لولا محذوف يعني
لعاجلكم بالعقوبة قال
ابن عباس يريد مسطحا
وحسان بن ثابت وحمنة قوله
(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء)

الالية

يعني بالقبائح من الافعال (والمنكر) كل ما يكرهه الله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا) قال مقاتل ما صلح وقال ابن قتيبة ما طهر
(منكم من أحد) والآية على العموم عند بعض المفسرين قالوا أخبر الله انه لولا فضله و رحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقال قوم
هذا الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس في رواية
عطاء قال ما قبل توبة أحد منكم (أبدا ولكن الله يزكي) يطهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع عليم)
قوله تعالى (ولا يأتل) يعني ولا يحلف وهو مفتعل من الالية وهي القسم وقرأ أبو جعفر يتألى بتقديم التاء وتأخير الهمزة وهو يتفعل من
الالية وهي القسم

(أولوا الفضل منكم والسعة) يعني أولوا الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق (أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه (وليعفوا وليصفحوا) عنهم خوضهم في أمر عائشة (ألا تحبون) يخاطب أبا بكر (أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وقال ابن عباس والضحاك أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك ولا ينفعوهم فأنزل الله هذه الآية (إن الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عن الفواحش (المؤمنات) والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك قوله تعالى (لعنوا) عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) بالنار (ولهم عذاب عظيم) قال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن أبي المنافق وروى عن خصيف قال

قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يا عنه الله في الدنيا والآخرة فقال ذلك لعائشة خاصة وقال قوم هي لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات روى عن العوام ابن حوشب عن شيخ من بني كاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذه في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ليس فيها توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقال الآخرون نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله

الاليه وهي القسم (أولوا الفضل منكم والسعة) يعني الغنى يعني أبا بكر الصديق (أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر الصديق حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه فأنزل الله هذه الاية (وليعفوا وليصفحوا) يعني عن خوض مسطح في أمر عائشة (ألا تحبون) يخاطب أبا بكر (أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع الى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها عنه أبدا وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولوا الفضل وقوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته منها انه احتمل الاذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه * قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) يعني العفائف (الغافلات) يعني عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) يعني عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) يعني وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا للآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل أن يختم على أفواههم (وأيديهم وأرجلهم) يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) يعني جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) يعني الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه يبين لهم حقية ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن أبي ابن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين * قوله عز وجل (الخبيثات للخبيثين) قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله

فان الله غفور رحيم فأنزل الجلد والتوبة (يوم تشهد عليهم) قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقديم الفعل وقرأ الآخرون بالتاء (ألسنتهم) وهذا قبل أن يختم على أفواههم (وأيديهم وأرجلهم) يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وقيل معناه تشهد ألسنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله سبحانه وتعالى (الخبيثات للخبيثين) قال أكثر المفسرين الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس

(والخبيثون) من الناس (للخبيثات) من القول (والطيبات) من القول (للطيبين) من الناس (والطيبون) من الناس (للطيبات) من القول والمعنى ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق الا بالطيب فعائشة لا تليق بها الخبيثات من القول لانها طيبة فتضاف اليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها قال الزجاج معناه لا يتكلم بالخبيثات الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات الا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ومدح للذين برؤوها بالطهارة وقال ابن زيد معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والشاكين في الدين والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤن) يعني عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى فان كان له اخوة أي اخوان وقيل أولئك مبرؤن يعني الطيبين والطيبات منزهون (مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) فالمغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة وروي ان عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل أتى بصورتها في سرقة من حرير وقال هذه زوجتك وروى انه أتى بصورتها في راحته وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجرها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافه ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة خليفة

(والخبيثون) أي من الناس (للخبيثات) من القول (والطيبات) أي من القول ومعنى الاية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس وعائشة لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برونها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤن) يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون (مما يقولون) يعني أصحاب الافك (لهم مغفرة) أي عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة روى ان عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروى انه أتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيؤذنه انى داخل وقيل هو من آنست أي أبصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة أو يتنحنح حتى يعرف أهل البيت (وتسلموا على أهلها) بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم كما في الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروى عن كندة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربعي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال ألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي موسى قال أبو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله

لا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا روى عن عائشة قال حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها

ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) قيل معنى قوله حتى تستأنسوا أى حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وكذلك كان يقرأ أبى بن كعب والقراءة المعروفة تستأنسوا وهو بمعنى الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل فى البيت ناس فيؤذنهم انى داخل وقال الخليل الاستئناس الاستبصار من قوله آنست نارا أى أبصرتها وقيل هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحنح يؤذن أهل البيت وجملة حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد السلام والاستئذان واختلفوا فى انه يقدم الاستئذان أم السلام فقال قوم يقدم الاستئذان فيقول أأدخل سلام عليكم لقوله تعالى حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها والاكثرون على انه يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وفى الآية تقديم وتاخير تقديرها حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذلك هو فى مصحف عبد الله بن مسعود وروى عن كندبن حنبل قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل وروى عن ابن عمر ان رجلا استأذن عليه فقال أأدخل فقال ابن عمر لا فامر بعضهم الرجل أن يسلم فسلم فاذن له وقال بعضهم ان وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم سلم وقال أبو موسى الاشعرى وحذيفة يستاذن على ذوات المحارم ومثله عن الحسن فان كانوا فى دار واحدة يتنحنح ويتحرك أدنى حركة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن سعيد الحريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال سلم عبد الله بن قيس على عمر بن الخطاب ثلاث مرات فلم يأذن له فرجع فارسل عمر فى أثره فقال لم رجعت قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع قال عمر لتاتين على ما تقول ببينة والا لافعلن بك كذا وكذا غير انه قد أوعده قال فجاء أبو موسى الاشعرى ممتقعا لونه وأنا فى حلقة جالس فقلنا ما شأنك فقال سلمت على عمر فاخبرنا خبره فهل سمع أحد منكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا نعم كلنا قد سمعه قال فارسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فاخبره بذلك ورواه بشر بن سعيد عن أبى سعيد الخدرى وفيه قال أبو موسى الاشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال الحسن الاول اعلام والثانى مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع قوله (فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها) أى ان لم تجدوا فى البيوت أحدا يأذن لكم فى دخولها فلا تدخلوها (حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعنى اذا كان فى البيت قوم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقعد على الباب ملازما (هو أزكى لكم) يعنى الرجوع أطهر وأصلح لكم قال قتادة اذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات واذا حضر ولم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز وكان ابن عباس يأتى باب الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله لو أخبرتنى فيقول هكذا أمرنا ان نطلب العلم واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب مردودا أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن سهل بن سعد الساعدى ان رجلا اطلع على النبى صلى الله عليه وسلم من سترا لحجرة وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم مدرى فقال لو علمت ان هذا ينظرنى حتى آتيه لطعنت بالمدرى فى عينيه وهل جعل الاستئذان الا من أجل البصر أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا سفيان عن ابى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح

لا يقوم معك الا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثانى مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن أخرجه أبو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم سلم وقال أبو موسى الاشعرى وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أستأذن على أمى قال نعم فقال الرجل انى معها فى البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل انى خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك فى الموطأ مرسلا وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) أى فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير اذن (لعلكم تذكرون) أى هذه الآداب فتعملوا بها * قوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) أى فى البيوت (أحدا) أى يأذن لكم فى دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أى فى الدخول (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعنى اذا كان فى البيت قوم وكره ادخل الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أزكى لكم) أى الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم فى تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتى دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستاذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم

قوله تعالى (والله بما تعملون عليم) من الدخول بالاذن وغير الاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن فأنزل الله عز وجل (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أي بغير استئذان (فيها متاع لكم) يعني منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت فقال قتادة هي الخانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا أمتعتهم اليها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها بالنزول وايواء المتاع والاتقاء من الحر والبرد وقال ابن زيد هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالاسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة وقال ابراهيم النخعي ليس على حوانيت السوق اذن وكان ابن سيرين اذا جاء الى حانوت السوق يقول السلام عليكم أأدخل ثم يلج وقال عطاء هي البيوت الخربة والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن

لها لان الاستئذان انما جاء لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أي عن النظر الى ما لا يحل النظر اليه وقيل من صلة يعني يغضوا أبصارهم وقيل هو ثابت لان المؤمنين غير مامورين بغض البصر أصلا لانه لا يجب الغض عما يحل النظر اليه وانما أمروا بأن يغضوا عما لا يحل النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام الا في هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه (ذلك) يعني غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) يعني خير لهم وأطهر (ان الله خبير بما يصنعون) يعني عليم بما يفعلون روى عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي

رسول الله لو أخبرتني بمكانك فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل وفي رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقؤا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح (والله بما تعملون عليم) يعني من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) يعني اثم (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) يعني بغير استئذان (فيها متاع لكم) يعني منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان ولمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) * قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) يعني عما لا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل اليه النظر وانما أمروا أن يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) يعني عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه * فان قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج * قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع ألا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وثديهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فمضيق وكفاك ان أبيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه * فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج * قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أزكى لهم) يعني غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) يعني انه خبير باحوالهم

لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الاخرة وروى عن جرير بن عبد الله قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال اصرف بصرك أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد حدثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج أنا ابو بكر بن أبي شيبة انا زيد بن الحباب عن الضحاك بن عثمان قال أخبرني زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد

قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) عما لا يحل (ويحفظن فروجهن) عمن لا يحل وقيل أيضا يحفظن فروجهن يعني يسترنها حتى لا يراها أحد وروى عن أم سلمة انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وان أنتما ألستما تبصرانه قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن) يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم وأراد بها الزينة الخفية وهما زينتان خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد فلا يجوز لها اظهارها ولا للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة موضع الزينة قوله تعالى (الا ما ظهر منها) أراد به الزينة الظاهرة واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي هو الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب بدليل قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وأراد بها الثياب وقال الحسن الوجه والثياب وقال ابن عباس الكحل والخاتم والخضاب

في الكف فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الاجنبي النظر اليه اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيأ منها غض البصر وانما رخص في هذا القدر أن تبديه المرأة من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة يلزمها ستره قوله عز وجل (وليضربن بخمرهن) يعني ليلقين بمقانعهن (على جيوبهن) وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن وأعناقهن وأقراطهن قالت عائشة رحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله عز وجل وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها (ولا يبدين زينتهن) يعني الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) قال ابن عباس ومقاتل يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار الا لبعولتهن أي الا لازواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدنها غير انه يكره له النظر الى فرجها قوله تعالى (أو نسائهن) أراد انه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الا ما بين السرة والركبة كالرجل المحرم هذا اذا كانت المرأة مسلمة فان كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تكشف لها اختلف أهل العلم فيه فقال بعضهم يجوز كما يجوز أن تكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء وقال بعضهم لا يجوز لان الله تعالى قال أو نسائهن والكافرة ليست من نسائنا ولانها أجنبية في الدين وكانت أبعد من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات

بأحوالهم وأفعالهم وكيف يحيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم * قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) يعني عما لا يحل لهن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود * قوله تعالى (ولا يبدين) يعني لا يظهرن (زينتهن) يعني لغير المحرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن (الا ما ظهر منها) يعني من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيأ من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) يعني ليلقين بمقانعهن (على جيوبهن) يعني موضع الجيب وهو النحر والصدر يعني ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف أو خز أو كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع (ولا يبدين زينتهن) يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ما عدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها (أو نسائهن) يعني المؤمنات من أهل دينهن أراد به انه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولانها

قوله تعالى (أو ما ملكت أيمانهن) اختلفوا فيها فقال قوم عبد المرأة محرم لها فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى بدن مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن وروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقال قوم هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب وقال المراد من الاية الاماء دون العبيد وعن ابن جريج انه قال أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن انه لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة الا أن تكون تلك المرأة المشركة أمة لها قوله (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير بنصب الراء على القطع لان التابعين معرفة وغير نكرة وقيل بمعنى الا فهو استثناء معناه يبدين زينتهن للتابعين الا اذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرأ الآخرون

بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي وعن ابن عباس انه الاحمق العنين وقال الحسن هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقال سعيد بن جبير هو المعتوه وقال عكرمة المجبوب وقيل هو المخنث وقال مقاتل الشيخ الهرم والعنين والخصي والمجبوب ونحوه أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أحمد بن الحسين الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل بن محمد الميداني أنا محمد بن يحيى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكن هذا فحجبوه (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الاطفال يكون واحدا وجمعا أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وهو قول مجاهد وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله نهى عنه أن يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره

أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء (أو ما ملكت أيمانهن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وأن ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا اذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن فاحجبوه زاد أبو داود في رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت بأربع أي ان لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله نهى عنه أن يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره

(وتوبوا

(وتوبوا الى الله جميعا) من التقصير الواقع فى أمره ونهيه وقيل راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الاداب المذكورة فى هذه السورة
(أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) قرأ ابن عامر أيه المؤمنون و بأيه الساحر وأيه الثقلان بضم الهاء فيهن و يقف بلا ألف على الخط وقرأ الآخرون
بفتح الها آت على الاصل أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن السمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى أنا حميد بن
زنجويه أنا وهب بن جرير أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى بردة أنه سمع الاغر يحدث عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة أخبرنا أبو الحسن عن عبد الرحمن بن محمد الداودى أنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حمويه
السرخسى أنا أبو اسحق ابراهيم بن حريم الشاشى أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الليثى حدثنى ابن أبى شيبة أنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن
محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم
مائة مرة وجملة الكلام فى بيان العورات انه لا يجوز للرجل أن ينظر الى عورة الرجل وعورته ما بين السرة الى الركبة وكذلك المرأة مع المرأة ولا
بأس بالنظر الى سائر البدن اذا لم يكن خوف فتنة وقال مالك وابن أبى ذئب الفخذ ليس بعورة لما روى عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال
أجرى نبى الله صلى الله عليه وسلم فرسا فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى انى
لانظر الى بياض فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم وأكثر أهل العلم على ان الفخذ عورة لما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن

(وتوبوا الى الله جميعا) أى من التقصير الواقع فى أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة فى هذه السورة قيل ان أوامر الله ونواهيه فى كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الاغر أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشى (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة (م) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه * قوله عز وجل (وأنكحوا الايامى منكم) جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) أى من عبيدكم (وامائكم) بيان حكم الآية الامر المذكور فى الآية أمر ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته أن يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع

محمد الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا أحمد بن على الكشميهنى أنا على بن حجر أنا اسمعيل ابن جعفر عن العلاء بن أبى كثير عن محمد بن جحش قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على معمر وفخذاه مكشوفتان قال يا معمر غط فخذيك فان الفخذين عورة وروى عن ابن عباس وجرهد ابن خويلد كان من أصحاب الصفة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الفخذ عورة قال محمد بن اسمعيل حديث أنس أسند وحديث جرهد أحوط أما المرأة مع الرجل فان كانت أجنبية حرة فجميع بدنها فى حق الاجنبى عورة ولا يجوز النظر الى شئ منها الا الوجه والكفين وان كانت أمة فعورتها مثل عورة الرجل ما بين السرة الى الركبة وكذلك المحارم بعضهم مع بعض والمرأة فى النظر الى الرجل الاجنبى كهو معها ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن امرأته وأمته التى تحل له وكذلك هى منه الا نفس الفرج فانه يكره النظر اليه واذا زوج الرجل أمته حرم عليه النظر الى عورتها كالامة الاجنبية وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا زوج أحدكم عبده أمته فلا ينظرن الى ما دون السرة وفوق الركبة قوله تعالى (وأنكحوا الايامى منكم) الايامى جمع الايم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة يقال رجل ايم وامرأة ايمة وايم ومعنى الآية زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم وامائكم) وهذا الامر أمر ندب واستحباب يستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبة النكاح أن يتزوج وان لم يجد اهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم لما أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن على بن الحسين الطوسى أنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرايني أنا أبو بكر محمد بن مروان بن مسعود أنا أبو عبد الله محمد بن أيوب البجلى أنا محمد بن كثير أنا سفيان عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الامم حتى بالسقط وقال صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتى فليستن بسنتى ومن سنتى النكاح اما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة له أفضل من النكاح عند الشافعى رحمه الله وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال الشافعى وقد ذكر الله تعالى عبدا

أكرمه فقال وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليه وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الآية دليل على ان تزويج النساء الايامى الى الاولياء لان الله تعالى خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات لقوله تعالى والصالحين من عبادكم وامائكم وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق وجوز أصحاب الرأي للمرأة الحرة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة جاز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط من جهة الاخبار ما اخبرنا عبد الواحد المليحي انا محمد بن الحسن بن احمد المخلدي انا ابو العباس محمد بن اسحق السراج انا قتيبة بن سعيد انا ابو عوانة عن أبي اسحق عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا نكاح الا بولي اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرأة نكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له قوله تعالى (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) قيل الغنى ههنا القناعة وقيل اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة وقال عمر عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح والله عز وجل يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وروى عن بعضهم ان الله تعالى وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته والله واسع عليم) أي بما يصلح خلقه من الرزق * قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) يعني ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) يعني يوسع عليهم من رزقه قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) أي يطلبون المكاتبة (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية ما روى ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وقتل يوم حنين في الحرب والكتابة أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما يؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا أديت فأنت حر والعبد قبل ذلك فاذا أدى المال عتق ويصير العبد أحق بما كسبه بعد أداء المال واذا عتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال يكون له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق واذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال يكون لمولاه اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر

منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو رض الانثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (م) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة أما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذي لا يأتي النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الآية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق وجوز أصحاب الرأي للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روى عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان تشاحوا فالسلطان ولي من لا ولي له

لحويطب

ابن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن نافع ان عبد الله بن عمر كان يقول المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته شيء ورواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته درهم وذهب بعض أهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على المولى أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو أكثر وان سأل على أقل من قيمته فلا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار ولما روى ان سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه فتلكأ عنه فشكا الى عمر فعلاه بالدرة وأمره بالكتابة فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود كالدية في قتل الخطا وجبت على العاقلة على سبيل المواساة فكانت عليهم مؤجلة منجمة وجوّز ابو حنيفة الكتابة على نجم واحد وحالة قوله تعالى (ان علمتم فيهم خيرا) اختلفوا في معنى الخير فقال ابن عمر قوّة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقال الحسن ومجاهد والضحاك مالا كقوله تعالى ان ترك خيرا أي مالا وروى ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمني من أوساخ الناس ولم يكاتبه قال الزجاج لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقال ابراهيم وابن زيد وعبيدة صدقا وأمانة وقال طاوس وعمرو ابن دينار مالا وأمانة وقال الشافعي وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فأحب أن لا يمنع من كتابته اذا كان هكذا اخبرنا ابو الحسن علي بن يوسف الجويني انا ابو محمد الحسن بن علي بن شريك الشافعي انا عبد الله بن محمد ابن مسلم انا ابو بكر الجورمندي انا يونس بن عبد الاعلى انا ابن وهب أخبرني الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله اخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير ان يكون العبد عاقلا بالغا فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوّز ابو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيئا وهو

لجويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه جويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الآية وكيفية المكاتبة وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما تؤدي ذلك في نجمين أو في نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فأنت حر ويقبل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق واذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على السيد أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم (ان علمتم فيهم خيرا) فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوّز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوّة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روى ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمني من أوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فأحب ان لا يمنع من المكاتبة اذا كان هكذا وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله اخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير ان يكون العبد عاقلا بالغا فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوّز ابو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيئا وهو قوله عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدره فقال قوم يحط عنه ربع مال الكتابة وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحط عنه الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وهو قول الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن

يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر قال قوم أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات بقوله تعالى وفي الرقاب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقال ابراهيم هو حث لجميع الناس على معونتهم ولومات المكاتب قبل أداء النجوم اختلف أهل العلم فيه فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا أولم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء بما بقي عليه من الكتابة كان حرا وان كان فيه فضل فالزيادة لا ولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتبعه الاولاد والاكتساب كما في (٦٢) الكتابة الصحيحة ويفترقان في بعض الاحكام وهي ان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى

قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا أولم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء ما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتبعه أولاده وأكسابه كما في الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم * وقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم) أي اماءكم (على البغاء) أي الزنا (ان أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لجاريته اذهبي فابغينا شيأ قال فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا وفي رواية أخرى ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا أن ندعه فأنزل الله هذه الآية وروى ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فأنزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال أحدها ان الكلام ورد على سبب وهو

فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم ولا تبطل بموت المولى ويعتق بالابراء عن النجوم والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل أداء المال حتى لو أدى المال بعد الفسخ لا يعتق ويبطل بموت المولى ولا يعتق بالابراء عن النجوم واذا عتق المكاتب بأداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة ويثبت في الكتابة الفاسدة فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته وهو يرجع على المولى بما دفع اليه ان كان مالا قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كانت له جاريتان معاذة ومسيكة وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا ان ندعه فأنزل الله هذه الآية وروى انه جاءت احدى الجاريتين يوما ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا قالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فأنزل هذه الآية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء أي الزنا ان أردن تحصنا أي اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا وان لم يردن تحصنا كقوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أي اذا كنتم مؤمنين وقيل انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه انما يكون عند ارادة التحصن فاذا لم ترد التحصن بغت طوعا والتحصن التعفف وقال الحسن بن الفضل في الاية تقديم وتاخير تقديرها وانكحوا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء

(لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) أى لتطلبوا من أموال الدنيا بريد من كسبهن و بيع أولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يعنى للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر قوله تعالى (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس هادى أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون و بهداه من حيرة الضلالة ينجون وقال الضحاك منور السموات والارض يقال نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقال مجاهد مدبر الامور فى السموات والارض وقال أبى بن كعب والحسن وأبو العالية مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين و يقال بالنبات والاشجار وقيل معناه الانوار كلها منه كما

الذى ذكر فى سبب نزول الآية فخرج النهى على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثانى انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فأما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغى بالطبع طوعا الثالث أن ان بمعنى اذا أى اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذا كنتم مؤمنين القول الرابع ان فى هذه الآية تقديما وتأخيرا تقديره وأنكحوا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء (لتبتغوا) أى لتطلبوا (عرض الحيوة الدنيا) أى من أموال الدنيا بريد كسبهن و بيع أولادهن (ومن يكرههن) يعنى على الزنا (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يعنى للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله * قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) أى من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) أى المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر * قوله عز وجل (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون و بهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين و يقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مرو ليلة * فقد سار عنها نورها وجمالها

(مثل نوره) أى مثل نور الله عز وجل فى قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذى أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أى مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا (كمشكاة) هى الكوة التى لا منفذ لها قيل هى بلغة الحبشة (فيها مصباح) أى سراج وأصله من الضوء (المصباح فى زجاجة) يعنى القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شئ وضوءه يزيد فى الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب درّى) من درأ الكوكب اذا

يقال فلان رحمة أى منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل شعر

اذا سار عبد الله عن مرو ليلة

فقد سار منها نورها وجمالها

قوله تعالى (مثل نوره) أى مثل نور الله تعالى فى قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به كما قال فهو على نور من ربه وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره فى قلب المؤمن وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذى أعطى المؤمن وقال بعضهم الكناية عائدة الى المؤمن أى مثل نور قلب المؤمن وكان أبى يقرأ مثل نور من آمن به وهو عبد جعل الايمان والقرآن فى صدره وقال الحسن وزيد بن أسلم أراد بالنور القرآن وقال سعيد بن جبير والضحاك هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تفضيلا (كمشكاة) وهى الكوة التى لا منفذ لها فان كان لها منفذ فهى كوة وقيل المشكاة حبشية قال مجاهد هى القنديل (فيها مصباح) أى سراج أصله من الضوء ومنه الصبح ومعناه كمصباح فى مشكاة (المصباح فى زجاجة) يعنى القنديل قال الزجاج انما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شئ وضوءه يزيد فى الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال (الزجاجة كأنها كوكب درى) قرأ أبو عمرو والكسائى درئ بكسر الدال والهمز وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمز فمن كسر الدال فهو فعيل من الدرء وهو الدفع لان الكوكب يدفع الشياطين من السماء وشبهه بحالة الدفع لانه يكون فى تلك الحالة أضوأ وأنور و يقال هو من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف ضوءه فى ذلك الوقت وقيل درى مكرر اى طالع يقال درأ النجم اذا طلع وارتفع و يقال درأ علينا فلان أى طلع وظهر فاما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة قال أكثر النحاة هو لحن لانه ليس فى كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين قال أبو عبيدة وأنا أرى لها وجها وذلك انها دروء على وزن فعول مثل سبوح وقدوس ثم استثقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها الى الكسر كما قالوا عتيا وهو فعول من عتوت وقرأ الآخرون درى بضم الدال وتشديد الياء بلا همز أى شديد الانارة

نسبت الى الدر فى صفائه وحسنه وان كان الكوكب أكثر ضوأ من الدر لكنه يفضل الكواكب بضيائه كما يفضل الدر سائر الحب وقيل الكوكب الدرى واحد من الكواكب الخمسة العظام وهى زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد وقيل شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لان الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف (يوقد) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب توقد بالتاء وفتحها وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضى يعنى المصباح أى اتقد يقال توقدت النار اذا اتقدت وقرأ أهل الكوفة غير حفص توقد بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفا يعنى الزجاجة أى نار الزجاجة لان الزجاجة لا توقد وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفا يعنى المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أى من زيت شجرة مباركة فحذف المضاف بدليل قوله تعالى يكاد زيتها يضىء وأراد بالشجرة المباركة الزيتونة وهى كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به وهو أضوأ وأصفى الادهان وهو ادام وفاكهة ولا يحتاج فى استخراجه الى اعصار بل كل أحد يستخرجه وجاء فى الحديث انه مصحة من الباسور وهى شجرة تورق من أعلاها الى أسفلها أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسى أنا أبو أمية الطوسى أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان الثورى عن عبد الله بن عيسى عن عطاء الذى كان بالشام وليس بابن أبى رباح عن أسيد بن ثابت وأبى أسلم الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة قوله تعالى (لا شرقية ولا غربية) أى ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل هى ضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها أضوأ وهذا كما يقال فلان ليس باسود ولا أبيض يريد ليس باسود خالص ولا أبيض خالص بل اجتمع فيه كل واحد منهما وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض أى اجتمعت فيه الحلاوة والحموضة هذا قول ابن عباس فى رواية عكرمة والكلبى والاكثرين وقال السدى وجماعة معناه انها ليست فى مقنأة لا تصيبها الشمس ولا فى مضحاة لا يصيبها الظل فهى لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست فى شرق يضرها الحر ولا فى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامية لان الشام لا شرقى ولا غربى وقال الحسن ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت فى الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها) دهنها (يضىء) من صفائه (ولو لم تمسسه نار) أى قبل أن تصيبه النار (نور على نور) يعنى نور المصباح على نور الزجاجة واختلف أهل العلم فى معنى هذا التمثيل فقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرنى عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فقال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هى شجرة النبوة يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضىء ولو لم تمسسه نار وروى سالم عن ابن عمر فى هذه الاية قال المشكاة جوف محمد والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصرانى توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظى المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلوات الله عليهم أجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال تعالى وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهى ابراهيم سماه مباركة لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية

اندفع منقضا فيتضاعف نوره فى تلك الحال وفى ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل درى أى شديد الانارة نسب الى الدر فى صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدرى أحد الكواكب الخمسة السيارة التى هى زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد قيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (توقد) أى اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أى من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو أصفى الادهان وأضوأها وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشأم لانها هى الارض المباركة وهى شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن ثابت أو أبى أسيد الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة أخرجه الترمذى وقوله (لا شرقية ولا غربية) أى ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها أضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست فى مقنأة لا تصيبها الشمس ولا فى مضحاة لا يصيبها الظل فهى لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست فى شرق يضرها الحر ولا فى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامية لان الشام وسط الارض لا شرقى ولا غربى وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لانها لو كانت فى الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها يضىء) أى من صفائه (ولو لم تمسسه نار) أى قبل ان تمسه النار (نور على نور) أى نور المصباح على نور الزجاجة

يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى تصلي قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله فيه من الايمان والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الاخلاص لله وحده فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر

﴿فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية﴾ اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى أقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفائه وصلح أن يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى المغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح وان لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور * قوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء)

خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين اربع خلال ان اعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور قال الكلبي قوله نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقال السدي نور

الايمان ونور القرآن وقال الحسن وابن زيد هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء تكاد حجة القرآن تتضح وان لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قيل نزول القرآن فازداد بذلك نورا على نور قوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس رضي الله عنهما لدين الاسلام وهو نور البصيرة وقيل القرآن

(و يضرب الله الامثال للناس) يبين الله الاشياء للناس تقريبا للافهام وتسهيلا لسبيل الادراك (والله بكل شئ عليم) قوله (في بيوت أذن الله) أي ذلك المصباح في بيوت وقيل يوقد في بيوت والبيوت هي المساجد قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال المساجد بيوت الله في الارض وهي تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وروى صالح بن حيان عن ابن بريدة في قوله تعالى في بيوت أذن الله قال انما هي أربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة و بيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (أن ترفع) قال مجاهد أن تبنى نظيره قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت قال الحسن أي تعظم أي لا يذكر فيه الخنا من القول (و يذكر فيها اسمه) قال ابن عباس رضي الله عنهما يتلى فيها كتابه (يسبح) قرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بفتح الباء على غير تسمية الفاعل والوقف على هذه القراءة عند قوله والآصال وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلا للرجال يسبح له أي يصلي (له فيها بالغدو والآصال) أي بالغداة والعشى قال أهل التفسير أراد به الصلوات المفروضات فالتي تؤدى بالغداة صلاة الصبح والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يجمعها وقيل أراد به صلاة الصبح والعصر أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى أنا عبد الله بن رجاء أنا همام بن أبي حمزة ان أبا بكر بن عبد الله بن قيس حدثه عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة ورروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال التسبيح بالغدو صلاة الضحى أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعان أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا عبد الله بن يوسف أنا الهيثم بن حميد أخبرني يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج المحرم ومن مشى الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين قوله (رجال) قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لا تلهيهم) أي لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لانها أعظم ما يشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا بيع) أي ولا يشغلهم بيع (عن ذكر الله) أي حضور المساجد لاقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا

قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (و يضرب الله الامثال للناس) أي يبين الله الاشياء للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك (والله بكل شئ عليم) * قوله عز وجل (في بيوت) أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة و بيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى و بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (أذن الله أن ترفع) أي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار (و يذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أي يصلى له فيها (بالغدو والآصال) بالغداة والعشى قال أهل التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا اذاك كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لا تلهيهم) أي لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لانها أعظم ما يشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا بيع) أي ولا يشغلهم بيع (عن ذكر الله) أي حضور المساجد لاقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة

(وايتاء الزكوة) المفروضة قال ابن عباس رضى الله عنه اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها وقيل هى الاعمال الصالحة (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) قيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار من هوله أى ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الايمان أم من قبل الشمائل وذلك يوم القيامة وقيل تتقلب القلوب فى الجوف فترتفع الى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج وتقلب البصر شخوصه من هول الامر وشدته (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) يريد انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا أى بأحسن ما عملوا يريد يجزيهم بحسناتهم وما كان من مساوى أعمالهم لا يجزيهم بها (ويزيدهم من فضله) ما لم يستحقوه بأعمالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) ثم ضرب لاعمال الكفار مثلا فقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) السراب الشعاع الذى يرى نصف النهار عند شدة الحر فى البرارى يشبه الماء الجارى على الارض يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه انفش فلم يرشيأ والآل ما ارتفع من الارض وهو شعاع يرى بين السماء والارض بالغدوات شبه الملاءة يرفع فيه الشخوص يرى فيه الصغير كبيرا والقصير طويلا والرقراق يكون بالعشايا وهو ما ترقرق من السراب أى جاء وذهب والقيعة جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الارض وفيه يكون السراب (يحسبه الظمآن) أى يتوهمه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أى جاء ما قدر أى انه ماء وقيل جاء موضع السراب (لم يجده شيأ) على ما قدره وحسبه كذلك الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا أتاه ملك الموت واحتاج الى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيأ ولا نفعه (ووجد الله عنده) أى عند عمله أى وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أى جزاء عمله (والله سريع الحساب أو كظلمات) وهذا مثل آخر ضربه الله لاعمال الكفار يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (فى بحر لجى) وهو العميق الكثير الماء ولجة البحر معظمه (يغشاه) يعلوه (موج من فوقه موج) متراكم (من فوقه سحاب) قرأ ابن كثير برواية القواس سحاب بالرفع والتنوين (ظلمات) بالجر على البدل من قوله أو كظلمات وروى أبو الحسن البرى عنه سحاب ظلمات بالاضافة وقرأ الآخرون سحاب ظلمات كلاهما بالرفع والتنوين فيكون تمام الكلام عند قوله سحاب ثم ابتدأ فقال ظلمات (بعضها فوق بعض) ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض أى ظلمة الموج على

ولا يبيع عن ذكر الله واقام الصلاة (وايتاء الزكوة) يعنى المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لا يحبسونها (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من أى ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب فى الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) يعنى انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعنى انه سبحانه وتعالى يجزيهم باحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله * قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلا لحال المؤمن وانه فى الدنيا والآخرة فى نور وانه فائز بالنعيم المقيم أتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر فى البرارى يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه لم يرشيأ والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب (يحسبه) أى يتوهمه (الظمآن) أى العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أى جاء ما قدر انه ماء وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجده شيأ) أى لم يجده على ما قدر وظنه ووجه التشبيه ان الذى يأتى به الكافر من أعمال البر يعتقد ان له ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب فى البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيأ فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده أغنى عنه شيأ ولا نفعه (ووجد الله عنده) أى وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أى جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى (أو كظلمات) أعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار ان كانت حسنة فهى كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهى كظلمات وقيل معناه ان مثل أعمالهم فى فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (فى بحر لجى) أى عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (يغشاه) اى يعلوه (موج من فوق موج) أى متراكم (من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض)

ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج وظلمة السحاب على ظلمة الموج وأراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال أبي بن كعب في هذه الآية الكافر يتقلب في خمسة من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة الى النار (اذا أخرج) يعني الناظر (يده لم يكد يراها) يعني لم يقرب من أن يراها من شدة الظلمة وقال الفراء يكد صلة أي لم يرها قال المبرد يعني لم يرها الا بعد الجهد كما يقول القائل ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد يأس وشدة وقيل معناه قرب من رؤيتها ولم يرها كما يقال كاد النعام يطير (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا ايمان له ولا يهديه أحد وقال مقاتل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر والاكثرون على انه عام في جميع الكفار قوله تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) باسطات أجنحتهن بالهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء

معناه ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى (اذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من أقرب شيء يراه الانسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يتغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال أبي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار * قوله عز وجل (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) أي باسطات أجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض (كل قد علم صلوته وتسبيحه) قيل الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب أجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض) أي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها أحد سواه (والى الله المصير) أي والى الله مرجع العباد بعد الموت * قوله تعالى (ألم تر أن الله يزجي) أي يسوق (سحابا) بأمره الى حيث يشاء من أرضه وبلاده (ثم يؤلف بينه) أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) أي متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه وهو مخارج القطر (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد * فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة * قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء

والارض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والارض (كل قد علم صلوته وتسبيحه) قال مجاهد الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب الاجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه قوله كل قد علم أي كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجي) يعني يسوق بأمره (سحابا) الى حيث يريد (ثم يؤلف بينه) يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) يعني المطر (يخرج من خلاله) وسطه وهو جمع الخلل كالجبال جمع الجبل

الا

(وينزل من السماء من جبال فيها من برد) يعني ينزل البرد ومن صلة وقيل معناه وينزل من السماء من جبال أي مقدار جبال في الكثرة من البرد ومن في قوله من جبال صلة أي وينزل من السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخبر الله تعالى عز وجل ان في السماء جبالا من برد ومفعول الانزال محذوف تقديره وينزل من السماء من جبال فيها بردا فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه قال أهل النحو ذكر الله تعالى من ثلاث مرات في هذه الآية فقوله من السماء لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء وقوله تعالى من جبال للتبعيض لان ما ينزله الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء وقوله تعالى من برد للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد

(فيصيب به) يعني بالبرد (من يشاء) فيهلك زروعه وأمواله (ويصرفه عمن يشاء) فلا يضره (يكاد سنا برقه) يعني ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) من شدة ضوئه وبريقه وقرأ أبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا الحميدي أنا سفيان أنا الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار قوله تعالى (ان في ذلك) يعني في ذلك الذي ذكرت من هذه الاشياء (لعبرة لاولي الابصار) يعني دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده قوله تعالى (والله خلق كل دابة) قرأ حمزة والكسائي خالق كل بالاضافة وقرأ الآخرون خلق كل على الفعل (من ماء) يعني من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة ولا الجن لانا لا نشاهدهم وقيل أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحا فخلق منها الملائكة وبعضه نارا فخلق منها الجن وبعضها طينا فخلق منه آدم (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحيات والحيتان والديدان (ومنهم من يمشي على رجلين) مثل بني آدم والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالبهائم والسباع ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الارض لانها في الصورة كالتي يمشي على الاربع وانما قال من يمشي ومن انما تستعمل فيمن يعقل دون من لا يعقل من الحيات والبهائم لانه ذكر كل دابة فدخل فيه الناس وغيرهم واذا جمع اللفظ من يعقل ومن لا يعقل تجعل الغلبة لمن يعقل (يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا) اليك (آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) يعني المنافقين يقولونه (ثم يتولى) يعرض عن طاعة الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا ويدعو الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المنافق كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد وقال المنافق نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف علينا فانزل الله هذه الآية

الا نزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أي البرد (من يشاء) فيهلكه وأمواله (ويصرفه عمن يشاء) أي فلا يضره (يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أي من شدة ضوئه وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فيأتي بالليل والنهار ويذهب بالنهار ويأتي بالليل ويذهب بالليل (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار * معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذمونه في أشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم * وقوله تعالى (ان في ذلك) أي الذي ذكر من هذه الاشياء (لعبرة لاولي الابصار) أي دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده * قوله عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لا نشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (فمنهم من يمشي على بطنه) أي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشي على رجلين) يعني مثل بني آدم والطير (ومنهم من يمشي على أربع) يعني كالبهائم والسباع * فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة * قلت ذلك المخلق من غير نطفة لا بد ان يتكون من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء * فان قلت فمنهم من يمشي ضمير العقلاء فلم استعمل في غير العقلاء * قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعا أولى * فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات * قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهي الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على أربع * فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفي الحيوانات ما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك * قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على أربع في المشي والباقي تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أي مما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل شيء قدير) أي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع (لقد أنزلنا آيات مبينات) يعني القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يعني الى دين الاسلام الذي هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته * قوله تعالى (ويقولون) يعني المنافقين (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) أي يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أي يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا ويدعو الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فنزل الله هذه الآية

(واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) الرسول بحكم الله (اذا فريق منهم معرضون) يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) مطيعين منقادين لحكمه يعني اذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا بالحق (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا) يعني شكوا هذا استفهام ذم وتوبيخ يعني هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) يعني يظلم (بل أولئك هم الظالمون) لانفسهم باعراضهم عن الحق (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله) الى كتاب الله ورسوله (ليحكم بينهم) هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالاجابة (وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش

(واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أي الرسول يحكم بحكم الله بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أي مطيعين منقادين لحكمه أي اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا (أفي قلوبهم مرض) أي كفر ونفاق (أم ارتابوا) أي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أي يظلم (بل أولئك هم الظالمون) أي لانفسهم باعراضهم عن الحق * قوله عز وجل (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) أي الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو (أن يقولوا سمعنا) أي الدعاء (وأطعنا) أي بالاجابة (وأولئك) أي من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أي على ما عمل من الذنوب (ويتقه) أي فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) يعني الناجون * قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيأ (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لهم (لا تقسموا) يعني لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) يعني هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة يعني أمر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون مالا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل (ان الله خبير بما تعملون) يعني من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعني بقلوبكم وصدقنياتكم (فان تولوا) يعني أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) أي على الرسول (ما حمل) أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) أي ما كلفتم من الاجابة والطاعة (وان تطيعوه تهتدوا) أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي التبليغ الواضح البين * قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها

الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما ساءه وسره ويخش الله على ما عمل من الذنوب (ويتقه) فيما بعده (فأولئك هم الفائزون) الناجون قرأ أبو عمرو وأبو بكر يتقه ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون كما في نظائرها ويشبعها الباقون كسرا وقرأ حفص يتقه بسكون القاف واختلاس الهاء وهذه اللغة اذا سقطت الياء للجزم يسكنون ما قبلها يقولون لم أشتر طعاما بسكون الراء قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد اليمين أن يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال تعالى (قل) لهم (لا تقسموا) لا تحلفوا وقد تم الكلام ثم قال (طاعة معروفة) يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد وهي معروفة يعني أمر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون مالا تفعلون هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل وقال مقاتل بن سليمان لكن منكم طاعة معروفة (ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا) يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه ما حمل) يعني على الرسول ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) من الاجابة والطاعة (وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي التبليغ المبين قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) قال أبو العالية في هذه الآية مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار وكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة

(كما

وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة يعني والله ليستخلفنهم أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) قرأ أبو بكر عن عاصم كما استخلف بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى وعد الله قال قتادة كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وقيل كما استخلف الذين من قبلهم أي بني اسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) أي اختار قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان (وليبدلنهم) قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الابدال وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل وهما لغتان وقال بعضهم التبديل تغير حال الى حال والابدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه (من

(كما استخلف الذين من قبلهم) أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وكما استخلف بني اسرائيل وأهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى) أي اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني) آمنين (لا يشركون بي شيأ) فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الارض (خ) عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى ابن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه ذهبا الخ وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلي ستا قال علي قلت لحماد القائل اسعيد امسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلي كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها

بعد خوفهم أمنا يعبدونني) آمنين (لا يشركون بي شيأ) فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الارض اخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمد بن الحكم انا النضر انا اسرائيل انا سعيد الطاهري انا محمد بن خليفة عن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكى اليه الفاقة ثم أتاه الآخر فشكى اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم فليقولن له ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه وفي الآية دلالة على خلافة الصديق وامامة الخلفاء الراشدين اخبرنا عبد الواحد المليحي انا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح انا أبو القاسم البغوي انا علي بن الجعد اخبرني حماد هو ابن سلمة بن دينار عن سعيد جمهان عن سفينة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وعثمان اثنتي عشرة وعلي ستة قال علي قلت لحماد سفينة القائل لسعيد امسك قال نعم

قوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) العاصون لله قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضى الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد النعيمى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم المعروف بابن نصر أنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة المعروف بالطرابلسى أنا اسحق بن ابراهيم بن عباد عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن حميد بن هلال قال قال عبد الله بن سلام فى عثمان ان الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبدا فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقى الله أجذم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغمودا عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم اما قال أبدا واما قال الى يوم القيامة فما قتل نبى قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) أى افعلوها على رجاء الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا) قرأ ابن عامر وحمزة لا يحسبن بالياء أى لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم (معجزين فى الارض) وقرأ الآخرون بالتاء يقول لا تحسبن يا محمد الذين كفروا معجزين فائتين عنا (ومأواهم النار ولبئس المصير) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم اللام لام الامر الذين ملكت أيمانكم يعنى العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من الاحرار ليس المراد منهم الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء بل الذين عرفوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا (ثلاث مرات) أى ليستأذنوا فى ثلاث أوقات (من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) يريد المقيل (ومن بعد صلوة العشاء) وانما خص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يحب ان يراه أحد من العبيد والصبيان بالاستئذان فى هذه الاوقات وأما غيرهم فليستأذنوا فى جميع الاوقات

والله أعلم * وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) أى العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخوانا عن ابن أخى عبد الله بن سلام قال لما أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قال جئت فى نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خير لى منك داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله فى هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان أخرجه الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى فما قتل نبى قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا * قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) أى افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أى فائتين عنا (فى الارض ومأواهم النار ولبئس المصير) * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الامر وفيه قولان أحدهما انه على الندب والاستحباب والثانى انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت أيمانكم يعنى العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعنى الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعى وأبو يوسف ومحمد وأحمد فى الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجرى عليه الاحكام وان لم يحتلم (ثلاث مرات) أى ليستأذنوا فى ثلاثة أوقات (من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أى وقت المقيل (ومن بعد صلوة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان

(ثلاث عورات لكم) قرأ حمزة والكسائي ثلاث بنصب الثاء بدلا من قوله ثلاث مرات وقرأ الآخرون بالرفع أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم سميت هذه الأوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم) جناح (ولا عليهم) على العبيد والخدم والصبيان (جناح) في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الأوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي العبيد والخدم يطوفون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير اذن بعضكم على بعض أي يطوف (بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم منسوخ قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن للقوم ستور ولا حجاب فكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون فأمروا بالاستئذان وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي

في هذه الأوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن في جميع الأوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الأوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعني العبيد والخدم والصبيان (جناح) أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الأوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أي يطوف بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة أن نفرا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخدم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قوله تعالى (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) من الاحرار والكبار وقيل يعني الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى (كذلك يبين الله لكم آياته) دلالاته وقيل أحكامه (والله عليم) بامور خلقه (حكيم) بما دبر لهم قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فانما أنزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم يفعل رأى منها ما يكره قوله تعالى (والقواعد من النساء) يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتي اذا رآهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي عند الرجال والمعنى يضعن بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن

قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قوله تعالى (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) من الاحرار والكبار وقيل يعني الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى (كذلك يبين الله لكم آياته) دلالاته وقيل أحكامه (والله عليم) بامور خلقه (حكيم) بما دبر لهم قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فانما أنزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم يفعل رأى منها ما يكره قوله تعالى (والقواعد من

النساء) يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر لا يلدن ولا يحضن واحدتها قاعد بلا هاء وقيل قعدن عن الازواج وهذا معنى قوله (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يردن الرجال لكبرهن قال ابن قتيبة سميت المرأة قاعدا اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال ربيعة الرأي هن العجز اللاتي اذا رآهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) عند الرجال يعني يضعن بعض ثيابهن وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأبي بن كعب أن يضعن من ثيابهن (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها ان تستره

(وان يستعففن) فلا يلقين الجلباب والرداء (خير لهن والله سميع عليم) قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) الآية اختلف العلماء فى هذه الآية فقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أنزل الله عز وجل قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عن أكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفى الطعام فانزل الله هذه الآية وعلى هذا التأويل يكون على بمعنى فى أى ليس فى الاعمى يعنى ليس عليكم فى مؤاكله الاعمى والاعرج والمريض وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم ويقول الاعمى ربما آكل أكثر ويقول الاعرج ربما آخذ مكان الاثنين فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت الآية ترخصا لهؤلاء فى الاكل من بيوت من سمى الله فى هذه الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده ما

والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره (وان يستعففن) أى فلا يلقين الجلباب ولا الرداء (خير لهن والله سميع عليم) قوله عز وجل (ليس على الاعمى حرج) اختلف العلماء فى هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الاموال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفى من الطعام حقه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا التاويل يكون على بمعنى فى أى ليس فى الاعمى والمعنى ليس عليكم فى مؤاكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول ربما آكل أكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى ربما أجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصا لهؤلاء فى الاكل من بيوت من سماهم الله فى باقى الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل فى طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شئ ذهب بهم الى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله تعالى فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فنزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تاكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء فى التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام مستانف قيل لما نزلت ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا أن ياكل من أحد فانزل الله تعالى ولا على أنفسكم (أن تأكلوا من بيوتكم) أى لا حرج عليكم أن تاكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الآباء لما جاء فى الحديث أنت ومالك لابيك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر

يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله فى هذه الآية فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك الطعام ويقولون اذهب بنا الى بيت غيره فانزل الله هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللنا لكم ان تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم قال الحسن نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء فى التخلف عن الجهاد وقال تم الكلام عند قوله ولا على المريض حرج وقوله تعالى ولا على أنفسكم كلام منقطع عما قبله وقيل لما نزل قوله لا تاكلوا أموالكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل عند أحد فانزل الله عز وجل (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى لا حرج عليكم ان تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وأزواجكم وبيت المرأة كبيت الزوج وقال ابن قتيبة أراد من بيوت أولادكم نسب الاولاد الى الآباء كما جاء فى الحديث أنت ومالك لابيك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) قال ابن عباس رضى الله عنهما عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته لا بأس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقال الضحاك يعنى فى بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن لقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب ويجوز أن يكون الذى يفتح به قال عكرمة اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس ان يطعم الشئ اليسير وقال السدى الرجل يولى طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس ان ياكل منه وقال قوم أو ما ملكتم مفاتحه ما خزنتموه عندكم قال مجاهد وقتادة من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتم

ومماليككم

(أو صديقكم) الصديق الذى صدقك فى المودة قال ابن عباس نزلت فى الحارث بن عمرو رضى الله عنه خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الآية وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استئذان منه فى الاكل بهذه الآية والمعنى (ليس عليكم جناح أن تأكلوا) من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا قوله ليس عليكم جناح ان تأكلوا (جميعا أو أشتاتا) نزلت فى بنى ليث بن بكر بن عمرو وهم حى من بنى كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج وقال عطاء الخراسانى عن ابن عباس رضى الله عنهما كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح أى أتحرج ان آكل معك وأنا غنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية (٧٥) وقال عكرمة وأبو صالح نزلت

ومما ليكم وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزائن ويجوز أن يكون المفتاح الذى يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يأكل الشئ اليسير وقيل ما ملكتم مفاتحه أى ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه (أو صديقكم) الصديق هو الذى صدقك فى المودة قال ابن عباس نزلت فى الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت أن آكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يأتى من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقال ابن عباس كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح أى أتحرج أن آكل معك وأنا غنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤا جميعا أى مجتمعين أو أشتاتا أى متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضكم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أى عن الله أمره ونهيه وآدابه * قوله عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أى يجمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور فى أمر نزل (لم يذهبوا) أى لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنوه) قال

فى قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤا جميعا أو اشتاتا متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى يسلم بعضكم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته وهو قول جابر وطاوس والزهرى وقتادة والضحاك وعمرو ابن دينار وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ان الملائكة ترد عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله) نصب على المصدر أى تحيون تحية (مباركة طيبة) قال ابن عباس رضى الله عنهما حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيبة ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور فى أمر نزل (لم يذهبوا) لم يتفرقوا عنه لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر (حتى يستأذنوه) قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يراه فيعرف انه انما قام يستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن فللامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام

بان يكون فى المسجد فتحيض منهم امرأة أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أى أمرهم (فاذن لمن شئت منهم) فى الانصراف معناه ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره وقال مجاهد وقتادة لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وشرفوه فقولوا يا نبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أى يخرجون (منكم لواذا) أى يستتر بعضهم بعضا ويروغ فى خفيه فيذهب واللواذ مصدر لاوذ يلاوذ ملاوذة ولواذا قيل كان هذا فى

حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين قال ابن عباس رضى الله عنهما لواذا أى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار ومعنى قوله قد يعلم الله التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى أمره وعن صلة وقيل معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنة) أى لئلا تصيبهم فتنة قال مجاهد بلاء فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) وجيع فى الاخرة وقيل عذاب أليم عاجل فى الدنيا ثم عظم نفسه فقال (ألا ان لله ما فى السموات والارض) ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) من الايمان والنفاق أى يعلم وقد صلة (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم البعث (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) أخبرنا أبو سعيد الشريحى عليه انا أبو اسحق الثعلبى أخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا عبد الله بن محمد بن شبيبة ثنا محمد بن ابراهيم الكرابيسى ثنا سليمان بن توبة أبو داود الانصارى انا محمد بن ابراهيم الشامى ثنا شعيب بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور

﴿سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تبارك) تفاعل من البركة عن ابن عباس معناه جاء بكل بركة دليله قول الحسن مجىء البركة من قبله وقال الضحاك تعظم (الذى نزل الفرقان) أى القرآن (على عبده) محمدا صلى الله عليه وسلم

المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون فى المسجد فتحيض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أى أمرهم (فاذن لمن شئت منهم) أى فى الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وان شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله) أى ان رأيت لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة (ان الله غفور رحيم) * قوله عز وجل (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يا نبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أى يخرجون (منكم لواذا) أى يستتر بعضهم ببعض ويروغ فى خفية فيذهب قيل كانوا فى حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لواذا أى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنة) أى لئلا تصيبهم فتنة أى بلاء فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى وجيع فى الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (ألا ان لله ما فى السموات والارض) أى ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أى من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أى من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع فى صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية وثمانمائة واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم (الذى نزل الفرقان) أى القرآن سماه فرقانا لانه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا فى أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق (على عبده) يعنى محمدا صلى الله

(ليكون للعالمين نذيرا) أى للجن والانس قيل النذير هو القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم (الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ) مما يطلق عليه صفة المخلوق (فقدره تقديرا) فسواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر لكل شئ تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق قوله عز وجل (واتخذوا) يعنى عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) أى دفع ضر ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حيوة) أى اماتة واحياء (ولا نشورا) أى بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعنى المشركين يعنى النضر بن الحارث وأصحابه (ان هذا) ما هذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قال مجاهد يعنى اليهود وقال الحسن هو عبيد بن الخضر الحبشى الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعنى قائلى هذه المقالة (ظلما وزورا) أى بظلم وزور فلما حذف الباء انتصب يعنى جاؤا شركا وكذبا بنسبتهم كلام الله تعالى الى الافك والافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها) يعنى النضر بن الحارث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس ومعنى اكتتب يعنى طلب أن يكتب له لانه كان لا يكتب (فهى تملى عليه) يعنى تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا قال الله عز وجل ردا عليهم (قل أنزله) يعنى القرآن (الذى يعلم السر) يعنى الغيب (فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يأكل الطعام) كما نأكل نحن (ويمشى فى الاسواق) يلتمس المعاش كما نمشى فلا يجوز أن يتنازعنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست أنت بملك ولا بملك لانك تأكل والملك لا يأكل ولست بملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة له وشئ من ذلك لا ينافى النبوة (لولا أنزل اليه ملك) فيصدقه (فيكون معه نذيرا) داعيا (أو يلقى اليه كنز) أى ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التردد والتصرف فى طلب المعاش (أو تكون له جنة) بستان (يأكل منها) قرأ حمزة والكسائى نأكل بالنون أى نأكل نحن منها (وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك

عليه وسلم (ليكون للعالمين) أى للانس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذى له ملك السموات والارض) أى هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) أى هو الفرد فى وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) يعنى هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام (وخلق كل شئ) مما تطلق عليه صفة المخلوق (فقدره تقديرا) أى سواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شئ تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق * قوله تعالى (واتخذوا) يعنى عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) يعنى دفع ضر ولا جر نفع (ولا يملكون موتا) أى اماتة (ولا حيوة) أى احياء (ولا نشورا) أى بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعنى النضر بن الحرث وأصحابه (ان هذا) أى ما هذا القرآن (الا افك) أى كذب (افتراه) أى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الخضر الحبشى الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعنى قائلى هذه المقالة (ظلما وزورا) أى بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها) يعنى النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب (فهى تملى عليه) أى تقرأ عليه ليحفظها لانه لا يكتب (بكرة وأصيلا) يعنى غدوة وعشية قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (أنزله) يعنى القرآن (الذى يعلم السر) أى الغيب (فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما) أى لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يأكل الطعام) أى كما نأكل نحن (ويمشى فى الاسواق) أى يلتمس المعاش كما نمشى نحن واذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لا يأكل ولا بملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبتذل وما قالوه فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن سخابا فى الاسواق وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك (لولا أنزل اليه ملك) أى يصدقه ويشهد له (فيكون معه نذيرا) أى داعيا (أو يلقى اليه كنز) أى ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف فى طلب المعاش (أو تكون له جنة) يعنى بستان (يأكل منها) أى هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كنز (وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) يعنى مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك

الامثال) يعني الاشباه فقال مسحور محتاج وغيره (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى ومخرجا عن الضلالة (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) الذي قالوا وأفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا وروى عكرمة عن ابن عباس قال يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) بيوتا مشيدة والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرا وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر ويجعل برفع اللام وقرأ الآخرون بجزمها على محل الجزاء في قوله ان شاء جعل لك أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك حدثنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي أنا أبو ذر محمد بن ابراهيم الصالحاني أنا أبو محمد عبد الله بن (٧٨) محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ أنا أبو يعلى ثنا محمد بن بكار ثنا أبو معشر عن سعيد

يعني المقبري عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك ان حجزته لتساوي الكعبة فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الى أن ضع نفسك وفي رواية ابن عباس فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير له فاشار جبريل بيده ان تواضع فقلت نبيا عبدا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد قوله عز وجل (بل كذبوا بالساعة) بالقيامة (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا مستعرة (اذا رأتهم من مكان بعيد) قال الكلبي والسدي من ان مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة وقيل خمسمائة سنة وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قالوا وهل لها من عينين قال نعم ألم تستمعوا قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل اذا رأتهم زبانيتها (سمعوا لها تغيظا) غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) صوتا فان قيل كيف يسمع التغيظ قيل معناه رأوا وعلموا ان لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها تغيظا أي صوت التغيظ من التلهب والتوقد قال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح (مقرنين) مصفدين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقال الضحاك هلاكا وفي

الامثال) أي الاشباه التي لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج (فضلوا) أي عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى ومخرجا عن الضلالة * قوله تعالى (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) أي من الذي قالوا وأفضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أي بيوتا مشيدة عن أبي أمامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهبا جاءني ملك ان حجزته لتساوي الكعبة فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الي أن ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكره في الحديثين البغوي بسنده * قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أي القيامة (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) أي نارا مسعرة (اذا رأتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام * فان قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله اذا رأتهم * قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها (سمعوا لها تغيظا) أي غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) أي صوتا * فان قلت كيف يسمع التغيظ * قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح (مقرنين) أي مصفدين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي

الحديث ان أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار فينادى ياثبوراه وينادون ياثبورهم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) قيل أى هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة قوله عز وجل (قل أذلك) يعنى الذى ذكرته من صفة النار وأهلها (خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا (لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا) مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم فى الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان أعطى الله المؤمنين جنة الخلد وعدا وعدهم على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك قال محمد بن كعب القرظى الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم (ويوم يحشرهم) قرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب وحفص يحشرهم بالياء وقرأ الباقون بالنون (وما يعبدون من دون الله) قال

ان أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار فينادى ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة *قوله عز وجل (قل أذلك خير) أى الذى ذكرت من صفة النار وأهلها (أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) أى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤن) أى ان جميع المرادات لا تحصل الا فى الجنة لا فى غيرها *فان قلت قد يشتهى الانسان شيا وهو لا يحصل فى الجنة كأن يشتهى الولد ونحوه وليس هو فى الجنة* قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره (خالدين) أى فى نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد فى المعنى

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(كان على ربك وعدا مسؤلا) أى مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم فى الدنيا حين قالوا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم *قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعنى من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعنى الاصنام ثم يخاطبهم (فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أى أخطؤا الطريق (قالوا) يعنى المعبودين (سبحانك) نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعنى ما كان ينبغى لنا أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن عبيدك ونحن عبيدك (ولكن متعتهم وآباءهم) أى بطول العمر والصحة والنعمة فى الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) معناه هلكى أى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين أى كذبكم المعبودون (بما تقولون) يعنى انهم آلهة (فما يستطيعون) أى الآلهة (صرفا) أى صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) يعنى ولا نصرا أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) يعنى يشرك (نذقه عذابا كبيرا)

مجاهد من الملائكة والجن والانس وعيسى وعزير وقال عكرمة والضحاك والكلبى يعنى الاصنام ثم يخاطبهم (فيقول) قرأ ابن عامر بالنون والآخرون بالياء (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أخطؤا الطريق (قالوا سبحانك) نزهوا الله من أن يكون معه اله (ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعنى ما كان ينبغى لنا أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقرأ أبو جعفر أن نتخذ بضم النون وفتح الخاء فتكون من الثانى صلة (ولكن متعتهم وآباءهم) فى الدنيا بطول العمر والصحة والنعمة (حتى نسوا الذكر) تركوا الموعظة والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) يعنى هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان يقال رجل بائر وقوم بور وأصله من البوار وهو الكساد والفساد ومنه بوار السلعة وهو كسادها وقيل هو اسم مصدر كالزور يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين أى كذبكم المعبودون (بما تقولون) انهم آلهة (فما تستطيعون) قرأ حفص بالتاء يعنى العابدين وقرأ الآخرون بالياء يعنى الآلهة (صرفا) يعنى صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) يعنى ولا نصرا أنفسهم وقيل ولا نصركم أيها العابدون من عذاب الله بدفع العذاب عنكم وقيل الصرف الحيلة ومنه قول العرب انه ليصرف أى يحتال (ومن يظلم) يشرك (منكم نذقه عذابا كبيرا)

قوله عزوجل (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) يامحمد (الا انهم ليأكلون الطعام) روى الضحاك عن ابن عباس قال لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق أنزل الله عزوجل هذه الآية يعني ما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا يأكلون الطعام (ويمشون في الاسواق) وقيل معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا قيل لهم مثل هذا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق كما قال في موضع آخر ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي بلية فالغني فتنة للفقير يقول الفقير مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع وقال ابن عباس أي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى وقيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد أن يسلم فرأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال أسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وهذا قول الكلبي وقال مقاتل نزلت في أبي جهل والوليد بن (٨٠) عقبة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وذلك انهم لما رأوا أباذر وابن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقال مقاتل نزلت في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا وأراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين (أتصبرون) يعني على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى (وكان ربك بصيرا) بمن صبر وبمن جزع أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن أنا أبو العباس الاصم ثنا زكريا بن يحيى المروزي ثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من دونه في المال والجسم (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة ومنه

* قوله عزوجل (وما أرسلنا قبلك) أي يامحمد (من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي بلية قال ابن عباس أي جعلنا بعضكم بلاء بعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا أنتم الهدى قيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد أن يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحرث وذلك انهم رأوا أباذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قد أسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا وأراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين (أتصبرون) أي على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع (وكان ربك بصيرا) أي بمن صبر وبمن جزع (ق) عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم * قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا أن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) أي طغوا وقيل عتوا في القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به * قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما بشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة الا من قال

لا اله

قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون لله عظمة (لولا أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا أن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) قال مجاهد عتوا طغوا قال مقاتل عتوا غلوا في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به (يوم يرون الملائكة) عند الموت وقيل في القيامة (لا بشرى يومئذ للمجرمين) للكافرين وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم هكذا قال عطية وقال بعضهم معناه انه لا بشرى يوم القيامة للمجرمين أي لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المؤمنون (ويقولون حجرا محجورا) قال عطاء عن ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله وقال مقاتل اذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن يكون لكم البشرى وقال بعضهم هذا قول الكفار

للملائكة قال ابن لجريج كانت العرب اذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولونه اذا عاينوا الملائكة قال مجاهد يعني عوذا مما يستعيذون به من الملائكة (وقدمنا) وعمدنا (الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل واختلفوا في الهباء قال علي هو ما يرى في الكوة اذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار ولا يمس بالايدي ولا يرى في الظل وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد والمنثور المفرق وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقال مقاتل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير وقيل الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المنبث هو ما تطيره الرياح من سنابك الخيل قوله عز وجل (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المتكبرين (وأحسن مقيلا) موضع قائلة يعني ان أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر النهار من أوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقرأ ثم ان مقيلهم لالى الجحيم هكذا كان يقرأ وقال ابن عباس في هذه الآية الحساب ذلك اليوم في أوله وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة قال الازهري القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس قوله عز وجل (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام الباء وعن يتعاقبان كما يقال رميت عن القوس وبالقوس وتشقق بمعنى تتشقق أدغموا احدى التاءين في الاخرى وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين ههنا وفي سورة ق بحذف احدى التاءين وقرأ الآخرون بالتشديد أي تنشق بالغمام وهو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة

لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة * قوله عز وجل (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) يعني من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار * قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أي موضع القائلة وذلك ان أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر من أول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس * قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا * قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه أشراف

ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم (ونزل الملائكة تنزيلا) قرأ ابن كثير ونزل بنونين خفيف ورفع اللام الملائكة نصب قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد ان يوم القيامة لا ملك يقضي غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا فهذا الخطاب يدل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا (ويوم يعض على الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة ابن أبي معيط وذلك ان عقبة كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما فدعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما فدعا الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة

صديقا لابى بن خلف فلما أخبر أبىّ بن خلف قال له يا عقبة صبأت قال لا والله ما صبأت ولكن دخل على رجل فأبى أن يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا بالذى أرضى عنك أبدا الا أن تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا ألفاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبىّ بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد بيده وقال الضحاك لما بزق عقبة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه فى وجهه فاحترق خداه وكان أثر ذلك فيه حتى الموت وقال الشعبى كان عقبة بن أبى معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهى من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد فأنزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم يعنى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه ندما وأسفا على ما فرط فى جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بالله بطاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم يأكل هكذا كلما نبتت يده أكلها تحسرا على ما فعل (يقول ياليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول سبيلا) ليتنى اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه سبيلا الى الهدى قرأ أبو عمرو ياليتنى اتخذت بفتح الياء والآخرون باسكانها (ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) يعنى أبى بن خلف (لقد أضلنى عن الذكر) عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءنى) يعنى الذكر مع الرسول (وكان الشيطان) وهو كل متمرد عات من الانس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان (للانسان خذولا) أى تاركا يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب وحكم هذه الآية عام فى حق كل متحابين اجتمعا على معصية الله أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن العلاء أنا أبو أسامة عن يزيد عن أبى بردة عن أبى موسى ذلك

قومه وكان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابى بن خلف فلما أخبر أبىّ بن خلف قال له يا عقبة صبأت قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علىّ رجل فأبى أن يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا الذى أرضى عنك أبدا الا أن تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا ألفاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبىّ بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد بيده فكان أثر ذلك فى وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبى معيط خليل أمية ابن خلف فأسلم عقبة فقال له أمية وجهى من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارتدّ فأنزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعنى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أى ندما وأسفا على ما فرّط فى جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده أكلها على ما فعل تحسرا وندامة (يقول ياليتنى اتخذت) أى فى الدنيا (مع الرسول سبيلا) أى ليتنى اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا الى الهداية (ياويلتا) دعا على نفسه بالويل (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) قيل يعنى أبىّ بن خلف (لقد أضلنى عن الذكر) أى عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءنى) يعنى الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولا) أى كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى * قوله عز وجل (وقال الرسول) يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة انا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث انا محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح اخبرنى سالم بن غيلان ان الوليد بن قيس التجيبى اخبره انه سمع أبا سعيد الخدرى قال سالم أو عن أبى الهيثم عن أبى سعيد انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى اخبرنا عبد الواحد المليحى انا أبو بكر محمد بن أحمد بن اسكاب النيسابورى انا أبو العباس الاصم ثنا حميد بن عياش الرملى انا مؤمل بن اسمعيل ثنا زهير بن محمد الخراسانى ثنا موسى بن وردان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (وقال الرسول) يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم

(يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) يعني متروكا فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو الهذيان والقول السيئ فزعموا انه شعر وسحر وهو قول النخعي ومجاهد وقيل قال الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدوا من المجرمين) يعني المشركين قال مقاتل يقول لا يكبرن عليك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فاصبر لامري كما صبروا فاني ناصرك وهاديك (وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود قال الله سبحانه وتعالى (كذلك) فعلنا (لنثبت به فؤادك) يعني أنزلناه متفرقا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤن وأنزل الله القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد بعضه في اثر بعض وقال النخعي والحسن فرقناه تفريقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يا محمد يعني هؤلاء المشركين (بمثل) يضربونه في ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) يعني بما ترد به ما جاؤا به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا (وأحسن تفسيرا) يعني بيانا وتفصيلا والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ما قد غطى ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال (الذين) أي هم الذين (يحشرون على وجوههم) فيساقون ويجرون (الى جهنم أولئك شر مكانا) يعني مكانة ومنزلة ويقال منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) أخطأ طريقا (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) معينا وظهيرا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني القبط (فدمرناهم) فيه اضمار أي فكذبوهما فدمرناهم (تدميرا) أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أي الرسول ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكر بلفظ الجمع (أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة لمن بعدهم (وأعتدنا للظالمين) في الآخرة (عذابا أليما) سوى ما حل بهم من عاجل العذاب (وعادا وثمود) يعني وأهلكنا عادا وثمود (وأصحاب الرس) اختلفوا فيهم قال وهب بن منبه كانوا أهل بئر قعودا عليها وأصحاب مواشي يعبدون الاصنام فوجه الله اليهم شعيبا

ذلك اليوم (يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أي متروكا وأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو الهذيان والقول السيئ من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدوا من المجرمين) أي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لنثبت به فؤادك) أي أنزلناه مفرقا لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤن وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور تحدث في أوقات مختلفة ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يعني يا محمد هؤلاء المشركون (بمثل) يعني يضربونه لك في ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) أي بما ترد به ما جاؤا به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا (وأحسن تفسيرا) يعني أحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) يعني هم الذين (يحشرون) أي يساقون ويجرون (على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا) يعني منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) أي أخطأ طريقا * قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أي معينا وظهيرا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي معينا وظهيرا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني القبط (فدمرناهم) فيه اضمار أي فكذبوهما فدمرناهم (تدميرا) يعني أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) يعني رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع (أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة لمن بعدهم (وأعتدنا للظالمين) في الآخرة (عذابا أليما) يعني سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (وعادا وثمود) أي أهلكنا عادا وثمود (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا أصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وآذوا شعيبا فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم وربا عهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فاهلكهم الله وقال سعيد بن جبير

يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وفى أذى شعيب عليه السلام فبينما هم حوالى البئر فى منازلهم انهارت بهم البئر فخسف الله بهم وبديارهم وبأعمالهم فهلكوا جميعا والرس البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهو رس وقال قتادة والكلبى الرس بئر بأرض اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عز وجل وقال بعضهم هم بقية ثمود وقوم صالح وهم أصحاب البئر التى ذكر الله تعالى فى قوله وبئر معطلة وقصر مشيد وقال سعيد بن جبير كان لهم نبى يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وقال كعب ومقاتل والسدى الرس بئر بانطاكية فقتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود الذى حفروه وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم فى بئر وقيل الرس المعدن وجمعه رساس (وقرونا بين ذلك كثيرا) يعنى وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) يعنى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تتبيرا) يعنى أهلكنا اهلاكا وقال الاخفش كسرنا تكسيرا قال الزجاج كل شئ كسرته وفتته فقد تبرته (ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء) يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وكانت خمس قرى

كان لهم نبى يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا بين ذلك كثيرا) أى وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) أى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تتبيرا) أى أهلكناهم اهلاكا * قوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء) يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى خمس قرى أهلك الله منها أربعا ونجت واحدة وهى أصغرها وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (أفلم يكونوا يرونها) يعنى اذا مروا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا الان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشأم (بل كانوا لا يرجون نشورا) يعنى لا يخافون بعثا * قوله تعالى (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) نزلت فى أبى جهل كان اذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) يعنى قد قارب أن يضلنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) يعنى على عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) أى فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه وأخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندى وقيل الهوى اله يعبد (أفأنت تكون عليه وكيلا) أى حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبى نسختها آية القتال (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) أى ما تقول سماع طالب الافهام (أو يعقلون) يعنى ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التى تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (ان هم) أى ما هم (الا كالانعام) أى فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلا) لان البهائم تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك * قوله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس

فاهلك الله أربعا منها وبقيت واحدة وهى أصغرها وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بهم فى أسفارهم فيعتبروا ويتفكروا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم الى الشام (بل كانوا لا يرجون) لا يخافون (نشورا) بعثا قوله عز وجل (واذا رأوك ان يتخذونك) يعنى ما يتخذونك (الا هزوا) يعنى مهزوءا به نزلت فى أبى جهل كان اذا مر بأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) يعنى قد قارب ان يضلنا (عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) يعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) من أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان

الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فاذا رأى حجرا أحسن منه طرح الاول وأخذ الآخر فعبده وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله وخالفه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندى (أفأنت تكون عليه وكيلا) يعنى حافظا يقول أفأنت عليه كفيل تحفظه من اتباع هواه وعبادته من يهوى من دون الله أى لست كذلك قال الكلبى نسختها آية القتال (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) ما تقول سماع طالب الافهام (أو يعقلون) ما يعاينون من الحجج والاعلام (ان هم) ما هم (الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) لان البهائم تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون قوله عز وجل (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) معناه ألم تر الى مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه

(ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس قال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال سمي فيأ لانه فاء من جانب المشرق الى جانب المغرب (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) يعني على الظل ومعنى دلالها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) يعني الظل (الينا قبضا يسيرا) بالشمس التي تأتي عليه والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضا يسيرا أي خفيا (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) أي سترا تسترون به يريد ان ظلمته تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه (والنوم سباتا) راحة لابدانكم وقطعا لعملكم وأصل السبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته (وجعل النهار نشورا) أي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وتنتشرون لاشغالكم (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) يعني المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) والطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به كالسحور اسم لما يتسحر به والفطور اسم لما يفطر به والدليل عليه ما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وأراد به المطهر فالماء مطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة كما قال في آية أخرى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فثبت به ان التطهير يختص بالماء وذهب أصحاب الرأي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل وماء الورد والمرق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان الطهور ما يتكرر منه التطهير كالصبور اسم لمن يتكرر منه الصبر والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء الذي توضأ منه مرة وان

معه (ولو شاء لجعله ساكنا) يعني دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها (ثم قبضناه) يعني الظل (الينا قبضا يسيرا) يعني بالشمس التي تأتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضا خفيفا (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) يعني سترا تسترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه (والنوم سباتا) يعني راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم (وجعل النهار نشورا) يعني يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) يعني المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوّزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوّز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فتجوز

وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته أم لا نظر ان كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار لا تزول فيجوز الطهارة به كما لو تغير لطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يخالطه كالدهن يصب فيه فيتروح الماء بريحه يجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيئا يمكن صون الماء منه ويخالطه كالخل والزعفران

ونحوهما تزول طهوريته ولا يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد أوصافه ينظر ان كان الواقع فيه شيئا طاهرا لا تزول طهوريته فتجوز الطهارة به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع فيه شيئا نجسا ينظر فان كان الماء قليلا أقل من القلتين ينجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمس قرب ووزنه خمسمائة رطل والدليل عليه ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن المنيب أنا جرير عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون في الفلاة من الارض وما ينوبه من الدواب والسباع فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث وهذا قول الشافعي وأحمد واسحاق وجماعة من أهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد فلا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما أخبرنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم ثنا أبو الموجه بن محمد بن عمرو بن الموجه ثنا صدقة بن الفضل أنا أبو أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن عبد الرحمن ثنا رافع بن خديج عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء

قوله عز وجل (لنحيي به) أي بالمطر (بلدة ميتا) ولم يقل ميتة لانه رجع به الى الموضع والمكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما) نسقي من ذلك الماء أنعاما (وأناسي كثيرا) أي بشرا كثيرا والاناسي جمع انسي وقيل جمع انسان وأصله أناسين مثل بستان وبساتين فجعل الياء عوضا عن النون (ولقد صرفناه بينهم) يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد آخر قال ابن عباس ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وذكر ابن اسحاق وابن جريج ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر

من أخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطلا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليذكروا) أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) جحودا وكفرانهم هو انهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب * قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم (وجاهدهم به) أي بالقرآن (جهادا كبيرا) أي شديدا * قوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر

الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيترو ح الماء براحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيأ يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد أوصافه نظر ان كان الواقع شيأ طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيأ نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد واسحق وجماعة من أهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء وفي رواية قال قلت يا رسول الله أيتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء * وقوله تعالى (لنحيي به) أي بالمطر (بلدة ميتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) أي نسقي من ذلك الماء (أنعاما وأناسي كثيرا) أي بشرا كثيرا والاناسي جمع انسي وقيل جمع انسان * قوله عز وجل (ولقد صرفناه بينهم) يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليذكروا) أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا وكفرهم هو أنهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب * قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم (وجاهدهم به) أي بالقرآن (جهادا كبيرا) أي شديدا * قوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر

خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر وقيل أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج وأصل المرج الخلط والارسال يقال مرجت الدابة وامرجتها اذا أرسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء (هذا عذب فرات) شديد العذوبة والفرات أعذب المياه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل أجاج أي مر (وجعل بينهما برزخا) أي حاجزا بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أي سترا ممنوعا فلا يبغيان فلا يفسد الملح العذب (وهو الذي خلق من الماء) من النطفة (بشرا فجعله نسبا وصهرا) أي جعله ذا نسب وذا صهر قيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح وقد ذكرنا ان الله تعالى حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا في قوله حرمت عليكم امهاتكم (وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله) يعني هؤلاء المشركين (ما لا ينفعهم) ان عبدوه (ولا يضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي وقال الزجاج أي يعاون الشيطان على معصية الله لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معناه وكان الكافر على ربه ظهيرا أي هينا ذليلا كما يقال الرجل جعلني بظهير أي جعلني هينا ويقال ظهر به اذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت اليه (وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) أي منذرا (قل ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الوحي (من أجر) فتقولوا انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه (الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) هذا من الاستثناء المنقطع مجازه لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا بالانفاق من ماله في سبيله فعل ذلك والمعنى لا أسالكم لنفسي أجرا ولكن لا أمنع من انفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) أي صل له شكرا على نعمه وقيل قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) عالما بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) أي بالرحمن قال الكلبي يقول فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل الخطاب للرسول والمراد منه غيره لانه كان مصدقا به والمعنى أيها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل الباء بمعنى عن أي فاسأل عنه خبيرا وهو الله عز وجل وقيل جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة

وقيل أرسلهما في مجاريهما (هذا عذب فرات) أي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) أي شديد الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخا) أي حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أي سترا ممنوعا فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب * قوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء) أي من النطفة (بشرا فجعله نسبا وصهرا) أي جعله ذا نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا ويجمعها قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النساء (وكان ربك قديرا) على ما أراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى (ويعبدون من دون الله) يعني هؤلاء المشركين (ما لا ينفعهم) أي ان عبدوه (ولا يضرهم) أي ان تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي معينا أعان الشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه وقيل أراد بالكافر أبا جهل والاصح انه عام في كل كافر * وقوله تعالى (وما أرسلناك الا مبشرا) أي بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيرا) منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد (ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الوحي (من أجر) فتقولون انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه (الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) معناه لكن من شاء أن يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسي أجرا ولكن أمنع من انفاق المال الا في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته * قوله عز وجل (وتوكل على الحي الذي لا يموت) معناه انه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لا يطلب منهم أجرا البتة أمره أن يتوكل عليه في جميع أموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة (وسبح بحمده) أي صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كأنه قال اذا قدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة * قوله عز وجل (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) أي فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أي ما نعرف

(أنسجد لما تأمرنا) قرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد (وزادهم) يعني
زادهم قول القائل لهم اسجدوا للرحمن (نفورا) عن الدين والايمان قوله عز وجل (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) قال الحسن ومجاهد وقتادة
النجوم هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقال عطية العوفي بروجا أي قصورا فيها الحرس كما قال ولو كنتم في بروج مشيدة وقال عطاء
عن ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة
والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد
والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع
الاربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية
والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس كما قال وجعل الشمس
سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا بالجمع يعني النجوم (وقمرا منيرا) والقمر قد دخل في السرج على قراءة من قرأ بالجمع غير انه خصه بالذكر لنوع
فضيلة كما قال فيهما فاكهة ونخل (٨٨) ورمان خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة (وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة) اختلفوا فيها قال
ابن عباس والحسن وقتادة
يعني خلفا وعوضا يقوم
أحدهما مقام صاحبه
فمن فاته عمله في أحدهما
قضاه في الآخر قال شقيق
جاء رجل الى عمر بن
الخطاب قال فاتتني الصلاة
الليلة فقال أدرك ما فاتك
من ليلتك في نهارك فان
الله عز وجل جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد أن
يذكر وقال مجاهد يعني
جعل كل واحد منهما
مخالفا لصاحبه فجعل هذا
أسود وهذا أبيض وقال
ابن زيد وغيره يعني يخلف
أحدهما صاحبه اذا ذهب
أحدهما جاء الآخر فهما

الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (أنسجد لما تأمرنا) أنت يا محمد
(وزادهم) يعني قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) يعني عن الايمان والسجود
﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع أن يسجدا عند سماعها وقراءتها * قوله
تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج
قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل
والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت
بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس (وقمرا منيرا
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) قال ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله
في أحدهما قضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال أدرك ما فاتك
من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا
لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في
الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (لمن أراد أن يذكر) أي يتذكر ويتعظ (أو أراد شكورا) يعني شكر نعمة
ربه عليه فيهما * قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم
عباد الله (الذين يمشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا
متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة (واذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهونه (قالوا سلاما)
يعني سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف
وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال ويروى عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية
قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون

يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان (لمن أراد أن يذكر) قرأ حمزة بتخفيف الذال والكاف وضمهما من لربهم
الذكر وقرأ الآخرون بتشديدهما أي يتذكر ويتعظ (أو أراد شكورا) قال مجاهد أي شكر نعمة ربه عليه فيهما قوله عز وجل (وعباد الرحمن)
يعني أفاضل العباد وقيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار
متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين وقال الحسن علماء وحكماء وقال محمد بن الحنفية أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وان سفه عليهم
حلموا والهون في اللغة الرفق واللين (واذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) قال مجاهد سدادا من القول وقال مقاتل بن
حيان قولا يسلمون فيه من الاثم وقال الحسن ان جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وروى عن الحسن معناه
سلموا عليهم دليله قوله عز وجل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم قال الكلبي وأبو العالية هذا قبل أن
يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال وروى عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم قرأ والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما قال هذا وصف ليلهم قوله تعالى (والذين يبيتون لربهم) يقال لمن أدرك الليل بات نام أو لم ينم يقال بات فلان قلقا والمعنى يبيتون
لربهم بالليل في الصلاة (سجدا) على وجوههم (وقياما) على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا

وقال أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن مسعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عثمان بن حكيم عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) يعني ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه وملازمته اياه قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوا فأغرمهم فيه فبقوا في النار قال الحسن كل غريم يفارق غريمه الا جهنم والغرام الشر اللازم وقيل غراما هلاكا (انها) يعني جهنم (ساءت مستقرا ومقاما) يعني بئس موضع قرار واقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قرأ ابن كثير وأهل البصرة يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ أهل المدينة وابن عامر بضم الياء وكسر التاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم التاء وكلها لغات صحيحة يقال أقتر وقتر بالتشديد وقتر يقتر واختلفوا في معنى الاسراف والاقتار فقال بعضهم الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار منع حق الله تعالى وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله (٨٩) ولم يمسكوا عن فرائض الله وقال

لربهم في الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة * قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (انها) يعني جهنم (ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) أي قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية في صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا ان لا يشتهي شيأ الا اشتراه فاكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) (ق) عن ابن عباس ان أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق

قوم الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهذا معنى قول ابراهيم لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار حسنة بين السيئتين وقال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر قال عمر بن الخطاب كفاسرفا ان لا يشتهي الرجل

شيأ الا اشتراه فاكله قوله عز وجل (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف أنا ابن جريج أخبرهم قال قال يعلى وهو يعلى بن مسلم أنا سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس ان ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الاعمش عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما

قوله عز وجل (ومن يفعل ذلك) اى شيأ من هذه الاثام (يلق اثاما) يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنهما اثما يريد جزاء الاثم وقال ابو عبيدة الاثام العقوبة وقال مجاهد الاثام واد فى جهنم يروى ذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص ويروى فى الحديث الغى والاثام بئران يسيل فيهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) قرأ ابن عامر وأبو بكر يضاعف ويخلد برفع الفاء والدال على الابتداء وشدد ابن عامر يضعف وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) قال قتادة الا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه اخبرنا ابو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى اخبرنى ابو الحسين بن محمد ابن عبد الله ثنا موسى بن محمد ثنا موسى بن هرون الحمال ثنا ابراهيم بن محمد الشافعى ثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر عن على بن يزيد عن يوسف محمد بن مهران عن ابن عباس قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الا من تاب وآمن وعمل

عملا صالحا فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط كفرحه بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) فذهب جماعة الى ان هذا التبديل فى الدنيا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدى والضحاك يبدلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الاعمال فى الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانهم ويقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقال قوم يبدل الله سيآتهم التى عملوها فى الاسلام حسنات يوم القيامة وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول يدل عليه ما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى انا ابو القاسم على بن أحمد الخزاعى انا الهيثم بن كليب انا ابو عيسى الترمذى ثنا ابو عمار الحسين

ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى ومن يفعل شيأ من ذلك يلق أثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام واد فى جهنم ويروى فى الحديث ان الغى والاثام بئران فى جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصى مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويخلد فيه مهانا) أى ذليلا * قوله تعالى (الا من تاب) أى عن ذنبه (وآمن) يعنى بربه (وعمل عملا صالحا) أى فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الا من تاب فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل ما فرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الاعمال فى الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيآتهم التى عملوها فى الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يمحو بالندم جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا فى التوبة من غير ما سبق ذكره فى الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعنى أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب الى الله) أى يعود اليه بعد الموت (متابا) أى حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالاية الاولى وهى قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافاة وقيل هذه الآية أيضا فى التوبة عن جميع السيآت ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أى تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان

توبته ابن خريت ثنا وكيع ثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر رجل يخرج من النار يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول رب ان لى ذنوبا ما أراها ههنا قال أبو ذر لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقال بعضهم ان الله عز وجل يمحو بالندم جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة قوله عز وجل (ومن تاب وعمل صالحا) قال بعض أهل العلم هذا فى التوبة عن غير ما سبق ذكره فى الآية الاولى من القتل والزنا يعنى من تاب من الشرك وعمل صالحا أى أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب الى الله) أى يعود اليه بعد الموت (متابا) حسنا يفضل به على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الاولى وهو قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانى رجوع الى الله للجزاء والمكافأة وقال بعضهم هذه الاية أيضا فى التوبة عن جميع السيآت ومعناه ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله وقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أى ليتب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله

(والذين لا يشهدون الزور) قال الضحاك وأكثر المفسرين يعني الشرك وقال علي بن طلحة يعني شهادة الزور وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في السوق وقال ابن جريج يعني الكذب وقال مجاهد يعني أعياد المشركين وقيل النوح قال قتادة لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق (واذا مروا باللغو مروا كراما) قال مقاتل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد نظيره قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه قال السدي وهي منسوخة بآية القتال قال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها يعني اذا مروا بمجلس اللهو والباطل مروا كراما مسرعين معرضين يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه وأكرم نفسه عنه (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا) لم يقعوا ولم يسقطوا (عليها صما وعميانا) كأنهم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه قال القتيبي لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا) قرأ بغير ألف أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وقرأ الباقون بالألف على الجمع (قرة أعين) يعني أولادا أبرارا أتقياء يقولون اجعلهم صالحين فتقر أعيننا بذلك قال القرظي ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل وقاله الحسن ووحد القرة لانها مصدر وأصلها من القر لان العرب تتأذى من الحر وتستروح الى البرد وتذكر قرة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار وقال الازهري معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين اماما) يعني أئمة يقتدون في الخير بنا ولم يقل أئمة كقوله تعالى انا رسول رب العالمين وقيل أراد أئمة كقوله فانهم عدو لي يعني أعداء ويقال أمرناهؤلاء أي أمر أوناوقيل لانه مصدر كالصيام والقيام يقال أم اماما كما يقال قام قياما وصام صياما قال الحسن نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هداة كما قال وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ولا تجعلنا أئمة ضلالة كما قال وجعلناهم أئمة يدعون الى النار وقيل هذا من المقلوب يعني واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم وهو قول مجاهد (أولئك يجزون) يعني ينالون (الغرفة) يعني الدرجة الرفيعة في الجنة والغرفة كل بناء مرتفع عال وقال عطاء يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت في الجنة (بما صبروا) يعني على طاعة

توبته ومصيره الى الله تعالى * قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وقيل لا يشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق (واذا مروا باللغو) هو كل ما يجب أن يلغى ويترك (مروا كراما) يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما أي مسرعين معرضين وهو أن ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه انه ليس فيه نفي الخرور انما هو اثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها أكبوا على استماعها بآذان واعية وأقبلوا على الذكر بها بعيون مبصرة راعية وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كأنهم بآذانهم صمم وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه * قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) يعني أبرارا أتقياء صالحين فيقرون أعيننا بذلك قيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين اماما) يعني يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين ونقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله أن يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم (أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت في الجنة (بما صبروا) يعني على طاعة

(ويلقون فيها) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الياء وتخفيف القاف كما قال فسوف يلقون غيا وقرأ الآخرون بضم الياء وتشديد القاف كما قال ولقاهم نضرة وسرورا وقوله (تحية) أي ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي يسلم بعضهم على بعض وقال الكلبي يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل الرب اليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة (قل ما يعبأ بكم ربي) قال مجاهد وابن زيد أي ما يصنع وما يفعل بكم قال أبو عبيدة يقال ما عبأت به شيئا أي لم أعده فوجوده وعدمه سواء مجازه أي وزن وأي مقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا عبادتكم وقيل لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام فاذا آمنتم ظهر لكم قدر وقال قوم معناها قل ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم اياه يعني انه خلقكم لعبادته كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقال قوم قل ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة أو ما يفعل بعذابكم لولا شركم كما قال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقيل ما يعبأ بعذابكم لولا دعاؤكم اياه في الشدائد كما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله وقال فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون وقيل قل ما يعبأ

بكم ربي لولا دعاؤكم يقول ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم (فقد كذبتم) أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم بالرسول الى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبكم لزاما قال ابن عباس موتا وقال أبو عبيدة هلاكا وقال ابن زيد قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقال ابن جرير عذابا دائما وهلاكا مقيما يلحق بعضكم ببعض واختلفوا فيه فقال قوم هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد ومقاتل يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف رواية أنا محمد بن اسمعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الاعمش عن مسروق قال قال عبد الله خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام وقيل اللزام هو عذاب الآخرة

﴿سورة الشعراء مكية﴾

الا أربع آيات من آخر السورة من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون مائتان وسبع وعشرون آية وروينا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر طسم وطس وحم ويس بكسر الطاء والياء والحاء وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر وقرأ الآخرون بالفتح على التفخيم وأظهر النون من السين عند الميم في طسم أبو جعفر وحمزة وأخفاها الآخرون وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وروى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من أسماء القرآن وقال مجاهد اسم للسورة قال محمد بن كعب القرظي أقسم الله بطوله وسنائه وملكه

الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل عما صبروا عن الشهوات (ويلقون فيها تحية) أي ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات * قوله تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة * قوله تعالى (قل ما يعبأ بكم ربي) أي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) اياه قيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا دعاؤه اياكم الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبأ أي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم (فقد كذبتم) أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم الى توحيده وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مقيما يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الشعراء﴾

وهي مكية الا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي

(تلك) أى هذه (آيات الكتاب المبين لعلك باخع) قاتل (نفسك ألا يكونوا مؤمنين) أى ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الآية (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) قال قتادة لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى معصية الله وقال ابن جريج معناه لو شاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية وقوله عز وجل خاضعين ولم يقل خاضعة وهى صفة الاعناق ففيه أقاويل أحدها أراد أصحاب الاعناق فحذف الاصحاب وأقام الاعناق مقامهم لان الاعناق اذا خضعت فاربابها خاضعون جعل الفعل أولا للاعناق ثم جعل خاضعين للرجال وقال الاخفش رد الخضوع على المضمر الذى أضاف الاعناق اليه وقال قوم ذكر الصفة لمجاورتها المذكر وهو قولهم على عادة العرب فى تذكير المؤنث اذا أضافوه الى مذكر وتانيث المذكر اذا أضافوه الى مؤنث وقيل أراد فظلوا خاضعين فعبروا بالعنق عن جميع البدن كقوله ذلك بما قدمت يداك

رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه (تلك آيات) أى هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام (لعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك (ألا يكونوا مؤمنين) أى ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أى لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية * فان قلت كيف صح مجىء خاضعين خبرا عن الاعناق * قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أولما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم أى فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أى جماعة * قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن) أى وعظ وتذكير (محدث) أى محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) أى عن الايمان به (فقد كذبوا فسيأتيهم) أى فسوف يأتيهم (أنباء) أى اخبار وعواقب (ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض) يعنى المشركين (كم أنبتنا فيها) أى بعد أن لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أى جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام وقال الشعبى الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (ان فى ذلك) أى الذى ذكر (لآية) تدل على انه واحد أى دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أى سبق علمى فيهم ان اكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون (وان ربك لهو العزيز) أى المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لاوليائه * قوله تعالى (واذ نادى) أى واذكر يا محمد اذ نادى (ربك موسى) أى حين رأى الشجرة والنار (أن ائت القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى وظلموا بنى اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون) يعنى القبط (ألا يتقون) أى يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به (قال) يعنى موسى (رب) أى يارب (انى أخاف أن يكذبون

وألزمناه طائره فى عنقه وقال مجاهد أراد بالاعناق الرؤساء والكبراء أى فظلت كبراؤهم خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء القوم عنقا عنقا أى جماعات وطوائف وقيل انما قال خاضعين على وفاق رؤس الآى ليكون على نسق واحد (وما يأتيهم من ذكر) وعظ وتذكير (من الرحمن محدث) أى محدث انزاله فهو محدث فى التنزيل قال الكلبى كلما نزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) أى عن الايمان به (فقد كذبوا. فسيأتيهم) أى فسوف يأتيهم (أنباء) أخبار وعواقب (ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف وضرب (كريم) حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام يقال نخلة كريمة اذا طاب حملها وناقة كريمة اذا كثر لبنها قال الشعبى الناس من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (ان فى ذلك) الذى ذكرت (لاية) دلالة على وجودى وتوحيدى وكمال قدرتى (وما كان أكثرهم مؤمنين) مصدقين أى سبق علمى فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون وقال سيبويه كان ههنا صلة مجازه وما أكثرهم مؤمنين (وان ربك لهو العزيز) العزيز بالنقمة من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة بأوليائه قوله عز وجل (واذ نادى ربك موسى) واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار (أن ائت القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بنى اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون ألا يتقون) ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته (قال) يعنى موسى (رب انى أخاف أن يكذبون

و يضيق صدرى) بتكذيبهم اياى (ولا ينطلق لسانى) قال هذا للعقدة التى كانت على لسانه قرأ يعقوب و يضيق ولا ينطلق بنصب القافين على معنى وأن يضيق وقرأ العامة برفعهما ردا على قوله انى أخاف (فأرسل الى هرون) ليوازرنى و يظاهرنى على تبليغ الرسالة (ولهم على ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فأخاف أن يقتلون) أى يقتلونى به (قال) الله تعالى (كلا) أى لن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون) سامعون ما يقولون ذكرهم بلفظ الجمع وهما اثنان اجراهما مجرى الجماعة وقيل أراد معكما ومع بنى اسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون (فائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) و لم يقل رسولا رب العالمين لانه أراد الرسالة أى انا ذوا رسالة رب العالمين كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أى بالرسالة وقال أبو عبيدة يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولى ووكيلى وهذان وهؤلاء رسولى ووكيلى كما قال الله تعالى وهم لكم عدو

وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل) أى بأن أرسل (معنا بنى اسرائيل) أى الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى الى مصر وهرون بها فاخبره بذلك وفى القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفى يده عصا والمكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هرون بان الله أرسلنى الى فرعون وأرسلنى اليك حتى ندعو فرعون الى الله فخرجت أمهما وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما اليه قتلكما فلم يمتنعا لقولها وذهبا الى باب فرعون ليلا ودقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب و روى انه اطلع البواب عليهما فقال من أنتما فقال موسى انا رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فنزل حتى أصبح ثم دعاهما وروى انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول عليه فدخل البواب وقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه وأديا رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته فقال (ألم نربك فينا وليدا) صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) وهو ثلاثون سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتله القبطى (وأنت من الكافرين) قال الحسن والسدى يعنى وأنت من الكافرين بالهك الذى تدعيه ومعناه على ديننا هذا الذى تعيبه وقال أكثر المفسرين معنى قوله وأنت من الكافرين يعنى من الجاحدين لنعمتى وحق تربيتى يقول ربيناك فينا فكافأتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهذا رواية العوفى عن ابن عباس وقال ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية

و يضيق صدرى) أى بتكذيبهم اياى (ولا ينطلق لسانى) أى للعقدة التى كانت على لسانه (فارسل الى هرون) ليوازرنى و يعيننى على تبليغ الرسالة (ولهم على ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فأخاف أن يقتلون) أى به (قال) الله تعالى (كلا) أى لن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون) أى سامعون ما تقولون وما يقال لكم * فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع فى قوله معكم وهما اثنان * قلت أجراهما مجرى الجماعة وهو جائز فى لغة العرب (فائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) * فان قلت هلا ثنى الرسول كما فى قوله فائتياه فقولا انا رسولا ربك * قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل و بمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوا رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بشئ ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة وقيل انهما لاتفاقهما فى الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كأنهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) أى خلهم واطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهرون بها فأخبره بذلك وفى القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفى يده عصاه والمكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هرون ان الله قد أرسلنى الى فرعون وأرسل اليك ندعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمتنع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البوابون الى فرعون وقالوا ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون وأديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته فقال (ألم نربك فينا وليدا) يعنى صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) أى ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتلت القبطى (وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتى وحق تربيتى يقول ربيناك

(قال) موسى (فعلتها اذا) اى فعلت ما فعلت حينئذ (وأنا من الضالين) أى من الجاهلين لم يأتنى من الله شئ وقيل من الجاهلين بان ذلك يؤدى الى قتله وقيل من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد وقيل من المخطئين (ففررت منكم لما خفتكم) الى مدين (فوهب لى ربى حكما) يعنى النبوة وقال مقاتل يعنى العلم والفهم (وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل) اختلفوا فى تاويلها فحملها بعضهم على الاقرار و بعضهم على الانكار فمن قال هو اقرار قال عدّها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بنى اسرائيل و لم يستعبده كما استعبد بنى اسرائيل مجازه بلى وتلك نعمة لك على أن عبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى ومن قال هو انكار قال قوله وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام أى أوتلك نعمة حذف ألف الاستفهام كقوله فهم الخالدون قال الشاعر

تروح من الحى أم تبكر * وماذا يضرك لو تنتظر أى تروح من الحى

قال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقفتها
وطرفها فى دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة
تتركنى هكذا وتنطلق

فينا فكافأتنا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا وهى رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وأنت من الكافرين بفرعون والهيته (قال) يعنى موسى (فعلتها اذا وأنا من الضالين) أى من الجاهلين بأن ذلك يؤدى الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين (ففررت منكم) أى الى مدين (لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) يعنى النبوة وقيل العلم والفهم (وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل) أى اتخذتهم عبيدا قيل عدّها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بنى اسرائيل و لم يستعبده كما استعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية أوتلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقفتها * وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة * تتركنى هكذا وتنطلق

أى أتتركنى والمعنى أتمنّ علىّ ان ربيتنى وتنسى جنايتك على بنى اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمنّ علىّ بالتربية وقد استعبدت قومى ومن أهين قومه فقد ذل فتعبد بنى اسرائيل قد أحبط حسناتك الى ولو لم تستعبدهم و لم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى تربينى وتكفلنى ولكان لى من أهلى من يربينى و لم يلقونى فى اليم (قال فرعون ومارب العالمين) يقول أى شئ رب العالمين الذى تزعم انك رسوله أى يستوصفه إلهه الذى أرسله اليه وهو سؤال عن جنس الشئ والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التى تعجز الخلائق عن الاتيان بمثلها (قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) انه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان أيقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السؤال الا ما ذكرته من الجواب وقال أهل المعانى أى كما توقنون هذه الاشياء التى تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذى خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون فى جواب موسى (قال لمن حوله) أى من أشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة (ألا تستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعنى انى انما أطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبنى بأفعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى فى البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعنى ان موسى ذكر ما هو

اتخذته عبدا (قال فرعون ومارب العالمين) يقول أى شئ رب العالمين الذى تزعم انك رسوله الىّ يستوصفه الهه الذى أرسله اليهم هو سؤال عن جنس الشئ والله منزه عن الجنسية فاجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التى يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها (قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) انه خالقها قال أهل المعانى أى كما توقنون هذه الاشياء التى تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هو الله عزوجل فلما قال موسى ذلك تحير فرعون فى جواب موسى (قال لمن حوله) من أشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة قال لهم فرعون استبعادا لقول موسى (ألا تستمعون) وذلك انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم فزادهم موسى فى البيان فقال (ربكم ورب آبائكم الاولين

قال) يعنى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) يتكلم بكلام لا نعقله ولا نعرف محته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد موسى فى البيان فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فقال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) من المحبوسين قال الكلبى كان سجنه أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى مكان وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيئا من عمقه يهوى فى الارض فقال) له موسى حين توعده بالسجن

(أولو جئتك) أى وان جئتك (بشئ مبين) بآية مبينة ومعنى الآية أتفعل ذلك وان أتيتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان فقال) له فرعون (فأت به) فانا لن نسجنك حينئذ (ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) فقال وهل غيرها (ونزع) موسى (يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فقال) فرعون (للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) وهو يوم الزينة وروى عن ابن عباس قال وافق ذلك اليوم يوم السبت فى أول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) لتنظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى وقيل انما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء وأرادوا بالسحرة موسى وهرون

أقرب اليهم فقال ربكم يعنى انه خالقكم وخالق آبائكم الاولين (قال) يعنى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) يعنى المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه و يتكلم بكلام لا نقبله ولا نعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد فى البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت (قال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى مكان يهوى فيه الى الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين توعده بالسجن (أولو جئتك بشئ مبين) أى بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك ولو جئتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان (قال) يعنى فرعون (فأت به) أى ان الى نسجنك حينئذ (ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) قيل انها لما صارت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذى أرسلك الا أخذتها فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملأ حوله ان هذا لساحر عليم) يعنى موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى (فماذا تأمرون) يعنى ما رأيكم فيه وما الذى أعمله فعند ذلك (قالوا أرجه وأخاه) أى أخره وأخاه (وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة فى أمره ولكن أخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة * قوله تعالى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت فى أول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أى لتنظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأكده بقوله (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون) أى بعظمة فرعون (انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون) أى ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هى كما كانت أول مرة (فألقى السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لما تمالكوا أن خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية

وقومهما (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون

قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير
لا ضرر (انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (أول المؤمنين) من أهل زماننا (وأوحينا الى موسى أن أسر
بعبادي انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر وروى عن ابن جريج قال أوحى الله تعالى الى موسى أن اجمع
بني اسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضان فاضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة فلا يدخلوا بيتا على بابه دم
وسآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري
ففعل ذلك فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا فارسل في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك
مسوّر مع كل ملك ألف وخرج فرعون في الكرسي العظيم (فارسل فرعون في المدائن حاشرين) يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة
وقيل حتى يجمعوا له الجيش وذكر بعضهم انه كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية (٩٧) وقال لهم (ان هؤلاء لشرذمة)

فأرادوا عزله (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق
وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير
انا الى ربنا منقلبون) أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا في الآخرة مؤمنين
مؤملين غفرانه وهو قولهم (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أي الكفر والسحر (أن) أي لان (كنا أول
المؤمنين) أي من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع * قوله تعالى
(وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج
قيل أوحى الله الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن
فاضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وآمرهم أن لا يدخلوا
بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري
ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم
خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا
من أنفسنا وأخذوا أموالنا (فارسل فرعون في المدائن حاشرين) يعني الشرط يحشرون الجيش قيل
كانت المدائن ألف مدينة واثني عشر ألف قرية فارسل فرعون في اثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة
ألف وخرج فرعون في الكرسي العظيم في مائتي ألف ملك مسوّرين مع كل ملك ألف فذلك قال (ان هؤلاء
لشرذمة قليلون) قال أهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعدوا دون
العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون
(وانهم لنا لغائظون) الغيظ الغضب يعني انهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبكارنا وذهابهم باموالنا التي
استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير اذن منا (وانا لجميع حذرون) أي خائفون من شرهم وقرئ حاذرون
أي ذوو قوة وأداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح
والحذر الذي لا تلقاه الا خائفا (فاخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافتي النيل
فيها عيون وأنهار جارية (وكنوز) يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد
حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف
غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أي مجلس

عصابة (قليلون) والشرذمة
القطعة من الناس غير الكثير
وجمعها شراذم قال أهل
التفسير كانت الشرذمة الذين
قللهم فرعون ستمائة ألف
وعن ابن مسعود قال كانوا
ستمائة وسبعين ألفا ولا
يحصى عدد أصحاب فرعون
(وانهم لنا لغائظون) يقال
غاظه وأغاظه وغيظه اذا
أغضبه والغيظ والغضب
واحد يقول أغضبونا بمخالفتهم
ديننا وقتلهم أبكارنا وذهابهم
بأموالنا التي استعاروها
وخروجهم من أرضنا بغير
اذن منا (وانا لجميع حذرون)
قرأ أهل الحجاز والبصرة
حذرون وفرهين بغير ألف
وقرأ الآخرون حاذرون
وفارهين بالالف فيهما وهما
لغتان وقال أهل التفسير
حاذرون أي مؤدون
ومقوون أي ذووا أداة وقوة
مستعدون شاكون في

السلاح ومعنى حذرون أي خائفون شرهم وقال الزجاج الحاذر
المستعد والحذر المستيقظ وقال الفراء الحاذر الذي يحذرك الآن والحذر المخوف وكذلك لا تلقاه الا حذرا والحذر اجتناب الشيء خوفا منه
(فاخرجناهم من جنات) وفي القصة ان البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل (وعيون) أنهارا جارية (وكنوز) يعني الاموال الظاهرة من
الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام
كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب (ومقام كريم) أي مجلس حسن قال المفسرون أراد مجالس الامراء والرؤساء التي
كانت تحفها الاتباع وقال مجاهد وسعيد بن جبير هي المنابر وذكر بعضهم انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس
عليها الاشراف عليهم الاقبية من الديباج مخوّصة بالذهب

(كذلك) كما وصفنا (وأورثناها) بهلاكهم (بنى اسرائيل) وذلك ان الله تعالى رد بنى اسرائيل الى مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه فملكهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والمساكن (فاتبعوهم مشرقين) يعنى لحقوهم فى وقت اشراق الشمس وهو اضاءتها أى أدرك قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) يعنى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه وكسر حمزة الراء من تراءى وفتحها الآخرون (قال أصحاب موسى انا لمدركون) يعنى سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم (قال) موسى ثقة بوعد الله اياه (كلا) لن يدركونا (ان معى ربى سيهدين) يدلنى على طريق النجاة (فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) يعنى فضربه فانفلق فانشق (فكان كل فرق) قطعة من الماء (كالطود العظيم) (٩٨) كالجبل الضخم قال ابن جريج وغيره لما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح والبحر يرمى بموج مثل الجبال فقال يوشع يا مكلم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يوارى حافر دابته الماء وقال الذى يكتم ايمانه يا مكلم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم أقحمه البحر فارتسب فى الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده (وأزلفنا ثم) يعنى قربنا (الآخرين) يعنى قوم فرعون يقول قدمناهم الى البحر وقربناهم الى الهلاك وقال أبو عبيدة وأزلفنا جمعنا ومنه ليلة المزدلفة أى ليلة الجمع وفى القصة ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين قوم فرعون وكان يسوق بنى اسرائيل ويقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان يزع (قال) قوم فرعون وكانوا يقولون ما رأينا أحسن زعة من هذا (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه وقال سعيد بن جبير كان البحر ساكنا قبل ذلك فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب فجعل يمد ويجزر (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أى من أهل مصر قيل لم يكن آمن من أهل مصر الا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن ومريم بنت ماموبا التى دلت على عظام يوسف عليه السلام (وان ربك لهو العزيز الرحيم) العزيز فى الانتقام من أعدائه الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم قوله (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون) أى شئ تعبدون (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) يعنى نقيم على عبادتها قال بعض أهل العلم انما قال فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار

حسن قيل أراد مجالس الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التى فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) أى كما وصفنا (وأورثناها بنى اسرائيل) وذلك ان الله عز وجل رد بنى اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة (فاتبعوهم مشرقين) أى لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فلما تراءى الجمعان) يعنى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) أى موسى لثقته بوعد الله تعالى اياه (كلا) أى لن يدركونا (ان معى ربى سيهدين) يعنى يدلنى على طريق النجاة (فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) أى فضربه فانشق (فكان كل فرق) أى قطعة من الماء (كالطود) أى الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمى بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لا يوارى حافر دابته وقال الذى يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه فضمه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب فى الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده (وأزلفنا ثم الآخرين) يعنى قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويقول للقبط رويدا يلحق آخركم أولكم فكان بنو اسرائيل يقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون ما رأينا أحسن دعة من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) يعنى انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا فى البحر انطبق عليهم فاغرقهم (ان فى ذلك لاية) يعنى ما حدث فى البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) يعنى أهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم ابنة ماموبا التى دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر (وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون) يعنى أى شئ تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة للاصنام ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) يعنى نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل

(قال هل يسمعونكم) أي هل يسمعون دعاءكم (اذ تدعون) قال ابن عباس يسمعون لكم (أو ينفعونكم) قيل بالرزق (أو يضرون) ان تركتم عبادتهم (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) معناه انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا لكن اقتدينا بآبائنا فيه ابطال التقليد في الدين (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) الاولون (فانهم عدو لي) يعني أعدائي ووحده على معنى ان كل معبود لكم عدو لي فان قيل كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جمادات قيل معناه فانهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة كما قال تعالى سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أراد فاني عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك وقيل فانهم عدو لي على معنى اني لا أنوهم ولا أطلب من جهتهم نفعا كما لا يتولى العدو ولا يطلب من جهته النفع قوله (الا رب العالمين) اختلفوا في هذا الاستثناء قيل هو استثناء منقطع كانه قال فانهم عدو لي لكن رب العالمين ولي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله فقال ابراهيم كل من تعبدونا أعدائي الا رب العالمين وقيل انهم غير معبود لي الا رب العالمين فاني أعبده وقال الحسين بن الفضل معناه الا من عبد رب العالمين ثم وصف معبوده فقال (الذي خلقني فهو يهدين) أي يرشدني الى طريق النجاة (والذي هو يطعمني ويسقين) أي يرزقني ويغذوني بالطعام والشراب فهو رازقي ومن عنده رزقي (واذا مرضت) أضاف المرض الى نفسه وان كان المرض والشفاء كله من الله استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر فاردت أن أعيبها وقال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما (فهو يشفين) أي يبرئني من المرض (والذي يميتني ثم يحيين) أدخل ثم ههنا للتراخي أي يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة (والذي أطمع) أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي خطاياي يوم الحساب قال مجاهد هو قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي وزاد الحسن وقوله للكوكب هذا ربي أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص بن غياث عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين فهل ذاك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه واخبار انه لا تصلح الالهية الا لمن يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقال مقاتل الفهم والعلم وقال الكلبي النبوة (وألحقني بالصالحين) بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة (واجعل لي لسان صدق في الاخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجيء بعدي فاعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الاديان يتولونه ويثنون عليه قال القتيبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لان القول يكون به (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي ممن تعطيه جنة النعيم (واغفر لابي انه كان من الضالين) وقال هذا قبل أن يتبين له انه عدو لله كما سبق ذكره في سورة التوبة

(قال هل يسمعونكم) يعني يسمعون دعاءكم (اذ تدعون أو ينفعونكم) يعني بالرزق (أو يضرون) يعني ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمتهم الحجة القاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) أي الاولون (فانهم عدو لي) أي أعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس * فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل * قلت معناه فانهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء أطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فاني عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك (الا رب العالمين) أي ولكن رب العالمين فانه ربي ووليي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ما تعبدون أعداء لي الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال (الذي خلقني فهو يهدين) الى طريق النجاة (والذي هو يطعمني ويسقين) أي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب (واذا مرضت) أصابني مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) أي يبرئني ويعافيني من المرض (والذي يميتني ثم يحيين) أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الاخرة (والذي أطمع) أي أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذبانه الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (وألحقني بالصالحين) أي بمن سلف قبلي من الانبياء في المنزلة والدرجة العالية (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجيء بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويثنون عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابي انه كان من الضالين) قيل دعا لابيه على رجاء

(ولا تخزني) لا تفضحني (يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) أي خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فلا يسلم منها أحد هذا قول أكثر المفسرين قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى في قلوبهم مرض قال أبو عثمان النيسابوري هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السنة (وأزلفت) قربت (الجنة للمتقين وبرزت) أظهرت (الجحيم للغاوين) للكافرين (وقيل لهم) يوم القيامة (أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) يمنعونكم من العذاب (أو ينتصرون) لانفسهم (فكبكبوا فيها) قال ابن عباس جمعوا وقال مجاهد دهوروا وقال مقاتل قذفوا وقال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال القتيبي ألقوا على رؤسهم (هم والغاوون) يعني الشياطين قاله قتادة ومقاتل وقال الكلبي كفرة الجن (وجنود ابليس أجمعون) وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والانس ويقال ذريته (قالوا) أي قال الغاوون للشياطين والمعبودين (وهم فيها يختصمون) مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضا (تالله ان كنا لفي ضلال مبين) اذ نسويكم) نعدلكم (برب العالمين) فنعبدكم (وما أضلنا) أي ما دعانا الى الضلال (الا المجرمون) قال مقاتل يعني الشياطين وقال الكلبي الأولونا الذين اقتدينا بهم وقال أبو العالية وعكرمة يعني ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين) أي من يشفع لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين (ولا صديق حميم) أي قريب يشفع لنا يقوله الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق هو الصادق في المودة بشرط الدين أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا محمد بن الحسين اليقطيني أنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد ابن مسلم ثنا من سمع أبا الزبير يقول أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) أي انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم * قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) أي كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة * فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص * قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ

أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ولا تخزني) أي ولا تفضحني (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) أي خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمئن الى السنة (وأزلفت الجنة) أي قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) أي أظهرت (للغاوين) أي للكافرين (وقيل لهم) يعني يوم القيامة (أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) أي يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لانفسهم (فكبكبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم (فيها) أي في جهنم (هم والغاوون) يعني الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس أجمعون) يعني أتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعني العابدين والمعبودين (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم) أي نعدلكم (برب العالمين) فنعبدكم (وما أضلنا) يعني دعانا الى الضلال (الا المجرمون) يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين) يعني من يشفع لنا يعني كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولا صديق حميم) أي قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق هو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) أي انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم * قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) قيل للحسن البصري يا أبا سعيد أرأيت قوله كذبت قوم نوح المرسلين وكذبت عاد المرسلين وكذبت ثمود المرسلين وانما أرسل اليهم رسول واحد قال ان الآخر جاء بما جاء به الاول فاذا كذبوا واحدا فقد كذبوا الرسل أجمعين (اذ

قال لهم أخوهم) فى النسب لا فى الدين (نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين) على الوحى (فاتقوا الله) بطاعته وعبادته (وأطيعون) فيما آمركم به من الايمان والتوحيد (وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى) ثوابى (الا على رب العالمين فاتقوا الله) بطاعته وعبادته (وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) قرأ يعقوب وأتباعك الارذلون السفلة وعن ابن عباس قال الصاغة وقال عكرمة الحاكة والاساكفة (قال) نوح (وما علمى بما كانوا يعملون) أى ما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس على من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شئ انما كلفت أن أدعوهم الى الله ولى منهم ظاهر أمرهم (ان حسابهم) ما حسابهم (الا على ربى لو تشعرون) لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم قال الزجاج الصناعات لا تضر فى الديانات وقيل معناه أى لم أعلم ان الله يهديهم و يضلكم و يوفقهم و يخذلكم (وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) قال مقاتل والكلبى من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك من المشتومين (قال رب ان قومى كذبون فافتح) فاحكم (بينى و بينهم فتحا) حكما (ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها (ثم أغرقنا بعد الباقين) أى أغرقنا بعد انجاء نوح وأهله من بقى من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم) يعنى فى النسب لا فى الدين (هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين) على الرسالة قال الكلبى أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تتهمونى اليوم (فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) قال الواقدى عن ابن عباس بكل شرف وقال الضحاك ومقاتل والكلبى بكل طريق وهو رواية العوفى عن ابن عباس وعن مجاهد قال هو الفج بين الجبلين وعنه أيضا انه المنظرة (آية) علامة (تعبثون) بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم و يعبثوا بهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد هذا فى بروج الحمام أنكر عليهم هود اتخاذها بدليل قوله تعبثون أى تلعبون وهم كانوا يلعبون بالحمام وقال أبو عبيدة الريع المكان المرتفع (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس ابنية وقال مجاهد قصورا مشيدة وعن الكلبى انها الحصون وقال قتادة ماء خذ الماء يعنى الحياض واحدتها مصنعة (لعلكم تخلدون) أى كانكم تبقون فيها خالدين والمعنى انهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون (واذا بطشتم) أى واذا أخذتم وسطوتم (بطشتم

قال لهم أخوهم نوح) أى أخوهم فى النسب لا فى الدين (ألا تتقون) أى ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصى (انى لكم رسول أمين) أى على الوحى وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أى بطاعته وعبادته (وأطيعون) أى فيما أمرتكم به من الايمان والتوحيد (وما أسئلكم عليه من أجر) أى من جعل وجزاء (ان أجرى) أى ثوابى (الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) قيل كرره ليؤكده عليهم و يقرره فى نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول ألا تتقون الله فى مخالفتى وأنا رسول الله ومعنى الثانى ألا تتقون الله فى مخالفتى وانى لست آخذ منكم أجرا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) أى السفلة قال ابن عباس يعنى القافة وقيل هم الحاكة والاساكفة (قال) يعنى نوحا (وما علمى بما كانوا يعملون) أى وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس على من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شئ انما كلفت أن أدعوهم الى الله تعالى وما لى الا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر فى الديانات وقيل معناه أنى لم أعلم أن الله يهديهم و يضلكم و يوفقهم و يخذلكم (ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون) أى لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أى عنى وقد آمنوا (ان أنا الا نذير مبين) معناه أخوف من كذبنى فمن آمن فهو القريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى (قالوا لئن لم تنته يا نوح) أى عما تقول (لتكونن من المرجومين) أى من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من المشتومين (قال رب ان قومى كذبون فافتح) أى احكم (بينى و بينهم فتحا) أى حكما (ونجنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) أى الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم أغرقنا بعد الباقين) أى بعد انجاء نوح ومن معه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين) أى أمين على الرسالة فكيف تتهمونى اليوم (فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) قال ابن عباس أى بكل شرف وفى رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع (آية) أى علامة وهى العلم (تعبثون) يعنى بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم و يعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم هو باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس أبنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل ماء خذ الماء يعنى الحياض (لعلكم تخلدون) أى كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون (واذا بطشتم) أى واذا أخذتم وسطوتم (بطشتم

جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) يعني بساتين وأنهار (اني أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتموني (عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا) يعني مستوعندنا (أوعظت أم لم تكن من الواعظين) الوعظ كلام يلين القلب يذكر الوعد والوعيد قال الكلبي نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا (ان هذا) ما هذا (الا خلق الاولين) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وحمزة وسهل خلق بفتح الخاء وسكون اللام أي اختلاق الاولين وكذبهم دليل هذه القراءة قوله تعالى وتخلقون افكا وقرأ الآخرون خلق بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا وأمرهم انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب (وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا) يعني في الدنيا (آمنين) من العذاب (في

جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) ثمرها يريد ما يطلع منها من الثمر (هضيم)

قال ابن عباس لطيف ومنه هضيم الكشح اذا كان لطيفا وروى عطية عنه يانع نضيج وقال عكرمة هو اللين وقال الحسن هو الرخو وقال مجاهد متهشم متفتت اذا مس وذلك انه ما دام رطبا فهو هضيم فاذا يبس فهو هشيم وقال الضحاك ومقاتل قد ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه بعضا أي كسره وقال أهل اللغة هو المنضم بعضه الى بعض في وعائه قبل ان يظهر وقال الازهري الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعومة وقيل هضيم أي هاضم يهضم الطعام وكل هذا للطافته (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وقرئ فارهين قيل معناهما واحد وقيل فارهين أي حاذقين بنحتها (فيأخذكم

جبارين) أي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر (فاتقوا الله وأطيعون) فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (اني أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتموني (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم أن (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي انهم أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما أورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد (ان هذا الا خلق الاولين) قرئ بفتح الخاء أي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم (وما نحن بمعذبين) أي انهم أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد (فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) أي في الدنيا من العذاب (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) أي ثمرها الذي يطلع منها (هضيم) قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج أو النعومة وقيل هو المدرك (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعكم (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا انما أنت من المسحرين) أي من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب (ما أنت الا بشر مثلنا) والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك (فأت بآية) يعني على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) يعني انك رسول الينا (قال هذه ناقة لها شرب) أي حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) أي بعقر

(فيأخذكم

من قولهم فره الرجل فراهة فهو فاره ومن قرأ فرهين قال ابن عباس أشرين بطرين وقال عكرمة ناعمين وقال مجاهد شرهين قال قتادة معجبين بصنيعكم قال السدي متجبرين وقال أبو عبيدة مرحين وقال الاخفش فرحين والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل مدحته ومدهته قال الضحاك كيسين (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم (الذين يفسدون في الارض) بالمعاصي (ولا يصلحون) لا يطيعون الله فيما أمرهم به (قالوا انما أنت من المسحرين) قال مجاهد وقتادة من المسحورين المخدوعين أي ممن يسحر مرة بعد مرة وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب يقال سحره أي علله بالطعام والشراب يريد انك تأكل الطعام وتشرب ولست بملك بل (ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية) على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) انك رسول الله الينا (قال هذه ناقة لها شرب) سقي ونصيب من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) بعقر

(فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين) على عقرها حين رأوا العذاب (فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله تعالى (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران) قال مقاتل يعنى جماع الرجل (من العالمين) يعنى من بنى آدم (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) قال مجاهد تركتم اقبال النساء الى أدبار الرجال (بل أنتم قوم عادون) معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) من قريتنا (قال انى لعملكم من القالين) المبغضين ثم دعا فقال (رب نجنى وأهلى مما يعملون) من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) وهى امرأة لوط بقيت فى العذاب والهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أى أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) قال وهب بن منبه الكبريت والنار (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذب أصحاب الايكة المرسلين) وهم قوم شعيب

(فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين) أى على عقرها لما رأوا العذاب (فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) يعنى نكاح الرجال من بنى آدم (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) يعنى أتتركون العضو المباح من النساء وتميلون الى أدبار الرجال (بل أنتم قوم عادون) أى معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) أى من قريتنا (قال انى لعملكم من القالين) أى من التاركين المبغضين (رب نجنى وأهلى مما يعملون) أى من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) أى امرأته (فى الغابرين) أى بقيت فى المهلكين (ثم دمرنا الآخرين) أى أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) يعنى الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذب أصحاب الايكة المرسلين) أى الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد (اذ قال لهم شعيب) لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وأرسل اليهم (ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) انما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص فى العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أى الناقصين لحقوق الناس فى الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أى بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) يعنى الخليقة والامم المتقدمة (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا) يعنى قطعا (من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون) يعنى من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب الى وما على الا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (ان فى

الايكة المرسلين) وهم قوم شعيب عليه السلام قرأ العراقيون الايكة ههنا وفى ص بالهمز وسكون اللام وكسر التاء وقرأ الاخرون ليكة بفتح اللام والتاء غير مهموز جعلوها اسم البلدة وهو لا ينصرف ولم يختلفوا فى سورة الحجر وق انهما مهموزان مكسوران والايكة الغيضة من الشجر الملتف (اذ قال لهم شعيب) ولم يقل أخوهم لانه لم يكن من أصحاب الايكة فى النسب فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيبا لانه كان منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة (ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين)

وانما كانت دعوة هؤلاء الانبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص فى العبادة والامتناع من أخذ الاجر على الدعوة وتبليغ الرسالة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة) الخليقة (الاولين) يعنى الامم المتقدمين والجبلة الخلق يقال جبل أى خلق (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون) أى من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب الى وما على الا الدعوة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) وذلك انه أخذهم حر شديد فكانوا يدخلون الانفاق فاذا دخلوها وجدوها أشد حرا فخرجوا فاظلتهم سحابة وهى الظلة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وقد ذكرناه فى سورة هود (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى

ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عزوجل (وانه) يعني القرآن (لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص نزل خفيف الروح الامين برفع الحاء والنون أي نزل جبريل بالقرآن وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي نزل الله به جبريل لقوله عزوجل وانه لتنزيل رب العالمين (على قلبك) يا محمد حتى وعيته (لتكون من المنذرين) المخوفين (بلسان عربي مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه (وانه) أي ذكر انزال القرآن قاله أكثر المفسرين وقال مقاتل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (لفي زبر) كتب (الاولين أو لم يكن لهم آية) قرأ ابن عامر تكن بالتاء آية بالرفع جعل الآية اسما وخبره أن يعلمه وقرأ الآخرون بالياء آية نصب جعلوا الآية خبر يكن معناه أو لم يكن لهؤلاء المتكبرين علم بني اسرائيل آية أي علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان العلماء الذين كانوا من بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وهم عبد الله بن سلام وأصحابه

قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا زمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه قوله تعالى (أن يعلمه) يعني يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (علماء بني اسرائيل) قال عطية كانوا خمسة عبد الله ابن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الاعجمين) جمع الاعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا ومعنى الاية ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان (فقرأه عليهم) بغير لغة العرب (ما كانوا به مؤمنين) وقالوا ما نفقه قولك نظيره قوله عزوجل ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب أي لما آمنوا به أنفة من اتباعه (كذلك سلكناه) قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) أي بالقرآن (حتى يروا العذاب الاليم) يعني عند الموت (فيأتيهم) يعني العذاب (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) به في الدنيا (فيقولوا هل نحن منظرون) أي لنؤمن ونصدق يتمنون الرجعة والنظرة قال مقاتل لما أوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى (أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين) كثيرة في الدنيا يعني كفار مكة ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعني بالعذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون) به في تلك السنين والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط

(وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل ينذرونهم (ذكرى) محلها نصب أى يذكرونهم تذكرة وقيل رفع أى تلك ذكرى (وما كنا ظالمين) فى تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا اليهم (وما تنزلت به الشياطين) وذلك ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فقال جل ذكره وما تنزلت به أى بالقرآن الشياطين (وما ينبغى لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) ذلك (انهم عن السمع) أى عن استراق السمع من السماء (لمعزولون) أى محجوبون بالشهب مرجومون (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) قال ابن عباس رضى الله عنهما يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علىّ ولو اتخذت الها غيرى لعذبتك (وأنذر عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن على بن أبى طالب قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعلى ان الله يأمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال لى يامحمد الا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به. ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس عنهما وأبو لهب فلما اجتمعوا اليه دعانى بالطعام الذى صنعته فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد ياعلى فان هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم

أى فى تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكونوا كأنهم لم يكونوا فى نعيم قط (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أى رسل ينذرونهم (ذكرى) أى تذكرة (وما كنا ظالمين) أى فى تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم (وما تنزلت به الشياطين) يعنى ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغى لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (انهم عن السمع لمعزولون) أى محجوبون بالرمى بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علىّ ولو اتخذت الها غيرى لعذبتك * قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعلى ان الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يامحمد ان لا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد ياعلى ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت من القوم فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعت فدعانى بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على أمرى هذا ويكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم فأحجم القوم عنها جميعا فقلت وأنا أحدثهم سنا يانبى الله أكون وزيرك عليه قال فأخذ برقبتى فقال ان هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد أمرك أن تسمع لعلى وتطيع أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة حدثنا الاعمش حدثنا عمرو ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم ان أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت يدا أبي لهب وقد تب هكذا قرأ الاعمش يومئذ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الاعمش حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش وقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن

عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين فقال يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيأ يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيأ يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيأ أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا أبو اسحق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي وألسنتهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا وانه قال ان كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال وانى خلقت عبادي حنفاء كلهم فاتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب وان الله تعالى أمرني ان أخوف قريشا فقلت يارب انهم اذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة فقال انما بعثتك لابتليك وابتلي بك وقد أنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه في المنام واليقظة فاغزهم نغزك وانفق ننفق عليك وابعث جيشا نمددك بخمسة أمثالهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك ثم قال أهل الجنة ثلاثة امام مقسط ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ورجل غني متعفف متصدق وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون بذلك أهلا ولا مالا ورجل ان أصبح أصبح يخادعك عن أهلك ومالك ورجل لا يخفى له طمع وان دق الا ذهب به والشنظير الفاحش وذكر البخل والكذب قوله عز وجل (واخفض جناحك) يعني ألن جانبك (لمن اتبعك من المؤمنين

فاعددلنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابني عبد المطلب اني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعا وأنا أحدثهم سنا فقلت أنا يارسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيأ ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيأ (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربد أهله فخشي ان يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولا وبالاقرب فالاقرب من أهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع (واخفض) أي ألن (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) * فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من المؤمنين * قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم

فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون) من الكفر وعبادة غير الله (وتوكل) قرأ أهل المدينة والشام فتوكل بالفاء وكذلك هو فى مصاحفهم وقرأ الباقون بالواو وتوكل (على العزيز الرحيم) ليكفيك كيد الاعداء (الذى يراك حين تقوم) الى صلاتك عن أكثر المفسرين وقال مجاهد الذى يراك أينما كنت وقيل حين تقوم لدعائهم (وتقلبك فى الساجدين) يعنى يرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك قال عكرمة وعطية عن ابن عباس فى الساجدين أى فى المصلين وقال مقاتل والكلبى أى مع المصلين فى الجماعة يقول يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين فى الجماعة وقال مجاهد يرى تقلب بصرك فى المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر من امامه أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لأراكم من وراء ظهرى وقال الحسن وتقلبك فى الساجدين أى تصرفك وذهابك ومجيئك فى أصحابك المؤمنين وقال سعيد بن جبير يعنى وتصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك والساجدون هم

وألسنتهم دون المؤمنين بألسنتهم وهم المنافقون (فان عصوك) يعنى فيما تأمرهم به (فقل انى برىء مما تعملون) يعنى من الكفر والمخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذى ينصرك عليهم برحمته (الذى يراك حين تقوم) الى صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك (وتقلبك فى الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لأراكم من وراء ظهرى وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقلبك فى أصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى أخرجك فى هذه الامة (انه هو السميع) يعنى لقولك ودعائك (العليم) يعنى بنيتك وعملك قل يا محمد (هل أنبئكم) يعنى أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل أفاك) يعنى كذاب (أثيم) يعنى فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) يعنى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله ابن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عمرو بن عبد الله الجمحى وأمية بن أبى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفى رواية ان رجلين أحدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (ألم تر أنهم فى كل واد) من أودية الكلام (يهيمون) يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب على وجهه

الانبياء وقال عطاء عن ابن عباس أراد تقلبك فى أصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى أخرجك فى هذه الآية (انه هو السميع العليم هل أنبئكم) هل أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب قولهم تتنزل عليه الشياطين ثم بين فقال (تنزل) أى تتنزل (على كل أفاك) كذاب (أثيم) فاجر قال قتادة هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون الى أوليائهم من الانس وهو قوله عز وجل (يلقون السمع) أى يستمعون من الملائكة مسترقين فيلقون الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا قوله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون

رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتل أسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وأمية بن أبى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويروون عنهم وذلك قوله والشعراء يتبعهم الغاوون هم الرواة الذين يروون هجاء النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وقال قتادة ومجاهد الغاوون هم الشياطين وقال الضحاك تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين ومع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية وهى رواية عطية عن ابن عباس (ألم تر أنهم فى كل واد) من أودية الكلام (يهيمون) حائرون وعن طريق الحق جائرون والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له قال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية فى كل لغو يخوضون وقال مجاهد فى كل فن يفتنون وقال

قتادة يمدحون بالباطل و يستمعون و يهجون بالباطل فالوادى مثل لفنون الكلام كما يقال أنا فى واد وأنت فى واد وقيل فى كل واد يهيمون أى على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافى (وأنهم يقولون مالا يفعلون) أى يكذبون فى شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة أخبرنا عبد الواحد المليحى انا ابو محمد عبد الرحمن بن أبى شريح أنا ابو القاسم البغوى ثنا على بن الجعد انا شعبة عن الاعمش عن ذكوان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية و يهجون الكفار و ينافحون عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو الحسين على بن عبد الله بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا احمد ابن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد أنزل فى الشعر ما أنزل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل اخبرنا عبد الله ابن عبد الصمد الجورجانى (١٠٨) انا ابو القاسم على بن أحمد الخزاعى انا الهيثم بن كليب انا ابو عيسى الترمذى ثنا اسحق بن منصور أنا عبد الرزاق أنا جعفر بن سليمان ثنا ثابت عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه و يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ... و يذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال النبى صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا حجاج ابن منهال ثنا شعبة اخبرنى عدى أنه سمع البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان اهجهم أو هاجهم وجبريل معك أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد رسول الجورجانى انا ابو القاسم الخزاعى انا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا اسمعيل بن موسى الفزارى وعلى بن حجر المعنى واحد قالا ثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثنى أبى عن جدى ثنا خالد بن زيد حدثنى سعيد بن أبى هلال عن عمارة بن غزية عن محمد بن ابراهيم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لافرينهم بلسانى فرى الاديم فقال رسول الله

لا مقصد له وقال ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل و يهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشئ ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادى مثل لفنون الكلام والغوص فى المعانى والقوافى (وأنهم يقولون مالا يفعلون) أى انهم يكذبون فى شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم و يحثون عليه وهم لا يفعلونه و يذمون البخل و يصرون عليه و يهجون الناس بأدنى شئ صدر منهم (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار و يهجون و ينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى ان كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل فى الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * و يذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل أخرجه الترمذى والنسائى وقال الترمذى وقد روى فى غير هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع و يوم مؤتة سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينافح و يقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجو قريشا فانه أشد عليها من رشق النبل فأرسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لافرينهم بلسانى فرى الاديم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بانسابها وان لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبى فأتاه حسان ثم رجع فقال يارسول الله قد لخص لى نسبك والذى بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
هجوت محمدا برّا تقيا * رسول الله شيمته الوفاء
فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
تكلت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع من طرفى كداء
يبارين الاعنة مصعدات * على أكنافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فان أعرضتم عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لضراب يوم * يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

﴿ فصل فى مدح الشعر ﴾ (خ) عن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت وراء النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا قال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد فى رواية لقد كاد يسلم فى شعره عن جابر ابن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبى كان

رسول الله شيمته الوفاء
فان أبى ووالدتى وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء

أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا ابو اليمان انا شعيب عن الزهرى أخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن أن مروان ابن الحكم أخبره ان عبد الرحمن بن الاسود ابن عبد يغوث أخبره ان أبى بن كعب أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة قالت عائشة رضى الله تعالى عنها الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبى كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول الشعر وكان عمر رضى الله تعالى عنه يقول الشعر وكان على رضى الله تعالى عنه أشعر الثلاثة وروى

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان ينشد الشعر فى المسجد ويستنشده فروى انه دعا عمر بن أبى ربيعة المخزومى فاستنشده القصيدة التى قالها فقال

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فأنشده ابن أبى ربيعة القصيدة الى آخرها وهى قريبة من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة

(وذكروا الله كثيرا) أى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (وانتصروا من بعد ما ظلموا) قال مقاتل انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال (وسيعلم الذين ظلموا) أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى منقلب ينقلبون) أى مرجع يرجعون بعد الموت قال ابن عباس رضى الله عنهما الى جهنم والسعير والله أعلم

﴿سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طس) قال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى وقد سبق الكلام فى حروف الهجاء (تلك آيات القرآن) أى هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) يعنى وآيات كتاب مبين (هدى و بشرى للمؤمنين) يعنى هو هدى من الضلالة و بشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة (الذين يقيمون الصلوة) أى يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها (و يؤتون الزكوة) يعطون ما وجب عليهم من زكاة أموالهم لاربابها (وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) القبيحة حتى رأوها حسنة (فهم يعمهون) أى يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) شدة العذاب فى الدنيا بالقتل والاسر ببدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) لانهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا الى النار (وانك لتلقى القرآن) أى تؤتى القرآن (من لدن حكيم عليم) أى وحيا من عند الله الحكيم العليم قوله عزوجل (اذ قال موسى لاهله) أى واذكر يا محمد اذ قال موسى لاهله فى مسيره من مدين الى مصر (انى آنست نارا) أى أبصرت نارا (سآتيكم منها بخبر) أى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق أو النار وكان قد ترك الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) قرأ أهل الكوفة بشهاب بالتنوين جعلوا القبس نعتا للشهاب وقرأ الآخرون الذين بلا تنوين على الاضافة وهو اضافة الشئ الى نفسه لان الشهاب والقبس متقاربان فى المعنى وهو العود الذى فى أحد طرفيه نار وليس فى الطرف الاخر نار وقال بعضهم الشهاب هو شئ ذو نور مثل العمود والعرب تسمى كل أبيض ذى نور شهابا والقبس القطعة من النار (لعلكم تصطلون) تستدفئون من البرد وكان ذلك فى شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها) أى بورك على من فى النار أو فى من فى النار والعرب تقول باركه الله و بارك فيه و بارك عليه بمعنى واحد وقال قوم البركة راجعة الى موسى والملائكة معناه بورك من فى طلب النار وهو

أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على أشعر منهما وروى عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر و يستنشده فى المسجد فيروى انه دعا عمر بن ربيعة المخزومى فاستنشده القصيدة التى قالها فقال

أمن آل نعمى أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فأنشده القصيدة الى آخرها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها مرة واحدة * قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) أى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (وانتصروا من بعد ما ظلموا) أى انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا) أى أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجاء (أى منقلب ينقلبون) أى أى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم و بئس المصير والله أعلم بمراده وأسراركتابه

﴿تفسير سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عزوجل (طس تلك آيات القرآن) أى هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) أى وآيات كتاب مبين (هدى و بشرى للمؤمنين) أى هو هدى من الضلالة و بشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلوة) أى الخمس بشرائطها (و يؤتون الزكوة) أى اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم (وهم بالاخرة هم يوقنون) يعنى ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) أى القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو أن يخلق الله العلم فى القلب بما فيه المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات (فهم يعمهون) أى يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أى أشده وهو القتل والاسر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أى انهم خسروا أنفسهم وأهليهم وسارروا الى النار * قوله تعالى (وانك لتلقى القرآن) أى تؤتاه وتلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) أى حكيم عليم بما أنزل اليك * فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم * قلت الحكمة هى العلم بالامور العلمية فقط والعلم أعم منه لان العلم قد يكون علما وقد يكون نظرا والعلوم النظرية أشرف (اذ قال) أى واذكر يا محمد اذ قال (موسى لاهله) أى فى مسيره بأهله من مدين الى مصر (انى آنست) أى أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) أى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذى فى أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) يعنى تستدفئون من البرد وكان فى شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار) يعنى بورك على من فى النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة

موسى عليه السلام ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار ومعناه بورك فيك يا موسى وفى الملائكة الذين حول النار وهذا تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة كما حيا ابراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ومذهب أكثر المفسرين ان المراد بالنار النور وذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة وذلك ان النور الذى رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وقيل من فى النار ومن حولها جميعا الملائكة وقيل من فى النار موسى ومن حولها الملائكة وموسى وان لم يكن فى النار كان قريبا منها كما يقال بلغ فلان المنزل اذا قرب منه وان لم يبلغه بعد وذهب بعضهم الى ان البركة راجعة الى النار وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال معناه بوركت النار وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سمعت أبيا يقرأ ان بوركت النار ومن حولها ومن قد يأتى بمعنى ما كقوله تعالى فمنهم من يمشى على بطنه وما قد يكون صلة فى الكلام كقوله جندما هنالك ومعناه بورك فى النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام وسمى النار مباركة كما سمى البقعة مباركة فقال فى البقعة المباركة وروى عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والحسن فى قوله بورك من فى النار يعنى قدس من فى النار وهو الله عنى به نفسه

الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة وذلك ان النور الذى رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك من فى النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس فى قوله بورك من فى النار يعنى قدس من فى النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روى انه مكتوب فى التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح فى الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم) قيل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه أنا الله وهذا تمهيد لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (وألق عصاك) تقديره فالقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها (ولى مدبرا) يعنى هرب من الخوف (ولم يعقب) يعنى لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالى (يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) يريد اذا أمنتهم لا يخافون أما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى انى ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما أخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا

على معنى انه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها كما روى انه مكتوب فى التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران فمجيئه من سيناء بعثه موسى منها ومن ساعين بعثه المسيح منها ومن جبال فاران بعثه المصطفى منها وفاران مكة قيل كان ذلك نوره عز وجل قال سعيد بن جبير كانت النار بعينها والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء فى الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال جل ذكره (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم) والهاء فى قوله انه عماد وليس بكناية وقيل هى كناية عن الامر والشأن أى الامر والشأن أى المعبود أنا ثم أرى موسى آية على قدرته فقال (وألق عصاك فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها (ولى مدبرا) وهرب من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع يقال عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب وقال قتادة ولم يلتفت فقال الله عز وجل (يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) يريد اذا آمنتهم لا يخافون أما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله وقوله (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) واختلف فى هذا الاستثناء قيل هذا اشارة الى أن موسى حين قتل القبطى خاف من ذلك ثم تاب فقال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما أخفتك لقتلك النفس وقال معنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة وفى الآية متروك استغنى عن ذكره بدلالة الكلام عليه تقديره فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى

غفور رحيم قال بعض العلماء ليس هذا باستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك في الكلام معناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف على غيرهم من الظالمين الا من ظلم ثم تاب وهذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فان الله غفور رحيم يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه وقال بعض النحويين الا ههنا بمعنى ولا يعني لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يقول لا يخاف لدى المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم يعني ولا الذين ظلموا ثم أراه الله آية أخرى فقال (وأدخل يدك في جيبك) والجيب حيث جبب من القميص أي قطع قال أهل التفسير كانت عليه (١١٢) مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار فادخل يده في جيبه وأخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق فذلك قوله (تخرج بيضاء من غير سوء) من غير برص (في تسع آيات) يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) بينة واضحة يبصر بها (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر (وجحدوا بها) أي أنكروا الآيات ولم يقروا أنها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) يعني علموا أنها من عند الله قوله (ظلما وعلوا) يعني شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) قوله عز وجل (ولقد آتينا داود وسليمان علما) يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال (وقالا الحمد لله الذي فضلنا) بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين يخلقوا ووارث سليمان داود) نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك وزيده تسخير الريح وتسخير الشياطين وقال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمي صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روى عن كعب قال صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين

التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم أي أغفر له وأزيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعني تاب من ظلمه فاني غفور رحيم ثم ان الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها وأخرجها فاذا هي تبرق مثل شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) يعني من غير برص (في تسع آيات) يعني آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من أي من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) يعني خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) يعني بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) يعني الذي نراه (سحر مبين) يعني ظاهر (وجحدوا بها) يعني أنكروا الآيات ولم يقروا انها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) يعني علموا انها من عند الله والمعنى انهم جحدوا بها بالسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلما وعلوا) أي شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني الغرق * قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) يعني علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله الذي فضلنا) يعني بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما أو لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع * قوله تعالى (ووارث سليمان داود) يعني نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود وزيده تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمي صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم

تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين قال وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازى يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال ما تدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وعن فرقد السنجي قال مر سليمان على بلبل فوق شجرة

يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمرى قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازى يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان * وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا أخبرنا ما تقول القنبرة فى صفيرها والديك فى صعيقه والضفدع فى نقيقه والحمار فى نهيقه والفرس فى صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم أما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود فى البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فانه يقول اللهم انى أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فأسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس أنس واذا صاح القنبر قال الهى العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارئ * وقوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) أى مما أوتى الانبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوّة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا لهو الفضل المبين) يعنى الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى أن سليمان أعطى مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا

يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل فقالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء فان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا أخبرنا ما يقول القنبر فى صفيره والديك فى صعيقه والضفدع فى نقيقه والحمار فى نهيقه والفرس فى صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبر فيقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد وأما الديك فيقول اذكروا الله يا غافلون واما الضفدع فيقول سبحان المعبود فى لجج البحار وأما الحمار فيقول اللهم العن العشار وأما الفرس فيقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح واما الزرزور فيقول اللهم انى أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق واما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال فاسلم اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين عن على قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد من الناس أنس واذا صاح القنبر قال الهى العن مبغضى آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمد القارئ قوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) يؤتى الانبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعنى النبوّة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح (ان هذا لهو الفضل المبين) الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى ان سليمان عليه السلام أعطى ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ملك جميع أهل الدنيا من الجن والانس والدواب والطير والسباع وأعطى على ذلك منطق كل شيء وفى زمانه صنعت الصنائع العجيبة

قوله عز وجل (وحشر لسليمان) وجمع لسليمان (جنوده من الجن والانس والطير) فى مسيره (فهم يوزعون) فهم يكفون قال قتادة كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد أولها الى آخرها لئلا يتقدموا فى المسير والوازع الحابس وهو النقيب وقال مقاتل يوزعون يساقون وقال السدى يوقفون وقيل يجمعون وأصل الوزع الكف والمنع قال محمد بن كعب القرظى كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية يأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح فأخبرتك

قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادى النمل) روى عن وهب بن منبه عن كعب قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام يسع كل قدر عشر جزائر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر الى اليمن فسلك مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ورأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله الى البيت ما يبكيك فقال يارب أبكانى ان هذا نبى من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علىّ فلم يهبطوا ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله اليه أن لا تبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى الىّ وأجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وأفرض على عبادى فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين ثم مضى سليمان حتى مر بوادى السدير وادمن الطائف فأتى على وادى النمل هكذا قال كعب انه واد بالطائف وقال قتادة ومقاتل هو أرض بالشام وقيل واد كان يسكنه الجن وأولئك النمل مراكبهم وقال نوف الحميرى كان نمل ذلك الوادى امثال الذباب وقيل كالبخاتى والمشهور انه النمل الصغير وقال الشعبى كانت تلك النملة ذات جناحين وقيل كانت نملة عرجاء فنادت (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم تقل ادخلن لانه لما جعل لهم قولا كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين

من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفى زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أى جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن المختلفة فى مسيره له (فهم يوزعون) أى يحبسون حتى يردأولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا فى المسير قال محمد بن كعب القرظى كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر الف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسيه فى وسطه فيقعد وحوله كراسى الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعنى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح وأخبرتك به * قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى أشرفوا على وادى النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يكون فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب أبكانى هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علىّ ولم يهبطوا ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى الىّ وأجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وأفرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسر الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادى السدير وادمن الطائف فأتى على وادى النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشأم وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتى والمشهور انه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين

لا تبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب نخوطبوا
أنبيائى الىّ وأجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وأفرض على عبادى فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضتها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين ثم مضى سليمان حتى مر بوادى السدير وادمن الطائف فأتى على وادى النمل هكذا قال كعب انه واد بالطائف وقال قتادة ومقاتل هو أرض بالشام وقيل واد كان يسكنه الجن وأولئك النمل مراكبهم وقال نوف الحميرى كان نمل ذلك الوادى امثال الذباب وقيل كالبخاتى والمشهور انه النمل الصغير وقال الشعبى كانت تلك النملة ذات جناحين وقيل كانت نملة عرجاء فنادت (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم تقل ادخلن لانه لما جعل لهم قولا كالآدميين خوطبوا
بخطاب الآدميين

(لا يحطمنكم) لا يكسرنكم (سليمان وجنوده) والحطم الكسر (وهم لا يشعرون) فسمع سليمان قولها وكان لا يتكلم خلق الا حملت الريح ذلك فالقته في مسامع سليمان قال مقاتل سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال قال الضحاك كان اسم تلك النملة طاحية قال مقاتل كان اسمها جرمى فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والارض قيل كانت جنوده ركبانا وفيهم مشاة على الارض تطوى لهم وقيل يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان قال أهل التفسير علم النمل ان سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم ومعنى الآية انكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤكم ولم يشعروا بكم و يروى ان سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم قوله عز وجل (فتبسم ضاحكا من قولها) قال الزجاج أكثر ضحك الانبياء التبسم وقوله ضاحكا أي متبسما قيل كان أوله التبسم وآخره الضحك أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب أنا عمرو وهو ابن الحارث أنا أبي النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل كان ضحك سليمان من قول النملة تعجبا لان الانسان اذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه (وقال رب أوزعني) ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين قوله عز وجل (وتفقد الطير) أي طلبها و بحث عنها والتفقد طلب ما فقد ومعنى الآية طلب ما فقد من الطير (فقال مالي لا أرى الهدهد) أي ما للهدهد لا أراه تقول العرب مالي أراك كئيبا أي مالك والهدهد طائر معروف وكان سبب تفقد الهدهد وسؤاله عنه قيل اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا يظله وجنده جناح الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروى عن ابن عباس ان الهدهد كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء و يرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة و يعرف قربه و بعده فينقر الارض ثم تجيء الشياطين فيسلخونه و يستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ و يحثو عليه التراب فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس و يحك ان القدر اذا جاء حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا فاحتاج الى الماء فطلبوا فلم يجدوا فتفقد الهدهد ليدل على الماء فقال مالي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك في غيبته فقال

نحو طبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلا و نطقا فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير علمت النملة ان سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية انكم لو لم تدخلوا وطؤكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشيء الا حملته الريح حتى تلقيه الى مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم * فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح * قلت كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل أكثر ضحك الانبياء تبسم وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي * فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان * قلت شيئان أحدهما ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا ما يفعلون الثاني سروره بما آتاه الله مما لم يأت أحدا من ادراك سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي أدخلني في جملتهم واثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلني الجنة مع عبادك الصالحين * قوله عز وجل (وتفقد الطير) أي طلبها و بحث عنها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير (فقال مالي لا أرى الهدهد) وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فأصابته الشمس من

(أم كان من الغائبين) يعني أكان من الغائبين والميم صلة وقيل أم بمعنى بل ثم أوعده على غيبته فقال (لاعذبنه عذابا شديدا) واختلفوا في العذاب الذي أوعده به فأظهر الاقاويل أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممطرا لا يمتنع من النمل ولا من هوام الارض وقال مقاتل بن سليمان لاطلينه بالقطران ولاشمسنه وقيل لاودعنه القفص وقيل لافرقن بينه وبين الفه وقيل لاحبسنه مع ضده (أو لاذبحنه) لاقطعن حلقه (أو ليأتيني بسلطان مبين) بحجة بينة في غيبته وعذر ظاهر قرأ ابن كثير ليأتيني بنونين الاولى مشددة وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة وكان سبب غيبته على ماذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس والشياطين والطير والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ماشاء الله أن يقيم وكان ينحر كل يوم بمقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف كبش وقال لمن حضره من أشراف قومه ان هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناوأه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين يانبي الله قال يدين بدين الحنيفية البيضاء فطوبى لمن أدركه وآمن به فقالوا كم بيننا وبين خروجه يانبي الله قال مقدار

ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير اليمن ليعفور سليمان من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد انا أعلم ان صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها ومارجع الى سليمان الا في وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير ماء فسأل الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا فتفقد الطير فقد الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا الآية ثم دعا العقاب سيد الطير فقال علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى البرق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذا هو

موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروي عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فيجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق ياوصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أي أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال (لاعذبنه عذابا شديدا) قيل هو أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممطرا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه (أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) أي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ماذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقيم وكان في كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصرة على جميع من ناوأه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يتدين يانبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يانبي الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالا أي وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور

يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت يا يعفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يديرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره أن تاتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسئل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قوّاك وأقدرك على الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو أن يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا ولقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله قالوا بلى قال أوليأتيني بسلطان مبين قال فنجوت اذا ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله فقال ما الذي أبطأ بك عني فقال الهدهد ما أخبر الله عنه في قوله (فمكث) قرأ عاصم ويعقوب فمكث بفتح الكاف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان (غير بعيد) أي غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) والاحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته يقول علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك (وجئتك من سبأ) قرأ أبو عمرو والبزي عن ابن كثير من سبا ولسبا في سورة سبا مفتوحة الهمزة وقرأ القواس عن ابن كثير ساكنة بلا همز وقرأ الآخرون بالجر فمن لم يجره جعله اسم البلد ومن أجراه جعله اسم رجل فقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال كان رجلا له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (بنبأ) بخبر (يقين) فقال سليمان وما ذاك قال (اني وجدت امرأة تملكهم) وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب ابن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشان قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج فيهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وجاء في الحديث ان أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها قوم آخرون فملكوا عليهم رجلا وافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن ثم ان الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت ذلك بلقيس أدركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه

يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت يا يعفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يديرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره أن تاتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسئل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قوّاك وأقدرك على الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو أن يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا ولقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال أوليأتيني بسلطان مبين قال فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ما الذي أبطأ بك عني فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى (فمكث غير بعيد) معناه أي غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان أدنى خلق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشيء علما أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (وجئتك من سبأ) قيل هو اسم للبلد وهي مأرب والاصح انه اسم رجل وهو سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (بنبأ) أي بخبر (يقين) فقال سليمان وما ذاك قال (اني) أي الهدهد (وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا

فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني اليهم فجمعهم وخطبها اليهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال لهم انها ابتدأتني فانا أحب أن تسمعوا قولها فجاؤها فذكروا لها فقالت نعم أحببت الولد فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من حشمها فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها فلما رأوه علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا أنت بهذا الملك أحق من غيرك فملكوها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عثمان ابن الهيثم أنا عوف عن الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة قوله تعالى (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك من الالة والعدة (ولها عرش عظيم) سرير ضخم كان مضروبا من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين وطوله في السماء ثلاثون ذراعا وقال مقاتل كان طوله ثمانين ذراعا وطوله في الهواء ثمانين ذراعا وقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه أربعين ذراعا وارتفاعه ثلاثين ذراعا (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا) قرأ أبو جعفر والكسائي ألا يسجدوا بالتخفيف واذا وقفوا يقولون الا يا ثم يبتدؤن اسجدوا على معنى الشيطان الا ياهؤلاء اسجدوا جعلوه أمرا من عند الله مستأنفا وحذفوا هؤلاء اكتفاء بدلالة ياعليها وذكر بعضهم سماعا من العرب الا يا رحمونا يريدون الا ياقوم قال الاخطل

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بكر * وان كان حيانا غدا آخر الدهر

يريد الا يا هند اسلمي وعلى هذا يكون قوله ألا كلاما معترضا من غير القصة اما من الهدهد واما من سليمان قال أبو عبيدة هذا أمر من الله مستأنف يعني الا يا أيها الناس اسجدوا وقرأ الاخرون ألا يسجدوا بالتشديد بمعنى وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا

عظيم الشان قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت وأطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه قال لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحييتني والاسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء في الحديث ان أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وأبى آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال انه ابن أخي الملك وكان خبيثا سيئ السيرة في أهل مملكته حتى كان يمديده الى حريم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فارسلت اليه فعرضت نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني أن أبتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجال أهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت في فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في ملأ كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت الى وزرائه وأحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته أو كرائم عشيرته ثم أرتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها (خ) عن أبي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة * قوله تعالى (وأوتيت من كل شئ) يعني ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم عال * فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان * قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الاسلام (فهم لا يهتدون) أي الى الصواب (ألا يسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه ألا يا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستانف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم

(الذي يخرج الخبء) أي الخفي المخبا (في السموات والارض) أي ماخبات قال أكثر المفسرين خبء السماء المطر وخبء الارض النبات وفي قراءة عبد الله يخرج الخبء من السموات والارض ومن وفي يتعاقبان تقول العرب لاستخرجن العلم فيكم يريد منكم وقيل معنى الخبء الغيب يريد يعلم غيب السموات والارض (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء فيهما لان أول الآية خطاب على قراءة الكسائي بتخفيف ألا وقرأ الآخرون بالياء (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره وعرش ملكة سبا وان كان عظيما فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل ثم ههنا كلام الهدهد فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان للهدهد (سننظر أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) فذهلم الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين قال ابن جريج لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه وقال قتادة وكذلك كل الانبياء كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه فقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون كسرا والآخرون بالاشباع كسرا (ثم تول عنهم) تنح عنهم فكن قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب وقال ابن زيد في الآية تقديم وتاخير مجازها اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف الى فاخذ الهدهد الكتاب فاتى به الى بلقيس وكانت بارض مارب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت

الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا (الله الذي يخرج الخبء) يعني الخفي المخبا (في السموات والارض) قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجدا عند قراءتها * فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما * قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم ان الهدهد ذهلم على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا على وأتوني مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم) انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) أي تنح عنهم فقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف الي فاخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بارض مارب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فاتى الهدهد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها

الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فاتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فالقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه حتى رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب في حجرها وقال ابن منبه وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كانت في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب اليها أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل وعن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة ألف قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل الملك دون الملك الاعظم وقال قتادة ومقاتل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف قال فجاؤا وأخذوا مجالسهم

(قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملأ) وهم أشراف الناس وكبراؤهم (انى ألقى الىّ كتاب كريم) قال عطاء والضحاك سمته كريما لانه كان مختوما وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال قتادة ومقاتل كتاب كريم أى حسن وهو اختيار الزجاج وقال حسن ما فيه وروى عن ابن عباس كريم أى شريف لشرف صاحبه وقيل سمته كريما لانه كان مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت الكتاب فقالت (انه من سليمان) و بينت المكتوب فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىّ) قال ابن عباس أى لا تتكبروا على وقيل لا تتعظموا ولا ترفعوا على وقيل معناه لا تمتنعوا على من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (وأتونى مسلمين) مؤمنين طائعين قيل هو من الاسلام وقيل هو من الاستسلام (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أشيروا علىّ فيما عرض لى وأجيبونى فيما أشاوركم فيه (ما كنت قاطعة) قاضية وفاصلة (أمرا حتى تشهدون) أى تحضرون (قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة) فى القتال (وأولوا بأس شديد) عند الحرب قال مقاتل أرادوا بالقوة كثرة العدد وبالبأس الشديد الشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال ان أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيتها الملكة فى القتال وتركه (فانظرى) من (١٢٠) الرأى (ماذا تأمرين) تجدينا لامرك مطيعين (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال

(ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرافها وكبراءها كى يستقيم لهم الامر تحذرهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وتناهى الخبر عنها هنا فصدق الله قولها فقال (وكذلك يفعلون) أى كما قالت هى يفعلون ثم قالت (وانى مرسلة اليهم بهدية) والهدية هى العطية على طريق الملاطفة وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملأ من قومها انى مرسلة اليهم أى الى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها عن ملكى واختبره بها أملك هو أم نبى فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه على دينه فذلك قوله تعالى (فناظرة بم يرجع المرسلون) فأهدت اليه وصفاء ووصائف وغيره

وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم) قيل سمته كريما لانه كان مختوما وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أى شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت (انه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) * فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله * قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما فى الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا علىّ) قال ابن عباس لا تتكبروا علىّ والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (وأتونى مسلمين) أى طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أى أشيروا على فيما عرض لى (ما كنت قاطعة أمرا) أى قاضية وفاصلة (حتى تشهدون) أى تحضرون (قالوا) يعنى الملأ مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أى فى الجسم على القتال (وأولوا بأس شديد) أى عند الحرب وقيل أرادوا بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أى ان أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيتها الملكة أى فى القتال وتركه (فانظرى ماذا تأمرين) أى تجدينا مطيعين لامرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤل اليه أمره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) أى عنوة (أفسدوها) أى خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرافها وكبراءها كى يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أى كما قالت هى يفعلون وقيل هو من قولها وهو للتاكيد لما قالت ثم قالت (وانى مرسلة اليهم بهدية) يعنى الى سليمان وقومه أصانعه بها على ملكى وأختبره بها أملك هو أم نبى فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه فى دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب

قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا كى لا يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبس الغلمان لباس الجوارى وألبس الجوارى لبسة الغلمان واختلفوا فى عددهم فقال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد ومقاتل مائتا غلام ومائتا جارية وقال قتادة وسعيد بن جبير أرسلت اليه بلبنة من ذهب فى حرير ديباج وقال ثابت البنانى أهدت اليه صفائح الذهب فى أوعية الديباج وقيل كانت أربع لبنات من ذهب وقال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب وفى أعناقهم أطواقا من ذهب وفى آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وألبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه المسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه

رجلا من قومها أصحاب رأى وعقل وكتبت معه كتابا بنسخة الهدية وقالت فيه ان كنت نبيا فميز لى بين الوصائف والوصفاء واخبرنى بما فى الحقة قبل أن تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا فى الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة تشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك ولا يهولنك منظره فأنا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فأخبره الخبر كله فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذى هو فيه الى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطا شرفها من الذهب والفضة ثم قال أى الدواب أحسن مما رأيتم فى البر والبحر قالوا يا نبى الله انا رأينا دواب فى بحر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص فقال على بها الساعة فأتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفتها فيها ثم قال للجن على باولادكم

وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت فى أيديهم أساور الذهب وفى أعناقهم أطواق الذهب وفى آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة بقيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا ذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف واخبرنا بما فى الحق قبل أن تفتحه وانقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل فى الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تانيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظر فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك أمره ومنظره فانا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبى فتفهم قوله وردّ الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن أن يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يفرشوا لبن الذهب والفضة وأن يجعلوا مقدار تلك اللبنات التى معهم وأن يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أى دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبى الله ما رأينا أحسن من دابة من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال على بها الساعة فاتوا بها قال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسى على يمين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحوش

فاجتمع خلق كثير فاقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا وفى بعض الروايات ان سليمان لما أمر بفرش

الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنات التى معهم فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا وكانت الارض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم فى ذلك المكان فلما رأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والهوام والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا له وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ثم قال أين الحقة فاتى بها فحركها وجاء جبريل فاخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان من لى بثقبها فسأل سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا نرسل الى الارضة فجاءت الارضة فاخذت شعرة فى فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تصير رزقى فى الشجر فقال لك ذلك وروى انها جاءت دودة تكون فى الصفصاف فقالت انا أدخل الخيط فى الثقب على أن يكون رزقى فى الصفصاف فجعل لها ذلك فاخذت الخيط بفيها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة فيسلكها فى الخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر

فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تجعل رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام كما يأخذه من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على يديه حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال الله تعالى (فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال) قرأ حمزة ويعقوب أتمدونني بنون واحدة مشددة واثبات الياء وقرأ الآخرون بنونين خفيفين ويثبت الياء أهل الحجاز والبصرة والآخرون يحذفونها (فما آتاني الله) أعطاني

الله من النبوة والدين والحكمة والملك (خير) أفضل (مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) لانكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون باهداء بعضكم الى بعض فاما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني فيها وأعطاني منها مالم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد (ارجع اليهم) بالهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم) لا طاقة لهم (بها ولنخرجنهم منها) أي من أرضهم وبلادهم وهي سبأ (أذلة وهم صاغرون) ذليلون ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتب فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها ثم

والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان رأوا أول الامر الدواب التي لا يرى مثلها تروث في لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبؤا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فاتي به فحركه فجاءه جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بثقبها وسال الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا نرسل الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله) أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك (خير) أي أفضل (مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى بعض وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد أعطاني منها مالم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد (ارجع اليهم) أي بالهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل) أي لا طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) أي من أرض سبا (أذلة وهم صاغرون) أي ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها أي من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه أحد ثم أمرت منادية ينادي في أهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل

أغلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه أحد ولا يقربه حتى آتيك ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يدي كل قيل ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان قال ابن عباس وكان بين الكوفة والحيرة مسيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان حينئذ على جنوده

(قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) أي مؤمنين وقال ابن عباس طائعين واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان باحضار عرشها فقال أكثرهم لان سليمان علم انها ان أسلمت يحرم عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها وقال قتادة لانه أعجبته صفته لما وصفه الهدهد فاحب أن يراه قال ابن زيد أراد أن يأمر بتنكيره وتغييره ليختبر بذلك عقلها (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوي قال وهب اسمه كوذي وقيل ذكوان قال ابن عباس العفريت الداهية وقال الضحاك هو الخبيث وقال الربيع الغليظ قال الفراء القوي الشديد وقيل هو صخر الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أي من مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى متسع النهار (واني عليه) أي على حمله (لقوي أمين) على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب) واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل وقيل هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان وقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى وروى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون به خدا حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمان وقال الكلبي خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسي سليمان وقيل كانت المسافة مقدار شهرين واختلفوا في الدعاء الذي دعا به آصف فقال مجاهد ومقاتل ياذا الجلال والاكرام وقال الكلبي ياحي ياقيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل آتاه الله علما وفهما (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك فان دعوت الله وطلبت اليه كان عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت وقوله تعالى قبل أن يرتد اليك طرفك قال سعيد بن جبير يعني من قبل أن يرجع اليك أقصى من ترى وهو أن يصل اليك من كان منك على مد بصرك قال قتادة قبل أن يأتيك انسان من مد البصر وقال مجاهد يعني ادامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا قال وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى أمثله بين يديك (فلما رآه) يعني رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) محمولا اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربي ليبلوني

قيل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فرأى رهجا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان في احضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان أسلمت يحرم عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر الملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذي وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أي مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له في الغداة مجلس يقضي فيه الى متسع النهار وقيل نصفه (واني عليه) أي على حمله (لقوي أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بني اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذي دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحي ياقيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت (فلما رآه) يعني رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) أي محمولا اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربي ليبلوني

أأشكر) نعمه (أم أكفر) فلا أشكرها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالافضال على من يكفر نعمه قوله تعالى (قال نكروا لها عرشها) يقول غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قال قتادة ومقاتل هو ان يزاد فيه وينقص منه وروى انه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله وجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر أحمر (ننظر أتهتدى) الى عرشها فتعرفه (أم تكون من) الجاهلين (الذين لا يهتدون) اليه وانما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشى اليه أسرار الجن وذلك ان أمها كانت جنية واذا ولدت له ولد لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته ومن بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان فى عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح (فلما جاءت قيل) لها (أهكذا عرشك قالت كانه هو) قال مقاتل (١٢٤) عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم

يعنى التمكر من حصول المراد (أأشكر) أى نعمته علىّ (أم أكفر) فلا أشكرها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فان ربى غنى) أى عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) يعنى بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال نكروا لها عرشها) يعنى غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل هو ان يزاد فيه أو ينقص منه وقيل انما يجعل أسفله أعلاه ويجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر أحمر (ننظر أتهتدى) الى معرفة عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى اليه أسرار الجن لان أمها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان فى عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح (فلما جاءت قيل) لها (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كانه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لانها تركته فى بيت عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت (وأوتينا العلم من قبلها) يعنى من قبل الآية فى العرش (وكنا مسلمين) يعنى منقادين منطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أى بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها أى من قبل الآية فى العرش وكنا مسلمين أومعناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم فى الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله * قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) يعنى منعتها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (انها كانت من قوم كافرين) أخبر الله أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس (قيل لها ادخلى الصرح) وذلك أن سليمان

خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب قالت كانه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لانه تركته فى بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب فقالت (وأوتينا العلم) بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسل (من قبلها) من قبل الآية فى العرش (وكنا مسلمين) منقادين طائعين لامر سليمان وقيل قوله وأوتينا العلم من قبلها قاله سليمان يقول وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين هذا قول مجاهد وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين طائعين لله قوله عز وجل

(وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أى منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس ان تعبد الله أى صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله فعلى هذا التأويل يكون ما فى محل الرفع وقيل معناه ما صدها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن ان فى عقلها شيأ بل ما كانت تعبد من دون الله وقيل معناه وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أى منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل ما نصبا (انها كانت من قوم كافرين) هذا استئناف أخبر الله تعالى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس قوله (قيل لها ادخلى الصرح) الآية وذلك أن سليمان أراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسألها كشفها لما قالت الشياطين ان رجليها كحافر الحمار وهى شعراء الساقين أمر الشياطين فبنوا له صرحا أى قصرا من زجاج وقيل بنيانا من زجاج كانه الماء بياضا وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه كل شئ من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما ثم وضع سريره فى صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس

وقيل اتخذ له من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع فكان الواحد اذا رآه ظنه ماء وقيل انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصيفات فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رأته حسبته لجة) وهي معظم الماء (وكشفت عن ساقيها) لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان فاذا هي أحسن الناس قدما وساقا الا انها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها (قال انه صرح ممرد) مملس مستو (من قوارير) وليس بماء ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فاجابت و (قالت رب اني ظلمت نفسي) بالكفر وقال مقاتل لما رأت السرير والصرح علمت ان ملك سليمان من الله فقالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد وقيل انها لما بلغت الصرح فظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل على أهون من هذا فقولها ظلمت نفسي (١٢٥) تعني بذلك الظن واختلفوا في

لما اختبر عقلها بتنكير العرش وأراد أن ينظر الى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهما لما أخبرته الجن ان رجليها كالفرسن وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رأته حسبته لجة) أي ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) لتخوض الماء الى سليمان فاذا هي أحسن النساء ساقا وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال انه صرح ممرد) أي مملس (من قوارير) زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي بذلك الظن واختلفوا في أمر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة اني لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين و بيسنون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة و يقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله قالت فان كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته يا معشر

أمرها بعد اسلامها فقال عون بن عبد الله سأل رجل عبد الله بن عتبة هل تزوجها سليمان فقال انتهى أمرها الى قولها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعني لا علم لنا وراء ذلك وقال بعضهم تزوجها ولما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس ما يذهب هذا قالوا الموسى فقالت المرأة لم يمسني حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها قال الحسن فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فقال انا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين و بيسنون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها و يقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيما ذكر وروى عن وهب قال زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك أزوجكه قالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما أحل الله لك فقالت زوجني ان كان لا بد من ذلك ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة أمير الجن باليمن فقال اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل بها ملكا يعمل له فيها ما أراد حتى مات سليمان فلما ان حال الحول وتبينت الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة

قوله عز وجل (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن) أى بان (اعبدوا الله) وحدوه (فاذا هم فريقان) مؤمن وكافر (يختصمون) فى الدين قال مقاتل واختصامهم ماذكر فى سورة الاعراف قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم الى قوله ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فقال لهم صالح (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) العافية والرحمة (لولا) هلا (تستغفرون الله) بالتوبة من كفركم (لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا) أى تشاءمنا وأصله تطيرنا (بك وبمن معك) قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لانه أمسك عنهم المطر فى ذلك الوقت وقحطوا فقالوا أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (قال طائركم عند الله) أى ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره وهو مكتوب عليكم سمى طائرا لسرعة نزوله بالانسان فانه لاشئ أسرع من قضاء محتوم قال ابن عباس الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم وقيل طائركم أى عملكم عند الله سمى طائرا لسرعة صعوده الى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر نظيره قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب القرظى تعذبون قوله تعالى (وكان فى المدينة) يعنى مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة رهط) من

الجن ان الملك سليمان قدمات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا فانقضى ملك سليمان وملك ذى تبع وملك بلقيس وبقى الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * قوله عز وجل (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) أى وحدوه ولا تشركوا به شيأ (فاذا هم فريقان) أى مؤمن وكافر (يختصمون) أى فى الدين كل فريق يقول الحق معنا (قال) يعنى صالحا للفريق المكذب (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) أى بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) أى العافية والرحمة (لولا) أى هلا (تستغفرون الله) أى بالتوبة اليه من الكفر (لعلكم ترحمون) أى لا تعذبون فى الدنيا (قالوا اطيرنا) أى تشاءمنا (بك وبمن معك) قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (قال طائركم عند الله) أى ما يصيبكم من الخير والشر بأمر الله مكتوب عليكم سمى طائرا لانه لاشئ أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذى أتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم أى عملكم عند الله سمى طائرا لسرعة صعوده الى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون * قوله تعالى (وكان فى المدينة) يعنى مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة رهط) يعنى من أبناء أشرافهم (يفسدون فى الارض) أى بالمعاصى (ولا يصلحون) أى لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعنى يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم (لنبيتنه) أى لنقتلنه ليلا (وأهله) يعنى قومه الذين آمنوا معه (ثم لنقولن لوليه) أى لولى دمه (ما شهدنا) يعنى ما حضرنا (مهلك أهله) أى ما ندرى من قتله ولا هلاك أهله (وانا لصادقون) يعنى فى قولنا ما شهدنا ذلك (ومكروا مكرا) أى غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وأهله (ومكرنا مكرا) يعنى جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) يعنى أهلكناهم أى التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فأتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة (وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) أى بظلمهم وكفرهم (ان فى ذلك لآية) أى لعبرة (لقوم يعلمون) أى قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا

أبناء أشرافهم (يفسدون فى الارض ولا يصلحون) وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة وهم غواة قوم صالح ورأسهم قدار بن سالف وهو الذى تولى عقرها كانوا يعملون بالمعاصى (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم وموضع تقاسموا جزم على الامر وقال قوم محله نصب على الفعل الماضى يعنى انهم تحالفوا وتواثقوا تقديره قالوا متقاسمين بالله (لنبيتنه) أى لنقتلنه بياتا أى ليلا (وأهله) أى قومه الذين أسلموا معه وقرأ الاعمش وحمزة والكسائى لتبيتنه ولتقولن بالتاء فيهما وضم لام الفعل على الخطاب وقرأ الآخرون بالنون فيهما وفتح لام الفعل (ثم لنقولن لوليه) أى لولى دمه (ما شهدنا) ما حضرنا (مهلك أهله) أى اهلاكهم ولا ندرى من قتله ومن

أربعة

فتح الميم فمعناه هلاك أهله (وانا لصادقون) فى قولنا ما شهدنا ذلك (ومكروا مكرا) غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به (ومكرنا مكرا) جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا) قرأ أهل الكوفة أنا بفتح الالف ردا على العاقبة أى كانت العاقبة انا دمرناهم وقرأ الآخرون انا بالكسر على الاستئناف (دمرناهم) أى أهلكناهم التسعة واختلفوا فى كيفية هلاكهم قال ابن عباس رضى الله عنهما أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم قال مقاتل نزلوا فى سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فخثم عليهم الجبل فاهلكهم (وقومهم أجمعين) أهلكهم الله بالصيحة (فتلك بيوتهم خاوية) نصب على الحال أى خالية (بما ظلموا) أى بظلمهم وكفرهم (ان فى ذلك لآية) لعبرة (لقوم يعلمون) قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال كان الناجون منهم أربعة آلاف

قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) وهى الفعلة القبيحة (وأنتم تبصرون) أى تعلمون انها فاحشة وقيل معناه يرى بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فانجيناه وأهله الا امرأته قدرناها) قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا (من الغابرين) أى الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) وهو الحجارة (فساء) فبئس (مطر المنذرين) قوله تعالى (قل الحمد لله) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل على جميع نعمه (وسلام على عباده الذين اصطفى) قال

أربعة آلاف * قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أى الفعلة القبيحة (وأنتم تبصرون) أى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) * فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا * قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يعنى من أدبار الرجال (فانجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) أى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أى الحجارة (فساء) أى فبئس (مطر المنذرين) * قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آلله خير أما يشركون) فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده أم الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لانغنائه عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيأ عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته * فالنوع الاول قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض) ذكر أعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آلاصنام خير أم الذى خلق السموات والارض ثم ذكر نعمه فقال (وأنزل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فانبتنا به حدائق) أى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) يعنى ما ينبغى لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء واحد لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يتأتى لاحد وان تأتى ذلك لغيره محال (أإله مع الله) يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل * النوع الثانى قوله عز وجل (أمن جعل الارض قرارا) أى دحاها وسوّاها للاستقرار عليها وقيل لا تميد باهلها (وجعل خلالها أنهارا) أى وسطها بانهار تطرد بالمياه (وجعل لها رواسى) أى جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) يعنى العذب والملح (حاجزا) أى مانعا لا يختلط أحدهما بالآخر (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) أى توحيد بهم وقدرته وسلطانه * النوع الثالث قوله تعالى (أمن يجيب المضطر) أى المكروب المجهود وقيل المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر يعنى اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر (اذا دعاه) يعنى فيكشف ضره (ويكشف السوء) أى الضر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق

مقاتل هم الانبياء والمرسلون دليله قوله عز وجل وسلام على المرسلين وقال ابن عباس فى رواية أبى مالك هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبى هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آلله خير أما يشركون) قرأ أهل البصرة وعاصم يشركون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء يخاطب أهل مكة وفيه الزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفار يقول آلله خير لمن عبده أم الاصنام خير لمن عبدها والمعنى ان الله نجى من عبده من الهلاك والاصنام لم تغن شيأ عن عابديها عند نزول العذاب بهم (أمن خلق السموات والارض) معناه آلهتكم خير أم الذى خلق السموات والارض (وأنزل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فانبتنا به حدائق) بساتين جمع حديقة قال الفراء الحديقة البستان المحاط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أى منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) أى ما ينبغى لكم لانكم لا تقدرون عليها (أإله مع الله) استفهام على طريق الانكار أى هل معه معبود سواه يعينه على صنعه بل ليس معه اله (بل هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) يشركون (أم من جعل الارض قرارا) لا تميد بأهلها (وجعل خلالها) وسطها (أنهارا) تطرد بالمياه (وجعل لها رواسى) جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) العذب والملح (حاجزا) مانعا لئلا يختلط أحدهما بالآخر (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيد بهم وسلطانه (أمن يجيب المضطر) المكروب المجهود (اذا دعاه ويكشف السوء) الضر

(ويجعلكم خلفاء الارض) سكانها يهلك قرنا وينشئ آخر وقيل يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الارض (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) قرأ أبو عمرو بالياء والآخرون بالتاء (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) اذا سافرتم (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) أي من السماء المطر ومن الارض النبات (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر (ان كنتم صادقين قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) نزلت في المشركين حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة (وما يشعرون أيان) متى (يبعثون بل ادّارك علمهم) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو أدرك على وزن أفعل أي بلغ ولحق كما يقال أدركه علمي اذا لحقه وبلغه يريد ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة وقال مجاهد يدرك علمهم (في الآخرة) ويعلمونها اذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم قال مقاتل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله (بل هم في شك منها) يعني هم اليوم في شك من الساعة وقرأ الاخرون بل ادارك موصولا مشددا مع الالف بعد الدال المشدد يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق وقيل معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة انها كائنة وهم في شك منها في وقتهم فيكون بمعنى الاول وقيل هو على طريق الاستفهام معناه هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة يعني لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه لان في الاستفهام ضربا من الجحد يدل عليه قراءة ابن عباس بلى باثبات الياء ادارك بفتح الالف على الاستفهام يعني لم يدرك وفي حرف أبي أم تدارك علمهم والعرب تضع بل موضع أم وأم موضع بل وجملة القول فيه ان الله أخبر انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا وذكر علي بن عيسى ان معنى بل ههنا لو ومعناه لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكوا بل هم في شك منها بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو الاعمى القلب قال الكلبي يقول هم جهلة بها (وقال الذين كفروا) يعني مشركي مكة (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من قبورنا أحياء قرأ أهل المدينة اذا غير مستفهم أئنا بالاستفهام وقرأ ابن عامر والكسائي أئذا بهمزتين انا لمبنونين وقرأ الاخرون باستفهامهما (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل محمد وليس ذلك بشيء (ان هذا) ما هذا (الا أساطير الاولين) أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل معناه ردفكم (بعض الذي تستعجلون) أي من العذاب فحل

الى سعة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع (ويجعلكم خلفاء الارض) أي سكانها وذلك انه ورثهم سكانها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الارض (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) أي تتعظون * النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) * النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أي نطفا في الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) أي من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر (ان كنتم صادقين) * قوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أيان يبعثون) يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادّارك علمهم) أي بلغ ولحق علمهم (في الآخرة) هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا * قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي مشركو مكة (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أي من قبورنا أحياء (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشيء (ان هذا) أي ما هذا (الا أساطير الاولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل تبعكم والمعنى ردفكم أدخل فيه اللام كما أدخل في قوله لربهم يرهبون قال الفراء اللام صلة زائدة كقوله يقدفونه بالغيب يقذفونه بعيد [illegible]

بهم

(وان ربك لذو فضل على الناس) قال مقاتل على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) ذلك (وان ربك ليعلم ما تكن) تخفي (صدورهم وما يعلنون وما من غائبة) أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشئ غائب (في السماء والارض الا في كتاب مبين) أي في اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) من أمر الدين قال الكلبي ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعني القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي) يفصل (بينهم) أي بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) الحق (وهو العزيز) المنيع فلا يرد له أمر (العليم) باحوالهم فلا يخفى عليه شئ (فتوكل على الله انك على الحق المبين) البين (انك لا تسمع الموتى) يعني الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء) قرأ ابن كثير لا يسمع بالياء وفتحها وفتح الميم الصم رفع وكذلك في سورة الروم وقرأ الباقون بالتاء وضمها وكسر الميم الصم نصب (اذا ولوا مدبرين) معرضين فان قيل ما معنى قوله ولوا مدبرين واذا كانوا صما لا يسمعون سواء ولوا أو لم يولوا قيل ذكره على سبيل التاكيد والمبالغة وقيل الاصم اذا كان حاضرا فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم قال قتادة الاصم اذا ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه من الايمان ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه

بهم ذلك يوم بدر * قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي ذلك (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي تخفي (وما يعلنون) أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشئ غائب (في السماء والارض الا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعني القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم) أي يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) أي الحق (وهو العزيز) الممتنع الذي لا يرد له أمر (العليم) أي بأحوالهم فلا يخفى عليه شئ منها (فتوكل على الله) أي فثق به (انك على الحق المبين) أي البين (انك لا تسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أي معرضين * فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر * قلت هو تأكيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انه لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) الا من يصدق بالقرآن انه من الله (فهم مسلمون) أي مخلصون * قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخرجنا لهم دابة من الارض) (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي باسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينما الناس يوما في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور

تكلمهم) واختلفوا في كلامها فقال السدي تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام وقال بعضهم كلامها ان تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر وقيل كلامها ما قال الله تعالى (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) قال مقاتل تكلمهم بالعربية فتقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تخبر الناس ان أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث قرأ أهل الكوفة ان الناس بفتح الالف أي بأن الناس وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف أي ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها قال ابن عمر وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر وقرأ سعيد بن جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح قال أبو الجوزاء سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية تكلمهم أو تكلمهم قال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال ودابة الارض وخاصة أحدكم وأمر العامة أخبرنا اسمعيل ابن عبد الله أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات

خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن فنجويه أنا أبو بكر بن خرجة أنا محمد بن عبد الله ابن سليمان الحضرمي أنا هشيم بن حماد أنا عمرو بن محمد العبقري عن طلحة عن عمرو عن عبد الله بن عمير الليثي عن أبي شريحة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة فبينما الناس يوما في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله عز وجل يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال ابن عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن ويقال للكافر يا كافر أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد أنا أبو بكر بن مالك العطيفي أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبي ثنا بهز ثنا حماد هو ابن أبي سلمة أنا علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر وروي عن علي قال لبست بداية لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى انه رجل والاكثرون على انها دابة وروى ابن جرير

الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وباسناده الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فأما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هرو ذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون (تكلمهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر

عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن الا نكتته في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء يضيء بها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت وجهه بخاتم سليمان فيسود بها وجهه حتى ان الناس يتبايعون في الاسواق بكم يا مؤمن بكم يا كافر ثم تقول لهم الدابة يا فلان أنت من أهل الجنة و يا فلان أنت من أهل النار فذلك قوله عز وجل واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض الآية أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني الفقيه أنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي أنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أنا أبو كريب أنا الاشجعي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها و به عن محمد بن جرير الطبري قال حدثني عصام بن داود بن الجراح ثنا أبي ثنا سفيان بن سعيد أنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم وتنشق الصفا مما يلي المشعر وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسمي الناس مؤمنا وكافرا أما المؤمن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض ما خرجتا فتمر بالانسان يصلي فتقول ما الصلاة من حاجتك فتخطمه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى وعن سهيل بن صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها

الكافر * قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي نحشر من كل قرن جماعة (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار (حتى اذا جاؤا) يعني يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) أي ولم تعرفوها حق معرفتها (أم ماذا كنتم تعملون) أي حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى الاية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين (ووقع القول) أي وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) أي بما أشركوا (فهم لا ينطقون) أي بحجة وقيل ان أفواههم مختومة (ألم يروا أنا جعلنا) أي أنا خلقنا (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أي مضيأ يبصر فيه وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على تقلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون فيعتبرون * قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الى الاجساد فتحيا بها الاجساد (ففزع) أي فصعق (من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى أن يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع و نفخة الصعق و نفخة القيام لرب العالمين (الا من شاء الله) روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله

خلق الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي من كل قرن جماعة (ممن يكذب بآياتنا) وليس من ههنا للتبعيض لان جميع المكذبين يحشرون (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار (حتى اذا جاؤا) يوم القيامة (قال) الله لهم (أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) ولم تعرفوها حق معرفتها (أم ماذا كنتم تعملون) حين لم تفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين (ووقع القول) وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) بما أشركوا (فهم لا ينطقون) قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون لان أفواههم مختومة قوله عز وجل (ألم يروا أنا جعلنا) خلقنا (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) مضيأ يبصر فيه (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور) والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن الصور هي الصور وأول بعضهم كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيا بالاجساد قوله (ففزع من في السموات ومن في الارض) أي فصعق كما قال في آية أخرى فصعق من في السموات ومن في الارض أي ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى أن يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع و نفخة الصعق و نفخة القيام لرب العالمين قوله (الا من شاء الله) اختلفوا في هذا الاستثناء روى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قوله الا من شاء الله فقال هم الشهداء المقلدون أسيافهم حول العرش وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وفي بعض الآثار الشهداء ثنية الله أي الذين استثناهم الله تعالى وقال الكلبي ومقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ثم يقبض الله روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت ثم روح

جبريل فيكون آخرهم موتا جبريل و يروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول من بقى ياملك الموت فيقول سبحانك ربى
تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام بقى جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فياخذ نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول
من بقى فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول ياجبريل من بقى فيقول تباركت
وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى قال فيقول ياجبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه
فيروى ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على ظرب من الظراب و يروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح
جبريل وميكائيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن على بن عبد
الله الطيسفونى أنا عبد الله بن على (١٣٢) الجوهرى أنا أحمد بن على الكشميهنى أنا على بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو

ثنا علقمة عن أبى سلمة عن
أبى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ينفخ
فى الصور فيصعق من فى
السموات ومن فى الارض
الا من شاء الله ثم ينفخ فيه
أخرى فاكون أول من يرفع
رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة
من قوائم العرش فلا أدرى
أكان من استثنى الله عز
وجل أم رفع رأسه قبلى ومن
قال أنا خير من يونس بن
متى فقد كذب وقال الضحاك
هم رضوان والحور ومالك
والزبانية وقيل عقارب النار
وحياتها قوله عز وجل
(وكل) أى كل الذين أحيوا
بعد الموت (أتوه) قرأ
الاعمش وحمزة وحفص
أتوه مقصورا بفتح التاء على
الفعل أى جاؤه وقرأ
الآخرون بالمد وضم التاء
كقوله تعالى وكلهم آتيه يوم
القيامة فردا (داخرين)
صاغرين قال الله تعالى
(وترى الجبال تحسبها جامدة) قائمة واقفة (وهى تمر مر السحاب) أى تسير سير السحاب
خير
حتى تقع على الارض فتستوى بها وذلك ان كل شئ عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته و بعدما بين أطرافه فهو فى حسبان الناظر
واقف وهو سائر كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر (صنع الله) نصب على المصدر
(الذى أتقن كل شئ) يعنى أحكم (انه خبير بما تفعلون) قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقون بالتاء (من جاء بالحسنة) بكلمة الاخلاص وهى
شهادة أن لا اله الا الله قال أبو معشر كان ابراهيم يحلف ولا يستثنى ان الحسنة لا اله الا الله وقال قتادة بالاخلاص وقيل هى كل طاعة (فله خير
منها) قال ابن عباس فمنها يصل الخير اليه يعنى له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب اما أن يكون له شئ خير من
الايمان فلا لانه ليس شئ خيرا من قول لا اله الا الله وقيل فله خير منها يعنى رضوان الله قال تعالى ورضوان من الله أكبر وقال محمد بن كعب

تعالى الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم
أحياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا
هؤلاء الاربعة و يروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقى ياملك
الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم بقى جبريل
وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقى من
خلقى فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول
ياجبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام بقى وجهك الدائم الباقى وجبريل الميت
الفانى فيقول الله ياجبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل
كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب و يروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض
روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك
وتعالى طوى السماء كطى السجل للكتاب ثم يقول الله أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله
تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ فى الصور فيصعق
من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فاكون أول من رفع رأسه فاذا موسى
آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلى ومن قال أنا خير
من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية * وقوله تعالى (وكل)
أى وكل الذين أحيوا بعد الموت (أتوه) أى جاؤه (داخرين) أى صاغرين * قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها
جامدة) أى قائمة واقفة (وهى تمر مر السحاب) أى تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوى بها
وذلك ان كل شئ عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه و بعدما بين أطرافه فهو
فى حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى
لعظمه (صنع الله الذى أتقن كل شئ) يعنى انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التى لا يقدر عليها غيره جعل
ذلك الصنع من الاشياء التى أتقنها وأحكمها وأنى بها على وجه الحكمة والصواب (انه خبير بما يفعلون)
* قوله تعالى (من جاء بالحسنة) أى بكلمة الاخلاص وهى شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص فى العمل
وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل (فله خير منها) قال ابن عباس فبها يصل الى الخير يعنى انه له من تلك
الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما من يكون له شئ خير من الايمان فلا لانه لا شئ

وعبد الرحمن بن زيد خيرمنها يعني الاضعاف اعطاه الله تعالى بالواحدة عشرا فصاعدا وهذا احسن لان للاضعاف خصائص منها ان العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الاضعاف ومنها ان للشيطان سبيلا الى عمله وليس له سبيل الى الاضعاف ولا مطمع للخصوم في الاضعاف ولان الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) قرأ أهل الكوفة من فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم وقرأ الآخرون بالاضافة لانه أعم فانه يقتضي الامن من جميع فزع ذلك اليوم وبالتنوين كانه فزع دون فزع ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ (ومن جاء بالسيئة) يعني الشرك (فكبت وجوههم في النار) يعني ألقوا على وجوههم يقال كببت الرجل اذا ألقيته على وجهه فانكب وأكب وتقول لهم خزنة جهنم (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك قوله

تعالى (انما أمرت) يقول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل انما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني مكة (الذي حرمها) يعني جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) لله (وأن أتلو القرآن) يعني وأمرت أن أتلو القرآن (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه) أي نفع اهتدائه يرجع اليه (ومن ضل) عن الايمان وأخطأ عن طريق الهدى (فقل انما أنا من المنذرين) من المخوفين فليس على الا البلاغ نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) على نعمه (سيريكم آياته) يعني يوم بدر من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم نظيره قوله عز وجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون وقال مجاهد سيريكم آياته في السماء والارض وفي أنفسكم كما قال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم (فتعرفونها) يعني تعرفون الآيات والدلالات (وما ربك بغافل عما تعملون) وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم

خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف أعطاه الله بالواحدة عشر أضعافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) * فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الارض * قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر اليه فاما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه وأما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه أحد (ومن جاء بالسيئة) يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) أي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك * وقوله تعالى (انما أمرت) يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني أمرت أن أخص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه (الذي حرمها) أي جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من الاصنام (وله كل شئ) أي خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) لله المطيعين له (وان أتلو القرآن) أي أمرت أن أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه) أي نفع اهتدائه يرجع اليه (ومن ضل) أي عن الايمان وأخطأ طريق الهدى (فقل انما أنا من المنذرين) أي من المخوفين وما على الا البلاغ نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) أي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار (سيريكم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والارض وفي أنفسكم (فتعرفونها) أي فتعرفون الآيات والدلالات (وما ربك بغافل عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة القصص ﴾

وهي مكية الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية وأربعمائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (طسم تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو

﴿ سورة القصص مكية ﴾

الا قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله عز وجل ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (طسم تلك آيات الكتاب المبين

نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق) بالصدق (لقوم يؤمنون) يصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) استكبر وتجبر وتعظم (فى الارض) أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا وأصنافا فى الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) أراد بالطائفة بنى اسرائيل ثم فسر الاستضعاف فقال (يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم) سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين ونريد أن نمن) على الذين استضعفوا فى الارض) يعنى بنى اسرائيل (ونجعلهم أئمة) قادة فى الخير يقتدى بهم وقال قتادة ولاة وملوكا دليله قوله عز وجل وجعلكم ملوكا وقال مجاهد دعاة الى الخير (ونجعلهم الوارثين) يعنى أملاك فرعون وقومه يخلفونهم فى مساكنهم (ونمكن لهم فى الارض) نوطن لهم فى أرض مصر والشام ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه (ونرى فرعون) قرأ الاعمش وحمزة والكسائى يرى بالياء وفتحها فرعون (وهامان وجنودهما) مرفوعات على ان الفعل لهم وقرأ الآخرون بالنون وضمها وكسر الراء ونصب الياء ونصب ما بعده بوقوع الفعل عليه (منهم ما كانوا يحذرون) والحذر هو التوقى من الضرر وذلك انهم أخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بنى اسرائيل فكانوا على وجل منه فاراهم الله ما كانوا

يحذرون (وأوحينا الى أم موسى) ووحى الهام لا وحى نبوة قال قتادة قذف فى قلبها

وأم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب (أن أرضعيه) واختلفوا فى مدة الرضاع قيل ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر كانت ترضعه فى حجرها وهو لا يبكى ولا يتحرك (فاذا خفت عليه) يعنى من الذبح (فألقيه فى اليم) واليم البحر وأراد ههنا النيل (ولا تخافى) قيل لا تخافى عليه من الغرق وقيل من الضيعة (ولا تحزنى) على فراقه (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى أن أنجاهم الله على يدى نبيه موسى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها فقالت قد نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم فعالجت قبالها فلما أن وقع موسى بالارض هالها نور عينى موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها ياهذه ما جئت اليك حين دعوتنى الا مرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فانى أراه عدونا فلما خرجت القابلة من

الكتاب الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام (نتلوا عليك من نبا) أى خبر (موسى وفرعون بالحق) أى بالصدق (لقوم يؤمنون) أى يصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) أى تجبر وتكبر (فى الارض) أى أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) أى فرقا فى أنواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعنى بنى اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم) سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين) أى بالقتل والتجبر فى الارض (ونريد أن نمن) أى ننعم (على الذين استضعفوا فى الارض) يعنى بنى اسرائيل (ونجعلهم أئمة) أى قادة فى الخير يقتدى بهم وقيل ولاة ملوكا (ونجعلهم الوارثين) يعنى أملاك فرعون وقومه بان نجعلهم فى مساكنهم (ونمكن لهم فى الارض) أى نوطن لهم أرض مصر والشام ونجعلها لهم سكنا (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أى يخافون وذلك انهم أخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بنى اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون * قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى) هو وحى الهام وذلك بان قذف فى قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوى بن يعقوب (أن أرضعيه) قيل أرضعته ثمانية اشهر وقيل أربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكى ولا يتحرك فى حجرها (فاذا خفت عليه) أى الذبح (فألقيه فى اليم) أى فى البحر وأراد به نيل مصر (ولا تخافى) أى عليه من الغرق وقيل الضيعة (ولا تحزنى) أى على فراقه (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾ قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عينى موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها ياهذه ما جئت اليك حين دعوتنى الا مرادى قتل ولدك ولكن وجدت لولدك حبا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فانى أراه عدونا فلما خرجت القابلة

لاخت موسى فاين الصبي قالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله فى قلبها أن تتخذ له تابوتا فتجعله فيه ثم تقذف التابوت فى اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابن لى أخبئه فى التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه فوقع فى واد يهوى فيه حيران فجعل لله عليه ان رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيث ما كان فعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلنى على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فخرج من الوادى فآمن به وصدقه وعلم ان ذلك من الله عز وجل وقال

وهب بن منبه لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شئ ستره الله لما أراد أن يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى يولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن يفتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم ينتأ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم فاوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه الآية فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه فى حجرها لا يبكى ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت

من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة وألقته فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هى مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فاين الصبي فقالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبي فى التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله فى قلبها أن تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت فى النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لى أخبئه فى التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيا فضربوه وأخرجوه وبقى حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلنى على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين فقتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم ألقته فى اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها الى فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا فى أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت ابنة فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا لشئ فى البحر قد تعلق بالشجرة ايتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت منه آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم ير مثله غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبى صغير فى مهده واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمصه لبنا فالقى الله لموسى المحبة فى قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبى من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقال العواتق من قوم فرعون أيها

الملك أما ظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر خوفا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل لآسية سميه فقالت قد سميته موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر فموهو الماء وسى هو الشجر فذلك قوله عز وجل (فالتقطه آل فرعون) والالتقاط هو وجود الشئ من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار عاقبة أمرهم الى ذلك قرأ حمزة والكسائى حزنا بضم الحاء وسكون الزاى وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاى وهما لغتان (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) عاصين آثمين قوله تعالى (وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك) قال وهب لما وضع التابوت بين يدى فرعون ففتحوه فوجدوا فيه موسى فلما نظر اليه قال عبرانى من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكان فرعون قد استنكح امرأة من بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وانما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لى ولك (لا تقتلوه) وروى انها قالت له انه أتانا من أرض أخرى ليس من بنى اسرائيل (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) ان هلاكهم على يديه فاستحياه فرعون وألقى الله عليه محبته وقال لامرأته عسى أن ينفعك فاما أنا فلا أريد نفعه قال وهب ناسيا قال ابن عباس رضى الله عنهما لو أن عدو الله قال فى موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذى كتبه الله عليه وقوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى خاليا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه

وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا فى أمرها فقالوا أيها الملك لا نبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنات فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا لشئ فى البحر قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبى صغير فى التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته فى قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبى من التابوت عمدت الى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت ثم قبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر فزعا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أى فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر لان موهو الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشئ من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) أى عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى آثمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لم يشعروا أنه الذى يذهب بملكهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبرانى من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندى وقيل انها قالت انه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بنى اسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال فى موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذى كتبه الله عليه * قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى خاليا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه

ناسيا للوحى الذى أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تلقيه فى اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذى عهد اليها أن يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته فى البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه فى النيل قالت انه قد وقع فى يد عدوه الذى فررت منه فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدى به) أى لتصرح بأنه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر أنه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابنى وقيل كادت تبدى بالوحى الذى أوحى الله اليها أن يرده عليها (لولا أن ربطنا على قلبها) أى بالعصمة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بوعد الله اياها (وقالت لاخته) أى لمريم أخت موسى (قصيه) أى اتبعى أثره حتى تعلمى خبره (فبصرت به عن جنب) أى عن بعد قيل كانت تمشى جانبا وتنظره اختلاسا ترى انها لا تنظره (وهم لا يشعرون) انها أخته وانها ترقبه (وحرمنا عليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم فى طلب من يرضعه لهم (من قبل) أى قبل مجىء أم موسى وذلك لما رأته أخت موسى التى أرسلتها أمه فى طلب ذلك (فقالت) يعنى أخت موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى يضمونه ويرضعونه وهى امرأة قتل ولدها فاحب ما تدعى اليه أن تجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) أى لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة فى سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا من هم قالت أمى قالوا أولا مك ولد قالت نعم هرون وكان هرون ولد فى السنة التى لا يقتل فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت اليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبى ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا قيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) أى بردموسى اليها (ولا تحزن) أى ولئلا تحزن (ولتعلم أن وعد الله حق) أى برده اليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها أن يرده اليها (ولما بلغ أشده) قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أى بلغ أربعين سنة

التحريم المنع والمراضع جمع المرضع (من قبل) أى من قبل مجىء أم موسى فلما رأت أخت موسى التى أرسلتها أمه فى طلبه ذلك قالت لهم هل أدلكم وفى القصة ان موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصيح وهم فى طلب مرضعة له (فقالت) يعنى أخت موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه) أى يضمونه (لكم) ويرضعونه وهى امرأة قد قتل ولدها فاحب شىء اليها ان تجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد قالوا نعم فاتينا بها قال ابن جريج والسدى لما قالت أخت موسى وهم له ناصحون اخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام

فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه وقلت هم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت هذا رغبة فى سرور الملك واتصالنا به وقيل انها لما قالت هل أدلكم على أهل بيت قالوا لها من قالت أمى قالوا ولا مك ابن قالت نعم هرون وكان هرون ولد فى سنة لا يقتل فيها الولدان قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت الى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبى ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا قال السدى كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بردموسى اليها (ولا تحزن) أى لئلا تحزن (ولتعلم أن وعد الله حق) برده اليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها رده اليها (ولما بلغ أشده) قال الكلبى الاشد ما بين ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقال مجاهد وغيره ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أى بلغ أربعين سنة وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل استوى انتهى شبابه

(آتيناه حكما وعلما) أى الفقه والعقل والعلم فى الدين فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيا (وكذلك نجزى المحسنين) قوله تعالى (ودخل المدينة) يعنى دخل موسى المدينة قال السدى هى مدينة منف من أرض مصر وقال مقاتل كانت قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين الشمس (على حين غفلة من أهلها) وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة وقال محمد بن كعب القرظى دخلها فيما بين المغرب والعشاء واختلفوا فى السبب الذى من أجله دخل المدينة فى هذا الوقت قال السدى وذلك ان موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى أثره فادركه المقيل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس فى طرقها أحد فذلك قوله عز وجل ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال محمد بن اسحق كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يستمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه نخالفهم فى دينهم حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم فكان

لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها وقال ابن زيد لما علاه موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر باخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا بعد ان كبر وبلغ أشده فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى أى من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعد عهدهم به وروى عن على فى قوله حين غفلة قال كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) يختصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) من بنى اسرائيل (وهذا من عدوه) من القبط قيل الذى كان من شيعته السامرى والذى من عدوه من القبط قيل طباخ فرعون اسمه فاتون وقيل هذا من شيعته وهذا من عدوه أى هذا مؤمن وهذا كافر وكان القبطى يسخر الاسرائيلى ليحمل الحطب الى المطبخ قال

الدفع

سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الحطب الى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعونى لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة والبطش (فوكزه موسى) وقرأ ابن مسعود فلكزه موسى ومعناهما واحد وهو الضرب بجميع الكف وقيل الوكز الضرب فى الصدر واللكز فى الظهر وقال الفراء معناهما واحد وهو الدفع قال أبو عبيدة الوكز الدفع باطراف الاصابع وفى بعض التفاسير عقد موسى ثلاثا وثمانين

قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) أى عقلا وفهما فى الدين فعلم وحكم موسى قبل ان يبعث نبيا (وكذلك نجزى المحسنين) *قوله تعالى (ودخل المدينة) يعنى موسى والمدينة قيل هى منف من أعمال مصر وقيل هى قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هى نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخول المدينة فى ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب فى مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فادركه المقيل بأرض منف فدخلها وليس فى أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه نخالفهم فى دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن على انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتخاصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) أى من بنى اسرائيل (وهذا من عدوه) يعنى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطى يريد أن يأخذ الاسرائيلى يحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط (فاستغاثه الذى من شيعته) يعنى الاسرائيلى (على الذى من عدوه) يعنى الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الحطب الى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعونى لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فوكزه موسى) يعنى ضربه بجميع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر وقيل الوكز

الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) يعنى قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل (قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) يعنى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعنى انه من جند الشيطان وحزبه (قال رب انى ظلمت نفسى) يعنى بقتل القبطى من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب * وقوله (فاغفر لى) يعنى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفر لى أى فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون (فغفر له) أى فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أى بالمغفرة والستر الذى (أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) معناه فانا لا أكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على أن الاسرائيلى الذى أعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلى فى اليوم الثانى أى لم يقل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين (فأصبح فى المدينة) أى التى قتل فيها القبطى (خائفا يترقب) أى ينتظر سوأ والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) أى يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى (قال له موسى) للاسرائيلى (انك لغوى مبين) أى ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثنى عليه (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) وذلك ان موسى أخذته الغيرة والرقة للاسرائيلى فمد يده ليبطش بالقبطى فظن الاسرائيلى انه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوى مبين (قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) معناه انه لم يكن علم أحد من قوم فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى حتى أفشى عليه الاسرائيلى ذلك فسمعه القبطى فاتى فرعون فاخبره بذلك (ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض) اى بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذى يقتل ويضرب ولا ينظر فى العواقب وقيل هو الذى يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى (وما تريد ان تكون من المصلحين) ولما فشا ان موسى قتل القبطى امر فرعون بقتله فخرجوا فى طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) اى يسرع فى مشيه واخذ

ان بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال ابغوا لى قاتله ومن يشهد عليه فلا يستقيم أن يقضى بغير بينة فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعونى فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى (قال له موسى) للاسرائيلى (انك لغوى مبين) ظاهر الغواية قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثنى عليه وقيل انما قال موسى للفرعونى انك لغوى مبين بظلمك والاول أصوب وعليه الاكثرون انه قال ذلك للاسرائيلى (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) وذلك ان موسى أدركته الرقة بالاسرائيلى فمد يده ليبطش بالفرعونى فظن الاسرائيلى انه يريد أن يبطش به لما رأى من غضبه وسمع قوله انك لغوى مبين (قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد) ما تريد (الا أن تكون جبارا فى الارض) بالقتل ظلما (وما تريد أن تكون من المصلحين) فلما سمع القبطى ما قال الاسرائيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى فانطلق الى فرعون وأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى قال ابن عباس فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الاعظم (وجاء رجل) من شيعة موسى (من أقصى المدينة) أى من آخرها قال أكثر أهل التأويل اسمه حزقيل مؤمن من آل فرعون وقيل اسمه شمعون وقيل سمعان (يسعى) أى يسرع فى مشيه فاخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فاخبره وأنذره حتى أخذ طريقا آخر

(قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك) يعني أشراف قوم فرعون يتشاورون فيك (ليقتلوك) قال الزجاج يأمر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) من المدينة (اني لك من الناصحين) في الامر لك بالخروج (فخرج منها) موسى (خائفا) أي ينتظر الطلب (قال رب نجني من القوم الظالمين) الكافرين وفي القصة ان فرعون بعث في طلبه حين أخبر بهربه فقال اركبوا بنيات الطريق فانه لا يعرف كيف الطريق (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد نحوها ماضيا اليها يقال داره تلقاء دار فلان اذا كانت محاذيتها وأصله من اللقاء قال الزجاج يعني سلك الطريق التي يلقى مدين فيها ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلدة باسمه وكان موسى قد خرج خائفا بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق الى مدين قال ذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل فلما دعا جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قال المفسرون خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر والبقل حتى انه يرى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين

حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام (ولما ورد ماء مدين) وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه أمة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) يعني سوى الجماعة وقيل بعيدا عن الجماعة (امرأتين تذودان) يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر قال الحسن تكفان الغنم عن أن تختلط باغنام الناس وقال قتادة تكفان الناس عن أغنامهما وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب والقول الاول أصو بهما لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى للمرأتين (ما خطبكما) ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس (قالتا لا نسقي) أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) قرأ أبو جعفر وابو عمرو وابن عامر يصدر بفتح الياء وضم الدال على اللزوم غطوا أي حتى يرجع الرعاء عن الماء وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار ومعنى الآية لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان لا نطيق أن نستقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم واختلفوا في اسم أبيهما فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن هو شعيب النبي عليه السلام وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير هو يرون بن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن آمن بشعيب قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقال ابن اسحق ان موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين ويروى ان القوم لما رجعوا باغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين ويقال انه نزع ذنوبا واحدا ودعا عليه بالبركة فروي منه جميع الغنم فذلك قوله

طريقا قريبا حتى سبق الى موسى وأخبره وأنذره بما سمع (قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك) يعني يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) يعني من المدينة (اني لك من الناصحين) يعني في الامر بالخروج (فخرج منها) يعني موسى (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) يعني ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى لعلمه انه لا ملجأ الا اليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) يعني الكافرين * قوله تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) يعني قصد نحوها ماضيا اليها قيل انه وقع في نفسه ان بينهم و بينه قرابة لان أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابرهيم سميت البلد باسمه و بين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعني موسى (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) يعني قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين * قوله عز وجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) يعني على الماء (أمة) يعني جماعة (من الناس يسقون) يعني مواشيهم (ووجد من دونهم) يعني سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تذودان) أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تندّ وتذهب والقول الاول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى للمرأتين (ما خطبكما) أي ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس (قالتا لا نسقي) يعني أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) أي حتى يرجع الرعاء من الماء والمعنى انا امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا نحن مواشينا من فضل ما بقي منهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) أي لا يقدر أن يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي

(فسقى لهما ثم تولى الى الظل) ظل شجرة فجلس فى ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب إنى لما أنزلت الىّ من خير) من طعام (فقير) قال أهل اللغة اللام بمعنى الى يقال هو فقير له وفقير اليه يقول انى لما أنزلت الى من خير أى طعام فقير محتاج كان يطلب الطعام لجوعه قال ابن عباس سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه قال محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة قال مجاهد ما سأله الا الخبز قالوا فلما رجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى قال الله تعالى (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) قال أبو حازم سلمة بن دينار

غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) يعنى عدل الى رأس شجرة فجلس فى ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير) معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه الىّ قال الله تعالى (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) قيل هى الكبرى واسمها صفوراء وقيل صفراء وقيل بل هى الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافئه وقيل لانها رسول أبيها (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدّا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق اذا أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أى موسى (وقص عليه القصص) أى أخبره بأمره أجمع من خبر ولادته وقتله القبطى وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يعنى من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت احداهما يا أبت استأجره) أى اتخذه أجيرا ليرعى أغنامنا (ان خير من استأجرت القوى الامين) يعنى ان خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت أما قوته فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته فانه قال لى امشى خلفى حتى لا تصف الريح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (انى أريد أن أنكحك) أن أزوّجك (احدى ابنتىّ هاتين) قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهى التى ذهبت فى طلب موسى (على أن تأجرنى ثمانى حجج) أى تكون لى أجيرا ثمان سنين

لا يذهب ولكن كان جائعا فلم يجد بدّا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق ان أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يا شاب فتعش فقال موسى أعوذ بالله فقال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى وأكل (فلما جاءه وقص عليه القصص) يعنى أمره أجمع من قتل القبطى وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يعنى فرعون وقومه وانما قال هذا لانه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين (قالت احداهما يا أبت استأجره) اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا (ان خير من استأجرت القوى الامين) يعنى خير من استعملت من قوى على العمل واداء الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع حجرا من راس البئر لا يرفعه الا عشرة وقيل الا اربعون رجلا واما امانته فانه قال لى امشى خلفى حتى لا تصف الريح بدنك فقال) شعيب عند ذلك (انى أريد أن أنكحك احدى ابنتىّ هاتين) واسمهما صفوراء وليا فى قول شعيب الجبائى وقال ابن اسحق صفورة وشرفا وقال غيرهما الكبرى صفراء والصغرى صفيراء وقيل زوجه الكبرى وذهب أكثرهم الى انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورة وهى التى ذهبت لطلب موسى (على أن تأجرنى ثمانى حجج) يعنى أن تكون أجيرا لى ثمان سنين قال القراء يعنى اجعل ثوابى من تزويجها أن ترعى غنمى ثمانى حجج تقول العرب آجرك الله باجرك أى أثابك والحجج

للسنون واحدتها حجة (فان أتممت عشرا فمن عندك) أى ان أتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع وليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أن ألزمك تمام العشر الا أن تتبرع (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) قال عمر يعنى فى حسن الصحبة والوفاء بما قلت (قال) موسى (ذلك بينى و بينك) يعنى هذا الشرط بينى و بينك فما شرطت على فلك وما شرطت من تزويج احداهما فلى والامر بيننا تم الكلام ثم قال (أيما الاجلين قضيت) يعنى أى الاجلين وما صلة قضيت يعنى أتممت وفرغت من الثمان أو العشر (فلا عدوان على) لا ظلم على بان أطالب بأكثرمنهما (والله على ما نقول وكيل) قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بينى و بينك وقيل حفيظ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمد بن عبد الرحيم انا سعيد بن سليمان انا مروان بن شجاع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال سألنى يهودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى قلت لا أدرى حتى أقدم على حبر العرب فاساله فقدمت على ابن عباس فسألته فقال قضى أكثرهما وأطيبهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروى عن أبى ذر مرفوعا اذا سئلت أى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما واذا سئلت بأى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج صغراهما وقضى أوفاهما وقال وهب أنكحه الكبرى روى عن شداد بن أوس مرفوعا بكى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فأوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيئا لك لقائى يا شعيب لذلك أخدمتك موسى كليمى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا فى تلك العصا قال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقى بها موسى ليلا فدفعها اليه وقال آخرون كانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبى الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم الى شعيب وكانت عصى الانبياء عنده فأعطاها موسى وقال السدى كانت تلك العصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فدخلت فاخذت العصا فاتته بها فلما رآها شعيب قال لها ردى هذه العصا وأتيه بغيرها فالقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فلا تقع فى يدها الا هى حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فاعطتها موسى فاخرجها موسى معه ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة فذهب فى أثره وطلب أن يرد العصا فابى موسى أن يعطيه وقال هى عصاى فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فلقيهما ملك فى صورة آدمى فحكم أن يطرح العصا فمن حملها فهى له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها فلم يطقها فاخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ ثم ان موسى لما أتم الاجل وسلم شعيب ابنته اليه قال موسى للمرأة اطلبى من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطابت نفس أبيها فقال شعيب لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل أراد شعيب أن يجازى موسى على حسن رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال له انى قد وهبت لك من الجدايا التى تضعها اغنامى هذه السنة كل ابلق و بلقاء فاوحى الله الى موسى فى المنام أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستسقى الاغنام فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الاغنام منه فما أخطأت واحدة منها الا وضعت حملها ما بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل الى موسى وامر أنه فوفى له شرطه وسلم الاغنام اليه

(فان أتممت عشرا فمن عندك) أى فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أى ألزمك تمام العشر الا أن تتبرع (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) أى فى حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته (قال) يعنى موسى (ذلك بينى و بينك) يعنى ما شرطت على فلك وما شرطت من تزوج احداهما فلى والامر بيننا على ذلك (أيما الاجلين قضيت) أى أى الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان على) أى لا ظلم على بان أطالب باكثر منه (والله على ما نقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بينى و بينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سالنى يهودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى قلت لا أدرى حتى أقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما ان رسول الله اذا قال فعل وروى عن أبى ذر مرفوعا اذا سئلت أى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما واذا سئلت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا أبت استاجره فتزوج صغراهما وقضى أوفاهما وقال وهب أنكحه الكبرى وروى شداد بن أوس مرفوعا بكى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيئا لك لقائى يا شعيب لذلك أخدمتك كليمى موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبى الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل

قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) يعني أتمه وفرغ منه (وسار باهله) قال مجاهد لما قضى موسى الاجل مكث بعد ذلك عند صهره عشرا أخر فاقام عنده عشرين سنة ثم استاذنه في العود الى مصر فاذن له فخرج باهله الى جانب مصر (آنس) يعني أبصر (من جانب الطور نارا) وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد وأخذ امر أنه الطلق (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) يعني عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق (أو جذوة من النار) يعني قطعة وشعلة من النار وفيها ثلاث لغات قرأ عاصم جذوة بفتح الجيم وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسرها قال قتادة ومقاتل هي العود الذي قد احترق بعضه وجمعها جذى (لعلكم تصطلون) تستدفئون (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادي الايمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) لموسى جعلها الله مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقال عطاء يريد المقدسة (من الشجرة) من ناحية الشجرة قال ابن

مسعود كانت سمرة خضراء تبرق وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت عوسجة قال وهب من العليق وقال ابن عباس رضي الله عنهما انها العناب (أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) لم يرجع فنودي (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك) أدخل (يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) برص فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) قرأ أهل الكوفة والشام بضم الراء وسكون الهاء ويفتح حفص الراء وقرأ الآخرون بفتحهما وكلها لغات

سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيبا أراد أن يجازي موسى على حسن رعيه اكراما له وصلة لابنته فقال له انى قد وهبت لك من ولد أغنامي كل أبلق وبلقاء في هذه السنة فاوحى الله تعالى الى موسى في النوم أن اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامر أنه فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام * قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) أي أتمه وفرغ منه (وسار بأهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استاذنه في العود الى مصر فاذن له فسار باهله أي بزوجته قاصدا الى مصر (آنس) أي أبصر (من جانب الطور نارا) وذلك انه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امر أنه الطلق (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) أي عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق (أو جذوة من النار) أي قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) يعني من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء تبرق وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب (أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين) قيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك أن المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق في نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال انى سمعته بجميع أجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى (وأن ألق عصاك) يعني فالقاها (فلما رآها تهتز) يعني تتحرك (كأنها جان) هي الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة (ولى مدبرا) يعني هاربا منها (ولم يعقب) يعني ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا بلعتها حتى ان موسى سمع صريرا سنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودي عند ذلك (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) * قوله عز وجل (اسلك يدك) يعني أدخل يدك (في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) يعني برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) يعني

بمعنى الخوف ومعنى الآية اذا هالك أمر يدك وما ترى من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى والجناح اليد كلها وقيل هو العضد وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم أمره الله أن يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقال ما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقيل المراد من ضم الجناح السكون يعني سكن روعك واخفض عليك جأشك لان من شان الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه ومثله قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق وقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أي ارفق بهم وألن جانبك لهم وقال الفراء أراد بالجناح العصا معناه اضمم اليك عصاك وقيل الرهب الكم بلغة حمير قال الاصمعي سمعت بعض الاعراب يقول اعطني ما في رهبك أي في كمك معناه اضمم اليك يدك واخرجها من الكم لانه تناول العصا ويده في كمه

(فذانك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) آيتان (من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجرة فى فيه (فارسله معى ردأ) عونا يقال لردأة أى أعنته قرأ نافع ردا بفتح الدال من غير همز طلبا للخفة وقرأ الباقون بسكون الدال مهموزا (يصدقنى) قرأ ابن عمرو وعاصم وحمزة برفع القاف على الحال أى ردأ مصدقا وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الدعاء والتصديق لهرون فى قول الجميع قال مقاتل لكى يصدقنى فرعون (انى أخاف أن يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك باخيك) أى نقويك بأخيك وكان هرون يومئذ بمصر (ونجعل لكما سلطانا) حجة وبرهانا (فلا يصلون اليكما بآياتنا) أى لا يصلون اليكما بقتل ولا سوء لمكان آياتنا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره ونجعل لكما سلطانا بآياتنا بما نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) أى لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ماهذا الا سحر مفترى) مختلق (وماسمعنا بهذا) بالذى تدعونا اليه (فى آبائنا الاولين وقال موسى) قرأ المكى بغير واو وكذلك هو فى مصاحفهم (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) بالحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) يعنى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) يعنى الكافرون (وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى فاوقد لى ياهامان على الطين) يعنى فاطبخ لى الآجر وقيل انه أول من اتخذ الآجر وبنى به (فاجعل لى صرحا) قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق أحد عمل شيا فيه الا هلك فذلك قوله (لعلى أطلع

من الخوف والمعنى اذا هالك أمر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالها الاولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون أى سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده فى كمه (فذانك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) يعنى آيتان (من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى خارجين عن الحق (قال رب انى قتلت منهم نفسا) يعنى القبطى (فأخاف أن يقتلون) يعنى به (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) يعنى بيانا وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجرة فى فيه (فارسله معى ردأ) يعنى عونا (يصدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو أن يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (انى أخاف أن يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) يعنى سنقويك به وكان هرون بمصر (ونجعل لكما سلطانا) يعنى حجة وبرهانا (فلا يصلون اليكما) أى بقتل ولا سوء (بآياتنا) قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) يعنى لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) يعنى واضحات (قالوا ماهذا الا سحر مفترى) يعنى مختلق (وماسمعنا بهذا) يعنى بالذى تدعونا اليه (فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يعنى انه يعلم الحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) يعنى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) يعنى الكافرون (وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى) فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فأوقد لى ياهامان على الطين) يعنى اطبخ لى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجرا وبنى به (فاجعل لى صرحا) أى قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق أحد ممن عمل فيه بشئ الا هلك فذلك قوله تعالى فاوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا (لعلى أطلع

الى

الى الله موسى) أنظر اليه واقف على حاله (واني لاظنه) يعني موسى (من الكاذبين) في زعمه ان للارض وللخلق الها غيري وانه رسوله (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) قرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم والباقون بضم الياء وفتح الجيم (فاخذناه وجنوده فنبذناهم) فالقيناهم (في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة) قادة ورؤساء (يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون) لا يمنعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) خزيا وعذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المبعدين الملعونين وقال أبو عبيدة من المهلكين وعن ابن عباس رضي الله عنهما من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا ويقال قبحه قبحا وقبوحا اذا أبعده من كل خير قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى (بصائر للناس) يعني ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به (وهدى) من الضلال لمن عمل به (ورحمة) لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) بما فيه من المواعظ والبصائر (وما كنت) يا محمد (بجانب الغربي) يعني بجانب الجبل الغربي قاله قتادة والسدي وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد حيث ناجى موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) يعني عهدنا اليه وأحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) الحاضرين ذلك المقام فتذكره من ذات نفسك (ولكنا أنشأنا قرونا) خلقنا أمما من بعد موسى عليه السلام (فتطاول عليهم العمر) أي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه وتركوا أمره وذلك ان الله تعالى قد عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها (وما كنت ثاويا) مقيما (في أهل مدين) كمقام موسى وشعيب فيهم (تتلو عليهم آياتنا) تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين) أي أرسلناك رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (اذ نادينا) اي موسى خذ الكتاب

الى الله موسى) يعني أنظر اليه وأقف على حاله (واني لاظنه) يعني موسى (من الكاذبين) يعني في زعمه ان للارض والخلق الها غيري وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الارض) يعني تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) يعني للحساب والجزاء (فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) يعني فالقيناهم في البحر وهو الملزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعني حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم أئمة) يعني قادة ورؤساء (يدعون الى النار) أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) يعني لا يمنعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) يعني خزيا وبعدا وعذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) يعني المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون * وقوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصائر للناس) يعني ليبصروا ذلك فيهتدوا به (وهدى) يعني من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) يعني لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) يعني بما فيه من المواعظ (وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وما كنت يا محمد (بجانب الغربي) يعني بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) يعني عهدنا اليه وأحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) يعني الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك (ولكنا أنشأنا قرونا) يعني خلقنا بعد موسى أمما (فتطاول عليهم العمر) يعني طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها (وما كنت ثاويا) أي مقيما (في أهل مدين) أي كمقام موسى وشعيب فيهم (تتلو عليهم آياتنا) يعني تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين) أي أرسلناك رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (اذ نادينا) اي موسى خذ الكتاب

موسى وشعيب فيهم (تتلو عليهم آياتنا) تذكرهم بالوعد والوعيد قال مقاتل يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين) أي أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى (اذ نادينا) قيل اذ ناديناه موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب أرني محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت ناديت أمته وأسمعتك أصواتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب آبائهم وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير نادى يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ورفعه بعضهم قال الله يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الامهات لبيك اللهم لبيك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان تستغفروني من جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر

قوله تعالى (ولكن رحمة من ربك) أى ولكن رحمناك رحمة بارسالك وبالوحى اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعنى أهل مكة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والمعصية (فيقولوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) وجواب لولا محذوف أى لعاجلناهم بالعقوبة يعنى لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكن بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على

بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرنى محمدا وأمته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والارحام أى أرحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم قبل ان تسالونى وقد أجبتكم قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم قبل ان تستغفرونى ومن جاءنى يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أى رحمناك رحمة بارسالك والوحى اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعنى أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم فجمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التى اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا فى أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن فى هذه الاحوال حاضرا بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كأنه قال فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك * قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أى عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) يعنى من الكفر والمعاصى (فيقولوا ربنا لولا) أى هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعنى كفار مكة (لولا) أى هلا (أوتى) محمد (مثل ما أوتى موسى) يعنى من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل أوتى كتابا جملة واحدة كما أوتى موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) قيل ان اليهود أرسلوا الى قريش أن يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتى موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل يعنى اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهرا) يعنى التوراة والقرآن يقوى كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعنى محمدا وموسى وقيل ان مشركى مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته فى كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا انا بكل كافرون) يعنى بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعنى من التوراة والقرآن (أتبعه) يعنى الكتاب الذى تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) أى فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) يعنى ان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين) * قوله عز وجل (ولقد وصلنا لهم القول) قال ابن عباس بينا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا للكفار مكة بما فى القرآن من أخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم

الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعنى كفار مكة (لولا) هلا (أوتى) محمد (مثل ما أوتى موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وقيل مثل ما أوتى موسى كتابا جملة واحدة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أى فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد (قالوا ساحران تظاهرا) قرأ أهل الكوفة سحران أى التوراة والقرآن تظاهرا يعنى كل سحر يقوى الآخر نسب التظاهر الى السحرين على الاتساع قال الكلبى كانت مقالتهم تلك حين بعثوا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رؤس اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد فاخبروهم ان نعته فى كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا وقرأ الآخرون ساحران يعنون محمدا وموسى عليهما السلام لان معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب (وقالوا انا بكل كافرون قل) لهم يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) عاينوا يعنى من التوراة والقرآن (أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) أى لم يأتوا بما طلبت (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول) قال ابن عباس رضى الله عنهما بينا قال القراء أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا قال قتادة وصل لهم القول فى هذا القرآن يعنى كيف صنع بمن مضى قال مقاتل بينا للكفار مكة بما فى القرآن من أخبار الامم

الحالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الاخرة حتى كأنهم عاينوا الاخرة فى الدنيا (لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مقاتل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير هم أربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبى الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا وجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم الذين آتيناهم الكتاب الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال نزلت فى ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله فقال (واذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) أى من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبى حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) لايمانهم بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر (بما صبروا) على دينهم قال مجاهد نزلت فى قوم من أهل الكتاب أسلموا فاوذوا أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا أبو على زاهر بن أحمد أنا أبو عبد الله محمد بن جعفر الجوينى أنا أحمد بن سعيد الدارمى أنا عثمان أنا شعبة عن صالح عن الشعبى عن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها فاحسن تاديبها ثم أعتقها وتزوجها ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن عبادة الله ونصح لسيده قوله عز وجل (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس رضى الله عنهما يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك قال مقاتل يدفعون ما سمعوا من الاذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو والمغفرة (ومما رزقناهم ينفقون) فى الطاعة (واذا سمعوا اللغو) القبيح من القول (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة معناه سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبيح من القول (لا نبتغى الجاهلين) أى دين الجاهلين يعنى لا نحب دينكم الذى أنتم عليه وقيل لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال قوله تعالى (انك لا تهدى من أحببت) أى أحببته هدايته وقيل أحببته لقرابته (ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) قال مجاهد ومقاتل نزلت فى أبى طالب قال للنبى صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تعالى هذه الاية

عاينوا الآخرة فى الدنيا (لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبى طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت فى ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشأم ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) أى من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبى حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) يعنى بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (بما صبروا) أى على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) أى فى الطاعة (واذا سمعوا اللغو) أى القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم (لا نبتغى الجاهلين) يعنى لا نحب دينكم الذى أنتم عليه وقيل لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال * قوله تعالى (انك لا تهدى من أحببت) أى هدايته وقيل أحببته لقرابته (ولكن الله يهدى من يشاء) وذلك أن الله تعالى يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان (وهو أعلم بالمهتدين) أى بمن قدر له الهدى

(وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أرض مكة نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذى تقول حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من أرضنا مكة وهو معنى قوله نتخطف من أرضنا والاختطاف الانتزاع بسرعة قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) وذلك ان العرب فى الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة (يجبى) قرأ أهل المدينة ويعقوب تجبى بالتاء لاجل الثمرات والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل أى يجلب ويجمع (اليه) يقال جبيت الماء فى الحوض أى جمعته قال مقاتل يحمل الى الحرم (ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ما يقوله حق قوله عزوجل (وكم أهلكنا من قرية) أى من أهل قرية (بطرت معيشتها) أى فى معيشتها أى أشرت وطغت قال عطاء عاشوا فى البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يسكنها الا المسافرون ومارو الطريق يوما أو ساعة معناه لم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلا وقيل معناه لم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب (وكنا نحن الوارثين) كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها (وما كان ربك مهلك القرى) أى القرى الكافر أهلها (حتى يبعث فى أمها رسولا) يعنى فى أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الاعظم ببعثة الرسول فيها لان الرسول يبعث الى الاشراف والاشراف يسكنون المدائن والمواضع التى هى أم ما حولها (يتلوا عليهم آياتنا) قال مقاتل يخبرهم الرسول ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) مشركون يريد أهلكهم بظلمهم (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هى الى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) ان الباقى خير من الفانى قرأ عامة القراء تعقلون بالتاء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أى الجنة (فهو لاقيه) مصيبه ومدركه وصائر اليه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) أى وتزول عنه عن

(م) عن أبى هريرة قال انك لا تهدى من أحببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود عمه أبا طالب على الاسلام وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا ان تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لافررت بها عينك ثم أنشد

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الآية (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يعنى مكة نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذى تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) وذلك ان العرب كانت فى الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان تأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة (يجبى اليه) يعنى يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك * قوله عزوجل (وكم أهلكنا من قرية) يعنى من أهل قرية (بطرت معيشتها) أى أشرت وطغت وقيل عاشوا فى البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب (وكنا نحن الوارثين) يعنى لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها الى الله تعالى لانه الباقى بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعنى الكافرة أهلها (حتى يبعث فى أمها رسولا) أى فى أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث فى أم القرى وهى مكة رسولا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء (يتلوا عليهم آياتنا) أى انه يؤدى اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) أى مشركون * قوله عزوجل (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) أى تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هى الى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى) لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهى دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أى ان الباقى خير من الفانى وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعى من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعنى الجنة (فهو لاقيه) أى مصيبه وصائر اليه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) أى وتزول عنه عن

قريب

(ثم هو يوم القيامة من المحضرين) النار قال قتادة يعني المؤمن والكافر قال مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقال محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل وقال السدي نزلت في عمار والوليد بن المغيرة (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) في الدنيا انهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع (أغويناهم كما غوينا) أضللناهم كما ضللنا (تبرأنا اليك) منهم (ما كانوا إيانا يعبدون) برئ بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو (وقيل) للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف على تقدير لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب (ويوم يناديهم) أي يسأل الله الكفار (فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت) خفيت واشتبهت (عليهم الانباء) أي الاخبار والاعذار وقال مجاهد الحجج (يومئذ) فلا يكون لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) لا يجيبون وقال قتادة لا يحتجون وقيل يسكتون لا يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) من السعداء الناجين قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة ابن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم قوله عز وجل (ما كان لهم الخيرة) قيل ما للاثبات معناه ويختار الله ما كان لهم الخيرة أي يختار ما هو الاصلح والخير وقيل هو للنفي أي ليس

قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة * قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي في الدنيا انهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع (أغويناهم كما غوينا) أي أضللناهم كما ضللنا (تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعني للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) معناه لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة (ويوم يناديهم) أي يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أي ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم) أي خفيت واشتبهت عليهم (الانباء) يعني الاخبار والاعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) أي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا (فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب * قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن) أي تخفي (صدورهم وما يعلنون) أي يظهرون (وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة) أي يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة (وله الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس بحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة (واليه ترجعون) * قوله عز وجل (قل) أي قل يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) يعني اخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أي دائما (الى يوم القيامة) لا نهار فيه (من اله غير الله يأتيكم بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وقبول (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) أي لا ليل فيه (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أنتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار

اليهم الاختيار أو ليس لهم ان يختاروا على الله كما قال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة والخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر وهي اسم المختار أيضا كما يقال محمد خيره الله من خلقه ثم نزه نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) يظهرون (وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة) يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة (وله الحكم) فصل القضاء بين الخلق قال ابن عباس رضي الله عنهما حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل معصيته بالشقاء (واليه ترجعون) قوله (قل أرأيتم) أخبروني يا أهل مكة (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما (الى يوم القيامة) لا نهار معه (من اله غير الله يأتيكم بضياء) نهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) سماع فهم وقبول (قل أرأيتم) أخبروني يا أهل مكة (ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) لا ليل فيه (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ما انتم عليه من الخطأ

(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) بالنهار (ولعلكم تشكرون) نعم الله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعنى رسولهم الذى أرسل اليهم كما قال فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد (فقلنا هاتوا برهانكم) حجتكم بان معى شريكا (فعلموا أن الحق) التوحيد (لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) فى الدنيا قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وموسى بن عمران بن قاهث وقال ابن اسحق كان قارون عم موسى كان أخا عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن فى بنى اسرائيل أقرأ للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل فكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال قتادة بغى عليهم بكثرة المال وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك وقال شهر بن حوشب زاد فى طول ثيابه

يتعاقبان لان المرء فى حال الدنيا وفى حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولاجله يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك لا يتم الا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما فأما فى الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فبين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أى يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى بالنهار (ولعلكم تشكرون) أى نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ (ونزعنا) يعنى أخرجنا وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعنى رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) يعنى للأمم المكذبة لرسلهم (هاتوا برهانكم) أى حجتكم بأن معى شريكا (فعلموا أن الحق لله) أى التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى يختلقون فى الدنيا من الكذب على الله * قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن فى بنى اسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد فى طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثيابه خيلاء أخرجاه فى الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه) جمع مفتح وهو الذى يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعنى خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لتثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا (اذ قال له قومه لا تفرح) يعنى لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح (ان الله لا يحب الفرحين) يعنى الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن اليها فأما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) يعنى اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه فى رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك أن تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجو

شبرا وروينا عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) هى جمع مفتح وهو الذى يفتح به الباب هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة وقيل مفاتح خزائنه كما قال وعنده مفاتح الغيب أى خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) لتثقلهم أى وتميل بهم اذا حملوها لتثقلها قال أبو عبيدة هذا من المقلوب تقديره ما ان العصبة لتنوء بها يقال ناء فلان بكذا اذا نهض به مثقلا واختلفوا فى عدد العصبة قال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وقيل أربعون رجلا وقيل سبعون وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان يحمل مفاتحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقال جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت فى الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وقرستين بغلا ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز ويقال كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا (اذ قال له قومه) قال لقارون قومه من بنى اسرائيل (لا تفرح) لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح (ان الله لا يحب الفرحين) الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) اطلب فيما أعطاك الله من الاموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه فى رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) قال مجاهد وابن زيد لا تترك أن تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا أن يعمل للآخرة وقال السدى

بالصدقة وصلة الرحم وقال على لا تنس صحتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الاخرة أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أبو الحسن أحمد بن محمد بن شاذان انا أبو يزيد حاتم بن محبوب الشامي انا الحسن المروزي انا عبد الله بن المبارك انا جعفر بن برقان عن زياد بن الجراح عن عمرو بن ميمون الازدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك الحديث صحيح مرسل قال الحسن أمر ان يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه قال منصور بن زاذان في قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال قوتك وقوت أهلك (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن الله اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس كما أحسن الله اليك (ولا تبغ) لا تطلب (الفساد في الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعني قارون (انما أوتيته على علم عندي) أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال

تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة عن عمرو بن ميمون الازدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس (ولا تبغ) أي ولا تطلب (الفساد في الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعني قارون (انما أوتيته على علم عندي) أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال علي كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي للاموال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم * قوله عز وجل (فخرج على قومه في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهم الحلى والثياب الحمر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) أي من المال (وقال الذين أوتوا العلم) أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن) أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أي لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا * قوله تعالى (فخسفنا به وبداره الارض)

علي كما فضلني بغيره قيل هو علم الكيمياء قال سعيد ابن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب أمواله وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قوله تعالى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون) الكافرة (من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للاموال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال وقال مجاهد يعني لا يسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم قال الحسن لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع (فخرج على قومه في زينته) قال ابراهيم النخعي خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر قال ابن زيد في سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال مجاهد على براذين بيض عليها سرج الارجوان قال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) من المال (وقال الذين أوتوا العلم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الاحبار من بني اسرائيل وقال مقاتل أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون في الدنيا (ويلكم ثواب الله خير) يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير (لمن آمن) وصدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) قال مقاتل لا يؤتاها يعني الاعمال الصالحة وقال الكلبي لا يعطاها في الآخرة وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا قوله عز وجل (فخسفنا به وبداره الارض) قال أهل العلم بالاخبار كان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون

عليهما السلام وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله أوحى الى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونى به اذا نظروا الى السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذهم لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير فدعاهم موسى عليه السلام وقال ان الله يأمركم أن تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكى تذكروا بكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذه الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون وهى رياسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بهديهم الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك من نفسه وأتى موسى فقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ من ذلك وأنا أقرأ التوراة لا صبر لى على هذا فقال له موسى ما أنا جعلتها فى هرون بل الله جعلها له فقال قارون والله لا أصدقك حتى ترينى بيانه فجمع موسى رؤس بنى اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها فى قبته التى كان يعبد الله فيها فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هرون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس رضى الله عنهما فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وعن كل ألف شئ على شئ ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بنى اسرائيل فقال لهم يا بنى اسرائيل ان موسى قد أمركم بكل شئ فأطعتموه وهو الآن يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغى فنجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج بنو اسرائيل عليه ورفضوه فدعاها

﴿ ذكر قصة قارون ﴾ قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونى به اذا نظروا الى السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذا لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم أن تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكى تذكروا بكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما فعل هذا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون وهى رآسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقربانهم الى هرون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك فى نفسه فأتى الى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ من ذلك وأنا أقرأ التوراة لا صبر لى على هذا فقال أما أنا ما جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى ترينى بيانه فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها فى قبته التى يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينار وعلى كل ألف درهم عنها درهم وكل ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شئ فأطعتموه وهو يريد ياخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغى وتجعلوا عليكم لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون أنزلك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنى اسرائيل

جمل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها انى أموّلك وأخلطك بنسائى على ان تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنى اسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم فى براح من الارض فقام فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها القسم وساءلها بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت فى نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كذبوا ولكن جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى الله تعالى انى أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان

ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم فى مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغى قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت فى نفسها أحدث توبة أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لى جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى الله اليه انى أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم بأقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه فى ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده بالله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى فى ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فاطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة لاغثته وفى بعض الآثار لأجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل فى الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة وأصبح بنو اسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) يعنى جماعة (ينصرونه من دون الله) يعنى يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من الممتنعين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) يعنى صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمنى (يقولون ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هى كلمة تقرير معناها أما

ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذت الارض بأقدامهم وفى رواية كان على سريره وفرشه فاخذته حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه فى كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى روى انه ناشده سبعين مرة وموسى عليه السلام فى كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة لاغثته وفى بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل فى الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة قال وأصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله عز وجل فخسفنا به وبداره الارض (فما كان له من فئة) من جماعة (ينصرونه من دون الله) يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) الممتنعين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتندمون على ذلك التمنى والعرب تعبر عن الصيرورة باضحى وأمسى وأصبح تقول أصبح فلان عالما وأضحى معدما وأمسى حزينا (يقولون ويكأن الله) اختلفوا فى معنى هذه اللفظة قال مجاهد ألم تعلم وقال قتادة ألم تر قال الفراء هى كلمة تقرير كقول الرجل أما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر انه أخبره من سمع اعرابية تقول لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت يعنى أما ترينه وراء البيت وعن الحسن انه كلمة ابتداء تقديره ان الله يبسط الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة الاوقال قطرب ويك بمعنى ويلك حذفت اللام منه كما قال عنترة

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر أقدم

أى ويلك وان منصوب باضمار اعلم ان الله وقال الخليل وى منفصولة من كان ومعناها التعجب كما يقول وى لم فعلت ذلك وذلك ان القوم تندموا فقالوا وى متندمين على ماسلف منهم وكأن معناه أظن ذلك وأقدره كما تقول كان الفرح قد أتاك أى أظن ذلك وأقدره (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أى يوسع ويضيق (لولا أن من الله علينا لخسف بنا) قرأ حفص ويعقوب بفتح الخاء والسين وقرأ العامة بضم الخاء وكسر السين (ويكأنه لا يفلح الكافرون) قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) قال الكلبى ومقاتل استكبارا عن الايمان وقال عطاء علوا استطالة على الناس وتيها ونابهم وقال الحسن لم يطلبوا الشرف والعز عند ذى سلطانها وعن على رضى الله عنه انها نزلت فى أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة (ولا فسادا) قال الكلبى هو الدعاء الى عبادة غير الله وقال عكرمة أخذ أموال الناس بغير حق قال ابن جريج ومقاتل العمل بالمعاصى (والعاقبة للمتقين) أى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أمره واجتناب معاصيه قال قتادة الجنة للمتقين (من جاء بالحسنة فله خير منها

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون) قوله تعالى

ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك اعلم أن الله وروى ان وى مفصولة من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا متندمين على ماسلف منهم وى وكأن معناها أظن وأقدر أن الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن عباس أى يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا أن من الله علينا) أى بالايمان (لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) أى استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتيها ونابهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذى سلطان وعن على أنها نزلت فى أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة (ولا فسادا) قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصى (والعاقبة للمتقين) أى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ان الذى فرض عليك القرآن) أى أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك الى معاد) قال ابن عباس الى مكة أخرجه البخارى عنه قال القتيبى معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فاتاه جبريل عليه السلام وقال له أتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربى أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك لفى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين * قوله عز وجل (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أى يوحى اليك القرآن (الا رحمة من ربك) فاعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبى

(ان الذى فرض عليك القرآن) أى أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسرين وقال عطاء أوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك الى معاد) الى مكة وهو رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو قول مجاهد قال القتيبى معاد الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار فى غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل وقال أتشتاق الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما لرادك الى معاد الى الموت وقال الزهرى وعكرمة الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربى أعلم من جاء بالهدى) أى يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك لفى ضلال فقال الله عز وجل قل لهم ربى أعلم من جاء بالهدى أى يعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه أعلم بالفريقين قوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أى يوحى اليك القرآن (الا رحمة من ربك) قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن ربك رحمك فاعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) أى معينا لهم على دينهم وقال مقاتل وذلك حين دعى الى دين آبائه فذكر الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم

(ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) أى الا هو وقيل الا ملكه قال أبو العالية الا ما أريد به وجهه (له الحكم) أى فصل القضاء (واليه ترجعون) تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم ﴿ سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الم أحسب الناس) أظن الناس (أن يتركوا) بغير اختبار ولا ابتلاء (أن يقولوا) أى بان يقولوا (آمنا وهم لا يفتنون) لا يبتلون فى أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية قال الشعبى نزلت فى اناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل فيكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل

صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه انه واجب على الكل الا انه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم * فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهى * قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (لا اله الا هو كل شئ هالك) أى فان (الا وجهه) أى الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الا ما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أى تردون فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم والله أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة العنكبوت وهى مكية ﴾

وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (الم أحسب الناس) أى أظن الناس (أن يتركوا) أى بغير اختبار وابتلاء (أن) أى بان (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى لا يبتلون فى أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية فى أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وعمار ابن ياسر وغيرهم وقيل فى عمار كان يعذب فى الله تعالى وقيل فى مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع أبواه وامرأته فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعنى الانبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) أى فى قولهم (وليعلمن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الاية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل ان آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع * قوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيآت) يعنى الشرك (أن يسبقونا) أى يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع فى ثواب الله (فان أجل الله لآت) يعنى ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى أن من يخشى الله ويؤمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم (وهو السميع العليم) أى يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفو * قوله تعالى (ومن جاهد فانما

ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الآيتين قال ابن عباس رضى الله عنهما وأراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقال ابن جريج نزلت فى عمار بن ياسر كان يعذب فى الله عز وجل وقال مقاتل نزلت فى مهجع ابن عبد الله مولى عمر كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع ابن عبد الله وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع أبواه وامرأته فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهى وذلك ان الله تعالى أمرهم فى الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعضهم فانزل الله هذه الاية ثم عزاهم فقال (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعنى الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) فى قولهم آمنا (وليعلمن الكاذبين) والله أعلم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقال مقاتل فليرين الله وقيل ليميزن الله كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعنى الشرك (ان يسبقونا) يعجزونا ويفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون) أى بئس ما حكموا حين ظنوا ذلك (من كان يرجوا لقاء الله) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومقاتل من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه من كان يطمع فى ثواب الله (فان أجل الله لآت) يعنى ما وعد الله من الثواب والعقاب وقال مقاتل يعنى يوم القيامة لكائن ومعنى الآية ان من يخشى الله أو يأمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم كما قال فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الآية (وهو السميع العليم ومن جاهد فانما

يجاهد لنفسه) له ثوابه والجهاد هو الصبر على الشدة ويكون ذلك فى الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (ان الله لغنى عن العالمين) عن اعمالهم وعباداتهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل فالتكفير اذهاب السيئة بالحسنة (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى باحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل نعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن كما قال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قوله عزوجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى برا بهما وعطفا عليهما معناه ووصينا الانسان أن يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الآية والتى فى سورة لقمان والاحزاب فى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وهو سعد بن مالك أبو اسحق الزهرى وأمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بأمه قالت له أمه ما هذا الدين الذى أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر يقال ياقاتل أمه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت

قد جهدت ثم مكثت يوما آخر وليلة لم تاكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال ياأماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى فكلى وان شئت فلا تاكلى فلما أيست منه أكلت وشربت فانزل الله تعالى هذه الآية وأمره بالبر بوالديه والاحسان اليهما وأن لا تطعهما فى الشرك فذلك قوله عزوجل (وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما) جاء فى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ثم أوعد بالمصير اليه فقال (الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) فى زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل فى مدخل الصالحين وهو الجنة قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله) أصابه بلاء من الناس افتتن (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أى جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله فى الآخرة أى جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه هذا قول السدى وابن زيد قالا هو المنافق اذا اوذى فى الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أى فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) يعنى هؤلاء المنافقين للمؤمنين (انا كنا معكم) على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله وقال (أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) من الايمان والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) بترك الاسلام عند نزول البلاء واختلفوا فى نزول هذه الآية قال مجاهد نزلت فى أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى الذين أخرجهم المشركون

يجاهد لنفسه) أى له ثوابه وهذا بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون فى الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (ان الله لغنى عن العالمين) أى عن أعمالهم وعباداتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو أعطى جميع ما خلقه لعبد من عبيده لا شئ عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو أهلكهم بعذابه فلا شئ عليه لاستغنائه عنهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) أى لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى بأحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا * قوله عزوجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) معناه برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه أن يفعل بهما ما يحسن نزلت هذه الآية والتى فى سورة لقمان والاحقاف فى سعد بن أبى وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهرى وأمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بأبيه قالت له أمه ما هذا الذى أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر ويقال ياقاتل أمه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما اخر وليلة فجاءها فقال ياأماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى فكلى ان شئت وان شئت فلا تأكلى فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية وأمره بالبر بوالديه والاحسان اليهما وأن لا يطيعهما فى الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما) وفى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ثم أوعد بالمصير اليه فقال تعالى (الى مرجعكم فأنبئكم) أى فاخبركم (بما كنتم تعملون) أى بصالح أعمالكم وسيآتها أى فاجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) أى فى زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل فى مدخل الصالحين وهو الجنة * قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى) يعنى أصابه بلاء من الناس افتتن (فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أى جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله فى الآخرة والمعنى انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه وهو المنافق اذا أوذى فى الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أى فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أى هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) أى على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله تعالى فقال (أوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين) أى من الايمان والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) أى صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) أى بترك الاسلام عند البلاء

قيل نزلت هذه الاية فى أناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت فى الذين أخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية و باقى السورة مكى (وقال الذين كفروا) يعنى من أهل مكة قيل قاله ابوسفيان (للذين آمنوا) أى من قريش (اتبعوا سبيلنا) يعنى ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله (ولنحمل خطاياكم) أى أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل بقوله (وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) فى قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقالهم) أى أوزارا أعمالهم التى عملوها بانفسهم (واثقالا مع اثقالهم) أى أوزارا من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم * فان قلت قد قال أولا وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقال ههنا وليحملن أثقالهم واثقالا مع أثقالهم فكيف الجمع بينهما * قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزارا بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ رواه مسلم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أى سؤال توبيخ وتقريع لانه تعالى عالم باعمالهم وافترائهم * قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث) أى فاقام (فيهم) يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده (ألف سنة الا خمسين عاما) * فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة * قلت فيه فائدتان احداهما أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قال مائة سنة الا شهرا أو الا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هى لبيان ان نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا وأعلى مراتب العدد ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعقد الالف لانه أعظم وأفخم وهذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحا لبث فى قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم فصبر فى الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة و بقى فى قومه يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره ألفا وخمسين عاما وقيل فى عمره غير ذلك * قوله تعالى (فاخذهم الطوفان) أى فاغرقهم (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون (فانجيناه وأصحاب السفينة) يعنى من الغرق (وجعلناها) يعنى السفينة (آية) أى عبرة (للعالمين) قيل انها بقيت على الجودى مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة * قوله تعالى (وابراهيم) أى واذكر ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أى أطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أى ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون (انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) أى تقولون كذبا وقيل تصنعون أصناما بايديكم وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) أى لا يقدرون أن يرزقوكم (فابتغوا) أى فاطلبوا (عند

لكاذبون) أى فيما قالوا من حمل خطاياهم (وليحملن أثقالهم) أوزار أعمالهم التى عملوها بانفسهم (وأثقالا مع أثقالهم) أى أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم نظيره قوله عز وجل ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) سؤال توبيخ وتقريع قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان) فغرقوا (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون (فانجيناه وأصحاب السفينة) يعنى من الغرق (وجعلناها) يعنى السفينة (آية) أى عبرة (للعالمين) فانها كانت باقية على الجودى مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بعث نوح لاربعين سنة و بقى فى قومه يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وكان عمره ألفا وخمسين سنة قوله تعالى (وابراهيم) أى واذكر ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أطيعوه وخافوه (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا) أصناما (وتخلقون افكا) تقولون كذبا قال مقاتل تصنعون أصناما بايديكم فتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يقدرون أن يرزقوكم (فابتغوا) فاطلبوا (عند

الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) مثل عاد وثمود وغيرهم فاهلكوا (وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) كيف يخلقهم ابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة (ثم يعيده) في الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) فانظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الاخرة) أي ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت فكالم يتعذر عليه احداثها مبدأ لا يتعذر عليه انشاؤها معيدا قرأ ابن كثير وأبو عمرو النشأة بفتح الشين ممدودة حيث وقعت وقرأ الاخرون بسكون الشين مقصورة نظيرها الرأفة والرآفة (ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون) تردون (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) فان قيل ما وجه قوله ولا في السماء والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء قال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجز كقول حسان بن ثابت

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أراد من يمدحه ومن ينصره

فاضمر من يريد لا يعجزه أهل الارض في الارض ولا أهل السماء في السماء وقال قطرب معناه وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء لو كنتم فيها كقول القائل ما يفوتني فلان ههنا ولا بالبصرة أي ولا بالبصرة لو كان بها (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أي من ولي يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله ولقائه) بالقرآن وبالبعث (أولئك يئسوا من رحمتي) جنتي (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم وهي معترضة في قصة ابراهيم ثم عاد الى قصة ابراهيم فقال جل ذكره (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فانجاه الله من النار) وجعلها عليه بردا وسلاما (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال)

الله الرزق) فانه القادر على ذلك (واعبدوه) أي وحدوه (واشكروا له) لانه المنعم عليكم بالرزق (اليه ترجعون) أي في الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله (وما على الرسول الا البلاغ المبين) * قوله تعالى (أولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في تذكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) أي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة (ثم يعيده) أي في الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) أي الخلق الاول والخلق الثاني (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكالم يتعذر عليه احداثهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا (ان الله على كل شئ قدير) أي من البداءة والاعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (ويرحم من يشاء) تفضلا (واليه تقلبون) أي ترددون (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) قيل معناه ولا من في السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه أهل الارض في الارض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء أي لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) أي يمنعكم مني (ولا نصير) أي ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (أولئك يئسوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات في تذكير أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه أو حرقوه (فانجاه الله من النار) أي بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا) أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصرين) أي مانعين من عذابه (فآمن له لوط) أي صدقه برسالته لما رأى معجزاته وهو أول من صدق ابراهيم وأما في أصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر

يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم) قرأ ابن كثير (وقال)

والكسائي وأبو عمرو ويعقوب مودة رفعا بلا تنوين بينكم خفضا بالاضافة على معنى ان الذين اتخذتم من دون الله أوثانا هي مودة بينكم (في الحيوة الدنيا) ثم هي تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقرأ حمزة وحفص مودة نصبا بغير تنوين على الاضافة بوقوع الاتخاذ عليها وقرأ الآخرون مودة منصوبة منونة بينكم بالنصب معناه انكم انما اتخذتم هذه الاوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع وتلعن الاتباع القادة (ومأواكم) جميعا العابدون والمعبودون (النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط) يعني صدقه وهو أول من صدق ابراهيم وكان ابن أخيه

(وقال) يعنى ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) فهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة الى حران ثم الى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر قال مقاتل هاجر ابراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) يقال ان الله لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناه أجره فى الدنيا) وهو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه وقال السدى هو الولد الصالح وقيل هو انه أرى مكانه فى الجنة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح وقوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه أئنكم) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وأبو بكر أئنكم بالاستفهام وقرأ الباقون بلا استفهام واتفقوا على استفهام الثانية (لتأتون الفاحشة) وهى اتيان الرجال (ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وذلك انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم وقيل تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء (وتأتون فى ناديكم المنكر) النادى والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو العباس ابن سهل بن محمد المروزى أنا جدى لامى أبو الحسن المحمودى أنا محمد بن اسحق بن خزيمة ان بشر ابن معاذ حدثهم أنا يزيد ابن زريع أنا حاتم بن أبى صغيرة عن سماك بن حرب عن أبى صالح مولى أم هانئ بنت أبى طالب عن أم هانئ قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قلت ما المنكر الذى كانوا يأتونه قال كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون بهم وروى انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم أصابه كان أولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك وقال القاسم بن محمد كانوا يتضارطون فى مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا فى مجالسهم وعن عبد الله بن سلام قال كان يزنى بعضهم على بعض وعن مكحول قال كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والحذف والرمى بالجلاهق واللوطية (فما كان جواب قومه) لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح (الا أن قالوا) له استهزاء (ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أى ان العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) أى بتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم * قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أى من الله باسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) أى قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين قال) يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله (ان فيها لوطا قالوا) أى قالت الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه

(وقال) يعنى ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) الى حيث أمرنى ربى فهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أى الذى لا يغلب والذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما يصلحنى * قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناه أجره فى الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له فى الدنيا (وانه فى الاخرة لمن الصالحين) أى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح * قوله عز وجل (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى الفعلة القبيحة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال (أئنكم لتأتون الرجال) يعنى انكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون السبيل) وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء (وتأتون فى ناديكم المنكر) أى مجالسكم والنادى مجلس القوم ومتحدثهم عن أم هانئ بنت أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون أهل الارض ويسخرون منهم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب الحذف هو رمى الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم أصابه قال أنا أولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا فى مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يزنى بعضهم على بعض وقيل كان أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والحذف والرمى بالجلاهق واللوطية (فما كان جواب قومه) أى لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح (الا أن قالوا) أى استهزاء (ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أى ان العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) أى بتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم * قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أى من الله باسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) أى قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين قال) ابراهيم للرسل (ان فيها لوطا قالوا) قالت الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه) قرأ حمزة والكسائى ويعقوب لننجيه بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد

(وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ولما ان جاءت رسلنا لوطا) ظن انهم من الانس (سىء بهم) حزن بهم (وضاق بهم) بمجيئهم (ذرعا وقالوا لا تخف) من قومك علينا (ولا تحزن) باهلاكنا اياهم (انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وأبو بكر ويعقوب منجوك بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد (انا منزلون) قرأ ابن عامر بالتشديد وقرأ الآخرون بالتخفيف (على اهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء) قال مقاتل الخسف والحصب (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) من قريات لوط (آية بينة) عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة هى آثار منازلهم الخربة وقال قتادة هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها

(والى مدين أخاهم شعيبا) أى وأرسلنا الى مدين أخاهم شعيبا (فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أى واخشوا اليوم الآخر (ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين وعادا وثمود) أى وأهلكنا عادا وثمود (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) قال مقاتل والكلبى وقتادة كانوا معجبين فى دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على الباطل والمعنى انهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين قال الفراء كانوا عقلاء ذوى بصائر (وقارون وفرعون وهامان) أى وأهلكنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) بالدلالات (فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) •

وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) أى من الباقين فى العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) أى ظنهم من الانس نخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه (وضاق بهم ذرعا) أى عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك (وقالوا لا تخف) أى من قومك (ولا تحزن) علينا (انا منجوك وأهلك) أى انا مهلكوهم ومنجوك وأهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا) أى عذابا (من السماء) قيل هو الخسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) أى من قريات لوط (آية بينة) أى عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يعنى أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض * قوله تعالى (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثانى وأرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أى افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى باركين على الركب ميتين (وعادا وثمود) أى وأهلكنا عادا وثمود (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) أى من منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أى عبادتهم لغير الله (فصدهم عن السبيل) أى عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أى عقلاء ذوى بصائر وقيل كانوا معجبين فى دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أى أهلكنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أى بالدلالات الواضحات (فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) أى فائتين من عذابنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهى الحصى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعنى ثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعنى قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) أى بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى بالاشراك * قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يعنى الاصنام يرجون نصرها ونفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان بيتها فى غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذى يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص أو نحته من صخر فكما ان أوهن البيوت اذا استقر بيتها بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الاديان اذا استقر بيتها

دينا

اى فائتين من عذابنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط والحاصب الريح التى تحمل الحصا وهى الحصا الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعنى ثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعنى قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أى الاصنام يرجون نصرها ونفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان بيتها فى غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا

وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم) قرأ أهل البصرة وعاصم يدعون بالياء لذكر الامم قبلها وقرأ الآخرون بالتاء (وتلك الامثال) الاشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالاول يريد أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الامة بأحوال كفار الامم المتقدمة (نضربها) نبينها (للناس) قال عطاء ومقاتل لكفار مكة (وما يعقلها الا العالمون) أي ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني بن فنجويه أنا ابن بردة أنا الحرب بن أبي أسامة أنا داود بن المحبر أنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء وأبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) أي للحق واظهار الحق (ان في ذلك) في خلقها (لآية) لدلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده (اتل ما أوحي اليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) الفحشاء ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروي عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته

تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسن حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أقل لكم ان صلاته تنهاه يوما وقال ابن عون معنى الآية ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل أراد بالصلاة القرآن كما قال تعالى ولا تجهر بصلوتك أي بقراءتك وقيل أراد أن يقرأ القرآن في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا قيس بن الربيع عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه قوله عز وجل (ولذكر الله أكبر) أي ذكر الله أفضل الطاعات أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو الحسن علي بن

دينا دينا عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) أشار الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه أو لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح ان أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم أوهن الاديان (لو كانوا يعلمون) أي ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ) هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذي يدعون من دونه ليس بشئ (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل أن يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شئ ويشتغل بعبادة من ليس بشئ أصلا (وتلك الامثال) أي الاشباه يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار من هذه الامة بأحوال كفار الامم السابقة (نضربها) أي نبينها (للناس) أي لكفار مكة (وما يعقلها الا العالمون) يعني ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) أي للحق واظهار الحق (ان في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده * وقوله تعالى (اتل ما أوحي اليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلوة) * فان قلت لم أمر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط * قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيأ لا يمكنه ان يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية وهما ممكنا التكرار فلذلك أمر بهما (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) أي ما قبح من الاعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصي والسيئات كما روي عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيأ الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية انه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد وأن يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها (ولذكر الله أكبر) أي انه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول

محمد بن بشران ببغداد أنا أبو علي الحسين بن صفوان البردعي انا ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا انا هرون بن معروف انا ابو علي الضرير أنا أنس بن عياض ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس عن أبي مخرمة عن أبي الدرداء رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أبو منصور محمد بن سمعان انا ابو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني انا حميد بن زنجويه انا أبو الاسود انا ابو لهيعة عن دراج عن أبي السمح عن ابي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات قيل يا رسول الله والغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكر الله أفضل منه درجة وروينا ان أعرابيا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجاني انا عبد الغافر بن

محمد الفارسي انا محمد بن عيسى الجلودي انا ابراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم بن الحجاج القشيري انا أمية بن بسطام العبسي انا يزيد بن زريع انا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي انا ابو الحسن أحمد ابن محمد بن موسى بن الصلت انا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي انا خلاد بن أسلم ثنا النضر انا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت الاغر قال أشهد على أبي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقعد قوم يذكرون

الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله والغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفرّدون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرّد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا الامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان اعرابيا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولذكر الله أكبر ذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله أكبر أي لمن تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) يعني لا يخفى عليه شيء من أمركم * قوله عز وجل (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي ولا تخاصموهم (الا بالتي هي أحسن) أي القرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه وأرادبهم من قبل الجزية منهم (الا الذين ظلموا منهم) يعني أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فادفؤهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) أي للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم بشيء مما في كتبكم (آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية

الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وقال قوم معنى قوله ولذكر الله أكبر أي ذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ويروى ذلك مرفوعا عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال عطاء في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر قال ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) قال عطاء يريد لا يخفى عليه شيء قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب) لا تخاصموهم (الا بالتي هي أحسن) أي بالقرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه وأزاد من قبل الجزية منهم (الا الذين ظلموا منهم) أي أبوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومجاز الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقال سعيد بن جبير هم أهل الحرب ومن لا عهد له قال قتادة ومقاتل صارت منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله (وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم) يريد اذا أخبركم واحد منهم ممن قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) أخبرنا عبد الواحد المليحي انا محمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمد بن

بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية * قوله عز وجل (وكذلك) أي كما أنزلنا اليهم الكتاب (أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون) وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلوا) يا محمد (من قبله من كتاب) معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب (ولا تخطه بيمينك) يعني ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (اذا لارتاب المبطلون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي اليك لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين أو ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه انهم اذا اشكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نعته وصفته في كتبهم (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أي كما أنزل على الانبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) أي هو القادر على انزالها ان شاء أنزلها (وانما أنا نذير مبين) أي انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدي (أو لم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أو لم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لي اني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والارض) أي هو المطلع على أمري وأمركم ويعلم حقي وباطلكم

عرفوا ان محمدا نبي والقرآن حق فجحدوا وقال قتادة الجحود انما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلوا) يا محمد (من قبله من كتاب) يعني من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب (ولا تخطه بيمينك) يعني ولا تكتبه يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي (اذا لارتاب المبطلون) يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين وينسخه منها قاله قتادة وقال مقاتل المبطلون هم اليهود ومعناه اذا لشكوا فيك واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) قال الحسن يعني القرآن آيات بينات (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) كما أنزل على الانبياء من قبل قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر آية على التوحيد وقرأ الآخرون آيات من ربه قوله عز وجل (قل انما الآيات عند الله) وهو القادر على ارسالها اذا شاء أرسلها (وانما أنا نذير مبين) أنذر أهل المعصية بالنار وليس انزال الآيات بيدي (أو لم يكفهم) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أو لم يكفهم (أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) يعني أو لم يكفهم من الآيات القرآن يتلى عليهم (ان في ذلك) في انزال القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكيرا وعظة لمن آمن وعمل به (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) اني رسوله وهذا القرآن كتابه (يعلم ما في السموات والارض

والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقال قتادة بعبادة الشيطان (وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتك اني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم يعني لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعني العذاب وقيل الاجل (بغتة وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيدا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم لا يبقى أحد منهم الا دخلها (يوم يغشاهم) يصيبهم (العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني اذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش (ويقول ذوقوا) قرأ نافع وأهل الكوفة ويقول بالياء أي ويقول لهم الموكل بعذابهم ذوقوا وقرأ الآخرون بالنون لانه لما كان بأمره نسب اليه (ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملون (ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون) قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى أرض المدينة ان أرضي يعني

لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل (وكفروا بالله) * فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد * قلت نعم فائدته انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان * قوله عز وجل (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث حيث قال فأمطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتك اني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعني العذاب وقيل الاجل (بغتة وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيدا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي جامعة لهم لا يبقى منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملون * قوله تعالى (ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى أرض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها أي فجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عملوا في الارض بالمعاصي فاهربوا منها فان أرضي واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فان أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر الى بلد تتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى ان أرضي واسعة يعني رزقي لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) يعني كل أحد ميت خوفهم بالموت لنهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم الينا ترجعون) فنجزيكم باعمالكم * قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) أي علالي جمع غرفة وهي العلية (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أي لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم * قوله عز وجل (وكأين من دابة لا تحمل رزقها)

أرضي المدينة واسعة آمنة قال مجاهد ان أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عمل في الارض بالمعاصي فاخرجوا منها فان أرضي واسعة وقال عطاء اذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فان أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر الى حيث يتهيأ له العبادة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال مطرف بن عبد الله أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) خوفهم بالموت لنهون عليهم الهجرة أي كل واحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك وذلك خوفا من الموت (ثم الينا ترجعون) فنجزيكم باعمالكم وقرأ أبو بكر يرجعون بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) قرأ حمزة والكسائي بالثاء ساكنة من غير همز فقال نوى الرجل اذا أقام وأثويته اذا أنزلته منزلا يقيم فيه وقرأ الآخرون بالباء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها أي لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالي (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكأين من دابة ذات حاجة الى غذاء لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير

(الله يرزقها وإياكم) حيث كنتم (وهو السميع العليم) السميع لأقوالكم لا نجد ما ننفق بالمدينة العليم بما في قلوبكم وقال سفيان عن علي بن الأقمر وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال لا تدخر شيا لغد قال سفيان ليس شئ من خلق الله يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي انا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي اخبرني ابو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي انا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق انا محمد بن عبد العزيز انا اسمعيل بن زرارة الرقي انا ابو العطوف الجراح بن منهال عن الزهري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقط الرطب بيده ويأكل فقال كل يا ابن عمر قلت لا أشتهيه يا رسول الله قال لكني أشتهيه وهذه صبيحة رابعة منذ لم أطعم طعاما ولم أجده فقلت انا لله الله المستعان قال يا ابن عمر لو سالت ربي لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت و بقيت في حثالة من الناس يخبؤن رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت هذه الاية وكأين من دابة لا تحمل رزقها اخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو محمد الحسين ابن احمد المخلدي انا ابو العباس السراج انا قتيبة ابن سعيد انا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيا لغد وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري انا ابو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا ابو نصر بن حمدونة المطوعي انا ابو الموجه محمد بن عمرو أنا عبدان عن أبي حمزة عن اسمعيل هو ابن أبي خالد عن رجلين أحدهما زيد اليامي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس ليس من شئ يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شئ يقربكم الى النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه وان الروح الامين قد نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته وقال هشيم عن اسمعيل عن زيد عمن أخبره عن ابن مسعود قوله تعالى (ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله) على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى (بل أكثرهم لا يعقلون) وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بل أكثرهم لا يعقلون ينكرون التوحيد مع اقرارهم انه الخالق لهذه الاشياء قوله تعالى (وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب) اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا واللعب العبث سميت بهما لانها فانية

وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيا لغد مثل البهائم والطير (الله يرزقها وإياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أي لاقوالكم (العليم) بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب أول النهار جياعا ضامرة البطون وتروح آخر النهار الى أوكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيا قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله يخبأ إلا الانسان والفارة والنملة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس ليس من شئ يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه ألا وان الروح الامين نفث في روعي الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أي الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته * قوله عز وجل (ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر أمرين أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثاني اشارة الى اتحاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر (ليقولن الله فأنى يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خلق السموات والارض (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (ويقدر له) أي يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شئ عليم) أي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أي على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالق لهم (بل أكثرهم لا يعقلون) أي انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء * قوله تعالى (وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب) اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العبث

(وان الدار الاخرة لهى الحيوان) أى الحياة الدائمة الباقية والحيوان بمعنى الحياة أى فيها الحياة الدائمة (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة قوله تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك) وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) وتركوا الاصنام (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) هذا اخبار عن عنادهم وانهم عند الشدائد يرون ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فاذا زالت عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان أهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت بهم الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب (ليكفروا بما آتيناهم) هذا لام الامر ومعناه التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم أى ليجحدوا نعمة الله فى انجائه اياهم (وليتمتعوا) قرأ حمزة والكسائى ساكنة اللام وقرأ الباقون بكسرها نسقا على قوله ليكفروا (فسوف يعلمون) وقيل من كسر اللام جعلها لام كى وكذلك فى ليكفروا والمعنى لا فائدة لهم فى الاشراك الا الكفر والتمتع بما يتمتعون به فى العاجلة من غير (١٦٦) نصيب فى الاخرة (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعنى العرب يسبى بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون (أفبالباطل) بالاصنام والشيطان (يؤمنون وبنعمة الله) بمحمد والاسلام (يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم ان لله شريكا وأنه أمر بالفواحش (أوكذب بالحق) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين) استفهام بمعنى التقرير معناه أما لهذا الكافر المكذب مأوى فى جهنم (والذين جاهدوا فينا) الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا (لنهدينهم سبلنا) لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى كما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطريق المستقيمة هى التى توصل بها الى رضا الله عز وجل قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور والثغور موضع المخافة فى بروج البلدان فان الله قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة هى الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وروى عن ابن عباس والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والمعونة فى دنياهم وبالثواب والمغفرة فى عقباهم

﴿ سورة الروم مكية وهى ستون آية وقيل تسع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الم غلبت الروم فى أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لان أهل فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل

وفى هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى الحياة الدائمة الخالدة التى لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا الفانى على الباقى * قوله عز وجل (فاذا ركبوا فى الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) أى تركوا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) أى عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب (ليكفروا بما آتيناهم) أى ليجحدوا نعمة الله فى اجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لا فائدة لهم فى الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به فى العاجلة ولا نصيب لهم فى الاخرة (فسوف يعلمون) يعنى عاقبة أمرهم ففيه تهديد ووعيد * قوله عز وجل (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعنى العرب يسبى بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون (أفبالباطل) يعنى الشيطان والاصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى فزعم ان له شريكا فانه منزه عن الشركاء (أوكذب بالحق) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين) معناه أما لهذا الكافر المكذب مأوى فى جهنم * قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا المشركين لنصر ديننا (لنهدينهم سبلنا) لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وهى التى توصل الى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا باقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسنين) أى بالنصرة والمعونة فى دنياهم والمغفرة فى عقباهم فى الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم

﴿ تفسير سورة الروم مكية ﴾

وهى ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (ألم غلبت الروم فى أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لان فارسا كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم

الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان و بعث قيصر رجالا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بخين فالتقيا باذرعات و بصرى وهى أدنى الشام الى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس على ما أخبرنا بذلك نبينا فقام اليه أبى بن خلف الجمحى فقال كذبت فقال أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة على عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فخرج أبو بكر ولقى أبيا فقال لعلك ندمت قال لا فقال أزايدك فى الخطر واماددك فى الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت فلما خشى أبى بن خلف ان يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال انى أخاف أن تخرج من مكة فاقم لى كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن أبى بكر فلما أراد أبى بن خلف ان يخرج الى أحد أتاه عبد الله بن أبى بكر فلزمه فقال لا والله لا أدعك حتى تعطينى كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى أحد ثم رجع أبى بن خلف فمات بمكة من جراحته التى جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر قال الشعبى لم تمض تلك المدة التى عقدوا المناحبة بين أهل مكة وفيها صاحب قمارهم أبى بن خلف والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس ور بطوا خيولهم بالمدائن و بنوا الرومية فقمر أبو بكر أبيا وأخذ مال الخطر من ورثته فجاء به يحمله الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارسا على ما قال عكرمة وغيره ان شهرمان بعدما غلبت الروم لم يزل يطأهم و يخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا اخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لاصحابه لقد رأيت كانى جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهرمان اذا أتاك كتابى فابعث الى برأس فرخان فكتب اليه أيها الملك انك لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وصوتا فى العدو فلا تفعل البتة فكتب اليه ان فى رجال فارس خلفا منه فعجل على برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه و بعث بريدا الى أهل فارس انى قد نزعت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرخان الملك ثم رفع الى البريد صحيفة صغيرة أمره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولى فرخان الملك وانقاد له أخوه فاعطه فلما قرأ شهرمان الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان ورفع اليه الصحيفة فقال ائتونى بشهرمان فقدمه ليضرب عنقه فقال لا تعجل على حتى أكتب وصيتى قال نعم فدعا بالسفط فاعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريدان تقتلنى بكتاب واحد فرد الملك الى أخيه وكتب شهرمان الى قيصر ملك الروم ان لى

اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني ولا تلقني الا في خمسين روميا قاني ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه انه ليس معه الا خمسون رجلا ثم بسط لهما فالتقيا في قبة ديباج ضربت لهما ومع كل واحد منهما سكين فدعوا بترجمان بينهما فقال شهرمان ان الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخي فابيت ثم أمر أخي ان يقتلني فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك قال قد اصبتما ثم أشار احدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزاثنين فشا فقتلا الترجمان (١٦٨) معا بسكينهما فاديلت الروم على فارس عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى وجاء الخبر الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن معه فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في أدنى الارض أي أقرب أرض الشام الى أرض فارس قال عكرمة هي أذرعات وكسكر وقال مجاهد أرض الجزيرة وقال مقاتل الاردن وفلسطين (وهم من بعد غلبهم) أي الروم من بعد غلبة فارس اياهم والغلب والغلبة لغتان (سيغلبون) فارس (في بضع سنين) والبضع ما بين الثلاث الى السبع وقيل ما بين الثلاث الى التسع وقيل ما دون العشرة وقرأ عبد الله بن عمر وابو سعيد الخدري والحسن وعيسى ابن عمر غلبت بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الياء وبفتح اللام وقالوا نزلت حين اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم فارس ومعنى الاية الم غلبت الروم فارس في ادنى الارض اليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في

رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهرمان اذا أتاك كتابي فابعث الي برأس أخيك فرحان فكتب اليه أيها الملك انك لم تجد مثل فرحان ان له لنكاية وصولة في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا عنه فعجل الي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس اني قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولى فرحان الملك وانقاد له أخوه فأعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة الى فرحان فلما قرأها استدعى باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرحان الملك الى أخيه شهرمان فكتب الى قيصر ملك الروم أما بعد فان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يريد أن يمكر به حتى أتاه عيونه فأخبروا أنه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعوا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان ان الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأبيت عليه ثم أمر أخي بقتلي فأبى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد أصبتما وأشار أحدهما الى صاحبه أن السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان معا بسكينهما فاديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في أدنى الارض يعني أقرب أرض الشام الى فارس وقيل هي أذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) أي فارس لهم (سيغلبون) أي الروم لفارس (في بضع سنين) البضع ما بين الثلاثة الى السبع وقيل الى التسع وقيل ما دون العشرة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي الروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصر من يشاء) أي بيده النصر ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أي بالمؤمنين * قوله تعالى (وعد الله) أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا

بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم والاول اصح وهو قول اكثر المفسرين يعلمون

(لله الامر من قبل ومن بعد) من بعد دولة الروم على فارس ومن بعدها فاي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بامر الله وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) الروم على فارس قال السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك (ينصر من يشاء وهو العزيز) الغالب (الرحيم) بالمؤمنين (وعد الله) نصب على المصدر أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) يعني امر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن ان يصلي

(وهم عن الآخرة هم غافلون) ساهون عنها جاهلون بها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها (أولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) أي للحق وقيل لاقامة الحق (واجل مسمى) اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو القيامة (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اولم يسافروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمروها اكثر مما عمروها) أي أكثر مما عمرها أهل مكة قيل قال ذلك لانه لم يكن لاهل مكة حرث (وجاءتهم رسلهم بالبينات) فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) بنقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بيخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أي أساؤا العمل (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة (أن كذبوا) أي لان كذبوا وقيل تفسير السوء ما بعده وهو

قوله أن كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) قرأ أهل الحجاز والبصرة عاقبة بالرفع أي ثم كان آخر أمرهم السوء وقرأ الاخرون بالنصب على خبر كان وتقديره ثم كان السوء عاقبة الذين أساؤا قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء ولم يقل يعيدهم رده الى الخلق (ثم اليه يرجعون) فيجزيهم باعمالهم قرأ أبو عمرو وأبو بكر يرجعون بالياء والآخرون بالتاء (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قال قتادة والكلبي ييأس المشركون من كل خير وقال الفراء ينقطع كلامهم وحجتهم وقال مجاهد يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم شفعؤا وكانوا

يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها * قوله عز وجل (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاقامة الحق (وأجل مسمى) أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض) أي يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) أي حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعني الامم الخالية (أكثر مما عمروها) يعني أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أي بنقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أي أساؤا العمل فاستحقوا (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار (أن كذبوا) أي لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيآت على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم اليه يرجعون) أي فيجزيهم باعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه أنهم ييأسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعني أصنامهم التي عبدوها (شفعؤا) أي يشفعون لهم (وكانوا بشركائهم كافرين) أي جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون وقيل يتنعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا أخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الا وردته وسال أبا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيجاوب بعضها بعضا فما يسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث يوم القيامة (فاولئك في العذاب محضرون) * قوله تعالى (فسبحان الله) أي فسبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب

بشركائهم كافرين) جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقال مقاتل يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار فلا يجتمعون أبدا (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) وهي البستان الذي في غاية النضارة (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون وقال مجاهد وقتادة ينعمون وقال أبو عبيدة يسرون والحبرة السرور وقيل الحبرة في اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين وقال الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير يحبرون هو السماع في الجنة وقال الاوزاعي اذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا وردت وقال ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة) أي البعث يوم القيامة (فاولئك في العذاب محضرون) قوله تعالى (فسبحان الله) أي سبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) أي تدخلون في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء

(وحين تصبحون) أي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والارض) قال ابن عباس يحمده أهل السموات والارض و يصلون له (وعشيا) أي صلوا لله عشيا يعني صلاة العصر (وحين تظهرون) تدخلون في الظهيرة وهو الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد صلاة الخمس في القرآن قال نعم وقرأها تين الآيتين وقال جمعت الآية الصلاة الخمس ومواقيتها أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله و بحمده في أول النهار وآخره مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا

أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ثنا السري ابن خزيمة البيرودي ثنا المعلى بن أسعد أنا عبد العزيز ابن المختار عن سهيل عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله و بحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا محمد بن فضيل أنا عمارة ابن القعقاع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا علي بن المديني أنا ابن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة قال سمعت كريبا أبا رشدين يحدث عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية وكره ان يقال خرج من عند برة فخرج وهي في مسجدها ورجع بعد ما تعالى النهار فقال مازلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله و بحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته قوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون) قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الراء (ومن آياته أن خلقكم من تراب

والعشاء (وحين تصبحون) أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والارض) قال ابن عباس يحمده أهل السموات والارض و يصلون له (وعشيا) أي وصلوا لله عشيا يعني صلاة العصر (وحين تظهرون) أي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأها تين الآيتين وقال جمعتا الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الاعمال أدومها والانسان لا يقدر أن يصرف جميع أوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وأمره بها في أول النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة

﴿فصل في فضل التسبيح﴾ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله و بحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله و بحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه أخرجهما الترمذي وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث أخرجه في صحيح البخاري (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال مازلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله و بحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتسب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة و يحط عنه ألف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا * قوله تعالى (يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي) أي يخرج النطفة من الحيوان و يخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر و يخرج الكافر من المؤمن (و يحيي الارض بعد موتها) أي بالمطر واخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) أي مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته أن خلقكم من

تراب) أى خلق أصلكم يعنى آدم من تراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) تنبسطون فى الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) قيل من جنسكم من بنى آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وماشئ أحب الى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فى عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) يعنى اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرها (وألوانكم) أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) قرأ حفص للعالمين بكسر اللام (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أى منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار أى تصرفكم فى طلب المعيشة (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (ومن آياته

تراب) أى خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أى تنبسطون فى الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أى جنسكم من بنى آدم وقيل خلق حوّاء من ضلع آدم (لتسكنوا اليها) أى لتميلوا للازواج وتالفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أى جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وماشئ أحب الى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أى فى عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أى اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق وأشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر (وألوانكم) اى أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أى ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا الوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وفى ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) أى لعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أى منامكم الليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) أى للمسافر ليستعد للمطر (وطمعا) أى للمقيم ليستعد المحتاج اليه من أجل الزرع وتسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) أى قدرة الله وانه القادر عليه (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا أنتم تخرجون) أى منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون من الارض (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون فى الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا فى العبادة (وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده) أى يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أى هو هين عليه وما من شئ عليه بعزيز وقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذى يقع فى عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل هو أهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) اى الصفة العليا

يريكم البرق خوفا) للمسافر من الصواعق (وطمعا) للمقيم فى المطر (وينزل من السماء ماء فيحيى به) يعنى بالمطر (الارض بعد موتها) أى بعد يبسها وجدوبتها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) قال ابن مسعود قامتا على غير عمد بأمره وقيل يدوم قيامهما بامره (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا أنتم تخرجون) منها وأكثر العلماء على ان معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة اذا أنتم تخرجون من الارض (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) مطيعون قال الكلبى هذا خاص لمن كان منهم مطيعا عن ابن عباس كل له مطيعون فى الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا فى العبادة (وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده) يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) قال الربيع بن خيثم وقتادة والكلبى أى هو هين عليه وماشئ عليه بعزيز وهو رواية العوفى عن ابن عباس وقد يجىء أفعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أى عزيزة طويلة وقال مجاهد وعكرمة وهو أهون عليه أى أيسر ووجهه انه على طريق ضرب المثل أى هو أهون عليه على ما يقع فى عقولكم فان الذى يقع فى عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء أى الابتداء وقيل هو أهون عليه عندكم وقيل وهو أهون عليه أى على الخلق يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى أن يصيروا رجالا ونساء وهذا معنى رواية ابن حيان عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أى الصفة العليا

(فى السموات والارض) قال ابن عباس هى انه ليس كمثله شئ وقال قتادة هى انه لا اله الا هو (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى خلقه (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أى بين لكم شبها بحالكم وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال (هل لكم من ما ملكت أيمانكم) أى عبيدكم وإمائكم (من شركاء فيما رزقناكم) من المال (فأنتم) وهم (فيه سواء) أى شرع أى هل يشاركم عبيدكم فى أموالكم التى أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أى تخافون أن يشاركوكم فى أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه الحر فى المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بامر دونه وكما يخاف الرجل شريكه فى الميراث وهو يحب أن ينفرد به قال ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التى تعبدونها شركائى وهم عبيدى ومعنى قوله أنفسكم أى أمثالكم من الاحرار كقوله ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا أى بامثالهم (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) ينظرون الى هذه الدلائل بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) أشركوا بالله (أهواءهم) فى الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فمن يهدى من أضل الله) أى أضله الله (ومالهم من ناصرين) مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل قوله تعالى (فاقم وجهك للدين) أى أخلص دينك لله قاله سعيد بن جبير واقامة الوجه اقامة الدين وقال غيره سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه لتسديده (حنيفا) مائلا اليه مستقيما عليه (فطرت الله) دين الله وهو نصب على الاغراء أى الزم فطرة الله (التى فطر الناس عليها) أى خلق الناس عليها وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين ان المراد بالفطرة الدين وهو الاسلام وذهب قوم الى ان الآية خاصة فى المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الاسلام أخبرنا ابو على حسان بن سعيد المنيعى انا ابو طاهر محمد بن محمش الزيادى انا ابو بكر محمد ابن الحسين القطان انا احمد ابن يوسف السلمى انا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن عباس ليس كمثله شئ وقيل هو الذى لا إله الا هو (فى السموات والارض وهو العزيز) أى فى ملكه (الحكيم) أى فى خلقه * قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) أى بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل (من أنفسكم) ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم من ما ملكت أيمانكم) أى عبيدكم وإمائكم (من شركاء فيما رزقناكم) أى من المال (فأنتم فيه سواء) يعنى هل يشاركم عبيدكم فى أموالكم التى أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أى تخافون أن يشاركوكم فى أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر فى المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بأمره دون شريكه ويخاف الرجل شريكه فى الميراث وهو يحب أن ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضوه لانفسكم فكيف ترضون ان تكون آلهتكم التى تعبدونها شركائى وهم عبيدى (كذلك نفصل الآيات) أى الدلالات والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) أى ينظرون فى هذه الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعنى أشركوا بالله (أهواءهم) أى فى الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فمن يهدى من أضل الله) أى عن طريق الهدى (ومالهم من ناصرين) أى مانعين يمنعونهم من عذاب الله * قوله تعالى (فاقم وجهك للدين) يعنى أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده * قوله تعالى (حنيفا) أى مائلا اليه مستقيما عليه (فطرت الله) أى دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التى فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخارى فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا فطرت الله الآية ولهما فى رواية قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعنى على العهد الذى أخذ الله عليهم بقوله ألست بربكم قالوا بلى فكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وضعت الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى وان سألتهم من خلق السموات والارض

من يولد يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين ورواه الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة من غير ذكر من يموت وهو صغير وزاد ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرت الله التى فطر الناس عليها قوله من يولد يولد على الفطرة يعنى على العهد الذى أخذ الله عليهم بقوله ألست بربكم قالوا بلى وكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهو الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولكن لا عبرة بالايمان الفطرى فى أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والفعل ألا ترى انه يقول فابواه يهودانه فهو مع وجود الايمان الفطرى فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم ويحكى هذا عن الاوزاعى

وحماد بن سلمة وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اى على خلقته التى جبل عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى ما فطر عليها وعامل فى الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود يولد فى مبدأ الخلقة على الفطرة أى على الجبلة السليمة والطبع المنهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لافة من آفات النشوء والتقليد فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم يتمثل باولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل الى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة ذكر أبو سليمان الخطابى هذه المعانى فى كتابه قوله (لا تبديل لخلق الله) فمن حمل الفطرة على الدين قال معناه لا تبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهى أى لا تبدلوا دين الله قال مجاهد وابراهيم معنى الآية

والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطرى فى أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والفعل ألا ترى الى قوله فابواه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطرى فانه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر يقول الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته أى خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى ما فطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود فى مبدأ الخلقة على الفطرة أى على الجبلة السليمة والطبع المنهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لاولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل الى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء أى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعنى هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء وهى المقطوعة الاذن والانف * قوله عز وجل (لا تبديل لخلق الله) أى لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبديل لخلق الله هو ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقى سعيدا وقيل الآية فى تحريم اخصاء البهائم (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) * قوله عز وجل (منيبين اليه) أى فأقم وجهك أنت وامتك منيبين اليه لان خطاب النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة مقبلين اليه بالطاعة (واتقوه) أى ومع ذلك خافوه (وأقيموا الصلوة) أى داوموا على أدائها فى أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا) أى صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الامة (كل حزب بما لديهم فرحون) أى راضون بما عندهم * قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) أى قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين اليه) أى مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) أى خصبا ونعمة (اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أى ليجحدوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أى حالكم هذه فى الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا (فهو يتكلم) أى ينطق (بما كانوا به يشركون) أى بشركهم ويأمرهم به (واذا أذقنا الناس رحمة) أى الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أى فرحوا وبطروا (وان تصبهم سيئة) أى جدب وقلة مطر وقيل

الزموا فطرة الله أى دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك (ذلك الدين القيم) المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقيل لا تبديل لخلق الله أى ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة لا يبدل فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقى سعيدا وقال عكرمة ومجاهد معناه تحريم اخصاء البهائم (منيبين اليه) أى فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين اليه لان المخاطبة للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل معه فيها الامة كما قال يا أيها النبى اذا طلقتم النساء منيبين اليه أى راجعين اليه بالتوبة مقبلين اليه بالطاعة (واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أى صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الامة (كل حزب بما لديهم فرحون) أى راضون بما عندهم قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين اليه) مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) خصبا ونعمة (اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) حالكم فى الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا (فهو يتكلم) ينطق (بما كانوا به يشركون) أى ينطق بشركهم ويأمرهم به (واذا أذقنا الناس رحمة) أى الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) يعنى فرح البطر (وان تصبهم سيئة) أى الجدب وقلة المطر ويقال الخوف والبلاء

(بما قدمت أيديهم) من السيئات (اذا هم يقنطون) ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) قوله تعالى (فآت ذا القربى حقه) من البر والصلة (والمسكين) وحقه ان يتصدق عليه (وابن السبيل) يعني المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) يطلبون ثواب الله بما يعملون (وأولئك هم المفلحون) قوله عز وجل (وما آتيتم من ربوا) قرأ ابن كثير آتيتم مقصورا وقرأ الآخرون بالمد أي أعطيتم ومن قصر فمعناه ما جئتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الاعطاء كما يقول أتيت خطأ وأتيت صوابا فهو يؤول في المعنى الى قول من مد (ليربوا في أموال الناس) قرأ أهل المدينة ويعقوب لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب أي لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس وقرأ الآخرون بالياء وفتحها ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله (فلا يربوا عند الله) في أموال الناس أي في اختطاف أموال الناس واجتذابها واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك وأكثر المفسرين هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز حلال ولكن لا ثواب عليها في القيامة وهو معنى قوله عز وجل فلا يربوا عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقال النخعي هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله وقال الشعبي هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله التماس عونه لوجه الله فلا يربو عند الله لانه لم يرد به وجه الله تعالى (وما آتيتم من زكوة) أعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) فيضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات تقول العرب القوم مهزولون ومسمونون اذا هزلت أو سمنت ابلهم (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) قوله عز وجل (ظهر الفساد في البر والبحر) يعني قحط المطر وقلة النبات أراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية قال عكرمة العرب تسمي المصر بحرا يقال أجدب البر وانقطعت مادة البحر (بما كسبت أيدي الناس) أي بشؤم ذنوبهم وقال عطية وغيره البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو البحر المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلو أجواف الاصداف لان الصدف اذا جاء المطر يرتفع الى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع في فيه من المطر صار لؤلؤا وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعافا وقصد الحيوان بعضها بعضا قال قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الارض ظلما وضلالة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس بما كسبت أيدي الناس من المعاصي يعني كفاره كذا

خوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (اذا هم يقنطون) أي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره * قوله عز وجل (فآت ذا القربى حقه) أي من البر والصلة (والمسكين) أي حقه وهو التصدق عليه (وابن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) قوله عز وجل (وما آتيتم) أي أعطيتم (من ربا ليربوا في أموال الناس) أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلا يربوا عند الله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يربو عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتم من زكوة) أي أعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله) أي بتلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات * قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول أجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلو أجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤا (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة

(ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى عقوبة بعض الذى عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) لترو امنازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) فاهلكوا بكفرهم (فاقم وجهك للدين القيم) المستقيم وهو دين الاسلام (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) يعنى يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله (يومئذ يصدعون) أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) يوطئون المضاجع ويسوونها فى القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) قوله عز وجل (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) تبشر بالمطر (وليذيقكم من رحمته) نعمة بالمطر وهى الخصب (ولتجرى الفلك فى البحر) بهذه الرياح (بأمره ولتبتغوا من فضله) لتطلبوا من رزقه بالتجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) رب هذه النعم قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى

وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعافا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذى عملوا) يعنى عقوبة الذى عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) يعنى عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أى لترو امنازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) يعنى فاهلكوا بكفرهم * قوله عز وجل (فاقم وجهك للدين القيم) يعنى لدين الاسلام (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) يعنى يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) يعنى يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) يعنى وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أى يوطئون المضاجع ويسوونها فى القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا أكثر من أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) فيه تهديد ووعيد لهم * قوله تعالى (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أى تبشر بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أى بالمطر وهو الخصب (ولتجرى الفلك) أى بهذه الرياح (بأمره ولتبتغوا من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) أى هذه النعم * قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أى بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) يعنى انا عذبنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أى مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبى صلى الله عليه وسلم بالظفر فى العاقبة والنصر على الاعداء عن أبى الدرداء قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذى ولفظه من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن * قوله عز وجل (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) يعنى تنشره (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) يعنى مسيرة يوم او يومين او اكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) اى قطعا متفرقة (فترى الودق) اى المطر (يخرج من خلاله) اى من وسطه (فاذا اصاب به) يعنى بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) يعنى يفرحون بالمطر (وان كانوا) اى وقد كانوا (من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين) يعنى آيسين (فانظر الى آثار رحمت الله) يعنى المطر والمعنى انظر الى حسن تاثيره فى الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى) يعنى ان الذى احيا

قومهم فجاؤهم بالبينات) بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) عذبنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) انجاؤهم من العذاب ففى هذا تبشير للنبى صلى الله عليه وسلم بالظفر فى العاقبة والنصر على الاعداء قال الحسن أنجاهم مع الرسول من عذاب الامم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد ابن سمعان أنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الريانى أنا أحمد بن زنجويه أنا أبو شيح الحرانى أنا أبو موسى بن أعين عن ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) أى ينشره (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) مسيرة يوم أو يومين وأكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) قطعا متفرقة (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) وسطه (فاذا أصاب به) أى بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) يفرحون بالمطر (وان كانوا) وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) أى آيسين وقيل وان كانوا أى وما كانوا الا مبلسين وأعاد قوله من قبله تأكيدا وقيل الاولى ترجع الى انزال المطر والثانية الى انشاء السحاب وفى حرف عبد الله بن مسعود وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين غير مكرر (فانظر الى أثر رحمت الله) هكذا قرأ أهل الحجاز والبصرة وأبو بكر وقرأ الآخرون الى آثار رحمة الله على الجمع أراد برحمة الله المطر أى انظر الى حسن تأثيره فى الارض قال مقاتل أثر رحمة الله أى أثر نعمته وهو النبت (كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى) يعنى ان ذلك الذى يحيى الارض لمحيى الموتى

(وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا) باردة مضرة فافسدت الزرع (فراوه مصفرا) أى رأوا النبت والزرع مصفرا بعد الخضرة (لظلوا) لصاروا (من بعده) أى من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) يجحدون ماسلف من النعمة يعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم جحدوا سالف نعمتى (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم من ضعف) قرئ بضم الضاد وفتحها فالضم لغة قريش والفتح لغة تميم ومعنى من ضعف أى من نطفة يريد من ذى ضعف أى من ماء ذى ضعف كما قال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أى من بعد ضعف الطفولية شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) هرما (وشيبة يخلق ما يشاء) من الضعف والقوة والشباب والشيبة (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء (ويوم تقوم الساعة (١٧٦) يقسم المجرمون) يحلف المشركون (ما لبثوا) فى الدنيا (غير ساعة) الا ساعة استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال مقاتل والكلبى ما لبثوا فى قبورهم غير ساعة كما قال كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار (كذلك كانوا يؤفكون) يصرفون عن الحق فى الدنيا قال الكلبى ومقاتل كذبوا فى قولهم غير ساعة كما كذبوا فى الدنيا أن لا بعث والمعنى ان الله أراد أن يفضحهم فخلقوا على شئ يتبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وبقدره بدليل قوله يؤفكون أى يصرفون عن الحق ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله) أى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه من اللبث فى القبور وقيل فى كتاب الله أى فى حكم الله وقال قتادة ومقاتل فيه تقديم وتاخير تقديره وقال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث يعنى الذين يعلمون كتاب الله وقرأوا قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون أى قالوا للمنكرين لقد لبثتم (الى يوم البعث فهذا يوم البعث) الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقوعه فى الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) يعنى عذرهم (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم العتبى والرجوع الى الدنيا قرأ أهل الكوفة لا ينفع بالياء ههنا وفى حم المؤمن وقرأ الباقون بالتاء فيهما (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) ما أنتم الا على باطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) فى نصرتك واظهارك على عدوك

الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى (وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فراوه مصفرا) أى الزرع بعد الخضرة (لظلوا من بعده) أى من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) أى يجحدون ماسلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتى (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف) أى بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذى ضعف وقيل هو اشارة الى أحوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه أحوال غاية الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعنى من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) يعنى هرما (وشيبة) وهو تمام النقصان (يخلق ما يشاء) أى من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء * قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أى يحلف المشركون (ما لبثوا) أى فى الدنيا (غير ساعة) معناه انهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه ما لبثوا فى قبورهم غير ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) يعنى يصرفون عن الحق فى الدنيا وذلك انهم كذبوا فى قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا فى الدنيا ان لا يبعثوا والمعنى ان الله أراد أن يفضحهم فخلقوا على شئ تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المؤمن عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث) أى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه من اللبث فى القبور وقيل معنى الآية وقال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله والايمان يعنى الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث أى فى قبوركم (فهذا يوم البعث) أى الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أى وقوعه فى الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) أى لا تطلب منهم العتبى والرجوع فى الآخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التى تزيل الجريمة لانها لا تقبل منهم * قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) يعنى ما أنتم الا على باطل وذلك على سبيل العناد * فان قلت ما معنى توحيد الخطاب فى قوله ولئن جئتهم والجمع فى قوله ان أنتم الا مبطلون * قلت فيه لطيفة وهى ان الله تعالى قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن ان يقال معناه انكم كلكم أيها الرسل مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) أى فى

نصرك

(ولا يستخفنك) لا يستجهلنك معناه لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في النهي وقيل لا يستخفن رأيك وحلمك (الذين لا يوقنون) بالبعث والحساب

﴿ سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة) قرأ حمزة ورحمة بالرفع على الابتداء أي هو هدى ورحمة وقرأ الآخرون بالنصب على الحال (للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم فيحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد يعني شراء القيان والمغنيين ووجه الكلام على هذا

نصرك واظهارك على عدوك (ولا يستخفنك) يعني لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفن رأيك (الذين لا يوقنون) يعني بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة لقمان مكية ﴾

وهي أربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) يعني الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قيل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة وكان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنيين ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخرجه الترمذي وهذا لفظه عن أبي أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمار وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضرب بها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) يعني عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) يعني يفعله عن جهل

التأويل من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزني ثنا جدي محمد بن اسحق بن خزيمة أنا علي بن حجر أنا مشمعل بن ملحان الطائي عن مطرح بن يزيد عن عبد الله بن زحر عن علي ابن يزيد عن القاسم عن أبي عبد الرحمن عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخبرنا

 عبد الرحمن بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي أنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي أنا محمد بن غالب بن تمتام أنا خالد بن مرثد أنا حماد بن زيد عن هشام هو ابن حسان عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة ان النبي صلعم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة قال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضرب بها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى قوله يشتري لهو الحديث أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن قال أبو الصهباء البكري سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق في القلب وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يخرقون الدفوف وقيل الغناء رقية الزنا وقال ابن جريج هو الطبل وعن الضحاك قال هو الشرك وقال قتادة هو كل لهو ولعب (ليضل عن سبيل الله بغير علم) يعني يفعله عن جهل قال قتادة بحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق

قوله تعالى (ويتخذها هزوا) قرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب ويتخذها بنصب الذال عطفا على قوله ليضل وقرأ الآخرون بالرفع استئنافا على قوله يشترى (أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) حسن (هذا) يعنى الذى ذكرت مما تعاينون (خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) من آلهتكم التى تعبدونها (بل الظالمون فى ضلال مبين) قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى العقل والعلم والعمل به والاصابة فى الامور وقال محمد بن

اسحق هو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقال وهب انه كان ابن أخت أيوب وقال مقاتل ذكر انه كان ابن خالة أيوب قال الواقدى كان قاضيا فى بنى اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان لقمان نبيا وتفرد بهذا القول وقال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف النهار فنودى يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الارض لتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة فانى أعلم ان فعل ذلك بى أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعن فبالحرى أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن

وحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) أى يتخذ آيات الله مزحا (أولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أى لا يعبأ بها ولا يرفع لها رأسا (كأن لم يسمعها) أى يشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا ولا وقر فيهما (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا) يعنى وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد (وهو العزيز الحكيم) * قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحفة مستوية وهو قول المفسرين وهى فى الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء فى بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدرة قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أى ليس لها شئ يمنعها الزوال من موضعها وهى ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة الله تعالى وفى قوله ترونها وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أى ليست هى بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثانى انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية (وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم) أى لئلا تتحرك بكم (وبث فيها) أى فى الارض (من كل دابة) أى يسكنون فيها (وأنزلنا من السماء ماء) يعنى المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أى من كل صنف حسن (هذا) يعنى الذى ذكرت مما تعاينون (خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أى آلهتكم التى تعبدونها (بل الظالمون فى ضلال مبين) * قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعورا ابن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا فى بنى اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف الليل فنودى يا لقمان هل لك أن نجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة وانى أعلم ان الله ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال ان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالحرى أن ينجو وان أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى فى الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود لحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنينى وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خير

تخير الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترطه لقمان فهوى فى الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو عنه وكان لقمان يوازره بحكمته وعن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقال سعيد بن المسيب كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعى فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنينى وقال مجاهد كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين قوله عز وجل

السودان

(أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد واذ قال لقمان لابنه) واسمه أنعم ويقال مشكم (وهو يعظه يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) قرأ ابن كثير يابني لا تشرك بالله باسكان الياء وفتحها حفص والباقون بالكسر يابني انها بفتح الياء حفص والباقون بالكسر يابني أقم الصلاة بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص وباسكانها القواس والباقون بكسرها (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقال الضحاك ضعفا على ضعف قال مجاهد مشقة على مشقة وقال الزجاج المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة ويقال الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف (وفصاله) أي فطامه (في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير) المرجع قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب الي) أي دين من أقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال عطاء عن ابن عباس يريد أبا بكر وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام أسلموا بارشاد أبي بكر قال الله تعالى واتبع سبيل من أناب الي يعني أبا بكر (ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) وقيل نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه وقد مضت القصة وقيل الآية عامة في حق كافة الناس (يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل) الكناية في قوله انها راجعة الى الخطيئة وذلك ان ابن لقمان قال لأبيه يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل (فتكن في صخرة) قال قتادة تكن في جبل وقال ابن عباس في صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها قال السدي خلق الله الارض على حوت وهو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ن والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الارض والصخرة على الريح

السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب بنوره كما ينور البصر فيدرك المبصر * وقوله (أن اشكر لله) وذلك لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) أي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فان الله غني) أي غير محتاج الى شكر الشاكرين (حميد) أي هو حقيق بأن يحمد وان لم يحمده أحد * قوله تعالى (واذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشكم (وهو يعظه) وذلك لان أعلى مراتب الانسان أن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ في وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها * قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف (وفصاله في عامين) أي فطامه في سنتين (أن اشكر لي ولوالديك الي المصير) لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال شكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الي المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل لما أمر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء علي وقت المصير الي قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) قال النخعي يعني ان طاعتهما واجبة فان أفضى ذلك الى الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب الي) أي اتبع دين من أقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب الي يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام أسلموا بارشاد أبي بكر (ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل) وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله قال يابني انها أي الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل أي في الصغر (فتكن) أي مع صغرها (في صخرة) قال ابن

(أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف) باستخراجها (خبير) عالم بمكانها قال الحسن معنى الآية هي الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها وفي بعض الكتب ان هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات رحمه الله (يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) يعني من الاذى (ان ذلك من عزم الامور) يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى فيهما من الامور الواجبة التي أمر الله بها أو من الامور التي يعزم عليها لوجوبها (ولا تصعر خدك للناس) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ولا تصعر بتشديد العين من غير ألف وقرأ الآخرون تصاعر بالالف يقال صعر وجهه وصاعر اذا مال وأعرض تكبرا ورجل أصعر أي مائل العنق قال ابن عباس يقول لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقال مجاهد هو الرجل يكون بينك وبينه أحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه وقال عكرمة هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقال الربيع بن أنس وقتادة ولا تحقرن الفقراء لكن الفقير

والغني عندك سواء (ولا تمش في الارض مرحا) خيلاء تكبرا (ان الله لا يحب كل مختال) في مشيه

عباس صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السماء فلذلك قال (أو في السموات أو في الارض) والصخرة على متن الريح والريح على القدرة (يأت بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله (ان الله لطيف) أي باستخراجها (خبير) أي بمكانها ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات (يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الاذى (ان ذلك من عزم الامور) يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي أمر الله بها (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خدك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن الفقير والغني عندك سواء (ولا تمش في الارض مرحا) أي خيلاء (ان الله لا يحب كل مختال) في مشيه (فخور) أي على الناس (واقصد في مشيك) أي ليكن مشيك بين الاسراع والتاني أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التاني فهو أن يرى في نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار (واغضض) أي اخفض وقيل انقص (من صوتك ان أنكر) أي أقبح (الاصوات لصوت الحمير) لان أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال صياح كل شئ تسبيح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له اذبحها وائتني باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فساله مولاه فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا * قوله عز وجل (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ) أي أتم وأكمل (عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة

الظاهرة

الربيعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاه اليه شاة وقال اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه شاة أخرى وقال اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا قوله تعالى (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم) أتم وأكمل (نعمه) قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحفص نعمه بفتح العين وضم الهاء على الجمع وقرأ الآخرون منونة على الواحد ومعناها الجمع أيضا كقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها (ظاهرة وباطنة) قال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة الايمان وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب وقيل الظاهرة الاقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق

وقال عطا الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة القاء الرعب فى قلوب الكفار وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحارث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال الله عز وجل (أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وجواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه يعنى يتبعون الشيطان وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير قوله تعالى (ومن يسلم وجهه الى الله) يعنى لله أى يخلص دينه لله ويفوض أمره الى الله (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخاف انقطاعه (والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا) أى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا الى انقضاء آجالهم (ثم نضطرهم) ثم نلجئهم ونردهم فى الاخرة (الى عذاب غليظ) وهو عذاب النار (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد) قوله سبحانه وتعالى (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام) الآية قال المفسرون نزلت بمكة قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن الروح الى قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا عنك أنك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أفعنيتنا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا أوتينا التوراة وفيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف نزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فأنزل الله هذه الآية قال قتادة ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتى به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام أى بريت أقلاما (والبحر يمده) قرأ أبو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب عطفا على ما والباقون بالرفع على الاستئناف يمده أى يزيده وينصب فيه (من بعده) من خلفه (سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) وفى الآية اختصار تقديره ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات الله

الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال الله تعالى (أولو كان الشيطان يدعوهم) معناه أفيتبعونهم وان كان الشيطان يدعوهم (الى عذاب السعير) * قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه الى الله) أى يخلص لله دينه ويفوض اليه أمره (وهو محسن) أى فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه ويرتقى بسببه الى أعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) أى مصير جميع الاشياء اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) أى لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم * قوله تعالى (نمتعهم قليلا) أى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم (ثم نضطرهم) أى نلجئهم ونردهم (الى عذاب غليظ) الى النار فى الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسئلونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أتعنينا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا أوتينا التوراة فيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد أتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم به قالوا كيف نزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود أمروا وفد قريش أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتى به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فانزل الله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام أى بريت أقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم (والبحر يمده) أى يزيده وينصب اليه (من بعده سبعة أبحر) أى مدادا والخلائق يكتبون به كلام الله (ما نفدت كلمات الله)

(ان الله عزيز حكيم) وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية وعلى قول غيره مكية وقالوا انما أمر اليهود وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكة والله أعلم (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أى كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شئ (ان الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك الذى ذكرت لتعلموا ان الله هو الحق (وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله) يريد ان ذلك من نعمة الله عليكم (ليريكم من آياته) عجائبه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على أمر الله (شكور) لنعمه (واذا غشيهم موج كالظلل) قال (١٨٢) مقاتل كالجبال وقال الكلبى كالسحاب والظلل جمع الظلة شبه بها الموج فى كثرتها وارتفاعها

لانها لا نهاية لها (ان الله عزيز حكيم) قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أى الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شئ (ان الله سميع) أى لاقوالكم (بصير) باعمالكم (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) يعنى ذلك الذى هو قادر على هذه الاشياء التى ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) يعنى لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلى) يعنى فى صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) فى ذاته لانه أكبر من كل كبير * قوله تعالى (ألم تر أن الفلك) يعنى السفن والمراكب (تجرى فى البحر بنعمت الله) يعنى ذلك من نعمة الله عليكم (ليريكم من آياته) يعنى من عجائب صنائعه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) يعنى على ما أمر الله (شكور) لانعامه (واذا غشيهم موج كالظال) يعنى كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج فى كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع فى شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) يعنى عدل موف فى البر بما عاهد عليه الله فى البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت فى عكرمة بن أبى جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدى فى يده فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) يعنى غدار (كفور) يعنى جحود لا نعمنا عليه * قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) يعنى خافوا ربكم (واخشوا) يعنى وخافوا (يوما لا يجزى) يعنى لا يقضى ولا يغنى (والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين فى غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزى عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزى عن والده لما له من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسى نفسى ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شانه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لا يجزى والد عن ولده فى ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) يعنى لانها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويتمنى المغفرة * قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت فى الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبلى فمتى تلد ولقد علمت أين ولدت فباى أرض أموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل

وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهى جمع لان الموج يأتى منه شئ بعد شئ (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أى عدل موف فى البر بما عاهد الله عليه فى البحر من التوحيد له يعنى ثبت على ايمانه قيل نزلت فى عكرمة ابن أبى جهل هرب عام الفتح الى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدى فى يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه وقال مجاهد فمنهم مقتصد فى القول مضمر للكفر وقال الكلبى مقتصد فى القول أى من الكفار لان بعضهم كان أشد قولا وأغلى فى الافتراء من بعض (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) والختر أسوأ الغدر (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى) لا يقضى ولا يغنى (والد عن ولده ولا مولود هو جاز) مغن (عن والده شيا) قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه (ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير هو ان يعمل المعصية ويتمنى المغفرة قوله (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت فى الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبلى فما تلد وقد علمت أين ولدت فباى أرض أموت فانزل الله هذه الآية ان الله عنده علم الساعة

الغيث

(و ينزل الغيث و يعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي أرض تموت) وقرأ أبي بن كعب باية أرض والمشهور باي أرض لان الارض ليس فيها من علامات التانيث شئ وقيل أراد بالارض المكان أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا ابراهيم بن سعد أنا ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي أرض تموت (ان الله عليم خبير)

﴿ سورة الم السجدة مكية وهي ثلاثون آية ﴾

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمنا الى آخر ثلاث آيات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) قال مقاتل (١٨٣)

الغيث و يعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي أرض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو أي شهر أو أي يوم ليلا أو نهارا (و ينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا الا الله (و يعلم ما في الارحام) أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلقة أم ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدري نفس باي أرض تموت) يعني ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الارض في بر أو بحر في سهل أو جبل (ان الله عليم) يعني بهذه الاشياء و بغيرها (خبير) أي ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيا من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة السجدة وهي مكية ﴾

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) يعني لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) يعني بل يقولون يعني المشركين (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) يعني القرآن (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم * فان قلت اذا لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة * قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان (لعلهم يهتدون) يعني تنذرهم راجيا اهتداءهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (يدبر الامر) يعني يحكم الامر و ينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يعرج) يعني يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل و يصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج اليه أي يرجع الامر والتدبير

لا شك فيه انه تنزيل من رب العالمين (أم يقولون) بل يقولون (افتراه) وقيل الميم صلة أي أيقولون افتراه استفهام توبيخ وقيل أم بمعنى الواو أي و يقولون افتراه وقيل فيه اضمار مجازه فهل يؤمنون أم يقولون افتراه ثم قال (بل هو) يعني القرآن (الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم) يعني لم يأتهم (من نذير من قبلك) قال قتادة كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام أو بين محمد صلى الله عليه وسلم (لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر) أي يحكم الامر و ينزل القضاء والقدر (من السماء الى الارض) وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض (ثم يعرج) يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أي في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده لان ما بين السماء والارض خمسمائة عام يقول لو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه الا في ألف سنة والملائكة يقطعون في يوم واحد هذا في وصف عروج الملك من الارض الى السماء وأما قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أراد مدة المسافة من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك وقوله اليه أي الى الله وقيل على هذا التاويل الى مكان الملك الذي أمره الله عز وجل ان يعرج اليه وقال بعضهم ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر معناه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا

وانقطاع أمر الامراء وحكم الحكام فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة وأما قوله خمسين ألف سنة فانه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء فى الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا وقال ابراهيم التيمى لا يكون على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر ويجوز أن يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبى مليكة دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان على ابن عباس وسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله خمسين ألف سنة فقال له ابن عباس أيام سماها الله لا أدرى ما هى وأكره أن أقول فى كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعنى ذلك الذى صنع ما ذكره من خلق السموات والارض عالم ما غاب عن عيان الخلق وما حضر (العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه) قرأ نافع وأهل الكوفة خلقه بفتح اللام على الفعل وقرأ الآخرون بسكونها أى أحسن خلق كل شئ قال ابن عباس أتقنه وأحكمه قال قتادة حسنه وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شئ من قولك فلان يحسن كذا اذا كان يعلمه وقيل خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل فى خلقه حسن وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعنى آدم (ثم جعل نسله) يعنى ذريته (من سلالة) نطفة سميت سلالة لانها تسل من الانسان (من ماء مهين) أى ضعيف وهو نطفة الرجل (ثم سواه) ثم سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) ثم عاد الى ذريته فقال (وجعل لكم) بعد أن كنتم نطفا (السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) يعنى لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه (وقالوا) روى

اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الآمر وحكم الحاكم فى يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة * فان قلت قد قال فى موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما * قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التى هى مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة فى يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها فى القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا فى حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء فى الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا قال ابراهيم التيمى لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل أن يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبى مليكة دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فساله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضى الله عنهما أيام سماها الله تعالى لا أدرى ما هى وأكره أن أقول فى كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعنى الذى صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أى ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزيز) أى الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه وأهل طاعته * قوله تعالى (الذى أحسن كل شئ خلقه) قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شئ وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل فى صورته حسن فى شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه ألهم خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه وقيل معناه أحسن الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعنى آدم (ثم جعل نسله) يعنى ذريته (من سلالة) أى من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) أى ضعيف (ثم سواه) أى سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح فى الجسد فقال (وجعل لكم) أى خلق بعد ان كنتم نطفا موتا (السمع والابصار والافئدة) قيل قدم السمع لان الانسان يسمع أولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه فى ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام من أى جهة كان (قليلا ما تشكرون) يعنى انكم لا تشكرون رب هذه النعمة فتوحدوه الا قليلا * قوله تعالى (وقالوا) يعنى منكرى البعث (أئذا ضللنا) هلكنا (فى الارض) وصرنا ترابا وأصله من قولهم ضل الماء فى اللبن اذا ذهب (أئنا لفى خلق جديد) استفهام انكار قال الله عز وجل (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أى بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) يقبض أرواحكم (ملك الموت الذى وكل بكم) أى وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل والتوفى استيفاء العدد المضروب للخلق فى الازل معناه انه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذى كتب عليه الموت وروى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفس الخلق فى مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فملائكة الرحمة للمؤمنين وملائكة العذاب للكافرين وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل طست يتناول منها حيث يشاء وفى بعض الاخبار ان ملك

يعنى منكرى البعث (أئذا ضللنا) هلكنا (فى الارض) وصرنا ترابا وأصله من قولهم ضل الماء فى اللبن اذا ذهب (أئنا لفى خلق جديد) استفهام انكار قال الله عز وجل (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أى بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) يقبض أرواحكم (ملك الموت الذى وكل بكم) أى وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل والتوفى استيفاء العدد المضروب للخلق فى الازل معناه انه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذى كتب عليه الموت وروى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفس الخلق فى مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فملائكة الرحمة للمؤمنين وملائكة العذاب للكافرين وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل طست يتناول منها حيث يشاء وفى بعض الاخبار ان ملك

روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع أعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فمن أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت * وقوله (ثم الى ربكم ترجعون) أى تصيرون الى ربكم أحياء فيجزيكم باعمالكم * قوله عزوجل (ولو ترى اذ المجرمون) أى المشركون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) أى يطأطؤنها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم يقولون (ربنا أبصرنا) أى ما كنا به مكذبين (وسمعنا) يعنى منك تصديق ما أتتنا به رسلك وقيل أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا (فارجعنا) أى فاردد نا الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) أى فى الحال آمنا ولكن لا ينفع ذلك الايمان (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أى رشدها وتوفيقها للايمان (ولكن حق القول منى) أى وجب القول منى (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى من كفار الجن والانس (فذوقوا) يعنى فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) أى تركتم الايمان فى الدنيا (هذا انا نسيناكم) يعنى تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناسى قطعا لرجائكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أى من الكفر والتكذيب * قوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أى وعظوا بها (خروا سجدا) يعنى سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) يعنى صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) يعنى عن الايمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التى فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدنا مكانا لوضع جبهته فى غير وقت الصلاة (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فابيت فلى النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ وللمستمع * قوله تعالى (تتجافى جنوبهم) يعنى ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذى يضطجع عليه يعنى الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه

ثم يقال لاهل النار وقال مقاتل اذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى تركتم الايمان به فى الدنيا (انا نسيناكم) تركناكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) من الكفر والتكذيب قوله عزوجل (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خروا سجدا) سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) قيل صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والسجود له (تتجافى) ترتفع وتنبو (جنوبهم عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذى يضطجع عليه يعنى الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة واختلفوا فى المراد بهذه الآية قال أنس نزلت فينا معشر الانصار كنا نصلى المغرب

فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبى صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضا قال نزلت فى أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهو قول أبى حازم ومحمد بن المنكدر وقالا هى صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة وعن أبى الدرداء وأبى ذر وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم هم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر فى جماعة وروينا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى العشاء فى جماعة كان كمن قام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن سمى مولى أبى بكر بن عبد الرحمن عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه

لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا اليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا وأشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل
وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران انا ابو علي
اسمعيل بن محمد الصفار انا أحمد بن منصور الرمادي انا عبد الرزاق انا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع
النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد
سالت عن أمر عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال
ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء
بما كانوا يعملون ثم قال ألا أدلك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه
الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يانبي الله قال فأخذ بلسانه فقال اكفف عليك هذا فقلت يانبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به قال
ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي

انا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد المخلدي انا محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني انا حميد بن زنجويه انا أبو عبد الله بن صالح حدثني
معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم
بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة لكم الى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الاثم أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد
ابن محمد بن سمعان انا ابو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني انا حميد بن زنجويه أنا روح بن أسلم انا حماد بن سلمة انا عطاء بن
السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين جنبيه وأهله الى صلاته فيقول الله للملائكته انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع فقاتل حتى أهريق دمه فيقول الله للملائكته انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي حتى أهريق دمه أخبرنا أبو عثمان الضبي انا أبو محمد الجراح انا أبو العباس المحبوبي انا أبو عيسى الترمذي انا قتيبة بن سعيد انا أبو عوانة عن أبي بشر عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو الحسين بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار انا أحمد بن منصور الرمادي انا عبد الرزاق انا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد ابن اسمعيل انا أصبغ أخبرني عبد الله بن وهب اخبرني يونس عن ابن شهاب ان الهيثم بن أبي سنان أخبره انه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ان أخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك عبد الله بن رواحة قال

وسلم وعن أنس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون
وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف
بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء
الاخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن
صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا وأشهر الاقاويل
أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة
﴿فصل في فضل قيام الليل والحث عليه﴾ عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفرة فأصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من
النار قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة
وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ
الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم
قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده
الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله قال فأخذ بلسانه وقال
اكفف عليك هذا فقلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس
في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم أخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع * أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات ان ما قال واقع * يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قوله عز وجل (يدعون ربهم خوفا وطمعا) قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا فى الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل عام فى الواجب والتطوع (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) قرأ حمزة ويعقوب أخفى لهم ساكنة الياء أى أنا أخفى لهم ومن حجته قراءة

للسيئات ومنهاة عن الآثام ومطردة الداء عن الجسد أخرجه الترمذى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين جنبيه وأهله الى صلاته فيقول الله عز وجل للملائكته انظروا الى عبدى ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله الى صلاته رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى ورجل غزا فى سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه فى الانهزام وما له فى الرجوع فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله تعالى للملائكته انظروا الى عبدى رجع رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى حتى أهريق دمه أخرجه الترمذى بمعناه (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذى (خ) عن الهيثم بن أبى سنان انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه فى قصة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أخا لكم لا يقول الرفث يعنى بذلك ابن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ما اذا قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخارى وليس للهيثم بن سنان عن أبى هريرة فى الصحيحين غير هذا الحديث * وقوله تعالى (يدعون ربهم خوفا وطمعا) قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا فى الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام فى الواجب والتطوع * قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) أى مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أى من الطاعات فى دار الدنيا (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين * قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) نزلت فى على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان بينهما تنازع وكلام فى شئ فقال الوليد لعلى اسكت فانك صبى وأنا شيخ والله انى أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فأنزل الله هذه الآية وقوله لا يستوون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أى التى يأوى اليها المؤمنون (نزلا) هو ما يهيأ للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعنى من الطاعات فى دار الدنيا (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) * قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) أى سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا وأسقامها وعنه

ابن مسعود نخفى بالنون وقرأ الآخرون بفتحها (من قرة أعين) مما تقر به أعينهم (جزاء بما كانوا يعملون) أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا اسحق بن نصر انا أبو أسامة عن الاعمش انا أبو صالح عن أبى هريرة عن النبى صلعم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعتم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وعن بعضهم قال أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم قوله عز وجل (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) نزلت فى على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط أخى عثمان لامه وذلك انه كان بينهما تنازع وكلام فى شئ فقال الوليد بن عقبة لعلى اسكت فانك صبى وانا والله أنشط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة

فقال له على اسكت فانك فاسق فانزل الله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ولم يقل لا يستويان لانه لم يرد مؤمنا واحدا وفاسقا واحدا بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) التى يأوى اليه المؤمنون (نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) أى سوى العذاب الاكبر

(لعلهم يرجعون) قال أبي بن كعب والضحاك والحسن وابراهيم العذاب الادنى مصائب الدنيا وأسقامها وهو رواية الوالبي عن ابن عباس وقال عكرمة عنه الحدود وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي دون العذاب الاكبر يعني عذاب الآخرة لعلهم يرجعون الى الايمان يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط قوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه) يعني فلا تكن في شك من

لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس وغيره أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن سمعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر عن شعبة عن قتادة رحمهما الله قال وقال لي خليفة أنا يزيد ابن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية قال أنا ابن عم نبيكم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبد الله المحاملي أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم البزار أنا محمد بن يونس أنا عمر بن حبيب القاضي أنا سليمان التيمي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي الى السماء رأيت موسى يصلي في قبره ورؤينا في المعراج

انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) أي الى الايمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم (ممن ذكر بآيات ربه) أي بدلائل وحدانيته وانعامه عليه (ثم أعرض عنها) أي ترك الايمان بها (انا من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون) معناه انهم لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر * قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فلا تكن في مرية) أي في شك (من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره * فان قلت قد صح في حديث المعراج انه رآه في السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين * قلت يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شئ قدير * فان قلت كيف تصح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا * قلت يجاب عنه بأجوبة أحدها ان الانبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الاحياء في هذه الدار التي هي دار العمل الى أن تفنى ثم يرحلون الى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية من لقائه أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) أي الكتاب (هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم) أي من بني اسرائيل (أئمة) أي قادة للخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم أتباع الانبياء (يهدون بأمرنا) يعني يدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) يعني على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون) يعني انها من الله تعالى (ان ربك هو يفصل) أي يقضي ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل هم الانبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون

انه رآه في السماء السادسة ومراجعته في أمر الصلاة وقال السدي فلا تكن في مرية من لقائه أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب وهو التوراة وقال قتادة موسى (هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم) يعني من بني اسرائيل (أئمة) قادة في الخير يقتدى بهم يعني الانبياء الذين كانوا فيهم وقال قتادة اتباع الانبياء (يهدون) يدعون (بأمرنا لما صبروا) قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم أي حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل) يقضي (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

قوله

أولم يهد) لم يتبين (لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) آيات الله وعظاته فيتعظون بها (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها قال ابن عباس هى أرض باليمن وقال مجاهد هى أرض أبين (فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم) من العشب والتبن (وأنفسهم) من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل أراد يوم الفتح يوم القيامة الذى فيه الحكم بين العباد قال قتادة قال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم فقالوا استهزاء متى هذا الفتح أى القضاء والحكم وقال الكلبى يعنى فتح مكة وقال السدى يوم بدر لان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لهم ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر انهم منتظرون) قيل انتظر موعدى لك بالنصر انهم منتظرون بك حوادث الزمان وقيل انتظر عذابنا فيهم فانهم منتظرون ذلك أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو نعيم أنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبى هريرة انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان

قوله تعالى (أولم يهد لهم) أى نبين لهم (كم أهلكنا) يعنى كثرة من أهلكنا (من قبلهم من القرون) يعنى الامم الخالية (يمشون فى مساكنهم) يعنى أهل مكة يسيرون فى بلادهم ومنازلهم اذا سافروا (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) يعنى آيات الله ومواعظه فيتعظون بها * قوله عز وجل (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى الارض اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها قال ابن عباس هى أرض باليمن وقيل هى أبين (فنخرج به) أى بذلك الماء (زرعا تأكل منه أنعامهم) يعنى العشب والتبن (وأنفسهم) أى من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون) يعنى فيعتبروا * قوله تعالى (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل أراد يوم الفتح يوم القيامة الذى فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أى القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعنى يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) يعنى لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) يعنى يمهلون ليتوبوا ويعتذروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر) يعنى موعدى لك بالنصر عليهم (انهم منتظرون) أى بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الانسان عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذى بيده الملك أخرجه الترمذى وقال طاوس تفضلان عن كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الاحزاب مدنية ﴾

وهى ثلاث وسبعون آية وألف وماتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت فى (يا أيها النبى اتق الله) نزلت فى أبى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد ابى أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبى صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا فى قتلهم فقال انى قد أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فامر النبى صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبى اتق الله أى دم على التقوى كالرجل يقول لغيره وهو قائم قم ههنا أى اثبت قائما وقيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة وقال الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذى بينك وبينهم (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة يعنى أبا سفيان وعكرمة وأبا الاعور (والمنافقين) من أهل المدينة عبد الله بن أبى وعبد الله بن سعد وطعيمة

(ان الله كان عليما) بخلقه قبل أن يخلقهم (حكيما) فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا) قرأ أبو عمرو يعملون خبيرا و يعملون بصيرا بالياء فيهما وقرأ غيره بالتاء (وتوكل على الله) ثق بالله (وكفى بالله وكيلا) حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله عز وجل (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) نزلت فى أبى معمر جميل بن معمر الفهرى وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لى قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انهما فى رجلى فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده وقال الزهرى ومقاتل هذا مثل ضربه الله عز وجل للمظاهر من امرأته والمتبنى ولدغيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين (وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم) قرأ أهل الشام والكوفة اللائى ههنا وفى سورة الطلاق بياء بعد الهمزة وقرأ قالون عن نافع و يعقوب بغير ياء بعد الهمزة وقرأ الاخرون بتليين الهمزة وكلها لغات معروفة تظاهرون قرأ عاصم بالالف وضم التاء وكسر الهاء مخففا وقرا حمزة والكسائى بفتح التاء والهاء مخففا وقرأ ابن عامر بفتحهما وتشديد الظاء وقرأ الآخرون بفتحهما وتشديد الظاء والهاء من غير ألف

أبى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لى فى قتلهم فقال انى أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبى اتق الله أى دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذى بينك و بينهم وقيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعنى من أهل مكة يعنى أبا سفيان وعكرمة وأبا الاعور والمنافقين يعنى من أهل المدينة عبد الله بن أبى وعبد الله بن سعد وطعمة (ان الله كان عليما) أى بخلقه قبل أن يخلقهم (حكيما) أى فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) يعنى من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله) أى ثق بالله وكل أمرك اليه (وكفى بالله وكيلا) يعنى حافظا لك وقيل كفيلا برزقك * قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) نزلت فى أبى معمر جميل بن معمر الفهرى وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لى قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس فقال انهزموا فقال له فما بال احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انهما فى رجلى فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده وعن أبى ظبيان قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ما عنى بذلك قال قام نبى الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون أن له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التى تحصل للانسان فى صلاته وقيل فى معنى الآية انه لما قال الله تعالى يا أيها النبى اتق الله فكان ذلك أمرا بالتقوى فكأنه قال ومن حقها ان لا يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى الله بأحدهما و بالاخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبنى ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لا نه لا يخلو اما أن يفعل بأحدهما ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا ما لا يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا فى حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين * قوله تعالى (وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم) وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى يقول الله وما جعل نساءكم التى تقولون لهن هذا فى التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله فى سورة المجادلة * قوله تعالى (وما جعل أدعياءكم) يعنى الذين تتبنونهم (أبناءكم) وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان فى الجاهلية

يتبنى

بينهما وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى يقول الله تعالى ما جعل نساءكم اللائى تقولون لهن هذا فى التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة نذكرها ان شاء الله تعالى فى سورة المجادلة (وما جعل أدعياءكم) يعنى من تبنيتموه (أبناءكم) فيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل فى الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له يدعوه الناس اليه و يرث ميراثه وكان النبى صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن

حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الآية ونسخ التبني (ذلكم قولكم بأفواهكم) لا حقيقة له يعني قولهم زيد ابن محمد صلى الله عليه وسلم وادعاء نسب لا حقيقة له (والله يقول الحق) يعني قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشد الى سبيل الحق (ادعوهم لابائهم) الذين ولدوهم (هو أقسط) أعدل (عند الله) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا معلى بن أسد أنا عبد العزيز بن المختار أنا موسى بن عقبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم) يعني فهم اخوانكم (في الدين ومواليكم) ان كانوا محررين وليسوا بنيكم أي سموهم بأسماء اخوانكم في الدين وقيل مواليكم أي أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) قبل النهي فنسبتموه الى غير

أبيه (ولكن ما تعمدت قلوبكم) من دعائهم الى غير آبائهم بعد النهي وقال قتادة فيما أخطأتم به ان تدعوه لغير أبيه وهو يظن انه كذلك ومحل ما في قوله تعالى ما تعمدت خفض ردا على ما الاتي في قوله فيما أخطأتم به مجازه ولكن فيما تعمدت قلوبكم (وكان الله غفورا رحيما) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر أنا شعبة عن عاصم قال سمعت أبا عثمان قال سمعت سعدا وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكرة وكان قد تسور حصن الطائف في اناس فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير أبيه وهو

يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الآية ونسخ بها التبني (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي لا حقيقة له يعني قولهم زيد ابن محمد وادعاء النسب لا حقيقة له (والله يقول الحق) يعني قوله الحق (وهو يهدي السبيل) يعني يرشد الى سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) يعني الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة (هو أقسط عند الله) يعني أعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله الآية (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين) يعني فهم اخوانكم (ومواليكم) أي كانوا محررين وليسوا بنيكم أي فسموهم باسماء اخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي قبل النهي فنسبتموه الى غير أبيه (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي من دعائهم الى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به أن تدعوه الى غير أبيه وهو يظن انه كذلك (وكان الله غفورا رحيما) (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام * قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة انفسهم وهذا صحيح لان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستاذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية (ق) عن أبي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فايما مؤمن ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله أو ضياعا أي عيالا وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع * قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم)

يعلم فالجنة عليه حرام قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس وعطاء يعني اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعتهم أنفسهم وقال ابن زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى فيهم كما أنت أولى بعبدك فيما قضيت عليه وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستاذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد الله بن محمد أنا أبو عامر أنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرو عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فايما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فانا مولاه قوله عز وجل (وأزواجه أمهاتهم) وفي حرف أبي وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التابيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب قال الله تعالى

واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لاخوانهن وأخواتهن هم أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين واختلفوا في انهن هل كن أمهات النساء المؤمنات قيل كن أمهات المؤمنين والمؤمنات جميعا وقيل كن أمهات المؤمنين دون النساء وروى الشعبي عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها يا أمه فقالت لست لك بام انما أنا أم رجالكم فبان بهذا ان معنى هذه الامومة تحريم نكاحهن قوله عز وجل (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) يعني في الميراث قال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة قال الكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخي بين رجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعني ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالايمان والهجرة نسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت بالقرابة قوله (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه وقال مجاهد أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الايمان والهجرة وقيل أراد بالآية اثبات الميراث بالايمان والهجرة يعني وأولوا الارحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض أي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا يعني الا أن توصوا لذوي قراباتكم بشئ وان كانوا من غير أهل الايمان والهجرة وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي كان الذي ذكرت من أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وقال القرظي في التوراة قوله عز وجل (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض قال مقاتل أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا الى عبادة الله ويصدق بعضهم بعضا وينصحوا لقومهم (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم قبلهم

يعني أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لاخوانهن وأخواتهن هن أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روى عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأم انما أنا أم رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أي في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعني ان ذوي القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة اباح أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا أن توصوا الى قراباتكم بشئ وان كانوا من غير أهل الايمان والهجرة (كان ذلك) أي الذي ذكر من أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض (في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة (مسطورا) أي مكتوبا مثبتا * قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على أن يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم (ومنك) يعني يا محمد (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح

لما أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الحديثي انا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ انا محمد ابن محمد بن سليمان الساعدي أنا هرون بن محمد بن بكار بن بلال أنا أبي أنا سعيد يعني ابن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله عز وجل واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم قبلهم

(وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا (ليسال الصادقين عن صدقهم) يقول اخذنا ميثاقهم لكى يسال الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه انهم صادقون تبكيت من أرسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم فى قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق (اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فارسلنا عليهم ريحا) وهى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل، وكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد ابن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا آدم أنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور قوله تعالى (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا الىّ فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما تعملون بصيرا)

نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعنى أخذ ميثاقهم لكى يسأل الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من أرسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم فى قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فأرسلنا عليهم ريحا) يعنى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ماهبت على محزون الا ذهب حزنه * قوله تعالى (وجنودا لم تروها) يعنى الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا الىّ فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما يعملون بصيرا)

﴿ ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب ﴾

قال البخارى قال موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم فى بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان وقيسا وعيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم وخرجت

ابن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظى وعن غيرهم من علمائنا دخل حديث بعضهم فى بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهودة بن قيس وأبى عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى

بالحق منهم قالوا فهم الذين أنزل الله فيهم ألم الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة (١٩٤) وكان الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسى وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا عبد الله ابن حامد الاصبهانى أنا محمد بن جعفر الطبرى ثنا حماد بن الحسن ثنا محمد بن خالد بن عثمة ثنا كثير بن عبد الله عن عمرو بن عوف حدثنى أبى عن أبيه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا قال فاحتج المهاجرون والانصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى أربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجنب ذى باب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها بأمره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيبك فيها قليل ولا كثير فرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاءما بين لابتيها يعنى المدينة حتى لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرا فكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله صلى

قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسى وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصارى سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى أربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بخبر هذه الصخرة فاما أن يعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها أمره فانا لا نحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيبنا منها شئ قليل ولا كثير فرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه السلام المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعنى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى اضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال أرأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يارسول الله قال ضربت ضربتى الاولى فبرق البرق الذى رأيتم فأضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثانية فبرق البرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور قيصر من أرض الروم كانها أنياب الكلاب فاخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة

الله عليه وسلم الثانية وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فتح وكبر المسلمون معه فاخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال أرأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها أنياب الكلاب فاخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة من ارض الروم كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل ان (١٩٥) امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كانها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل عليه السلام ان أمتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما حيينا أبدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض ابطيه رجعنا الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من دومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نعمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه فاستاذن عليه فأبى ان يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الا خوفا ان آكل معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من دومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نعمى الى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجام قد بهرق ماؤه ويرعد ويبرق ليس

اسحق عن حميد قال سمعت انسا يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك عنهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا ابدا

واخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا مسلم بن ابراهيم أنا شعبة عن أبي اسحق عن البراء قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه أو اغبر صدره وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الألى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته أبينا أبينا رجعنا الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من روومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة

وأهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نعمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه و بين القوم وأمر بالنساء والذرارى فرفعوا فى الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بنى النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه حيي فأبى أن يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لى فقال ويحك ياحيي انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى و بينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لى أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دونى الا على حشيشتك أن (١٩٦) آكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من دومة و بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نعمى الى جانب أحد وقد عاهدونى وعاقدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه قال له كعب بن أسد جئتنى والله بذل الدهر و بجام قد هراق ماؤه برعد و برق وليس فيه شئ فدعنى ومحمدا وما أنا عليه فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي ابن أخطب بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وتبرأ مما كان عليه فيما بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أحد بنى عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة أحد بنى ساعدة وهو يومئذ سيد بنى الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أحق أم لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا و بينهم فاجهروا للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا و بينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا و بينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبرا بشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال أوس ابن قيظى أحد بنى حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فاذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخرج بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه أم شئ تصنعه لنا قال بل شئ أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا انى قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة واحدة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا مالنا

فيه شئ فدعنى ومحمدا وما أنا عليه فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على ان أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بنى عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة أحد بنى ساعدة وهو يومئذ سيد بنى الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أحق أم لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا و بينهم فاجهروا للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا و بينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا و بينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبرا بشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال أوس ابن قيظى أحد بنى حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فاذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخرج بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه أم شئ تصنعه لنا قال بل شئ أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا انى قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة واحدة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا مالنا

بهذا

عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا و بينهم فاجهروا به جهرا للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم منهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا و بين محمد ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فان ما بيننا و بينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه وقالوا عضل والقارة لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبرا بشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض

المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن قيظي يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فائذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلعم وأقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلعم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عمرو وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلعم وأصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح على ذلك حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلعم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه فقالا يارسول الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن ياخذوا منا تمرة واحدة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك

نعطيهم أموالنا مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم فقال رسول الله صلعم فانت وذاك فتناول سعد الصيحفة فمحا مافيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلعم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤى وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال على ياعمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه احداهما قال أجل قال له علي فاني أدعوك الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال اني أدعوك الى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال علي لكني والله أحب أن اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يامعشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده ولا في ثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من احرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول

* لا بأس بالموت اذا حان الاجل *

بهذا من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤى وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي ياعمرو انك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه احداهما قال أجل فقال له علي بن أبي طالب فاني أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني أدعوك الى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي ولكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا فقتله علي فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يامعشر العرب قتلة أحسن من هذا فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلعم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلعم لا حاجة لنا في جسده ولا في ثمنه فشأنكم

به نخلى بينهم و بينه قالت عائشة ام المؤمنين كنا يوم الخندق فى حصن بنى حارثة وكان من احرز حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا فى الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربة وهو يقول شعرا

لبث قليلا يدرك الهيجا جمل * لا بأس بالموت اذا حان الاجل

فقالت له أمه الحق يا بنى فقد والله أجزت قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت ان درع سعد كانت أسبغ مما هى قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك فى النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم أحب الى من ان أجاهدهم من قوم هم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية وقال محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب فى قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من

فقالت له أمه الحق يا بنى فقد والله اخترت قالت عائشة فقلت يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه خباب بن قيس ابن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة قال سعد عرق الله وجهك فى النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم أحب لى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت فى قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحر عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم اذا أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل فقال مالى بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود ابن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم

اليهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة فقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلعم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم اذا أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله لم آمنه بان يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلعم وأصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل فقال مالى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب قالوا وأقام رسول الله صلعم وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر من بنى غطفان أتى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله صلعم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال لهم يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم فيه أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأولادهم ونساؤهم بعيدة ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم حتى تكون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش يا معشر قريش قد

وأولادكم

عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا وقد بلغنى أمر رأيت ان حقا على ان أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم و بين محمد وقد أرسلوا اليه ان قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من القبيلين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم أصلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع لرسول الله صلعم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيا وقد كان أحدث بعضنا فيه حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بذلك الذى

وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم و بين هذا الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا علىّ أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم و بين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الىّ ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوّال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبوسفيان و رؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا أن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا

قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا وان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا أن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك استمروا الى بلادهم وخلوا بينكم و بين الرجل فى بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تأتونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم و بعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم

وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلعم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا فروى محمد بن اسحق عن يزيد بن أبى زياد عن محمد بن كعب القرظى وروى غيره عن ابراهيم التيمى عن أبيه قالا قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلعم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخى قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد فقال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الارض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا فقال حذيفة يا ابن أخى والله لقد رأيتنى ليلة الاحزاب مع رسول الله صلعم فقال من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلعم هوينا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على ان يكون رفيقى فى الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلعم هوينا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على ان يكون رفيقى فى الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله صلعم فقال يا حذيفة فلم يكن لى بد من القيام اليه حين دعانى فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيته وان جنبى ليضطربان فمسح رأسى ووجهى ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتينى بخبرهم ولا تحدثن شيا حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمى وشددت على سلاحى ثم انطلقت

أمشي نحوهم كانما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء وأبو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فأردت أن أرميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع الي فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أما تعرفني أنا فلان ابن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانني امشي في حمام فاتيته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته الخبر فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء فادناني النبي صلى الله عليه وسلم منه وأنامني عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألزق صدري ببطن قدمه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان قوله عز وجل (اذ جاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان السبب الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم

الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا وروى محمد بن اسحق بن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قالا قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه وفعلنا فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوينا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوينا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيته فاخذني بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن شيأ حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على اسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كانما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قال وأبو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت أن أرميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أما تعرفني أنا فلان ابن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعل قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانني أمشي في حمام فاتيته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء فادناني النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدري ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان قوله عز وجل (اذ جاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان السبب الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم

(واذ زاغت الابصار) مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شئ فلم تنظر الى عدوها (و بلغت القلوب الحناجر) فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف قال الفراء معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) أى اختلفت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهما وظن المؤمنون النصر والظفر لهم قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر الظنونا والرسولا والسبيلا باثبات الالف وصلا ووقفا لانها مثبتة فى المصاحف بالالف وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير الالف فى الحالين على الاصل وقرأ الآخرون بالالف فى الوقف دون الوصل لموافقه رؤس الآى (هنالك ابتلى) أى عند ذلك اختبر (المؤمنون) بالحصر والقتال ليتبين المخلص من المنافق (وزلزلوا زلزالا شديدا) حركوا حركة شديدة (واذ يقول المنافقون) معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبى وأصحابه (والذين فى قلوبهم مرض) شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) وهو

قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا والله الغرور (واذ قالت طائفة منهم) أى من المنافقين وهم أوس بن قيظى وأصحابه (يا أهل يثرب) يعنى المدينة قال أبو عبيدة يثرب اسم أرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها وفى بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال هى طابة كأنه كره هذا اللفظ (لا مقام لكم) قرأ العامة بفتح الميم أى لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى وحفص بضم الميم أى لا اقامة لكم (فارجعوا) الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال الى مساكنكم (و يستاذن فريق منهم النبى) وهم بنو حارثة و بنو سلمة (يقولون

وكان الذى جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير من ديارهم (واذ زاغت الابصار) أى مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شئ فلم تنظر الى عدوها (و بلغت القلوب الحناجر) أى زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته واذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة فلهذا يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) أى اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى المؤمنون) أى عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين (وزلزلوا زلزالا شديدا) أى حركوا حركة شديدة (واذ يقول المنافقون) يعنى معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبى وأصحابه (والذين فى قلوبهم مرض) أى شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) هو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا هو الغرور * قوله تعالى (واذ قالت طائفة منهم) أى من المنافقين وهم أوس بن قيظى وأصحابه (يا أهل يثرب) يعنى يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العمالقة كان قد نزلها فى قديم الزمان وفى بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال هى طيبة كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ (لا مقام لكم) أى لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أى الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (و يستاذن فريق منهم النبى) يعنى بنى حارثة و بنى سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى خالية ضائعة وهى مما يلى العدو و نخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا) أى انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعنى لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحى المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أى الشرك (لآتوها) أى لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام (وما تلبثوا بها) أى ما احتبسوا عن الفتنة (الا يسيرا) أى لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا * قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) أى لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم أحد

ان بيوتنا عورة) أى خالية ضائعة وهو مما يلى العدو و نخشى عليها السراق وقرأ أبو رجاء العطاردى عورة بكسر الواو أى قصيرة الجدران يسهل دخول السراق عليها فكذبهم الله فقال (وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا) أى ما يريدون الا الفرار (ولو دخلت عليهم) أى لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب (من أقطارها) جوانبها ونواحيها جمع قطر (ثم سئلوا الفتنة) أى الشرك (لآتوها) لاعطوها وقرأ أهل الحجاز لاتوها مقصورا أى لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام (وما تلبثوا بها) أى ما احتبسوا عن الفتنة (الا يسيرا) ولاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به أنفسهم هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن والفراء وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) من عدوهم أى لا ينهزمون قال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقال قتادة

هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة قالوا قد فعلنا ذلك فذلك عهدهم وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة كانوا سبعين نفرا لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وانما الآية في قوم عاهدوا الله ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد (وكان عهد الله مسؤلا) أي مسؤلا عنه (قل) لهم (لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) الذي كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل (واذا لا تمتعون الا قليلا) أي لا تمتعون بعد هذا الفرار الا مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي يمنعكم من عذابه (ان أراد بكم سوأ) هزيمة (أو أراد بكم رحمة) نصرة (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) أي قريبا ينفعهم (ولا نصيرا) أي ناصرا يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم

أن يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر فلما رأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أي عنده في الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) أي الذي كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك (واذا لا تمتعون) أي بعد الفرار (الا قليلا) أي مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم (من الله ان أراد بكم سوأ) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي ناصرا يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أي ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا أما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا وقوله تعالى (ولا يأتون البأس) يعني الحرب (الا قليلا) أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) أي في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الامن (بألسنة حداد) أي ذربة تفعل كفعل الحديد قال

هلم الينا) أي ارجعوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قال قتادة هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لاخوانهم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم اي ابتلعهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت الى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم أنتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبد الله بن أبي واصحابه على ابن

المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا بقوله عزوجل (ولا يأتون البأس) الحرب (الا قليلا) رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) بخلاء بالنفقة في سبيل الله وقال قتادة بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن فقال (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) في الرؤس من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) اي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت وذلك ان من قرب من الموت وغشيه اسبابه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف سلقوكم) آذوكم ورموكم في حال الامن (بألسنة حداد) ذربة جمع حديد يقال للخطيب الفصيح الذرب اللسان مسلق ومصلق وسلاق وصلاق قال ابن عباس سلقوكم اي عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقال قتادة بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا قد شهدنا معكم القتال فلستم احق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند البأس اجبن قوم

(أشحة على الخير) أى عند الغنيمة يشاحون المؤمنين (أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم) قال مقاتل أبطل الله جهادهم (وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون) يعنى هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعنى قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا (وان يأت الاحزاب) أى يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب) أى يتمنوا لو كانوا فى بادية مع الاعراب من الخوف والجبن يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية (يسئلون عن أنبائكم) أخباركم وما آل اليه أمركم وقرأ يعقوب يساءلون مشددة ممدودة أى يتساءلون (ولو كانوا) يعنى هؤلاء المنافقين (فيكم ما قاتلوا الا قليلا) تعذيرا أى يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا قال الكلبى الا قليلا أى رميا بالحجارة وقال مقاتل الا رياء وسمعة من غير احتساب قوله عز وجل (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) قرأ عاصم أسوة حيث كانت بضم الهمزة والباقون بكسرها وهما لغتان أى قدوة صالحة وهى فعلة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر أى به اقتداء حسن أن تنصروا دين الله وتوازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله (واليوم الآخر) أى يخشى يوم البعث الذى فيه جزاء الاعمال (وذكر الله كثيرا) فى جميع

ابن عباس معناه عضهكم وتنالوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشجع قوم وعند الحرب أجبن قوم (أشحة على الخير) أى يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (أولئك لم يؤمنوا) أى لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا (فاحبط الله أعمالهم) أى التى كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هى الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أى احباط أعمالهم مع ان كل شئ على الله يسير * قوله تعالى (يحسبون) يعنى هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعنى قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) أى لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم (وان يأت الاحزاب) أى يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب) أى يتمنون لو أنهم كانوا فى بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يسئلون عن أنبائكم) أى عن أخباركم وما آل اليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعنى هؤلاء المنافقين (ما قاتلوا الا قليلا) يعنى يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمى بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب * قوله عز وجل (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى قدوة صالحة أى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب الاذى فصبروا واساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو ثواب الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعنى ويخشى يوم البعث الذى فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) أى فى جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أى قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا بوعده (وصدق الله ورسوله) أى فيما وعدا وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة فى جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا أن تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم الا ايمانا) أى تصديقا لله (وتسليما) أى لامره * قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى قاموا بما جاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعنى أجله فقتل على الوفاء يعنى حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أى بذل جهده فى الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعنى من بقى بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامرين اما الشهادة

المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا) تسليما لامر الله وتصديقا لوعده (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعد الله اياهم ما ذكر فى سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله ألا ان نصر الله قريب فالآية تتضمن ان المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم الا ايمانا وتسليما) أى تصديقا لله وتسليما لامر الله قوله عز وجل (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أى فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد والنحب النذر والنحب الموت أيضا قال مقاتل قضى نحبه يعنى أجله فقتل على الوفاء يعنى حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أى بذل جهده فى الوفاء بالعهد من قول العرب نحب فلان فى سيره يومه وليله أجمع اذا مد فلم ينزل (ومنهم من ينتظر) الشهادة وقال محمد بن اسحق فمنهم من قضى

نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامرين اما الشهادة أو النصرة (وما بدلوا) عهدهم (تبديلا) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمد بن سعيد الخزاعي انا عبد الاعلى عن حميد قال سألت انسا ح وحدثني عمرو بن زرارة انا زياد حدثني حميد الطويل عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانه قال أنس كنا نظن أو نرى ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن احمد الطوسي انا محمد بن حماد انا ابو معاوية عن الاعمش عن سفيان عن شقيق عن خباب بن الارت قال

أو النصر على الاعداء (وما بدلوا) يعني عهدهم (تبديلا) (ق) عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجد ريحها من دون أحد فقال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانه قال أنس كنا نرى أو نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيأ منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة وكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت رأسه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه من الاذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كساء ملوّن من صوف وقوله ومنا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أي يجتنيها ويقطعها عن أبي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد *قوله عز وجل (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) أي فيهديهم الى الايمان ويشرح له صدورهم (ان الله كان غفورا رحيما وردّ الله الذين كفروا) يعني من قريش وغطفان (بغيظهم) أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم ينالوا خيرا) أي ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) أي بالملائكة والريح (وكان الله قويا) أي في ملكه (عزيزا) أي في انتقامه *قوله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيهم)

هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيأ منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه الا نمرة فكنا اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه شيأ من الاذخر قال ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها اخبرنا ابو المظفر محمد بن احمد التميمي انا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي نصر انا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي انا محمد بن سليمان الجوهري بانطاكية انا مسلم ابن ابراهيم انا الصلت بن دينار عن أبي نصرة عن جابر بن عبد الله قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى طلحة بن عبد الله فقال من أحب أن ينظر الى رجل يمشي على وجه الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى هذا اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد ابن اسمعيل انا عبد الله بن أبي شيبة انا وكيع بن اسمعيل عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قوله عز وجل (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) فيهديهم الى الايمان (ان الله كان غفورا رحيما وردّ الله الذين كفروا) من قريش وغطفان (بغيظهم) لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم ينالوا خيرا) ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) بالملائكة والريح (وكان الله قويا عزيزا) قويا في ملكه عزيزا في انتقامه (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيهم) حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية ومنه قيل للقرن ولشوكة الديك والحاكة صيصية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التي

انصرف الاحزاب فبهارا جعين الى بلادهم وانصرف النبي عليه السلام والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر
أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال قد وضعت السلاح يا رسول قال نعم فقال جبريل عفا الله عنك ما وضعت
الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي صلى
الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه وعن وجه فرسه فقال ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وأنا عامد الى بني قريظة فانهز اليهم فاني قد قطعت
أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم منادياً فأذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في
بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته اليهم وابتدرها الناس فسار على رضي الله عنه حتى اذا دنا من
الحصون سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك
أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لم أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلعم
على أصحابه بالصور من قبل أن يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا نعم يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها
رحالة عليها قطيفة ديباج فقال عليه السلام ذاك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله
صلعم بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول
رسول الله صلعم لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلعم قال
وحاصرهم رسول الله صلعم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة
في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا ان رسول الله صلعم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم
قال كعب بن أسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هن قال نتابع هذا الرجل
ونصدقه فوالله انه (٢٠٥) لقد تبين لكم انه مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا

أي من حصونهم ومعاقلهم

لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج
الى محمد رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك
وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء والابناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم قال فان أبيتم هذه فان الليلة
ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا علنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن
احدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما
قال ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلعم ان ابعث الينا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره في امرنا فارسله
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابا لبابة أترى لنا أن ننزل
على حكم محمد قال نعم قالوا ماذا يفعل بنا اذا نزلنا فاشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله
ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكاني
حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ أرض بني قريظة ابدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذا فعل ما فعل فما انا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان
الله أنزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلعم يضحك فقلت مم تضحك
يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة فقلت ألا أبشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك
قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس عليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو
الذي يطلقني بيده فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا الى الصبح أطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعيد واسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد
وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فربحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة
الانصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا اغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني من عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلعم شانه فقال ذاك رجل
قد نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان قد أوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلعم فاصبحت رمته ملقاة

لا يدرى أين ذهب فقال فيه رسول الله صلعم تلك المقالة والله أعلم فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلعم فتوائبت الاوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت فى موالى الخزرج بالامس ماقد علمت وقد كان رسول الله صلعم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسألهم اياه عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم اياه فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلعم ألا ترضون يامعشر الاوس ان يحكم فيكم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعل له رسول الله صلعم فى خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة فى مسجده وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلعم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلعم فى بنى قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلعم وهم يقولون يا أبا عمرو احسن فى موالىك فان رسول الله صلعم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى عبد الاشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة من قبل ان يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلعم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه ففاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلعم قد ولاك موالىك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيها ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلعم وهو معرض عن رسول الله صلعم اجلالا له فقال رسول الله صلعم نعم قال سعد فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال رسول الله صلعم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلعم فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلعم الى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم فخندق بها خندقا ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم اليه ارسالا ارسالا وفيهم عدو الله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رئيسا القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين ثمانمائة الى تسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلعم ارسالا يا كعب ماترى ما يصنع بنا فقال كعب أفى كل موطن لا تعقلون اما ترون الداعى لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبى صلعم وأتى بحيى بن أخطب عدو الله عليه حلة تفاحيه قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلعم قال أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت لم يقتل من نساء بنى قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها عندى تتحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلعم لم يزل يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا وقذف والله هى قالت قلت ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت حدثت أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تقتل قال الواقدى وكان اسم تلك المرأة بنانة امرأة الحكم القرظى وكانت قتلت خلاد بن سويد رمت عليه رحى فدعا رسول الله صلعم بها فضربت عنقها بخلاد بن سويد قال وكان على والزبير يضربان أعناق بنى قريظة ورسول الله صلعم جالس هنالك وروى محمد بن اسحق عن الزهرى ان الزبير بن باطا القرظى وكان يكنى أبا عبد الرحمن كان قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى قال وهل يجهل مثلى مثلك قال انى أردت أن أجزيك يدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم قال ثم اتى ثابت رسول الله صلعم فقال يا رسول الله قد كانت للزبير عندى يد وله على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلعم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلعم قد وهب لى دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلعم فقال يا رسول الله أهله وماله قال هم لك فأتاه فقال ان رسول الله صلعم أعطانى امرأتك وولدك فهم لك قال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلعم فقال ماله يا رسول الله قال هو لك قال فأتاه فقال ان رسول الله صلعم قد أعطانى مالك فهو لك فقال أى ثابت ما فعل الله بمن كان وجهه مرآة مضيئة تتراءى فيها عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادى حيى بن اخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا اشددنا وحامينا اذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فانى أسألك بيدى عندك يا ثابت الا ما ألحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعدهؤلاء من خير فما انابصا برحتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا قالوا وكان رسول الله صلعم قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعزل فى ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منهما الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان وللفارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان أول فىء وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلعم سعد بن زيد الانصارى اخا بنى عبد الاشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلعم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بنى عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلعم حتى توفى عنها وهى فى ملكه وقد كان رسول صلعم يحرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركنى فى ملكك فهو أخف على وعليك

واحدها صيصية

تركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلعم ووجد فى نفسه بذلك من أمرها فبينا هو مع أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنى باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فبشره بذلك فلما انقضى شان بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم فى بنى قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم أحب الى ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيأ فابقنى لها وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلعم الى خيمته التى ضربت عليه فى المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلعم وأبو بكر وعمر فوالذى نفسى بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وانى لفى حجرتى قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم وكان فتح بنى قريظة فى آخر ذى القعدة سنة خمس من الهجرة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد الله بن محمد أنا يحيى بن آدم أنا اسرائيل سمعت أبا اسحق يقول سمعت سليمان بن صرد يقول سمعت النبى صلعم يقول حين أجلى الاحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا قتيبة أنا الليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة ان رسول الله صلعم كان يقول لا اله الا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شئ بعده قال الله تعالى فى قصة بنى قريظة وأنزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم (وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون) وهم الرجال يقال كانوا ستمائة (وتاسرون فريقا) وهم النساء والذرارى يقال كانوا سبعمائة وخمسين ويقال سبعمائة (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها) بعد قال ابن زيد ومقاتل يعنى خيبر قال قتادة كنا نحدث انها مكة وقال الحسن فارس والروم وقال عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا)

(وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف (فريقا تقتلون) يعنى الرجال يقال كانوا ستمائة (وتاسرون فريقا) يعنى النساء والذرارى يقال كانوا سبعمائة وخمسين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها) يعنى بعد قيل هى خيبر ويقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هى كل أرض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا)

﴿ ذكر غزوة بنى قريظة ﴾

قيل كانت فى آخر ذى القعدة سنة خمس وعلى قول البخارى المتقدم فى غزوة الخندق عن موسى بن عقبة انها كانت فى سنة أربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التى انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالمسير الى بنى قريظة وأنا عامد الى بنى قريظة فانهز اليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال وبلبال فأمر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا فأذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب برايته اليهم وابتدرها الناس وسار على حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال أظنك سمعت لى منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة قد أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بنى قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبى صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخيرة فاعابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن أخطب دخل على بنى قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتؤمنون على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولا نترك وراءنا ثقلا

بهمنا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما فى العيش بعدهم خير قال فان أبيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا فلعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن أحدث فيه من قبلنا الا ما قد علمت فاصابهم من المسخ مالم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازما ليلة من الدهر ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو ابن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره فى أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة أترى ان نزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ربط فى المسجد الى عمود من عمده وقال والله لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله لا يطأ أرض بنى قريظة أبدا ولا يرانى الله فى بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو قد جاءنى لاستغفرت له فاما اذ فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أنزل توبة أبى لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة فقلت ألا أبشر بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح أطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بنى هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمنى من عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه و بعض الناس يزعم انه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت فى موالى الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده فى خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤا له وسادة من أدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو احسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى الاشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا

الى سيدكم فأنزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال أفى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعى لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبى صلى الله عليه وسلم وأتى بحيى بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بنى قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تتحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت ويلك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت حدثا أحدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تقتل قال الواقدى وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظى وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان على والزبير يضربان أعناق بنى قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحق عن الزهرى أن الزبير بن باطا القرظى ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى قال وهل يجهل مثلى مثلك قال انى أريد أن أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم قال ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندى يد وله على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى امرأتك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما له يا رسول الله قال هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطانى مالك فهو لك فقال أى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فانى أسالك بيدى عندك يا ثابت الا ما ألحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر حتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى يلقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا مخلدا أبدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم على المسلمين وأغنم فى ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفرس ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى

قوله عز وجل (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن) مثعة الطلاق (وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه شيا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى أصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أطلقتهن قال لا قلت يارسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت قال فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلعم نساءه فنزلت هذه الآية واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم قال فكنت أنا استنبطت ذاك الامر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضوان الله عليهن فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلعم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلعم وتابعها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال لا يحل لك النساء من بعد أخبرنا حبيبة اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا روح بن عبادة أنا زكريا بن اسحق أنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستاذن على رسول الله صلعم فوجد الناس جلوسا ببابه ولم يؤذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلعم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا فقال لاقولن شيا أضحك به النبي صلعم فقال يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله صلعم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول لا تسالي رسول الله صلعم شيا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني أريد أن

الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري أخا بني الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يارسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها فبينما هو بين أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا ثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يارسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك فلما قضى شان بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم أحب الي أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيا فابقني له وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رحماء بينهم (خ) عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده * قوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن) أي متعة الطلاق (وأسرحكن سراحا جميلا) أي من غير ضرر (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيأ وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أطلقتهن قال لا قلت يارسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الامر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمسة من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم

أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وماهو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله وأختار الدار الآخرة وأسالك ان لاتخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسالني امرأة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران (٢١١) أنا اسمعيل بن محمد الصفار أخبرنا

حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال لاقولن شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لقد رأيت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر الى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده قلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية ياأيها النبي قل لازواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال ياعائشة اني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وماهو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسالك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسالني امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا قوله واجما أي مهتما والواجم الذي أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يارسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون

﴿فصل في حكم الآية﴾ اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري أبويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا * التفريع على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي الا أن عند أصحاب الرأي يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شئ (ق) عن مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سالت عائشة رضي الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيأ * قوله تعالى

أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري ان النبي صلعم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة ابن الزبير عن عائشة انها قالت فلما مضت تسع وعشرون أعدهن دخل علي رسول الله صلعم فقلت حين بدأ بي يارسول الله انك أقسمت ألا تدخل علينا شهرا وانك دخلت في تسع وعشرين أعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون واختلف العلماء في هذا الخيار انه هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور فانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق لو اخترن أنفسهن كان طلاقا واختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي الا ان عند أصحاب الرأي تقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي أيضا انها اذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شئ اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن اسمعيل انا عمر بن

حفص انا ابى انا الاعمش انا مسلم عن مسروق عن عائشة قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك علينا شيأ قوله عز وجل (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) بمعصية ظاهرة قيل هي كقوله عز وجل لئن أشركت ليحبطن عملك لا ان منهن من أتت بفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) قرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وكسر العين وتشديدها العذاب نصب وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين العذاب رفع ويشددها أبو جعفر وأهل البصرة وشدد أبو عمرو وهذه وحدها لقوله ضعفين وقرأ الآخرون يضاعف بالالف وفتح العين العذاب رفع وهما لغتان مثل بعد وباعد قال أبو عمرو وأبو عبيدة ضعفت الشيء اذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله (وكان ذلك على الله يسيرا) قال مقاتل كان عذابها على الله هينا وتضعيف عقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن أشرف نساء العالمين (ومن يقنت) يطع (منكن لله ورسوله) قرأ يعقوب من تأت منكن وتقنت بالتاء فيهما وقرأ العامة بالياء لان من أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثل أجر غيرها قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين حسنة وقرأ حمزة والكسائي يعمل بالياء فيهما نسقا على قوله من يات ويقنت وقرأ الآخرون تعمل بالتاء (وأعتدنا لها رزقا كريما) حسنا يعني الجنة (يا نساء النبي لستن كاحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وقال فما منكم من أحد عنه حاجزين (ان اتقيتن) الله أطعتنه (فلا تخضعن بالقول) لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولا معروفا) أي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى * قوله عز وجل (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها منه وقيل كان في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فاتى أصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا

(يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا أن منهن من اتت بفاحشة فان الله تعالى صان أزواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحرة الى الامة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي تطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثلي أجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى أنهن أشرف نساء العالمين (وأعتدنا لها رزقا كريما) أي الجنة * قوله تعالى (يا نساء النبي لستن كاحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكم أعظم لدي (ان اتقيتن) أي الله فاطعتنه فان الاكرم عند الله هو الاتقى (فلا تخضعن بالقول) أي لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولا معروفا) أي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى * قوله عز وجل (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها منه وقيل كان في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فاتى أصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم

(وقلن قولا معروفا) ما يوجبه الدين والاسلام بتصريح وبيان من غير خضوع (وقرن في بيوتكن) قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف وقرأ الآخرون بكسرها فمن فتح القاف فمعناه أقررن أي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان أقر قرارا ويقال قررت أقر وقررت أقر وهما لغتان فحذفت الراء الاولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقلت حركتها الى القاف كقولهم في ظلات ظلت قال الله تعالى فظلتم تفكهون وظلت عليه عاكفا ومن كسر القاف فقد قيل هو من قررت أقر معناه أقررن بكسر الراء فحذفت الاولى ونقلت حركتها الى القاف كما ذكرنا وقيل وهو الاصح انه أمر من الوقار كقولهم من الوعد عدن ومن الوصل صلن أي كن أهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان يقر وقورا اذا سكن واطمأن (ولا تبرجن) قال مجاهد وقتادة التبرج هو التكسر والتغنج وقال ابن أبي نجيح هو التبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال (تبرج الجاهلية الاولى)

اختلفوا في الجاهلية الاولى قال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد صلعم وقال أبو العالية هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط من الجانبين فيرى حلقها فيه وقال الكلبي كان ذلك في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وروى عن عكرمة عن ابن عباس انه قال الجاهلية الاولى بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل وأجر نفسه منه فكان يخدمه واتخذ شيأ مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس بمثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون اليه فاتخذوا عيدا يجتمعون اليه فيه في السنة فتتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقال قتادة هي ما قبل الاسلام وقيل الجاهلية الاولى ما ذكرنا والجاهلية الاخرى

معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها أخرى (وأقمن الصلوة) أي الواجبة (وآتين الزكوة) أي المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أي فيما أمر وفيما نهى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أي الاثم الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء (أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرجال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألست من أهل البيت فقال انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر ببا فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن ارقم اهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس * قوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) يعني القرآن (والحكمة) قيل هي السنة وقيل هي أحكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا) يعني باوليائه وأهل طاعته (خبيرا) اي بجميع خلقه * قوله عزوجل (ان المسلمين والمسلمات) الآية وذلك ان ازواج النبي صلى

قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم يكن لها أخرى كقوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى ولم يكن لها أخرى قوله تعالى (وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) أراد بالرجس الاثم الذي نهى الله النساء عنه قاله مقاتل وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقال قتادة يعني السوء وقال مجاهد الرجس الشك وأراد بأهل البيت نساء النبي صلعم لانهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة

وغيرهما الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين ثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الانصاري أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعدي أنا أبو هما م الوليد بن شجاع أنا يحيى بن زكريا بن زائدة أنا أبي عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة الحجبية عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج رسول الله صلعم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء حسن فادخله فيه ثم جاء حسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (ويطهركم تطهيرا) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الحميدي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الحسن بن مكرم أنا عثمان بن عمر أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أم سلمة قالت في بيتي نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت فارسل رسول الله صلعم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي قالت فقلت يا رسول الله اما أنا من أهل البيت قال بلى ان شاء الله قال زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة عليه بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) أي القرآن (والحكمة) قال قتادة يعني السنة وقال مقاتل أحكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا خبيرا) أي لطيفا باوليائه خبيرا بجميع خلقه قوله عزوجل (ان المسلمين والمسلمات) الآية وذلك ان أزواج النبي

صلعم قلن يارسول الله ان الله ذكر الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا يقبل الله منا طاعة فانزل الله هذه الاية قال مقاتل قالت أم سلمة بنت أبى أمية وأنيسة بنت كعب الانصارية للنبى صلعم مابال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء فى شئ من كتابه نخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب فدخلت على نساء النبى صلعم فقالت هل نزل فينا شئ من القرآن قلن لا فأتت النبى صلعم فقالت يارسول الله ان النساء لفى خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله هذه الآية ان المسلمين والمسلمات (والمؤمنين والمؤمنات والقانتين) المطيعين (والقانتات والصادقين)

الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فأنزل الله هذه الآية عن أم عمارة الانصارية قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت مالى أرى كل شئ الى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشئ فنزلت ان المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ان أم سلمة بنت أبى أمية وأنيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبى صلى الله عليه وسلم مابال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء فى شئ من كتابه ونخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى ان أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب فدخلت على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شئ من القرآن قلن لا فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان النساء لفى خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكرهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بهامعهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يراد به أمر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقه الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله (والقانتين والقانتات) الرابعة الصدق فى الاقوال والافعال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساءوسر وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع فى الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمين والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهم) يعنى عما لا يحل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبى رباح من فوض أمره الى الله فهو داخل فى قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أقر بان الله ربه ومحمد ارسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل فى قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل فى قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل فى قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل فى قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو داخل فى قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام فى كل شهر أيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل فى قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل فى قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أى بمحو ذنوبهم (وأجرا عظيما) يعنى الجنة * قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) نزلت هذه الآية فى زينب

فى ايمانهم وفيما ساءهم وسرهم (والصادقات والصابرين) على ما أمر الله به (والصابرات والخاشعين) المتواضعين (والخاشعات) وقيل أراد به الخشوع فى الصلاة ومن الخشوع أن لا يلتفت (والمتصدقين) مما رزقهم الله (والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم) عما لا يحل (والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروينا ان النبى صلعم قال قد سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات قال عطاء بن أبى رباح من فوض أمره الى الله عز وجل فهو داخل فى قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أقر بان الله ربه ومحمد ارسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل فى قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن طاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله والقانتين والقانتات ومن صان نفسه عن الكذب فهو داخل فى قوله والصادقين بنت

والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل فى قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل فى قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو داخل فى قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام فى كل شهر أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل فى قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل فى قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الاية نزلت فى زينب بنت

بجحش الاسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمة النبي صلعم خطب رسول الله صلعم زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلعم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلعم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد أبت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فانزل الله عز وجل وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني أخته زينب اذا قضى الله ورسوله أمرا أي اذا أراد الله ورسوله أمرا وهو نكاح زينب لزيد أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قرأ أهل الكوفة أن يكون بالياء للحائل بين التانيث والفعل وقرأ الآخرون بالتاء لتانيث الخيرة من أمرهم والخيرة الاختيار والمعنى ان يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) أي أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله صلعم وكذلك (٢١٥) أخوها فانكحها رسول الله صلعم

بنت جحش الاسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني أخته زينب اذا قضى الله ورسوله أمرا يعني نكاح زيد لزينب أن تكون لهم الخيرة من أمرهم أي الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) أي أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيا وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر * قوله عز وجل (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت في زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش وقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد وألقي في نفسه كراهيتها في الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له مالك أرابك منها شئ قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي أنعم الله عليه أي بالاسلام وأنعمت عليه أي بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش (واتق الله) أي فيها ولا تفارقها (وتخفي في نفسك) أي تسر وتضمر في نفسك (ما الله مبديه) أي مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس حبها وقيل ود أنه طلقها (وتخشى الناس) قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال عمرو ابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكتم هذه الآية واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلعم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله تعالى (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت في زينب وذلك ان رسول الله صلعم لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلعم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد فالقي في نفس زيد كراهيتها في الوقت فاتى رسول الله صلعم فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي قال مالك أرابك منها شئ قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي صلعم أمسك عليك زوجك (واتق الله) في أمرها ثم طلقها زيد فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه بالتربية والاعتاق وهو زيد بن حارثة أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله فيها ولا تفارقها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي تسر في نفسك ما الله مظهره أي كان في قلبه لو فارقها تزوجها وقال ابن عباس حبها وقال قتادة ودانه طلقها (وتخشى الناس) قال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل تخشى لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال ابن عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلعم آية هي أشد عليه من هذه الآية وروى عن مسروق قال قالت عائشة لو كتم النبي صلعم شيئا مما أوحي اليه لكتم هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سالت علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد الى النبي صلعم

فقال يا نبي الله اني أريد أن أطلق زينب فاعجبه ذلك فقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك بل كان الله تعالى قد
أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله وقال لم قلت أمسك
عليك زوجك وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله علم انه

﴿فصل﴾ فان قلت ماذكروه في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم
عند ما رآها وارادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج ومالا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مدعينيه لما نهى عنه
من زهرة الحياة الدنيا * قلت هذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو
زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما
ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب ماروى عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال
سألني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس
والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أريد أن أطلق
زينب أعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فان الله عز وجل قد
أعلمه أنها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك
زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك وهذا هو
الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير
تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها
لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما أعلمه
الله انها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي
وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح
متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات
يعظم أثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني
وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أدعيائهم * فان قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها * قلت هو ان الله تعالى أعلم نبيه
أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول
الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان في أمره بامساكها قمعا للشهوة
وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو
طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال الانبياء مع ان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وانه
رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذه لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم
يقصد ما ثما لان الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف
وهو حسن لا اثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد
قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله تعالى أحق بالخشية في عموم
الاحوال وفي جميع الاشياء * قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته
عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها
(زوجناكها) قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوجني
الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث

يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجناكها فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لاظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما أعلمه الله انها ستكون زوجة له وانما أخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وان كان القول الآخر وهو انه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لا اثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه السلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله تعالى أحق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجة من نكاحها (زوجناكها) وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من

فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلي بهن جدي وجدك واحد واني
أنا كنتك الله في السماء وان السفير لجبريل عليه السلام أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن

محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن حاتم بن ميمون أنا بهز أنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان أنظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رأيتنا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فانبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا أو أخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا سليمان بن حرب أنا حماد عن ثابت عن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من

نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة

ما من امرأة من نسائك تدل بهن جدي وجدك واحد وانى أنكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيا حتى أؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا اخبرته ان القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب (ق) عن انس قال ما اولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما اولم على زينب اولم بشاة وفي رواية أكثر وأفضل ما أولم على زينب قال ثابت بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه * قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أي اثم (في أزواج أدعيائهم) جمع الدعي وهو المتبنى (اذا قضوا منهن وطرا) يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب (وكان أمر الله مفعولا) أي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي فيما أحل الله له من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن الله سنة في الانبياء وهو أن لا حرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) يعني قضاء مقضيا أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) يعني فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه الى من أرسلوا اليهم (ويخشونه) يعني يخافونه (ولا يخشون احدا الا الله) يعني لا يخافون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) أي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم * قوله عز وجل (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج

أخبرنا محمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد ابن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الاصم أنا محمد بن هشام بن ملاس النمري أنا مروان الفزاري أنا حميد عن أنس قال أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب بنت جحش فاشبع المسلمين خبزا ولحما قوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) اثم (في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) والادعياء جمع الدعي وهو المتبنى يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب (وكان أمر الله مفعولا) أي كان قضاء الله ماضيا

وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي فيما أحل الله له (سنة الله) أي كسنة الله نصب بنزع الخافض وقيل نصب على الاغراء أي الزموا سنة الله (في الذين خلوا من قبل) أي في الانبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم قال الكلبي ومقاتل أراد داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هويها فكذلك جمع بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين زينب وقيل أشار بالسنة الى النكاح فانه من سنة الانبياء عليهم السلام وقيل الى كثرة الازواج مثل داود وسليمان عليهما السلام (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا كائنا ماضيا (الذين يبلغون رسالات الله) يعني سنة الله في الانبياء الذين يبلغون رسالات الله (ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) أي لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله عز وجل (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم)

يعني زيد بن حارثة أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها فان قيل أليس انه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وكذلك الحسن والحسين فان النبي صلعم قال للحسن ان ابني هذا سيد قيل هؤلاء كانوا صغارا لم يكونوا رجالا والصحيح ماقلنا انه أراد أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة وقرأ ابن عامر وعاصم خاتم بفتح التاء على الاسم أي آخرهم وقرأ الاخرون بكسر التاء على الفاعل لانه ختم به النبيين فهو خاتمهم قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وروى عن عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولد اذكر ايصير رجلا (وكان الله بكل شئ عليما) أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد الخداشاهي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوريدي أنا يونس بن عبد الاعلى أنا ابن وهب أخبرني يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال كان أبو هريرة يقول قال رسول صلعم مثلي ومثل الانبياء كمثل

قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا عدي بن أحمد الخزاعي أنا الهيثم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى الترمذي أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا أنا سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلعم يقول ان لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده الا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها

زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فأنزل الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح * فان قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال للحسن ان ابني هذا سيد * قلت قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم يلدهم (ولكن رسول الله) أي ان كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا ويكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا (وكان الله بكل شئ عليما) أي دخل في علمه انه لا نبي بعده * فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي * قلت ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كأنه بعض أمته (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفى وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة المقفى هو المولى الذاهب يعني آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبي بعده * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا (وسبحوه) معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم أن يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء (بكرة وأصيلا) فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة

العلي

في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الاحوال فقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا (وسبحوه) أي صلوا له (بكرة) يعني صلاة الصبح (وأصيلا) يعني صلاة العصر وقال الكلبي وأصيلا صلاة الظهر والعصر والعشاء وقال مجاهد يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته وقيل المراد من قوله ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث

(هو الذي يصلي عليكم وملائكته) فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين قال السدي قالت بنو اسرائيل لموسى أيصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله اليه ان قل لهم اني أصلي وان صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فانزل الله هذه الآية قوله (ليخرجكم من الظلمات الى النور) أي من ظلمة الكفر الى نور الايمان يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر الى النور (وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم) أي تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يرون الله (سلام) أي يسلم الله عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ان ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) أي شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كذب بآياتنا بالنار (وداعيا الى الله) الى توحيده وطاعته (باذنه) بامره (وسراجا منيرا) سماه سراجا لانه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين) ذكرنا تفسيره في أول السورة (ودع أذاهم) قال ابن عباس وقتادة اصبر على أذاهم وقال الزجاج لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) حافظا قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فيه دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فانت طالق وقال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم رضي الله عنهم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة يقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا علي ابن مسعود ان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا الحسين بن محمد الدينوري أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري بمكة أنا الربيع بن سليمان أنا أيوب بن سويد أنا ابن أبي ذئب عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح قوله عز وجل (من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن

العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فانزل الله هذه الآية (ليخرجكم من الظلمات الى النور) يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين (تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يرون الله يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة * قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) أي الى توحيده وطاعته (باذنه) أي بأمره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء * فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور * قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه أنوار كثيرة (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) أي ما تفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) قال ابن عباس اصبر على أذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) أي حافظا * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن ففي الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق

(فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) تحصونها بالاقراء والاشهر (فمتعوهن) أي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة فان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وذهب بعضهم الى انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار قوله تعالى (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) رد عليك من الكفار بأن تسبي فتملك مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له (و بنات عمك و بنات عماتك) يعني نساء قريش (و بنات خالك و بنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) الى المدينة فمن لم تهاجر منهن معه لم يجز له نكاحها وروى أبو صالح عن أم هانئ أن رسول

الله صلعم لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه واختلفوا في انه هل كان يحل للنبي صلعم نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر فذهب جماعة الى انه كان لا يحل له ذلك لقوله وامرأة مؤمنة وأول بعضهم الهجرة في قوله اللاتي هاجرن معك على الاسلام أي أسلمن معك فيدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر وكان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم في النكاح لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين كالزيادة على الاربع ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه لا مشاركة لاحد

على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فأنت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد ابن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة وقع وان عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا علي ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تحصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب أحمد الى أن الخلوة توجب العدة والصداق (فمتعوهن) أي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن * قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي من السبي فتملكها مثل صفية وجويريه وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم (و بنات عمك و بنات عماتك) يعني نساء قريش (و بنات خالك و بنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله انا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لاني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فأما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل الكتابية بالمهر فذهب جماعة الى انها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على انه لا معه فيه واختلف أهل العلم في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد ابن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وذهب قوم الى انه ينعقد بلفظ الهبة والتمليك وهو قول ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ومن قال لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى أنه كان ينعقد في حقه بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج كما في حق الامة لقوله عز وجل ان أراد النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه صلى الله عليه وسلم في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه

لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح ينعقد فى حقه بمعنى الهبة من غير ولى ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعى وقال ابراهيم النخعى وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا فى نكاح النبى صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج كما فى حق سائر الامة لقوله تعالى ان أراد النبى أن يستنكحها وكان اختصاصه فى ترك المهر لا فى لفظ النكاح واختلفوا فى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح أو ملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبى هى زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحرث وقال على بن الحسين والضحاك ومقاتل هى أم شريك بنت جابر من بنى أسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم * وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) اى أوجبنا على المؤمنين (فى أزواجهم) أى من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الا بولى وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) أى ما أوجبنا من الاحكام فى ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع الى أول الاية معناه أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكى لا يكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) أى للواقع فى الحرج (رحيما) أى بالتوسعة على عباده * قوله تعالى (ترجى) يعنى تؤخر (من تشاء منهن وتؤوى اليك) أى تضم اليك (من تشاء) قيل هذا

وأن يخلى سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة على انهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبدا وعلى انه يؤوى اليه من يشاء منهن ويرجى من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن فى النفقة والقسمة فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا فى انه هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع

ما جعله الله له من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهن روى جرير عن منصور عن أبى رزين قال لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهن فقلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن وكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمسا أم حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما شاء وقال مجاهد ترجى من تشاء منهن يعنى تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد اليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمتك قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن أنفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمد بن سلام انا ابن فضيل انا هشام عن أبيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحيى المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك الا يسارع فى هواك

قوله تعالى (ومن ابتغيت ممن عزلت) أى طلبت وأردت أن تؤوى اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسم (فلا جناح عليك) لا اثم عليك فاباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن فى نوبتها ويطأ من يشاء منهن فى غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزلها تفضيلا له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أى التخيير الذى خيرتك فى صحبتهن أقرب الى رضاهن وأطيب لانفسهن وأقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله عز وجل (ويرضين بما آتيتهن) أعطيتهن (كلهن) من تقريب وارجاء وعزل وايواء (والله يعلم ما فى قلوبكم) من أمر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليما حليما) قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) قرأ أبو عمرو ويعقوب لا تحل بالتاء وقرأ الاخرون بالياء من بعد يعنى من بعد هؤلاء التسع اللاتى خيرتهن فاخترنك وذلك ان النبى صلى لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن هذا قول ابن عباس وقتادة واختلفوا فى انه هل أبيح له النساء من بعد قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء سواهن وقال أنس مات على التحريم وقال عكرمة والضحاك معنى الآية لا يحل لك النساء الا اللاتى أحللنا لك وهو قوله انا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد الاتى أحللنا لك بالصفة التى تقدم ذكرها وقيل لابى بن كعب لو مات نساء النبى صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله عز وجل لا يحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك ثم قال لا يحل لك النساء من بعد قال أبو صالح أمر ان لا يتزوج اعرابية ولا عربية ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخالة ان شاء ثلثمائة وقال مجاهد معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان

للقسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن فى القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى انه يؤوى اليه من يشاء منهن ويرجى من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن فى النفقة والكسوة فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا فى انه هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج بعضهن روى عن ابى رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان يطلقن فقلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وارجى منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وصفية فكان يقسم لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن ترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن انفسهن فتؤويها اليك وترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن انفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحيى المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع فى هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) اى طلبت ان تؤوى اليك امراة ممن عزلتهن عن القسمة (فلا جناح عليك) اى لا اثم عليك فاباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن فى نوبتها ويطأ من يشاء منهن فى غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال (ذلك ادنى ان تقر أعينهن ولا يحزن) اى ذلك التخيير الذى خيرتك فى صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتيتهن) اى اعطيتهن (كلهن) من تقريب وارجاء وعزل وايواء (والله يعلم ما فى قلوبكم) اى من امر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليما) اى بما فى ضمائركم (حليما) اى عنكم * قوله تعالى (لا تحل لك النساء من بعد) اى من بعد هؤلاء التسع اللاتى اخترنك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل ابيح له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وللنسائى عنها حتى احل له ان يتزوج من النساء ما شاء وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابى ابن كعب لو مات نساء النبى صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال انما احل له ضربا من النساء فقال تعالى يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا ان تبدل بهن من ازواج) اى بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون ام المؤمنين يهودية ولا نصرانية

تبدل بهن بقول ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات ان يتسرى بهن و روى عن الضحاك يعني ولا ان تبدل بهن ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن فتنكح غيرهن فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده اذ جعلهن أمهات المؤمنين وحرمهن على غيره حين اختارنه فاما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه وقال ابن زيد في قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فانزل الله ولا أن تبدل بهن من أزواج يعني لا تبادل بأزواجك غيرك بان تعطيه زوجك وتأخذ زوجته الا ما ملكت يمينك لا بأس ان تبدل بجاريتك ما شئت فاما الحرائر فلا و روى عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال دخل عيينة بن حصن على النبي صلعم بغير اذن وعنده عائشة فقال له النبي صلعم باعيينة فاين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين فقال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق وتنزل لي عن هذه فقال رسول الله صلعم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله فقال هذا أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه قوله تعالى (ولو أعجبك حسنهن) يعني ليس لك ان تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر ابن أبي طالب فلما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهى عن ذلك (الا ما ملكت يمينك) قال ابن عباس رضي الله عنهما ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شئ رقيبا) حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء روى عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا محمد بن محمد بن علي بن شريك الشافعي أنا عبد الله ابن محمد بن مسلم الجوروندي قال أنا أحمد بن حرب أنا أبو معاوية عن عاصم هو ابن سليمان عن بكر بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا حامد بن محمد أنا بشر بن موسى أنا الحميدي أنا سعيد أنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة ان رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في أعين نساء الانصار شيا قال الحميدي يعني الصغر قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شان وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله بن محمد بن عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب اخبرني انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال وكانت أم هانئ تواظبني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة فكنت أعلم الناس بشان

الا ما ملكت يمينك اي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج اي تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته فحرم ذلك الا ما ملكت يمينك اي لا باس ان تبادل بجاريتك ما شئت فاما الحرائر فلا (ولو أعجبك حسنهن) يعني ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح بدلها اخرى ولو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعني اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهى عن ذلك (الا ما ملكت يمينك) قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شئ رقيبا) أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء و يدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود (م) عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في أعين الانصار شيا قال الحميدي يعني هو الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم) الآية قال اكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شان وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت ام هانئ تواظبني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه

الحجاب حين أنزل فكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر وأنزل الحجاب وقال أبو عثمان واسمه الجعد عن أنس قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق وروى عن ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون

حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وأنزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق (ق) عن عائشة ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول أو الغائط والصعيد وجه الارض والافيح الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم يعني الا أن تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلون (غير ناظرين اناه) يعني منتظرين نضجه ووقت ادراكه (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أي أكلتم الطعام (فانتشروا) أي فاخرجوا من منزله وتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) أي لا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) أي فيستحيي من اخراجكم (والله لا يستحيي من الحق) أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الافعال قال لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وقيل بحسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم (واذا سألتموهن متاعا) أي واذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد أن ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي

ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم يقول الا أن تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلونه (غير ناظرين اناه) غير منتظرين ادراكه ووقت نضجه يقال أنى الحميم اذا انتهى حره وأنى أن يفعل ذلك اذا حان إني بكسر الهمزة مقصورة فاذا فتحتها مددت فقلت الاناء وفيه لغتان أنى يأني وآن يئين مثل حان يحين (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أكلتم الطعام (فانتشروا) تفرقوا واخرجوا من منزله (ولا مستأنسين لحديث) ولا طالبين الانس للحديث وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا فنهوا عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء (واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد أن ينظر الى امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريب وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا يحيى بن بكير انا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فانزل الحجاب أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي انا ابو بكر محمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن احمد الطوسي انا عبد الرحيم بن منيب انا يزيد بن هرون انا حميد عن أنس قال قال عمر وافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب

فانزل الله آية الحجاب قال ويبلغني بعض ما آذى به رسول الله صلعم نساؤه قال فدخلت عليهن فجعلت أستقريهن واحدة واحدة قلت والله لتنتهن أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على زينب فقالت يا عمر ما كان في رسول الله صلعم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت قال فخرجت فانزل الله عزوجل عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن الى آخر الآية قوله عزوجل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) ليس لكم أذاه في شئ من الاشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب النبي صلعم قال لئن قبض رسول الله صلعم لانكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبره الله عزوجل ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وروى معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي صلعم تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل تحريم أزواج النبي صلعم على الناس (ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما) نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلعم وقيل قال رجل من الصحابة

من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي ليس لكم أذاه في شئ من الاشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فأخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده (ان تبدوا شيأ) أي من أمر نكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) أي في صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) أي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة مالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله عزوجل (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أي لا اثم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولا نسائهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من أجناسهن (ولا ما ملكت أيمانهن) اختلفوا في ان عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد (واتقين الله) أي أن يراكن أحد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شئ) أي من أعمال العباد (شهيدا) * قوله عزوجل (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الاسلام

﴿ فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها ﴾ اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا

مالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب ونحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فانزل الله عزوجل (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أي لا اثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء (ولا نسائهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول عليهن وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من أجناسهن (ولا ما ملكت أيمانهن) واختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم يكون محرما لها لقوله عز وجل ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم هو كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد (واتقين الله) أن يراكن

غير هؤلاء (ان الله كان على كل شئ) من أعمال العباد (شهيدا) قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعن ابن عباس أيضا يصلون يبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الاسلام وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي انا عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ انا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ببغداد انا أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب انا موسى بن اسمعيل انا أبو سلمة انا عبد الواحد بن زياد انا أبو فروة حدثني عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها لي فقال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم عليك قال قولوا اللهم صل على محمد

وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال أخبرني أبو حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا محمد بن يعقوب أنا العباس بن محمد الدوري أنا خالد بن مخلد القطواني أنا موسى بن يعقوب الزمعي عن عبد الله بن كيسان أخبرني عبد الله بن شداد عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحرث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال انه جاءني جبريل فقال ان ربك يقول اما يرضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح القاضي أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن عاصم هو ابن عبيد قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل العبد من ذلك أو ليكثر حدثنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني أنا جناح بن يزيد المحاربي بالكوفة أنا ابو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أنا أحمد بن حازم أنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من أمتي السلام قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله سبحانه وتعالى شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار وقيل معنى يؤذون الله أي يلحدون في أسمائه وصفاته وقال عكرمة هم أصحاب الصور أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أحمد بن يوسف أنا محمد بن

كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (ق) عن ابي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد (م) عن ابي مسعود البدري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيآت ورفعت له عشر درجات أخرجه النسائي وله عن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت انا لنرى البشر في وجهك قال اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اخرجه ابو داود * قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون

اسمعيل أنا محمد بن العلاء أنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة وقال بعضهم يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله كقوله تعالى واسئل القرية أي أهل القرية وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه عن أن يلحقه أذى من أحد وايذاء الرسول قال ابن عباس هو انه شج في وجهه وكسرت رباعيته وقيل شاعر ساحر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم وقال مجاهد يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) وقال مقاتل نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه وقيل نزلت في شان عائشة وقال الضحاك والكلبي نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا يخرجن في درع وخمار الحرة والامة كذلك فشكون ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالاماء فقال جل ذكره (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) أي لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك ياخسيس * قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أي عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أي فجور وهم الزناة (والمرجفون في المدينة) أي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا

والمشركون فأما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى ففالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه كان من عادة العرب في الجاهلية ان يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من افعال الدهر فقال الله تعالى انا الدهر أي انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل لذلك الذي تنسبونه الى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير (ق) عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة اوليخلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله اي يؤذون اولياء الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى من احد واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) اي من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) قيل انها نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شان عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكتت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالاماء فقال تعالى (يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين) أي يرخين ويغطين (عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) أي لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك ياخسيس * قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أي عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أي فجور وهم الزناة (والمرجفون في المدينة) أي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا

فوق الدرع والخمار قال ابن عباس وأبو عبيدة أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر (ذلك ادنى ان يعرفن) انهن حرائر (فلا يؤذين) فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر ألقي القناع قوله عز وجل (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) فجور يعني الزنا (والمرجفون في المدينة) بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلعم يوقعون في الناس الرعب واذا التحم القتال ولوا وانهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحوها وقال الكلبي كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الاخبار

(لنغرينك بهم) لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) لا يساكنونك في المدينة (الا قليلا) حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة (ملعونين) مطرودين نصب على الحال (أينما ثقفوا) وجدوا وأدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) أي الحكم فيهم هذا على جهة الامر به (سنة الله) أي كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) من المنافقين والذين فعلوا مثل هؤلاء (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله تعالى (يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك) أي أي شئ يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه (لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار) ظهرا لبطن حين يسحبون عليها (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) في الدنيا (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا) قرأ ابن عامر ويعقوب سادتنا بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف قبلها (وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أي ضعفي عذاب غيرهم قوله تعالى (والعنهم لعنا كبيرا) قرأ عاصم كبيرا بالباء قال الكلبي أي عذابا كثيرا وقرأ الآخرون بالثاء كقوله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وهذا يشهد للكثرة أي مرة بعد مرة قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فطهره الله مما قالوا (وكان عند الله وجيها) أي كريما ذا جاه يقال وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقال الحسن كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أوذي به موسى فأخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا اسحق ابن ابراهيم انا روح بن عبادة أنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شئ استحياء فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما تستر موسى هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص أو أدرة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا فخلا يوما وحده فذهب ليغتسل فوضع ثوبه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقال قوم أذاهم اياه انه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقال أبو العالية هو ان قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا ابو الوليد انا شعبة عن الاعمش قال سمعت أبا وائل قال سمعت عبد الله قال قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال رحم الله موسى لقد أوذي أكثر من هذا فصبر

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وتفشو الاخبار (لنغرينك بهم) يعني لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) أي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا أي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة (ملعونين) أي مطرودين (أينما ثقفوا) أي وجدوا وأدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) أي الحكم فيهم هذا على الامر به (سنة الله) أي كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) أي في المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) * قوله عز وجل (يسئلك الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها في التوراة فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله (قل انما علمها عند الله) يعني ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك) أي أي شئ يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) أي انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار) أي تتقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أي في الدنيا (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعني رؤس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا السبيلا) يعني عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعني ضعفي عذاب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) يعني لعنا متتابعا * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) يعني فطهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) يعني كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا وقال الحسن صدقا وقيل مستقيما وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزك أعمالكم (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أي ظفر بالخير كله قوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) الآية أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم وهذا قول ابن عباس وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقال مجاهد الامانة الفرائض وحدود الدين وقال أبو العالية ما أمر وابه ونهوا عنه وقال زيد بن أسلم هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه أمانة استودعكها فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له وقال بعضهم هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس فعرض الله هذه الامانة على أعيان السموات والارض والجبال هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن أتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فقلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله أن لا يقمن بها لا معصية ولا مخالفة وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال جل ذكره للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال للحجارة وان منها لما يهبط من خشية الله وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب الآية وقال بعض أهل العلم ركب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض الامانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن وقال بعضهم المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهل السموات والارض عرضها على من فيها من الملائكة وقيل على أهلها كلها دون أعيانها كقوله تعالى واسئل القرية أي أهل القرية والاول أصح وهو قول العلماء

فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمع موسى بأثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخاري ومسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شيء من جسده استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل ورأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر الضرب ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح أي أسرع وقوله ثوبي حجر أي دع ثوبي يا حجر قوله وطفق أي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح وأصله أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الآية ان أذاهم اياه انه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملا فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك واهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع ابن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد أوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ أحمر يصبغ به الاديم * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أي ظفر بالخير العظيم * قوله عز وجل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمر وابه ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرائع

(فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى خفن من الامانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب (وحملها الانسان) يعنى آدم عليه السلام فقال الله لآدم انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فتحملها آدم وقال بين اذنى وعاتقى قال الله تعالى اما اذا تحملت فساعينك أجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى مالا يحل لك فارخ عليه حجابه وأجعل للسانك لجيين وغلاقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها و بين ان خرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وحكى النقاش باسناده عن ابن مسعود انه قال مثلت الامانة كصخرة ملقاة ودعيت السموات والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطيق حملها وجاء آدم من غير أن دعى وحرك الصخرة وقال لو أمرت بحملها لحملتها فقيل له احملها فحملها الى ركبتيه ثم وضعها وقال والله لو أردت ان ازداد لزدت فقيل له احمل فحملها الى حقوه ثم وضعها وقال والله لو أردت ان أزداد لزدت قيل له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فاراد ان يضعها فقال الله مكانك فانها فى عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيامة (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا لامر الله وما احتمل من الامانة وقال الكلبى ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدرى ما العقاب فى ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من اهل المعانى

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة أستودعكها فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له وفى رواية عن ابن عباس هى أمانات الناس والوفاء بالعهود حق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا فى شئ لا فى قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على أعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن أتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها والقول الاول أصح وهو قول العلماء (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى خفن من الامانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب (وحملها الانسان) يعنى آدم قال الله عز وجل لآدم انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فتحملها آدم فقال الله أما اذا تحملت فساعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الى مالا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لجيين وغلاقا فاذا خشيت فأغلقه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها و بين أن أخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام وأقواه وأشده أن يحتمله و يستقل به فأبى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وضعف قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا أى لا يدرى ما العقاب فى ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل فى تفسير الآية أقوال أخر وهو أن الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال على كل شئ وائتمن آدم وأولاده على شئ فالامانة فى حق الاجرام العظام هى الخضوع والطاعة لما خلقهن له وقوله فأبين أن يحملنها أى أدين الامانة ولم يخن فيها وأما الامانة فى حق بنى آدم فهى ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الانسان أى خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن أنه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

﴿فصل﴾ فى الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الامانة حتى يقال ان فى بنى فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه مثقال

صحة

فى قوله وحملها الانسان قولا فقالوا ان الله ائتمن آدم واولاده على شئ وائتمن السموات والارض والجبال على شئ فالامانة فى حق بنى آدم ما ذكرنا فى الطاعة والقيام بالفرائض والامانة فى حق السموات والارض والجبال هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقيل قوله فأبين أن يحملنها أى أدين الامانة يقال فلان لم يحتمل الامانة أى لم يخن فيها وحملها الانسان أى خان فيها يقال فلان حمل الامانة أى أتم فيها بالطاعة قال الله تعالى

وليحملن أثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكى عن الحسن على هذا التأويل انه قال وحملها الانسان يعنى الكافر والمنافق حملا الامانة أى خانا وقول السلف ما ذكرنا قوله عز وجل (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) قال مقاتل ليعذبهم بما خانوا الامانة ونقضوا الميثاق (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة وقال ابن قتيبة أى عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب الله عليه أى يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير فى بعض الطاعات

﴿ سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا (وله الحمد فى الآخرة) كما هو له فى الدنيا لان النعم فى الدارين كلها منه وقيل الحمد لله فى الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والحمد لله الذى صدقنا وعده (وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الارض) أى يدخل فيها من الماء والاموات (وما يخرج منها) من النبات والاموات اذا حشروا (وما ينزل من السماء) من الامطار (وما يعرج) يصعد (فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) الساعة (عالم الغيب) قرأ أهل المدينة والشام عالم بالرفع على الاستئناف وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب أى وربى عالم الغيب وقرأ حمزة والكسائى علام على وزن فعال وجر الميم (لا يعزب) لا يغيب (عنه مثقال ذرة) وزن ذرة (فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك) أى من الذرة (ولا أكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك) يعنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات (لهم مغفرة ورزق كريم) حسن يعنى فى الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) فى ابطال أدلتنا (معاجزين) يحسبون انهم يفوتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قرأ ابن كثير وحفص ورويس أليم بالرفع ههنا وفى الجاثية على نعت العذاب وقرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز وقال قتادة الرجز سوء العذاب

حبة من خردل من ايمان ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه وأما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة فى جذر قلوب الرجال جذر الشئ أصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أثر العمل وقيل انما هو النفطات فى الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شئ (خ) عن أبى هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم فجاء أعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى بما خانوا الامانة ونقضوا العهد (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه أى يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير فى بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيما) والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة سبا مكية ﴾

وهى أربع وخمسون آية ومائتان وثلاثة وثلاثون كلمة وألف وخمسمائة واثنا عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذى له ما فى السموات وما فى الارض اى ملكا وخلقا (وله الحمد فى الآخرة) اى كما هو له فى الدنيا لان النعم فى الدارين كلها منه فكما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد فى الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) أى الذى أحكم أمور الدارين (الخبير) أى بكل ما كان وما يكون (يعلم ما يلج فى الارض) أى من المطر والكنوز والاموات (وما يخرج منها) أى من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء) أى من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة (وما يعرج فيها) أى فى السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أى للمفرطين فى أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) معناه انهم أنكروا البعث وقيل استبطؤا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية (قل بلى وربى لتأتينكم) يعنى الساعة (عالم الغيب) أى لا يفوت علمه شئ من الخفيات واذا كان كذلك اندرج فى علمه وقت قيام الساعة وانها آتية (لا يعزب عنه) اى لا يغيب عنه (مثقال ذرة) يعنى وزن ذرة (فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك) اى من الذرة (ولا اكبر الا فى كتاب مبين) يعنى فى اللوح المحفوظ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) اى لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) يعنى فى ابطال ادلتنا (معجزين) يعنى يحسبون انهم يفوتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب

(ويرى الذين) أي ويرى الذين (أوتوا العلم) يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقال قتادة هم أصحاب محمد صلعم (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني أنه من عند الله (ويهدي) يعني القرآن (الى صراط العزيز الحميد) وهو الاسلام (وقال الذين كفروا) منكرين للبعث متعجبين منه (هل ندلكم على رجل ينبئكم) أي يخبركم يعنون محمدا صلعم (اذا مزقتم كل ممزق) قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا (انكم لفي خلق جديد) أي يقول لكم انكم لفي خلق جديد (أفترى) ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ولذلك نصبت (على الله كذبا أم به جنة) يقولون أزعم كذبا أم به جنون قال الله تعالى ردا عليهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) من الحق في الدنيا قوله تعالى (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) فيعلموا انهم حيث كانوا فان أرضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا القادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) قرأ الكسائي نخسف بهم بادغام الفاء في الباء (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) قرأ حمزة والكسائي ان يشأ يخسف أو يسقط بالياء فيهن لذكر الله من قبل وقرأ الآخرون بالنون فيهن (ان في ذلك) أي فيما نرون من السماء والارض (لآية) تدل على قدرتنا على البعث (لكل عبد منيب) تائب راجع الى الله بقلبه قوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل جميع ما أوتي من حسن

الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما خص به (يا جبال) أي وقلنا يا جبال (أوبي) أي سبحي (معه) اذا سبح وقال القتيبي أصله من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله فينزل ليلا كانه قال أوبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحي معه (والطير) عطف على موضع الجبال لان كل منادى في موضع النصب وقيل معناه وسخرنا وأمرنا الطير ان تسبح معه وقرأ يعقوب والطير بالرفع ردا على الجبال أي أوبي أنت والطير وكان داود اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك وقيل كان داود اذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحوما يسبح وقيل كان داود عليه السلام اذا لحقه فتور أسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطا له (وألنا له الحديد) حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وكان سبب ذلك على ما روي في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه يقدم اليه ويسأله عن داود ويقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله تعالى له الحديد وعلمه صنعة الدرع وانه أول من اتخذها ويقال انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال انه كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف درهم فينفق ألفين منها على نفسه وعياله ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بني اسرائيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده

(ويرى الذين أوتوا العلم) يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني انه من عند الله (ويهدي) أي القرآن (الى صراط العزيز الحميد) أي الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) أي المنكرين للبعث المتعجبين منه (هل ندلكم) أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينبئكم) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم بالعجوبة من الاعاجيب وهي انكم (اذا مزقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا (انكم لفي خلق جديد) أي يقول انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا (أفترى على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (أم به جنة) أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون شيء وهو مبرأ منهما (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني منكري البعث (في العذاب والضلال البعيد) أي عن الحق في الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي فيعلموا انهم حيث كانوا في أرضي وتحت سمائي فان أرضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا قادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) أي كما خسفنا بقارون (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي كما فعلنا باصحاب الايكة (ان في ذلك) أي فيما ترون من السماء والارض (لآية) أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) أي تائب راجع الى الله تعالى بقلبه * قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (يا جبال أوبي معه) أي وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح (والطير) أي وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل أو فتور أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (وألنا له الحديد) يعني كان الحديد في يده كالشمع أو كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان

(أن اعمل سابغات) دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب فى الارض (وقدر فى السرد) والسرد نسج الدروع يقال لصانعه السراد والزراد يقول قدر المسامير فى حلق الدرع أى لا تجعل المسامير دقاقا فتفلت ولا غلاظا فتكسر الحلق و يقال السرد المسمار فى الحلقة يقال درع مسرودة أى مسمورة الحلق وقدر فى السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (انى بما تعملون بصير ولسليمان الريح) أى وسخرنا لسليمان الريح وقرأ أبو بكر عن عاصم الريح بالرفع أى له سخر الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) أى سير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر وكانت تسير به فى يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر و بينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل و بينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى بالرى و يتعشى بسمرقند (وأسلنا له عين القطر) أى أذبنا له عين النحاس والقطر النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء وكان بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يامرهم به (ومن يزغ) أى يعدل (منهم) من الجن (عن أمرنا) أى الذى أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) فى الآخرة وقال بعضهم فى الدنيا وذلك ان الله عز وجل وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) أى مساجد والابنية المرتفعة وكان مما عملوا فى بيت المقدس ابتدأه داود ورفعه قدر قامة رجل فاوحى الله اليه انى لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضى تمامه على يده فلما توفاه الله استخلف سليمان فاحب اتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة منهم بعمل فارسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والميها الابيض من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر رربضا وأنزل كل ربض منها سبطا من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافى من البحر وفرقا يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها وفرقا يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنها فاتى من ذلك بشئ لا يحصيه الا الله عز وجل ثم أحضر الصناعين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلئ فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين المها الصافى وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقوفه

من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وساله عن داود فيقول له ما تقول فى داود واليكم هذا أى رجل هو فيثنون عليه و يقولون خيرا فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فساله فقال الملك نعم الرجل هو لو لا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ما هى يا عبد الله قال انه يا كل و يطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه و يطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع بار بعة آلاف فيا كل منها و يطعم عياله و يتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يا كل الا من عمل يده (أن اعمل سابغات) أى دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب فى الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر فى السرد) أى ضيق فى نسج الدرع وقيل قدر المسامير فى حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتفلت ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر فى السرد أى اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (انى بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أى وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه ان مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به فى كل يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر و بينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل و بينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى بالرى و يتعشى بسمرقند (وأسلنا له عين القطر) أى أذبنا له عين النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء وكان بارض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) أى بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وامرهم بطاعته فيما يامرهم به (ومن يزغ) أى يعدل (منهم) من الجن (عن أمرنا) أى الذى أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا فى الآخرة وقيل فى الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) أى مساجد وقيل هى الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك ان داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضى اتمامه على يديه فلما توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل على

وحيطانه باللآلئ والياقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بني اسرائيل فاعلمهم انه بناه لله عز وجل وان كل شيء فيه خالص لله واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلعم قال لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة سال حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله أن لا يأتي هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر فحمله الى دار مملكته من أرض العراق و بنى الشياطين لسليمان باليمن حصونا كثيرة عجيبة من الصخر قوله (وتماثيل) أي كانوا يعملون له تماثيل أي صورا من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام وقيل كانوا يصورون السباع والطيور وقيل كانوا يتخذون صور الملائكة والانبياء والصالحين في المسجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ولعلها كانت مباحة في شريعتهم كما ان عيسى كان يتخذ صورا من الطين فينفخ فيها فتكون طيرا باذن الله (وجفان) أي قصاع واحدتها جفنة (كالجواب) كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع واحدتها جابية يقال كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها يتجرد (وقدور راسيات) ثابتات لها قوائم لا تحركن عن أماكنها لعظمهن ولا ينزلن ولا يقلعن وكان يصعد عليها بالسلالم جمع السلم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا اعملوا آل داود شكرا لجازاه اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكرا له على نعمه (وقليل من عبادي الشكور) أي العامل بطاعتي شكرا لنعمتي قيل المراد من آل داود هو داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته وقال جعفر بن سليمان سمعت ثابتا يقول كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن تاتي ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان قال اهل العلم كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من

كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أماكنها فأتى من ذلك بشيء كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر ونقب اليواقيت واللآلئ فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر و بسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بني اسرائيل وأعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شيء فيه خالص لله واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل حكما يوافق حكمه فاوتيه وسال الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النسائي ولغير النسائي سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه أي لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق و بنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر * وقوله عز وجل (وتماثيل) أي و يعملون له تماثيل أي صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز أن يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما يقبح في كل الشرائع قيل عملوا له أسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس أظلته النسران باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من أراد الدنو منه (وجفان) أي قصاع (كالجواب) أي كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) أي ثابتات على أثافيها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمهن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تاتي ساعة من ليل أو نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي * قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان قال العلماء كان سليمان

يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التى مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت فى محرابه بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما أنت قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التى كانوا يعملون فى حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين فى جوف الخشب فذلك قوله تعالى (ما دلهم على موته الا دابة الارض) وهى الارضة التى (تأكل منسأته) يعنى عصاه قرأ أهل المدينة وأبو عمرو منسأته بغير همز وقرأ الباقون بالهمز وهما لغتان ويسكن ابن عامر الهمز وأصلها من نسأت الغنم أى زجرتها وسقتها ومنه نسأ الله فى أجله أى أخره (فلما خر) أى سقط على الارض (تبينت الجن) اى علمت الجن وأيقنت (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) أى فى التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيا أراد الله بذلك أن يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون انهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل عليهم وذكر الازهرى ان معناه تبينت الجن أى ظهرت وانكشفت الجن للانس أى ظهر أمرهم انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين أى علمت الانس وأيقنت ذلك وقرأ يعقوب تبينت بضم التاء وكسر الياء أى أعلمت الانس الجن ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله وتبين لازم ومتعد وذكر اهل التاريخ ان سليمان كان عمره ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه أربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه قوله عز وجل (لقد كان لسبأ) روى أبو سبرة النخعى عن فروة بن مسيك القطيعى قال قال رجل يا رسول الله أخبرنى عن سبأ كان رجلا أو امرأة أو أرضا قال كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وانمار وحمير فقال رجل وما انمار فقال الذين منهم خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان (فى مسكنهم) قرأ حمزة وحفص مسكنهم بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائى بكسر الكاف وقرأ الآخرون مساكنهم على الجمع وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن (آية) دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الاية فقال

(جنتان) أى هى جنتان بستانان (عن يمين وشمال) أى عن يمين الوادى وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وكان لهما واد قد أحاطت الجنتان بذلك الوادى (كلوا) أى وقيل لهم كلوا (من رزق ربكم) يعنى من ثمار الجنتين قال السدى ومقاتل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ مكتلها من أنواع الفواكه من غير أن تمس شيأ بيدها (واشكروا له) أى على ما رزقكم من النعمة والمعنى اعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أى أرض سبا بلدة طيبة ليست بسبخة قال ابن زيد لم يكن يرى فى بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الرجل يمر ببلدهم وفى ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء فذلك قوله تعالى بلدة طيبة أى طيبة الهواء (ورب غفور) قال مقاتل ورب بكم ان شكرتموه فيما رزقكم رب غفور للذنوب (فاعرضوا) قال وهب أرسل الله الى سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فذلك قوله تعالى فاعرضوا

(فارسلنا عليهم سيل العرم) والعرم جمع عرمة وهى السكر الذى يحبس به الماء وقال ابن الاعرابى العرم السيل الذى لا يطاق وقيل كان ماء أحمر أرسله الله عليهم من حيث شاء وقيل العرم الوادى وأصله من العرامة وهى الشدة والقوة وقال ابن عباس ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة أنهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جناتهم وخرب أرضهم قال وهب وكان مما يزعمون ويجدون فى علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما أراد الله عز وجل بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت منها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد فنقبت وحفرت حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قطع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فتفرقوا وتمزقوا حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون صار بنو فلان أيدى سبا وايادى سبا أى تفرقوا وتبددوا فذلك قوله تعالى فارسلنا

وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة أخرجه الترمذى مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان فى مسكنهم أى بمأرب من أرض اليمن آية أى دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أى بستانان (عن يمين وشمال) يعنى عن يمين الوادى وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا) أى قيل لهم كلوا (من رزق ربكم) أى من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ المكتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيأ (واشكروا له) أى على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أى أرض مارب وهى سبا بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى فى بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفى ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب أى ورب بكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره * قوله عز وجل (فاعرضوا) قال وهب أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم (فارسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذى لا يطاق قيل كان ماء أحمر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذى يحبس الماء وقيل العرم الوادى قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة أنهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع اليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جناتهم وأخرب أرضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون فى علمهم ان الذى يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد وحفرت حتى أوهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا أيدى

سبا وايادى سبا أى تفرقوا وتبددوا فذلك قوله تعالى فارسلنا

عليهم سيل العرم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط) قرأ العامة بالتنوين وقرأ أهل البصرة أكل خمط بالاضافة والاكل الثمر والخمط الاراك وثمره يقال له البرير هذا قول أكثر المفسرين وقال المبرد والزجاج كل نبت قد أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله هو خمط وقال ابن الاعرابى الخمط ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به فمن جعل الخمط اسما للماكول فالتنوين فى أكل حسن ومن جعله أصلا وجعل الاكل ثمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول العرب فى بستان فلان اعناب كرم يترجم عن الاعناب بالكرم لانها منه (وأثل وشئ من سدر قليل) فالاثل هو الطرفاء وقيل هو شجر يشبه الطرفاء الا انه أعظم منه والسدر شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس فى البساتين ولم يكن هذا من ذلك بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشئ قال قتادة كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم (ذلك جزيناهم بما كفروا) أى ذلك الذى فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم (وهل نجازى الا الكفور) قرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب وهل نجازى بالنون وكسر الزاى الكفور نصب لقوله ذلك جزيناهم وقرأ الآخرون بالياء وفتح الزاى الكفور رفع أى وهل يجازى مثل هذا الجزاء الا الكفور وقال مجاهد يجازى أى يعاقب ويقال فى العقوبة يجازى وفى المثوبة يجزى قال مقاتل هل يكافأ بعمله السئ الا الكفور لله فى نعمه قال الفراء المؤمن يجزى ولا يجازى أى يجزى الثواب بعمله ولا يكافأ بسيآته (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) بالماء والشجر وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها وكان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام (وقدرنا فيها السير) أى قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان مسيرهم فى الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار وقال قتادة كانت المرأة تخرج ومعها مغزلها وعلى رأسها مكتلها فتمتهن بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار وكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا فيها) أى وقلنا لهم سيروا فيها وقيل هو أمر بمعنى الخبر أى مكناهم من السير فكانوا يسيرون فيها (ليالى وأياما) أى بالليالى والايام أى وقت شئتم (آمنين) لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية وقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هى كان اجدر أن نشتهيه (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود للازواد فعجل الله لهم الاجابة وقال مجاهد بطروا النعمة وسئموا الراحة قرأ ابن كثير وأبو عمرو بعد بالتشديد من التبعيد وقرأ الآخرون باعد بالالف وكل على وجه الدعاء والسؤال وقرأ يعقوب ربنا برفع الباء باعد بفتح العين والدال على الخبر كانهم استبعدوا أسفارهم القريبة بطروا وأشروا (وظلموا أنفسهم) بالبطر والطغيان قوله تعالى (فجعلناهم أحاديث) عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل التفريق حتى قال الشعبى لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد اما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق (ان فى ذلك لآيات) لعبرا

أيدى سبا وتفرقوا أيادى سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط) قيل هو شجر الاراك وثمره البرير وقيل كل نبت أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صور الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به (وأثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا أنه أعظم منه (وشئ من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه فى الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذى بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشئ قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) أى ذلك الذى فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل يجازى الا الكفور) أى هل يكافأ بعمله الا الكفور لله فى نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يكافأ بسيآته (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) أى بالماء والشجر وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) أى متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام (وقدرنا فيها السير) أى قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم فى الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أى وقلنا لهم سيروا (فيها ليالى وأياما) أى فى أى وقت شئتم (آمنين) أى لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا وطلبوا الكد والتعب فى الاسفار (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) وقرئ باعد بين أسفارنا أى اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الاجابة (وظلموا أنفسهم) أى بالبطر والطغيان (فجعلناهم أحاديث) أى عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق (ان فى ذلك لآيات)

وذلالات (لكل صبار) عن معاصي الله (شكور) لانعمه قال مقاتل يعني المؤمن من هذه الامة صبور على البلاء شاكر للنعماء قال مطرف هو المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر قوله تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قرأ أهل الكوفة صدق بالتشديد أي ظن فيهم ظنا حيث قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين ولاتجد أكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ وقال مجاهد على الناس كلهم الا من أطاع الله (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) قال السدي عن ابن عباس يعني المؤمنين كلهم لان المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين وقد قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يعني المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظرة فانظره الله قال لاغوينهم أجمعين ولاضلنهم لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فيهم فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم قال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط وانما وعدهم ومناهم فاغتروا قال الله تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) أي ما كان تسليطنا اياه عليهم (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي الا لنعلم أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب (وربك على كل شئ حفيظ) رقيب (قل)

أي لعبر اودلالات (لكل صبار) أي عن المعاصي (شكور) أي لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر * قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على أهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سال النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ماقاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا (وما كان له عليهم من سلطان) يعني ما كان تسليطنا اياه عليهم (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) يعني لنرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب (وربك على كل شئ حفيظ) يعني رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ * قوله تعالى (قل) يعني قل يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) يعني انهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) يعني من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) يعني للآلهة (فيهما) يعني في السموات والارض (من شرك) يعني من شركة (وماله) يعني لله (منهم) يعني من الآلهة (من ظهير) عون (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) يعني أذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز أن يكون المعنى الا لمن أذن الله في أن يشفع له (حتى اذا فزع عن قلوبهم) معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذي قال (الحق وهو العلي الكبير) وللترمذي اذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا

يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) انهم آلهة (من دون الله) وفي الآية حذف أي ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصفها فقال (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) أي للآلهة (فيهما) في السموات والارض (من شرك) من شركة (وماله) أي ولله (منهم من ظهير) عون (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) الله في الشفاعة قاله تكذيبا لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويجوز ان يكون المعنى الا لمن أذن الله له أن يشفع له وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أذن بضم الهمزة (حتى اذا فزع عن قلوبهم) قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي وقرأ الآخرون بضم الفاء وكسر الزاي أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم جمع فالتفزيع ازالة الفزع كالتمريض والتفريد واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة فقال قوم هم الملائكة ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل وروينا عن أبي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي قال أنبأني محمد بن الفضل بن محمد أنا أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة أنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري أنا نعيم بن حماد أنا أبو الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يوحي بالامر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر على سماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل

بالوحى حيث أمره الله وقال بعضهم انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قال مقاتل والكلبى والسدى كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلعم كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد صلعم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلعم عند أهل السموات بعثته من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقال جماعة الموصوفون بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم فى الدنيا قالوا الحق فاقروا به حين لا ينفعهم الاقرار قوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات والارض) فالرزق من السموات المطر ومن الارض النبات (قل الله) أى ان لم يقولوا رازقنا الله فقل أنت ان رازقكم هو الله (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الانصاف فى الحجاج كما يقول القائل للآخر أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال فالنبى صلعم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه فى ضلال فكذبهم من غير ان صرح بالتكذيب وقال بعضهم أو بمعنى الواو والالف فيه صلة كانه قال وانا أواياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين يعنى نحن على الهدى وأنتم فى الضلال (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا) يعنى يوم القيامة (ثم يفتح) يقضى (بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء) أى أعلمونى الذين ألحقتموهم به أى بالله شركاء فى العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون (كلا) لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) فى تدبيره لخلقه فانى يكون له شريك فى ملكه قوله عز وجل (وما أرسلناك الا كافة للناس) يعنى للناس أحمرهم وأسودهم.

جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة أو ستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلى الكبير أى ذو العلو والكبرياء * قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السموات والارض) يعنى المطر والنبات (قل الله) يعنى ان لم يقولوا ان رازقنا والله فقل أنت ان رازقكم هو الله (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف فى الحجاج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبى صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه فى ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين (قل لا تسئلون عما أجرمنا) أى لا تؤاخذون به (ولا نسئل عما تعملون) أى من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام (قل يجمع بيننا ربنا) أى يوم القيامة (ثم يفتح) يعنى يقضى ويحكم (بيننا بالحق) يعنى بالعدل (وهو الفتاح) يعنى القاضى (العليم) يعنى بما يقضى (قل أرونى) أعلمونى (الذين ألحقتم به) يعنى بالله (شركاء) يعنى الاصنام التى أشركوها معه فى العبادة هل يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله (كلا) كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) أى الغالب على أمره (الحكيم) أى فى تدبير خلقه فانى يكون له شريك فى ملكه * قوله عز وجل (وما أرسلناك الا كافة للناس) يعنى للناس كلهم عامة أحمرهم وأسودهم عربهم وعجميهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة فى الحديث بيان الفضائل التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء وان هذه

(بشيرا ونذيرا) اى مبشرا ومنذرا (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وروينا عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقيل كافة أى كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر والهاء للمبالغة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنى القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أى لا تتقدمون عليه يعنى يوم القيامة وقال الضحاك يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون بان يزاد فى أجلكم أو ينقص منه (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) يعنى التوراة والانجيل (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) يرد بعضهم الى بعض القول فى الجدال (يقول الذين استضعفوا) استحقروا وهم الاتباع (للذين استكبروا) (٢٤٠) وهم القادة والاشراف (لولا أنتم لكنا مؤمنين) أى أنتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أجابهم المتبوعون فى الكفر (للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) بترك الايمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أى مكركم بنا فى الليل والنهار والعرب تضيف الفعل الى الليل والنهار على توسع الكلام كما قال الشاعر

ونمت وما ليل المطى بنائم

وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا) وأظهروا (الندامة) وقيل أخفوا وهو من الاضداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) فى النار الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصى فى الدنيا (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) رؤساؤها وأغنياؤها (وهم انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعنى قال المترفون للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الاموال والاولاد (وما نحن بمعذبين) أى ان الله أحسن الينا فى الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى ان الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء وامتحانا لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) أى قربى قال الاخفش قربى اسم مصدر كانه قال بالتى تقربكم عندنا تقريبا (الا من آمن) يعنى لكن من آمن (وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه منى (فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة قرأ يعقوب جزاء منصوبا منونا الضعف رفع تقديره لهم الضعف جزاء

الخمسة لم يكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه أو الى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل فى معنى كافة أى كافا تكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) أى لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أى لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنى يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بان يزاد فى آجالهم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) يعنى التوراة والانجيل (ولو ترى) أى يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويراجعونها بينهم لرأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والاشراف (لولا أنتم لكنا مؤمنين) يعنى أنتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أى أجاب المتبوعون فى الكفر (للذين استضعفوا أنحن صددناكم) أى منعناكم (عن الهدى) أى عن الايمان (بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أى بترك الايمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أى مكركم بنا فى الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة فى الدنيا وطول الامل فيها (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أى هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصيرطاعة بعضهم لبعض فى الدنيا سبب عداوتهم فى الآخرة (وأسروا الندامة) أى أظهروها وقيل أخفوها وهو من الاضداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) أى فى النار الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى من الكفر والمعاصى فى الدنيا * قوله عز وجل (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى رؤساؤها وأغنياؤها (انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعنى المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) يعنى لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا ولا أولادا (وما نحن بمعذبين) أى أن الله قد أحسن الينا فى الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا فى الآخرة (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى انها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) أى بالتى تقربكم عندنا تقريبا (الا) أى لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه منى (فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة

وقرأ العامة بالاضافة (وهم في الغرفات آمنون) قرأ حمزة في الغرفة على واحدة وقرأ الآخرون بالجمع لقوله لنبوأنهم من الجنة غرفا (والذين يسعون) يعملون (في آياتنا) في ابطال حجتنا (معاجزين) معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) يعني يعطي خلفه قال سعيد بن جبير ما كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه وقال الكلبي ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق اما ان يعجله في الدنيا واما ان يدخره له في الآخرة (وهو خير الرازقين) خير من يعطي ويرزق وروينا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم أنفق عليك أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل ثنا اسمعيل ثنا أبي عن سليمان هو ابن بلال عن معاوية بن أبي مزرد عن أبي الحباب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور (٢٤١) محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر

(وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا) أي يعملون في ابطال حججنا (معاجزين) أي معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون) * قوله عز وجل (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأول وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطي ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه * قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا) يعني هؤلاء الكفار (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) أي تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين * فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن * قلت أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) يعني مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعة (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد أنهم

محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريابي أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أويس أنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الريابي أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الربيع أنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي أنا محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له به صدقة

قلت ما يعني ما وقى الرجل به عرضه قال ما أعطى الشاعر وذا اللسان للتقي وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا الا ما كان من نفقة في بنيان أو في معصية الله عز وجل قوله قلت ما يعني يقول عبد الحميد لمحمد بن المنكدر قال مجاهد اذا كان في يد أحدكم شيء فليقتصد ولا يتأول هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فان الرزق مقسوم لعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه قوله تعالى (ويوم نحشرهم) قرأ يعقوب وحفص نحشرهم ويقول بالياء فيهما وقرأ الآخرون بالنون (جميعا) يعني هؤلاء الكفار (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) في الدنيا قال قتادة هذا استفهام تقرير كقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فتتبرأ منهم الملائكة (قالوا سبحانك) تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أي نحن نتولاك ولا نتولاهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قيل هم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله يعبدون الجن قيل أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة فقوله يعبدون الجن أي يطيعون الجن (أكثرهم به مؤمنون) يعني مصدقون للشياطين ثم يقول الله (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) بالشفاعة (ولا ضرا) بالعذاب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر

(وتقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين) أي بين (وما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يدرسونها) يقرؤنها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) من الامم رسلنا وهم عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وغيرهم (وما بلغوا) يعني هؤلاء المشركين (معشار) أي عشر (ما آتيناهم) أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي انكاري وتغييري عليهم بحذر كفار هذه الامة عذاب

الامم الماضية (قل انما أعظكم) آمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال (أن تقوموا لله) أي لاجل الله (مثنى) أي اثنين اثنين (وفرادى) أي واحدا واحدا (ثم تتفكروا) جميعا أي تجتمعون فتنظرون وتتحاورون وتتفردون فتتفكرون في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا (ما بصاحبكم من جنة) أي جنون وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وانما هو القيام بالامر الذي هو في طلب الحق كقوله وأن تقوموا لليتامى بالقسط (ان هو) ما هو (الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال مقاتل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا أي في خلق السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (فهو لكم) أي لم أسألكم شيأ (ان أجري) أي ثوابي (الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربي يقذف بالحق) أي يأتي بالوحي من السماء فيقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) أي خفيات الامور (قل جاء الحق) أي القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدئ شيأ وتعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس أحدا ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون أنتم فانما أضل على نفسي أي انتم ضلالي على نفسي (وان اهتديت فبما يوحي الي ربي)

عاجزون ولا نفع عندهم ولا ضر (وتقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا إفك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يدرسونها) أي يقرؤنها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل اليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أي من الامم السالفة رسلنا (وما بلغوا) يعني هؤلاء المشركين (معشار) أي عشر (ما آتيناهم) أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم بحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية * قوله عز وجل (قل انما أعظكم) أي آمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى (أن تقوموا لله) أي لاجل الله (مثنى) أي اثنين اثنين (وفرادى) أي واحدا واحدا (ثم تتفكروا) أي تجتمعوا جميعا فتنظروا وتتحاوروا وتتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن (ما بصاحبكم من جنة) ومعنى الآية انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظر فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر في نفسه أيضا بعدل ونصفة هل رأينا في هذا الرجل جنونا قط أو جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل قد علمتم انه من أرجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرصنهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحونه به واذا علمتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين انه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا أي في السموات والارض فتعلموا انه خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (فهو لكم) أي لم أسألكم شيأ (ان أجري) أي ثوابي (الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربي يقذف بالحق) أي يأتي بالوحي من السماء فيقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) رفع بخبر ان أي وهو علام الغيوب (قل جاء الحق) يعني القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدئ شيأ أو يعيد كما قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وقال قتادة الباطل هو ابليس أي ما يخلق ابليس أحدا ابتداء ولا يبعثه وهو قول مقاتل والكلبي وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فانما أضل على نفسي أي انتم ضلالي على نفسي (وان اهتديت فبما يوحي الي ربي) من القرآن

والحكمة (انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا) قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم (فلا فوت) أى فلا يفوتونى كما قال ولات حين مناص وقيل اذ فزعوا فلا فوت ولا نجاة (وأخذوا من مكان قريب) قال الكلبى من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وقيل من مكان قريب يعنى عذاب الدنيا وقال الضحاك يوم بدر وقال ابن ابزى خسف بالبيداء وفى الآية حذف تقديره ولو ترى اذ فزعوا لرأيت أمرا تعتبر به (وقالوا آمنا به) حين عاينوا العذاب قيل عند الياس وقيل عند البعث (وأنى) من أين (لهم التناوش) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وأبو بكر التناؤش بالمد والهمز وقرأ الآخرون بواو صافية من غير مد ولا همز ومعناه التناول أى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا فى الدنيا فضيعوه ومن همز قيل معناه هذا أيضا وقيل التناؤش بالهمز من النيش وهو حركة فى ابطاء يقال جاء نيشا أى مبطئا متاخرا والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه

أى من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) * قوله عز وجل (ولو ترى) أى يا محمد (اذ فزعوا) أى عند البعث أى حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أى لا يفوتوننا ولا نجاة لهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعنى عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذ فزعوا لرأيت أمرا تعتبر به (وقالوا آمنا به) أى حين عاينوا العذاب قيل هو عند الياس وقيل هو عند البعث (وأنى لهم التناوش) أى التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أى من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كما فعل باشياعهم) أى بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أى لم تقبل منهم التوبة فى وقت الياس (انهم كانوا فى شك) أى من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) أى موقع الريبة والتهمة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة مكية ﴾

وهى خمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أى الى الانبياء (أولى أجنحة) أى ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أى بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد فى الخلق ما يشاء) أى يزيد فى خلق الاجنحة ما يشاء قال عبد الله بن مسعود فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح وقيل فى قوله يزيد فى الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة فى العينين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شئ قدير) أى مما يريد أن يخلقه * قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير ورزق (فلا ممسك لها) أى لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) أى لا يقدر أحد على فتح ما امسك (وهو العزيز) يعنى فيما أمسك

(من قبل) أى لم يقبل منهم الايمان والتوبة فى وقت الياس (انهم كانوا فى شك) من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) موقع لهم الريبة والتهمة

﴿ سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله فاطر السموات والارض) خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة) ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) قال قتادة ومقاتل بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله (يزيد فى الخلق ما يشاء) وقال ابن مسعود فى قوله عز وجل لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح وقال ابن شهاب فى قوله يزيد فى الخلق ما يشاء قال حسن الصوت وعن قتادة قال هو الملاحة فى العينين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شئ قدير) (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل من مطر ورزق (فلا ممسك لها) لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز) فيما أمسك

وعن ابن عباس قال يسألون الرد الى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أى من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قال مجاهد يرمون محمدا بالظن لا باليقين وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن ومعنى الغيب هو الظن لانه غاب علمه عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وقال قتادة يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها (كما فعل باشياعهم) يعنى بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار

(الحكيم) فيما أرسل من مطر ورزق أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصباح أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا عبيد الله بن أسباط أنا أبي أنا عبد الملك بن عمير عن ورّاد عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله) قرأ حمزة والكسائي غير بجر الراء وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله لان من زيادة وهذا استفهام على طريق التقرير كانه قال لا خالق غير الله (يرزقكم من السماء والارض) أي من السماء المطر ومن الارض النبات (لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور يا أيها الناس ان

وعد الله حق) يعني وعد القيامة (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وهو الشيطان (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي عاده بطاعة الله ولا تطيعوه (انما يدعوا حزبه) أي أشياعه وأولياءه (ليكونوا من أصحاب السعير) أي ليكونوا في السعير ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) قوله تعالى (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير نزلت في أصحاب الاهواء والبدع وقال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فاما أهل الكبائر فليسوا منهم لانهم لا يستحلون الكبائر أفمن زين شبه وموه عليه وحسن له سوء عمله أي قبيح عمله (فرآه حسنا) زين له الشيطان ذلك بالوسواس وفي الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل جوابه تحت قوله (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فيكون معناه أفمن زين له سوء عمله فاضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال الحسن بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجازه أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر ومعنى الآية لا تهتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا وقرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب (ان الله عليم بما يصنعون والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) من القبور قوله عز وجل

(الحكيم) أي فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت أي لا ينفع المبخوت والغني حظه وغناه لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك * قوله عز وجل (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) أي لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ (يرزقكم من السماء) أي المطر (والارض) أي النبات (لا إله الا هو فانى تؤفكون) أي من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) أي فيجزي المكذب من الكفار بتكذيبه * قوله تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) أي وعد القيامة (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) أي لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها من عمل الآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (انما يدعوا حزبه) أي أشياعه وأولياءه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) قوله عز وجل (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله (فرآه حسنا) وفي الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل مجاز الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا) أي تزعجه من مكانه وقبل تجمعه وتجيء به (فسقناه) أي فنسوقه (الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) أي مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه قوله عز وجل

(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قال الفراء معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله معناه الدعاء الى طاعة من له العزة أى فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان أى فليطلبه من عنده وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا وقال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا (اليه) أى الى الله (يصعد الكلم الطيب) وهو قول لا اله الا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى أنا أبو جعفر الريانى أنا حميد بن زنجويه أنا الحجاج بن نصر أنا المسعودى عن عبد الله بن المحارق عن أبيه عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا والقائلهن حتى يجىء بها وجه رب العالمين ومصداق ذلك من كتاب

قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء الى طاعة من له العزة أى فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولاوليائه المؤمنين (اليه) يعنى الى الله (يصعد الكلم الطيب) قيل هو قول لا اله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر روى البغوى باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا والقائلهن حتى يجىء بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفى اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد أى يقبل الله الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه) قال ابن عباس أى يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمنى وليس بالتحلى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء فى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا بنية وقيل الهاء فى يرفعه راجعة الى العمل الصالح أى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا أن يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال (والذين يمكرون السيئات) أى يعملون السيئات أى الشرك وقيل يعنى الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) أى يبطل ويهلك فى الآخرة * قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) يعنى آدم (ثم من نطفة) يعنى ذريته (ثم جعلكم أزواجا) يعنى أصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم بعضا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) يعنى لا يطول عمر أحد (ولا ينقص من عمره) يعنى عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب فى أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان،

ومن كان يريد العزة فلله العزة جميعا وقال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله معناه الدعاء الى طاعة من له العزة أى فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان أى فليطلبه من عنده وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا وقال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا (اليه) أى الى الله (يصعد الكلم الطيب) وهو قول لا اله الا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى أنا أبو جعفر الريانى أنا حميد بن زنجويه أنا الحجاج بن نصر أنا المسعودى عن عبد الله بن المحارق عن أبيه عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا والقائلهن حتى يجىء بها وجه رب العالمين ومصداق ذلك من كتاب الله عز وجل قوله اليه يصعد الكلم الطيب ذكره ابن مسعود وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة اليه يصعد الكلم الطيب أى يقبل الله الكلم الطيب قوله (والعمل الصالح يرفعه) أى يرفع العمل الصالح الكلم الطيب فالهاء فى قوله يرفعه راجعة الى الكلم الطيب وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء فى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا بنية وقال قوم الهاء فى قوله يرفعه راجعة الى العمل الصالح أى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل الا أن يكون صادرا عن التوحيد وهذا معنى قول الكلبى ومقاتل وقيل الرفع من صفة الله عز وجل معناه العمل الصالح يرفعه الله عز وجل وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعنى ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال دليله قوله عز وجل فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء (والذين يمكرون السيآت) قال الكلبى أى الذين يعملون السيآت وقال مقاتل يعنى الشرك وقال أبو العالية يعنى الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقال مجاهد وشهر بن حوشب هم أصحاب الرياء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يبطل ويهلك فى الآخرة قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) أى آدم (ثم من نطفة) يعنى نسله (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) لا يطول عمره (ولا ينقص من عمره) يعنى من عمر آخر كما يقال لفلان عندى درهم ونصفه أى نصف درهم آخر

(الا فى كتاب) وقيل قوله ولا ينقص من عمره ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب فى أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقال كعب الاحبار حين حضر عمر رضى الله عنه الوفاة والله لودعا عمر ربه أن يؤخر أجله لاخر فقيل له ان الله عز وجل يقول فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا اذا حضر الاجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزاد وينقص وقرأ هذه الآية (ان ذلك على الله يسير) ان كتابة الاجل والاعمار على الله هين قوله تعالى (وما يستوى البحران) يعنى العذب والمالح ثم ذكرهما فقال (هذا عذب فرات) طيب (سائغ شرابه) أى جائز فى الحلق هنىء (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقال الضحاك هو المر (ومن كل تأكلون لحما طريا) يعنى الحيتان من العذب والمالح جميعا (وتستخرجون حلية) أى من المالح دون العذب (تلبسونها) يعنى اللؤلؤ وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون فى البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك (وترى الفلك فيه مواخر) جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) بالتجارة (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام (ما يملكون من قطمير) وهو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (ان تدعوهم) يعنى ان تدعو الاصنام (لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) ما أجابوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها يقولون ما كنتم اياانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) يعنى نفسه أى لا ينبئك أحد مثلى خبير عالم بالاشياء (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الى فضل الله والفقير المحتاج (والله هو الغنى الحميد) الغنى عن خلقه المحمود فى احسانه اليهم (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) شديد (ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة) أى نفس مثقلة بذنوبها غيرها (الى حملها) أى حمل ما عليها من الذنوب (لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه قال ابن عباس يلقى الاب والام ابنه فيقول يا بنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا أستطيع حسبى ما على (انما تنذر الذين يخشون) يخافون (ربهم بالغيب) ولم يروه وقال الاخفش تأويله أى انذارك انما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب (وأقاموا الصلوة ومن تزكى) أصلح وعمل خيرا

ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا فى كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لودعا عمر ربه أن يؤخر أجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز أن يزاد ذلك وقرأ هذه الآية (الا فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أى كتابة الآجال والاعمال على الله هين * قوله تعالى (وما يستوى البحران) يعنى العذب والمالح ثم وصفهما فقال (هذا عذب فرات) أى طيب يكسر العطش (سائغ شرابه) أى سهل فى الحلق هنىء مرىء (وهذا ملح أجاج) أى شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر (ومن كل) يعنى من البحرين (تأكلون لحما طريا) يعنى السمك (وتستخرجون) يعنى من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون فى البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه مواخر) يعنى جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) يعنى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) يعنى تشكرون الله على نعمه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (ان تدعوهم) يعنى الاصنام (لا يسمعوا دعاءكم) يعنى انهم جماد (ولو سمعوا) أى على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها (ولا ينبئك مثل خبير) يعنى نفسه أى لا ينبئك أحد مثلى لانى عالم بالاشياء * قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) يعنى الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغنى) عن خلقه لا يحتاج اليهم (الحميد) يعنى المحمود فى احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) لاتخاذكم أندادا وكفركم بآياته (ويأت بخلق جديد) يعنى يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيا (وما ذلك على الله بعزيز) أى بممتنع (ولا تزر وازرة وزر أخرى) يعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذى اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها * فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * قلت هذه الآية فى الضالين وتلك فى المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حملها) معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها (لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) يعنى ولو كان المدعو ذا قرابة كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى الاب والام بالابن فيقول يا بنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا أستطيع حسبى ما على (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) يعنى لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب (وأقاموا الصلوة ومن تزكى) يعنى أصلح وعمل خيرا

(فانما يتزكى لنفسه) لها ثوابه (والى الله المصير وما يستوى الاعمى والبصير) يعنى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى والبصير بالهدى أى المؤمن والمشرك (ولا الظلمات ولا النور) يعنى الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة والنار قال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور يكون بالنهار مع الشمس (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) يعنى المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) حتى يتعظ ويجيب (وما أنت بمسمع من فى القبور) يعنى الكفار شبههم بالاموات فى القبور حين لم يجيبوا (ان أنت الا نذير) ما أنت الا منذر تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة) ما من أمة فيما مضى (الا خلا) سلف (فيها نذير) نبى منذر (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر) بالكتب

(فانما يتزكى لنفسه) يعنى لها ثوابه (والى الله المصير وما يستوى الاعمى والبصير) يعنى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعنى الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) يعنى المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعنى حتى يتعظ ويجيب (وما أنت بمسمع من فى القبور) يعنى الكفار شبههم بالاموات فى القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) أى ما أنت الا منذر تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) يعنى بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر (وان من أمة) أى من جماعة كثيرة فيما مضى (الا خلا) أى سلف (فيها نذير) أى نبى منذر * فان قلت كم من أمة فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير * قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا أن تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبى بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أى الصحف (وبالكتاب المنير) أى الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تأكيدا (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) يعنى أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعنى ألوانها فى الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وحمر) يعنى الخطط والطرق فى الجبال (مختلف ألوانها) يعنى منها ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرابيب سود) يعنى شديدة السواد كما يقال أسود غربيب تشبيها بلون الغراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى خلق مختلف ألوانه (كذلك) يعنى كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية قولها فرخص فيه أى لم يشدد فيه قولها فتنزه عنه أقوام أى تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبى أفتنى أيها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية

(وبالكتاب المنير) الواضح كرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التاكيد (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أى انكارى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد) طرق وخطط واحدتها جدة مثل مدة ومدد (بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) يعنى سود غرابيب على التقديم والتاخير يقال أسود غربيب أى شديد السواد تشبيها بلون الغراب أى طرائق سود (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) ذكر الكناية لاجل من وقيل رد الكناية الى ما فى الاضمار مجازه ومن الناس والدواب والانعام ما هو مختلف ألوانه (كذلك) يعنى كما اختلف ألوان الثمار

والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عمر بن حفص انا ابى الاعمش انا مسلم عن مسروق قال قالت عائشة رضى الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبى افتنى أيها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عز وجل

(ان الله عزيز غفور) أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده قوله تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله) يعني قرأوا القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب قال الفراء قوله يرجون جواب لقوله ان الذين يتلون كتاب الله (ليوفيهم أجورهم) جزاء أعمالهم بالثواب (ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس يعني سوى الثواب مما لم ترعين ولم تسمع اذن (انه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا اليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب) يعني الكتاب الذي أنزلنا اليك الذي ذكر في الآية الاولى وهو القرآن جعلناه ينتهي الى (الذين اصطفينا من عبادنا) ويجوز أن يكون ثم بمعنى الواو أي وأورثنا كقوله ثم كان من الذين آمنوا أي وكان من الذين آمنوا ومعنى أورثنا أعطينا لان الميراث عطاء قاله مجاهد وقيل أورثنا أي أخرنا ومنه الميراث لانه أخر عن الميت ومعناه أخرنا القرآن عن الامم السالفة وأعطيناكموه وأهلناله الذين اصطفينا من عبادنا قال ابن عباس يريد أمة محمد صلعم ثم قسمهم ورتبهم فقال (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى (٢٤٨) عن أسامة بن زيد في قوله عز وجل فمنهم ظالم لنفسه الآية قال قال النبي صلعم كلهم من هذه الامة

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه أنا محمد بن علي بن الحسين بن القاضي أنا بكر بن محمد المروزي أنا أبو قلابة عمرو بن الحصين عن الفضل بن عميرة عن ميمون الكردي عن أبي عثمان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقال قال رسول الله صلعم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه واختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق أخبرنا أحمد ابن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الاعمش بالخيرات

عن رجل عن أبي ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق الي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلعم يقول حين قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلعم وشهد له رسول الله صلعم بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به واما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال مجاهد والحسن وقتادة فمنهم ظالم لنفسه هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد هم أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم وعن ابن عباس قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات

لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عزيز) أي في ملكه (غفور) يعني لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) أي يداومون على قراءته ويعملون ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلوة) أي ويقيمون الصلاة في أوقاتها (وأنفقوا مما رزقناهم) يعني في سبيل الله (سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) يعني لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس سوى الثواب يعني مما لم ترعين ولم تسمع أذن (انه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا اليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) يعني من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) يعني أوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه بمعنى نورثه (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم أتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحدروانه فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق الي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق

عدن يدخلونها وقال بعضهم يذكر ذلك عن الحسن قال السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي يستوي ظاهره و باطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم من وحد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله والمقتصد من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه والسابق من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله وقيل الظالم التالي للقرآن والمقتصد القارئ له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة وقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل قال جعفر الصادق انه بدأ بالظالمين اخبارا بأنه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة وقال أبو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات (٢٤٩) الناس لان أحوال العبد ثلاثة

بالخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيآته والمقتصد من استوت سيآته وحسناته والظالم من رجحت سيآته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره و باطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم * فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق * قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عباداته ومجاهداته دخل في عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أي بالاعمال الصالحة الى الجنة أو الى رحمة الله (باذن الله) أي بامر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعني ايراثهم الكتاب واصطفاءهم ثم أخبر بثوابهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعني الاصناف الثلاثة (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيآت وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وهموم الحشر والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو

معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فان عصى دخل في حيز الظالمين واذا تاب دخل في جملة المقتصدين واذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عدد السابقين وقال بعضهم المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي وقيل المراد منه المنافق فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله جنات عدن يدخلونها وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وارسال الرسول اليهم وانزال الكتب والاول هو المشهور ان المراد من جميعهم المؤمنون وعليه عامة أهل العلم قوله ومنهم سابق بالخيرات أي سابق الى الجنة والى رحمة الله بالخيرات أي بالاعمال الصالحات (باذن الله) أي بأمر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعني ايراثهم الكتاب ثم أخبر بثوابهم فقال (جنات عدن يدخلونها) يعني الاصناف الثلاثة قرأ أبو عمرو

يدخلونها بضم الياء وفتح الخاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا) أي ويقولون اذا دخلوا الجنة (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) والحزن واحد كالبخل والبخل قال ابن عباس حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل حزنوا لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم وقال عكرمة حزن الذنوب والسيآت وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وتقليب القلب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هم الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الاحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الضحاك الخطيب حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن أحمد الاسفرايني أخبرنا أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسمعيلي أنا أبو العباس أحمد بن محمد الترابي ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس على أهل لا اله الا الله وحشة في

قبورهم ولا فى منشرهم وكأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قوله تعالى (ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا) أنزلنا (دار المقامة) أى الاقامة (من فضله لا يمسنا فيها نصب) أى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أى لا يهلكون فيستريحوا كقوله عز وجل فوكزه موسى فقضى عليه أى قتله وقيل لا يقضى عليهم الموت فيموتوا كقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك أى ليقبض علينا الموت فنستريح (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب النار (كذلك نجزى كل كفور) كافر قرأ أبو عمرو يجزى بالياء وضمها وفتح الزاى كل رفع على غير تسمية الفاعل وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاى كل نصب (وهم يصطرخون) يستغيثون ويصيحون (فيها) وهو افتعال من الصراخ وهو الصياح يقولون (ربنا أخرجنا منها) من النار (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) فى الدنيا من الشرك والسيآت فيقول الله لهم توبيخا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قيل هو البلوغ وقال عطاء (٢٥٠) وقتادة والكلبى ثمان عشرة سنة وقال الحسن أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة يروى ذلك عن على وهو العمر الذى أعذر الله تعالى الى ابن آدم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد السلام بن مطهر حدثنا عمر بن على عن معن بن محمد الغفارى عن سعيد ابن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله تعالى الى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة أخبرنا ابو سعيد الشريحى أخبرنا أبو اسحق الثعلبى اخبرنا الحسين بن محمد ابن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلويه حدثنا الحسن بن عرفة أنا المحاربى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك قوله (وجاءكم النذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم هذا قول أكثر المفسرين (بل وقيل القرآن وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع هو الشيب معناه أولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفى الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت قوله (فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) أى يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت فيمن قبلها ما ينبغى أن تعتبر به (فمن كفر فعليه كفره) أى عليه وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) غضبا (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أى جعلتموهم شركائى بزعمكم يعنى الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا) قال مقاتل بل أعطينا كفار مكة كتابا (فهم على بينة منه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص بينة على التوحيد وقرأ الآخرون بينات على الجمع يعنى دلائل واضحة منه فى ذلك الكتاب من ضروب البيان

معاد روى البغوى بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (ان ربنا لغفور شكور) يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذى أحلنا) يعنى أنزلنا (دار المقامة) أى الاقامة (من فضله) أى لا باعمالنا (لا يمسنا فيها نصب) أى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) أى اعياء من التعب * قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أى فيستريحوا مما هم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أى من عذاب النار (كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون) أى يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أى من النار (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) أى فى الدنيا من الشرك والسيآت فيقول الله تعالى توبيخا لهم (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن على وهو العمر الذى أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى كل امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين (وجاءكم النذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفى الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت (فذوقوا) أى يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) أى مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) يعنى انه اذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون فقد علم غيب كل شئ فى العالم * قوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) أى يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورأت ما ينبغى أن يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء فى أرضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) أى جحد هذه النعمة وغمطها (فعليه كفره) أى وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) يعنى غضبا وقيل المقت أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) يعنى فى الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم (أروني ماذا خلقوا من الارض) يعنى أى جزء استبدوا بخلقه من الارض (أم لهم شرك فى السموات) أى خلق فى السموات والارض (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أى على حجة وبرهان من ذلك

(بل ان يعد) أى ما يعد (الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) والغرور ما يغر الانسان مما لا أصل له قال مقاتل يعنى ما يعد الشيطان كفار بنى آدم من شفاعة الآلهة فى الآخرة غرور وباطل قوله تعالى (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أى كيلا تزولا (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أى ما يمسكهما أحد من بعده أى أحد سواه (انه كان حليما غفورا) فان قيل فما معنى ذكر الحلم ههنا قيل لان السموات والارض همت بما همت به من عقوبة الكفار فامسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعنى كفار مكة لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله وقالوا والوا أنانا

(بل ان يعد الظالمون بعضهم) يعنى الرؤساء (بعضا الا غرورا) يعنى قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله * قوله عز وجل (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) يعنى لكى لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بأن تزولا وتهدا هدا العظم كلمة الشرك (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) يعنى ليس يمسكهما أحد سواه (انه كان حليما غفورا) يعنى غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعنى كفار مكة وذلك لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لوجاءنا نذير لنكونن أهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فأنزل الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) يعنى رسول (ليكونن أهدى من احدى الامم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) مجيئه (الا نفورا) يعنى تباعدا عن الهدى (استكبارا فى الارض) يعنى عتوا وتكبرا عن الايمان به (ومكر السيئ) يعنى عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) يعنى لا يحل ولا يحيط الا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن أشرك (فهل ينظرون) أى ينتظرون (الا سنت الاولين) يعنى أن ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجد لسنت الله تبديلا) أى تغييرا (ولن تجد لسنت الله تحويلا) أى تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) أى ليفوت عنه (من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أى من الجرائم (ما ترك على ظهرها) أى ظهر الارض (من دابة) أى من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وغيرهم كما أهلك من كان فى زمن نوح بالطوفان الا من كان فى السفينة (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تم الجزء الخامس من تفسير الخازن ويليه الجزء السادس وأوله سورة يس عليه الصلاة والسلام ﴾

رسول الله لنكونن أهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) رسول (ليكونن أهدى من احدى الامم) يعنى من اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم (ما زادهم الا نفورا) أى ما زادهم مجيئه الا تباعدا عن الهدى (استكبارا فى الارض) نصب استكبارا على البدل من النفور (ومكر السيئ) يعنى العمل القبيح أضيف المكر الى صفته قال الكلبى هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة مكر السيئ ساكنة الهمزة تخفيفا وهى قراءة الاعمش (ولا يحيق المكر السيئ) أى لا يحل ولا يحيط المكر السيئ (الا بأهله) فقتلوا يوم بدر وقال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن أشرك والمعنى ان وبال مكرهم راجع اليهم (فهل ينظرون) ينتظرون (الا سنت الاولين) الا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) يعنى ليفوت عنه (من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من الجرائم (ما ترك على ظهرها) يعنى على ظهر الارض كناية عن غير مذكور (من دابة) كما كان فى زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الارض الا من كان فى سفينة نوح (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته

﴿ فهرست الجزء الخامس من تفسير القرآن العظيم للامام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	﴿ تفسير سورة الحج ﴾	١٦٦	﴿ تفسير سورة الروم ﴾
٧	فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن	١٧٠	فصل في فضل التسبيح
٢٣	فصل في حكم سجود التلاوة هنا (أي في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا الآية)	١٧٧	﴿ تفسير سورة لقمان ﴾
٢٥	﴿ تفسير سورة المؤمنين ﴾	١٨٣	﴿ تفسير سورة السجدة ﴾
٣٨	﴿ تفسير سورة النور ﴾	١٨٦	فصل في فضل قيام الليل والحث عليه
٦٥	فصل في بيان التمثيل المذكور في قوله الله نور السموات والارض الآية	١٨٩	﴿ تفسير سورة الاحزاب ﴾
٧٦	﴿ تفسير سورة الفرقان ﴾	١٩٣	ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب
٩٢	﴿ تفسير سورة الشعراء ﴾	٢٠٧	ذكر غزوة بني قريظة
١٠٩	فصل في مدح الشعر	٢١١	فصل في حكم الآية (أي قوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا الآية)
١١٠	﴿ تفسير سورة النمل ﴾	٢١٦	فصل فان قلت ما ذكروه في تفسير هذه الآية (أي قوله تعالى واذ تقول للذي أنعم الله عليه الخ)
١٣٣	﴿ تفسير سورة القصص ﴾	٢٢٥	فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
١٣٤	ذكر القصة في ذلك (أي قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى الخ)	٢٣٠	فصل في الامانة
١٩٢	ذكر قصة قارون	٢٣١	﴿ تفسير سورة سبأ ﴾
١٩٥	﴿ تفسير سورة العنكبوت ﴾	٢٤٣	﴿ تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة ﴾

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء الخامس من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوي ﴾
﴿ الذي بهامش الخازن ﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	سورة الحج	١٥٥	سورة العنكبوت
٢٥	سورة المؤمنين	١٦٦	سورة الروم
٣٨	سورة النور	١٧٧	سورة لقمان
٧٦	سورة الفرقان	١٨٣	سورة الم السجدة
٩٢	سورة الشعراء	١٨٩	سورة الاحزاب
١١٠	سورة النمل	٢٣١	سورة سبأ
١٣٣	سورة القصص	٢٤٣	سورة الملائكة

﴿ تمت ﴾

ما شاء الله كان

الجزء السادس

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل
تأليف الامام العلامه قدوة الامه وعلم الائمه ناصر
الشريعة ومحيي السنه علاء الدين على بن محمد بن
ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن
فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من
رمضان سنة ٧٢٥ هجريه
تغمده الله برحمته
آمين

﴿ وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل ﴾
﴿ تأليف الامام الجليل محيي السنة أبى محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
﴿ عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

﴿ قال فى كشف الظنون ﴾

(معالم التنزيل فى التفسير) للامام محيي السنة أبى محمد حسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بمطبعة التقدم العلمية بمصر

(سنة ١٣٣٢ هجريه)

﴿ على نفقة أبناء المرحوم مولوى محمد بن غلام رسول السورتى
عبد الستار وعبد الصمد وعبد الرزاق أصحاب المكتبة المحمدية
فى (بومباى) حفظهم الله ﴾

﴿سورة يس﴾

مكية وهى ثلاث وثمانون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يس) ونَ قرأ باخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائى وأبو بكر وورش بخلف عنه فى نون والقلم والباقون يظهرون فيهما واختلفوا فى تأويل يس حسب اختلافهم فى حروف التهجى قال ابن عباس رضى الله عنهما قسم ويروى عنه ان معناه يا انسان بلغة طيء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال أبو العالية يا رجل وقال أبو بكر الوراق يا سيد البشر (والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) أقسم الله بالقرآن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) وهو خبر بعد خبر أى انك لمن المرسلين وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم (تنزيل العزيز الرحيم) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص تنزيل بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلا وقرأ الآخرون بالرفع أى هو تنزيل العزيز الرحيم (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) قيل هو ما للنفى أى لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبى قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولزق

وقيل ما بمعنى الذى أى لتنذر قوما بالذى أنذر آباؤهم (فهم غافلون) عن الايمان والرشد (لقد حق القول) وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) هذا كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) نزلت فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل كان قد حلف ان رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بالحجر وهو يصلى فأتاه يوما وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه

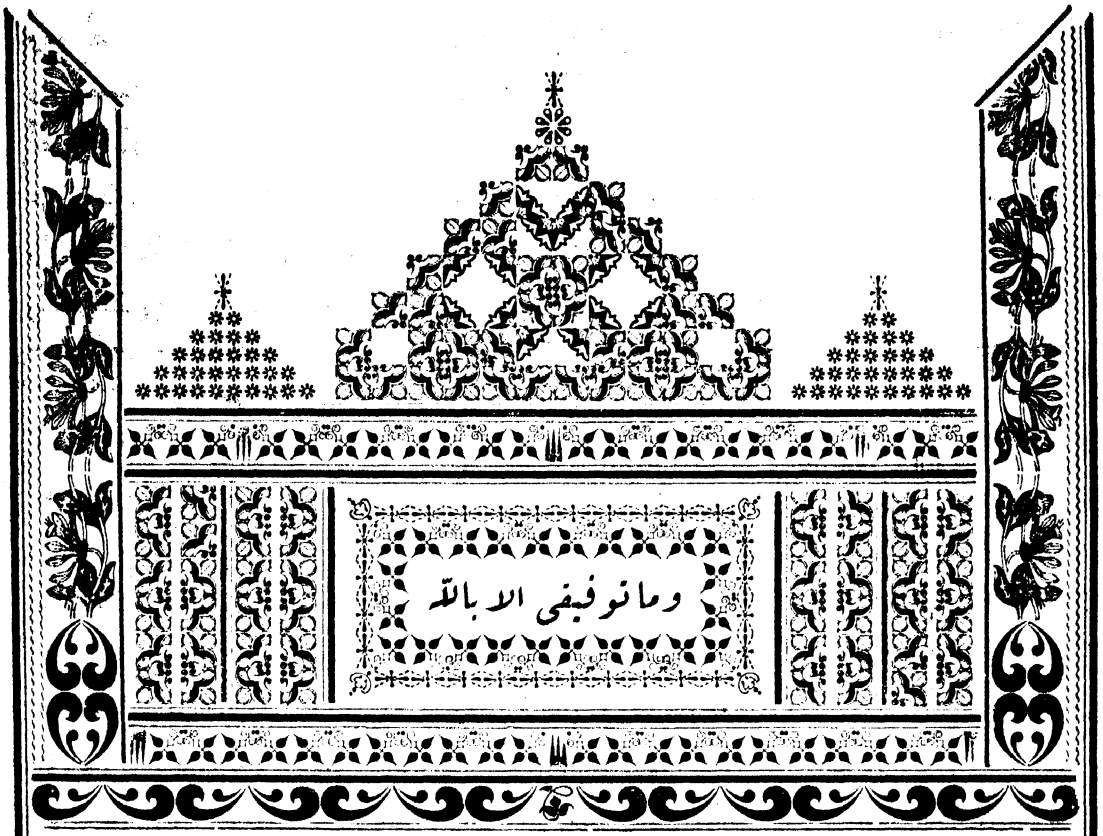

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية﴾

وهى ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس أخرجه أبو داود وغيره

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) أى ذى الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (انك لمن المرسلين) أى أقسم بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) يعنى القرآن تنزيل العزيز فى ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) يعنى لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبى قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب (فهم غافلون) أى عما يراد بهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) أى وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك * قوله عز وجل (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) نزلت فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه

انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شيء كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا قال أهل المعاني هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك قال الفراء معناه انا حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك معناه لا تمسكها عن النفقة (فهي الى الاذقان) وهي كناية عن الايدي وان لم يجر لها ذكر لان الغل يجمع اليد الى العنق معناه انا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان (فهم مقمحون) والمقمح الذي رفع رأسه وغض بصره يقال بعير قامح اذا روي من الماء فاقمح اذا رفع رأسه وغض بصره قال الازهري (٣) أراد ان أيديهم لما غلت الى أعناقهم رفعت الاغلال أذقانهم ورؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال اياها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) قرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بفتح السين وقرأ الآخرون بضمها (فأغشيناهم) فأعميناهم من التغشية وهي التغطية (فهم لا يبصرون) سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر) يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) حسن وهو الجنة (انا نحن نحيي الموتى) عند البعث (ونكتب ما قدموا) من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) أي ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة قال النبي صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقال نكتب خطاهم الى المسجد عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذي وقال قال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة أن ينتقلوا

ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله عز وجل بهم في النار (فهي) يعني الايدي (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) يعني رافعو رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد ان الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فأغشيناهم) يعني فأعميناهم (فهم لا يبصرون) يعني سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعني من رد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشي الرحمن بالغيب) أي خافه في السر والعلن (فبشره بمغفرة) يعني لذنوبه (وأجر كريم) يعني الجنة * قوله تعالى (انا نحن نحيي الموتى) يعني للبعث (ونكتب ما قدموا) أي من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) أي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فاراد وا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذي وقال قال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة أن ينتقلوا

في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقال قوم قوله نكتب ما قدموا وآثارهم أي خطاهم الى المسجد روى عن أبي سعيد الخدري قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي حدثنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا محمد بن هشام بن ملابس النميري حدثنا مروان الفزاري حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فاقاموا وأخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من

الذى يصلى ثم ينام قوله تعالى (وكل شئ أحصيناه) حفظناه وعددناه وبيناه (فى امام مبين) وهو اللوح المحفوظ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) يعنى اذكر لهم شبها مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهى انطاكية (اذ جاءها المرسلون) يعنى رسل عيسى عليه السلام قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين الى أهل مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نحن نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنتين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فانى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك قال وهب وكان اسمه أنطيخس وكان من ملوك الروم يعبد الاصنام قالوا فانتهى الخبر اليه فدعاهما فقال من أنتما قالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال لهما ألنا اله دون آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما فى السوق قال وهب بعث عيسى هذين الرجلين الى انطاكية فاتيا ها فلم يصلا الى ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على (٤) أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا

قرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى انكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يارسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا اذا تحولنا قوله بنى سلمة أى يابنى سلمة وقوله دياركم أى الزموا دياركم (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام * قوله تعالى (وكل شئ أحصيناه) أى حفظناه وعددناه وأثبتناه (فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ * قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) يعنى صف لهم شبها مثل حالهم من قصة (أصحاب القرية) يعنى انطاكية (اذ جاءها المرسلون) يعنى رسل عيسى عليه الصلاة والسلام
﴿ذكر القصة فى ذلك﴾ قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا

خبره الى الملك فدعاه فرضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت آلهتك حتى تصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولآلهتك فقال الملك ليس لى عنك سر ان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للمرسلين ان قدر الهكم الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو به سرا فقام الميت وقال انى قدمت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال فتحت لى أبواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك لما علم فلما علم شمعون أن قوله أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه الى الاسلام فآمن الملك وآمن قوم كثير وكفر آخرون وقيل ان ابنة للملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك اطلب من هذين الرجلين أن يحييا ابنتك فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون معهما فى السر فاحيا الله المرأة وانشق القبر عنها فخرجت وقالت اسلموا فانهما صادقان قالت ولا أظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين ان يرداها الى مكانها فعادا بها على رأسها وعادت الى قبرها كما كانت وقال ابن اسحاق عن كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على

باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم بذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين) وقال وهب اسمهما يحنا وبولس (فكذبوهما فعززنا) يعنى فقوينا (بثالث) برسول ثالث وهو شمعون وقرأ أبو بكر (٥) عن عاصم فعززنا بالتخفيف وهو بمعنى الاول كقولك شددنا وشددنا بالتخفيف والتثقيل وقيل أى فغلبناهم من قولهم من عزّ بزّ وقال كعب الرسولان صادق وصدوق والثالث شلوم وانما أضاف الله الارسال اليه لان عيسى انما بعثهم بأمره تعالى (فقالوا) جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون) ما أنتم الا كاذبون فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) لنقتلنكم وقال قتادة بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) يعنى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعنى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) يعنى وعظتم بالله وهذا استفهام محذوف الجواب ان ذكرتم وعظتم بالله تطيرتم بنا وقرأ أبو جعفر ان بفتح الهمزة المليئة ذكرتم بالتخفيف (بل أنتم قوم مسرفون) مشركون مجاوزون الحد قوله عزوجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب النجار وقال السدى كان قصارا وقال وهب كان رجلا يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة وكان مؤمنا اذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفه عياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم

قالا نعم الذى أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما ليبصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته فقال للملك ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعوا الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لى عنك سرّ مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو به سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده الى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) يعنى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما أضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عزوجل (فقالوا) يعنى الرسل جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ) يعنى لم يرسل رسولا (ان أنتم الا تكذبون) يعنى فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) يعنى وان كذبتمونا (وما علينا الا البلاغ المبين) أى بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا منكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) أى تسكتوا عنا (لنرجمنكم) يعنى لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) يعنى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعنى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) معناه اطيرتم لان ذكرتم وعظتم (بل أنتم قوم مسرفون) أى فى ضلالكم وشرككم متمادون فى غيكم * قوله عزوجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمنا اذا صدقة يجمع كسبه فاذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا

(قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) قال قتادة كان حبيب في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه فلما انتهى حبيب الى الرسل قال لهم تسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه فقال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون فلما قال ذلك قالوا له وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون) قرأ حمزة ويعقوب مالي باسكان الياء والآخرون بفتحها قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق وقيل انهم لما قال اتبعوا المرسلين أخذوه فرفعوه الى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني يعني وأي شئ لي اذا لم أعبد خالقي واليه ترجعون تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم (أأتخذ من دونه آلهة) استفهام بمعنى الانكار أي لا أتخذ من دونه آلهة (ان يردن الرحمن بضر) بسوء ومكروه (لا تغن عني) لا تدفع عني (شفاعتهم شيأ) أي لا شفاعة لها أصلا فتغني (ولا ينقذون) من ذلك المكروه وقيل لا ينقذون (٦) من العذاب لو عذبني الله ان فعلت ذلك (اني اذا لفي ضلال مبين) خطأ ظاهر (اني آمنت بربكم فاسمعون) يعني فاسمعوا مني فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره قال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا في حلقه فعلقوه بسور من سور المدينة وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك قوله (قيل ادخل الجنة) فلما أفضى الى الجنة (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) يعني بغفران ربي لي (وجعلني من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه ان الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا منزلين) أي ما كنا لنفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان أيسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أي ميتون (ياحسرة على العباد) يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم مالا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل تحسروا على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى ياحسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك

قتلهم جاءهم (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فأقبل على قومه وقال ياقوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) أي لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خيرا الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أوأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه وأي شئ لي اذا لم أعبد خالقي واليه ترددون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم (أأتخذ من دونه آلهة) أي لا أتخذ من دونه آلهة (ان يردن الرحمن بضر) أي بسوء ومكروه (لا تغن عني) أي لا تدفع عني (شفاعتهم شيأ) أي لا شفاعة لها فتغني عني (ولا ينقذون) أي من ذلك المكروه وقيل من العذاب (اني اذا لفي ضلال مبين) أي خطأ ظاهر (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه ان الله تعالى غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا منزلين) أي ما كنا لنفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان أيسر مما تظنون وقيل معناه وما أنزلنا على قومه من بعده أي على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كنا منزلين لنزلهم على الامم اذا أهلكناهم كالطوفان والصاعقة والريح ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) وقرأ أبو جعفر صيحة واحدة بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون (ياحسرة على العباد) قال عكرمة يعني ياحسرتهم على أنفسهم والحسرة شدة الندامة وفيه قولان أحدهما يقول الله تعالى ياحسرة وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسل والآخر انه من قول أهل الكين قال أبو العالية لما عاينوا العذاب قالوا ياحسرة أي ندامة على العباد يعني على الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم قال الازهري الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين وقيل العرب تقول ياحسرتي وياعجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه فكأنه يقول أيها العجب هذا وقتك وأيتها الحسرة هذا أوانك وحقيقة المعنى ان هذا زمان الحسرة والتعجب ثم بين سبب الحسرة والندامة

الحسرة

فقال (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا) ألم يخبروا يعني أهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) والقرن أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود (أنهم اليهم لا يرجعون) أي لا يعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون بهم (وان كل لما جميع) قرأ عاصم وحمزة لما بالتشديد ههنا وفي الزخرف والطارق وافق ابن عامر الا في الزخرف ووافق أبو جعفر في الطارق وقرأ الآخرون بالتخفيف فمن شدد جعل ان بمعنى الجحد ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا جميع ومن خفف جعل ان للتحقيق وما صلة مجازه كل جميع (لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها حبا) يعني الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أي من الحب (وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها) في الارض (من العيون ليأكلوا من ثمره) أي من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عملت بغير هاء وقرأ الآخرون عملته بالهاء أي يأكلون من الذي عملته (أيديهم) من الزرع والغرس والهاء عائدة الى ما التي هي بمعنى الذي وقيل ما للنفي في قوله وما عملته أيديهم أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم ولا صنع لهم فيها وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل (٧) وقيل أراد العيون والانهار التي لم تعملها

الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) * قوله تعالى (ألم يروا) أي ألم يخبروا خطاب لاهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أي من الامم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود (أنهم اليهم لا يرجعون) أي لا يعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون بهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يعني ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة (وآية لهم) يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى (الارض الميتة أحييناها) أي بالمطر (وأخرجنا منها) أي من الارض (حبا) يعني الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أي من الحب (وجعلنا فيها) يعني في الارض (جنات) يعني بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره) يعني من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته أيديهم) يعني من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) يعني نعمة الله تعالى (سبحان الذي خلق الازواج كلها) يعني الاصناف كلها (مما تنبت الارض) أي من الاشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم) يعني الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) يعني مما خلق الله تعالى من الاشياء في البر والبحر من الدواب * قوله عز وجل (وآية لهم) يعني تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) أي ننزع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظلمون) يعني فاذا هم في الظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجري لمستقر لها) يعني الى مستقرها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي الى مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع الى أول منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهي الى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجري لا مستقر لها أي لا قرار ولا وقوف فهي جارية أبدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس

يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها (أفلا يشكرون) نعمة الله (سبحان الذي خلق الازواج كلها) أي الاصناف كلها (مما تنبت الارض) من الثمار والحبوب (ومن أنفسهم) يعني الذكور والاناث (ومما لا يعلمون) مما خلق من الاشياء من دواب البر والبحر (وآية لهم) تدل على قدرتنا (الليل نسلخ) ننزع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظلمون) داخلون في الظلمة ومعناه نذهب النهار ونجيء بالليل وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجري لمستقر لها) أي الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء

الدنيا وقيام الساعة وقيل انها تسير حتى تنتهي الى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لانها لا تجاوزه وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مستقرها تحت العرش أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا الحميدي أنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا الحميدي أنا وكيع ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبيه عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب قال قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها

(ذلك تقدير العزيز العليم) وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها وهي قراءة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبدا ذلك تقدير العزيز العليم (والقمر قدرناه) أي قدرنا له قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة القمر برفع الراء لقوله وآية لهم الليل والشمس والقمر وقرأ الآخرون بالنصب لقوله قدرناه أي قدرنا القمر (منازل) وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس فإذا صار القمر في آخر المنازل دق فذلك قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) والعرجون عود العذق الذي عليه الشمار يخ فإذا قدم وعتق يبس وتقوس واصفر فشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء واذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر أي لا تجتمع معه في فلك واحد ولا الليل سابق النهار أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل في فلك يسبحون) يجرون (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب ذرياتهم بجمع وقرأ الآخرون ذريتهم على التوحيد فمن جمع كسر التاء ومن لم يجمع نصبها والمراد بالذرية الآباء والاجداد واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الاولاد (في الفلك المشحون) أي المملوء وأراد سفينة نوح وهؤلاء ممن نسل من حمل مع نوح وكانوا في أصلابهم (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) قيل أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها وقيل أراد به السفن الصغار التي تجري في الانهار فهي في الانهار كالفلك الكبار في البحار هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما أي

تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجري الى وقت لها وأصل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) يعني الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) يعني الغالب بقدرته على كل شيء مقدور (العليم) يعني المحيط علما بكل شيء * قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) يعني قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه ويسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص فاذا كان في آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذي عليه شمار يخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذي أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) يعني لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) يعني هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل في فلك يسبحون) أي والشمس والقمر في فلك يسيرون * قوله عز وجل (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) يعني أولادهم (في الفلك المشحون) يعني المملوء (وخلقنا لهم من مثله) يعني مثل الفلك (ما يركبون) يعني من الابل وهي سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين في أصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأبلغ في التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله أي من مثل ذلك الفلك ما يركبون أي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) يعني لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) يعني ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) يعني الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم يعني وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الآخرة (لعلكم ترحمون)

وروى عن ابن عباس انه قال وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعني الابل فالابل في البر كالسفن في البحر (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ) أي لا مغيث (لهم ولا هم ينقذون) ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) الى انقضاء آجالهم يعني الا أن يرحمهم ويمتعهم الى حين آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم عذاب الآخرة وهو قول قتادة ومقاتل (لعلكم ترحمون) والجواب محذوف تقديره اذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه دليله ما بعده

(وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أعطاكم الله (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم انه لله وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم قالوا أنطعم أنرزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله (٩) وهذا الذي يزعمون باطل لان

أي لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) *قوله عز وجل (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم) أي مما أعطاكم (الله) نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من أموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) أي أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) أي رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى مني بك ويقول قد منعه أفأطعمه أنا ومعنى الآية انهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا الغني لا استحقاقا وأمر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان أنتم الا في ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أنتم الا في خطأ بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعني يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) أي ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أي في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله وأصله من اللوط وقوله أصغى ليتا الليت صفحة العنق وأصغى يعني أمال عنقه يسمع * وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي لا يقدرون على الايصاء بل أعجلوا عن الوصية فماتوا (ولا الى أهلهم يرجعون) يعني لا يقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشئ (ونفخ في الصور) هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذا هم من الاجداث) أي القبور (الى ربهم ينسلون) أي يخرجون منها أحياء (قالوا يا ويلنا من

الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأمر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه (ان أنتم الا في ضلال مبين) يقول الكفار للمؤمنين ما أنتم الا في خطأ بين في اتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) أي ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في المجالس والاسواق قرأ حمزة يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد أي يغلب بعضهم بعضا بالخصام وقرأ الاخرون بتشديد الصاد أي يختصمون أدغمت التاء في الصاد ثم ابن كثير ويعقوب وورش يفتحون

الخاء بنقل حركة التاء المدغمة اليها ويجزمها أبو جعفر وقالون ويروم فتحة الخاء أبو عمرو وقرأ الباقون بكسر الخاء ورونا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع رجل أكلته الى فيه فلا يطعمها قوله عز وجل (فلا يستطيعون توصية) أي لا يقدرون على الايصاء قال مقاتل عجلوا عن الوصية فماتوا (ولا الى أهلهم يرجعون) يتقلبون والمعنى ان الساعة لا تمهلهم لشئ (ونفخ في الصور) وهي الاخيرة نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة (فاذا هم من الاجداث) يعني القبور واحدها جدث (الى ربهم ينسلون) يخرجون من القبور أحياء ومنه قيل للولد نسل لخروجه من بطن أمه (قالوا يا ويلنا من

بعثنا من مرقدنا) قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل وقال أهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قالوا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لم ينفعهم الاقرار وقيل قالت الملائكة لهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت) ما كانت (الا صيحة واحدة) يعني النفخة الاخيرة (فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم في شغل) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو في شغل بسكون الغين والباقون بضمها وهما لغتان مثل السحت والسحت واختلفوا في معنى الشغل قال ابن عباس في افتضاض الابكار وقال وكيع بن الجراح في السماع وقال الكلبي في شغل عن أهل النار وعما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم وقال الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب وقال ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى (فاكهون) قرأ أبو جعفر فكهون حيث كان وافقه حفص (١٠) في المطففين وهما لغتان مثل الحاذر والحذر أي ناعمون قال مجاهد والضحاك معجبون بما

بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الا صيحة واحدة) يعني النفخة الاخيرة (فاذا هم جميع لدينا محضرون) أي للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) *قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل) قال ابن عباس في افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الاليم (فاكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه (هم وأزواجهم في ظلال) يعني أكنان القصور (على الارائك) يعني السرر في الحجال (متكؤن) يعني ذوو اتكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) أي في الجنة (ولهم ما يدعون) يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعون أي أهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعني يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) يعني اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض * قوله عز وجل (ألم أعهد اليكم يا بني آدم) أي ألم آمركم وأوصيكم يا بني آدم (أن لا تعبدوا الشيطان) يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم

هم فيه وعن ابن عباس قال فرحون (هم وأزواجهم) أي حلائلهم (في ظلال) قرأ حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير ألف جمع ظلة وقرأ العامة في ظلال بالالف وكسر الظاء على جمع ظل (على الارائك) يعني السرر في الحجال واحدتها أريكة قال ثعلب لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة (متكؤن) ذوو تكأة (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) يتمنون ويشتهون (سلام قولا من رب رحيم) أي يسلم الله عليهم قولا أي يقول الله لهم قولا أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق أحمد بن محمد ابن ابراهيم الثعلبي أنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمي الاصفهاني أنا الحسن بن أبي علي الزعفراني أنا ابن أبي الشوارب أنا أبو عاصم العبادي أنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل يسلم عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم وقال مقاتل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) قال مقاتل اعتزلوا اليوم من الصالحين قال أبو العالية تميزوا وقال السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين قال الضحاك ان لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم) ألم آمركم يا بني آدم (أن لا تعبدوا الشيطان) أي لا تطيعوا الشيطان في معصية الله

(انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (وأن اعبدونى) أطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) قرأ أهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ يعقوب جبلا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام وقرأ الآخرون بضم الجيم والباء خفيفة اللام وكلها لغات صحيحة ومعناها الخلق والجماعة أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) ما أنا كم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها فى الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو الحسن محمد بن عمر بن حفص وبه السرخسى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب أنا عبد الجبار بن العلاء أنا سفيان عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال سأل الناس النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد فيقول أى يقول الله له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك (١١) الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول فانى قد أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع وقال غيره عن سفيان ترأس وتربع فى الموضعين قال فيقول بلى فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول قد أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليك ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى سخط الله أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى أنا جدى أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا اسحق ابن ابراهيم الدبرى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم بن معوية عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انكم تدعون فيقدم على أفواهكم بالفدام فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكفه أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبى النضر حدثنى هاشم بن القاسم أنا عبيد الله الاشجعى عن سفيان الثورى عن عبيد المكتب عن فضيل عن الشعبى عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل

من معصية الله (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة (وأن اعبدونى) أى أطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) أى لا صراط أقوم منه قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) يعنى ما أنا كم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بها فى الدنيا (اصلوها) يعنى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) * قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان أعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح أبلغ من اقرار اللسان * فان قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة * قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه وكفه وعظامه انطقى

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كما قال الله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم يقول كما أعميناهم لو شئنا أعميناهم أبصارهم الظاهرة (فاستبقوا الصراط) فتبادروا الى الطريق (فأنى يبصرون) فكيف يبصرون وقد أعميناهم يعني لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ هذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم أفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعني مكانهم يريد لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لو نشاء لجعلناهم حجارة وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) يعني الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع (ومن نعمره ننكسه في الخلق) قرأ عاصم وحمزة بالتشديد وقرأ الآخرون بفتح النون الاولى وضم الكاف مخففا أي نرده الى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها الى نقصانها بعد زيادتها (أفلا يعقلون) فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الانسان يقدر على البعث بعد الموت قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قال الكلبي ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت من الشعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا الحسين ابن محمد الثقفي أنا أحمد بن جعفر بن همدان ثنا يوسف ابن عبد الله بن ماهان أنا موسى بن اسمعيل أنا حماد بن سلمة عن علي بن همدان ثنا يوسف بن أبي زيد عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر يا رسول الله انما قال ذلك الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال أبو بكر أو عمر أشهد انك رسول الله يقول الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه قال قلت لعائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * فأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم * ويأتيك من لم تزود بالاخبار * وقالت وربما قال ويأتيك بالاخبار من لم تزود وقال معمر عن قتادة بلغني ان عائشة سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشئ من الشعر الا ببيت أخي بني قيس طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغي لي

فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه قوله أي قل يعني يا فلان قوله وأسودك أي أجعلك سيدا قوله وأذرك ترأس أي تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع أي تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاءين أي تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قوله لا أجيز أي لا أقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا أي هلاكا قوله فعنكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم * قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا أعينهم الظاهرة كما أعميناها قلوبهم (فاستبقوا الصراط) أي فبادروا الى الطريق (فأنى يبصرون) أي كيف يبصرون وقد أعميناهم أعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها (فما استطاعوا مضيا) أي لا يقدرون أن يبرحوا (ولا يرجعون) أي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي نرده الى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك أن الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه في الخلق (أفلا يعقلون) أي فيعتبرون ويعلمون أن الذي قدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت * قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له

ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا نبي الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره أن عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت أخي بني قيس طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغي لي * فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

اللهم ان العيش عيش الآخرة * فاكرم الانصار والمهاجرة

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

* قلت ما هذا الا من كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا أنه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاآت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره (وقرآن مبين) أي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) أي يا محمد وقرئ بالياء أي القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أي وتجب حجة العذاب (على الكافرين) قوله عز وجل (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أي تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة أحد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي اذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو (أنعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لما في النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها مالكون) أي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أي لا أضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) أي الابل (ومنها يأكلون) أي الغنم (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أي من ألبانها (أفلا يشكرون) أي رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني الاصنام (لعلهم ينصرون) أي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب

(ان هو) يعني ما القرآن (الا ذكر) موعظة (وقرآن مبين) فيه الفرائض والحدود والاحكام (لينذر) قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب لتنذر بالتاء وكذلك في الاحقاف وافق ابن كثير في الاحقاف أي لتنذر يا محمد وقرأ الآخرون بالياء أي لينذر القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) ويجب حجة العذاب قوله (على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) تولينا خلقه بابداعنا من غير اعانة أحد (أنعاما فهم لها مالكون) ضابطون قاهرون أي لم يخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم وهي قوله (وذللناها لهم) سخرناها لهم (فمنها ركوبهم) أي ما يركبون وهي الابل (ومنها يأكلون) من لحمانها (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها (ومشارب) من ألبانها (أفلا يشكرون) رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) يعني لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب

(وهم لهم جند محضرون) أي الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار (فلا يحزنك قولهم) يعني قول كفار مكة في تكذيبك (انا نعلم ما يسرون) في ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) من عبادة الاصنام أو ما يعلنون بألسنتهم من الاذى قوله تعالى (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) بين الخصومة يعني انه مخلوق من نطفة ثم يخاصم فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى بدع الخصومة نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده فقال أترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله

عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فأنزل الله هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) بدء أمره ثم (قال من يحيي العظام وهي رميم) بالية ولم يقل رميمة لانه معدول عن فاعلة وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن أخواته كقوله وما كانت أمك بغيا أسقط الهاء لانها كانت مصروفة عن باغية (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها (أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ والاخرى العفار فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار باذن الله عز وجل تقول العرب في كل شجر نارا واستمجد المرخ والعفار وقال الحكماء في كل شجر نارا الا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر)

من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون في النار (فلا يحزنك قولهم) يعني قول كفار مكة في تكذيبك يا محمد (انا نعلم ما يسرون) أي في ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) أي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بألسنتهم من الاذى * قوله تعالى (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) أي من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) أي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث وكيف لا يتفكر في بدء خلقه وأنه من نطفة قذرة ويدع الخصومة نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده وقال أترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فأنزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) أي بدء أمره (قال من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسي أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي خلقها أول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أي من الابتداء والاعادة (عليم) أي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المبدأ والمعاد (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضي الله عنهما هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نارا واستمجد المرخ والعفار أي اسكثر امنها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) أي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أي هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعني يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أي بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيئا) أي احداث شيء وتكوينه (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) أي فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) أي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه (واليه ترجعون) أي تردون بعد الموت والله أعلم

﴿ تفسير سورة والصافات مكية ﴾

وهي مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

(بسم

قرأ يعقوب يقدر بالياء على الفعل (على أن يخلق مثلهم بلى) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) يخلق خلقا بعد خلق (العليم) بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت) أي ملك (كل شيء واليه ترجعون) أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو الطاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان حدثنا علي بن الحسين الدارابجردي حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم سورة يس ورواه محمد بن العلاء عن ابن المبارك وقال عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار

﴿ سورة الصافات مكية وهي مائة وثمانون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والصافات صفا) قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وقتادة هم الملائكة فى السماء يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة أخبرنا عمر بن عبد العزيز الفاشانى أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمى أخبرنا أبو على محمد بن العلاء أحمد اللؤلؤى حدثنا أبو داود سليمان بن الاشعث حدثنا عبد الله بن محمد النفيلى حدثنا زهير قال سألت سليمان الاعمش عن حديث جابر بن سمرة فى الصفوف المقدمة فحدثنا عن المسيب بن رافع بن طرفة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون فى الصف وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريده وقيل هى الطيور دليله قوله تعالى والطير صافات قوله تعالى (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقال قتادة هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبائح (فالتاليات ذكرا) هم الملائكة يتلون ذكر الله عز وجل وقيل هم جماعة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف لفظ أبى داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها فى الهواء (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعنى الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك أن كفار مكة قالوا أجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعنى أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك * وقوله (ورب المشارق) قيل أراد والمغارب فاكتفى بأحدهما قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب * فان قلت قد قال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات * قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد مشارق الكواكب * قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الارض وهى أدنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلالئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) أى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لا يسمعون الى الملأ الاعلى) يعنى الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك أن الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الانس

قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله تعالى به وجواب القسم قوله (ان الهكم لواحد) وقيل فيه اضمار أى ورب الصافات والزاجرات والتاليات وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله بهؤلاء (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) أى مطالع الشمس فان قيل قد قال فى موضع رب المشارق والمغارب وقال فى موضع رب المشرقين ورب المغربين وقال فى موضع رب المشرق والمغرب فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات قيل أما قوله رب المشرق والمغرب أراد به جهة المشرق وجهة المغرب وقوله رب المشرقين ورب المغربين أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف وأراد بالمغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف وقوله برب المشارق والمغارب أراد الله تعالى انه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة فى المشرق وثلثمائة وستين كوة فى المغرب على عدد أيام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب فى كوة منها لا ترجع الى الكوة التى تطلع الشمس منها من ذلك اليوم الى العام المقبل فهى المشارق والمغارب وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب كأنه أراد رب جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) قرأ عاصم برواية أبى بكر بزينة منونة الكواكب نصب أى بتزييننا الكواكب وقرأ حمزة وحفص بزينة منونة الكواكب خفضا على البدل أى بزينة بالكواكب أى زينا ها بالكواكب وقرأ الآخرون بزينة الكواكب بلا تنوين على الاضافة قال ابن عباس بضوء الكواكب (وحفظا) أى وحفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) متمرد يرمون بها (لا يسمعون) قرأ حمزة والكسائى وحفص يسمعون بتشديد السين والميم أى لا يتسمعون فأدغمت التاء فى السين وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم (الى الملأ الاعلى) أى الى الكتبة من الملائكة والملأ الاعلى هم الملائكة لانهم فى السماء ومعناه انهم لا يستطيعون الاستماع الى الملأ

الا على (و يقذفون) يرمون (من كل جانب) من كل آفاق السماء بالشهب (دحورا) يبعدونهم عن مجالس الملائكة وهو مصدر دحروه دحورا اذا طردوه وأبعده (ولهم عذاب واصب) دائم قال مقاتل دائم الى النفخة الاولى لانهم يحرقون و يتخبلون (الا من خطف الخطفة) اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة (فأتبعه) لحقه (شهاب ثاقب) كوكب مضيء قوى لا يخطئه يقتله أو يحرقه أو يخبله وانما يعودون الى استراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون اليه طمعا فى السلامة ونيل المراد كراكب السفينة قال عطاء سمى النجم الذى يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم (فاستفتهم) يعنى سلهم يعنى أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى من السموات والارض والجبال وهذا استفهام بمعنى التقرير أى هذه الاشياء أشد خلقا كما قال لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال أأنتم أشد خلقا أم السماء وقيل أم من خلقنا يعنى من الامم الخالية لان من يذكر فيمن يعقل يقول ان هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب

ثم ذكر خلق الانسان فقال (انا خلقناهم من طين لازب) يعنى جيد حر لاصق يعلق باليد ومعناه اللازم أبدل الميم باء كانه يلزم اليد وقال مجاهد والضحاك من نتن (بل عجبت) قرأ حمزة والكسائى بضم التاء وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الآدميين كما قال فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال عز وجل نسوا الله فنسيهم والعجب من الآدميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وجاء فى الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شئ ولكن وافق رسوله لما عجب رسوله فقال وان تعجب فعجب قولهم لمبعوثون

أى هو كما تقوله وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم أى عجبت من تكذيبهم اياك (و يسخرون) يعنى وهم يسخرون من تعجبك قال قتادة عجب النبى صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بنى آدم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به فعجب من ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت و يسخرون (واذا ذكروا لا يذكرون) يعنى اذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس ومقاتل يعنى انشقاق القمر (يستسخرون) يسخرون و يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم عن بعض السخرية (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) يعنى سحر بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

و يوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (و يقذفون) أى يرمون بها (من كل جانب) أى آفاق السماء (دحورا) أى يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) أى دائم (الا من خطف الخطفة) أى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فأتبعه) أى لحقه (شهاب ثاقب) أى كوكب مضيء قوى لا يخطئه بل يقتله و يحرقه أو يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم * فان قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين الى حيث يعلمون أن الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك * قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة * وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعنى سل أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير أى هذه الاشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى أن هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر خلقهم فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعنى آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان العجب من الناس محمول على انكار الشئ وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفى حديث آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من الكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شئ ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أى هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبى الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بنى آدم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت و يسخرون (واذا ذكروا لا يذكرون) أى واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعنى انشقاق القمر (يستسخرون) أى يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى أن يسخر (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أى بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

لمبعوثون أوآباؤنا الاولون) أي وآباؤنا الاولون (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون والدخور اشد الصغار (فانما هي) أي قصة البعث أو القيامة (زجرة) أي صيحة (واحدة) يعني نفخة البعث (فاذا هم ينظرون) أحياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) أي يوم الحساب و يوم الجزاء (هذا يوم الفصل) يوم القضاء وقيل يوم الفصل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا) أي أشركوا جمعوهم الى الموقف للحساب والجزاء (وأزواجهم) أشياعهم وأتباعهم وأمثالهم قال قتادة والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقال الضحاك ومقاتل وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال الحسن وأزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) في الدنيا يعني الاوثان والطواغيت وقال مقاتل يعني ابليس وجنوده واحتج بقوله أن لا تعبدوا الشيطان (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقال ابن كيسان قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا (وقفوهم) واحبسوهم يقال وقفته وقفا فوقف وقوفا قال المفسرون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط لان السؤال عند الصراط فقيل وقفوهم (انهم مسؤلون)

قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم وروى عنه عن لا اله الا الله وفي الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام قال لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم (مالكم لا تناصرون) أي لا تتناصرون يقال لهم توبيخا مالكم لا ينصر بعضكم بعضا يقول لهم خزنة النار هذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع له والمعنى

لمبعوثون أوآباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون) أي صاغرون (فانما هي زجرة واحدة) أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث (فاذا هم ينظرون) يعني أحياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا) أي اجمعوا (الذين ظلموا) أي أشركوا وقيل هو عام في كل ظالم (وأزواجهم) أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس أي دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أي احبسوهم (انهم مسؤلون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويروى عنه عن لا اله الا الله وروى عن أبي برزة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما (١) أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذي وله عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون (مالكم لا تناصرون) أي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعني الرؤساء والاتباع (يتساءلون) يعني يتخاصمون (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) يعني من قبل الدين فتضلونا وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بأيمانكم وقيل عن اليمين أي عن العزة والقدرة والقول الاول أصح (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) يعني لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) يعني من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) يعني ضالين (فحق علينا) يعني وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعني

هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) أي الرؤساء والاتباع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أي الاتباع للرؤساء (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي من قبل الدين فتضلونا عنه وتروننا ان الدين ما تضلوننا به قاله الضحاك وقال مجاهد عن الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما أخبر الله تعالى عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق وقال بعضهم كان الرؤساء يحلفون لهم ان ما يدعونهم اليه هو الحق فمعنى قوله تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الايمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها وقيل عن اليمين أي عن القوة والقدرة كقوله لاخذنا منه باليمين والمفسرون على القول الاول (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه أي انما الكفر من قبلكم (وما كان لنا عليكم من سلطان) من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) ضالين (فحق) وجب (علينا) جميعا (قول ربنا) يعني كلمة العذاب وهي قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

(١) قوله فيما أفناه الخ كذا في النسخ باثبات ألفي ما الاستفهامية وهو قليل

(انالذائقون) العذاب أى ان الضال والمضل جميعا فى النار (فاغوينا كم) فاضللنا كم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) ضالين قال الله (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون النبى صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ردا عليهم (بل جاء) محمد (بالحق وصدق المرسلين) أى انه أتى بما أتى به المرسلون قبله (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك (الا عباد الله المخلصين) الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا كما قال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (فواكه) جمع الفاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وهى كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت (وهم مكرمون) بثواب الله (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) لا يرى بعضهم قفا بعض (يطاف عليهم بكأس) اناء فيه شراب ولا يكون كاسا حتى يكون فيه شراب والا فهو اناء (من معين) خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) قال الشعبى لا تغتال عقولهم فتذهب بها قال الكلبى اثم وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال أهل المعانى الغول فساد يلحق فى خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا فسد عليه أمره فى خفية وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقىء والبول ولا يوجد شىء من ذلك فى خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) قرأ حمزة والكسائى ينزفون بكسر الزاى وافقهما عاصم فى الواقعة وقرأ الآخرون بفتح الزاى فيهما فمن فتح الزاى فمعناه لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف اذا سكر ومن كسر الزاى فمعناه لا ينفد شرابهم يقال أنزف الرجل فهو منزف اذا فنيت خمره (وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الاعين غاضات الجفون قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (عين) أى حسان الاعين يقال رجل أعين وامرأة عيناء ورجال ونساء عين (كأنهن بيض) جمع البيضة (مكنون) مصون مستور وانما ذكر المكنون والبيض جمع لانه رده الى اللفظ قال الحسن شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها فلونها أبيض فى صفرة ويقال هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة بيضاء مشربة صفرة والعرب تشبهها ببيض النعامة

متقابلين

بيض

(فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعنى أهل الجنة فى الجنة يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) يعنى من أهل الجنة (انى كان لى قرين) فى الدنيا ينكر البعث قال مجاهد كان شيطانا وقال الآخرون كان من الانس وقال مقاتل كانا أخوين وقال الباقون كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما فى سورة الكهف فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكار (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل أنتم مطلعون) الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار لننظر كيف منزلة أخى فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) قال ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها (١٩) الى النار فاطلع هذا المؤمن (فرآه فى سواء الجحيم) فرأى قرينه فى وسط النار وانما سمى وسط الشئ سواء لاستواء الجوانب منه (قال) له (تالله ان كدت لتردين) والله لقد كدت أن تهلكنى قال مقاتل والله لقد كدت أن تغوينى ومن أغوى انسانا فقد أهلكه (ولولا نعمة ربى) رحمته وانعامه على بالاسلام (لكنت من المحضرين) معك فى النار (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قال بعضهم يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت أفما نحن بميتين فتقول لهم الملائكة لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وقيل انما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لا يموتون ولا يعذبون وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون)

ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض فى صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن ببيضات الخدور * قوله عز وجل (فأقبل بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة (انى كان لى قرين) أى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) أى بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل أنتم مطلعون) أى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون أى لننظر كيف منزلة أخى فى النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) أى المؤمن قال ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) أى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشئ سواء لاستواء الجوانب منه (قال تالله ان كدت لتردين) أى والله لقد كدت أن تهلكنى وقيل تغوينى ومن أغوى انسانا فقد أرداه وأهلكه (ولولا نعمة ربى) أى رحمة ربى وانعامه على بالاسلام (لكنت من المحضرين) أى معك فى النار (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) أى فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) أى المنزل والنعيم الذى ذكره فى قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب فى ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته * قوله تعالى (أذلك) أى الذى ذكر لاهل الجنة من النعيم (خير نزلا) أى رزقا (أم شجرة الزقوم) التى هى نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهة وقيل هى شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر (انا جعلناها فتنة للظالمين) أى للكافرين وذلك انهم قالوا كيف تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أبو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى فى قعر النار وأغصانها ترتفع

أى لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذى ذكره من قوله أولئك لهم رزق معلوم الى فليعمل العاملون (أذلك) أى ذلك الذى ذكر لاهل الجنة (خير نزلا أم شجرة الزقوم) التى هى نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهية ومنه قولهم تزقم الطعام اذا تناوله على كره ومشقة (انا جعلناها فتنة للظالمين) للكافرين وذلك انهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر فأدخلهم أبو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) قعر النار وقال الحسن أصلها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها

(طلعها) ثمرها سمى طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس رضى الله عنهما هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها لان الناس اذا وصفوا شيأ بغاية القبح قالوا كأنه شيطان وان كانت الشياطين لا ترى لان قبح صورتها متصور في النفس وهذا معنى قول ابن عباس والفرظي وقال بعضهم أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا وقيل هي شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البادية تسميها العرب رؤس الشياطين (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) والملء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه (ثم ان لهم عليها لشوبا) خلطا ومزاجا (من حميم) من ماء حار شديد الحرارة يقال انهم اذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوبا له (ثم ان مرجعهم) بعد شرب الحميم (لالى الجحيم) وذلك انهم (٢٠) يوردون الحميم ليشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الابل الماء ثم يردون الى الجحيم يدل عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن وقرأ ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى الجحيم (انهم ألفوا) وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) يسرعون قال الكلبي يعملون مثل أعمالهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) من الامم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) الموحدين نجوا من العذاب (ولقد نادانا نوح) دعا به على قومه فقال اني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) نحن يعني أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) النغم العظيم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح روى الضحاك عن ابن عباس قال لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم قال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وماهنالك (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) أي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزي المحسنين) أي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار * قوله عز وجل (وان من شيعته) أي من شيعة نوح (لابراهيم) يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك وقيل

الى دركاتها (طلعها) أي ثمرها سمى طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين بأعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس * فان قلت قد شبهها بشئ لم يشاهد فكيف وجه التشبيه * قلت انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكأنه قيل ان أقبح الاشياء في الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا رأت منظرا قبيحا قالت كانه رأس شيطان قال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا (فانهم لآكلون منها) أي من ثمرها (فمالئون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) أي خلطا ومزاجا (من حميم) أي من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم (انهم ألفوا) أي وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) أي من الامم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) أي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين * قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أي دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون) نحن أي دعانا فأجبناه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من النغم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفي رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وماهنالك (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) أي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزي المحسنين) أي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار * قوله عز وجل (وان من شيعته) أي من أهل دينه وملته وسنته (لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك

(اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) يعنى أتأفكون افكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله (فما ظنكم برب العالمين) اذ الفيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد ان يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم ألا تخرج غدا معنا الى عيدنا فنظر الى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما قال الحسن مريض وقال مقاتل وجع وقال الضحاك سأسقم (فتولوا عنه مدبرين) الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها كما قال الله تعالى (فراغ الى آلهتهم) مال اليها ميلة فى خفية ولا يقال راغ (٢١) حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه

من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى أتأفكون افكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعنى اذ الفيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم ألا تخرج معنا الى عيدنا فنظر فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس أى مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متسالم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) أى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أى مال (الى آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) أى للاصنام استهزاء بها (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيديكم (ما لكم لا تنطقون فراغ) أى مال (عليهم ضربا باليمين) أى ضربهم بيده اليمنى لانها أقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لاكيدن أصنامكم (فأقبلوا اليه) يعنى الى ابراهيم (يزفون) أى يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنيع ابراهيم بآلهتهم فأسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) أى بأيديكم من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) أى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الاصنام وفى الآية دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى (فأرادوا به كيدا) أى شرا وهو أن يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) يعنى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر الى ربى وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سيهدين) أى الى حيث أمرنى بالمصير اليه وهو أرض الشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) يعنى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش ويبتهى فى السن حتى يوصف

وبحيثه (فقال) استهزاء بها (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيديكم (ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين) أى كان يضربهم بيده اليمنى لانها أقوى على العمل من الشمال وقيل باليمين أى بالقوة وقيل أراد به القسم أى بالقسم الذى سبق منه وهو قوله وتالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) يعنى الى ابراهيم (يزفون) يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنيع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه قرأ الاعمش وحمزة يزفون بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان وقيل بضم الياء أى يحملون دوابهم على الجد والاسراع (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) يعنى ما تنحتون بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) بأيديكم من الاصنام

وفيه دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) معظم النار قال مقاتل بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها (فأرادوا به كيدا) شرا وهو أن يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) أى المقهورين حيث سلم الله تعالى ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر الى ربى والمعنى أهجر دار الكفر وأذهب الى مرضات ربى قاله بعد الخروج من النار كما قال انى مهاجر الى ربى (سيهدين) الى حيث أمرنى بالمصير اليه وهو الشام قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) يعنى هب لى ولدا صالحا من الصالحين (فبشرناه بغلام حليم) قيل بغلام فى صغره حليم فى كبره ففيه بشارة انه نبى وانه يعيش فينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم

(فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس وقتادة يعنى المشى معه الى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس لما شب حتى بلغ سعيه سعى ابراهيم والمعنى بلغ ان يتصرف بمعه ويعينه فى عمله قال الكلبى يعنى العمل لله تعالى وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد قالوا هو العبادة لله تعالى واختلفوا فى سنه قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين قوله تعالى (قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك) واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى وهى رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قالوا وكانت هذه القصة بالشأم وروى عن سعيد بن جبير قال أرى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة وطويت له الاودية والجبال وقال آخرون هو اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب والشعبى والحسن البصرى ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى وهى رواية عطاء بن أبى رباح ويوسف بن ماهك عن

بالحلم * قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع ابراهيم والمعنى بلغ ان يتصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك) قيل انه لم ير فى منامه انه ذبحه وانما أمر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيأ فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشأم وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء بن أبى رباح ويوسف ابن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى أمر بذبح من بشر به وليس فى القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح وبما ذكر أيضا فى كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بأن الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال فى سورة

ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذهب الى ان الذبيح اسحق احتج من القرآن بقوله فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى أمر بذبح من بشر به وليس فى القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن ذهب الى انه اسمعيل احتج بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين دل على ان المذبوح غيره وأيضا قال الله تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما بشره باسحق بشره بابنه

يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة منه قال القرظى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا كان من علماء اليهود أسلم وحسن اسلامه أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله تعالى بذبحه ويزعمون انه اسحق بن ابراهيم ومن الدليل عليه ان قرنى الكبش كانا منوطين بالكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت واحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وعن ابن عباس قال والذى نفسى بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس قال الاصمعى سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه وأما قصة الذبح قال السدى لما دعا ابراهيم فقال رب هب لى من الصالحين وبشره قال هو الله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب فى أمر الله تعالى اياه بذبح ابنه فقال عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا لله تعالى فاخذ سكينا وحبلا فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك

هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرطبى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه أى ابنى ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أباكم هو الذى أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق أبوهم ومن الدليل أيضا أن قرنى الكبش كانا معلقين على الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى أن احترق البيت فى زمن ابن الزبير قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذى نفسى بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس وقال الاصمعى سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح أإسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم

﴿ ذكر الاشارة الى قصة الذبح ﴾ قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لى من الصالحين وبشر به قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب فى امر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فأخذ سكينا وحبلا وانطلقا معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زارها جروا سمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر فى المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى نفسه أى فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى فى المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمى ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك (فانظر ماذا ترى) اى من الرأى على وجه المشاورة * فان قلت لم شاوره فى امر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة فى ذلك * قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله * فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك * قلت ان هذا الامر كان فى نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد فى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم بأحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق (قال يا أبت افعل ما تؤمر) يعنى قال الغلام لابيه افعل ما أمرت به قال ابن اسحق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى الشعب أخبره بما امره الله به فقال افعل ما تؤمر (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فلما أسلما) يعنى انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجبين) يعنى صرعه على الارض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض فلما

وتعظيم حرماته أمر فى المنام أن يذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى فى نفسه أى فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحكم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى فى المنام ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عز وجل فمن ثم سمى يوم عرفة قال مقاتل رأى ذلك ابراهيم ثلاث ليال متواليات فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قرأ حمزة والكسائى ترى بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير وانما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته وقرأ العامة بفتح التاء والراء الا أبا عمرو فانه يميل الراء قال له ابنه يا أبت افعل ما تؤمر وقال ابن اسحق وغيره فلما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية ننطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما أمر قال يا أبت افعل ما تؤمر (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما) انقادا

وخضعا لامر الله تعالى قال قتادة أسلم ابراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجبين) أى صرعه على الارض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض والجبهة بين الجبينين قالوا فقال له ابنه الذى أراد ذبحه يا أبت اشده رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح

ابن عباس هو ابن عم اليسع قال محمد بن اسحق هو الياس بن يشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وقال أيضا محمد بن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي صلى الله عليه وسلم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء من بني اسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة و بنو اسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فأحل سبطا منهم ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له آجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الاصنام وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة وجوه فجعل الياس يدعوهم الى الله عز وجل وهم لا يسمعون منه شيأ الا ما كان من أمر الملك فانه صدقه وآمن به فكان الياس يقوم أمره و يسدده و يرشده وكان لآجب الملك هذا امرأة يقال لها ازبيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها وكانت تبرز للناس وتقضي بين الناس وكانت قتالة الانبياء يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بدها ثلاثة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني اسرائيل وقتلت كلهم بالاغتيال وكانت معمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا وكان لآجب هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها و يقبل على عمارتها ومرمتها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها و يأكلان و يشربان و يقيلان فيها وكان آجب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي و يحسن اليه

وامرأته ازبيل تحسده لاجل تلك الجنينة وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها و يتعجبون من حسنها وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته ازبيل ذلك فجمعت جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي انه سب زوجها آجب فاجابوها اليه وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا قامت عليه البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغني انك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه وآلى بالزور فأمرت بقتله وأخذت جنينته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان فأحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فخنتمت أمره بأسوأ الجوار فقالت انما غضبت وحكمت بحكمك فقال لها أوما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره قالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس الى آجب الملك وقومه وأمره أن يخبرهم ان الله تعالى قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما و يردا الجنينة على ورثة مزدكي أن يهلكهما يعني آجب وامرأته في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبره بما أوحى الله تعالى اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعو اليه الا باطلا وما أرى فلانا وفلانا سمى ملوكا منهم قد عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون و يتمتعون ممكنين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم انه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل قال وهم الملك بتعذيب الياس وقتله فلما أحس الياس بالشر والمكر به رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل وارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه و يقال انه بقي سبع سنين شريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره فلما تم سبع سنين أذن الله تعالى باظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمر الله عز وجل إبليس وكان أحب ولده اليه وأشبههم به فأدنى حتى يئس منه فدعا صنمه

﴿ذكر الاشارة الى القصة﴾ قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل و يتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه و يبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بأمره و يسدده و يرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فأخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وأمره أن يخبرهما ان الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما

بعل وكانوا قد نصبوا بعل وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم والأربعمائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس اليهم الشيطان بشريعة من الضلالة فيبينونها للناس فيعملون بها ويسمونهم أنبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب اليهم الملك ان يتشفعوا الى بعل ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج في جوفه وهم مجتهدون في التضرع اليه فلما طال عليهم ذلك قالوا لا عجب ان في ناحية الشام آلهة أخرى فابعث اليها أنبياءك فلعلها تشفع لك الى الهك بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لاجابك قال ومن أجل ماذا غضب علي وأنا أطيعه قالوا من أجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سليما وهو كافر بالهك قال آجب وكيف لي أن أقتل الياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفي ابني لفرغت لطلبه حتى أجده فاقتله فارضى الهي ثم انه بعث أنبياءه الاربعمائة الى الآلهة التي بالشام يسألونها ان تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلمهم وقال الله له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله تعالى أرسلني اليكم والى من ورائكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا آجب اني أنا الله لا اله الا أنا اله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فجهلك وقلة علمك حملك على ان تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لانفسهم شيأ الا ماشئت اني حلفت باسمي لاغضبنك في ابنك ولاميتنه في فوره غدا حتى تعلم ان أحدا لا يملك له شيأ دوني فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملؤا منه رعبا فلما صاروا الى الملك أخبروه بان الياس قد انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال

وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكني الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فأوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي أعري منك الارض وأهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد ان أعطيك قال تملكني خزائن

قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له في قلوبنا الهيبة والرعب فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على ان نكلمه ونراجعه حتى رجعنا اليك وقصوا عليه كلام الياس فقال آجب لا ننتفع بالحياة ما كان الياس حيا وما يطاق

الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه ذوي القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال له والاغتيال به وان يطمعوه في انهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليستنهم اليهم ويغتربهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه الياس ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا آجب وجميع قومنا وأنت آمن على نفسك وجميع بني اسرائيل يقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت فآمنا بك وأجبناك الى ما دعوتنا فهلم الينا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا فانا ننقاد لما أمرتنا وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا مع ايماننا وطاعتنا فارجع الينا وكل هذا منهم مكرة وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقعت في قلبه وطمع في ايمانهم وخاف الله ان هو لم يظهر لهم فالهمه الله التوقف والدعاء فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فاذن لي في البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم فلما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعون قال وبلغ آجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء واحتال ثانيا في أمر الياس وقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأي فاقبلوا حتى توقلوا أي صعدوا قلل تلك الجبال متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوانه انا لسنا كالذين أتوك قبلنا وان أولئك فرقة نافقوا فصاروا اليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم فالآن قد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم وأنتقم لك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غضبا على غضب وأراد ان يخرج في طلب الياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك

ابن عباس هو ابن عم اليسع قال محمد بن اسحق هو الياس بن يشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وقال أيضا محمد بن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي صلى الله عليه وسلم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء من بني اسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة و بنو اسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فأحل سبطا منهم ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له آجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الاصنام وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة وجوه فجعل الياس يدعوهم الى الله عز وجل وهم لا يسمعون منه شيأ الا ما كان من أمر الملك فانه صدقه وآمن به فكان الياس يقوم أمره و يسدده و يرشده وكان لآجب الملك هذا امرأة يقال لها ازيبل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها وكانت تبرز للناس وتقضي بين الناس وكانت قتالة الانبياء يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني اسرائيل وقتلت كلهم بالاغتيال وكانت معمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا وكان لآجب هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها و يقبل على عمارتها ومرمتها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها و يأكلان و يشربان و يقيلان فيها وكان آجب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي و يحسن اليه (٢٦) وامرأته ازيبل تحسده لاجل تلك الجنينة وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها و يتعجبون من حسنها وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته ازيبل ذلك فجمعت جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي انه سب زوجها آجب فاجابوها اليه وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا قامت عليه البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغني انك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه وآلى بالزور فأمرت بقتله وأخذت جنينته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان فأحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فختمت أمره بأسوأ الجوار فقالت انما غضبت وحكمت بحكمك فقال لها أوما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره قالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس الى آجب الملك وقومه وأمره أن يخبرهم ان الله تعالى قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما و يردا الجنينة على ورثة مزدكي أن يهلكهما يعني آجب وامرأته في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبره بما أوحى الله تعالى اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعو اليه الا باطلا وما أرى فلانا وفلانا سمى ملوكا منهم قد عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون و يتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم انه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل قال وهم الملك بتعذيب الياس وقتله فلما أحس الياس بالشر والمكر به رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل وارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه و يقال انه بقي سبع سنين شريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره فلما تم سبع سنين أذن الله تعالى باظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله عز وجل ابنا لاجب وكان أحب ولده اليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه

﴿ذكر الاشارة الى القصة﴾ قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل و يتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه و يبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بأمره و يسدده و يرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فأخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وأمره أن يخبرهما ان الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما

بعلا وكانوا قد فتنوا بحبه وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم والاربعمائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس اليهم الشيطان بشريعة من الضلالة فيبينونها للناس فيعملون بها ويسمونهم أنبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب اليهم الملك ان يتشفعوا الى بعل ويطلبوا الابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج في جوفه وهم مجتهدون في التضرع اليه فلما طال عليهم ذلك قالوا لا عجب ان في ناحية الشام آلهة أخرى فابعث اليها أنبياءك فلعلها تشفع لك الى الهك بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لاجابك قال ومن أجل ماذا غضب علي وأنا أطيعه قالوا من أجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سليما وهو كافر بالهك قال آجب وكيف لي أن أقتل الياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلوعوفي ابني لفرغت لطلبه حتى أجده فاقتله فارضى الهي ثم انه بعث أنبياءه الاربعمائة الى الآلهة التي بالشام يسألونها ان تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلمهم وقال الله له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله تعالى أرسلني اليكم والى من ورائكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا آجب انى أنا الله لا اله الا أنا اله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فجهلك وقلة علمك حملك على ان تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لانفسهم شيأ الا ماشئت انى حلفت باسمي لاغضبنك في ابنك ولاميتنه في فوره غدا حتى تعلم ان أحدا لا يملك له شيأ دوني فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملؤا منه رعبا فلما صاروا الى الملك أخبروه بان الياس قد انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال

وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فأوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي أعري منك الارض وأهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد ان أعطيك قال تملكني خزائن

قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له في قلوبنا الهيبة والرعب فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على ان نكلمه ونراجعه حتى رجعنا اليك وقصوا عليه كلام الياس فقال آجب لا ننتفع بالحياة ما كان الياس حيا وما يطاق

الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه ذوي القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال له والاغتيال به وان يطمعوه في انهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليستنهم اليهم ويغتر بهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه الياس ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا آجب وجميع قومنا وأنت آمن على نفسك وجميع بني اسرائيل يقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت فآمنا بك وأجبناك الى ما دعوتنا فهلم الينا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا فانا ننقاد لما أمرتنا وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا مع ايماننا وطاعتنا فارجع الينا وكل هذا منهم مكرة وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقعت في قلبه وطمع في ايمانهم وخاف الله ان هو لم يظهر لهم فالهمه الله التوقف والدعاء فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فاذن لي في البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم فلما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعون قال وبلغ آجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء واحتال ثانيا في أمر الياس وقيض له فئة أخرى مثل عددأولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأي فاقبلوا حتى توقفوا أي صعدوا اقلل تلك الجبال متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين أتوك قبلنا وان أولئك فرقة نافقوا فصاروا اليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم فالآن قد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم وأنتقم لك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غضبا على غضب وأراد ان يخرج في طلب الياس بنفسه الا انه ثناه عن ذلك

مرض ابنه فلم يمكنه فوجه نحو الياس المؤمن الذي هو كاتبه أمر أنه رجاء ان يأنس به الياس فينزل معه وأظهر للكاتب انه لا يريد الياس سوأ وانما أظهر له لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مثنيا عليه لما هو عليه من الكفاية والامانة وسداد الرأي فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وأوعز الى الفئة دون الكاتب ان يوثقوا الياس ويأتوا به ان أراد التخلف عنهم وان جامع الكاتب واتبعه لم يروعوه ثم أظهر مع الكاتب الانابة وقال له انه قد آن لي ان أتوب وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فنهلك بدعوته فانطلق اليه واخبره انا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضاء ربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا وأمر قومه فاعتزلوا الاصنام وقال له أخبر الياس انا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبدها وأرجينا أمرها حتى ينزل الياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها بيده وكان ذلك مكرا من الملك فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذي فيه الياس ثم ناداه فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وكان مشتاقا الى لقائه فاوحى الله تعالى اليه أن ابرز الى أخيك الصالح فالقه وجدد العهد فبرز اليه وسلم عليه وصافحه وقال ما الخبر فقال المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغي وقومه وقص عليه ما قالوا ثم قال له واني لخائف ان رجعت اليه ولست معي أن يقتلني فمرني بما شئت أفعله ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت ترسلني اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا رشدا وفرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى الى الياس ان كل شيء صانعك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان أعجب ان أخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اتهمه وعرف انه قد داهن في أمرك فلم يأمن أن يقتله فانطلق معه فاني سأشغل عنكما أعجب فاضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع عنه قال فانطلق معهم حتى قدموا على أعجب فلما قدموا شدد الله تعالى الوجع على ابنه وأخذ الموت بكظمه فشغل الله تعالى بذلك أعجب وأصحابه عن الياس فرجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن أعجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب الذي جاءه فقال له ليس لي به علم شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك الا قد استوثقت منه فاعرض عنه أعجب وتركه لما فيه من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من الكون في الجبال واشتاق الى الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بامرأة من بني اسرائيل وهي أم يونس بن متى ذي النون استخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع فكانت أم يونس تخدم بنفسها وتواسيه بذات يدها ثم ان الياس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسحة الجبال فاحب اللحوق بالجبال فخرج وعاد الى مكانه فجزعت أم يونس لفراقه فاوحشها فقده ثم لبث الا يسيرا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه فوجدته وقالت له اني قد فجعت بعدك لموت ابني فعظمت فيه مصيبتي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره فارحمني وادع لي ربك جل جلاله ليحيي لي ابني واني قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني ربي فجزعت المرأة وتضرعت فاعطف الله تعالى قلب الياس لها فقال لها متى مات ابنك قالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى الى منزلها فوجدا ابنها ميتا له أربعة عشر يوما فتوضأ وصلى ودعا فاحيا الله تعالى يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وتركه وعاد الى موضعه فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك الياس ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف يجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أنا الذي على وحي وخلقتي في أرضي وصفوتي من خلقي فبنفسي أقسمت لآتينهم بالعذاب الذي لا يرد عن القوم المجرمين قال تعالى وتقدست أسماؤه اني قد

(٢٨)

السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فمست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي ولكن أعطيك ثارك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأي شيء أعيش يا رب قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فأمسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه بوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه أوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر وأسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس

ما أعصى بني اسرائيل وطغى فأوحى الله تعالى اليه يا الياس اهذا اليوم الذي أغرى سنك الارض وأهلها وانما قولهما وصلاحها بك وباشباهك
وان كنتم خليلا ولكن سلني فأعطك قال الياس ان لم تمنني فأعطني ناري من بني اسرائيل قال الله تعالى فأي شيء تريد أن أعطيك قال تمكني من
خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس أنا أرحم
بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال لي خمس سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك ولكني أعطيك نارك
ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأي شيء أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل اليك طعامك وشرابك من الريف
والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت قال فامسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس
جهدا شديدا والياس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان وقد عرف ذلك قومه وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا
لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرا قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها
هل عندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك
عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته فعرفوه فقالوا لذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه أوى الى
بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضرفاوته وأخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس
فآمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيث ماذهب وكان الياس قد أسن فكبر واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد أهلكت
كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون والله أعلم ان الياس قال يارب دعني أكن

الياس أنك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر
فيزعمون أن الياس قال يارب دعني أكن أنا الذي أدعوهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون
عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا
وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون أن
تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم
ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم
ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد أهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت
سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله عز وجل عليهم
المطر وأغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا
على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم
كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان
بالموضع الذي أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق به

أنا الذي أدعوهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا لا الياس انا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا فدعا لهم الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم وأحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا وكذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر أقبل فرس من نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به فنادى اليسع يا الياس مرني بأمرك فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل فكان ذلك آخر العهد به فرفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكساه الريش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته ازبيل في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بايت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى الى اليسع وأيده فآمنت به بنو اسرائيل فكانوا يحكمون به وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع وروى المرزبي بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال الخضر والياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالقيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين

(اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون) أتعبدون (بعلا) وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قال ابن عباس وعكرمة وقتادة البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب الله ربكم ورب بنصب الهاء والباءين على البدل وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف (فكذبوه فانهم لمحضرون) في النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) قرأ نافع وابن عامر آل ياسين بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لانها في المصحف مفصولة وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة فمن قرأ آل يس مقطوعة قيل أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول بعيد لانه لم يسبق له ذكر وقيل أراد الياس والقراءة المعروفة بالوصل

واختلفوا فيه فقد قيل الياسين لغة في الياس مثل اسمعيل واسمعين وميكائيل وميكائين وقال الفراء هو جمع أراد الياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين فيكون بمنزلة الاشعرين والاعجمين بالتخفيف وفي حرف عبد الله بن مسعود سلام على ادراسين أي ادريس وأتباعه لانه يقرأ وان ادريس لمن المرسلين (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين) أي الباقين في العذاب (ثم دمرنا الآخرين) والتدمير الاهلاك (وانكم لتمرون عليهم) على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) وقت الصباح (وبالليل) يريد تمرون بالنهار وبالليل عليهم اذا ذهبتم الى أسفاركم ورجعتم (أفلا تعقلون) فتعتبرون قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين) أي من جملة رسل الله (اذ أبق الى الفلك المشحون) يعني هرب قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس فقال يونس أنا الآبق وزج نفسه في الماء وروى في القصة انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الاصغر فبقي فريدا فجاء مركب آخر فركبه فقصد ناحية من القوم فلما سارت السفينة في البحر ركدت فاقترعوا وقد ذكرنا القصة في سورة يونس فذلك قوله عز وجل

الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامر أنه ازبيل في الجنينة التي اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل وأوحى اليه وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع روى السدي عن يحيى بن عبد العزيز عن أبي رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوفيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا) يعني أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أي وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون) أي في النار (الا عباد الله المخلصين) أي من قومه الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد وقرأ الياسين بالوصل ومعناه الياس وأتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) * قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين) أي الباقين في العذاب (ثم دمرنا الآخرين وانكم) أي يا أهل مكة (لتمرون عليهم) أي على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) أي في وقت الصباح (وبالليل) أي وبالليل في أسفاركم (أفلا تعقلون) أي فتعتبرون بهم * قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) أي من جملة رسل الله تعالى (اذ أبق) أي هرب (الى الفلك المشحون) أي المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهي تقع على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه في الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة

(فساهم) فقارع والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) أى المقروعين (فالتقمه الحوت) ابتلعه (وهو مليم) آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقال الضحاك شكر الله تعالى له طاعته القديمة وقيل فلولا انه كان من المسبحين فى بطن الحوت قال سعيد بن جبير يعنى قوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) يعنى على وجه الارض قال السدى بالساحل والعراء الارض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل كالفرخ المعمط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة واختلفوا فى مدة لبثه فى بطن الحوت فقال مقاتل بن حبان ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدى والكلبى ومقاتل بن سليمان أربعين يوما وقال الشعبى التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه) أى له وقيل عنده (شجرة من يقطين) يعنى القرع على قول جميع المفسرين وقال الحسن ومقاتل كل نبت يمد وينبسط على وجه الارض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين قال مقاتل بن حبان فكان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزنا شديدا وأصابه أذى الشمس فجعل يبكى فبعث الله تعالى اليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك وقد أسلموا وتابوا فان قيل قال ههنا فنبذناه بالعراء وقال فى موضع آخر لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء فهذا يدل على انه لم ينبذ قيل لولا هناك يرجع الى الذم معناه لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ولكن تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم قوله (وأرسلناه الى مائة ألف) قال قتادة أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه وقوله وأرسلناه أى وقد أرسلناه وقيل كان ارساله بعد خروجه من بطن الحوت اليهم وقيل الى قوم آخرين (أو يزيدون) قال مقاتل والكلبى معناه بل يزيدون وقال الزجاج أو ههنا على أصلها ومعناه أو يزيدون على تقديركم وظنكم كالرجل يرى قوما فيقول هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين والاكثرون على ان معناه ويزيدون واختلفوا فى مبلغ تلك الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين ألفا ورواه أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلاثين ألفا وقال سعيد بن جبير سبعين ألفا

أخرى فأحذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم تحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلأن يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) أى فقارع (فكان من المدحضين) يعنى من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت) أى ابتلعه (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا أنه كان من المسبحين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون أى لصار بطن الحوت قبره الى يوم القيامة * قوله عز وجل (فنبذناه) أى طرحناه انما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) أى عليل كالفرخ المعمط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) يعنى القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فأرسل الله تعالى اليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه الى مائة ألف) قيل أرسله الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين (أو يزيدون) قال ابن عباس معناه ويزيدون

(فآمنوا) يعني الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم الى حين) أي حتى انقضاء آجالهم قوله تعالى (فاستفتهم) فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا يقول جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين (أم خلقنا الملائكة اناثا) معناه أخلقنا الملائكة اناثا (وهم شاهدون) حاضرون خلقنا إياهم نظيره قوله أشهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم) من كذبهم (ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى) قرأ أبو جعفر لكاذبون أصطفى موصولا على الخبر عن قول المشركين وعند الوقف يبتديان اصطفى بكسر الالف وقراءة العامة بقطع الالف لانها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة مثل أستكبرت ونحوها (البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) تقبالبنات ولكم بالبنين (أفلا (٣٢) تذكرون) أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) الذي لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) في قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد وقتادة أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار وقال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله وقال الكلبي قالوا لعنهم الله بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة تعالى الله عن ذلك وقد كان زعم بعض قريش ان الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقال الحسن معنى النسب انهم أشركوا الشياطين في عبادة الله (ولقد علمت الجنة انهم) يعني قائلي هذا القول (لمحضرون) في النار ثم نزه نفسه عما قالوا فقال (سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين يعني انهم لا يحضرون قوله عز وجل (فانكم) يقول لاهل مكة (وما تعبدون) من الاصنام (ما أنتم عليه) وهو على ما تعبدون (بفاتنين) بمضلين أحدا (الا من هو صال الجحيم) الا من قدر الله انه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة قوله تعالى (ومامنا الا له مقام معلوم) أي ما منا ملك الا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروينا عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعني الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم الى حين) أي الى انقضاء آجالهم * قوله عز وجل (فاستفتهم) أي فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذي يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أي حاضرون خلقنا اياهم (ألا انهم من افكهم) أي من كذبهم (ليقولون ولد الله) أي في زعمهم (وانهم لكاذبون) أي فيما زعموا (أصطفى البنات) أي في زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أي بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلا تذكرون) أي أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أي برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعني الذي لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) أي في قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين في عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعني قائلي هذا القول (لمحضرون) أي في النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعني يا أهل مكة (وما تعبدون) أي من الاصنام (ما أنتم عليه) أي على ما تعبدون (بفاتنين) أي بمضلين أحدا (الا من هو صال الجحيم) أي الا من سبق له في علم الله تعالى الشقاوة وانه سيدخل النار * قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (ومامنا الا له مقام معلوم) يعني ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي

وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو يزيدون في تقدير الرائي اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا ويعضده ما روي عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعني الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم الى حين) أي الى انقضاء آجالهم * قوله عز وجل (فاستفتهم) أي فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذي يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أي حاضرون خلقنا اياهم (ألا انهم من افكهم) أي من كذبهم (ليقولون ولد الله) أي في زعمهم (وانهم لكاذبون) أي فيما زعموا (أصطفى البنات) أي في زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أي بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلا تذكرون) أي أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أي برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعني الذي لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) أي في قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين في عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعني قائلي هذا القول (لمحضرون) أي في النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعني يا أهل مكة (وما تعبدون) أي من الاصنام (ما أنتم عليه) أي على ما تعبدون (بفاتنين) أي بمضلين أحدا (الا من هو صال الجحيم) أي الا من سبق له في علم الله تعالى الشقاوة وانه سيدخل النار * قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (ومامنا الا له مقام معلوم) يعني ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي

وهو على ما تعبدون (بفاتنين) بمضلين أحدا (الا من هو صال الجحيم) الا من قدر الله انه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة قوله تعالى (ومامنا الا له مقام معلوم) أي ما منا ملك الا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروينا عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله قال السدي الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقال أبو بكر الوراق الا له مقام معلوم يعبد الله عليه كالخوف والرجاء والمحبة والرضا

(وانا لنحن الصافون) قال تعالى هم الملائكة صفوا أقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الارض (وانا لنحن المسبحون) أي المصلون المنزهون لله عن السوء يخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار ثم أعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال (وان كانوا) أي وقد كانوا يعني أهل مكة (ليقولون) لام التأكيد (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) أي كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به) أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) هذا تهديد لهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) وهي قوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلي (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة (فتول) أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدي حتى نأمرك بالقتال وقيل الى ان يأتيهم عذاب الله قال

مقاتل بن حيان نسختها آية القتال

وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وقيل معنى الاله مقام معلوم أي في القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانا لنحن الصافون) يعني الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف الناس في الصلاة في الارض (وانا لنحن المسبحون) أي المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار * قوله عزوجل (وان كانوا ليقولون) يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) يعني كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) أي لا خلصنا العبادة لله (فكفروا به) أي فلما أتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم * قوله عزوجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) أي بالحجة البالغة (وان جندنا) أي حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) أي لهم النصرة في العاقبة (فتول) أي أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعني الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) أي اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) أي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عزوجل (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) أي بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكرما تقدم تأكيد الوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وأبصر) أي العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أي الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) أي عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) أي الذين بلغوا عن الله عزوجل التوحيد والشرائع لان أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) اي على هلاك الاعداء ونصرة

(وأبصرهم) اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) ذلك فقالوا متى هذا العذاب فقال الله عزوجل (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) قال مقاتل بحضرتهم وقيل بفنائهم قال الفراء العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب أخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى خيبر أتاها ليلا وكان اذا جاء قوما بليل لم يغر حتى يصبح قال فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمساحيها ومكاتلها فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثم كرر ما ذكر تأكيد الوعيد العذاب فقال (وتول عنهم حتى حين وأبصر) العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال (سبحان ربك رب العزة) الغلبة والقوة (عما يصفون) من اتخاذ الصاحبة والاولاد (وسلام على المرسلين) الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء عليهم السلام أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلوية حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن أصبغ بن بناتة عن علي قال من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ص) قيل هو قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور وقال محمد بن كعب القرظي ص مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذي الذكر) أي ذي البيان قاله ابن عباس ومقاتل وقال الضحاك ذي الشرف دليله قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وهو قسم واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه قد تقدم وهو قوله ص أقسم الله بالقرآن إن محمدا لصادق وقال الفراء ص معناها وجب وحق فهي جواب قوله والقرآن كما تقول نزل والله وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقال قتادة موضع القسم قوله بل الذين كفروا كما قال ق والقرآن المجيد بل عجبوا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (في عزة وشقاق) والقرآن ذي الذكر وقال الأخفش جوابه قوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل كقوله تالله إن كنا وكقوله والسماء والطارق إن كل نفس وقيل جوابه قوله إن هذا لرزقنا وقال الكسائي قوله إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقال القتيبي بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية إن الله أقسم بص والقرآن ذي الذكر إن الذين كفروا من أهل مكة في عزة حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد في عزة تعاظم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني من الأمم الخالية (فنادوا) استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أي ليس حين نزول العذاب بهم حين فرار والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفرار والتأخر يقال ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص إذا تقدم ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن وقال النحويون هي لا زيدت فيها التاء كقولهم رب ورب وثم وثمت وأصلها هاء وصلت بلا فقالوا لا ثمه فجعلوها في الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج وعند الكسائي بالهاء لاه وذهب جماعة إلى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا ثم يبتدئ بحين وهو اختيار أبي عبيد وقال كذلك وجدت في مصحف عثمان وهذا كقول أبي وجزة السعدي

العاطفون تحين ما من عاطف * والمطعمون زمان ما من مطعم

وفي حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال اذهب بها تلان إلى أصحابك يريد الآن قال ابن عباس رضي الله عنهما كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما أنزل الله بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله تعالى ولات حين مناص أي ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعني الكفار الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله بل الذين كفروا (أن جاءهم منذر منهم) يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا) وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم لما رأى ذلك على قريش وفرح به المؤمنون قال الوليد بن

الأنبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة ص﴾

ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذي الذكر) قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن إن محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما تقول الكفار ودل على هذا المحذوف * قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (في عزة وشقاق) والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وقيل جوابه إن هذا لرزقنا وقيل إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لأنه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية إن الله تعالى أقسم بص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني من الأمم الخالية (فنادوا) أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله عز وجل ولات حين مناص أي ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعني كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) * قوله عز وجل (أجعل الآلهة إلها واحدا) وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم لما رأى ذلك على قريش وفرح به المؤمنون قال الوليد بن

المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة قال لهم امشوا الى أبي طالب فأتوا أبا طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا قد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل أبو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرا أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد (ان هذا الشئ عجاب) أي عجيب والعجيب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب ويقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا لشئ يراد) أي لامر يراد بنا وذلك ان عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشئ يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد أن يملك علينا (ما سمعنا بهذا) أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) قال ابن عباس والكلبي ومقاتل يعنون في النصرانية لانها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقال مجاهد وقتادة يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه (ان هذا الا اختلاق) كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) وليس بأكبرنا ولا أشرفنا يقوله أهل مكة قال الله عز وجل (بل هم في شك من ذكري) أي وحيي وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أي لم يذوقوا عذابي ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم) بأعندهم (خزائن رحمة ربك) يعني نعمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا ونظيره أهم يقسمون رحمت ربك أي نبوة ربك (العزيز الوهاب) العزيز في ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أي ليس لهم ذلك (فليرتقوا في الاسباب) أي ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء فليأتوا منها بالوحي الى من يختارون قال مجاهد وقتادة أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وكل ما يوصلك الى شئ من باب أو طريق فهو سببه وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ما هنالك) أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند هنالك وما صلة (مهزوم) مغلوب (من الاحزاب) أي من جملة الاجناد يعني قريشا قال قتادة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وقال سيهزم الجمع ويولون الدبر فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم من الاحزاب أي من جملة الاحزاب أي هم من القرون الماضية الذين تحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا ثم قال مهددا لنبيه صلى الله عليه وسلم

أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى أبي طالب فأتوا الى أبي طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل اليه أبو طالب فدعا به فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسالونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونني قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا الشئ عجاب) أي عجب (وانطلق الملأ منهم) أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب (أن امشوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا لشئ يراد) أي لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضي الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشئ يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يملك علينا (ما سمعنا بهذا) أي بالذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه (ان هذا الا اختلاق) أي كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) أي القرآن (من بيننا) أي يقول أهل مكة ليس هو بأكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى (بل هم في شك من ذكري) أي وحيي وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) أي في ملكه (الوهاب) الذي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أي ليس لهم ذلك (فليرتقوا في الاسباب) يعني ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا في الاسباب) يعني ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء فليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وقيل أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ما هنالك) أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول (مهزوم) أي مغلوب (من الاحزاب) يعني ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه

(كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ومحمد بن كعب ذو البناء المحكم وقيل أراد ذو الملك الشديد الثابت وقال القتبي تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد يريدون انه دائم شديد وقال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

وأصل هذا ان بيوتهم كانت تثبت بالاوتاد وقال الضحاك ذو القوة والبطش وقال عطية ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم كانوا يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشيء وسميت الاجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وهو رواية عطية عن ابن عباس وقال الكلبي ومقاتل الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها وكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل يد وكل رجل منه الى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والارض حتى يموت وقال مجاهد ومقاتل بن حيان كان يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الارض بالاوتاد وقال السدي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقال قتادة وعطاء كانت له أوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب) الذين تحزبوا على الانبياء واعلم ان مشركي قريش حزب من هؤلاء الاحزاب (ان كل) ما كل (الا كذب الرسل فحق عقاب) وجب عليهم ونزل بهم عذابي

(وما ينظر) ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهي نفخة الصور (مالها من فواق) قرأ حمزة والكسائي فواق بضم الفاء وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم قال ابن عباس وقتادة من رجوع أي ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع وقال مجاهد نظرة وقال الضحاك مثنوية أي صرف ورد والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف وفرق بعضهم بين الفتح والضم فقال القراء وأبو عبيدة الفتح بمعنى الراحة والافاقة كالجواب من الاجابة وذهبا بها الى افاقة المريض من علته والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو ان تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق أي ان العذاب لا يمهلهم عمرو بذلك القدر وقيل هما أيضا مستعاران من الرجوع لان اللبن يعود الى الضرع بين الحلبتين وافاقة المريض رجوعه الى الصحة (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) أي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي حصرت كل شيء قيل لما نزلت في الحاقة فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا أي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) أي على ما يقول الكفار من التكذيب (واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبد الله بن

صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا أن بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشيء وسميت الاجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب) أي الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى أن مشركي قريش حزب من أولئك الاحزاب (ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب) أي ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أي ينتظر (هؤلاء) أي كفار مكة (الا صيحة واحدة ما لها من فواق) أي رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) أي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي حصرت كل شيء قيل لما نزلت في الحاقة فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا أي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) أي على ما يقول الكفار من التكذيب (واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبد الله بن

عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الصيام الى الله صيام داود وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل ذو القوة في الملك

(انه أوّاب) رجاع الى الله عزوجل بالتوبة عن كل ما يكره قال ابن عباس مطيع قال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبش (انا سخرنا الجبال معه) كما قال وسخرنا مع داود الجبال (يسبحن) بتسبيحه (بالعشي والاشراق) قال الكلبي غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا الحسن بن حيوة ثنا أبو أمية محمد بن ابراهيم ثنا الحجاج بن نصير أنا أبو بكر الهذلي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق قوله عزوجل (والطير) أي وسخرنا له الطير (محشورة) مجموعة اليه تسبح معه (كل له أوّاب)

عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة في الملك (انه أوّاب) أي رجاع الى الله عزوجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عزوجل وقيل مسبح بلغة الحبشة (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) أي بتسبيحه اذا سبح (بالعشي والاشراق) أي غدوة وعشية والاشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذي أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا ام هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا يا أم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما حدثنا أحد انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير انه يتم الركوع والسجود *قوله تعالى (والطير) أي وسخرنا له الطير (محشورة) أي مجموعة اليه تسبح معه (كل له أواب) اى رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) اى قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وروى عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبني بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فأوحى الله الى داود في منامه ان يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل عليه حتى اتثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة ان يقتله او تأتيه العقوبة فأرسل اليه داود فقال ان الله عزوجل اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لا نفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك اوخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعني بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر

مطيع رجاع الى طاعته بالتسبيح وقيل أوّاب معه أي مسبح (وشددنا ملكه) أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا عبد الله ابن حامد أنا محمد بن خالد ابن الحسن ثنا داود بن سليمان ثنا محمد بن حميد ثنا محمد بن الفضل ثنا داود بن أبي الفرات عن علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام ان هذا غصبني بقرا فسأله داود فجحد فقال للآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فأوحى الله الى داود في منامه أن يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى الله اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فارسل داود اليه فقال له ان الله أوحى الي ان أقتلك فقال تقتلني بغير بينة قال داود نعم والله لا نفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال له لا تعجل حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله عزوجل وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل علم الحكم والبصر في القضاء وقال علي بن أبي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به ويروى ذلك عن أبي بن كعب قال فصل الخطاب الشهود والايمان وهو قول مجاهد وعطاء ابن أبي رباح وروى عن الشعبي ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله

داود عليه السلام قوله عز وجل (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) هذه الآية في قصة امتحان داود عليه السلام واختلف العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام في سببه فقال قوم كان سبب ذلك انه عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم فروى السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ويوما لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم بنمرود وبذبح ابنه وابتلي اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينا هو كذلك اذ جاءه (٣٨) الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وقيل كان بجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل هذا قول الكلبي وقال السدي رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطت بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود وذكر بعضهم انه أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته فكان ذنبه هذا القدر وذكر بعضهم انه كتب لياخذها داود الى ابن أخته أيوب أن ابعث أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه وقدمه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أيضا أن ابعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أيضا أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان عليهما السلام وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كان ذنب داود انه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته قال أهل التفسير كان ذلك مباحا لهم غير أن الله تعالى لم يرض له ذلك لانه كان ذلك رغبة في الدنيا وازدياد النساء وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها وروي عن الحسن في سبب امتحان داود عليه السلام انه كان قد جزأ الدهر أجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للقضاء بين بني اسرائيل ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم

بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام * قوله عز وجل (وهل أتاك) أي وقد أتاك يا محمد (نبأ الخصم) أي خبر الخصم فاستمع له تقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذ تسوروا المحراب) أي صعدوا وعلوا المحراب أي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى انهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفي الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام واختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها وأما ما قاله المفسرون (١) ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلي اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب

(١) قوله وأما ما قاله المفسرون الخ لم يذكر جوابه وقد ذكره صاحب الكشاف فقال بعد ذكر القصة فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء اه

ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروه فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد واكب على التوراة فبينا هو يقرأ اذ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا قال وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب اليه ان يسير الى مكان كذا وكذا مكانا اذا سار اليه قتل ففعل فأصيب فتزوج امرأته قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين فى يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا المحراب عليه فاشعر وهو يصلى الا وهما بين يديه جالسين يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم خبر الخصم اذ تسوروا المحراب صعدوا وعلوا يقال تسورت الحائط والسور اذا علوته وانما جمع الفعل وهما اثنان لان الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ومعنى الجمع فى الاثنين موجود لان معنى الجمع ضم شئ الى شئ هذا كما قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال ما أدخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) جئناك لتقضى بيننا فان قيل كيف قال بغى بعضنا على بعض وهما ملكان لا يبغيان قيل معناه أرأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر يقال شط الرجل شططا وأشط اشطاطا اذا جار فى حكمه ومعناه مجاوزة الحد واصل الكلمة من شطت الدار واشطت اذا بعدت (واهدنا الى سواء الصراط) أرشدنا الى طريق الصواب والعدل فقال داود لهما تكلما فقال أحدهما (ان هذا أخى) أى على دينى وطريقتى

ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة فى بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هى تشابع بنت شابع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعث أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة فى الدنيا وازديادا من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر أجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الابواب وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام ما زال يجتهد فى العبادة حتى برزله حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال اخبرونى بأى شئ أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه ليت شعرى كيف أكون لو خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأوحى الله تعالى الى الملكين أن يعتزلاه ليعلم انه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة الى أن ظن انه قد غلب نفسه فأراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فأرسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لا عدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فاشعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) أى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من أدخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا * فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض * قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر فى حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) أى ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما (ان هذا أخى) على دينى وطريقتى لا من

(له تسع وتسعون نعجة) يعني امرأة (ولي نعجة واحدة) أي امرأة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المرأة قال الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي فهو كقولهم ضرب زيد عمرا أو اشترى بكردارا ولا ضرب هناك ولا شراء (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس أعطنيها قال مجاهد انزل لي عنها وحقيقته ضمها الي فاجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزني) وغلبني (في الخطاب) أي في القول وقيل قهرني لقوة ملكه قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وان حارب كان أبطش مني وحقيقة المعنى ان الغلبة كانت له لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاوريا امرأة واحدة فضمها الى نسائه (قال) أي قال داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أي بسؤاله نعجتك ليضمها الى نعاجه فان قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه قيل معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغي بعضهم على بعض) يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون (٤٠) أحدا (وقليل ماهم) أي قليل هم وما صلة يعني الصالحين الذين لا يظلمون قليل قالوا فلما قضى

جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعني امرأة (ولي نعجة واحدة) أي امرأة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس أي اعطنيها وقيل معناه انزل لي عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزني في الخطاب) يعني غلبني وقهرني في القول لانه أفصح مني في الكلام وان حارب كان أبطش مني لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاوريا امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أي بضمها الى نعاجه * فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر * قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخلطاء) أي الشركاء (ليبغي بعضهم على بعض) أي يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحدا (وقليل ماهم) أي هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعدا الى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أي أيقن وعلم (أنما فتناه) أي ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه انما عني به وروى البغوي باسناده الثعلبي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم ففظع على بني اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داد فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فجاء جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت

بينهما داود نظر أحدهما الى صاحبه فضحك وصعد الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وذلك قوله (وظن داود) أيقن وعلم (أنما فتناه) انما ابتليناه وقال السدي باسناده ان أحدهما لما قال ان هذا أخي الآية قال داود للآخر ما تقول فقال ان لي تسعا وتسعين نعجة ولاخي نعجة واحدة وأنا أريد أن آخذها منه فأكمل نعاجي مائة وهو كاره قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربت منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصله والجبهة فقال يا داود أنت أحق بذلك حيث لم يكن لاوريا الا امرأة واحدة ولك تسع وتسعون امرأة فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته فنظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه وقال القائلون بتنزيه به

الانبياء في هذه القصة ان ذنب داود انما كان انه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالا له فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده اذا هلك ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقيل كان ذنب داود ان أوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة أخبرنا أبو سعيد الشريحي انا أبو اسحق الثعلبي قال ومما يصدق ماذكرنا عن المتقدمين ما أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه ان المعافى بن زكريا القاضي ببغداد أخبره عن محمد بن جرير الطبري قال حدثني يونس بن عبد الاعلى الصيرفي انا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي حين نظر الى المرأة فأهم أن يجمع على بني اسرائيل وأوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت فلم يرجع حتى يقتل أو ينهزم

عنه الملك الحق زوج امرأة ونزل الملكان بقصاص عليه فقصته قط على داود فبعد وبكى أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلوف من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال باب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عنه وروى عن ابن عباس وعن كعب الاحبار ووهب بن منبه قالوا جميعا ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا عن صورتيهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انه انما عنى به فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو

به فقال داود ان الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود

﴿فصل فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه﴾ اعلم ان من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضى عياض لا يجوز أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود أنما فتناه وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه من أمر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم * فان قلت فى الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك * قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات

يناديه ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى أنت خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى أنت خلقتنى وكان من سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى بأى قدم أمشى أمامك

 وأقوم بين يديك يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهى أنا الذى لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى أنا الذى لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصاب سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل عذرى سبحان خالق النور الهى برحمتك اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهواى سبحان خالق النور الهى أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أو بقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور قال محا هدمكث أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى يا داود أجائع فتطعم أو ظمآن فتسقى أو عار فتكسى فأجيب فى غير ما طلب قال فنحب نحبة هاج لها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود أتاه نداء انى قد غفرت لك قال يا رب كيف

وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب الى قبر أور يا فناده فانا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق وقد لبس السوح حتى جلس عند قبر أم يا فدعى يا أور يا فقال لبيك من هذا الذى قطع عنى لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يا نبى الله قال أسألك ان تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال قد عرضتنى للجنة فانت فى حل فأوحى الله اليه يا داود ألم تعلم أنى حكم عدل لا أقضى بالغيب الا أعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع اليه فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع عنى لذتى قال أنا داود قال يا نبى الله

أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عن قبره وجعل يحثو التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور والويل لداود اذا نصب الميزان بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يؤخذ بذقنه فيدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال يا داود أعطيه من الثواب يوم القيامة مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فأقول له رضيت عن عبدى داود فيقول يارب من أين لى هذا ولم يبلغه عملى فاقول هذا عوض من عبدى داود فأستوهبك منه فيهبك لى قال يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لى فذلك قوله (فاستغفر ربه وخر راكعا) أى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

وأعلاها فيطالبون بأكمل الاخلاق والاوصاف وأسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين * فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان فى الآية * قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة والسلام مازاد على أن قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى أن تكون امرأة أور ياله فاتفق أن أور يا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أور يا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أور يا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أور يا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب أور يا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم * وقوله عز وجل (فاستغفر ربه) أى سأل ربه الغفران (وخر راكعا) أى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

﴿فصل﴾ اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن أحمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس أسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان فى يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هى توبة نبى ولكنى رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعنى تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله رأيتنى الليلة وأنا نائم كانى أصلى خلف شجرة فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول اللهم اكتب لى بها أجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الحسن بن الفضل سأله عبد الله بن طاهر عن قوله وخر راكعا قال له اركع خر قلت لا ومعناه خر بعد ما كان راكعا أى ساجدا

(وأناب) أى رجع وتاب (فغفرنا له ذلك) يعنى ذلك الذنب (وان له) بعد المغفرة (عندنا) يوم القيامة (لزلفى) لقربة ومكانة (وحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب. وقال وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بنى اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الفيافى والجبال والسواحل ويوم يخلو فى داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك فاذا كان يوم نياحته يخرج فى الفيافى فيرفع صوته بالمزامير فيبكى ويبكى معه الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجىء الى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكى ويبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجىء الى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده فيدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجىء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى أيديهم العصى فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله قال وهب ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك أول ما رك ذنب وآخره مغفورة ارفع رأسك فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماء الا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاما الا بله بدموعه

وسلم فرأى سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذى قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان خالق الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى بأى قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور الهى كيف تستر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور الهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور الهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أو بقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم انت فتنصر فأجيب فى غير ما طلب ولم يجب فى ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود اتاه نداء انى قد غفرت لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم أحدا قال اذهب الى قبر أوريا فناده وانا اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا اوريا فقال من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال انا داود قال ما جاء بك يا نبى الله قال اسألك ان تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال بل عرضتنى للجنة فأنت فى حل فاوحى الله تعالى اليه يا داود الم تعلم انى حكم عدل لا اقضى بالغيب ألا اعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال انا داود قال ما جاء بك يا نبى الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يا رب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال يا داود اعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم ترعيناه ولم تسمع أذناه فاقول له رضيت عبدى فيقول يا رب من أين لى هذا ولم يبلغه عملى فاقول هذا عوض من عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى قال يا رب الآن قد عرفت انك قد غفرت لى فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (وأناب) أى رجع (فغفرنا له ذلك) أى الذنب (وان له عندنا) أى يوم القيامة بعد المغفرة (لزلفى) أى لقربة ومكانة (وحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب قال وهب

وذكر الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود كقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض قال وهب لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما كان خطيبا للناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا فاستغفر للخاطئين قبل نفسه وقال قتادة عن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال كان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وفي القصة ان

الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته فروى

ابن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والقيافي والساحل ويوم يخلو في داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى القيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عادل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب أغفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا أو استغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم

انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا سليمان بن حرب وأبو النعمان قالا ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا محمد بن عبد الله ثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أوما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان الى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

نصف

وكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا محمد بن يزيد بن خنيس ثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن أبي يزيد قال قال لي ابن جريج أخبرني عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود وقال الحسن قال ابن جريج قال لي جدك قال لي ابن عباس فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدة ثم سجد ص فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة

قوله عزوجل (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) تدبر أمور العباد بامرنا (فاحكم بين الناس بالحق) بالعدل (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بأن تركوا الايمان بيوم الحساب وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أى تركوا القضاء بالعدل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شئ وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين كالفجار) أى المؤمنين كالكفار وقيل أراد بالمتقين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أى لا نجعل ذلك (كتاب أنزلناه اليك) أى هذا كتاب أنزلناه اليك (مبارك) كثير خيره ونفعه (ليدبروا) أى ليتدبروا (آياته) وليتفكروا فيها وقرأ أبو جعفر لتدبروا بتاء واحدة وتخفيف الدال قال الحسن تدبر آياته اتباعه (وليتذكر) ليتعظ (أولوا الالباب)

نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى الى قراءته وقيل انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك * قوله عزوجل (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) أى لتدبر أمر الناس بأمرنا فاحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) أى بالعدل (ولا تتبع الهوى) أى لا تعمل مع ما تشتهى اذا خالف أمر الله تعالى (فيضلك عن سبيل الله) أى عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء * قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه ما خلقناهما عبثا لا لشئ (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شئ وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء فى الآخرة (كتاب أنزلناه اليك) أى هذا كتاب يعنى القرآن أنزلناه اليك (مبارك) أى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) أى ليتدبروا ويتفكروا فى أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى أوامره ونواهيه (وليتذكر) أى وليتعظ (أولوا الالباب) أى ذووا العقول والبصائر * قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقى منها مائة فرس فالذى فى أيدى الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك وأعناقها بالسيف تقربا الى الله عزوجل وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا كما أبيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقى منها مائة فرس فما بقى فى أيدى الناس اليوم من الخيل يقال من نسل تلك المائة قال الحسن فلما عقر الخيل أبدله الله خيرا منها وأسرع وهى الريح تجرى بأمره كيف يشاء وقال ابراهيم التيمى كانت عشرين فرسا وعن عكرمة كانت عشرين ألف فرس لها أجنحة قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد والصافنات هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل يقال صفن الفرس يصفن صفونا اذا قام على ثلاثة قوائم وقلب أحد حوافره وقيل الصافن فى اللغة القائم وجاء فى الحديث من سره أن يقوم له الرجال صفونا فليتبوأ مقعده من النار أى قياما والجياد الخيار السراع واحدها جواد وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الخيل السوابق

(فقال انى أحببت حب الخير) أى آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل والعرب تعاقب بين الزاى واللام فتقول ختلت الرجل وخترته أى خدعته وسميت الخيل خيرا لانه معقود بنواصيها الخير الاجر والمغنم قال مقاتل حب الخير يعنى المال فهى الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر ربى) يعنى عن الصلاة وهى صلاة العصر (حتى توارت بالحجاب) أى توارت الشمس بالحجاب أى استترت بما يحجبها عن الابصار يقال الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة

والشمس تغرب من ورائه (ردوها على) أى ردوا الخيل على فردوها (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) قال أبو عبيدة طفق يفعل مثل مازال يفعل والمراد بالمسح القطع فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبى الله لم يكن يقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر وقال محمد ابن اسحق لم يعنفه الله على عقر الخيل اذ كان ذلك أسفا على ما فاته من فريضة ربه عزوجل وقال بعضهم انه ذبحها ذبحا وتصدق بلحومها وكان الذبح على ذلك الوجه مباحا فى شريعته وقال قوم معناه انه حبسها فى سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة وقال الزهرى وابن كيسان انه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبا لها وشفقة عليها وهذا قول ضعيف والمشهور هو الاول وحكى عن على انه قال فى معنى قوله ردوها على يقول سليمان بأمر الله عزوجل للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على يعنى الشمس فردوها عليه حتى صلى العصر فى وقتها وذلك انه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدو

حتى توارت بالحجاب قوله عزوجل (ولقد فتنا سليمان) اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر محمد بن اسحق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان عليه السلام بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى برولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهور الماء حتى نزل

المائة فلما عقرها الله تعالى أبدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قيل هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء فى الحديث من سره أن يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار أى قياما الجياد أى الخيار السراع فى الجرى واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال انى أحببت حب الخير) أى آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود فى نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعنى المال ومنه الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر ربى) يعنى صلاة العصر (حتى توارت) أى استترت الشمس (بالحجاب) أى مايحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها على) أى ردوا الخيل على (فطفق مسحا بالسوق) جمع ساق (والاعناق) أى جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبى الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على مافاته من فريضة ربه عزوجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن أن نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما انه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنى لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريف لها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه أراد أن يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم باحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شئ من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول أن يدعى ان لفظ الآية لا يدل على شئ من تلك الوجوه التى ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرناه ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثانى أن يقال هب ان لفظ الاية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات * قوله عزوجل (ولقد فتنا سليمان) أى اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان عليه السلام بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى برولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهور الماء حتى نزل

فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيأ من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت ان أبى أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك قال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك للاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ما ترى من الحزن فلو انك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلينى عن بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فازرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه فى ولائدها حتى تسجد له ويسجدن له كما كانت (٤٧) تصنع به فى ملكه وتروح كل عشية

بمثل ذلك وكان سليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن أبواب سليمان أى ساعة أراد دخول شئ من بيوته حاضرا كان سليمان أو غائبا فأتاه فقال يا نبى الله كبر سنى ورق عظمى ونفد عمرى وقد حان منى الذهاب فقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأثنى عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى الى سليمان فقال ما أحلمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك من كل ما يكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام فى نفسه من ذلك حتى ملأه غضبا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله فأثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على بخير فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر أمرى فقال ان غير الله ليعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال فى دارى فقال فى دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان الى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها وهى ثياب لا تغزلها الا الابكار ولا تنسجها الا الابكار ولا تغسلها الا الابكار لم تمسها امرأة قد رأت الدم ثم لبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده فأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله عز وجل حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعوه ويستغفره مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره

وكانت له أم ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيأ فقال خاتمي أمينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وخرج سليمان فأتى الامينة وقد تغيرت حاله وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال أنا سليمان بن داود قالت كذبت قد جاء سليمان فأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بارغفة وشوى الاخرى فأكلها فمكث بذلك أربعين صباحا عدة ما كان عبد الوثن في داره فأنكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم قال امهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرتن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا فقلن أشده ما يدع منا امرأة في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل

يعبد في داره منذ أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال في دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الظهيرة فأتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان اذا دخل الخلاء أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيأ فقال خاتمي أمينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى أمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم فقال امهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرتن من خاصة أمره ما أنكرنا في عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشده ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله

له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشي أعطاه سمكتيه وأعطاه السمكة سبحانه

التي أخذت الخاتم فخرج سليمان بسمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل عليه الناس وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان قد أحدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين فقال ائتوني بصخر فطلبته الشياطين حتى أخذته فأتت به وجاؤا له بصخرة فنقروها فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر هذا حديث وهب وقال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه. وقال السدي كان سبب قصة سليمان انه كان له مائة امرأة أو كانت امرأة منهن يقال لها جرادة هي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان يأتمنها على خاتمه اذا أتى حاجته فقالت له يوما ان أخي كان بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله لزوجته نعم فأعطاها خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان في صورته فأخذه وجلس على

سبحانه وتعالى ليسلطن الشيطان على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بنى اسرائيل فقال ما فى الخاصة أشد مما فى العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بأرغفة و بقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه وجعله فى يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذى كان دخل عليه لما كان أحدث فى داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فأدخله فى جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه فى البحر وقيل فى سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت أبرّ نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخى بينه و بين فلان خصومة فأحب أن تقضى له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فأعاده فى يده فسقط وكان فيه ملكه فأيقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك فى يدك ففر الى الله تعالى تائبا فانى أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت فى يده فأقام آصف فى ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما الى أن رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم فى يده فثبت فهو الجسد الذى ألقى على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمور عبادى فابتلاه الله تعالى وذكر نحوما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذى ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على

سليمان فجلس سليمان وخرج سليمان فسألها خاتمه فقالت ألم تأخذه قال لا وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه فاجتمع قراء بنى اسرائيل وعلماؤهم حتى دخلوا على نسائه فقالوا انا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله فبكى النساء عند ذلك فأقبلوا حتى أخذوا بابه ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت وأقبل سليمان حتى انتهى الى صيادى البحر وهو جائع قد اشتد جوعه فاستطعمه من صيده وقال انى أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه وأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم فشق بطونهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه فى بطن احداهما فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وحامت عليه الطير فعرف القوم انه سليمان فقاموا يعتذرون مما صنعوا فقال ما أواخذكم على غدركم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا أمر كائن لا بد منه فلما أتى مملكته أمر جنيا أتى بالشيطان الذى أخذ خاتمه وجعله فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه وأمر به فألقى فى البحر وهو حى كذلك حتى تقوم الساعة وفى بعض الروايات ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأعاده سليمان الى يده فسقط فأيقن سليمان بالفتنة فأتى آصف فقال لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك فى يدك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا وانى أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى أصبعه فثبت فهو الجسد الذى قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا فأقام آصف فى ملكه يسير بسيرته أربعة عشر يوما الى أن رد الله على

سليمان ملكه فجلس على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمور عبادى فابتلاه الله عز وجل وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما روينا وقيل قال سليمان يوما لاطوفن الليلة على نسائى كلهن فتأتى كل واحدة بابن يجاهد فى سبيل الله ولم يستثن فحاملهن فما خرج له منهن الا شق مولود فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه فذلك قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو اليمان انا شعيب ثنا ابو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ونسى فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وقال طاوس عن أبى هريرة لاطوفن الليلة بمائة امرأة قال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى وأشهر الاقاويل ان الجسد الذى ألقى على كرسيه هو صخر الجنى فذلك قوله عز وجل

(وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أى رجع الى ملكه بعد أربعين يوما فاستقر ثم رجع (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) قال مقاتل وابن كيسان لا يكون لاحد من بعدى قال عطاء بن أبى رباح يريد هب لى ملكا لا تسلبنيه فى آخر عمرى وتعطيه غيرى كما استلبته فى ما مضى من عمرى (انك أنت الوهاب) قيل سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزة وقيل سأل ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه وورد اليه ملكه وزاده فيه وقال مقاتل بن حيان كان لسليمان ملكا ولكنه أراد بقوله لا ينبغى لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل ما بعده أخبرنا عبد (٥٠) الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا قوله عز وجل (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء) لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) حيث أراد تقول العرب أصاب الصواب فاخطأ الجواب تريد أراد الصواب (والشياطين) أى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل (وغواص) يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) مقرنين فى الاصفاد) مشدودين فى القيود أى وسخرنا له آخرين يعنى مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد (هذا عطاؤنا) أى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) على من شئت (أو أمسك) أى عمن شئت (بغير حساب) لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى أمر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وأمسك أى احبس من شئت

تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الله الذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وفى رواية لاطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وهى عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل نسى ان يستثنى كما صح فى الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أى رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل أناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لى) أى سأل ربه المغفرة (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) أى لا يكون لاحد من بعدى وقيل لا تسلبنيه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبته منى فيما مضى من عمرى (انك أنت الوهاب) * فان قلت قول سليمان لا ينبغى لاحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا * قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده فى ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه وورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيأ يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا * قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء) أى لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) أى حيث أراد (والشياطين) أى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) أى يبنون له ما يشاء (وغواص) يعنى يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) أى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين فى الاصفاد) أى مشدودين فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد (هذا عطاؤنا) أى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) أى أحسن الى من شئت (أو أمسك) أى عمن شئت (بغير حساب) أى لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى أمر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وأمسك أى احبس من شئت

أى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن أو أمسك) المن هو الاحسان الى من لا تشيئه ومن لا تشيئه معناه اعط منهم من شئت وامسك عمن شئت (بغير حساب) لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله على أحد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا فى أمر الشياطين يعنى خل من شئت منهم وأمسك من شئت فى وثاقك لا تبعة عليك فيما تعطاه

(وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) قوله عزوجل (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) بمشقة وضر قرأ أبو جعفر بنصب بضم النون والصاد وقرأ يعقوب بفتحهما وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد ومعنى الكل واحد قال قتادة ومقاتل بنصب فى الجسد (وعذاب) فى المال وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة ابتلائه فى سورة الانبياء عليهم السلام فلما انقضت مدة بلائه قيل له (اركض برجلك) اضرب برجلك الارض ففعل فنبعت عين ماء (هذا مغتسل) فامره الله أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض الارض برجله الاخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فقوله هذا مغتسل (بارد) يعنى الذى اغتسل منه بارد (وشراب) أراد الذى شرب منه (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب وخذ بيدك ضغثا) وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش (فاضرب به ولا تحنث) فى يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فامره الله أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار يضربها به ضربة واحدة (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب واذكر عبادنا) قرأ ابن كثير عبدنا على التوحيد وقرأ الآخرون عبادنا بالجمع (ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى) قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله (والابصار) فى المعرفة بالله أى البصائر فى الدين قال قتادة ومجاهد أعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين (انا أخلصناهم) اصطفيناهم (بخالصة ذكرى الدار) قرأ أهل المدينة بخالصة مضافا وقرأ الآخرون بالتنوين فمن أضاف فمعناه أخلصناهم بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله عزوجل وقال السدى أخلصوا بخوف الآخرة وقيل معناه أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة قال ابن زيد ومن قرأ بالتنوين فمعناه بخلة خالصة وهى ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلا عن الخالصة وقيل أخلصناهم جعلناهم مخلصين بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر) أى هذا الذى يتلى عليكم ذكر وقيل ذكر أى شرف وذكر جميل تذكرون به

منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لا تبعة عليك فيما تعطاه (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه فى الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه فى الآخرة * قوله عزوجل (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) أى بمشقة (وعذاب) أى ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب (اركض) يعنى انه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أى اضرب (برجلك) يعنى الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله عزوجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أى انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لأولى الالباب) يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) أى ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان (فاضرب به ولا تحنث) وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فأفتاه فى ضربها وسهل له الامر وأمره بان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه وهل ذلك لأيوب خاصة أم لا فيه قولان أحدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح والثانى انه خاص بأيوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعى اذا ضربه ضربة واحدة فأصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية (انا وجدناه صابرا) أى على البلاء الذى ابتليناه به (نعم العبد انه أواب) قوله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) أى اذكر صبرهم فابراهيم ألقى فى النار فصبر واسحق أضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (أولى الايدى) قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله تعالى (والابصار) أى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد أكثر الاعمال وبالبصر أقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدى والابصار (انا أخلصناهم) أى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) يعنى من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل) أى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الاخيار) قوله عزوجل (هذا ذكر) أى الذى يتلى عليكم ذكر

(وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب) أى أبوابها مفتحة لهم (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) مستويات الاسنان بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد قال متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن (هذا ما توعدون) قرأ ابن كثير يوعدون بالياء ههنا وفى ق أى ما يوعد المتقون وافق أبو عمرو ههنا وقرأ الباقون بالتاء فيهما أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون (ليوم الحساب) أى فى يوم الحساب (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) فناء وانقطاع (هذا) أى الامر هذا (وان للطاغين) للكافرين (لشر مآب) مرجع (جهنم يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد هذا) أى هذا العذاب (فليذوقوه حميم وغساق) قال الفراء أى هذا حميم وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار الذى انتهى حره وغساق قرأ حمزة والكسائى وحفص وغساق حيث كان بالتشديد وخففها الآخرون فمن شدد جعله اسما على فعال نحو الخباز والطباخ ومن خفف جعله اسما على فعال نحو العذاب واختلفوا فى معنى الغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها قال مقاتل (٥٢) ومجاهد هو الذى انتهى برده وقيل هو المنتن بلغة الترك وقال قتادة هو ما يغسق أى يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغسقان الانصباب (وآخر) قرأ أهل البصرة وأخر بضم الالف على جمع أخرى مثل الكبرى والكبر واختاره أبو عبيدة لانه نعته بالجمع فقال أزواج وقرأ الآخرون بفتح الهمزه مشبعة على الواحد (من شكله) مثله أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هذا هو أن القادة اذا أدخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما أنتم دخلتموها والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج والاقتحام الدخول فى الشئ رميا بنفسه فيه قال الكلبى انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم فى النار خوفا من تلك المقامع فقالت القادة (لا مرحبا بهم) يعنى بالاتباع (انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صلينا (قالوا) فقال الاتباع للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم) والمرحب والرحب السعة تقول العرب مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة وتقول لا مرحبا بك أى لا رحبت عليك الارض (أنتم قدمتموه لنا) يقول الاتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل أنتم قدمتم لنا هذا العذاب لنا بدعائكم اياانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) أى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) أى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وأفاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) أى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلالا وسلمان رضى الله عنهم ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء فقالوا

وقيل شرف وقيل جميل نذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون أو قيل هذا ما يوعد به المتقون (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) أى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه * قوله تعالى (هذا) أى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين) يعنى الكافرين (لشر مآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لا مرحبا بهم) أى الاتباع (انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صلينا ها نحن (قالوا) أى قال الاتباع للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أنتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الاتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم اياانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) أى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) أى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وأفاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) أى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلالا وسلمان رضى الله عنهم ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء فقالوا

(اتخذناهم سخريا) قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي من الاشرار اتخذناهم وصل و يكسرون الالف عند الابتداء وقرأ الآخرون بقطع الالف وفتحها على الاستفهام قال أهل المعاني القراءة الاولى أولى لانهم علموا انهم اتخذوهم سخريا فلا يستقيم الاستفهام وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل ومن فتح الالف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل أم في قوله أم زاغت عنهم الابصار قال الفراء هذا من

وصهيب و بلال وسلمان وانما سموهم أشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار) يعني ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الابصار أي أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) أي الذي ذكر (لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أي في النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة * قوله عز وجل (قل) أي يا محمد لمشركي مكة (انما أنا منذر) أي مخوف (وما من اله الا الله الواحد) يعني الذي لا شريك له في ملكه (القهار) أي الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت و يرحم (قل هو نبأ عظيم) يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة (أنتم عنه معرضون) أي لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وان ما جئت به لم أعلمه الا بوحي من الله تعالى (ما كان لي من علم بالملأ الاعلى) يعني الملائكة (اذ يختصمون) يعني في شأن آدم حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء * فان قلت كيف يجوز أن يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن * قلت لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى الي) أي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الي (الا أنما أنا نذير مبين) يعني الا انما أنا نبي أنذركم وأبين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني ربي في أحسن صورة قال احسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

﴿فصل في الكلام على معنى هذا الحديث﴾ وللعلماء في هذا الحديث وفي أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير المذهب الثاني هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن

الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب (أم زاغت) أي مالت (عنهم الابصار) وبجاز الآية مالنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقال ابن كيسان يعني أم كانوا خيرا منا ولكن نحن لا نعلم وكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) الذي ذكرت (لحق) ثم بين فقال (تخاصم أهل النار) أي تخاصم أهل النار في النار لحق (قل) يا محمد لمشركي مكة (انما أنا منذر) مخوف (وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) قوله (قل) يا محمد (هو) يعني القرآن (نبأ عظيم) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل هو يعني القيامة لقوله عم يتساءلون عن النبأ العظيم (أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الاعلى) يعني الملائكة (اذ يختصمون) يعني في شأن آدم عليه السلام حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (ان يوحى الي الا أنما أنا نذير مبين) قال الفراء ان شئت جعلت انما في موضع رفع أي ما يوحى الي الا الانذار وان شئت جعلت المعنى ما يوحى الي الا أني نذير مبين وقرأ أبو جعفر انما بكسر الالف لان الوحي قول أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال مر بنا خالد بن الحلاج فدعاه مكحول فقال يا أبا ابراهيم حدثنا حديث

عبد الرحمن بن عائش قال سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرمي يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم أي رب مرتين قال فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماء والارض

قال ثم تلا هذه الآية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال وما هن قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء أماكنه في المكاره قال ومن يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم اني أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون فقال صلى الله عليه وسلم تعلموهن فوالذي نفسي بيده انهن لحق قوله عز وجل (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين) يعني آدم عليه السلام (فاذا سويته) أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت) ألف استفهام دخلت على ألف الوصل من (أم كنت من العالين) المتكبرين استفهام توبيخ وانكار يقول استكبرت بنفسك حتى أبيت السجود أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم

ابن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أبو أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال في المنام ورواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من طرق كلها ضعاف وفي ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان في المنام فأما تأويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون الباري تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصور مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق الباري المصور فقوله أتاني ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين أحدهما وأتاني في أحسن صورة كأنه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفنا أن الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعد لشدة الوحي وثقله الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه في أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه أنه مجمل في أفعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالى اياه وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وأن ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وانما سماها مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم * قوله عز وجل (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين) أي آدم (فاذا سويته) أي أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) أضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء وكسريان النار في الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) أي تعظم (وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أي توليت خلقه (أستكبرت) أي تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنت من العالين) أي

(قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها) أي من الجنة وقيل من السموات وقال الحسن وأبو العالية أي من الخلقة التي أنت فيها قال الحسين بن الفضل هذا تأويل صحيح لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه (فانك رجيم) مطرود (وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وهو النفخة الاولى (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول) قرأ عاصم وحمزة ويعقوب فالحق برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره الحق مني ونصب الثانية أي وأنا أقول الحق قاله مجاهد وقرأ الآخرون بنصبهما واختلفوا في وجههما قيل نصب

من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله (قال أنا خير منه) يعني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح أن أسجد له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ ابليس في القياس لان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أي من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) أي مطرود (وان عليك لعنتي الى يوم الدين) * فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق * قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار * فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء يوم الدين * قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكأنها انقطعت عنه (قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعني النفخة الاولى (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول) أي أنا أقول الحق وقيل الاول قسم يعني فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه (لأملأن جهنم منك) أي بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم أجمعين) يعني من بني آدم (قل ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (وما أنا من المتكلفين) أي المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلفه (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخاري (ان هو) يعني القرآن (الا ذكر) أي موعظة (للعالمين) أي للخلق أجمعين (ولتعلمن) يعني أنتم يا أهل مكة (نبأه) أي خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم بذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزمر ﴾

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وقيل

الاول على الاغراء كانه قال الزم الحق والثاني بايقاع القول عليه أي أقول الحق وقيل الاول قسم أي فبالحق وهو الله عز وجل فانتصب بنزع الخافض وهو حرف الصفة وانتصاب الثاني بايقاع القول عليه وقيل الثاني تكرار القسم أقسم الله بنفسه (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة (من أجر) جعل (وما أنا من المتكلفين) المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلفه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا قتيبة ثنا جرير عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم

يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين قوله (ان هو) ما هو يعني القرآن (الا ذكر) موعظة (للعالمين) للخلق أجمعين (ولتعلمن) أنتم يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة وقال الكلبي من بقي علم ذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد موته قال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين

﴿ سورة الزمر مكية ﴾

الا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فمدنية وهي خمس وسبعون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (تنزيل الكتاب) أى هذا تنزيل الكتاب وقيل تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره (من الله العزيز الحكيم) أى تنزيل الكتاب من الله لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) قال مقاتل لم ننزله باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) الطاعة (ألا لله الدين الخالص) قال قتادة شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل الدين الخالص من الشرك هو لله (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس قال قتادة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الاوثان قالوا ليقربونا الى الله زلفى أى قربى وهو اسم أقيم مقام المصدر (٥٦) كانه قال الا ليقربونا الى الله تقريبا و يشفعوا لنا عند الله (ان الله يحكم بينهم) يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) من أمر الدين (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) لا يرشد لدينه من كذب فقال ان الالهة لتشفع وكفى باتخاذ الآلهة دونه كذبا وكفرا (لو أراد الله أن يتخذ ولدا (لاصطفى) لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة كما قالوا لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ثم نزه نفسه فقال (سبحانه) تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته (هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل) قال قتادة يغشى هذا هذا كما قال يغشى الليل النهار وقيل يدخل أحدهما على الآخر كما قال يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وقال الحسن والكلبى ينقص من الليل فيزيد فى النهار و ينقص من النهار فيزيد فى الليل فما نقص من الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات

الجنة

ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وأصل التكوير اللف والجمع ومنه كور العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حوّاء (وأنزل لكم من الانعام) معنى الانزال ههنا الاحداث والانشاء كقوله تعالى أنزلنا عليكم لباسا يوارى وقيل انه أنزل الماء الذى هو سبب نبات القطن الذى يكون منه اللباس وسبب النبات الذى تبقى به الانعام وقيل وأنزل لكم من الانعام جعلها لكم نزلا ورزقا (ثمانية أزواج) أصناف مر تفسيرها فى سورة الانعام

قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله لا تشعرون وهى اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أى لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى لم ننزله باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) أى الطاعة (ألا لله الدين الخالص) أى شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعنى قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين (ان الله لا يهدى) أى لا يرشد لدينه (من هو كاذب) أى من قال ان الآلهة تشفع له (كفار) أى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) أى لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) أى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) أى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد (القهار) أى الغالب الكامل القدرة * قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكوّر الليل على النهار و يكور النهار على الليل) يعنى يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما و يزيد فى الآخر فما نقص من الليل زاد فى النهار وما نقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته فى خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم أتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) يعنى الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان أصول هذه الاصناف خلقت فى

(يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال الله تعالى وقد خلقكم أطوارا (في ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم الله) أي الذي خلق هذه الاشياء (ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) عن طريق الحق بعد هذا البيان (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) قال ابن عباس والسدي ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد وأجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به ويروى ذلك عن قتادة وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل وان كان بارادته (وان تشكروا) تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه قرأ أبو عمرو يرضه لكم ساكنة الهاء ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة والباقون بالاشباع (ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) راجعا اليه مستغيثا به (ثم اذا خوله نعمة منه) أعطاه نعمة منه (نسي) ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) يعني الاوثان (ليضل عن سبيله) ليزل عن دين الله (قل) لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) في الدنيا الى أجلك (انك من أصحاب النار) قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقال مقاتل نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل عام في كل كافر (أمن هو قانت) قرأ ابن كثير ونافع وحمزة أمن بتخفيف الميم وقرأ الآخرون بتشديدها فمن شدد فله وجهان أحدهما أن تكون الميم في أم صلة فيكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوفا مجازه أمن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله أفمن شرح الله صدره للاسلام يعني كمن لم يشرح صدره والوجه الآخر انه عطف على الاستفهام مجازه الذي جعل لله أندادا أخير أمن هو قانت ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على من معناه أهذا كالذي جعل لله أندادا وقيل الالف في أمن بمعنى حرف النداء تقديره يا من هو قانت والعرب تنادي بالالف كما تنادي بالياء فتقول أبني فلان ويا بني فلان فيكون معنى الآية قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار يا من هو قانت

الجنة ثم أنزلت الى الارض (يخلقكم في بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم أتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وانما قال في بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة (في ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) أي الذي خلق هذه الاشياء ربكم (له الملك) أي لا لغيره (لا إله إلا هو) أي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فأنى تصرفون) أي عن طريق الحق بعد هذا البيان * قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غني عنكم) يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غني عن الخلق على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غني عن جميع العالمين فلو كفروا وأصروا عليه فان الله تعالى غني عنهم ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعني انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشيء والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا (وان تشكروا) أي تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تقدم بيانه (ثم الى ربكم مرجعكم) أي في الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي في الدنيا (انه عليم بذات الصدور) يعني بما في القلوب * قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر) أي بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) أي راجعا (اليه) مستغيثا به (ثم اذا خوله) أي أعطاه (نعمة منه نسي) أي ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) يعني الاصنام (ليضل عن سبيله) أي ليرد عن دين الله تعالى (قل) أي لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) أي في الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار) قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في أبي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر (أمن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذي جعل لله أندادا أخير أم من هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من أصحاب النار ويا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في أبي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة في كل قانت

(آناء الليل) انك من أهل الجنة قاله ابن عباس وفي رواية عطاء نزلت في أبي بكر الصديق وقال الضحاك نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وعن الكلبي انها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان والقانت المقيم على الطاعة قال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وآناء الليل ساعاته (ساجدا وقائما) يعني في الصلاة (يحذر الآخرة) يخاف الآخرة (ويرجو رحمة ربه) يعني كمن لا يفعل شيأ من ذلك (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) قيل الذين يعلمون عمار والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي

(انما يتذكر أولوا الالباب قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعني الجنة قاله مقاتل وقال السدي في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من أمر بالمعاصي ببلد فليهرب منها الى غيرها (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للاذى وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وها جروا قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحثى لهم حثيا ويروى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا ان أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل

وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (آناء الليل) أي ساعات الليل أوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) أي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر (يحذر) أي يخاف (الآخرة ويرجو رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهي انه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما يرجوه منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذي (قل هل يستوي الذين يعلمون) أي ما عند الله من الثواب والعقاب (والذين لا يعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله (انما يتذكر أولوا الالباب) * قوله تعالى (قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) أي بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في هذه الدنيا (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وها جروا (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحثى لهم حثيا وروى أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل * قوله عز وجل (قل) يا محمد (اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي مخلصا له التوحيد أي لا أشرك به شيأ (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أي من هذه الامة قيل أمره أولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على ان غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وذلك ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فانزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصي فغيره أولى بذلك

(قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) لا أشرك به شيأ (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) من هذه الامة (قل اني أخاف ان عصيت ربي) وعبدت غيره (عذاب يوم عظيم) وهذا حين دعي الى دين آبائه

(قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه) أمر توبيخ وتهديد كقوله اعملوا ما شئتم (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) قال ابن عباس وذلك ان الله جعل لكل انسان منزلا في الجنة وأهلا فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين أهله وذلك هو الخسران المبين (لهم من فوقهم ظلل من النار) أطباق سرادقات من النار ودخانها (ومن تحتهم ظلل) فراش ومهاد من نار الى أن ينتهي الى القمر سمي الاسفل ظللا لانها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش (ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) رجعوا الى عبادة الله (لهم البشرى) في الدنيا بالجنة وفي العقبى بالمغفرة (فبشر عبادي الذين يستمعون القول) القرآن (فيتبعون أحسنه) قال السدي أحسن ما يؤمرون به فيعملونه وقيل هو ان الله ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن وقال عطاء عن ابن عباس آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد ابن زيد فسألوه فأخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وكله حسن (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) وقال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن قول لا اله الا الله (أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس رضي الله عنهما من سبق في علم الله انه من أهل النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل كلمة العذاب قوله هؤلاء في النار ولا أبالي

(قل الله أعبد مخلصا له ديني) * فان قلت ما معنى التكرار في قوله قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وفي قوله قل الله أعبد مخلصا له ديني * قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثاني أنه اخبار بأنه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لان قوله أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا غيره ثم أتبعه بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمر ابل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) يعني أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا وأهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بأن يفرق بينه وبين أهله (ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) أي أطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أي فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب * فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة * قلت فيه وجوه الاول أنه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثاني أن الذي تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته في النار لانها دركات الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أي المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار في الآخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (يا عباد فاتقون) أي فخافون * قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعني الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أي رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) أي في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر وأما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادي الذين يستمعون القول) يعني القرآن (فيتبعون أحسنه) أي أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو أن الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسي (أولئك الذين هداهم الله) أي الى عبادته وتوحيده (وأولئك هم أولوا الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق في علم الله

(أفأنت تنقذ من في النار) أي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها (تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثني مالك عن صفوان ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق

من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أدخل ذلك الماء (ينابيع) عيونا وركايا (في الارض) قال الشعبي كل ماء في الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أحمر وأصفر وأخضر (ثم يهيج) يبس (فتراه) بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا (ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب) قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للاسلام) وسعه لقبول الحق (فهو على نور من ربه) كمن أقسى الله قلبه أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عبد الله بن محمد بن شيبه ثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الموصلي ببغداد أنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد حدثني أبي عن أبيه ثنا يزيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت قوله عز وجل (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب وما غضب الله عز وجل على قوم الانزع منهم الرحمة قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث

تعالى انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء في النار ولا أبالي (أفأنت تنقذ من في النار) أي لا تقدر عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل هي أرفع منها (تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أي الباقي في الافق أي في ناحية المشرق أو المغرب * قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أي أدخل ذلك الماء (ينابيع في الارض) أي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الارض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ماء في الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أي بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أي مثل أصفر وأخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أي ييبس (فتراه) أي بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) أي فتاتا متكسرا (ان في ذلك لذكرى لأولي الالباب) * قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره) أي وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) أي على يقين وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامات ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمودة وصلابة تحصل في القلب * فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية * قلت انهم كلما تلي ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها الذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (أولئك في ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وفي أبي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي أبي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل * قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) يعني القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى أما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه وأما الوجه الثاني وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل

كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا في الحسن و يصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف (مثاني) يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام (تقشعر) تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والاقشعرار تغير في جلد الانسان عند الوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي لذكر الله أي اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وحقيقة المعنى ان قلوبهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا محمد بن موسى بن محمد بن علي ثنا محمد ابن عبدوس بن كامل ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن أم كلثوم بنت

عمر عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا موسى ابن اسحق الانصاري ثنا محمد بن معاوية ثنا الليث ابن سعد ثنا يزيد بن عبد الله بن الهاد بهذا الاسناد وقال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار قال قتادة هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا حمدان بن داود ثنا سلمة بن شبيب ثنا خلف بن سالم ثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و به عن سلمة ثنا يحيى بن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي ان ابن عمر مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا و بينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق * فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا في جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا في الرجاء * قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد في أول وهلة واذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم و بالقشعريرة ليانا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب

مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا متشابها) أي يشبه بعضه بعضا في الحسن و يصدق بعضه بعضا (مثاني) أي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام (تقشعر) أي تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون في بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذي نعتهم الله به أن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و روى ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا و بينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق

(ذلك) يعنى أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه فى النار وقال عطاء يرمى به فى النار منكوسا فأول شئ تمسه النار وجهه قال مقاتل هو ان الكافر يرمى به فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار فى الحجر وهو معلق فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه للاغلال التى فى عنقه و يده ومجاز الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل) يعنى تقول الخزنة (للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وباله

(كذب الذين من قبلهم) من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم آمنون غافلون من العذاب (فأذاقهم الله الخزى) العذاب والهوان (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) يتعظون (قرآنا عربيا) نصب على الحال (غير ذى عوج) قال ابن عباس غير مختلف قال مجاهد غير ذى لبس قال السدى غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان ابن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) الكفر والتكذيب (ضرب الله مثلا رجلا) قال الكسائى نصب رجلا لانه تفسير للمثل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال رجل شكس شرس اذا كان سيئ الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سلما لرجل) قرأ أهل مكة والبصرة سالما بالالف أى خالصا له لا شريك

يتر بصون

ولا منازع له فيه وقرأ الآخرون سلما بفتح اللام من غير ألف وهو الذى لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلم أى مسلم لا منازع لك فيه (هل يستويان مثلا) هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى لا يعبد الا الله الواحد وهذا استفهام انكار أى لا يستويان ثم قال (الحمد لله) أى لله الحمد كله دون غيره من المعبودين (بل أكثرهم لا يعلمون) ما يصيرون اليه والمراد بالاكثر الكل (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) أى سيموتون قال الفراء والكسائى الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقه الروح ولذلك لم يخفف الا ههنا

ولان الجلد (ذلك) أى القرآن الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) أى يجعل قلبه قاسيا مناف يا لقبول الهداية (فماله من هاد) أى يهديه * قوله عز وجل (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه فى النار وقيل يرمى به فى النار منكوسا فأول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل للظالمين) أى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) أى وبال ما (كنتم تكسبون) أى فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فأذاقهم الله الخزى) أى العذاب والهوان (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (قرآنا عربيا) أى فصيحا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) أى الكفر والتكذيب * فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الآية الاولى على التقوى فى هذه الآية * قلت سبب تقديم التذكر أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على نحوى الشئ واختلط بمعناه اتقاه واحترز منه * قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سلما لرجل) أى خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فأى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد الها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار أى لا يستويان فى الحال والصفة قال تعالى (الحمد لله) أى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت أنه لا اله الا الله الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل أكثرهم لا يعلمون) أى ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له * قوله تعالى (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) أى سيموتون وذلك أنهم كانوا

(ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا ابن مالك ثنا ابن حنبل حدثني أبي ثنا ابن نمير ثنا محمد يعني ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم ودیننا وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد ودیننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا (٦٣) علي بن الجعد ثنا ابن أبي ذئب عن

يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعي الى نبيه نفسه واليكم أنفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم في عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم ودیننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد ودیننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذت من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار * قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق اذ جاءه) أي بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (أليس في جهنم مثوى) أي منزلة ومقام (للكافرين) * قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) أي والذي

سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له أخذ من سيآته فحملت عليه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطبري أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل ابن جعفر عن العلاء عن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا

من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد كان شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضى هذا من حسناته وهذا من حسناته قال فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله عز وجل (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا وشريكا (وكذب بالصدق) بالقرآن (اذ جاءه أليس في جهنم مثوى) منزل ومقام (للكافرين) استفهام بمعنى التقرير (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال ابن عباس والذي جاء بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به الرسول أيضا بلغه الى الخلق وقال السدي والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال الكلبي وأبو العالية والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر رضي الله عنه وقال قتادة ومقاتل والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به هم المؤمنون لقوله عز وجل أولئك هم المتقون وقال عطاء والذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال ذهب الله بنورهم وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤا به في الآخرة وفي قراءة عبد الله بن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به

(أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوى قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائى عباده بالجمع يعنى الانبياء عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء كما قال وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه فكفاهم الله شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مرة معادات الاوثان وقالوا التكفن عن شتم آلهتنا أوليصيبنك منهم خبل (٦٤) أوجنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام) منيع فى ملكه منتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر) بشدة و بلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة) بنعمة و بركة (هل هن ممسكات رحمته) قرأ أهل البصرة كاشفات وممسكات بالتنوين ضره ورحمته بنصب الراء والتاء وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الاضافة قال مقاتل فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبى الله) تقى به واعتمادى عليه (عليه يتوكل المتوكلون) يثق به الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) أى ينزل عليه عذاب دائم (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) و بال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) التى بحفيظ ورقيب أى لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم قوله عز وجل (الله يتوفى الانفس) أى الارواح (حين موتها) فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها وقوله حين موتها يريد موت أجسادها (والتى لم تمت) يريد يتوفى الانفس التى لم تمت (فى منامها) والتى تتوفى عند النوم هى النفس التى يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس والاخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه اذا نام وهو بعد للنوم يتنفس

صدق به قال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا إله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغه الى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذى جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيؤن به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) أى الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) أى فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزيهم بمساويها * قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا التكفن عن شتم آلهتنا أوليصيبنك منهم خبل أوجنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) أى منيع فى ملكه (ذى انتقام) أى منتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيهما من أنواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير أو دفع ضر وهو قوله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان أرادنى الله بضر) أى بشدة و بلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة) أى بنعمة وخير و بركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبى الله) أى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) أى عليه يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) أى اجتهدوا فى أنواع مكركم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقريع (انى عامل) أى بما أمرت به من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى أنا أو أنتم (ويحل عليه عذاب مقيم) أى دائم وهو تهديد وتخويف (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى ليهتدى به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) أى ترجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى يرجع و بال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال * قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) أى الارواح (حين موتها) أى يقبض الارواح عند فناء آجالها وانقضاء أكلها (والتى لم تمت) أى يقبض النفس التى لم تمت (فى منامها) وهو موت الاجساد (فيمسك التى قضى عليها الموت) أى لا يردها الى صاحبها (ويرسل الاخرى) أى النفس التى لم تمت (الى أجل مسمى) أى الى وقت انقضاء أجله وهو موت الاجساد (ان فى ذلك لآيات) أى دلالات (لقوم يتفكرون) أى يعتبرون فيعلمون ان الذى قدر على امساك النفس التى قضى عليها الموت قادر على احياء الموتى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أى بل اتخذوا من دون الله شفعاء (قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) أى أتشفعون ولو كانت الاصنام لا تملك شيئا ولا تعقل (قل لله الشفاعة جميعا) أى لا يشفع أحد الا باذنه (له ملك السموات والارض) أى هو المالك لهما والمتصرف فيهما (ثم اليه ترجعون) أى فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى نفرت وانقبضت عن التوحيد (واذا ذكر الذين من دونه) أى الاصنام (اذا هم يستبشرون) أى يفرحون (قل اللهم فاطر السموات والارض) أى خالقهما ومبدعهما (عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية (أنت تحكم بين عبادك فى ما كانوا فيه يختلفون) أى فى الدين (ولو أن للذين ظلموا) أى كفروا (ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أى لو ملكوا ذلك وبذلوه فى الدنيا لينجوا من عذاب الآخرة لما قبل منهم (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكونوا يظنون (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أى ظهر لهم جزاء سيئات ما كسبوا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى نزل بهم جزاء استهزائهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا) أى دعا ربه (ثم اذا خولناه نعمة منا) أى أعطيناه (قال انما أوتيته على علم) أى على خير علمه الله عز وجل عندى (بل هى فتنة) أى ليست النعمة بخير بل هى فتنة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى ان ذلك فتنة (قد قالها الذين من قبلهم) أى قال هذه الكلمة وهى قوله انما أوتيته على علم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى من الاموال والاعمال (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أى جزاء سيئات ما كسبوا (والذين ظلموا من هؤلاء) أى من أهل مكة (سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) أى فائتين (أو لم يعلموا) أى أو لم يعلم هؤلاء (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على قوم ويضيق على آخرين (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أى يصدقون (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى بالذنوب والمعاصى (لا تقنطوا من رحمة الله) أى لا تيأسوا من مغفرة الله (ان الله يغفر الذنوب جميعا) أى لمن تاب (انه هو الغفور الرحيم) أى لمن تاب (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالتوبة (وأسلموا له) أى أخلصوا له العبادة (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) أى أطيعوا ربكم (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة) أى فجأة (وأنتم لا تشعرون) أى لا تعلمون (أن تقول نفس) أى كراهة أن تقول نفس (ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) أى ضيعت فى طاعة الله (وان كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بالقرآن (أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين) أى لو أن الله أرشدنى لكنت من المتقين (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) أى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) أى المطيعين (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين) أى فى علم الله (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أى بنسبة الشريك والولد اليه (وجوههم مسودة) أى من الكآبة والحزن (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) أى مأوى لهم (وينجى الله الذين اتقوا) أى الشرك (بمفازتهم) أى بمنجاتهم (لا يمسهم السوء) أى لا يصيبهم العذاب (ولا هم يحزنون) أى على ما فاتهم من الدنيا (الله خالق كل شىء) أى من الاجسام والاعراض (وهو على كل شىء وكيل) أى حفيظ (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائنهما (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) أى فى الآخرة (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى تأمرونى بعبادة غير الله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) أى من الانبياء (لئن أشركت ليحبطن عملك) أى ليبطلن عملك (ولتكونن من الخاسرين) أى فى الآخرة (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أى المطيعين (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه (والارض جميعا قبضته يوم القيامة) أى فى قبضته (والسموات مطويات بيمينه) أى بقدرته (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى عن شركهم (ونفخ فى الصور) أى نفخة البعث (فصعق من فى السموات ومن فى الارض) أى مات من فيهما (الا من شاء الله) أى أن لا يموت (ثم نفخ فيه أخرى) أى نفخة البعث (فاذا هم قيام ينظرون) أى ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الارض بنور ربها) أى أضاءت بنور ربها (ووضع الكتاب) أى كتاب الاعمال (وجىء بالنبيين والشهداء) أى ليشهدوا على أممهم (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من ثواب حسناتهم ولا يزاد فى عقاب سيئاتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أى جزاء ما عملت (وهو أعلم بما يفعلون) أى لا يحتاج الى كتاب ولا شهود (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أى جماعات بعضهم فى أثر بعض (حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها) أى أبواب جهنم السبعة (وقال لهم خزنتها) أى الموكلون بها (ألم يأتكم رسل منكم) أى من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم) أى القرآن (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يخوفونكم عذاب يومكم هذا (قالوا بلى) أى قد جاءونا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى وجبت عليهم (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أى مأوى لهم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) أى جماعات بعضهم فى أثر بعض (حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها) أى أبواب الجنة الثمانية (وقال لهم خزنتها) أى الموكلون بها (سلام عليكم طبتم) أى طهرتم من الدنس (فادخلوها خالدين) أى مقدرا لكم الخلود فيها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى بالجنة (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى ننزل منها حيث نشاء (فنعم أجر العاملين) أى الجنة (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين به (يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه عما لا يليق به (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى على ما قضى بينهم بالحق

سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية وألف وتسعمائة وثلاث وستون حرفا وأربعمائة وثلاث وثلاثون كلمة

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) أى هذا تنزيل الكتاب (غافر الذنب) أى ساتر الذنب على المذنب (وقابل التوب) أى التوبة (شديد العقاب) أى لمن لم يتب (ذى الطول) أى ذى الغنى والسعة على خلقه (لا اله الا هو اليه المصير) أى المرجع (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) أى ما يكذب بها الا الذين كفروا (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) أى تصرفهم فى التجارات والمكاسب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أى كذبت الامم الخالية قبل قومك رسلهم (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أى ليقتلوه (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) أى ليزيلوا به الحق (فأخذتهم فكيف كان عقاب) أى فأخذتهم بالعذاب فكيف كان عقابى اياهم (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا) أى وجبت عليهم (أنهم أصحاب النار) أى فى علم الله (الذين يحملون العرش ومن حوله) أى الملائكة الحافون حوله (يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه عما لا يليق به (ويؤمنون به) أى يصدقون به (ويستغفرون للذين آمنوا) أى يقولون فى دعائهم (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك كل شىء (فاغفر للذين تابوا) أى من الشرك (واتبعوا سبيلك) أى دينك (وقهم عذاب الجحيم) أى النار (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) أى بالايمان (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى ممن آمن (انك أنت العزيز الحكيم) أى فى ملكك وصنعك (وقهم السيئات) أى العذاب (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) أى من وقى عذاب السيئات يوم القيامة فقد رحمه الله (وذلك هو الفوز العظيم) أى النجاة العظيمة (ان الذين كفروا ينادون) أى يقال لهم فى النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لبغض الله اياكم فى النار أكبر من بغضكم أنفسكم (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أى فى الدنيا (قالوا ربنا أمتنا اثنتين) أى أمتنا فى القبور مرتين (وأحييتنا اثنتين) أى أحييتنا للبعث مرتين (فاعترفنا بذنوبنا) أى بكفرنا (فهل الى خروج من سبيل) أى الى الدنيا (ذلكم) أى ما أنتم فيه من العذاب (بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم) أى بالتوحيد (وان يشرك به تؤمنوا) أى بالشرك (فالحكم لله العلى الكبير) أى القضاء لله العلى عن كل شىء الكبير (هو الذى يريكم آياته) أى دلائله (وينزل لكم من السماء رزقا) أى مطرا (وما يتذكر الا من ينيب) أى يرجع (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى العبادة (ولو كره الكافرون) أى ذلك (رفيع الدرجات) أى رافع السموات (ذو العرش) أى خالقه ومالكه (يلقى الروح من أمره) أى الوحى من قوله (على من يشاء من عباده) أى الانبياء (لينذر يوم التلاق) أى يوم القيامة (يوم هم بارزون) أى ظاهرون (لا يخفى على الله منهم شىء) أى من أعمالهم (لمن الملك اليوم) أى يقول الله تعالى لمن الملك اليوم (لله الواحد القهار) أى الذى قهر كل شىء (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) أى من خير أو شر (لا ظلم اليوم) أى لا ينقص من ثواب حسناتهم ولا يزاد فى عقاب سيئاتهم (ان الله سريع الحساب) أى يحاسب الخلق فى مقدار حلب شاة (وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة (اذ القلوب لدى الحناجر) أى قد بلغت الحناجر (كاظمين) أى ممتلئين غما (ما للظالمين من حميم) أى قريب (ولا شفيع يطاع) أى فى الآخرة (يعلم خائنة الاعين) أى ما تخون الاعين بالنظر الى ما لا يحل (وما تخفى الصدور) أى من الضمائر (والله يقضى بالحق) أى بين الخلق (والذين يدعون من دونه) أى الاصنام (لا يقضون بشىء) أى لا يحكمون بشىء (ان الله هو السميع البصير) أى لاقوال العباد وأفعالهم (أو لم يسيروا فى الارض) أى أو لم يسر هؤلاء (فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى كيف كان عاقبة الامم الخالية (كانوا هم أشد منهم قوة) أى فى أبدانهم (وآثارا فى الارض) أى من القصور والحصون (فأخذهم الله بذنوبهم) أى بكفرهم (وما كان لهم من الله من واق) أى من مانع (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات (فكفروا فأخذهم الله) أى بالعذاب (انه قوى) أى على عقاب من كفر به (شديد العقاب) أى لمن كفر به (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى بالتسع (وسلطان مبين) أى حجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) أى فى قوله انى رسول الله اليكم (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أى بموسى (واستحيوا نساءهم) أى كما كنا نفعل بهم قبل مجىء موسى (وما كيد الكافرين) أى ما احتيالهم (الا فى ضلال) أى ذهاب عن الصواب (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) أى لما عجز عن مقاومة حجته (وليدع ربه) أى ليمنعه منى (انى أخاف أن يبدل دينكم) أى الذى أنتم عليه (أو أن يظهر فى الارض الفساد) أى بالمعاصى (وقال موسى انى عذت بربى وربكم) أى اعتصمت بالله (من كل متكبر) أى عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) أى لا يصدق بالبعث (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) أى من أقاربه (يكتم إيمانه) أى عن فرعون (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) أى أتقتلونه لقوله ربى الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أى بالمعجزات (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أى وبال كذبه (وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) أى من العذاب (ان الله لا يهدى من هو مسرف) أى مشرك (كذاب) أى فى قوله انى رسول الله اليكم (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى غالبين فيها (فمن ينصرنا من بأس الله) أى من عذاب الله (ان جاءنا) أى بعد قتل موسى (قال فرعون ما أريكم) أى ما أشير عليكم (الا ما أرى) أى ما أعلم (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى ما أدلكم الا على ما فيه صلاحكم (وقال الذى آمن) أى من آل فرعون (ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيام الامم الخالية (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أى مثل عادتهم فى تكذيب الرسل (وما الله يريد ظلما للعباد) أى فيعذبهم بغير ذنب (ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة (يوم تولون مدبرين) أى عن الموقف الى النار (ما لكم من الله من عاصم) أى من مانع (ومن يضلل الله فما له من هاد) أى من مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) أى بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) أى من التوحيد (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أى لانه لا رسول بعده (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى مشرك شاك (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) أى بغير حجة (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) أى كبر مقتهم عند الله وعند المؤمنين (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) أى يختم على قلب كل متكبر جبار (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) أى قصرا عاليا (لعلى أبلغ الاسباب) أى الطرق (أسباب السموات فأطلع الى اله موسى) أى أصعد اليه (وانى لاظنه كاذبا) أى فى قوله انى رسول الله اليكم (وكذلك زين لفرعون سوء عمله) أى قبيح عمله (وصد عن السبيل) أى سبيل الرشد (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى خسران (وقال الذى آمن) أى من آل فرعون (ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) أى أدلكم على ما فيه صلاحكم (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى تمتع قليل (وان الآخرة هى دار القرار) أى دار الاقامة (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) أى من غير زيادة (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أى بغير تقدير لكثرته (ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) أى تدعوننى الى الكفر الذى هو سبب النار (تدعوننى لاكفر بالله) أى بتوحيده (وأشرك به ما ليس لى به علم) أى بأنه شريك (وأنا أدعوكم الى العزيز) أى فى ملكه (الغفار) أى لذنوب من تاب (لا جرم أنما تدعوننى اليه) أى الى عبادته (ليس له دعوة فى الدنيا) أى ليست له عبادة فى الدنيا (ولا فى الآخرة) أى لا يستجيب دعوة من دعاه (وأن مردنا الى الله) أى الى حكمه (وأن المسرفين هم أصحاب النار) أى فى علم الله (فستذكرون ما أقول لكم) أى عند نزول العذاب بكم (وأفوض أمرى الى الله) أى أتوكل عليه (ان الله بصير بالعباد) أى بأعمالهم (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى من مكرهم (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) أى نزل بهم (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) أى يعرض أرواحهم على النار فى البرزخ (ويوم تقوم الساعة) أى يقال (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أى فى النار (واذ يتحاجون فى النار) أى يتخاصمون (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) أى الاتباع للرؤساء (انا كنا لكم تبعا) أى فى الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) أى بعض العذاب (قال الذين استكبروا) أى الرؤساء (انا كل فيها) أى فى النار (ان الله قد حكم بين العباد) أى بالعدل (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) أى الموكلين بها (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) أى قدر يوم (قالوا) أى الخزنة (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أى بالمعجزات (قالوا بلى) أى قد جاءتنا (قالوا فادعوا) أى أنتم (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى ذهاب عن الصواب (انا لننصر رسلنا) أى بالحجة والظفر (والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) أى بالغلبة والقهر (ويوم يقوم الاشهاد) أى يوم القيامة (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أى اعتذارهم (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) أى النار (ولقد آتينا موسى الهدى) أى الدلالات (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) أى التوراة (هدى وذكرى لاولى الالباب) أى العقول (فاصبر) أى على أذى قومك (ان وعد الله حق) أى بالنصر (واستغفر لذنبك) أى لترك الافضل (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) أى صل (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) أى بغير حجة (ان فى صدورهم الا كبر) أى تكبر عن الحق (ما هم ببالغيه) أى ما هم ببالغى الكبر (فاستعذ بالله) أى اعتصم به (انه هو السميع البصير) أى لاقوال العباد وأفعالهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) أى فى القدرة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ذلك (وما يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) أى المشرك (قليلا ما تتذكرون) أى تعتبرون (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) أى لا شك فيها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أى بها (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى أعطكم ما سألتم (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) أى عن الايمان بى (سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى لتستريحوا (والنهار مبصرا) أى لتبصروا فيه (ان الله لذو فضل على الناس) أى بالنعم (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يطيعون (ذلكم الله ربكم خالق كل شىء) أى من الاجسام والاعراض (لا اله الا هو فأنى تؤفكون) أى كيف تصرفون عن عبادته (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كما صرفتم عن عبادته صرف الذين كانوا بآياته يجحدون (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) أى مستقرا (والسماء بناء) أى سقفا (وصوركم فأحسن صوركم) أى فى الرحم (ورزقكم من الطيبات) أى من الحلال (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أى تعالى الله (هو الحى) أى الدائم (لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين) أى العبادة (الحمد لله رب العالمين) أى على ما قضى بينهم بالحق (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى الاصنام (لما جاءنى البينات من ربى) أى المعجزات (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أى أخلص له العبادة (هو الذى خلقكم من تراب) أى خلق أباكم آدم (ثم من نطفة) أى ثم خلقكم من نطفة (ثم من علقة) أى ثم من علقة (ثم يخرجكم طفلا) أى صغيرا (ثم لتبلغوا أشدكم) أى قوتكم (ثم لتكونوا شيوخا) أى ثم لتعيشوا حتى تكونوا شيوخا (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) أى وقت الموت (ولعلكم تعقلون) أى تعتبرون (هو الذى يحيى ويميت) أى يحيى الخلق ويميتهم (فاذا قضى أمرا) أى أراد شيئا (فانما يقول له كن فيكون) أى فيوجد (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) أى يكذبون بها (أنى يصرفون) أى كيف يصرفون عن الحق (الذين كذبوا بالكتاب) أى القرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) أى من الكتب (فسوف يعلمون) أى عاقبة تكذيبهم (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل) أى يسحبون بها (يسحبون فى الحميم) أى الماء الحار (ثم فى النار يسجرون) أى توقد بهم النار (ثم قيل لهم) أى على وجه التوبيخ (أين ما كنتم تشركون) أى فى الدنيا (من دون الله) أى الاصنام (قالوا ضلوا عنا) أى غابوا عنا (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) أى لم نعبد شيئا (كذلك يضل الله الكافرين) أى كما أضل هؤلاء يضل الكافرين (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق) أى بالباطل (وبما كنتم تمرحون) أى تبطرون (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أى مأوى لهم (فاصبر ان وعد الله حق) أى بالنصر (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) أى فى حياتك (أو نتوفينك) أى قبل ذلك (فاليه يرجعون) أى فى الآخرة (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) أى ذكرنا لك (ومنهم من لم نقصص عليك) أى ذكرنا لك (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) أى بمشيئته (فاذا جاء أمر الله) أى بالعذاب (قضى بالحق) أى بين الخلق (وخسر هنالك المبطلون) أى الكافرون (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها) أى الابل (ومنها تأكلون) أى البقر والغنم (ولكم فيها منافع) أى فى الانعام (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى من الحوائج (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى فى البر والبحر (ويريكم آياته) أى دلائله (فأى آيات الله تنكرون) أى لا ينكرها الا جاحد (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى كيف كان عاقبة الامم الخالية (كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض) أى من القصور والحصون (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى من الاموال والاعمال (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات (فرحوا بما عندهم من العلم) أى بما عندهم من علم الدنيا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى نزل بهم جزاء استهزائهم (فلما رأوا بأسنا) أى عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى بالاصنام (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أى عذابنا (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى فى الامم الخالية (وخسر هنالك الكافرون)

سورة حم السجدة مكية وهى أربع وخمسون آية وألف ومائة وثلاث وستون حرفا ومائتان وثلاث وثلاثون كلمة

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أى هذا تنزيل (كتاب فصلت آياته) أى بينت (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب (لقوم يعلمون) أى يفهمون (بشيرا ونذيرا) أى للمؤمن والكافر (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أى سماع قبول (وقالوا قلوبنا فى أكنة) أى أغطية (مما تدعونا اليه) أى من التوحيد (وفى آذاننا وقر) أى صمم (ومن بيننا وبينك حجاب) أى فى الدين (فاعمل) أى على دينك (انا عاملون) أى على ديننا (قل انما أنا بشر مثلكم) أى فى الخلقة (يوحى الى أنما الهكم اله واحد) أى لا شريك له (فاستقيموا اليه) أى أخلصوا له العبادة (واستغفروه) أى من الشرك (وويل للمشركين) أى الكافرين (الذين لا يؤتون الزكاة) أى لا يقرون بوجوبها (وهم بالآخرة هم كافرون) أى جاحدون (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) أى الاحد والاثنين (وتجعلون له أندادا) أى شركاء (ذلك رب العالمين) أى خالقهم ومالكهم (وجعل فيها رواسى من فوقها) أى جبالا ثوابت (وبارك فيها) أى بالماء والشجر والانهار (وقدر فيها أقواتها) أى أرزاقها (فى أربعة أيام) أى الثلاثاء والاربعاء (سواء للسائلين) أى من احتاج شيئا أعطى (ثم استوى الى السماء) أى قصد الى خلقها (وهى دخان) أى بخار الماء (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) أى ليأت كل منكما ما أريد منها طائعة أو مكرهة (قالتا أتينا طائعين) أى فى الاتيان بما أريد منا (فقضاهن سبع سموات فى يومين) أى الخميس والجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) أى ما أمر به فيها (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) أى بالكواكب (وحفظا) أى من الشياطين (ذلك تقدير العزيز العليم) أى فى ملكه وصنعه (فان أعرضوا) أى عن الايمان (فقل أنذرتكم صاعقة) أى عذابا (مثل صاعقة عاد وثمود) أى فى الشدة (اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أى من كل جانب (ألا تعبدوا الا الله) أى بأن لا تعبدوا (قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة) أى الى الارض (فانا بما أرسلتم به كافرون) أى جاحدون (فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) أى بالباطل (وقالوا من أشد منا قوة) أى فى أبدانهم (أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) أى فى أبدانهم (وكانوا بآياتنا يجحدون) أى يكذبون (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى شديدة الصوت (فى أيام نحسات) أى مشئومات (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) أى بالقتل والسبى (ولعذاب الآخرة أخزى) أى أشد خزيا (وهم لا ينصرون) أى لا يمنعون (وأما ثمود فهديناهم) أى بينا لهم طريق الهدى (فاستحبوا العمى على الهدى) أى اختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أى الهوان (بما كانوا يكسبون) أى من الكفر (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) أى الشرك (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أى يساقون اليها (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم (حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) أى من المعاصى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) أى بالمعاصى (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء) أى من الاجسام والاعراض (وهو خلقكم أول مرة) أى من تراب (واليه ترجعون) أى فى الآخرة (وما كنتم تستترون) أى تستخفون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أى ما كنتم تستخفون من أن تشهد عليكم جوارحكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أى من المعاصى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) أى أهلككم (فأصبحتم من الخاسر

(فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردها الى الجسد قرأ حمزة والكسائي قضى بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء الموت رفع على ما لم يسم فاعله وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد الموت نصب لقوله عز وجل الله يتوفى الانفس (ويرسل الاخرى) ويرد الاخرى وهي التي لم يقض عليها الموت الى الجسد (الى أجل مسمى) الى أن يأتي وقت موته ويقال للانسان نفس وروح فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح وعن علي قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة ويقال ان أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء حتى ترجع الى أجسادها الى انقضاء مدة حياتها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف

التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) أي يرد النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها (الى أجل مسمى) أي الى أن يأتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن أبي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد بأسرع من لحظة وقيل ان أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا * قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى وللملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في البعث وذلك أن توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم نغلط في امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها * قوله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) يعني الاصنام (قل) يا محمد (أولو كانوا) يعني الآلهة (لا يملكون شيأ) أي من الشفاعة (ولا يعقلون) أي انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) أي لا يشفع أحد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لانه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والارض) أي لا ملك لاحد فيهما سواه (ثم اليه ترجعون) أي في الآخرة * قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت) أي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قيل اذا اشمأز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (واذا ذكر الذين من دونه) يعني الاصنام (اذا هم يستبشرون) أي يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل * قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أي من أمر الدين (م) عن أبي سلمة

ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أحمد ابن يونس ثنا زهير ثنا عبد الله بن عمر حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في امساك ما يمسك من الارواح وارسال ما يرسل منها قال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث يعني ان توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل) يا محمد (أولو

كانوا) وان كانوا يعني الآلهة (لا يملكون شيأ) من الشفاعة (ولا يعقلون) انكم تعبدونهم وجواب هذا محذوف تقديره وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم (قل لله الشفاعة جميعا) قال مجاهد لا يشفع أحد الا باذنه (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت) نفرت وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعني الاصنام (اذا هم يستبشرون) يفرحون قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم فألقى الشيطان في أمنيته تلك الغرانيق العلى ففرح به الكفار (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد

القاضي أنا أبو نعيم الاسفرايني أنا أبو عوانة ثنا السلمي ثنا النضر بن محمد ثنا عكرمة بن عمار أنا يحيى بن أبي كثير ثنا أبو سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة من الليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا انه نازل بهم في الآخرة قال السدي ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا وروى ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي ما لم أحتسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي مساوي أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) شدة (دعانا ثم اذا خولناه) أعطيناه (نعمة منا قال انما أوتيته على علم) أي على علم من الله اني له أهل وقال مقاتل على خير علم الله عندي وذكر الكناية لان المراد من النعمة الانعام (بل هي فتنة) يعني تلك النعمة فتنة

ابن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شئ كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم * قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) يعني ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) يعني مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى (وحاق) يعني نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) يعني شدة (دعانا ثم اذا خولناه) يعني أعطيناه (نعمة منا قال انما أوتيته على علم) يعني من الله تعالى علم اني له أهل وقيل على خير علمه الله عنده (بل هي فتنة) يعني تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعني قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندي (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني فما أغنى الكفر من العذاب شيأ (فاصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) أي بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أي يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أي يقتر ويقبض على من يشاء (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون * قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية ان ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فأولئك

استدراج من الله وامتحان وبلية وقيل بل الكلمة التي قالها فتنة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انه استدراج وامتحان (قد قالها الذين من قبلهم) قال مقاتل يعني قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندي (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيأ (فاصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاؤها يعني العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أي يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أي يقتر على من يشاء (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يدل قوله عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الذي تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وأنت تزعم ان من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وآمن وعمل صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري يغفر لي أم لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا جاء وأسلم فقال المسلمون هذا له خاصة أم للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة وروى عن ابن عمر قال نزلت هذه الآية في عياش بن أبي

ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا ففتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا قد هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا أحدا أصاب منها شيأ خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجونا له وأرادبالاسراف ارتكاب الكبائر وروى عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الزابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي انا أبو اسحق ابراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا حيان ابن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالوا ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن بشار ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعا وتسعين انسانا ثم خرج يسال فأتى راهبا فسأله فقال هل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى هذه ان تقربي وأوحى الى هذه أن تباعدي وقال

قيسوا ما بينهما فوجد الى هذه أقرب بشبر فغفر له ورواه مسلم ابن الحجاج عن محمد بن المثنى العنبري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الاسناد وقال فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله وكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل خيرا قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين قال فلما مات فعلوا ما أمرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر له أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسين محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة عن عمار ثنا ضمضم بن حوشب قال دخلت المدينة فناداني شيخ فقال يا يماني تعال وما أعرفه فقال لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الله الجنة قلت ومن أنت يرحمك الله قال أبو هريرة قال فقلت ان هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله اذا غضب أو لزوجته أو لخادمه قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلين كانا في بني اسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان مذنبا فجعل يقول له اقصر عما أنت فيه قال فيقول خلني وربي قال حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الله الجنة أبدا قال فبعث الله اليهما ملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر أتستطيع ان تحظر على عبدي رحمتي فقال لا يا رب فقال اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته

يبدل الله سيآتهم حسنات قال يبدل شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي يدعوه الى الاسلام فأرسل اليه كيف تدعوني الى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا فأنزل الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فأسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا ففتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن أبي

ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فأسلموا جميعا وهاجروا وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول فى ذلك وكنا اذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيأ من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجونا له وقوله أسرفوا على أنفسهم أى تجاوزوا الحد فى كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله أى لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله من الكبائر (ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) * فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون اغراء بالمعاصى واطلاقا فى الاقدام عليها وذلك لا يمكن * قلت المراد منها التنبيه على انه لا يجوز أن يظن العاصى انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أى اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم

﴿فصل فى ذكر أحاديث تتعلق بالآية﴾ روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فأتى راهبا فسأله فقال هل لى من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فضرب صدره تخوفا فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى الى هذه أن تقربى وأوحى الله الى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخارى ولمسلم قال فدل على راهب فأتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى هذه أن تقربى والى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض الذى أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفى رواية لم يعمل خيرا قط وفى رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا أنا مت فأحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الارض فقال اجمعى ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان فى بنى اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر فى العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلنى وربى أبعثت على رقيبا فقال والله لا يغفر الله أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما

قوله عز وجل (ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) أخبرنا عبد الرحمن ابن أبى بكر القفال أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن يونس الخطيب ثنا محمد بن يعقوب الاصم ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا زكريا بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى الا اللمم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما

قوله عزوجل (وأنيبوا الى ربكم) أقبلوا وارجعوا اليه بالطاعة (وأسلموا له) وأخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن والقرآن كله حسن ومعنى الآية ما قال الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان فى القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره قال السدى الاحسن ما أمر الله به فى الكتاب (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس) يعنى لئلا تقول نفس كقوله وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم يعنى لئلا تميد بكم قال المبرد أى بادروا واحذروا أن تقول نفس وقال الزجاج خوف أن تصيروا الى حال تقولون هذا القول (ياحسرتى) يا ندامتا والتحسر الاغتمام على مافات وأراد ياحسرتى على الاضافة لكن العرب تحول ياء الكناية ألفا فى الاستغاثة فتقول ياويلتى ويا ندامتاور بما ألحقوا بها الياء بعد الالف ليدل على الاضافة وكذلك قرأ أبو جعفر ياحسرتاى وقيل معنى قوله ياحسرتا يا أيتها الحسرة هذا وقتك (على مافرطت فى جنب الله) قال الحسن قصرت فى طاعة الله وقال مجاهد فى أمر الله وقال سعيد بن جبير فى حق الله وقيل ضيعت فى ذات الله وقيل معناه قصرت فى الجانب الذى يردنى الى رضا الله والعرب تسمى الجنب جانبا (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته (أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب) عيانا (لو أن لى كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) الموحدين، يقال لهذا القائل (بلى قد جاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) وقلت انها ليست من الله (واستكبرت) تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) فزعموا ان له ولدا وشريكا (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) عن الايمان (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بمفازاتهم بالالف على الجمع أى بالطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرأ الآخرون بمفازتهم على الواحد لان المفازة بمعنى الفوز أى ينجيهم بفوزهم من النار باعمالهم الحسنة قال المبرد المفازة مفعلة من الفوز والجمع حسن كالسعادة والسعادات (لا يمسهم السوء) لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ)

فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما فى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أو بقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عزوجل يا ابن آدم انك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها * قوله عزوجل (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة (وأسلموا له) أى أخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون منه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية على ما قاله الحسن التزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل فى القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) يعنى غافلين عنه (أن تقول نفس) أى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف أن تصيروا الى حال أن تقول نفس (ياحسرتا) أى يا ندمى ويا حزنى والتحسر الاغتمام والحزن على مافات (على مافرطت فى جنب الله) أى على ماقصرت فى طاعة الله وقيل فى أمر الله وقيل فى حق الله وقيل على ما ضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ماقصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى (وان كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أو تقول لو أن الله هدانى) أى أرشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) أى الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أى عيانا (لو أن لى كرة) أى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) أى الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بأن الاعذار زائلة والتعليل باطل وهو قوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) أى قلت ليست من الله (واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أى زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) أى عن الايمان * قوله تعالى (وينجى الله الذين اتقوا) أى الشرك (بمفازتهم) أى الطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) أى لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ) أى مما هو كائن أو يكون فى الدنيا

وهو على كل شئ وكيل) أى الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح ومقليد مثل منديل ومناديل وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبى خزائن المطر وخزائن النبات (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) قوله عز وجل (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) قال مقاتل وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه قرأ أهل الشام تأمرونى بنونين خفيفتين على الاصل وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الادغام (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره وقيل هذا أدب من الله لنبيه وتهديد لغيره لان الله تعالى عصمه من الشرك (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) لا نعامه عليك قوله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته

فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انا نجد ان الله يجعل السموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة ورواه مسلم بن الحجاج عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور قال والجبال والشجر على أصبع وقال ثم يهزهن هزا فيقول أنا الملك أنا الله أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أخبرنى الحسين بن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله ابن الفضل ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله أخبرنى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة الكشميهنى ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله ابن المبارك عن يونس عن الزهرى حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمنه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض

والآخرة (وهو على كل شئ وكيل) أى ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسى معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد * ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذى يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أى جحدوا بايانه الظاهرة الباهرة (أولئك هم الخاسرون) * قوله عز وجل (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أى لا نعامه عليك * قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفى رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول

قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى (الا من شاء الله) اختلفوا في الذين استثناهم عز وجل وقد ذكرناهم في سورة النمل قال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) أي مرة أخرى (فاذا هم قيام ينظرون) من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا محمد ثنا ابن معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا اربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله عز وجل (وأشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) بنور خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو وقال الحسن والسدي بعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أي كتاب الاعمال (وجيء بالنبيين والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء يعني الحفظة يدل عليه قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (وقضي بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا يزاد في سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أي ثواب ما عملت (وهو اعلم بما يفعلون) قال عطاء يريد اني عالم بافعالهم لا أحتاج الى كاتب ولا الى شاهد (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا (زمرا) افواجا بعضها على اثر بعض كل أمة على حدة قال أبو عبيدة والاخفش زمرا أي جماعات في تفرقة واحدة تهاز مرة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك قرأ اهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير (وقال لهم خزنتها) توبيخا وتقريعا لهم (ألم يأتكم رسل منكم) من انفسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت) وجبت (كلمة العذاب على الكافرين) وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى اني أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه * قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى (الا من شاء الله) تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) مرة أخرى وهي النفخة الثانية (فاذا هم قيام) أي من قبورهم (ينظرون) أي ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة * قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبدأ الى المنتهى (وجيء بالنبيين) يعني ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة (وقضي بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا يزاد في سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أي ثواب ما عملت (وهو أعلم بما يفعلون) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد * قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعني سوقا عنيفا (زمرا) أفواجا بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدة تهاز مرة (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعني توبيخا وتقريعا (ألم يأتكم رسل منكم) أي من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أي وجبت (على الكافرين) وهي قوله تعالى لاملأن جهنم

(قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) قال الكوفيون هذه الواو زائدة حتى تكون جوابا لقوله حتى اذا جاؤها كما في سوق الكفار وهذا كما قال الله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء أي ضياء والواو زائدة وقيل الواو واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفها في الآية الاولى لبيان انها كانت مغلقة قبل مجيئهم فاذا لم تجعل الواو زائدة في قوله وفتحت أبوابها اختلفوا في جواب قوله حتى اذا قيل جوابه قوله جاؤها وقال لهم خزنتها والواو فيه ملغاة تقديره حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها وقال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف تقديره حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها (٧٢) (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه

من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) * قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) * فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما * قلت المراد بسوق أهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين أو المراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) * فان قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق * قلت فيه وجوه أحدها أنها زائدة الثاني أنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الآية الاولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان أهل الجنة اذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية * فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فأين جوابه * قلت فيه وجوه أحدها انه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أي ابشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عندبابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) أي بالجنة (وأورثنا الارض) أي أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) أي ننزل (من الجنة) أي في الجنة (حيث نشاء) * فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره * قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل (فنعم أجر العاملين) أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم (وقضي بينهم بالحق) بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي

وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم يريد ان خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم قال ابن عباس طاب لكم المقام قال قتادة هم اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة فقال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وروى عن علي عليه السلام قال سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عندبابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتلقته الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض) أي أرض الجنة وهو قوله عز وجل ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون يقوله

(نتبوأ) ننزل (من الجنة حيث نشاء) قال الله تعالى (فنعم أجر العاملين) ثواب المطيعين (وترى الملائكة حافين من حول العرش) اي محدقين محيطين بالعرش مطيفين بحوافيه اي بجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) قيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف متروك في ذلك اليوم (وقضي بينهم بالحق) أي قضي بين اهل الجنة والنار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) يقول اهل الجنة شكرا حين رعد الله لهم

﴿ سورة المؤمن خمس وثمانون آية مكية ﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال ان مثل القرآن كمثل رجل انطلق برتاد لاهله منزلا فمر بأرض غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو محمد الرومي ثنا أبو العباس السراج أنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان الجراح بن الجراح حدثه عن ابن عباس قال لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات أتأنق (٧٣) فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل الحواميم يسمين العرائس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (حم) قد سبق الكلام في حروف التهجي قال السدي عن ابن عباس حم اسم الله الاعظم وروى عكرمة عنه قال الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراساني الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حي حليم حنان والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي معناه قضى ما هو كائن كأنه أشار الى ان معناه حم بضم الحاء وتشديد الميم وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حم بكسر الحاء والباقون بفتحها (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب) ساتر الذنب (وقابل التوب) يعني التوبة مصدر تاب يتوب توبا وقيل التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم قال ابن

يقوله أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في آخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسراركتابه

﴿ تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر ﴾

وهي مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق برتاد لاهله منزلا فمر بأرض غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضي الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أي قضى ما هو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أي الغالب القادر وقيل الذي لا مثل له (العليم) أي بكل المعلومات (غافر الذنب) يعني ساتر الذنب (وقابل التوب) يعني التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا اله الا الله (ذي الطول) يعني السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم وأصل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه (لا اله الا هو) يعني هو الموصوف بصفات الوحدانية التي لا يوصف بها غيره (اليه المصير) أي مصير العباد اليه في الآخرة * قوله تعالى (ما يجادل) يعني ما يخاصم ويحاجج (في آيات الله) يعني في دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء في القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا

عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله محمد رسول الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا اله الا الله (ذي الطول) ذي الغنى عمن لا يقول لا اله الا الله قال مجاهد ذي الطول ذي السعة والغنى وقال الحسن ذو الفضل قال قتادة ذو النعم وقيل ذو القدرة وأصل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه (لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله) في دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد ثنا محمد بن خالد أنا داود بن سليمان أنا عبد الله بن حميد ثنا الحسين بن علي الجعفي عن زائدة عن ليث عن سعد بن ابراهيم عن أبي سلمة

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القرآن كفر أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران انا اسمعيل ابن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون في القرآن فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه قوله تعالى (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب نظيره قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه والعرب تسمي الاسير أخيذا (وجادلوا بالباطل ليدحضوا) ليبطلوا (به الحق) الذي جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) يعني أنزلت بهم من الهلاك ما هموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أن وجبت (كلمت ربك) يعني كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) يعني من قومك (انهم) يعني بأنهم (أصحاب النار) قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما أن الكعبة قبلة لاهل الارض قوله (ومن حوله) يعني الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين

ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب (فلا يغررك تقلبهم) يعني تصرفهم (في البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) يعني الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) يعني خاصموا (بالباطل ليدحضوا) يعني ليبطلوا (به الحق) الذي جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) يعني أنزلت بهم من الهلاك ما هموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أن وجبت (كلمت ربك) يعني كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) يعني من قومك (انهم) يعني بأنهم (أصحاب النار) قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما أن الكعبة قبلة لاهل الارض قوله (ومن حوله) يعني الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين

قوله عز وجل (الذين يحملون العرش ومن حوله) حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون وهم سادة الملائكة قال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمس مائة عام ويروى ان أقدامهم في تخوم الارض والارضون والسموات الى حجزتهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقال ميسرة بن عبد ربه أرجلهم في الارض السفلى

ورؤسهم تحت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من أهل السماء التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون حجابا من نور وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنيه الى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقال وهب بن منبه ان حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر والخلق كلهم لك راجون ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل * قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) اى ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) اى يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له * فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به * قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) اى يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في أحد بشئ يكرهه أن يستغفر له (ربنا) اى ويقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك)

سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله تعالى قال ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه انسان ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وأما جناحان فبهفو بهما كما يهفو هذا الطائر بجناحيه اذا حرك ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد قوله عز وجل (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) يصدقون بأنه واحد لا شريك له أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني ثنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عمر بن عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا هرون بن رباب ثنا شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم ينظرون ذنوب بني آدم قوله عز وجل (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا) يعني يقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) قيل نصب على التفسير وقيل على النقل أي وسعت رحمتك وعلمك كل شئ (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) دينك

(وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح) آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي أين أمي اين ولدي اين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة (وقهم السيئات) العقوبات (ومن تق السيئات) أي ومن تقه السيئات يعني العقوبات وقيل جزاء السيئات (يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) قوله عزوجل (ان الذين كفروا ينادون) يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) يعني لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون

اى دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي واين امي واين ولدي واين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهله في الجنة كان أكمل لسروره ولذته (وقهم السيئات) اى عقوبات السيئات بأن تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) يعني من تقه في الدنيا (فقد رحمته) يعني في القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) يعني النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله * قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) يعني يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) يعني اياكم في الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أي اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في القبر للسؤال ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا للبعث في الآخرة وذلك انهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فأما الحياة الاولى التي هي من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من اقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) يعني من النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم) معناه فأجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم اذا دعي الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك (وان يشرك به) اى غيره (تؤمنوا) اى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلي) اى الذي لا اعلى منه (الكبير) اى الذي لا اكبر منه * قوله عزوجل (هو الذي يريكم آياته) اى عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعني المطر الذي هو سبب الارزاق (وما يتذكر) اى يتعظ بهذه الآيات (الا من ينيب) اى يرجع الى الله تعالى في جميع اموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) اى الطاعة والعبادة

اذ تدعون الى الايمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان وهذا كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم للسؤال ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة (فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل) أي من خروج من النار الى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك نظيره هل الى مرد من سبيل قال الله تعالى (ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم) وفيه متروك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه مجازه فاجيبوا أن لا سبيل الى ذلك وهذا العذاب (ولو والخلود في النار بأنكم اذا دعي الله وحده كفرتم أي اذا قيل لا اله الا الله أنكرتم وقلتم أجعل الآلهة الها واحدا (وان يشرك به) غيره (تؤمنوا) تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلي الكبير) الذي لا أعلى منه ولا أكبر (هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا) يعني المطر الذي هو سبب الارزاق (وما يتذكر) وما يتعظ بهذه الآيات (الا من ينيب) يرجع الى الله تعالى في جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) الطاعة والعبادة

(ولو كره الكافرون رفيع الدرجات) رافع درجات الانبياء والاولياء في الجنة (ذو العرش) خالقه ومالكه (يلقي الروح) ينزل الوحي سماه روحا لانه تحيا به القلوب كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل من قوله وقال مقاتل بأمره (على من يشاء من عباده لينذر) أي لينذر النبي بالوحي (يوم التلاق) وقرأ يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الارض قال قتادة ومقاتل يلتقي فيه الخلق والخالق قال ابن زيد يتلاقى العباد وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء (لا يخفى على الله منهم) من أعمالهم وأحوالهم (شيء) ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق (لمن الملك اليوم) فلا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول (لله الواحد القهار) الذي قهر الخلق بالموت (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وأنذرهم يوم الآزفة) يعني يوم القيامة سميت بذلك لانها قريبة اذ كل ما هو آت قريب نظيره قوله عز وجل أزفت الآزفة أي قربت القيامة (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به (ما للظالمين من حميم) قريب ينفعهم (ولا شفيع يطاع) فيشفع فيهم (يعلم خائنة الاعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل قال مجاهد نظر الاعين الى ما نهى الله عنه (وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق) والذين يدعون من دونه) يعني الاوثان (لا يقضون بشيء) لانها لا تعلم شيأ ولا تقدر على شيء فرأ نافع وابن عامر تدعون بالتاء وقرأ الآخرون بالياء (ان الله هو السميع البصير أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة) قرأ ابن عامر منكم بالكاف وكذلك هو في مصاحفهم (وآثارا في الارض) فلم ينفعهم ذلك

(ولو كره الكافرون) * قوله تعالى (رفيع الدرجات) أي رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع أي انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذو العرش) أي خالقه ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى (يلقي الروح) يعني ينزل الوحي سماه روحا لان به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعني الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من أعمالهم وأحوالهم * فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في سائر الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم * قلت كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا (لمن الملك اليوم) أي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرون في يوم القيامة نادى منادٍ لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق في يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعني يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم) أي ان الخلق آمنون في ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد (ان الله سريع الحساب) أي انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد * قوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة) يعني يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) أي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه (ما للظالمين من حميم) أي من قريب ينفعهم (ولا شفيع) أي يشفع لهم (يطاع) أي فيهم (يعلم خائنة الاعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين لما نهى الله عنه (وما تخفي الصدور) أي يعلم مضمرات القلوب (والله يقضي بالحق) أي يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعني الاصنام (لا يقضون بشيء) لانها لا تعلم شيأ ولا تقدر على شيء (ان الله هو السميع) أي لاقوال الخلق (البصير) بأفعالهم (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض) أي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا

(فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يدفع عنهم العذاب (ذلك) أي ذلك العذاب الذي نزل بهم (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعني فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم فمناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته (وما كيد الكافرين) ومامكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا في ضلال) أي يذهب كيدهم باطلا و يحيق بهم ما يريده الله عز وجل (وقال فرعون) لملئه (ذروني أقتل موسى) وانما قال هذا لانه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك (وليدع ربه) أي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا (اني أخاف

أن يبدل) أن يغير (دينكم) الذي أنتم عليه (أو أن يظهر في الارض الفساد) قرأ يعقوب وأهل الكوفة أو أن يظهر وقرأ الآخرون وأن يظهر وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص يظهر بضم الياء وكسر الهاء على التعدية الفساد نصب لقوله أن يبدل دينكم حتى يكون الفعلان على نسق واحد وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم الفساد رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره (وقال موسى) لما توعده فرعون بالقتل (اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) واختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وقال قوم كان اسرائيليا ومجاز الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسمه حزبيل عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل كان على اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) لان يقول ربي الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بما يدل على صدقه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يضركم ذلك (وان يك صادقا) فكذبتموه وهو صادق (يصبكم بعض الذي يعدكم) قال أبو عبيد المراد بالبعض الكل أي ان قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب قال الليث بعض ههنا صلة يريد يصبكم الذي يعدكم وقال أهل المعاني هذا على الظاهر في الحجاج كانه قال أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (ان الله لا يهدي) الى دينه (من هو مسرف) مشرك (كذاب) على الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبيد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم حدثني الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن ابراهيم التيمي حدثني عروة

من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) أي يدفع عنهم العذاب (ذلك) اي ذلك العذاب الذي نزل بهم (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب) * قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعني فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) أي استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد الكافرين) أي ومامكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا في ضلال) أي يذهب كيدهم باطلا و يحيق بهم ما يريده الله تعالى (وقال فرعون) أي لملئه (ذروني أقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف فلا يقدر أن يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه (وليدع ربه) أي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا (اني أخاف أن يبدل دينكم) يعني يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه (أو أن يظهر في الارض الفساد) يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعني لما توعده فرعون بالقتل (اني عذت بربي وربكم) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت في دفع الشدة الا بأن استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أي متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) * قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أتقتلون رجلا أن يقول) أي لان يقول (ربي الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد * وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه (وان يك صادقا) أي فكذبتموه (يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (ان الله لا يهدي) يعني الى دينه (من هو مسرف كذاب) أي

أبن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) غالبين في أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله) من يمنعنا من عذاب الله (ان جاءنا) والمعنى لكم الملك اليوم فلا تتعرضوا العذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم (قال فرعون ما أريكم) من الرأي والنصيحة (الا ما أرى) لنفسي وقال الضحاك ما أعلمكم الا ما أعلم (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) ما أدعوكم الا الى طريق الهدى (وقال الذي آمن ياقوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) أي لا يهلكهم قبل ايجاب الحجة عليهم (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة يدعى كل أناس بامامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة وينادي أصحاب الاعراف وينادي بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادي حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقرأ ابن عباس والضحاك يوم التناد بتشديد الدال أي يوم التنافر وذلك انهم هربوا فندوا في الارض كما تند الابل اذا شردت عن أربابها وقال الضحاك وكذلك اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله تعالى والملك على أرجائها وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى النار وقال مجاهد فارين غير معجزين (مالكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل) يعني يوسف بن يعقوب من قبل أي من قبل موسى (بالبينات) يعني قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (فما زلتم في شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له (حتى اذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي

على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم * قوله عز وجل (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) يعني غالبين في الارض أي أرض مصر (فمن ينصرنا) يعني يمنعنا (من بأس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا العذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم (قال فرعون ما أريكم) أي من الرأي والنصيحة (الا ما أرى) يعني لنفسي (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أي ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله (وقال الذي آمن ياقوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) يعني مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) يعني لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) يعني يوم القيامة سمي يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة وينادي فيه بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادي حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادي الكافر ياليتني لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) يعني منصرفين عن موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) يعني يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد) يعني يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعني يوسف بن يعقوب (من قبل) يعني من قبل موسى (بالبينات) يعني قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فما زلتم في شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين في نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعني مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) يعني أقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو

أنهم على كفركم وظننتم ان الله لا يجد دعليكم الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف) مشرك (مرتاب) شاك (ان الذين يجادلون في آيات الله) قال الزجاج هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في آيات الله أي في ابطالها بالتكذيب (بغير سلطان) حجة (أتاهم) من الله (كبر مقتا) أي كبر ذلك الجدال مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قرأ أبو عمرو وابن عامر قلب بالتنوين وقرأ الآخرون بالاضافة دليله قراءة عبد الله بن مسعود على كل قلب كل متكبر جبار (وقال فرعون) لوزيره (يا هامان ابن لي صرحا) والصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد وأصله من التصريح وهو الاظهار (لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات) يعني طرقها وأبوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله موسى) قراءة العامة برفع العين نسقا على قوله أبلغ الاسباب وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهي قراءة حميد الاعرج على

جواب لعل بالفاء (واني لأظنه) يعني موسى (كاذبا) فيما يقول ان

تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) يعني في شركه وعصيانه (مرتاب) يعني في دينه (الذين يجادلون في آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أي بغير حجة وبرهان (أتاهم) من الله (كبر) أي ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قوله عز وجل (وقال فرعون) يعني لوزيره (يا هامان ابن لي صرحا) يعني بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص (لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات) يعني طرقها وأبوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله موسى واني لأظنه) يعني موسى (كاذبا) أي فيما يدعي ويقول ان له ربا غيري (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضي الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أي وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا في تباب) أي وما كيده في ابطال آيات موسى الا في خسار وهلاك * قوله تعالى (وقال الذي آمن ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) أي متعة يتمتعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هي دار القرار) يعني التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يعني لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار) معناه أنا أدعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة من النار وأنتم تدعوني الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم) أي لا أعلم ان الذي تدعوني اليه الله وما ليس بالله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله (وأنا أدعوكم الى العزيز) أي في انتقامه ممن كفر (الغفار) أي لذنوب أهل التوحيد (لا جرم) يعني حقا (أن ما تدعونني اليه) يعني الصنم (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) يعني ليست له استجابة دعوة لاحد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته في الدنيا ولا في الآخرة لان

لهربا غيري (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصد بضم الصاد نسقا على قوله زين لفرعون قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرأ الآخرون بالفتح أي صد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا في تباب) يعني وما كيده في ابطال آيات الله وآيات موسى الا في خسار وهلاك (وقال الذي آمن ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد) طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) متعة تتمتعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هي دار القرار) التي لا تزول (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) قال مقاتل لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة) يعني ما لكم كما تقول العرب مالي أراك حزينا أي ما لك يقول اخبروني عنكم كيف هذه الحال أدعوكم الى النجاة من النار بالايمان بالله (وتدعونني الى النار) الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر فقال (تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) العزيز في انتقامه ممن كفر الغفار لذنوب أهل التوحيد (لا جرم) حقا (أن ما تدعونني اليه) أي الى الوثن (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة) قال السدي لا يستجيب لاحد في الدنيا ولا في الآخرة يعني ليست له استجابة دعوة وقيل ليست له دعوة الى عبادته في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الاخرة تتبرأ من عابديها

الاصنام

(وأن مردنا الى الله) مرجعنا الى الله فيجازى كلا بما يستحق (وأن المسرفين) المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمرى الى الله) وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله عز وجل (فوقاه الله سيئات ما مكروا) ما أرادوا به من الشر قال قتادة نجا مع موسى وكان قبطيا (وحاق) نزل (بآل فرعون سوء العذاب) الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله (النار) وهى رفع على البدل من السوء (يعرضون عليها غدوا وعشيا) صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة ومقاتل والسدى والكلبى تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا أخبرنا أبو الحسن

السرخسى انا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال (ويوم تقوم الساعة أدخلوا) قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وأبو بكر الساعة ادخلوا بحذف الالف والوصل وبضمها فى الابتداء وضم الخاء من الدخول أى يقال لهم ادخلوا يا (آل فرعون أشد العذاب) وقرأ الآخرون أدخلوا بقطع الالف وكسر الخاء من الادخال أى يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب

قال ابن عباس يريد ألوان العذاب غير الذى كانوا يعذبون به منذ غرقوا (واذ يتحاجون فى النار) أى اذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى أهل النار فى الدنيا (فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا) فى الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) والتبع يكون واحدا وجمعا فى قول أهل البصرة واحده تابع وقال أهل الكوفة هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع (قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار) حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى خزنة جهنم لهم (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا) أنتم اذا ربكم أى انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) اى يبطل ويضمحل قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر

الاصنام لا تدعى الربوبية ولا ندعوا الى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) يعنى مرجعنا الى الله فيجازى كلا بما يستحقه (وأن المسرفين) يعنى المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أى اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمرى الى الله) أى أرد أمرى الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعنى يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) يعنى ما أرادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) يعنى نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون) أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا * قوله تعالى (واذ يتحاجون) أى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى أهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا) أى فى الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) يعنى الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعنى نحن وأنتم (ان الله قد حكم بين العباد) أى قضى علينا وعليكم (وقال الذين فى النار) يعنى حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعنى لا عذر لكم بعد مجىء الرسل (قالوا بلى) أى اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعنى أنتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) يعنى يبطل ويضمحل ولا ينفعهم * قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم

وقال الضحاك بالحجة وفى الآخرة بالعذاب وقيل بالانتقام من الاعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك قد كان للانبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم واهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من اعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا بالمقتل قتل به سبعون ألفا فهم منصورون بأحد هذه الوجوه (ويوم يقوم الاشهاد) يعنى يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم ينفعهم (ولهم اللعنة) البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعنى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) قال مقاتل الهدى من الضلالة يعنى التوراة (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (هدى وذكرى لأولى الالباب فاصبر) يا محمد على أذاهم (ان وعد الله) فى اظهار دينك واهلاك أعدائك (حق) قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) هذا تعبد من الله ليزيده به

بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا بالمقتل فانه قتل به سبعين ألفا (ويوم يقوم الاشهاد) يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أى ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعنى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعنى النبوة وقيل التوراة (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم (هدى وذكرى لاولى الالباب) * قوله تعالى (فاصبر) أى يا محمد على أذاهم (ان وعد الله حق) أى فى اظهار دينك واهلاك أعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) يعنى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعنى على ترك الاولى والافضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة فى قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمد ربك) أى نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك (بالعشى والابكار) يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) يعنى كفار قريش (ان فى صدورهم) يعنى ما فى قلوبهم (الا كبر) قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة (ما هم ببالغيه) يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وما هم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) أى من فتنة الدجال (انه هو السميع) يعنى لاقوالهم (البصير) يعنى بأفعالهم * قوله عز وجل (لخلق السموات والارض) يعنى مع عظمهما (أكبر من خلق الناس) أى من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان الله تعالى خلق السموات والارض وذلك أعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس أى أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال

درجة وليصير سنة لمن بعده (وسبح بحمد ربك) صل شاكرا لربك (بالعشى والابكار) قال الحسن يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم) ما فى قلوبهم والصدر موضع القلب فكنى به عن القلب لقرب الجوار (الا كبر) قال ابن عباس ما يحملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة (ما هم ببالغيه) قال مجاهد ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر لان الله عز وجل مذلهم قال ابن قتيبة ان فى صدورهم الا تكبرا على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع فى أن يغلبوه وما هم ببالغى ذلك قال أهل التفسير نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) من فتنة الدجال (انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض) مع عظمهما (أكبر) أعظم فى الصدور (من خلق الناس) أى من اعادتهم بعد الموت (ولكن أكثر الناس) يعنى الكفار (لا يعلمون) حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم أكبر أى أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال وروى عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر فتنة من الدجال أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى أنا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا اسحق بن ابراهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين تمسك السماء فيها فى أول سنة ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء

(فصل

قطرها كله والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلك وان من أشد فتنته انه يأتى الاعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحوا بله كاحسن ما يكون ضروعا وأعظمه أسنمة قال ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أباك وأخاك الست تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحوابيه ونحو أخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت فأخذ بلحمتى الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حى فانا حجيجه والا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله وانا لنعجن عجيناثم نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزئهم مايجزئ أهل السماء من (٨٣) التسبيح والتقديس وبهذا الاسناد أخبرنا

﴿فصل فى ذكر الدجال﴾ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة ولابى داود والترمذى عنه قال قام النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه وما من نبى الا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا وقد أنذر أمته الاعور الكذاب الا أنه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفى رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلاث قطرها والارض ثلاث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الا هلكت ومن أشد فتنته انه يأتى الاعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم انى ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحوا بله كأحسن ما تكون ضروعا وأعظمه أسنمة ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أخاك وأباك ألست تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت وأخذ بلحمتى الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حى فأنا حجيجه والا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله وانا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم مايجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس وفى رواية عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار هذا حديث أخرجه البغوى بسنده والذى جاء فى صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله ما لبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم هذه قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذى كسنة أتكفينا له صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفى رواية أبى داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

معمر عن ابن خثيم عن شهر ابن جوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار أخبرنا أبو سعيد الطاهرى أنا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد ابن زكريا العذافرى أنا اسحق الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى لأنذركموه وما من نبى الا أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا جويرية عن نافع عن عبد الله قال ذكر الدجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس بأعور وأشار بيده الى عينه وان المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجانى أنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا على بن حجر ثنا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن عقبة بن عمرو أبى مسعود الانصارى قال انطلقت معه الى حذيفة بن اليمان فقال له عقبة حدثنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدجال قال ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارا فانه ماء عذب طيب فقال عقبة وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثنى ابراهيم بن المنذر ثنا أبو الوليد حدثنا أبو عمرو

نقب الا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد ابن علي الكشميهني ثنا علي ابن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك أخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدي عبد الصمد البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا اسحق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفا عليهم السيجان ويرويه أبو أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج وسيف محلى قوله تعالى (وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تذكرون) قرأ أهل الكوفة تذكرون بالتاء وقرأ الاخرون بالياء لان أول الآيات وآخرها خبر عن قوم (ان الساعة) أي القيامة (لآتية لا ريب فيها) [illegible] (ولكن

وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فأما الذي يرى الناس انه نار فماء بارد والذي يرى الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه أعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار وانى أنذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ما سألته وأنه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو قال لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة للمذهب الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فأقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذي في عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله تعالى من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزاد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك لانه ثبت في الحديث أن معه ماء ونارا فماؤه نار ونار ماء بارد والله تعالى أعلم * قوله عز وجل (وما يستوي الاعمى والبصير) أي الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أي لا يستوون (قليلا ما تذكرون ان الساعة) يعني القيامة (لآتية لا ريب فيها) أي لا شك في قيامها ومجيئها

ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة أخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا ابو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن أبي ذرعن يسيع الكندي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني أستجب لكم (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أخبرنا ابو بكر محمد بن أحمد بن علي الزرقي ثنا ابو الحسن علي بن يوسف الشيرازي انا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى القرشي ببغداد ثنا محمد بن عبيد بن العلاء ثنا أحمد بن بديل ثنا وكيع ثنا ابو المليح قال سمعت أبا صالح يذكر عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله غضب الله عليه وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء ومعنى داخرين صاغرين ذليلين (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك) يعني كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا) فراشا (والسماء بناء) سقفا كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) قال مقاتل خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغيره ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبر وفيه اضمار الامر مجازه فادعوه واحمدوه وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله عز وجل فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت

(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت * قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * فان قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له * قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص في الدعاء وان لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما أن يعجلها له واما أن يؤخرها له يدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له به في الدنيا واما أن يدخره له في الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) أي عن توحيدي وقيل عن دعائي (سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين ذليلين * قوله عز وجل (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) أي لتحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم) أي ذلكم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شيء لا إله الا هو) أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وانه لا شريك له في ذلك (فأنى تؤفكون) أي فأنى تصرفون عن الحق (كذلك) أي كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا) أي فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) أي خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي) وهذا يفيد الحصر أي لا حي الا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذي يمتنع أن يموت امتناعا تاما أبتا وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله (لا إله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أي فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت

أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى الى الكفر (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) أى أطفالا (ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) جميعا (أجلا مسمى) وقتا معلوما محدودا لا تجاوزونه يريد أجل الحياة الى الموت (ولعلكم تعقلون) أى لكى تعقلوا توحيدى بكم وقدرته (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن يقولون ليس من عند الله (أنى يصرفون) كيف يصرفون عن دين الحق قيل هم المشركون وعن محمد ابن سيرين وجماعة انها نزلت

فى القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون) يجرون (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) قال مقاتل توقد بهم النار وقال مجاهد يصيرون وقودا للنار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام (قالوا ضلوا عنا) فقدناهم فلا نراهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) قيل أنكروا وقيل معناه بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ ينفع ويضر وقال الحسين بن الفضل أى لم نكن نصنع من قبل شيأ أى ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيأ قال الله عز وجل (كذلك) أى كما أضل هؤلاء (يضل الله الكافرين ذلكم) العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) تبطرون وتأشرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) تفرحون وتختالون (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله) بنصرك (حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم تنكرون

أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى الى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك * قوله تعالى (هو الذى خلقكم من تراب) يعنى أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهى من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعنى ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهى الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) أى جميعا (أجلا مسمى) أى وقتا محدودا لا تجاوزونه يعنى أجل الحياة الى الموت (ولعلكم تعقلون) أى ما فى هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته كأنه قال من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شئ وأسرعه * قوله تعالى (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن (أنى يصرفون) أى عن دين الحق وقيل نزلت فى القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون) يعنى يجرون بتلك السلاسل (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) يعنى توقد بهم النار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام (قالوا ضلوا عنا) أى فقدناهم فلم نرهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) قيل انهم أنكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيأ ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعوا من قبل شيأ (كذلك يضل الله الكافرين) أى كما أضل هؤلاء (ذلكم) أى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) أى تبطرون وتأشرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى تختالون وتفرحون به (ادخلوا أبواب جهنم) يعنى السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يعنى عن الايمان * قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله حق) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى بنصرك على الاعداء (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) أى من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) أى قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) أى خبره وحاله فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد الا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم فاصبر كما صبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) يعنى بامره وارادته (فاذا جاء أمر الله) أى قضاؤه بين الانبياء والامم (قضى بالحق) يعنى بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) يعنى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) أى فى أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى تحمل أثقالكم من بلد الى بلد فى أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر (ويريكم آياته) أى دلائل قدرته (فأى آيات الله

تنكرون

من قصصنا عليك) خبرهم فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) بامر الله وارادته (فاذا جاء أمر الله) قضاؤه بين الانبياء والامم (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها) بعضها (ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) فى أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) تحمل أثقالكم من بلد الى بلد ولتبلغوا عليها حاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر نظيره قوله تعالى وحملناهم فى البر والبحر (ويريكم آياته) دلائل قدرته (فأى آيات الله

تنكرون أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض) يعني مصانعهم وقصورهم (فما أغنى عنهم) لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) وقيل هو بمعنى الاستفهام ومجازه أي شيء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) رضوا (بما عندهم من العلم) قال مجاهد هو قولهم نحن أعلم لن نبعث ولن نعذب سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعني تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) عذابنا (سنت الله) قيل نصبها بنزع الخافض أي كسنة الله وقيل على المصدر وقيل على الاغراء أي احذروا سنة الله (التي قد خلت في عباده) وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) بذهاب نعيم الدارين قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت ولكنهم يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب

تنكرون) يعني ان هذه الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره * قوله تعالى (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في أطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء (فما أغنى عنهم) أي لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) أي أي شيء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) أي رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا) أي عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أي تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده) يعني ان سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعني بتلك السنة انهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) يعني بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح مكية ﴾

وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أي بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد (قرآنا عربيا) أي باللسان العربي (لقوم يعلمون) أي انما أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن أي بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب (فأعرض أكثرهم) أي عنه (فهم لا يسمعون) أي لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعني مشركي مكة (قلوبنا في أكنة) أي أغطية (مما تدعونا اليه) أي فلا نفقه ما تقول (وفي آذاننا وقر) أي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أي خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول (فاعمل) أي أنت على دينك (اننا عاملون) أي على ديننا (قل) يا محمد (انما أنا بشر مثلكم) أي كواحد منكم (يوحى الي) أي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع (انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه) أي توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) أي من ذنوبكم وشرككم (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة

﴿ سورة فصلت مكية أربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم) قال الاخفش تنزيل مبتدأ وخبره قوله عز وجل (كتاب فصلت آياته) بينت آياته (قرآنا عربيا لقوم يعلمون) اللسان العربي ولو كان بغير لسانهم ما علموه ونصب قرآنا بوقوع البيان عليه أي فصلناه قرآنا (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن أي بشيرا لاولياء الله ونذيرا لاعدائه (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أي لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعني مشركي مكة (قلوبنا في أكنة) في أغطية (مما تدعونا اليه) فلا نفقه ما تقول (وفي آذاننا وقر) صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) خلاف في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول (فاعمل) أنت على دينك (اننا عاملون) على ديننا (قل انما أنا بشر مثلكم) يعني كواحد منكم ولولا الوحي ما دعوتكم وهو قوله (يوحى الي أنما الهكم اله واحد) قال الحسن علمه الله التواضع (فاستقيموا اليه) توجهوا اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) من ذنوبكم (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) قال ابن عباس الذين لا يقولون لا اله الا الله وهي زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكاة ولا يرون ايتاءها واجبا وكان يقول الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم

(وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقال مقاتل غير منقوص من وقته المنون لانه ينقص منة الانسان وقوته وقيل غير ممنون عليهم به وقال مجاهد غير محسوب وقال السدي نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسمعيل ابن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن خيثمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى أطلقه أو أكفته الي قوله عز وجل (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) يوم الاحد والاثنين (وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها) أي في الارض (رواسي) جبالا ثوابت (من فوقها) من فوق الارض (وبارك فيها) أي في الارض بما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار (وقدر فيها أقواتها) قال الحسن ومقاتل قسم في الارض أرزاق العباد والبهائم وقال عكرمة والضحاك قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد قال الكلبي قدر الخبز لاهل قطر والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك أقواتها (في أربعة أيام) يريد خلق ما في الارض وقدر الاقوات في يومين يوم الثلاثاء والاربعاء فهما مع الاحد والاثنين أربعة أيام ردا الآخر على الاول في الذكر كما تقول تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين واحداهما هي التي تزوجها بالامس (سواء للسائلين) قرأ أبو جعفر سواء رفع اثنيا على الابتداء أي هي سواء وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله في أربعة أيام وقرأ الآخرون سواء نصب على المصدر أي استوت استواء ومعناه سواء للسائلين عن ذلك قال قتادة والسدي من سأل عنه فهكذا الامر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات (ثم استوى الى السماء) أي عمد الى خلق السماء (وهي دخان) وكان ذلك الدخان بخار الماء (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) أي ائتيا ما أمر كما أي افعلا ما يقال ائت ما هو الاحسن أي افعله وقال طاوس عن ابن عباس ائتيا أعطيا يعني أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لصالح

المفروضة لا يرون اتيانها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون أعمالهم (وهم بالآخرة هم كافرون) أي جاحدون بالبعث بعد الموت (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن أبي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم * قوله عز وجل (قل أئنكم) استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى (لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) وثانيهما (وتجعلون له أندادا) اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة أندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الاحد والاثنين (ذلك رب العالمين) أي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت (من فوقها) أي من فوق الارض (وبارك فيها) أي في الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه (وقدر فيها أقواتها) أي قسم في الارض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزراعة أكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها (في أربعة أيام) أي مع اليومين الاولين لخلق الارض في يومين وقدر الاقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت أربعة أيام ردا الآخر على الاول في الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سأل عن ذلك أي فهكذا الامر سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات (ثم استوى الى السماء) أي عمد الى خلق السماء (وهي دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والارض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا * فان قلت هذه الآية مشعرة بأن خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما * قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو أن يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) أي

ائتيا ما أمرتكما به أى افعلاه وقيل افعلا ما أمرتكما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع (قالتا أتينا طائعين) معناه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما فى الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد أما أنت يا سماء فأطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقى أنهارك وأخرجى ثمرك ونباتك * وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) أى أتمهن وفرغ من خلقهن (فى يومين) وهما الخميس والجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال ابن عباس خلق فى كل سماء خلقا من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل أوحى الى كل سماء ما أراد من الامر والنهى (وزينا السماء الدنيا) أى التى تلى الارض (بمصابيح) أى بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) أى وجعلناها يعنى الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أى الذى ذكر من صنعه وخلقه (تقدير العزيز) أى فى ملكه (العليم) أى بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم قوله تعالى (فان أعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) أى خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أى هلاكا كمثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ (اذ جاءتهم الرسل) يعنى الى عاد وثمود (من بين أيديهم) يعنى الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعنى ومن بعد الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (أن لا) أى بأن لا (تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة) يعنى لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانا بما أرسلتم به كافرون) روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر ابن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان ما بك للرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رئيسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أى بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم انى من أكثر قريش مالا ولكنى أتيته وقصصت عليه القصة

قوله ومن خلفهم راجعة الى الرسل (أن لا) بان لا (تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل) بدل هؤلاء الرسل (ملائكة) أى لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة (فانا بما أرسلتم به كافرون) أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى ثنا عبد الله بن حامد الاصفهانى ثنا أحمد بن محمد بن يحيى العبيدى أنا أحمد بن محمد بن العريان ثنا الحمانى ثنا ابن فضيل عن الاجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك أولا فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا

وتضلل آباءنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش
وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود الآية
فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا
الى دين محمد وقد أعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت
الى دين محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم أن لا يكلم محمدا أبدا وقال والله
لقد علمتم انى من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله
فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت
أن ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي

قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد وأكلمه وأعرض عليه أمور العله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب
فخفت أن ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو
جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش ألا أقوم الى
محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا ان أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب وانك قد أتيت
قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع مني
أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت
به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي
بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وأعلم هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فانكم لعمري بني عبد
المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه أحد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت
يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى بيده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال أسمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه
فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا
الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش
أطيعوني يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ
فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا

سحرك

قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا
وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وأعلم هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من
ذلك على ما لا يقدر عليه غيركم حتى اذا فرغ ما عنده من سائر الامور التي يزعم أنها ترده عما يقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد
فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
آياته قرآنا عربيا ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير
الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد فقال ورائي اني قد سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بالشعر ولا السحر
ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد
كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم فأنتم أسعد الناس به فقالوا نحلف والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم

فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل (فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا من أشد منا قوة ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفا شديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من الصر وهو البرد (في أيام نحسات) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب نحسات بسكون الحاء وقرأ الآخرون بكسرها أي نكدات مشومات ذات نحوس وقال الضحاك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب

سحرك والله محمدا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم * قوله عز وجل (فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (أولم يروا) اي اولم يعلموا (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) اي عاصفا شديد الصوت وقيل هي الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فأربع منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل ارسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا (في ايام نحسات) اي نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل امسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) اي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا في الارض بغير الحق (في الحيوة الدنيا) أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى) اي اشد اهانة (وهم لا ينصرون) اي لا يمنعون من العذاب (وأما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) اي اختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) اي ذي الهوان (بما كانوا يكسبون) اي من الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) اي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه * قوله تعالى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون) اي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذا ما جاؤها) يعني النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) اي بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل (وقالوا) يعني الكفار الذين يجرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ) معناه ان القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وانطقكم ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذي انطق كل شئ ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) اي تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان

الهون والذل (في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى) أشد اهانة (وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم) دعوناهم قاله مجاهد وقال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر كقوله هديناه السبيل (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) أي مهلكة العذاب (الهون) أي ذي الهون أي الهوان وهو الذي يهينهم ويخزيهم (بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله الى النار) قرأ نافع ويعقوب نحشر بالنون أعداء نصب وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين أعداء رفع أي يجمع الى النار (فهم يوزعون) يساقون ويدفعون الى النار وقال قتادة والسدي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا ما جاؤها) جاؤا النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أي بشراتهم (بما كانوا يعملون) وقال السدي وجماعة المراد بالجلود الفروج وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الالسن من عملهم (وقالوا) يعني الكفار الذين يحشرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ) تم الكلام ههنا وقال الله تعالى (وهو خلقكم أول مرة) وليس هذا من جواب الجلود (واليه ترجعون وما كنتم تستترون) أي تستخفون عند أكثر أهل العلم وقال مجاهد تتقون وقال قتادة تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا الحميدي انا سفيان انا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثيرة شحم بطونهم

قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا أخفينا فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) أهلككم أي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون أرداكم قال ابن عباس طرحكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم فقال (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) مسكن لهم (وان يستعتبوا) يسترضوا ويطلبوا العتبى (فما هم من المعتبين) المرضيين والمعتب الذي قبل اعتابه وأجيب الى ما سأل يقال أعتبني فلان أي أرضاني بعد اسخاطه اياي واستعتبته (٩٢) طلبت منه أن يعتب أي يرضى (وقيضنا لهم) أي بعثنا ووكلنا وقال مقاتل

هيأنا وقال الزجاج سببنا لهم (قرناء) نظراء من الشياطين حتى أضلوهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة (وما خلفهم) من أمر الآخرة فدعوهم الى التكذيب به وانكار البعث (وحق عليهم القول في أمم) مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا) من مشركي قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس يعني الغطوا فيه وكان بعضهم يوصي الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو قال مجاهد والغوا فيه بالمكاء والصفير وقال الضحاك أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول وقال السدي صيحوا في وجهه (لعلكم تغلبون) محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي)

الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا أخفينا فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي هو عبد يا ليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية * قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم) أي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أرداكم) أي أهلككم قال ابن عباس طرحكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أي مسكن (وان يستعتبوا) أي يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذي قبل عتابه وأجيب الى ما سأل (فما هم من المعتبين) أي المرضيين (وقيضنا لهم) أي بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء) أي نظراء من الشياطين حتى أضلوهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم) أي من أمر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة (وما خلفهم) أي فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) أي وجب (في أمم) أي مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) * قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعني مشركي قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصي الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا في وجهه (لعلكم تغلبون) يعني محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ) يعني بأسوأ (الذي كانوا يعملون) أي في الدنيا وهو الشرك (ذلك) اي الذي ذكر من العذاب (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) اي دار الاقامة لا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) اي في النار (ربنا) اي يقولون يا ربنا (أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) اي في النار (ليكونا من الاسفلين) اي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا * قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة أن يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في أمر الدين والتوحيد فتكون في الاعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال أن لا تشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضي الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا في العمل وقال علي بن أبي

يعني بأسوأ الذي أي بأقبح الذي (كانوا يعملون) في الدنيا وهو الشرك بالله طالب
(ذلك) الذي ذكرت من العذاب الشديد (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار) أي هو النار (لهم فيها) أي في النار (دار الخلد) دار الاقامة لا انتقال منها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) أي في النار يقولون (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) في النار (ليكونا من الاسفلين) ليكونا في الدرك الاسفل من النار قال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال أن لا تشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان

الثعلبي وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه أخلصوا العمل لله وقال علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وقال ابن عباس استقاموا على أداء الفرائض وقال الحسن استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وقال مقاتل استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الاية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة قوله عز وجل (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة ومقاتل اذا قاموا من قبورهم قال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث (أن لا تخافوا) من الموت قال مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فانى أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التي

طالب رضي الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث (ان لا تخافوا) اى من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الآخرة (ولا تحزنوا) اى على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا اغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم) اى تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اى انصاركم واحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (في الحيوة الدنيا و) نحن أولياؤكم (في الآخرة) لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) اى في الجنة (ما تشتهي أنفسكم) اى من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) اى تتمنون (نزلا) اى رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال اهل المعانى كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة * قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) اى الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه (وعمل صالحا) في اجابته وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب * الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء * المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء اقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة بين كل اذانين صلاة وقال في الثالثة لمن شاء عن انس بن مالك رضي الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن (وقال انني من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع

كنتم توعدون نحن أولياؤكم) تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم (في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) أي في الدنيا والآخرة وقال السدي تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) من الكرامات واللذات (ولكم فيها) في الجنة (ما تدّعون) تتمنون (نزلا) رزقا (من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الى طاعته (وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) قال ابن سيرين والسدي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة أن لا اله الا الله وقال الحسن هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب اليه وعمل صالحا في اجابته وقال انني من المسلمين وقالت عائشة أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقال عكرمة هو المؤذن وقال أبو أمامة الباهلي وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة وقال قيس بن أبي حازم هو الصلاة بين الاذان والاقامة أخبرنا ابو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحميدي انا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا ابو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي ثنا ابو يحيى بن ابي ميسرة ثنا عبد الله بن يزيد المقرى ثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة ثلاث مرات ثم قال في الثالثة لمن شاء أخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور السمعاني ثنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن زيد العمي عن ابي اياس معاوية بن قرة عن انس بن مالك قال سفيان لا اعلمه الا وقد رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة

قوله عزوجل (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) قال الفراء لا ههنا صلة معناه ولا تستوى الحسنة والسيئة يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى أحسن) قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) يعنى اذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذى بينك وبينه عداوة (كأنه ولى حميم) كالصديق والقريب قال مقاتل بن حيان نزلت فى أبى سفيان بن حرب وذلك انه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) ما يلقى هذه الخصلة وهى دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) على كظم الغيظ

التلفظ به * قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى أحسن) قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى صديق قريب قيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهى دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) أى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى ما يلقاها الا من وجبت له الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه أى يبعثه الى ما لا ينبغى ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) أى من شره (انه هو السميع) أى لاستعاذتك (العليم) بأحوالك * قوله تعالى (ومن آياته) أى ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) أى انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى خلقهن) أى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون) يعنى أن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عزوجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبروا) أى عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أى لا يفترون ولا يملون

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعى أحدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن أبى حنيفة وأحمد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند أصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى انه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن أبى حنيفة لان عنده يتم الكلام (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) قوله تعالى (ان الذين يلحدون) أى يميلون عن الحق (فى آياتنا) أى فى أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى أبى جهل (أفمن يلقى فى النار) هو أبو جهل (خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار ابن ياسر (اعملوا ما شئتم) أمر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) أى انه عالم بأعمالكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره ان الذين

ولياً بالاسلام حميماً بالقرابة (وما يلقاها) ما يلقى هذه الخصلة وهى دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المكروه (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) فى الخير والثواب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة أى ما يلقاها الا من وجبت له الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع) لاستعاذتك وأقوالك (العليم) بأفعالك وأحوالك قوله (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) انما قال خلقهن بالتأنيث لانه أجراها على طريق جمع التكسير ولم يجردها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث (ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا) عن السجود (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون ولا يفترون (ومن آياته) دلائل قدرته (أنك ترى الارض خاشعة) يابسة غبراء لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير ان الذين يلحدون كفروا فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا قال مجاهد يلحدون فى آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط قال قتادة يكذبون فى آياتنا قال السدى يعاندون ويشاقون قال مقاتل نزلت فى أبى جهل (لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار) وهو أبو جهل (خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) أمر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) عالم فيجازيكم به (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن (لما جاءهم) ثم أخذ فى وصف الذكر وترك جواب ان الذين كفروا على تقدير ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم وقيل خبره قوله من بعد أولئك ينادون من مكان بعيد

(وانه لكتاب عزيز) قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما كريم على الله قال قتادة أعزه الله عز وجل فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال قتادة والسدي الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه قال الزجاج معناه انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه وعلى هذا معنى الباطل الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله (تنزيل من حكيم حميد) ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم فقال (ما يقال لك) من الاذى (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) يقول انه قد قيل للانبياء والرسل قبلك ساحر كما

كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ في وصف الذكر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أي في جميع أفعاله (حميد) أي الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل (ما يقال لك) أي من الاذى والتكذيب (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) يعني أنه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) أي لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) أي لمن أصر على التكذيب * قوله عز وجل (ولو جعلناه) أي هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس (قرآنا أعجميا) يعني بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) يعني هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمي وعربي) يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل في معنى الآية انا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمي الى القوم العرب واصح قولهم أن يقولوا لو بنا في أكنة وفي آذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا لو بنا في أكنة وفي آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعني القرآن (للذين آمنوا هدى) يعني من الضلالة (وشفاء) يعني لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) يعني صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعني كما ان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) يعني فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضي بينهم) يعني لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفي شك منه مريب) يعني من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) يعني يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن أساء فعليها) يعني ضرر اساءته أو كفره يعود على نفسه أيضا (وما ربك بظلام للعبيد) يعني

يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) لمن أصر على التكذيب (ولو جعلناه) أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس (قرآنا أعجميا) بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمي وعربي) يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام على وجه الانكار أي انهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي قال مقاتل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال يسار هو يعلمني فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعني القرآن (للذين آمنوا هدى وشفاء) هدى من الضلالة وشفاء لما في القلوب وقيل

شفاء من الاوجاع (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) قال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أي انهم لا يسمعون ولا يفهمون كما ان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فمصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضي بينهم) لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفي شك منه) من صدقك (مريب) موقع لهم الريبة (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)

اليه يرد علم الساعة) أى علمها اذا سئل عنها مردود اليه لا يعلمه غيره (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) قرأ أهل المدينة والشام وحفص ثمرات على الجمع وقرأ الآخرون ثمرة على التوحيد من أكمامها أوعيتها واحدها كم قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الكفرى قبل أن تنشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) الا باذنه يقول يرد اليه علم الساعة كما يرد اليه علم الثمار والنتاج (ويوم يناديهم) ينادى الله المشركين (أين شركائى) الذين كنتم تزعمون انها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) أعلمناك (مامنا من شهيد) أى من شاهد بأن لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) أيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم الانسان) لا يمل الكافر (من دعاء الخير) أى لا يزال يسأل ربه الخير يعنى المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) الشدة والفقر (فيؤس) من روح الله (قنوط) من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) من بعد شدة و بلاء أصابته (ليقولن هذا لى) أى بعملى وأنا محبوب بهذا (وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى ان لى عنده الحسنى اى الجنة اى كما أعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لنقفنهم على مساوى أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير والعرب تستعمل الطول والعرض فى الكثرة يقال أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض أى أكثر (قل أرأيتم ان كان) هذا القرآن (من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) تعالى

فيعذب غير المسىء * قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعنى اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك (وما تخرج من ثمرة من أكمامها) اى من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) اى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شئ كالثمار والنتاج وغيره * فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون * قلت أما أصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم) اى ينادى الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائى) اى الذين تدعون انها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) اى أعلمناك (مامنا من شهيد) اى يشهد ان لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) اى يعبدون فى الدنيا (وظنوا ما لهم من محيص) اى مهرب * قوله تعالى (لا يسأم الانسان) اى لا يمل الكافر (من دعاء الخير) يعنى لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) اى الشدة والفقر (فيؤس) اى من روح الله تعالى (قنوط) اى من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) اى آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) اى من بعد شدة و بلاء أصابه (ليقولن هذا لى) اى أستحقه بعملى (وما أظن الساعة قائمة) اى ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربى) يقول هذا الكافر أى فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى (ان لى عنده للحسنى) اى الجنة والمعنى كما أعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) اى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم (واذا مسه الشر) اى الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) اى كثير (قل) اى قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ان كان من عند الله) اى هذا القرآن (ثم كفرتم به) اى جحدتموه (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى فى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية (وفى أنفسهم) اى البلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفى أنفسهم هو فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل فى الآفاق يعنى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطيف الحكمة و بديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) يعنى يشهد أن القرآن من عند الله

خلاف للحق بعيد عنه اى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى منازل الامم الخالية (وفى أنفسهم) بالبلاء والامراض وقال قتادة فى الآفاق يعنى وقائع الله فى الامم وفى أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى والكلبى فى الآفاق ما يفتح من القرى على محمد صلعم والمسلمين وفى أنفسهم فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل القرآن يتبين لهم انه من عند الله وقيل محمد صلعم يتبين لهم انه مؤيد من قبل الله تعالى وقال عطاء وابن زيد فى الآفاق يعنى أقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار والانهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة و بديع الحكمة حتى يتبين لهم أنه الحق (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) قال مقاتل

أو لم يكف بربك لأنه على كل شئ شهيد شاهد لا يغيب عنه شئ (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) فى شك من البعث (ألا انه بكل شئ محيط) أحاط بكل شئ علما

﴿ سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق و لم يقطع كهيعص فقال لانها سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولانهما عدا آيتين وأخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها انها حروف التهجى لا غير واختلفوا فى حم فأخرجها بعضهم (٩٧) من حيز الحروف وجعلها فعلا

وقال معناها حم أى قضى ما هو كائن روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته أقسم الله بها وقال شهر بن حوشب وعطاء ابن أبى رباح ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سبى يكون فيهم ق قدرة الله النافذة فى خلقه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحيت اليه حم عسق فلذلك قال (كذلك يوحى اليك) وقرأ ابن كثير يوحى بفتح الحاء وحجته قوله أوحينا اليك (والى الذين من قبلك) وعلى هذه القراءة قوله (الله العزيز الحكيم) تبيين للفاعل كأنه قيل من يوحى فقيل الله العزيز الحكيم وقرأ الآخرون يوحى بكسر الحاء اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم قال

تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى أوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شئ (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شئ محيط) أى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا أسئلكم عليه أجرا وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق و لم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت أخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها انها حروف التهجى واختلفوا فى حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر أى قضى وبقى عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش بعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا فى شان محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى اليك أخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كأنه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم (ويستغفرون لمن فى الارض) أى من المؤمنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق أن تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل أن يكون لجميع من فى الارض أما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل أن يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب وأما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيآتهم وقيل استغفارهم لمن فى الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) يعنى انه تعالى يعطى المغفرة التى سألوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة * قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) يعنى رقيب على أحوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) يعنى لم توكل بهم حتى

عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد أخبار الغيب (له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى كل واحدة منها تتفطر فوق التى تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا نظيره فى سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إدا تكاد السموات يتفطرن منه (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض) من المؤمنين (ألا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم) يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم

(وكذلك) مثل ماذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) مكة يعني أهلها (ومن حولها) يعني قرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين وأهل السموات والارضين (لا ريب فيه) لا شك في الجمع انه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون (فريق في الجنة وفريق في السعير) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي ثنا أبو منظور الشامي ثنا أبو العباس الاصم ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان التنوخي ثنا بشر بن بكر حدثني سعيد بن عثمان عن أبي الراهوية ثنا جرير بن كريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الثعلبي وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي هشام بن القاسم ثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الاصبحي عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان (٩٨) الكتابان قلنا لا يارسول الله الا أن تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب

تؤخذ بهم انما أنت نذير (وكذلك) أي ومثل ماذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعني مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعني قرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) أي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (لا ريب فيه) أي لا شك في الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يارسول الله فقال للذي في يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذهم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذهم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده * قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي في دين الاسلام (والظالمون) أي الكافرون (مالهم من ولي) أي يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) أي يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) يعني الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولي) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) يعني ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي (وما اختلفتم فيه من شئ) أي من أمر الدين (فحكمه الى الله) أي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) يعني الذي يحكم بين المختلفين هو الله (ربي عليه توكلت) يعني في جميع أموري (واليه أنيب) يعني واليه أرجع في كل المهمات (فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم) يعني من جنسكم (أزواجا) يعني حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) يعني أصنافا ذكرانا واناثا (يذرؤكم) يعني يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) يعني في الرحم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل

العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الارحام اذهم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الارحام اذهم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة قال عبد الله ابن عمرو ففيم العمل اذا يارسول الله فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل

أهل النار وان عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة فضل من الله وفريق في السعير عدل من الله عز وجل قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس رضي الله عنهما على دين واحد وقال مقاتل على ملة الاسلام كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) في دين الاسلام (والظالمون) الكافرون (مالهم من ولي) يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) يمنعهم من النار (أم اتخذوا) بل اتخذوا أي الكافرون (من دونه) أي من دون الله (أولياء فالله هو الولي) قال ابن عباس رضي الله عنهما وليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ) من أمر الدين (فحكمه الى الله) يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب (ذلكم الله) الذي يحكم بين المختلفين هو (ربي عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا) من مثل خلقكم حلائل قيل انما قال من أنفسكم لانه خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) أصنافا ذكورا واناثا (يذرؤكم) يخلقكم (فيه) أي في الرحم وقيل في البطن وقيل على هذا الوجه من الخلقة قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والانعام وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به وقيل معناه يكثركم بالتزويج

(ليس كمثله شيء) مثل صلة أي ليس هو كشيء فادخل المثل للتوكيد كقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس له نظير (وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض) مفاتيح الرزق في السموات والارض قال الكلبي المطر والنبات (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شيء عليم) قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) بين وسن لكم (ما وصى به نوحا) وهو أول أنبياء الشريعة قال مجاهد أوصيناك واياه يا محمد دينا واحدا (والذي أوحينا اليك) من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) واختلفوا في وجه الآية فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا الا أوصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك وقيل هو ماذكر من بعد وهو قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) من التوحيد ورفض الاوثان ثم قال (الله يجتبي اليه من يشاء) يصطفي لدينه من عباده من يشاء (ويهدي اليه من ينيب) يقبل الى طاعته (وما تفرقوا) يعني أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني أهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكين وما تفرق الذين أوتوا الكتاب

الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به أي يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شيء) المثل صلة أي ليس كهو شيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء قال ابن عباس ليس له نظير * فان قلت هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق * قلت المثل الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شيء معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) يعني لسائر المسموعات (البصير) يعني لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) يعني مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض يعني النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شيء عليم) أي من البسط والتضييق * قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أي بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أي دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ما وصى به نوحا) أي انه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا (والذي أوحينا اليك) أي من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) أي من التوحيد ورفض الاوثان (الله يجتبي اليه من يشاء) أي يصطفي لدينه من يشاء من عباده (ويهدي اليه من ينيب) أي يقبل على طاعته (وما تفرقوا) يعني أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني أهل الكتاب (الا من بعد ما جاءهم العلم) أي بان الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) يعني الى يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين من آمن وكفر يعني لانزل العذاب بالمكذبين في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) أي اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد أنبيائهم وقيل الامم الخالية (لفي شك منه) أي من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به (مريب) يعني مرتابين شاكين فيه (فلذلك) أي الى ذلك (فادع) أي الى ما وصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث به من الاختلاف في الدين الكثير فادع أنت الى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به (ولا تتبع أهواءهم) أي

الآية (الا من بعد ما جاءهم العلم) بان الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك (بغيا بينهم) أي للبغي قال عطاء يعني بغيا بينهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (لقضي بينهم) بين من آمن وكفر يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد أنبيائهم وقيل من بعد الامم الخالية وقال قتادة معناه من قبلهم أي من قبل مشركي مكة (لفي شك منه مريب) أي من محمد صلى الله عليه وسلم (فلذلك فادع) أي فالى ذلك كما يقال دعوت الى فلان وفلان وذلك اشارة الى ما وصى به الانبياء من التوحيد (واستقم كما أمرت) أني اثبت على الدين الذي أمرت به (ولا تتبع أهواءهم

وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي آمنت بكتب الله كلها (وأمرت لأعدل بينكم) أن أعدل بينكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني الهنا واحد وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لا حجة) لا خصومة (بيننا وبينكم) نسختها آية القتال فاذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) في المعاد لفصل القضاء (واليه المصير والذين يحاجون في الله) يخاصمون في دين الله تعالى نبيه صلعم وقال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) أي استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته (حجتهم داحضة) خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) قال قتادة ومجاهد ومقاتل العدل وسمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) ولم يقل قريبة لان تأنيثها غير حقيقي ومجازه الوقت قريب وقال الكسائي اتيانها قريب قال مقاتل ذكر النبي صلعم الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا متى تكون الساعة فأنزل الله هذه الآية (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) ظنا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أي خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) انها آتية لا ريب فيها (ألا ان الذين يمارون) يخاصمون وقيل يدخلهم المرية والشك (في الساعة لفي ضلال بعيد) عن الحق (الله لطيف بعباده) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بهم قال عكرمة بارّ بهم قال السدي رفيق قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بما صنعوا يدل عليه قوله (يرزق من يشاء) وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه قال جعفر ابن محمد الصادق اللطف في الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة (وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة) الحرث في اللغة الكسب يعني من كان يريد بعمله الآخرة (نزدله في حرثه) بالتضعيف بالواحد عشرة الى ما شاء الله من الزيادة (ومن كان يريد حرث الدنيا) يريد بعمله الدنيا (نؤته منها) قال قتادة أي نؤته بقدر ما قسم له كما قال عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد (وما له في الآخرة من نصيب) لانه لم يعمل للآخرة أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال ثنا أبو الازهر أحمد بن منيع البغدادي ثنا محمد بن يوسف الفريابي ثنا سفيان عن المغيرة عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى

المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لأعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الي (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني ان اله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لا حجة) أي لا خصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أي في المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) * قوله عز وجل (والذين يحاجون في الله) أي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) أي من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (حجتهم داحضة) أي خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أي في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب بالحق) أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام (والميزان) أي العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فأنزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أي ظنا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أي خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) أي انها آتية لا شك فيها (ألا ان الذين يمارون) أي يخاصمون (في الساعة) وقيل يشكون فيها (لفي ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) أي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بما صنعوا يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعني ان الاحسان والبر انعام في حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه في الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقكم من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليكم مرة واحدة (وهو القوي) أي القادر على كل ما يشاء (العزيز) أي الذي لا يغالب ولا يدافع (من كان يريد حرث الآخرة) أي كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزدله في حرثه) أي بالتضعيف لواحدة الى عشرة الى ما يشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة (نؤته منها) أي ما قدر وقسم له منها (وما له في الآخرة من نصيب) يعني لانه لم يعمل لها عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا

بالسنا والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب ذكره فى جامع الاصول ولم يعزه الى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوى باسناده * قوله تعالى (أم لهم) يعنى كفار مكة (شركاء) يعنى الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعنى ان تلك الشرائع بأسرها على خلاف دين الله تعالى الذى أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعنى ان الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وان الظالمين) يعنى المشركين (لهم عذاب أليم) أى فى الآخرة (ترى الظالمين) يعنى يوم القيامة (مشفقين) أى وجلين خائفين (مما كسبوا) أى من الشرك والاعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) أى جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان فى الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) أى الذى ذكر من نعيم الجنة (الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) * قوله عز وجل (قل لا أسئلكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (أجرا) أى جزاء (الا المودة فى القربى) (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن

يقول الكذابون وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى معنى الآية الا أن تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهذا قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وقال بعضهم معناه الا أن تودوا قرابتى وعترتى وتحفظونى فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب واختلفوا فى قرابته قيل هم فاطمة الزهراء وعلى وابناهما

وفيهم نزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وروينا عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى قيل لزيد بن أرقم من أهل بيته قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ثنا خالد ثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبى يحدث عن ابن عمر عن أبى بكر قال ارقبوا محمدا فى أهل بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يتفرقوا فى جاهلية ولا فى اسلام وقال قوم هذه الآية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصروه أحب الله عز وجل أن يلحقه باخوانه من الانبياء عليهم السلام حيث قال وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فأنزل الله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فهى منسوخة بهذه الآية وبقوله قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وغيرها من الآيات والى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل وهذا قول غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين وهذه أقاويل السلف فى معنى الآية فلا يجوز المصير الى نسخ شئ من هذه الاشياء وقوله الا المودة فى القربى ليس باستثناء متصل بالاول حتى يكون ذلك أجرا فى مقابلة أداء الرسالة بل هو منقطع ومعناه ولكنى أذكركم المودة فى القربى وأذكركم قرابتى منكم كما روينا فى حديث زيد بن أرقم أذكركم الله فى أهل بيتى

قوله الا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا أن تصلوا ما بينى و بينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا فى قوله الا المودة فى القربى يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته واختلفوا فى قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم و بنو المطلب الذين لم يفترقوا فى جاهلية ولا فى اسلام (م) عن زيد ابن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى فقال له حصين من أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس * فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحى لا يجوز لقوله فى قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين * قلت لا نزاع فى انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله الا المودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا أطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين أمر واجب واذا كان كذلك فى حق جميع المسلمين كان فى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى المودة فى القربى ليست أجرا فى الحقيقة لان قرابتهم قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت أن لا أجر البتة والوجه الثانى ان هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة فى القربى أى لكن أذكركم المودة فى قرابتى الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى أن يلحقه باخوانه من النبيين فأنزل الله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الا أن توادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح * وقوله تعالى (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب طاعة (نزدله فيها حسنا) أى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) أى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها (أم يقولون) أى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه أيقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم ان ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو أقبح أنواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية (ويمح الله الباطل) أخبره الله تعالى ان ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه (ويحق الحق بكلماته) أى يحق الاسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه وأنزل هذه الآية فقال القوم الذين اتهموه يا رسول الله انا نشهد أنك صادق فنزل

(وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس يريد أولياءه وأهل طاعته قيل التوبة ترك المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا قال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (ويعفوا عن السيئات) اذا تابوا فلا يؤاخذهم بها أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى أنا حميد بن زنجويه ثنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الاعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث بن سويد قال دخلت على عبد الله أعوده فقال سمعت

عليه الصلاة والسلام فأخبره انهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يارسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياءه وأهل طاعته

﴿ فصل فى ذكر التوبة وحكمها ﴾ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع عن المعصية والثانى أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم على أن لا يعود اليها أبدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن بشار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ماشاء الله قال أرجع الى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * وقوله عز وجل (ويعفوا عن السيئات) أى يمحوها اذا تابوا (ويعلم مايفعلون) يعنى من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) أى سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده من رجل أظنه قال فى برية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلت راحلته فطاف عليها حتى أدركه العطش فقال أرجع الى حيث كانت راحلتى فأموت عليه فرجع فأغفى فاستيقظ فاذا هو بها عنده عليها طعامه وشرابه أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن الصباح وزهير ابن حرب قالا ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا اسحق بن أبى طلحة حدثنى أنس بن مالك وهو عمه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ويعفو عن السيئات فيمحوها اذا تابوا (ويعلم مايفعلون) قرأ حمزه والكسائى وحفص تفعلون بالتاء وقالوا هو خطاب للمشركين وقرأ الآخرون بالياء لانه بين خبر بين عن قوم فقال قبله يقبل التوبة عن عباده وبعده ويزيدهم من فضله (ويستجيب الذين آمنوا) أى ويجيب الذين آمنوا (وعملوا الصالحات) اذا دعوه وقال عطاء عن ابن عباس ويثيب الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال أبو صالح عنه يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى اخوان اخوانهم

(والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى أموال بني قريظة والنضير و بني قينقاع فتمنيناها فأنزل الله عز وجل هذه الآية ولو بسط الله الرزق وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) لطغوا وعتوا (في الارض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس (ولكن ينزل) أرزاقهم (بقدر ما يشاء) كما يشاء نظرا منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته (انه بعباده خبير بصير) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا أبو عمر بكر بن محمد المزني ثنا ابو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا الحسين بن الفضل البجلي ثنا ابو حفص عمر بن سعيد الدمشقي ثنا صدقة بن عبد الله ثنا هشام الكناني عن

أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانى لا غضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدى المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا ولسانا ويدا ومؤيدا ان دعانى أجبته وان سألنى أعطيته وما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان

وقال ابن عباس يشفعهم فى اخوانهم و يزيدهم من فضله قال فى اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) * قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى أموال بنى قريظة والنضير و بنى قينقاع فتمنيناها فأنزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أى وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) أى لطغوا وعتوا (فى الارض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لا تلاقه لانه كان الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) يعنى الارزاق نظر المصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم بأحوال عباده و بطبائعهم و بعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانى لا غضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدى المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا و يدا ومؤيدا ان دعانى أجبته وان سألنى أعطيته وما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير أخرجه البغوى باسناده * قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أى يئس الناس منه وذلك أدعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم (و ينشر رحمته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولى) أى لاهل طاعته (الحميد) أى المحمود على ما يوصل الى الخلق من أقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث) أى أوجد (فيهما) أى فى السموات والارض (من دابة) * فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة * قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيجوز أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خلق فى السموات أنواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة * قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الآلام

المكروهة

يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث) المطر (من بعد ما قنطوا) يئسوا من بعد ما يئس الناس منه وذلك أدعى لهم الى الشكر قال مقاتل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله المطر فذكرهم نعمته (و ينشر رحمته) يبسط مطره كما قال وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته (وهو الولى) لاهل طاعته (الحميد) عند خلقه (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) قرأ أهل

المدينة والشام بما كسبت بغير فاء وكذلك هو في مصاحفهم فمن حذف الفاء جعل ما في أول الآية بمعنى الذي يعني الذي أصابكم بما كسبت أيديكم (ويعفوا عن كثير) قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا بشر بن موسى الاسدي ثنا خلف بن الوليد ثنا مروان بن معاوية أخبرني الازهر بن راشد الباهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيلة قال قال علي بن أبي طالب ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير قال وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنكم في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه قال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها أو درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها (وما أنتم بمعجزين) بفائتين (٥٠١) (في الارض) هربا يعني لا تعجزونني حيثما كنتم ولا تسبقونني (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعني السفن واحدتها جارية وهي السائرة (في البحر كالاعلام) أي الجبال قال مجاهد القصور واحدها علم وقال الخليل بن أحمد كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) التي تجري بها (فيظللن) يعني الجواري (رواكد) ثوابت (على ظهره) على ظهر البحر لا تجري (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي لكل مؤمن لان صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء (أو يوبقهن) يهلكهن ويغرقهن (بما كسبوا) أي بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم) قرأ أهل المدينة والشام ويعلم برفع الميم على الاستئناف كقوله عز وجل في سورة براءة ويتوب الله على من يشاء وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم اذا صرف عنه معطوفه نصب وهو كقوله تعالى ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم الى النصب استخفافا وكراهية لتوالي الجزم (الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله (فما أوتيتم من شيء) من رياش الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا) ليس من زاد المعاد (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فيه بيان ان المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهما يتمتعان بها فاذا صارا الى الآخرة كان ما عند الله خيرا للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) قرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على الواحد ههنا وفي سورة النجم وقرأ الآخرون كبائر بالجمع وقد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء (والفواحش) قال السدي يعني الزنا وقال مجاهد ومقاتل ما يوجب الحد (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون

المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصي (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي سخيلة قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا علي ما أصابكم من مصيبة أي من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة (وما أنتم بمعجزين) أي بفائتين (في الارض) هربا يعني لا تعجزونني حيثما كنتم (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعني السفن وهي السيارة (في البحر كالاعلام) أي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) أي التي تجري بها السفن (فيظللن) يعني السفن الجواري (رواكد) أي ثوابت (على ظهره) أي على ظهر البحر لا تجري (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أو يوبقهن) أي يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) أي بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) أي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شيء) أي من زينة الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا) أي ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) أي من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعني كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعني ما عظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يعني يكظمون الغيظ ويحلمون

(والذين استجابوا لربهم) أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم) يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغى) الظلم والعدوان (هم ينتصرون) ينتقمون من ظالميهم من غير ان يعتدوا قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية قال ابراهيم فى هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فاذا قدروا عفوا قال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم مكنهم الله فى الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم ذكر الله الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة قال مقاتل يعنى القصاص فى الجراحات والدماء قال مجاهد والسدى هو جواب القبيح اذا قال له أحد أخزاك الله يقول أخزاك الله واذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن

تعتدى قال سفيان بن عيينة قلت لسفيان الثورى ما قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها قال ان يشتمك رجل فتشتمه أو أن يفعل بك فتفعل به فلم أجد عنده شيأ فسألت هشام بن حجيرة عن هذه الآية فقال الجارح اذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه ثم ذكر العفو فقال (فمن عفا) عمن ظلمه (وأصلح) بالعفو بينه وبين ظالمه (فأجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم اياه (فأولئك) يعنى المنتصرين (ما عليهم من سبيل) بعقوبة ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدؤن بالظلم (ويبغون فى الارض بغير الحق) يعملون فيها بالمعاصى (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر) فلم ينتصر (ان ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) حقها وحزمها قال مقاتل من الامور التى أمر الله بها قال الزجاج الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) فما له من أحد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذاب الله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين) خاضعين متواضعين (من الذل ينظرون من طرف خفى) خفى النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة فى أنفسهم وقيل من بمعنى الباء أى بطرف خفى ضعيف من الذل وقيل انما قال من طرف خفى لانه لا يفتح عينه انما ينظر ببعضها وقيل معناه ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال

(والذين استجابوا لربهم) يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلوة) يعنى المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعنى يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا والا رشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغى) يعنى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية وقال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون ان يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل فى الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزدوا اذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو فى القصاص فى الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب فى الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أى عمن ظلمه (وأصلح) أى بالعفو بينه وبين الظالم (فأجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم اياه (فأولئك) يعنى المنتصرين (ما عليهم من سبيل) أى بعقوبة ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أى يبدؤن بالظلم (ويبغون فى الارض بغير الحق) أى يعملون فيها بالمعاصى (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر) أى لم ينتصر (ان ذلك) أى الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) يعنى تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التى أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) يعنى ما له من أحد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعنى انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) أى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفى) يعنى يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة فى أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى أى ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال الذين

الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) قيل خسروا أنفسهم بان صاروا الى النار وأهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) طريق الى الصواب والى الوصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة (مالكم من ملجأ) تلجأون اليه (يومئذ ومالكم من نكير) من منكر يغير ما بكم (فان أعرضوا) عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك) ما عليك (الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعني الغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) قحط (بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول شدة جميع ما سلف من النعم (لله ملك السموات والارض) له التصرف فيهما بما يريد (يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا) فلا يكون له ولد ذكر قيل من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث (ويهب لمن يشاء الذكور) فلا يكون له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) فلا يلد ولا يولد له قيل هذا في الانبياء عليهم السلام يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكرا انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه السلام لم يولد له انثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبنات ويجعل من يشاء عقيما يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والآية عامة في حق كافة الناس (انه عليم قدير) قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) وذلك ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلم موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فأنزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا يوحى اليه في المنام أو بالالهام (أو من وراء حجاب) يسمعه كلامه ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) اما جبريل أو غيره من الملائكة (فيوحي باذنه ما يشاء) أي يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء قرأ نافع أو يرسل برفع اللام على الابتداء فيوحي ساكنة الياء وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفا على محل الوحي لان معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله الا أن يوحي اليه أو يرسل رسولا (انه علي حكيم

الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعني بأن صاروا الى النار (وأهليهم يوم القيامة) يعني وخسروا أهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) أي وصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) أي ما لكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (وما لكم من نكير) أي ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون أن تنكروا من أعمالكم شيأ (فان أعرضوا) أي عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي تحفظ أعمالهم (ان عليك الا البلاغ) أي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعني الغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) أي قحط (بما قدمت أيديهم) أي من الاعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه * قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض) يعني له التصرف فيهما بما يريد (يخلق ما يشاء) أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا) أي فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) أي فلا يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أي يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) أي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والآية عامة في جميع الناس (انه عليم) أي بما يخلق (قدير) أي على ما يريد أن يخلق * قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلم موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فأنزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أي يوحي اليه في المنام أو بالالهام (أو من وراء حجاب) يسمعه كلامه ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) اما جبريل أو غيره من الملائكة (فيوحي باذنه ما يشاء) يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا وبأتي بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى في سورة النجم (انه علي) أي عن صفات المخلوقين (حكيم) أي في جميع أفعاله * قوله عز وجل

(وكذلك) أى كما أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال السدى ومقاتل وحيا وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقال مالك بن دينار يعنى القرآن (ما كنت تدرى) قبل الوحى (ما الكتاب ولا الايمان) يعنى شرائع الايمان ومعالمه قال محمد بن اسحق بن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة ودليله قوله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم وأهل الاصول على ان الانبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحى على دين ابراهيم ولم يتبين له شرائع دينه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الايمان وقال السدى يعنى القرآن (نهدى به) نرشد به (من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) أى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الاسلام (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور) أى أمور الخلائق كلها فى الآخرة

﴿سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون آية﴾

(١٠٨) (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ما تحتاج اليه الامة من الشريعة (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) قوله جعلناه أى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه يقال جعل فلان زيدا أعلم الناس أى وصفه بهذا كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقوله جعلوا القرآن عضين وقال أجعلتم سقاية الحاج كلها بمعنى الوصف والتسمية (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) فى اللوح المحفوظ قال قتادة أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شئ أصله قال ابن عباس أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأوا نه فى أم الكتاب (لدينا) فالقرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ (لعلى حكيم) قال قتادة يخبر عن منزلته وشرفه أى ان لا ن

(وكذلك) أى وكما أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) أى قبل الوحى (ما الكتاب) يعنى القرآن (ولا الايمان) اختلف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على أن الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الايمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) أى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور) يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسىء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون كلمة ١ ومائة آلاف وأربعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب وهو القرآن الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) أى صيرناه هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه وأحكامه (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله عز وجل القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأوا نه فى أم الكتاب (لدينا) أى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (لعلى حكيم) أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى أى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم أى محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان * قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل انكم أسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى (أن كنتم) أى

لانه كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فانه عندنا لعلى رفيع شريف محكم من الباطل (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) يقال ضربت عنه وأضربت عنه اذا تركته وأمسكت عنه والصفح مصدر قولهم صفحت عنه اذا أعرضت عنه وذلك حين توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن ومعناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل انكم أسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان استفهام بمعنى الانكار أى لا نفعل ذلك وهذا قول قتادة وجماعة قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين معرضين قال الكسائى والسدى أفنطوى عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقال الكلبي أفنتركم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم وقال مجاهد والسدى أفنعرض عنكم ونتركم فلا نعاقبكم على كفركم (أن كنتم)

١ قوله وثلاث وثلاثون كلمة كذا بالاصل ولا يخفى ما فيه اه مصححه

قوما مسرفين) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائى بكسر الهمزة على معنى اذ كنتم كقوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقرأ الاخرون بالفتح على معنى لان كنتم مسرفين مشركين (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم) أى وما كان يأتيهم (من نبى الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى أقوى من قومك يعنى الاولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل (ومضى مثل الاولين) أى صفتهم وسنتهم وعقوبتهم فعاقبة هؤلاء كذلك فى الاهلاك (ولئن سألتهم) أى سألت قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وأقروا بأن الله خالقها وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم الى ههنا تم الاخبار عنهم ثم ابتدأ الاعلى نفسه بصنعه فقال (الذى جعل لكم الارض مهدا (١٠٩) وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون)

لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لا تفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين أى معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوى الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنتركم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) يعنى كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) أى صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا فى الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا أن ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزى والعقوبة * قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أى ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعنى انهم أقروا بأن الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذى جعل لكم الارض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبى فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أى طرقا (لعلكم تهتدون) يعنى الى مقاصدكم فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر حاجاتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم (فأنشرنا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) أى من قبوركم أحياء (والذى خلق الازواج كلها) أى الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) يعنى فى البر والبحر (لتستووا على ظهوره) أى على ظهور الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) يعنى بتسخير المركب فى البر والبحر (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) أى ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين وقيل ضابطين (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى لمنصرفون فى المعاد (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء

الى مقاصدكم فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر حاجتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم (فأنشرنا) أحيينا (به بلدة ميتا كذلك) أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك (تخرجون) من قبوركم أحياء (والذى خلق الازواج كلها) أى الاصناف كلها (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) فى البر والبحر (لتستووا على ظهوره) ذكر الكناية لانه رد ها الى ما (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) بتسخير المراكب فى البر والبحر (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) مطيقين وقيل ضابطين (وانا الى ربنا لمنقلبون) لمنصرفون

فى المعاد أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبى اسحق أخبرنى على بن أبى ربيعة انه شهد عليا رضى الله عنه حين ركب فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى قال الحمد لله ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقيل له مما يضحكك يا أمير المؤمنين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت وقال مثل ما قلت ثم ضحك فقلنا مما يضحكك يا نبى الله قال العبد أو قال عجبت للعبد اذا قال لا اله الا الله ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت يعلم انه لا يغفر الذنوب الا هو

قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) أى نصيبا و بعضا وهو قولهم الملائكة بنات الله ومعنى الجعل ههنا الحكم بالشئ والقول كما تقول جعلت زيدا أفضل الناس أى وصفته وحكمت به (ان الانسان) يعنى الكافر (لكفور) جحود لنعم الله (مبين) ظاهر الكفران (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام توبيخ وانكار يقول اتخذ بكم لنفسه البنات (وأصفاكم بالبنين) كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بما جعل لله شبها وذلك ان ولد كل شئ يشبهه يعنى اذا بشر أحدهم بالبنات كما ذكر فى سورة النحل واذا بشر أحدهم بالانثى (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) من الغيظ والحزن (أو من ينشأ) قرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين أى

يربى وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين أى (فى الحلية) فى الزينة يعنى النساء (وهو فى الخصام غير مبين) فى المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن قال قتادة فى هذه الاية قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها أو من فى محل من ثلاثة أوجه الرفع على الابتداء والنصب على الاضمار بجازه أو من ينشؤ فى الحلية يجعلونه بنات الله والخفض ردا على قوله مما يخلق وقوله بما ضرب (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو عباد الرحمن بالباء والالف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى بل عباد مكرمون وقرأ الاخرون عند الرحمن بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله عزوجل ان الذين عند ربك الاية (أشهدوا خلقهم) قرأ أهل المدينة على ما يسم فاعله ولينوا الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام أى أحضروا خلقهم وقرأ الآخرون بفتح الشين أى أحضروا خلقهم حين خلقوا وهذا كقوله أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون (ستكتب شهادتهم) على الملائكة انهم بنات الله (ويسئلون) عنها قال الكلبى ومقاتل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم أنهم بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم و يسئلون عنها فى الآخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبى وقال مجاهد يعنى الاوثان وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى

السفر يعنى تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف ما يحزنه فى أهل أو مال عن على بن ربيعة قال شهدت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا وأثبتوا (ان الانسان لكفور مبين) أى لجحود نعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ بكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أى أخلصكم (بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى بالجنس الذى جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى (ظل وجهه) أى صار وجهه (مسودا وهو كظيم) أى من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولد له أنثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

مالأبى حمزة لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ما شينا
وانما نأخذ ما أعطينا * حكمة ربى ذى اقتدار فينا

* قوله عزوجل (أو من ينشأ) يعنى أو من يتربى (فى الحلية) يعنى الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله (وهو فى الخصام) أى المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) أى وحكموا وأثبتوا (الملائكة الذين هم عباد) وقرئ عند (الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم) أى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار أى لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) أى على الملائكة انهم بنات الله (ويسئلون) أى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انهم بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم و يسئلون عنها فى الآخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى

(مالهم بذلك من علم) فيما يقولون ماهم الا كاذبون فى قولهم ان الله تعالى رضى منا بعبادتها وقيل ان هم الا يخرصون فيما يقولون (ان هم الا يخرصون) فى قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وملة قال مجاهد على امام (وانا على آثارهم مهتدون) جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم الاولين مهتدين (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) بهم (قال) قرأ ابن عامر وحفص قال على الخبر وقرأ الآخرون قل على الامر (أولو جئتكم) قرأ أبو جعفر جئناكم على الجمع والآخرون على الواحد (بأهدى) بدين أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) قال الزجاج قال لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وان جئتكم بأهدى منه فأبوا أن يقبلوه (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء) أى برىء ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يؤنث لانه مصدر وضع موضع النعت (مما تعبدون الا الذى

تعالى ردا عليهم (ما لهم بذلك من علم) أى فيما يقولون (ان هم الا يخرصون) يعنى ما هم الا كاذبون فى قولهم ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أى يأخذون بما فيه (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) يعنى انهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) أى بهم (قل أولو جئتكم بأهدى) أى بدين هو أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فأبوا أن يقبلوا (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) * قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء) أى برىء (مما تعبدون الا الذى فطرنى) معناه أنا أتبرأ مما تعبدون الا من الله الذى خلقنى (فانه سيهدين) أى يرشدنى الى دينه (وجعلها) أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى لا اله الا الله (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعوه الى توحيده (لعلهم يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعنى كفار مكة (وآباءهم) فى الدنيا بالمد فى العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعنى القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أى يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعنى القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) * قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا فى هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد يا ليل الثقفى من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفى قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمت ربك) معناه أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب

فطرنى فانه سيهدين) يرشدنى لدينه (وجعلها) يعنى هذه الكلمة (كلمة باقية فى عقبه) قال مجاهد وقتادة يعنى كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله كلمة باقية فى عقبه أى فى ذريته قال قتادة لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده وقال القرظى يعنى جعل وصية ابراهيم التى أوصى بها بنيه باقية فى نسله وذريته وهو قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب وقال ابن زيد يعنى قوله أسلمت لرب العالمين وقرأ هو سالم المسلمين (لعلهم يرجعون) لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه الى دين ابراهيم وقال السدى لعلهم يتوبون ويرجعون الى

طاعة الله عز وجل (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعنى المشركين فى الدنيا ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعنى القرآن وقال الضحاك الاسلام (ورسول مبين) يبين لهم الاحكام وهو محمد صلى الله عليه وسلم وكان من حق هذه الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا وعصوا وهو قوله (ولما جاءهم الحق) يعنى القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنون الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وابن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقيل الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى ويروى هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال الله تعالى (أهم يقسمون رحمت ربك) يعنى النبوة قال مقاتل يقول أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا ثم قال

(نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا) فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مملوكا وهذا مالكا وهذا ضعيفا وهذا قويا كما فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) بالغنى والمال (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء بأموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله وهذا بأعماله فيلتئم قوام العالم وقال قتادة والضحاك يملك بعضهم بماله بعضا بالعبودية والملك (ورحمت ربك) يعنى الجنة (خير) للمؤمنين (مما يجمعون) مما يجمع الكفار من الاموال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على الواحد ومعناه الجمع كقوله تعالى خر عليهم السقف من فوقهم وقرأ الآخرون بضم السين والقاف على الجمع وهى جمع سقف مثل رهن ورهن قال أبو عبيدة ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف وقيل جمع سقوف جمع الجمع (ومعارج) مصاعد ودرجا من فضة (عليها يظهرون) يعلون ويرتقون يقال ظهرت على السطح اذا علوته (ولبيوتهم أبوابا) من فضة (وسررا) أى وجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكؤن وزخرفا) أى ولجعلنا مع ذلك لهم زخرفا وهو الذهب نظيره أو يكون لك بيت من زخرف (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) قرأ عاصم وحمزة لما بالتشديد على معنى وما كل ذلك الامتاع الحيوة الدنيا فكان لما بمعنى الا وخففه الآخرون على معنى وكل ذلك متاع الحيوة الدنيا فيكون ان للابتداء وما صلة يريد ان هذا كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب (والآخرة عند ربك للمتقين) خاصة يعنى الجنة أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى انا ابو العباس عبد الله بن محمد بن هرون الطيسفونى انا ابو الحسن محمد بن أحمد الترابى أخرجه انا أبو بكر أحمد بن عمر بن بسطام انا احمد بن سيار القريشى ثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا ابو مسلم ثنا ابو بكر بن مملور عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة ماء أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله ابن أبى توبة أنا ابو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث انا محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن خالد بن سعيد عن قيس بن حازم عن المستورد بن شداد أخو بنى فهر قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها قالوا من هوانها ألقوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها

لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا) أى نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض فى حكمنا فى أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا فى تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعنى لو أنا سوينا بينهم فى كل الاحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضى ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء بأموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعنى الجنة (خير) يعنى للمؤمنين (مما يجمعون) أى يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآبدين * قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا رأوا الكفار فى سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار أكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعنى مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يعنى يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم أبوابا) أى من فضة (وسررا) أى ولجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكؤن وزخرفا) أى ولجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) يعنى ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضى لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد جد بنى فهر قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء

قوله عز وجل (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه يقال عشوت الى النار أعشو اذا قصدتها مهتديا بها وعشوت عنها أعرضت عنها كما يقول عدلت الى فلان وعدلت عنه وملت اليه وملت عنه قال القرظي بول ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن قال أبو عبيدة والاخفش يظلم بصره عنه قال الخليل بن أحمد أصل العشو النظر ببصر ضعيف وقرأ ابن عباس ومن يعش بفتح الشين أي يعم يقال عشي يعشى عشيا اذا عمي فهو أعشى وامرأة عشواء (نقيض له شيطانا) قرأ يعقوب يقيض بالياء والباقون بالنون نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعني الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) أي ليمنعونهم عن الهدى وجمع الكناية لان قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا في مذهب جمع وان كان اللفظ على الواحد (ويحسبون أنهم مهتدون) ويحسب كفار بني آدم أنهم على هدى (حتى اذا جاءنا) قرأ أهل العراق غير أبي بكر جاءانا على الواحد يعنون الكافر وقرأ الآخرون جاءانا على التثنية يعنون الكافر وقرينه قد جعلا في سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر * قوله تعالى (ومن يعش) أي يعرض (عن ذكر الرحمن) أي فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) أي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعني الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعني يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون انهم مهتدون) يعني ويحسب كفار بني آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعني الكافر وحده وقرئ جاءانا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) أي بعدما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح (فبئس القرين) يعني الشيطان قال أبو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصيرا الى النار (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعني أشركتم (أنكم في العذاب مشتركون) يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيأ لان لكل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) أي بان نميتك قبل أن نعذبهم (فانا منهم منتقمون) أي بالقتل بعدك (أو نرينك) أي في حياتك (الذي وعدناهم) أي من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) أي قادرون على ذلك مني شئنا عذبناهم وأرادبهم مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون في أمته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره في أمته الا الذي تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده فما رؤي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذي أوحي اليك) يعني القرآن (انك على

من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون (فاما نذهبن بك) بأن نميتك قبل أن نعذبهم (فانا منهم منتقمون) بالقتل بعدك (أو نرينك) في حياتك (الذي وعدناهم) من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) قادرون متى شئنا عذبناهم وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة عنى به أهل الاسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في أمته فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته الا الذي تقر عينه وأبقى النقمة بعده وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده فما رؤي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله (فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على

صراط مستقيم وانه) يعني القرآن (لذكر لك) أي لشرف لك (ولقومك) من قريش نظيره لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم (وسوف تسئلون) عن حقه وأداء شكره روى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يجب بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل لمن هذا قال لقريش أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي اثنان أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال كان محمد ابن جبير بن مطعم يحدث عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وقال مجاهد القوم هم العرب فالقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلفوا في هؤلاء المسؤلين قال عطاء عن ابن عباس لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع الله له المرسلين ليلة أسري به وأمره أن يسئلهم فلم يشك ولم يسأل وقال

صراط مستقيم) أي على دين مستقيم لا يميل عنه الا الضال (وانه) يعني القرآن (لذكر) أي لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعني عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذلك شرف لك أي ذلك شرف لك بما أعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعني المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه * قوله تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلون فروى عن ابن عباس في رواية عنه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة أسري به وأمر أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل * قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أي يسخرون (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) أي قرينتها التي قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها (لعلهم يرجعون) أي عن كفرهم (وقالوا) يعني لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب

(يا أيه

أكثر المفسرين سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في سائر الروايات ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل يدل عليه قراءة عبد الله وأبي واسئل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) استهزاء (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها (وأخذناهم بالعذاب) بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه دلالات لموسى وعذابا لهم فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (وقالوا) لموسى لما عاينوا العذاب

(يا أيه الساحر) يا أيها العالم الكامل الحاذق وانما قالوا هذا توقيرا وتعظيما له لان السحر عندهم كان علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أخبرتنا من عهده اليك ان آمنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب (انا لمهتدون) مؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار) أنهار النيل (تجري من تحتي) من تحت قصوري وقال قتادة تجري بين يدي في جناني وبساتيني وقال الحسن بأمري (أفلا تبصرون) عظمتي وشدة ملكي (أم أنا خير) بل انا خير أم بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقال الفراء الوقف على قوله أم وفيه اضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير (من هذا الذي هو مهين) ضعيف حقير يعني موسى قوله (ولا يكاد يبين) يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه (فلولا ألقي عليه) ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قرأ حفص

ويعقوب أسورة جمع سوار وقرأ الآخرون أساورة على جمع الاسورة وهي جمع الجمع قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقي رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب علينا طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) متتابعين يتابع بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره قال الله تعالى (فاستخف قومه) أي استخف فرعون قومه القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل يقال استخفه عن رأيه اذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب (فأطاعوه) على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا) أغضبونا (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا) قرأ حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام قال الفراء هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف أي تقدم وقرأ الآخرون بفتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس وخادم وخدم وراصد ورصد وهما جميعا الماضون المتقدمون من الامم يقال سلف يسلف اذا تقدم والسلف من تقدم من الآباء فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون (ومثلا للآخرين) عبرة وعظة لمن بقي بعدهم وقيل سلفا للكفار هذه الامة الى النار ومثلا لمن يجيء بعدهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس وأكثر المفسرين ان الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد ذكرنا في سورة الانبياء عليهم السلام (إذا قومك منه يصدون) قرأ أهل المدينة والشام والكسائي يصدون بضم الصاد أي يعرضون نظيره قوله تعالى يصدون عنك صدودا وقرأ الآخرون بكسر الصاد واختلفوا في معناه قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون وشد عليه يشد

(يا أيه الساحر) أي العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا العذاب فاسأله ان يكشفه عنا (انا لمهتدون) أي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) أي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي) يعني أنهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي جناني وبساتيني وقيل تجري بأمري (أفلا تبصرون) أي عظمتي وشدة ملكي (أم أنا) أي بل أنا (خير) وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير (من هذا الذي هو مهين) أي ضعيف حقير يعني موسى (ولا يكاد يبين) أي يفصح بكلامه للثغة التي كانت في لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقي عليه) أي ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقي رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره * قال الله تعالى (فاستخف) يعني فرعون (قومه) يعني القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) أي على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعني حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا) أي أغضبونا وهو في حق الله ارادته العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعني جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجيء من بعدهم * قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم وذكره في سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعني قريشا (منه) أي من المثل (يصدون) أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا أن نعبده ونتخذه الها كما

ويشدوم بالحديث ينم وينم وقال ابن عباس معناه يضجون وقال سعيد بن المسيب يصيحون وقال الضحاك يعجون وقال قتادة يجزعون وقال القرظي يضجرون ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد منا محمد الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) قال قتادة أم هو يعنون محمدا فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) يعني هذا المثل (لك الا جدلا) خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الجمشاوي أنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا عبد الله بن نمير ثنا حجاج بن دينار الواسطي عن أبي غالب عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ثم ذكر عيسى فقال (ان هو) ما هو يعني عيسى عليه السلام (الا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا) آية وعبرة (لبني اسرائيل) يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة) أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة (في الارض يخلفون) يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدوني ويطيعوني وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعني عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة وانه لعلم للساعة بفتح اللام والعين أي أمارة وعلامة وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويروى أنه ينزل على ثنية بالارض المقدسة وعليه ثوبان مصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الانصاري ان أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وقال الحسن وجماعة وانه يعني وان القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها

عبدت النصارى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) يعني هذا المثل (لك الا جدلا) أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قولكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) أي بالباطل عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) أي ما عيسى (الا عبد أنعمنا عليه) أي بالنبوة (وجعلناه مثلا) أي آية وعبرة (لبني اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم ولجعلنا بدلا منكم ملائكة (في الارض يخلفون) أي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعني عيسى (لعلم للساعة) يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذؤيب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى ويده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الانصاري ان أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وقال الحسن وجماعة وانه يعني وان القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها

(فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها قال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعون) على التوحيد (هذا) الذى أنا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم) لا يصرفنكم (الشيطان) عن دين الله (انه) لانه (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) بالنبوّة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) من أحكام التوراة قال قتادة يعنى اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى قال الزجاج الذى جاء به عيسى فى الانجيل انما هو بعض الذى اختلفوا فيه و بين لهم فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) هل ينتظرون (الا الساعة) يعنى أنها تأتيهم لا محالة فكأنهم ينتظرونها (ان تأتيهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون الأخلاء) - لى المعصية فى الدنيا (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو الا المتحابين فى الله عزوجل على طاعة الله عزوجل أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أخبرنى عقيل بن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد بن جرير ثنا ابن عبد الاعلى عن قتادة ثنا أبو ثور عن معمر عن قتاده عن أبى اسحق أن عليا قال فى هذه الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك و يأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال و يموت أحد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك و يأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب * قوله عزوجل (ياعبادلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الا فزع فينادى منادياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) أى فى الجنة (ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين) عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى أحب الخيل قال

ويقتل النصارى الا من آمن وقيل فى معنى الآية وانه أى وان القرآن لعلم للساعة أى يعلم قيامها و يخبركم بأحوالها وأهوالها (فلا تمترن بها) أى لا تشكن فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعون) أى على التوحيد (هذا) أى الذى أنا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم) أى لا يصرفنكم (الشيطان) أى عن دين الله الذى أمر به (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالنبوّة (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) أى من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما آمركم به (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) أى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) أى ينتظرون (الا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى فجأة والمعنى انها تأتيهم لا محالة (وهم لا يشعرون الأخلاء) أى على الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) أى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (الا المتقين) أى الا الموحدين المتحابين فى الله عزوجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم و يأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات أحد المؤمنين جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال و يموت أحد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك و يأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب * قوله عزوجل (ياعبادلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الا فزع فينادى منادياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) أى فى الجنة (ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين) قرأ أهل المدينة والشام وحفص تشتهيه الانفس وكذلك هى فى مصاحفهم وقرأ الآخرون بحذف الهاء (وتلذ الاعين)

وأنتم فيها خالدون) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله أفي الجنة خيل فاني أحب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت الا فعلت وقال اعرابي يا رسول الله أفي الجنة ابل فاني أحب الابل فقال يا اعرابي ان يدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وفي الحديث لا ينزع رجل من الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (ان المجرمين) المشركين (في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك) يدعون خازن النار (ليقض علينا ربك) ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة (قال انكم ماكثون) مقيمون في العذاب أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة يذكره

عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق في نار جهنم تشبه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا) أحكموا (أمرا) في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) محكمون أمرا في مجازاتهم قال مجاهد ان كادوا شرا كدتهم مثله (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك ونعلم (ورسلنا) أيضا من الملائكة يعني الحفظة (لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) يعني ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبده بأنه واحد لا شريك له ولا ولد قال ابن عباس ان كان أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك جعل ان بمعنى الجحد وقال السدي معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين يعني أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم ويقال معناه أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد ويقال عبد يعبد اذا أنف أو غضب عبد اوقال قوم قل ما يقال عبد فهو عابد انما يقال عبد فهو عبد ثم نزه نفسه فقال

ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل فاني أحب الابل قال فلم يقل ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذي (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وورد في الحديث أنه لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها * قوله تعالى (ان المجرمين) يعني المشركين (في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم) أي لا يخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) أي آيسون من رحمة الله تعالى (وما ظلمناهم) أي وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) أي لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يا مالك) يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) أي ليمتنا ربك فنستريح والمعنى انهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم (قال انكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا) أي أحكموا أمرا في المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) أي محكمون أمرا في مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعني الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح تردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى

(سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) عما يقولون من الكذب (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) قال قتادة يعبد في السماء وفي الارض لا اله الا هو (وهو الحكيم) في تدبير خلقه (العليم) بمصالحهم (وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يرجعون بالياء والآخرون بالتاء (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق) وهم عيسى وعزير والملائكة فانهم عبدوا من دون الله ولهم الشفاعة وعلى هذا يكون من في محل الرفع وقيل من في محل الخفض وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة يعني انهم لا يملكون الشفاعة الا لمن شهد بالحق والاول أصح وأراد بشهادة الحق قول لا اله الا الله كلمة التوحيد (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون) يصرفون عن عبادته (وقيله يارب) يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قرأ عاصم وحمزة وقيله بجر اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب وقرأ الآخرون بالنصب وله وجهان أحدهما معناه أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يارب والثاني وقال قيله (فاصفح عنهم) أعرض عنهم (وقل سلام) معناه المتاركة كقوله تعالى سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين (فسوف يعلمون) قرأ أهل المدينة والشام بالتاء وقرأ الباقون بالياء قال مقاتل نسختها آية السيف

﴿ سورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة) قال قتادة وابن زيد هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في عشرين سنة وقال آخرون هي ليلة النصف من شعبان أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا الاصبغ بن الفرج أخبرني ابن وهب أخبرني عمرو ابن الحارث ان عبد الملك بن عبد الملك حدثه أن ابن أبي ذئب حدثه عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس الا انسانا في قلبه شحناء أو مشركا بالله

طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الرجعة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) أي في باطلهم (ويلعبوا) أي في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله) يعني هو الاله الذي يعبد في السماء وفي الارض لا اله الا هو (وهو الحكيم) يعني في تدبير خلقه (العليم) يعني بمصالحهم (وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (الا من شهد بالحق) لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهي كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) أي بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون انهم عباده (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) يعني انهم اذا أقروا بأن الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا عبادة غيره (فأنى يؤفكون) يعني يصرفون عن عبادته الى غيره (وقيله يارب) يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه (فاصفح عنهم) يعني أعرض عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) يعني عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الدخان مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) يعني المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (انا أنزلناه في ليلة مباركة) قيل هي ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء

(انا كنا منذرين فيها) أى فى الليلة المباركة (يفرق) أى يفصل (كل أمر حكيم) محكم وقال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما هو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان قال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم فى ليلة القدر فى شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون فى تلك السنة وقال عكرمة هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الاحياء من الاموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا ابو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب أخبرنى عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه فى الموتى وروى أبو الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها فى ليلة القدر (أمرا) أى أنزلنا أمرا (من عندنا) قال الفراء نصب على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فرقا وأمرا أى نأمر أمرا ببيان ذلك (انا كنا مرسلين) محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقال الزجاج أنزلناه فى ليلة مباركة للرحمة (انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما) قرأ أهل الكوفة رب جرا ردا على قوله من ربك ورفعه الآخرون ردا على قوله هو السميع العليم وقيل على الابتداء (ان كنتم موقنين) أن الله رب السموات والارض (لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم فى شك) من هذا القرآن (يلعبون) يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) تقدره هو عذاب الهى ويجوز أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده أى يقولون هذا عذاب أليم

الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بنى كلب أخرجه الترمذى (انا كنا منذرين) أى مخوفين عقابنا (فيها) أى فى تلك الليلة المباركة (يفرق) أى يفصل (كل أمر حكيم) أى محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما هو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها فى ليلة القدر (أمرا) أى أنزلنا أمرا (من عندنا انا كنا مرسلين) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل أنزلناه فى ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) أى لاقوالهم (العليم) أى بأحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أى ان الله رب السموات والارض وما بينهما (لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) * قوله تعالى (بل هم فى شك) أى من هذا القرآن (يلعبون) أى يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) أى يا محمد (يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجىء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل به ومن لا يعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه

قال

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن كثير عن سفيان ثنا منصور والاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال بينما رجل يحدث فى كندة فقال يجىء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئا فنهض فجلس فقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم الله ورسوله أعلم فان الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وان قريشا أبطؤا عن الاسلام فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والارض كهيئة الدخان فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقرأ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انكم عائدون أفيكشف عنهم عذاب الآخرة اذا جاء ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يعنى يوم بدر ولزاما يوم بدر الم غلبت الروم الى سيغلبون والروم قد مضى ورواه محمد بن اسمعيل عن يحيى عن وكيع عن الاعمش قال قالوا

(ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا الى كفرهم فدعا به فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر وذلك قوله فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن الاعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان وقال قوم هو دخان يجىء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل فى أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه النار وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن أخبرنا أبو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى أخبرنى عقيل ابن محمد الجرجانى ثنا ابو الفرج المعافى بن زكريا البغدادى ثنا محمد بن جرير الطبرى حدثنى عصام بن روّاد بن الجراح ثنا أبى أنا أبو سفيان بن سعيد ثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره (أنى لهم الذكرى) من أين لهم التذكر والاتعاظ يقول كيف يتذكرون ويتعظون (وقد جاءهم رسول مبين) ظاهر الصدق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم تولوا عنه) أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (مجنون) قال الله تعالى (انا كاشفوا العذاب) أى عذاب الجوع (قليلا) أى زمانا يسيرا قال مقاتل الى يوم بدر (انكم عائدون) الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) وهو يوم بدر (انا منتقمون) وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن يوم القيامة وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس (ولقد فتنا) بلونا (قبلهم) قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وهو موسى بن عمران (أن أدّوا الىّ عباد الله) يعنى بنى اسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم (انى لكم رسول أمين) على الوحى (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان مبين) ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال

قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شىء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا به فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شىء بالحاء والصاد المهملتين أى أهلكت واستأصلت كل شىء (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة فى أبصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجوّ وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجىء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل فى أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوى باسناده الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره (أنى لهم الذكرى) أى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل فى وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) أى أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (مجنون) أى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) أى الجوع (قليلا) أى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر (انكم عائدون) أى الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) أى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة * قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) أى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) يعنى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (أن أدّوا الىّ عباد الله) يعنى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولا تعذبوهم (انى لكم رسول أمين) يعنى على الوحى (وأن لا تعلوا على الله) يعنى لا تتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان مبين) يعنى ببرهان بين على صدق

(وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون) أن تقتلونى وقال ابن عباس تشتمونى وتقولوا هو ساحر وقال قتادة ترجمونى بالحجارة (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فاتركونى لا معى ولا على وقال ابن عباس فاعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) مشركون فأجابه الله وأمره أن يسرى فقال (فأسر بعبادى ليلا) أى بنى اسرائيل (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) اذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) ساكنا على حالته وهيئته بعد ان ضربته ودخلته معناه لا تأمره ان يرجع اتركه حتى يدخله آل فرعون وأصل الرهو السكون وقال مقاتل معناه اترك البحر راهيا أى ساكنا فسمى بالمصدر أى ذا رهو وقال كعب اتركه طريقا قال قتادة طريقا يابسا قال قتادة لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر رهوا كما هو (انهم جند مغرقون) أخبر موسى انه يغرقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كما جاوزه ثم ذكر ما تركوا بمصر فقال (كم تركوا) يعنى بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) مجلس شريف قال قتادة الكريم الحسن (ونعمة) ومتعة وعيش ابن (كانوا فيها فاكهين) ناعمين وفاكهين اشرين بطرين (كذلك) قال الكلبى كذلك أفعل بمن عصانى (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو عبد الله الفنجوى ثنا أبو على المقرى ثنا أبو يعلى الموصلى ثنا أحمد ابن اسحق البصرى ثنا مكى بن ابراهيم ثنا موسى ابن عبيدة الزيدى أخبرنى يزيد الرقاشى عن أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه ثم تلا فما بكت عليهم السماء والارض قال عطاء بكاء السماء حمرة اطرافها قال السدى لما قتل الحسين بن على بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها (وما كانوا منظرين) لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) قتل الابناء واستحياء النساء والتعب فى العمل (من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم) يعنى مؤمنى بنى اسرائيل (على علم) بهم (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) قال قتادة نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التى أنعمنا عليهم قال ابن زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة (ان هؤلاء) يعنى مشركى مكة

قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون) أى تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجمونى بالحجارة (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى فاتركون لا معى ولا على وقال ابن عباس اعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) أى مشركون (فاسر بعبادى ليلا) أى أجاب الله دعاءه وأمره أن يسرى ببنى اسرائيل بالليل (انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أى اذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) أى ساكنا والمعنى لا تأمره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضرب به بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعنى أخبر موسى باغراقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كما هو (كم تركوا) أى بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) أى مجلس شريف حسن (ونعمة) أى وعيش لين رغد (كانوا فيها) أى فى تلك النعمة (فاكهين) أى ناعمين وقرئ فكهين أى أشرين بطرين (كذلك) أى أفعل بمن عصانى (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة أطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا قيل أو تبكى فقال وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان تسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الارض (وما كانوا منظرين) أى لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها * قوله عز وجل (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب فى العمل (من فرعون انه كان عاليا) أى جبارا (من المسرفين ولقد اخترناهم على علم) أى علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) أى عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التى أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعنى مشركى مكة (ليقولون

(ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى) أى لا موتة الا هذه التى نموتها فى الدنيا ثم لا بعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) أى بمبعوثين بعد موتتنا هذه (فأتوا بآبائنا) أى الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) أى انا نبعث أحياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يحيى لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذى قبله كما يسمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل ابن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا * وكان من قصته على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من أحبار بنى قريظة وكانا ابنى عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فانها مهاجر نبى يخرج من هذه المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فأتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت قالوا بيت بمكة وانما تريد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده أحد قط بسوء الا هلك فذكر ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله فى الارض بيتا غير هذا البيت فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك لانهما ناوأه أحد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنع أهله فلما قالوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل الشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دانا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال تبع أنصفتم فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وما قربوا معها ودن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما

ولم نأمن عليك عاجل العقوبة

على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما أراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده أحد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله فى الارض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحروا حلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك وما ناوأه أحد قط الا هلك فأكرمه واصنع عنده ما يصنعه أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهى برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لا ندخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فخاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذى خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينها فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشى كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه * قوله تعالى (والذين من قبلهم) أى من الامم الكافرة (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق) أى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) قوله عز وجل (ان يوم الفصل) أى الذى يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين) أى يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ) أى لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيأ (ولا هم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله (الا من رحم الله) يعنى المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) أى فى انتقامه من أعدائه (الرحيم) أى بأوليائه المؤمنين * قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أى ذى الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) أى كدردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) أى فى بطون الكفار (كغلى الحميم) يعنى كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذى وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله

(الا من رحم الله) يريد المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) فى انتقامه من أعدائه (الرحيم) بالمؤمنين (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أى ذى الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) هو دردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) قرأ ابن كثير وحفص يغلى بالياء جعلا الفعل للمهل وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة فى البطون أى بطون الكفار (كغلى الحميم) كالماء الحار اذا اشتد غليانه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو بكر العبدوسى أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد ثنا سليمان بن يوسف ثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الارض لا مرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره

شيبة ثنا محمد بن على بن سالم الهمدانى ثنا أبو الازهر أحمد ابن الازهر النيسابورى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى تبع أكان نبيا أو غير نبى (والذين من قبلهم) من الامم الكافرة (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق) قيل يعنى للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل) يوم يفصل الرحمن بين العباد (ميقاتهم أجمعين) يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ) لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيأ (ولا هم ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله

قوله تعالى (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم (فاعتلوه) قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء وقرأ الباقون بضمها وهما لغتان أى ادفعوه وسوقوه يقال عتله يعتله عتلا اذا ساقه بالعنف والدفع والجذب (الى سواء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قال مقاتل ان خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) هذا العذاب (انك) قرأ الكسائى انك بفتح الالف أى لانك كنت تقول أنا العزيز الكريم وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء (أنت العزيز الكريم) عند قومك بزعمك وذلك ان أباجهل كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فتقول له هذا اللفظ خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال (ان المتقين فى مقام أمين) قرأ أهل المدينة والشام فى مقام بضم الميم على المصدر أى فى اقامة وقرأ الآخرون بفتح الميم أى فى مجلس أمين أمنوا فيه من الغير أى من الموت ومن الخروج منه (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم) أى كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم (بحور عين) أى قرناهم بهن ليس من عقد التزويج لانه لا يقال زوجته بامرأة قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجا لهن كما يزوج النعل بالنعل أى جعلناهم اثنين اثنين والحور هن النساء النقيات البياض قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال أبو عبيدة الحور هن شديدات بياض الاعين الشديدات سوادها واحدها أحور والمرأة حوراء والعين جمع العيناء وهى عظيمة العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) اشتهوها (آمنين) من نفادها ومن مضرتها وقال قتادة آمنين من الموت والاوصاب والشياطين (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أى سوى الموتة الاولى التى ذاقوها فى الدنيا وبعدها وضع الا موضع سوى بعد وهذا كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أى سوى ما قد سلف وبعد ما قد سلف وقيل انما استثنى الموتة الاولى وهى فى الدنيا من موت فى الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كأنهم فى الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) أى فعل ذلك بهم فضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه) سهلنا القرآن كناية عن غير مذكور (بلسانك) على لسانك (لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر النصر من ربك وقيل فانتظر لهم العذاب

عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم (فاعتلوه) أى ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) أى الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) أى هذا العذاب (انك أنت العزيز الكريم) أى عند قومك بزعمك وذلك أن أباجهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) أى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين فى مقام أمين) اى فى مجلس امنوا فيه من الغير (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر * فان قلت كيف ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ اعجمى * قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب (متقابلين) اى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) اى كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) اكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) اى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين الحور من النساء النقيات البيض وقيل بحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعنى أرادوها واشتهوها (آمنين) اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) اى لا يذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كأنه فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعنى كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك) اى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (فارتقب) اى فانتظر النصر من ربك

(انهم مرتقبون) منتظرون قهرك بزعمهم أخبرنا أبو سعيد الشريحي انا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن فنجويه ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ثنا أبو عيسى موسى بن علي الختلي ثنا أبو هاشم الرفاعي ثنا زيد بن الحباب ثنا عمر بن عبد الله بن أبي خثعم عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك

﴿ سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات وتصريف الرياح آيات بكسر التاء فيهما ردا على قوله لآيات

وقيل انتظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) أي منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم أحد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذي وقال هشام أبو المقدام أحد رواته ضعيف والله أعلم

﴿ سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض) أي ان في خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفي خلقكم) أي وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة) أي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها في الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعني انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعني بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعني المطر الذي هو سبب أرزاق العباد (فأحيا به) أي بالمطر (الارض بعد موتها) اي بعد يبسها (وتصريف الرياح) أي في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) * فان قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون * قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا أنه الاله القادر على كل شيء ثم اذا أمعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله) أي بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) * قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أي كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعني القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيئا) يعني آيات القرآن (اتخذها هزوا) أي سخر منها (أولئك) اشارة الى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعني أمامهم جهنم وذلك خزيهم في الدنيا ولهم في الآخرة النار (ولا يغني عنهم ما كسبوا) أي من الاموال (شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعني القرآن (هدى) أي هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي

وهو في موضع النصب وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف على ان العرب تقول ان لي عليك مالا وعلى أخيك مال ينصبون الثاني ويرفعونه (لقوم يوقنون) أنه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد (فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق (فبأي حديث بعد الله) بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب تؤمنون بالتاء على معنى قل لهم يا محمد فبأي حديث تؤمنون وقرأ الآخرون بالياء (ويل لكل أفاك أثيم) كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحارث (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم سخر واذا علم من آياتنا) قال مقاتل من القرآن (شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) وذكر بلفظ الجمع ردا الى كل في قوله لكل أفاك أثيم (من ورائهم) أمامهم (جهنم) يعني أنهم في الدنيا ممتعون بأموالهم ولهم في الآخرة النار يدخلونها (ولا يغني عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعني هذا القرآن (هدى) بيان من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي

سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض) ومعنى تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا فهو مسخر لنا من حيث انا ننتفع به (جميعا منه) فلا تجعلوا لله أندادا قال ابن عباس جميعا منه كل ذلك رحمة منه قال الزجاج كل ذلك تفضل منه واحسان (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس ومقاتل نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر رضى الله تعالى عنه أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقال القرظى والسدى نزلت فى أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى أذى شديد من المشركين من قبل أن يؤمروا بالقتال

فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها آية القتال (ليجزى قوما) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرأ الآخرون بالياء أى ليجزى الله وقرأ أبو جعفر ليجزى بضم الياء الاولى وسكون الثانية وفتح الزاى قال أبو عمرو وهو لحن قال الكسائى معناه ليجزى الجزاء قوما (بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات) الحلالات يعنى المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أى عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) يعنى العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) سنة وطريقة بعد موسى (من الدين) من الامر (فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك فقال جل ذكره (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) ان يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين هذا) يعنى القرآن (بصائر) معالم (للناس) فى الحدود والاحكام يبصرون بها (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب) بل حسب (الذين اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصى والكفر

سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله) أى بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) * قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك أن رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) * قوله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم) يعنى معرفة أحكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى الحلالات وهو ما وسع عليهم فى الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أى على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) أى بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجىء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) أى من الدين (فاتبعها) أى اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك قال الله تعالى (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) أى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة (والله ولى المتقين) أى هو ناصرهم فى الدنيا وولهم فى الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) أى معالم للناس فى الحدود والاحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أى اكتسبوا المعاصى

(أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين إن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (سواء محياهم) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب سواء بالنصب أي نجعلهم سواء يعني أحسبوا ان حياة الكافرين (ومماتهم) كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع الى المؤمنين والكافرين جميعا معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته في الدنيا والآخرة (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يرددها يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس والحسن وقتادة

والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل (ساء ما يحكمون) أي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات * قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيأ أحسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) أي علما منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل أن يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) يعني ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعني منكري البعث (ما هي الا حياتنا الدنيا) يعني ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) يعني يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت (وما يهلكنا الا الدهر) يعني وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار (وما لهم بذلك من علم) يعني لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون) (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن آدم ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر

معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقال الآخرون معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه قال سعيد ابن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيأ أحسن من الاول رموه وكسروه وعبدوا الآخر قال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوى بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علمه انه ضال قبل أن يخلقه (وختم) طبع (على سمعه) فلم يسمع الهدى (وقلبه) فلم يعقل الهدى (وجعل على بصره غشاوة) قرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين والباقون غشاوة ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أي فمن يهديه بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) فاذا

وقالوا) يعني منكري البعث (ما هي الا حياتنا الدنيا) أي ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أي يموت الآباء ويحيا الابناء وقال الزجاج يعني نحن نموت ونحيا قالوا والاجتماع (وما يهلكنا الا الدهر) أي وما يفنينا الا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار (وما لهم بذلك) أي الذي قالوه (من علم) أي لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون) أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أرسل الليل والنهار

فاذا شئت قبضتهما أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري ثنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا اسحق ابن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب أحدكم الدهر فان الله هو الدهر ولا يقول للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث أن العرب كان من شأنهم ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم وما يهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها وكان مرجع سبهم الى الله عز وجل اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر فنهوا عن سب الدهر (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أي ليوم القيامة (لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعني الكافرين الذين هم أصحاب الاباطيل يظهر في ذلك (١٢٩) اليوم خسرانهم بأن يصيروا الى النار (وترى كل أمة جاثية) باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ابراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك الا نفسي (كل أمة تدعى الى كتابها) الذي فيه أعمالها وقرأ يعقوب كل أمة نصب ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم ببيان شاف فكأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أي بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب وقال الضحاك نستنسخ أي نثبت وقال السدي نكتب وقال الحسن نحفظ (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين) الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) متكبرين كافرين (واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها) قرأ حمزة والساعة نصب عطفها على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء (قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا) أي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) انها كائنة (وبدا لهم) في الآخرة (سيئات ما عملوا) أي جزاؤها

قاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم * قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعني في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا أسألك الا نفسي (كل أمة تدعى الى كتابها) أي الذي فيه أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي من خير وشر (هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة * فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم أولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا * قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) أي يشهد عليكم ببيان شاف كأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي جنته (ذلك هو الفوز المبين) أي الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) أي يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني آيات القرآن (فاستكبرتم) أي عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعني كافرين منكرين * قوله عز وجل (واذا قيل ان وعد الله حق) أي البعث كائن (والساعة لا ريب فيها) أي لا شك في انها كائنة (قلتم ما ندري ما الساعة) أي أنكرتموها وقلتم (ان نظن الا ظنا) أي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) أي انها كائنة (وبدا لهم) أي في الآخرة (سيئات ما عملوا)

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم) نترككم في النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (وماواكم النار ومالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد

رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء) العظمة (في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي ثنا أحمد بن حفص وعبد الله بن محمد الفراء وقطن بن ابراهيم قالوا أنا حفص بن عبد الله حدثني ابراهيم بن طهمان عن عطاء ابن السائب عن الاغر أبي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما أدخلته النار

﴿ سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي تنتهي اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) أي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب (معرضون) أي لا يؤمنون به (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) أي بقية من علم يؤثر عن الاولين و يسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء

أي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيآتهم (وحاق بهم) أي نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (وماواكم النار ومالكم من ناصرين) أي مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) أي هذا الجزاء (بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) أي من النار (ولا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذي هو بكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) أي وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (في السموات والارض) وحق لمثله أن يكبر و يعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقاني وأبو مسعود رضي الله عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيأ منهما عذبته ولابي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار

﴿ شرح غريب ألفاظ الحديث ﴾

قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له في انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشاركه فيهما أحد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق لغيره والله أعلم

﴿ تفسير سورة الاحقاف مكية ﴾

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي بالعدل (وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) أي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب (معرضون) أي لا يؤمنون به (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) قال الكلبي أي بقية من علم يؤثر عن الاولين أي يسند اليهم قال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء وقال قتادة خاصة من علم وأصل الكلمة من الاثر وهو الرواية يقال أثرت الحديث أثرا واثارة ومنه قيل للخبر أثر

(ان كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له) يعنى الاصنام لا تجيب عابديها الى شئ يسألونها (الى يوم القيامة) يعنى أبدا ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانها جماد لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) جاحدين بيانه قوله تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) يسمون القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) محمد من قبل نفسه فقال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) لا تقدرون أن تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف أفترى على الله من أجلكم (هو أعلم) الله أعلم (بما تفيضون فيه) تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى و بينكم) ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) فى تأخير العذاب عنكم قال الزجاج هذا دعاءلهم الى التوبة معناه ان الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى بديعا مثل نصف ونصيف وجمع البدع أبداع أى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوّتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقال بعضهم معناه ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون فقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فأنزل الله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيأ لك يا نبى الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية وأنزل و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله تعالى ما يفعل به و بهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما

وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الارض (ان كنتم صادقين) أى فى ان لله شريكا (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له) يعنى الاصنام لا تجيب عابديها الى شئ يسألونها (الى يوم القيامة) يعنى لا تجيب أبدا ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعنى لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أى جاحدين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) أى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) أى لا تقدرون أن تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف أفترى على الله من أجلكم (هو أعلم) أى الله أعلم (بما تفيضون فيه) أى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى و بينكم) أى ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به * قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أى بديعا (من الرسل) أى لست باول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوّتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأنزل و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به و بهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من الانصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى

قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهرى عن خارجة بن زيد قال كانت أم العلاء الانصارية تقول لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فى السكنى فمرض فمرضناه ثم توفى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك ان الله قد أكرمه فقلت لا والله لا أدرى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وانى لارجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم قالت فوالله لا أزكى بعده أحدا أبدا قالت ثم رأيت لعثمان بعد فى النوم عينا تجرى فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذاك عمله وقال جماعة قوله ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وأن من كذبه فهو فى النار ثم اختلفوا فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

(أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين إن كان ما تقولون حقا لنفضلن علينا في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (سواء محياهم) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب سواء بالنصب أي نجعلهم سواء يعني أحسبوا ان حياة الكافرين (ومماتهم) كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع الى المؤمنين والكافرين جميعا معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته في الدنيا والآخرة (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يردد ها يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس والحسن وقتادة

والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن علينا في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل (ساء ما يحكمون) أي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات * قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيأ أحسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) أي علما منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل أن يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) يعني ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعني منكري البعث (ما هي الا حياتنا الدنيا) يعني ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) يعني يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت (وما يهلكنا الا الدهر) يعني وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار (وما لهم بذلك من علم) يعني لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون) (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن آدم ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر

معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقال الآخرون معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه قال سعيد ابن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيأ أحسن من الاول رموه وكسروه وعبدوا الآخر قال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوى بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل أن يخلقه (وختم) طبع (على سمعه) فلم يسمع الهدى (وقلبه) فلم يعقل الهدى (وجعل على بصره غشاوة) قرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين والباقون غشاوة ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أي فمن يهديه بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) فاذا وقالوا) يعني منكري البعث (ما هي الا حياتنا الدنيا) أي ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أي يموت الآباء ويحيا الابناء وقال الزجاج يعني نحن نموت ونحيا فالواو للاجتماع (وما يهلكنا الا الدهر) أي وما يفنينا الا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار (وما لهم بذلك) أي الذي قالوه (من علم) أي لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون) أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أرسل الليل والنهار

فاذا شئت قبضتهما أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري ثنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا اسحق ابن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب أحدكم الدهر فان الله هو الدهر ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث أن العرب كان من شأنهم ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم وما يهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها وكان مرجع سبهم الى الله عزوجل اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر فنهوا عن سب الدهر (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أي ليوم القيامة (لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعني الكافرين الذين هم أصحاب الاباطيل يظهر في ذلك (١٢٩) اليوم خسرانهم بأن يصيروا الى النار (وترى كل أمة جاثية) باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ابراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك الا نفسي (كل أمة تدعى الى كتابها) الذي فيه أعمالها وقرأ يعقوب كل أمة نصب ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم ببيان شاف فكأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أي بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب وقال الضحاك نستنسخ أي نثبت وقال السدي نكتب وقال الحسن نحفظ (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين) الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) متكبرين كافرين (واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها) قرأ حمزة والساعة نصب عطفها على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء (قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا) أي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) انها كائنة (وبدا لهم) في الآخرة (سيئات ما عملوا) أي جزاؤها

قاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عزوجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم * قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعني في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا أسألك الا نفسي (كل أمة تدعى الى كتابها) أي الذي فيه أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي من خير وشر (هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة * فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم أولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا * قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) أي يشهد عليكم ببيان شاف كأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي جنته (ذلك هو الفوز المبين) أي الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) أي يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني آيات القرآن (فاستكبرتم) أي عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعني كافرين منكرين * قوله عزوجل (واذا قيل ان وعد الله حق) أي البعث كائن (والساعة لا ريب فيها) أي لا شك في انها كائنة (قلتم ما ندري ما الساعة) أي أنكرتموها وقلتم (ان نظن الا ظنا) أي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) أي انها كائنة (وبدا لهم) أي في الآخرة (سيئات ما عملوا)

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم) نترككم في النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (وماواكم النار ومالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء) العظمة (في السموات

والارض وهو العزيز الحكيم) أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي ثنا أحمد بن حفص وعبد الله بن محمد القراء وقطن بن ابراهيم قالوا أنا حفص بن عبد الله حدثني ابراهيم بن طهمان عن عطاء ابن السائب عن الاغر أبي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما أدخلته النار

﴿ سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي تنتهي اليه السموات والارض وهو اشارة الى فنائهما (والذين كفروا عما أنذروا) خوفوا به في القرآن من البعث والحساب (معرضون

أي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيآتهم (وحاق بهم) أي نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (وماواكم النار ومالكم من ناصرين) أي مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) أي هذا الجزاء (بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) أي من النار (ولا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) أي وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (في السموات والارض) وحق لمثله أن يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء ردائه قال الله تعالى فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقاني وأبو مسعود رضي الله عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيأ منهما عذبته ولابي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار

﴿ شرح غريب ألفاظ الحديث ﴾

قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له في انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشاركه فيهما أحد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق لغيره والله أعلم

﴿ تفسير سورة الاحقاف مكية ﴾

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي بالعدل (وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) أي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب (معرضون) أي لا يؤمنون به (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) أي بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء

وقيل

قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) قال الكلبي أي بقية من علم يؤثر عن الاولين أي يسند اليهم قال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء وقال قتادة خاصة من علم وأصل الكلمة من الاثر وهو الرواية يقال أثرت الحديث أثرا واثارة ومنه قيل للخبر أثر

(ان كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له) يعنى الاصنام لا تجيب عابديها الى شئ يسألونها (الى يوم القيامة) يعنى أبدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانها جماد لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) جاحدين بيانه قوله تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) يسمون القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) محمد من قبل نفسه فقال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) لا تقدرون أن تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف أفترى على الله من أجلكم (هو أعلم) الله أعلم (بما تفيضون فيه) تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى و بينكم) ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) فى تأخير العذاب عنكم قال الزجاج هذا دعاء لهم الى التوبة معناه ان الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى بديعا مثل نصف ونصيف وجمع البدع أبداع أى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوّتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقال بعضهم معناه ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون فقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فأنزل الله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيأ لك يا نبى الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية وأنزل و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله تعالى ما يفعل به و بهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهرى عن خارجة بن زيد قال كانت أم العلاء الانصارية تقول لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فى السكنى فمرض فمرضناه ثم توفى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك ان الله قد أكرمه فقلت لا والله لا أدرى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وانى لارجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم قالت فوالله لا أزكى بعده أحدا أبدا قالت ثم رأيت لعثمان بعد فى النوم عينا تجرى فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك عمله وقال جماعة قوله ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وأن من كذبه فهو فى النار ثم اختلفوا فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الارض (ان كنتم صادقين) أى فى ان لله شريكا (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له) يعنى الاصنام لا تجيب عابديها الى شئ يسألونها (الى يوم القيامة) يعنى لا تجيب أبدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعنى لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أى جاحدين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) أى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) أى لا تقدرون أن تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف أفترى على الله من أجلكم (هو أعلم) أى الله أعلم (بما تفيضون فيه) أى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى و بينكم) أى ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به * قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أى بديعا (من الرسل) أى لست باول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوّتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأنزل و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به و بهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من الانصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى

يرى النائم وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التى أريت فسكت فأنزل الله تعالى هذه الآية وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك فى مكانى أم أخرج أنا وأنتم الى الارض التى رفعت لى وقال بعضهم وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم الى ماذا يصير عاقبة أمرى وأمركم فى الدنيا بأن أقيم معكم فى مكانكم أم اخرج كما خرجت الانبياء من قبلى أم أقتل كما قتل الانبياء من قبلى وأنتم أيها المصدقون لا أدرى تخرجون معى أم تتركون أم ماذا يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أى شئ يفعل بكم كما فعل بالامم المكذبة ثم أخبر الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان فقال هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال فى أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأخبر الله ما يصنع به و بأمته هذا قول السدى (ان أتبع الا ما يوحى الىّ) أى ما أتبع الا القرآن ولا أبتدع من عندى شيأ (وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم) معناه اخبرونى ماذا تقولون (ان كان) يعنى القرآن (من عند الله وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) المثل صلة يعنى عليه أى على انه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب قوله ان كان من عند الله محذوف على تقدير أليس قد ظلمتم يدل على هذا المحذوف قوله (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) وقال الحسن جوابه فمن أضل منكم كما قال فى سورة السجدة واختلفوا فى هذا الشاهد قال قتادة والضحاك هو عبد الله بن سلام شهد على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وآمن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر ثنا حميد عن أنس قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أرض يخترف فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى فما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه قال أخبرنى بهن جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى من قبل أن تسألهم يبهتونى فجاءت اليهود فقال لهم أى رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه

ولا أبتدع من عندى شيأ (وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم) معناه اخبرونى ماذا تقولون (ان كان) يعنى القرآن (من عند الله وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) المثل صلة يعنى عليه أى على انه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب قوله ان كان من عند الله محذوف على تقدير أليس قد ظلمتم يدل على هذا المحذوف قوله (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) وقال الحسن جوابه فمن أضل منكم كما قال فى سورة السجدة واختلفوا فى هذا الشاهد قال قتادة والضحاك هو عبد الله بن سلام شهد على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وآمن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر ثنا حميد عن أنس قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أرض يخترف فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى فما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه قال أخبرنى بهن جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى من قبل أن تسألهم يبهتونى فجاءت اليهود فقال لهم أى رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه

اى

قال هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن يوسف قال سمعت مالكا يحدث عن أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على وجه الارض انه من أهل الجنة لا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال لا أدرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقال الآخرون الشاهد هو موسى بن عمران وقال الشعبى قال مسروق فى هذه الآية والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت هذه الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد صلى الله عليه وسلم على القرآن وكل واحد يصدق الآخر وقيل هو نبى من بنى اسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا (وقال الذين كفروا) من اليهود (للذين آمنوا لو كان) دين محمد صلى الله عليه وسلم (خيرا ما سبقونا اليه) يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه وقال قتادة نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقال الكلبى الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم قال الله تعالى (واذ لم يهتدوا به) يعنى بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين (ومن قبله) أى ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما) يقتدى به (ورحمة) من الله لمن آمن

أى شئ ينزع الولد الى أبيه ومن أى شئ ينزع الى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن آنفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبد الله بن سلام هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله أخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال الراوى لا ادرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أيتها معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين * قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم قال الله تعالى (واذ لم يهتدوا به) يعنى بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) يعنى كذب متقدم (ومن قبله) يعنى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما) يعنى جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) يعنى من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) يعنى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله

به ونصبا على الحال عن الكسائى وقال أبو عبيدة فيه اضمار أى جعلناه اماما ورحمة وفى الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ولم يهتدوا به كما قال فى الآية الاولى واذ لم يهتدوا به (وهذا كتاب مصدق) أى القرآن مصدق للكتب التى قبله (لسانا عربيا) نصب على الحال وقيل بلسان عربى (لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب لتنذر بالتاء على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ الآخرون بالياء يعنى الكتاب (وبشرى للمحسنين) وبشرى فى محل الرفع أى هذا كتاب مصدق وبشرى (ان الذين قالوا ربنا الله

ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ أهل الكوفة احسانا كقوله تعالى وبالوالدين احسانا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) بريد شدة الطلق قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو كرها بفتح الكاف فيهما وقرأ الآخرون بضمهما (وحمله وفصاله) فطامه وقرأ يعقوب وفصله بغير ألف (ثلاثون شهرا) يريد أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ أشده) نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى أربعين سنة فذلك قوله (و بلغ أربعين سنة) وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن أبي وقاص وقد مضت القصة وقال الآخرون نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وقال علي بن أبي طالب الآية نزلت في أبي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وكان أبو بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها وقضى أبو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبي آخر الزمان فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب اوزعني) أي ألهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي) اي بالايمان والهداية وقال علي بن ابي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان اسلم ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وان اعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس اجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (واصلح لي في ذريتي) فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابي عتيق محمد فهؤلاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر وقوله (اني تبت اليك) اي رجعت اليك الى كل ما تحب (واني من المسلمين) اي واسلمت بقلبي ولساني (اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (و يتجاوز عن سيئاتهم) فلا يؤاخذهم بها (في اصحاب الجنة) اي مع اصحاب الجنة

ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره * قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (حملته امه كرها) يعني حين أثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) بريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعني ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فأقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعه وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر أرضعت أحدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى (و بلغ اربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وذلك انه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبي آخر الزمان فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة اكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به ابو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب اوزعني) اي ألهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي) اي بالايمان والهداية وقال علي بن ابي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان اسلم ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وان اعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس اجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (واصلح لي في ذريتي) فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابي عتيق محمد فهؤلاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر وقوله (اني تبت اليك) اي رجعت اليك الى كل ما تحب (واني من المسلمين) اي واسلمت بقلبي ولساني (اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (و يتجاوز عن سيئاتهم) فلا يؤاخذهم بها (في اصحاب الجنة) اي مع اصحاب الجنة

وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) قوله عز وجل (والذي قال لوالديه أف لكما) قرأ نافع وابن عامر أف بكسر الفاء وقرأ الآخرون بالضم وهما لغتان (أتعدانني أن أخرج) من القبر (وقد خلت القرون من قبلي) فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يقولان له ويحك آمن (ويلك آمن) بالبعث (ان وعد الله حق) أن ما وعد الله من البعث كائن (فيقول ما هذا) الذي تدعوني اليه (الا أساطير الأولين) أكاذيبهم وأحاديثهم التي سطروها (أولئك الذين حق عليهم القول) وجب عليهم العذاب (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) قوله عز وجل (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل من المطيعين والعاصين منازل ومراتب من الثواب والعقاب (وليوفيهم أعمالهم) قرأ ابن عامر وحفص وليوفيهم بالنون وقرأ الآخرون بالياء (وهم لا يظلمون) لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) قال ابن عباس يقول أنفقتم حسناتكم في الدنيا ولم يكن لكم حسنات يوم القيامة (واستمتعتم بها) تلذذتم بها (فاليوم تجزون عذاب الهون) الهوان (بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) قوله عز وجل (واذكر أخا عاد) يعني هودا (اذ أنذر قومه بالأحقاف) واحدها حقف وهو الرمل المستطيل المرتفع من الكثيب العظيم وكانت منازل عاد باليمن بواد يقال له مهرة (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي قبله وبعده (ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) قوله عز وجل (قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) لتصرفنا عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) قوله عز وجل (قال انما العلم عند الله) أي علم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون) قوله عز وجل (فلما رأوه عارضا) سحابا (مستقبل أوديتهم) جمع واد (قالوا هذا عارض ممطرنا) أي سحاب يأتينا بالمطر (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح فيها عذاب أليم) وجيع (تدمر كل شيء بأمر ربها) أي تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد وأموالهم (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) أي فجاءتهم فدمرتهم فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم فحذف الفعل (كذلك نجزي القوم المجرمين) قوله عز وجل (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) قرأ أهل الكوفة بالياء لقوله تعالى فيما وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى ان مكناكم (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء) أي من الغناء (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم) نزل بهم (ما كانوا به يستهزئون) قوله عز وجل (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعني حجر ثمود ومدين وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) بينا الحجج (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة يتقربون بها الى الله (بل ضلوا عنهم) غابوا عنهم فلم ينصروهم (وذلك افكهم) كذبهم (وما كانوا يفترون) قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) قال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين وكانوا يهودا (يستمعون القرآن) يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم (فلما حضروه) أي حضروا قراءته (قالوا أنصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا (فلما قضي) فرغ من قراءته (ولوا الى قومهم منذرين) مخوفين (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا) يعني القرآن (أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه) من التوراة (يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) قوله عز وجل (يا قومنا أجيبوا داعي الله) محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) قال الزجاج من للتبعيض لان الاسلام يغفر جميع الذنوب (ويجركم من عذاب أليم) قوله عز وجل (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) أي لا يفوت الله هربا (وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) قوله عز وجل (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن) قرأ أهل الكوفة يعي بكسر العين وقرأ الآخرون بفتحها (بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق) يقال لهم (قالوا بلى وربنا) أي هو حق (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قوله عز وجل (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) قال ابن عباس هم نوح وهود وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم أصحاب الشرائع وأولو العزم من الرسل وقال قتادة هم ستة هود ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقال الضحاك هم ثمانية هؤلاء الستة وأيوب ويونس وقال مقاتل هم تسعة هؤلاء الثمانية وهود وقال كعب هم اثنا عشر هؤلاء التسعة وشعيب وقال وهب هم أربعة عشر هؤلاء الاثنا عشر وآدم ويوسف وقال عطاء هم عشرون هؤلاء الاربعة عشر وداود وسليمان وأيوب وزكريا ويحيى وادريس وهود وصالح وشعيب وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وصبروا على مشاقه وقال الحسن هم الذين صبروا على الشدة والرخاء وقال سفيان بن عيينة هم الذين أمروا بقتال من خالفهم فصبروا على ذلك وقال الربيع بن أنس هم الذين أخذ الله ميثاقهم على الوفاء والصبر والتبليغ وقال الحسين بن الفضل هم الذين أمروا بالقتال في وقت دون وقت وكل الرسل أمروا بالقتال (ولا تستعجل لهم) أي لقومك بالعذاب (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أي كأنهم في قلة لبثهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار (بلاغ) أي هذا القرآن بلاغ أو هذا الذي وعظناكم به بلاغ (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) قرأ أهل المدينة والشام يهلك بفتح الياء وكسر اللام القوم بالرفع وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح اللام القوم بالنصب

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مدنية وهي ثمان وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي منعوا الناس عن دين الله (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) حالهم (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) قوله عز وجل (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أي فاضربوا الرقاب ضربا (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم القتل فيهم (فشدوا الوثاق) أي فأسروهم واشدوا الوثاق (فاما منا بعد واما فداء) أي فامنوا منا بعد أسرهم منا بعد واما فداء (حتى تضع الحرب أوزارها) أي آثامها وقيل سلاحها وقيل أثقالها (ذلك) أي الأمر ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) من الكفار بغير قتال (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) ليختبر بعضكم ببعض (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) قرأ أهل المدينة قتلوا بضم القاف وقرأ الآخرون بفتحها (سيهديهم) الى الجنة (ويصلح بالهم) حالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) قال ابن عباس طيبها لهم وقال مجاهد بينها لهم وقال مقاتل بن حيان وصفها لهم وقال الكلبي شرفها لهم وقال القتيبي جعلها لهم معرفة يعرفونها اذا دخلوها فيعرف كل واحد منهم منزله وقال الحسن بن الفضل عرفهم أنفسهم حتى لا يستدل أحد منهم على أحد (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) قوله عز وجل (والذين كفروا فتعسا لهم) أي فشقاء لهم وقيل فخزيا لهم وقيل فهلاكا لهم (وأضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) قوله عز وجل (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) أي أمثال عاقبتهم (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) قوله عز وجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) قوله عز وجل (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) يعني مكة (أهلكناهم فلا ناصر لهم) قوله عز وجل (أفمن كان على بينة من ربه) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) يعني أبا جهل (واتبعوا أهواءهم) قوله عز وجل (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن) غير متغير الطعم والريح (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يخرج من ضروع الماشية (وأنهار من خمر لذة للشاربين) قال ابن عباس لا تصدع شاربها ولا تنزف ولا تذهب عقولهم (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل (ولهم فيها من كل الثمرات) أي أصناف الثمار (ومغفرة من ربهم) أي هذا كله مع مغفرة من ربهم (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) حارا (فقطع أمعاءهم) قوله عز وجل (ومنهم من يستمع اليك) يعني المنافقين (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) يعني الصحابة (ماذا قال آنفا) أي الساعة (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) قوله عز وجل (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) قال ابن عباس زادهم بصيرة وقال مقاتل زادهم ايمانا وقال الكلبي زادهم هدى بالناسخ والمنسوخ (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها) أي علاماتها وقيل أسبابها (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قوله عز وجل (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) قال ابن عباس يعني لمن صدق منهم ومن مات على الكفر فلا يدخل في هذا (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قوله عز وجل (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أي هلا نزلت سورة تأمرنا بالجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة) ليس فيها منسوخ ولا متشابه (وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) أي نظر من يغشى عليه من شدة ما يرى من الخوف (فأولى لهم) قال ابن عباس وعيد لهم (طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر) أي جد الأمر وقيل وجب الأمر (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) قوله عز وجل (فهل عسيتم) قرأ أهل المدينة والشام بكسر السين وقرأ الآخرون بفتحها (ان توليتم) أعرضتم عن الايمان (أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) قوله عز وجل (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) عن الهدى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) قوله عز وجل (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم) قرأ أهل المدينة والشام بفتح الياء أي أملى الله لهم وقرأ الآخرون بضمها أي أمهلهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر) قال ابن عباس يعني المشركين وقال مقاتل يعني اليهود وقال الكلبي يعني المنافقين (والله يعلم اسرارهم) قوله عز وجل (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) قوله عز وجل (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) قوله عز وجل (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) أحقادهم وعداوتهم للمؤمنين (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم (ولتعرفنهم في لحن القول) قال ابن عباس في فحوى كلامهم ومعناه وقال مقاتل في آخر كلامهم وقال الكلبي في بغضهم علي بن أبي طالب وقال أبو العالية في لحن القول أي في شدة خصومتهم في الدين وقال الزجاج في لحن القول أي في ذمهم المؤمنين (والله يعلم أعمالكم) قوله عز وجل (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) قوله عز وجل (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) قوله عز وجل (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قوله عز وجل (فلا تهنوا) أي لا تضعفوا عن القتال (وتدعوا الى السلم) الصلح (وأنتم الأعلون) أي الغالبون (والله معكم ولن يتركم أعمالكم) قال ابن عباس لن ينقصكم أجور أعمالكم وقال مقاتل لن يظلمكم ثواب أعمالكم وقال الكلبي لن يضيع أعمالكم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) قوله عز وجل (ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) قوله عز وجل (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)

سورة الفتح

مدنية وهي تسع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) قال ابن عباس يعني عام الحديبية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة فصده المشركون عن البيت فنحر هديه بالحديبية وصالح المشركين على أن يرجع عامه ذلك ثم يخلون بينه وبين البيت من العام المقبل فيقيم بمكة ثلاثة أيام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف في القراب والقوس في العلاف ولا يخرج من أحد من أهلها ولا يمنع أحدا ممن جاء معه المقام بمكة ثلاثة أيام فرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلما كان في بعض الطريق نزلت عليه سورة الفتح فقال عمر أفتح هو يا رسول الله قال نعم فطابت نفسه ورجع وقال مجاهد وقتادة والضحاك وأكثر المفسرين فتحا مبينا أي قضاء بينا وقال الزجاج أعلمناك علما بينا وقال الكلبي بينا لك بينا وقال ابن كيسان حكمنا لك حكما بينا (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قال ابن عباس ما تقدم قبل الفتح وما تأخر منه وقال الكلبي ما تقدم قبل الفتح وما تأخر منه وقال الكلبي ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء وما تأخر من ذنب أمتك وقال الحسين بن الفضل ما تقدم من ذنب الجاهلية وما تأخر من ذنب المعصومة وقال عمرو بن بكر ما تقدم من ذنب خطيئة مارية وما تأخر من ذنب زينب وقال سهل بن عبد الله ما تقدم من ذنب أبي طالب وما تأخر من ذنب المنافقين وقال أبو بكر الوراق ما تقدم من ذنب القلب وما تأخر من ذنب النفس وقال أبو بكر بن طاهر ما تقدم من ذنب الخلق وما تأخر من ذنب الخلق بشفاعتك فيهم (ويتم نعمته عليك) بالنبوة والهداية في الدنيا وبالشفاعة في الآخرة (ويهديك صراطا مستقيما) قوله عز وجل (وينصرك الله نصرا عزيزا) قوله عز وجل (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) قال ابن عباس يعني الرضا والتسليم لأمر الله وقال الكلبي الوقار والحلم وقال مقاتل الثبات والصبر (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) قال ابن عباس يعني ليزدادوا تصديقا بشرائع الدين مع تصديقهم بالله وقال الكلبي ليزدادوا يقينا بالفرائض مع يقينهم بالله وقال مقاتل ليزدادوا ايمانا بالصلاة والزكاة والصيام والحج مع ايمانهم بالله (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) قوله عز وجل (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) قوله عز وجل (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما) قوله عز وجل (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك بالبلاغ (ومبشرا) بالجنة لمن أطاعك (ونذيرا) بالنار لمن عصاك (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) قرأ أهل المدينة والشام بالتاء وقرأ الآخرون بالياء أي تعزروا الله ورسوله (وتوقروه) أي تعظموه (وتسبحوه) أي تصلوا له (بكرة وأصيلا) قوله عز وجل (ان الذين يبايعونك) يعني بالحديبية (انما يبايعون الله) أي بيعتهم لله (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس قوة الله في أيديهم في الوفاء ببيعتهم وقال الكلبي ثواب الله فوق أيديهم (فمن نكث) نقض البيعة (فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) قوله عز وجل (سيقول لك المخلفون من الأعراب) يعني جهينة ومزينة وأشجع وغفار وأسلم وكانوا حول المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) عن الخروج معك (فاستغفر لنا) قال الله تعالى (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) لأنهم لا يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم يرجع من سفره ذلك (قل فمن يملك لكم من الله شيئا) أي من يمنعكم من قضاء الله (ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا) أي هزيمة وظفرا (بل كان الله بما تعملون خبيرا) قوله عز وجل (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) قوله عز وجل (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) قوله عز وجل (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) قوله عز وجل (سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم) قرأ أهل المدينة والشام كلام الله بكسر اللام وقرأ الآخرون بفتحها (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وعده لأهل الحديبية أن مغانم خيبر لهم خاصة (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) أي قبل رجوعنا الى المدينة (فسيقولون بل تحسدوننا) أن نصيب معكم من المغنم (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) قوله عز وجل (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) قال ابن عباس يعني هوازن وقال الحسن هم فارس وقال قتادة هم الروم وقال الكلبي هم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وقال عكرمة هم هوازن وثقيف يوم حنين وقال الزهري هم غطفان يوم خيبر (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) قوله عز وجل (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) في التخلف عن الجهاد (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) قوله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) قال ابن عباس هي شجرة سمرة وكانت بالحديبية على طريق الذاهب الى مكة على رأس أربعة عشر ميلا من المدينة وقال نافع كانت سمرة وقال طارق بن عبد الرحمن رأيتها حمراء وقال سعيد بن المسيب كانت خضراء وقال عطاء لما أعميت الشجرة على الناس (فعلم ما في قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة عليهم) قال ابن عباس يعني الصبر والرضا (وأثابهم فتحا قريبا) قال ابن عباس يعني فتح خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما) قوله عز وجل (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه) يعني مغانم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) يعني أسد وغطفان حين جاءوا لنصرة اليهود (ولتكون آية للمؤمنين) أي علامة لهم على صدق وعد الله في فتح خيبر (ويهديكم صراطا مستقيما) قوله عز وجل (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) قال ابن عباس يعني فارس والروم وقال مجاهد هي مكة وقال الحسن هي هوازن يوم حنين (وكان الله على كل شيء قديرا) قوله عز وجل (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) قوله عز وجل (سنة الله التي قد خلت من قبل) أي هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) قال ابن عباس يعني يوم الفتح (وكان الله بما تعملون بصيرا) قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله) قال ابن عباس محبوسا وقال الكلبي مجموعا (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) قال ابن عباس يعني لولا كراهة أن تقتلوا بمكة رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلمونهم بأعيانهم فتطئوهم بالقتل فتصيبكم منهم معرة بغير علم لأذن لكم في القتال حتى تبلغ الهدي محله ولكن كف عنكم لأجل المؤمنين والمؤمنات (ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا) تميز المؤمنين من الكافرين (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) قوله عز وجل (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) قال ابن عباس يعني الأنفة من الاقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله وقال الكلبي الحمية الغضب (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس يعني لا اله الا الله وقال مجاهد بسم الله الرحمن الرحيم وقال الكلبي هي قول المؤمنين نعم (وكانوا أحق بها وأهلها) قال ابن عباس يعني أحق بالوفاء بها من غيرهم (وكان الله بكل شيء عليما) قوله عز وجل (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) قال ابن عباس يعني رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قبل أن يخرج الى الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون فلما خرج الى الحديبية ظن أن رؤياه تتم في سفرته تلك فلما صد عن البيت وانصرف ولم يدخل مكة شق ذلك على المؤمنين فأنزل الله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) قال ابن عباس يعني عام القضية وقال الكلبي لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين من عدوكم (فعلم ما لم تعلموا) من الخير في صرفكم عن مكة عامكم ذلك (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) قال ابن عباس يعني فتح خيبر وقال الكلبي فتح الحديبية (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) قوله عز وجل (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما)

سورة الحجرات

مدنية وهي ثمان عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قال ابن عباس لا تقولوا خلاف ما قال الله ورسوله وقال مجاهد لا تفتاتوا على الله ورسوله بشيء حتى يقضي على لسان رسوله وقال قتادة لا تقولوا حتى يقول ولا تأمروا حتى يأمر ولا تقطعوا أمرا حتى يكون هو الذي يأمر فيه (واتقوا الله ان الله سميع عليم) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) قوله عز وجل (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) قال ابن عباس اختبر وقال الكلبي أخلص وقال مقاتل أصلح (لهم مغفرة وأجر عظيم) قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس كان رجال من بني تميم يأتون النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفر أو غزو فينادونه من وراء حجره يا محمد اخرج الينا يا محمد اخرج الينا (أكثرهم لا يعقلون) قوله عز وجل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) قرأ أهل الكوفة فتثبتوا وقرأ الآخرون فتبينوا (أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) قوله عز وجل (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم

(وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) وهو قوله عز وجل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار (والذى قال لوالديه) اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث (أف لكما) وهى كلمة كراهية (أتعدانني أن أخرج) من قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يبعث منهم احد (وهما يستغيثان الله) يستصرخان و يستغيثان الله عليه و يقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ماهذا) ماهذا الذى تدعوانى اليه (الا أساطير الاولين) قال ابن عباس والسدى ومجاهد نزلت فى عبد الله وقيل فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى و يقول أحيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة رضى الله عنها أن يكون هذا فى عبد الرحمن بن أبى بكر والصحيح انها نزلت فى كافر عاق لوالديه قاله الحسن وقتادة وقال الزجاج قول من قال

الجنة (وعد الصدق) يعنى الذى وعدهم بأن يتقبل حسناتهم و يتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بأن يدخلهم الجنة (الذى كانوا يوعدون) يعنى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت (أف لكما) وهى كلمة كراهية (أتعدانني أن أخرج) يعنى من قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلى) يعنى فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يعنى يستصرخان بالله عليه و يقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق) يعنى بالبعث (فيقول ماهذا) يعنى الذى تدعونى اليه (الا أساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى و يقول أحيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا فى عبد الرحمن بن ابى بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذى أنزل الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيأ من القرآن الا ما انزل الله فى سورة النور من براءتى والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وأنكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) أعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اى وجب عليهم العذاب (فى امم) اى مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى اسفل (وليوفيهم اعمالهم) يعنى جزاء اعمالهم (وهم لا يظلمون) * قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعنى يجاء بهم فيكشف لهم عنها و يقال لهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه فى الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) اى الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق و بما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثانى الفسق وهو المعاصى والاول من عمل القلوب والثانى من عمل الجوارح

انها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه يبطله قوله (أولئك الذين حق عليهم القول) الآية أعلم الله تعالى ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول وجب عليهم العذاب (فى أمم) مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة قال مقاتل ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم وقيل ولكل يعنى ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قال ابن زيد فى هذه الآية

درج أهل النار تذهب سفلا ودرج أهل الجنة تذهب علوا (وليوفيهم) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم بالياء وقرأ الباقون بالنون (أعمالهم) ليكتمل لهم ثواب أعمالهم (وهم لا يظلمون و يوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) قرأ ابن كثير وابن عامر وابو جعفر و يعقوب أأذهبتم بالاستفهام و يهمز ابن عامر همزتين والآخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان لان العرب تستفهم بالتوبيخ وتترك الاستفهام فتقول أذهبت ففعلت كذا وذهبت ففعلت كذا (واستمتعتم بها) يقول أذهبتم طيباتكم يعنى اللذات وتمتعتم بها (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى العذاب الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (فى الارض بغير الحق و بما كنتم تفسقون) فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات فى الدنيا آثر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة وروينا

عن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على امتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم على بن أحمد الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الاسود بن يزيد عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ما أشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسمعيل بن محمد بن الصفار ثنا أحمد بن المنصور الرمادى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لقد كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ومالنا الا الماء والتمر غير ان جزى الله نساء من الانصار خيرا كن ربما أهدين لنا شيأ من اللبن أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم الخزاعى أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا عبد الله بن معاوية الجمحى ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير أخبرنا عبد الله ابن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم الخزاعى أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا روح بن أسلم ثنا أبو حاتم البصرى ثنا حماد بن سلمة أنا ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلعم لقد اخفت فى الله وما يخاف احد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شئ من التمر يواريه ابط بلال أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل (واذكر ثنا يوسف بن عيسى ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة انه قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله ابن أبى توبة الكشميهنى ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن شعبة بن الحجاج عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم ان عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال وقتل حمزة وهو خير منى ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت شيأ يا جابر اشتريت أما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا

﴿فصل﴾ لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افى شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يا رسول الله (ق) عن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نؤتى باللحيم وفى رواية اخرى قالت انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة فى شهرين وما اوقد فى ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه الترمذى وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت فى الله ما لم يخف احد وأوذيت فى الله ما لم يؤذ أحد ولقد اتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام الا شئ يوارى ابط بلال (خ) عن ابى هريرة قال لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا فى اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف اتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال واراه قال قتل حمزة وهو خير منى فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا * قوله تعالى

قوله عز وجل (واذكر أخا عاد) يعني هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليها تنسب الابل المهرية وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهي المستطيل المعوج من الرمال قال ابن زيد هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا قال الكسائي هي ما استدار من الرمال (وقد خلت النذر) مضت الرسل (من بين يديه) أي من قبل هود (ومن خلفه) الى قومهم (ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال) هود (انما العلم عند الله) وهو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) من الوحي اليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه) يعني

(واذكر أخا عاد) يعني هودا عليه السلام (اذ أنذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) أي مضت الرسل (من بين يديه) أي من قبل هود (ومن خلفه) أي من بعده (ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أي لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عبادتها (فأتنا بما تعدنا) أي من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني أن العذاب نازل بنا (قال) يعني هودا (انما العلم عند الله) يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) يعني من الوحي الذي أنزله الله علي وأمرني بتبليغه اليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون) يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم (فلما رأوه) يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعني رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله رادا عليهم (بل هو ما استعجلتم به) يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شيء بأمر ربها) يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وأمر الله الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة. وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فأهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا رأى غيما عرف

ما يوعدون به من العذاب (عارضا) سحابا يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادهم يقال له المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر فلما رأوها استبشروا (قالوا هذا عارض ممطرنا) يقول الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة (تدمر كل شيء) مرت به من رجال عاد وأموالها (بأمر ربها) فأول ما عرفوا انها عذاب رأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال وكانوا تحت الرمل

سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر

أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي انا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني انا ابو عوانة يعقوب بن اسحق الحافظ انا يونس انا ابن وهب انا عمرو بن الحارث انا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة انها قالت ما رأيت رسول الله صلعم مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه بياض لهواته وكان اذا رأى غيما او ريحا عرف ذلك في وجهه فقلت يا رسول الله ان الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر واذا رأيته عرف في وجهك الكراهية فقال يا عائشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا الآية اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي انا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني انا ابو عوانة ثنا يوسف هو ابن مسلم ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء قال قالت عائشة كان النبي صلعم اذا رأى مخيلة تغير وجهه وتلون ودخل وخرج واقبل وادبر فاذا امطرت السماء سري عنه قالت وذكرت له الذي رأيت قال وما يدريك لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية

فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم) قرا عاصم وحمزة ويعقوب يرى بضم الياء مساكنهم برفع النون يعنى لا يرى شئ الا مساكنهم وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها مساكنهم نصب يعنى لا ترى أنت يا محمد الا مساكنهم لان السكان والانعام بادت بالريح فلم يبق الا هود ومن آمن معه (كذلك نجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) يعنى فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة المال قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذى وان بمنزلة ما وتقديره ولقد مكناهم فى الذى ما مكناكم فيه (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وارض سدوم ونحوهما (وصرفنا الآيات) الحجج والبينات (لعلهم يرجعون) عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بخوف مشركى مكة (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى الاوثان التى اتخذوها آلهة يتقربون بها الى الله عز وجل والقربان كل ما يتقرب به الى الله عز وجل وجمعه قرابين كالرهبان والرهابين (بل ضلوا عنهم) قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب (وذلك افكهم) اى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله عز وجل وتشفع لهم (وما كانوا يفترون) يكذبون انها آلهة قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن

فى وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمننى أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما أدرى لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفى رواية أخرى قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقولها سرى عنه أى كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن * وقوله تعالى (فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم) قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (كذلك نجزى القوم المجرمين) نخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعنى مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعنى انا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم فى أمر الدين فما استعملوها الا فى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) يعنى انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيأ (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة يعنى أهلكنا قرى ديار ثمود وهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعنى وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر (فلولا) يعنى فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعنى يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم * قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الآية

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾ قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيزيد ذلك فى تجرئهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقى من سفهاء ثقيف وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جمح فقال لهما ما ذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الرحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى الى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت ياعداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابنى ربيعة أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى ما فى الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه الا نبى فقالا له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفى الآية قول آخر وسيأتى فى سورة الجن وهو حديث مخرج فى الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حمزة بلغنا انهم من بنى الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعنى فأطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه أحد غيرى قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم أمرنى أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى لا أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين فقرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى فقال لى نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم

يستمعون القرآن) الآية قال المفسرون لما مات أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده الى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه فروى محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث والله ما أكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف

وقال لهم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيثلهم عليه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف ولقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل ذلك عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت يا عداس وما دينك قال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال له وما يدريك ما يونس بن متى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في

رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى ففضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي أداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده وأجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ما صحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليكم وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم في صحيحه * وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان أولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم وعليهم عقاب (يستمعون القرآن

الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي فقال ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا فقص الله خبرهم عليه فقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شئ حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأنزل الله على نبيه قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن وانما أوحي اليه قول الجن وروى انهم لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه لتعرف الخبر وكان أول بعث بعثه ركبا من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حمزة اليماني بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف اليه نفرا من الجن من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فاطرقوا فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق الي وقال لي أنمت فقلت لا والله يا رسول الله ولقد هممت مرارا ان

(فلما حضروه) الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا أنصتوا)

استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم يا رسول الله رأيت رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة قال فقالوا يا رسول الله تقذرها الناس فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم قال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت قال فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور وقال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين رآهم فقال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الجن أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الاعلى ثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال فقال علقمة انا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم قال وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم ورواه مسلم عن علي بن حجر ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن داود بهذا الاسناد الى قوله وآثار نيرانهم قال الشعبي وسألوه الزاد وكانوا من جزيرة الى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلا من حديث عبد الله قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن اختلفوا في عدد ذلك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عاصم عن زر بن حبيش كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن (فلما حضروه قالوا أنصتوا) قالوا اسمه وروى في الحديث ان الجن ثلاثة اصناف صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون فلما حضروه قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا لنستمع الى قراءته فلا يحول بيننا

و بين الاستماع شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصهم (فلما قضى) فرغ من تلاوته (ولوا الى قومهم) انصرفوا اليهم (منذرين) مخوفين داعين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) قال عطاء كان دينهم اليهودية لذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى (ياقومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) من صلة أي ذنوبكم (ويجركم من عذاب أليم) قال ابن عباس رضي الله عنهما فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن

يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضى) أي فرغ من قراءته (ولوا) أي رجعوا (الى قومهم منذرين) يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا (لما بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة (ياقومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على انه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (وآمنوا به) * فان قلت قوله تعالى أجيبوا داعي الله أمر باجابته في كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين * قلت انما أعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على أصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا جرت عليهم أحكام الاسلام فمن أتى بذنب أخذ به ما لم يتب منه أو يبق تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الانجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة * وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعني أنصارا يمنعونه من الله (أولئك) يعني الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال مبين) قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر

وأمرهم ونهاهم وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس جميعا قال مقاتل لم يبعث قبله نبي الى الانس والجن جميعا واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الانجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وحكى سفيان عن ليث قال الجن ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا وهذا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال الآخرون يكون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى وقال جرير عن الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وذكر النقاش في تفسيره بحديث انهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تسبيحه وذكره فيصيبون من لذته على ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) أنصار يمنعونه من الله (أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) لم يعجز عن ابداعهن (بقادر) هكذا قراءة العامة واختلفوا في وجه دخول الباء فيه فقال أبو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتأكيد كقوله تنبت بالدهن ثم قال الكسائي والفراء العرب تدخل الباء في الاسم مع الجحد فتقول ما أظن لك بقائم وقرأ

يقدر بالياء على الفعل واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها فى قراءة عبد الله قادر بغير باء (على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال) أى فيقال لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) قال ابن عباس ذووا الحزم وقال الضحاك ذووا الجد والصبر واختلفوا فيهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وانما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز واردية من البز وقال بعضهم الانبياء كلهم أولوا عزم الا يونس بن متى لعجلة كانت منه الا ترى انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورين فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة قلت ذكرهم الله على التخصيص فى قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية أخبرنا أبو طاهر المطهر بن على بن عبيد الله الفارسى ثنا أبو ذر محمد بن ابراهيم سبط الصالحانى أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبى الشيخ الحافظ أنا عبد الرحمن بن أبى حاتم أنا محمد بن الحجاج أنا السرى بن حيان أنا عباد بن عباد ثنا مجالد بن سعيد عن الشعبى عن مسروق قال قالت عائشة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على مجهودها ولم يرض الا ان كلفنى ما كلفهم وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وانى والله لا بد لى من طاعته والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن كما جهدوا ولا قوة الا بالله قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) أى ولا تستعجل العذاب لهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر عن قرب العذاب فقال

على أن يحيى الموتى) يعنى ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شئ قدير) يعنى من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شئ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعنى هذا العذاب هو الذى وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قوله عز وجل (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء بأولى العزم من الرسل فى الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذووا الحزم وقال الضحاك ذووا الجد والصبر واختلفوا فى أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازى قال لان لفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولوا العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم أولوا العزم هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح فى قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين فى قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوى بسنده عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض الا أن كلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وانى والله لا بد لى من طاعته والله لا صبرن كما صبروا ولا جهدن ولا قوة الا بالله * قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) يعنى اصبر على اذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن أبى منهم فامره الله تعالى

بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) يعنى من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) يعنى فى الدنيا (الا ساعة من نهار) يعنى انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) اى هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب اذا نزل (الا القوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما فى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

﴿ تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية وهى ثمان وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) يعنى أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها لم تكن لله ولا بأمره انما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول فى الاسلام أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين (وآمنوا بما نزل على محمد) يعنى القرآن الذى أنزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ (كفر عنهم سيئاتهم) يعنى ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفرلهم بذلك ما كان منهم (وأصلح بالهم) يعنى حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم يعنى قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعنى ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعنى الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق

(كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا ساعة من نهار) أى اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا كأن لم يكن ثم قال (بلاغ) اى هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) بالعذاب اذا نزل (الا القوم الفاسقون) الخارجون من أمر الله قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما فى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية وهى ثمان وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) أبطلها فلم يقبلها واراد بالاعمال ما فعلوا من اطعام الطعام وصلة الارحام قال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد) قال سفيان الثورى يعنى لم يخالفوه فى شئ (وهو الحق من ربهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما الذين كفروا وصدوا مشركو مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات الانصار (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) حالهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عصمهم ايام حياتهم يعنى ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوا (ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن

من

(كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) اشكالهم قال الزجاج كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين واضلال اعمال الكافرين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) نصب على الاغراء أى فاضربوا رقابهم يعنى أعناقهم (حتى اذا أثخنتموهم) بالغتم فى القتل وقهرتموهم (فشدوا الوثاق) يعنى فى الاسر حتى لا يفلتوا منكم والاسر يكون بعد المبالغة فى القتل كما قال ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض (فامامنا بعد واما فداء) يعنى بعد أن تأسروهم فاما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم و بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدى وابن جريج وهو قول الاوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لا يجوز المن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون الى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا فى الاسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر و به قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل فى الاسارى فامامنا بعد واما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث ثنا سعيد بن أبى سعيد سمع أبا هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن اثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك يا ثمامة فقال عندى يا محمد خير ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد فقال له ما عندك يا ثمامة فقال عندى ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد فقال له ما عندك يا ثمامة فقال عندى ما قلت لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله يا محمد والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض الىّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الىّ والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الىّ والله ما كان من بلد أبغض الىّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها الىّ وان خيلك أخذتنى وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت فقال لا ولكنى أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى عن أيوب عن أبى قلابة عن ابى المهلب عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف

من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير فى أمثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو انه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس * قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعنى فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا ان المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان أشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء (حتى اذا أثخنتموهم) يعنى بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى اذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعنى فى الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أى يشد به (فامامنا بعد واما فداء) يعنى بعد الاسر اما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما أن تفادوهم فداء

﴿فصل فى حكم الآية﴾ اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم و بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج والية ذهب الاوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لا يجوز المن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق و يجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل و يسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة و يراد بالفداء أن يفادى بأسراهم اسرى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى أن الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال البالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو

قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) أى أثقالها وأحمالها يعنى حتى تضع أهل الحرب السلاح فيمسكوا عن الحرب وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة أوزارا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون كالشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية أنخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال وقال الكلبى حتى يسلموا أو يسالموا وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم (ذلك) الذى ذكرت وبينت من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب (والذين قتلوا فى سبيل الله) قرأ أهل البصرة وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء خفيف يعنى الشهداء وقرأ الآخرون قاتلوا بالالف من المقاتلة وهم المجاهدون (فلن يضل أعمالهم) قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) أيام حياتهم فى الدنيا الى أرشد الامور وفى الآخرة الى الدرجات العلى (ويصلح بالهم) يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى بين لهم منازلهم فى الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطؤن ولا يستدلون عليها أحدا كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته

يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل فى الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه فى سارية من سوارى المسجد فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندى ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها الى وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكنى أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخارى عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه الشافعى فى مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا * وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعنى أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعنى حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بان يسلموا ومعنى الآية انخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخله أهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال هكذا ذكره البغوى بغير سند قال الكلبى معناه حتى يسلموا أو يسالموا قال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم (ذلك) يعنى الذى ذكرو بين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعنى ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم (ولكن) يعنى ولكن أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) يعنى فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب (والذين قتلوا فى سبيل الله) يعنى الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون فى سبيل الله (فلن يضل أعمالهم) يعنى فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب أعمالهم التى عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعنى أيام حياتهم فى الدنيا الى أرشد الامور وفى الآخرة الى الدرجات العلى (ويصلح بالهم) ويرضى اعمالهم ويقبلها (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) بين لهم منازلهم فى الجنة حتى اهتدوا

وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله فى الدنيا هذا قول أكثر المفسرين وروى عطاء عن ابن عباس عرفها لهم أى طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت أقدامكم) عند القتال (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم قال الفراء هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء وقيل فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه (وأضل أعمالهم) يعنى أبطل أعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والاضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعنى فأبطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه اذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الآخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بأن) أى بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم وليهم ومتولى أمورهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) يعنى لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم * قوله تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله (أهلكناهم) ولم يقل أهلكنا هذا

الى مساكنهم لا يخطؤنها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله فى الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه (ينصركم) يعنى على عدوكم (ويثبت أقدامكم) يعنى عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس يعنى بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت أقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز أن يتوهم متوهم ان الكافر أيضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فأخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل أعمالهم) يعنى أبطل أعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والاضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعنى فأبطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه اذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الآخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بأن) أى بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم وليهم ومتولى أمورهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) يعنى لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم * قوله تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله (أهلكناهم) ولم يقل أهلكنا هذا

(فلا ناصر لهم) قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله الى الله وأحب بلاد الله الى ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فانزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يقين من دينه محمد والمؤمنون (كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم)

يعني عبادة الاوثان وهم أبو جهل والمشركون (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفتها (فيها أنهار من ماء غير أسن) آجن متغير منتن قرأ ابن كثير أسن بالقصر والآخرون بالمد وهما لغتان يقال أسن الماء يأسن اسنا وآسن ياسن وياسن وأجن ياجن وياجن اسونا واجونا اذا تغير (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة) لذيذة (للشاربين) لم تدنسها الارجل ولم تدنسها الايدي (وأنهار من عسل مصفى) أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعلي ابن مسهر عن عبد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار) أي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار (وسقوا ماء حميما) شديدا الحر تسعر عليه فخرجت جهنم منذ خلقت اذا أدنى منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة رؤسهم فاذا شربوه (فقطع أمعاءهم) فخرجت من أدبارهم والامعاء جميع ما في البطن من الحوايا واحدها مع

(فلا ناصر لهم) يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى الى الله وأحب بلاد الله الى ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فانزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين (واتبعوا أهواءهم) يعني في عبادة الاوثان * قوله عز وجل (مثل الجنة التي وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولا ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشبها به وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار (فيها) يعني الجنة التي وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعني غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعني كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي للجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فأما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر أذنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فأما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه * وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى أن مأكول أهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) * فان قلت المؤمن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة * قلت ليس بلازم أن يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه * قوله تعالى (كمن هو خالد في النار) يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميما) يعني شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا دنا منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم (فاذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعني

(ومنهم) يعنى من هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا (حتى اذا خرجوا من عندك) يعني فاذا خرجوا من عندك (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة (ماذا قال) محمد (آنفا) يعنى الآن وهو من الائتناف ويقال ائتنفت الامر أى ابتدأته وأنف الشئ أوله قال مقاتل وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) فلم يؤمنوا (واتبعوا أهواءهم) فى الكفر والنفاق (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين (زادهم) ما قال الرسول (هدى وآتاهم تقواهم) وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى قال سعيد بن جبير وآتاهم ثواب تقواهم (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة) أخبرنا أبو الحسن

فخرجت من أدبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما فى البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد فى النار راجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله تعالى (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه (حتى اذا خرجوا من عندك) يعنى ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعنى المنافقين (للذين أوتوا العلم) يعنى من الصحابة (ماذا قال آنفا) يعنى ما الذى قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر أى ابتدأته قال مقاتل وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعنى المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعنى فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أماتت الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدى الذى ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعنى بهداية الله اياهم الى الايمان (زادهم هدى) يعنى انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هداياتهم وايمانا مع ايمانهم (وآتاهم تقواهم) يعنى وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى * قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة) يعنى الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينظرون الى الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) أى أماراتها وعلاماتها واحدها شرط

عبد الرحمن بن محمد الداودى أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا أبو اسحق الهاشمى ثنا الحسين بن الحسن ثنا ابن المبارك أنا معمر بن راشد عمن سمع المقبرى يحدث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ماينتظر أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر قوله عز وجل (فقد جاء أشراطها) أى أماراتها وعلاماتها واحدها شرط وكان النبى صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أحمد بن المقدام ثنا فضيل بن سليمان ثنا أبو حازم ثنا سهل بن سعد قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتى تلى الابهام بعثت أنا والساعة كهاتين أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا حفص بن عمر الحوضى ثنا هشام عن قتادة عن انس قال لاحدثنكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثنكم به أحد غيرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن سنان ثنا فليح حدثنى هلال بن على عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينا النبى

ولما كان قيام الساعة أمرا مستبطأ في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فكأن قائلا متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد أن ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شئ يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويبقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل (خ) عن أبي هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة * وقوله تعالى (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعني فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت (فاعلم أنه لا اله الا الله) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر وأجيب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أي دم على ما أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم أنه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو (واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به في ذلك (م) عن الاغر المزني أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى أستغفر في اليوم مائة مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطى وسبب ذلك ما أطلعه عليه من أحوال أمته بعده فأحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شئ

الاغر المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة

سواه

قوله عز وجل (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم مصيركم في الآخرة الى الجنة أو الى النار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم منصرفكم لاشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم الى مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات ومثواكم مقامكم في الارض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن ومثواكم مقامكم في القبور والمعنى انه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الجهاد (لولا نزلت سورة) تأمرنا بالجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين (ينظرون اليك) شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشي عليه من الموت) كما ينظر الشاخص بصره عند الموت (فأولى لهم) وعيد وتهديد ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره ثم قال (طاعة وقول معروف) وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل أي لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منا طاعة وقول معروف حسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في قوله لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء (فاذا عزم الامر) أي جد الامر ولزم فرض القتال وصار الامر معزوما (فلو صدقوا الله) في اظهار الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم) وقيل جواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم الامر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم (فهل عسيتم) فلعلكم (ان توليتم) أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه (أن تفسدوا في الارض) تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام

سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبي خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل في معنى الآية استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعني من غير أهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفي * قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك) يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشي عليه من الموت) يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فأولى لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد وليلك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه (فاذا عزم الامر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أي فلعلكم (ان توليتم) يعني أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه (ان تفسدوا في الارض) يعني تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله

بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعارلها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي معنى من المعاني وليست بجسم وانما هي قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمي العقوق قطعا كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عز وجل هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل في الآية في قوله ان توليتم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس ان تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد * فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شئ فما معناه * قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان ياهؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا (أولئك) اشارة الى من اذا تولى أفسد في الارض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعني أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته (فأصمهم) يعني عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وان كان لهم أسماع وأبصار في الظاهر (أفلا يتدبرون القرآن) يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكر في عاقبة الشئ وما يؤول اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب أقفالها) يعني بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه * فان قلت اذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة * قلت تكليف مالا يطاق جائز عندنا لان الله أمر بالايمان لمن سبق في علمه انه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التاسي وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده * وروى البغوي باسناده الثعلبي عن عروة بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى

الارحام قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن وقال بعضهم هو من الولاية وقال المسيب بن شريك والفراء يقول فهل عسيتم ان وليتم أمر الناس ان تفسدوا في الارض بالظلم نزلت في بني أمية وبني هاشم يدل عليه قراءة علي بن أبي طالب توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام يقول ان وليتكم ولاة جائرة خرجتم معهم في الفتنة وعاونتموهم (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) عن الحق (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه وأم بمعنى بل أخبرنا أحمد بن ابراهيم أنا أبو اسحق الثعلبي أنبأني عقيل بن محمد أنا المعافى ابن زكريا أنا محمد بن جرير ثنا بشر ثنا حماد بن زيد ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولى فاستعان به

(إن الذين ارتدوا على أدبارهم) رجعوا كفارا (من بعد ما تبين لهم الهدى) قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون (الشيطان سول لهم) زين لهم القبيح (وأملى لهم) قرأ أهل البصرة بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله وقرأ مجاهد بارسال الياء على وجه الخبر من الله عز وجل عن نفسه انه فعل ذلك وتروى هذه القراءة عن يعقوب وقرأ الآخرون وأملى لهم بفتح الالف أي وأملى الشيطان لهم مد لهم في الامل (ذلك بأنهم) يعني المنافقين أو اليهود (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الامر) في التعاون

على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد وكانوا يقولونه سرا فأخبر الله تعالى عنهم (والله يعلم أسرارهم) قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) أي الضرب (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) قال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) كرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والايمان (فأحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين (أن لن يخرج الله أضغانهم) أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم واحدها ضغن قال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لأريناكهم) أي لاعلمناكهم وعرفناكهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) يعني في معنى القول ونحواه ومقصده وللحن معنيان صواب

يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك * قوله عز وجل (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) يعني رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعني زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا (وأملى لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعني أمهلوا ومد لهم في العمر وقرئ وأملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بأن مد لهم في الامل * فان قلت الاملاء والامهال لا يكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة * قلت ان المسول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل. وانما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان بمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم لي آخر العمر (ذلك) اشارة الى التسويل والاملاء (بأنهم) يعني بأن أهل الكتاب أو المنافقين (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الامر) يعني من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال (والله يعلم أسرارهم) يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعني فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعني ذلك الضرب (بانهم) يعني بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاحبط أعمالهم) التي عملوها من أعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق وهم المنافقون (أن لن يخرج الله أضغانهم) يعني يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) لما قال تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فكأن قائلا قال لم لم يخرج أضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم أي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم ببسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) يعني في معنى القول ونحواه ومقصده وللحن معنيان صواب

على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) في معناه ومقصده وللحن وجهان صواب وخطأ فالفعل من الصواب لحن يلحن لحنا فهو لحن اذا فطن للشئ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن والاصل فيه ازالة الكلام عن جهته والمعنى انك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلقه وعقيدته

(والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم) ولنعاملنكم معاملة المختبر بان نامركم بالجهاد والقتال (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أى نعلم الوجود به حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره (ونبلو أخباركم) أى نظهرها ونكشفها بايامن يابى القتال ولا يصبر على الجهاد

وخطأ صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعنى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله * قوله تعالى (ولنبلونكم) يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعنى انا نامركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أى علم الوجود والظهور (ونبلو أخباركم) يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعنى خالفوه فيما يامرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعنى من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيأ) يعنى انما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعنى وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة لانهم لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء يعنى بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أنتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبى لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصى والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضرهم مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصى ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى ابن عمر أنه قال كنا نرى انه لا شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل فى صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم فى الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين أيضا ان سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما قرب اليه قال كل فانى صائم قال لست باكل حتى تاكل فاكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت فى بنى أسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات ان شاء الله

وقرأ أبو بكر عن عاصم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو بالياء فيهن لقوله تعالى والله يعلم أعمالكم وقرأ الآخرون بالنون فيهن لقوله تعالى ولو نشاء لاريناكهم وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو ردا على قوله ولنبلونكم وقرأ الآخرون بالفتح ردا على قوله حتى نعلم (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ) انما يضرون أنفسهم (وسيحبط أعمالهم) فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هم المطعمون يوم بدر نظيرها قوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بالشك والنفاق وقال الكلبى بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصى والكبائر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم نزلت فى بنى أسد وسنذكره فى سورة الحجرات ان شاء الله تعالى

(ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم أصحاب القليب وحكمها عام (فلا تهنوا) لا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) أى لا تدعوا الى الصلح ابتداء منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الاعلون) الغالبون قال الكلبى آخر الامر لكم وان غلبوكم فى بعض الاوقات (والله معكم) بالعون والنصرة (ولن يتركم أعمالكم) ان ينقصكم شيأ من ثواب أعمالكم يقال وتره يتره وتراوترة اذا نقص حقه قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك لن

يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يأتيكم أجورها ثم حض على طلب الآخرة فقال (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) باطل وغرور (وان تؤمنوا وتتقوا) الفواحش (يؤتكم أجوركم) جزاء أعمالكم فى الآخرة (ولا يسألكم) ربكم (أموالكم) لا يتاء الاجر بل يأمركم بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوله ما أريد منهم من رزق وقيل لا يسألكم محمد أموالكم نظيره قل ما أسألكم عليه من أجر وقيل معنى الآية لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها فى الصدقات انما يسالانكم غيضا من فيض ربع العشر فطيبوا بها نفسا وقروا بها عينا والى هذا القول ذهب ابن عيينة يدل عليه سياق الآية (ان يسألكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويلحف عليكم بمسئلة جميعها يقال احفى فلان فلانا اذا جهده وألحف عليه بالمسئلة (تبخلوا) بها فلا تعطوها (ويخرج أضغانكم) بغضكم وعداوتكم قال قتادة علم الله ان فى مسئلة الاموال خروج الاضغان (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) يعنى اخراج ما فرض الله عليكم (فمنكم من يبخل) بما فرض عليه من الزكاة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى) عن صدقاتكم وطاعتكم (وأنتم الفقراء) اليه والى ما عنده من الخير (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم قال الكلبى هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبى نصر الكوفانى أنا

تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت فى أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا فى قليب بدر وحكمها عام فى كل كافر مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا أيها المؤمنون (وتدعوا الى السلم) يعنى ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الاعلون) يعنى وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله تعالى ان الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين فى بعض الاوقات (والله معكم) يعنى بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب (ولن يتركم أعمالكم) يعنى لن ينقصكم شيأ من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يوتيكم أجورها ثم حض على الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) أى باطل وغرور يعنى كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها فى عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله المهمة فهو اللعب وان أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا وتتقوا يوتكم أجوركم) يعنى يوتكم جزاء أعمالكم فى الآخرة (ولا يسألكم أموالكم) يعنى ان الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم لا يتاء الاجر عليها بل يأمرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كلها فى الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى فى أموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة أنفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسألكموها) الضمير عائد الى الاموال (فيحفكم) يعنى يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة فى المسئلة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح (تبخلوا) يعنى بالمال فلا تعطوه (ويخرج أضغانكم) يعنى بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله أن الاحفاء بمسئلة الاموال مخرج للاضغان (ها أنتم هؤلاء) يعنى أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) قيل أراد به النفقة فى الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل فى سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعنى بما فرض عليه اخراجه من الزكاة أو ندب الى انفاقه فى وجوه البر (ومن يبخل) يعنى بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) أى على نفسه (والله الغنى) يعنى عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغنى المطلق الذى له ملك السموات والارض (وأنتم الفقراء) يعنى اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به وألزمكم اياه (يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يعنى يكونون أطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبى

أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن اسحق التجيبي المصري المعروف بابن النحاس أنا أبو الطيب الحسن بن محمد الرياشي ثنا يونس بن عبد الاعلى ثنا ابن وهب ثنا مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس

﴿ سورة الفتح مدنية تسع وعشرون آية ﴾

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد الطوسي أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسو ه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فما لبثت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزلت على الليلة سورة لهي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا أخرجه الترمذي وزاد فيه وكان في بعض أسفاره بالحديبية (ق) عن أنس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ مريئا فما لنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال أما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس وأما هنيأ مريئا فعن عكرمة وأخرجه الترمذي عن قتادة عن أنس قال أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على الليلة آية أحب الي مما على الارض ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيأ مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى

هريرة رضي الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله رواية أخرى عن أبي هريرة قال قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل ان تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح نرد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الفتح وهي مدنية ﴾

(خ) عن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فما لبثت أن سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا وأخرجه الترمذي وزاد فيه وكان في بعض أسفاره بالحديبية (ق) عن أنس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ مريئا فما لنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال أما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس وأما هنيأ مريئا فعن عكرمة وأخرجه الترمذي عن قتادة عن أنس قال أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي الليلة آية أحب الي مما على الارض ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيأ مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى

نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الى آخر الآية مرجعه من الحديبية وأصحابه مخالطهم الحزن والكآبة فقال نزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا جميعا فلما تلاها نبي الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم هنيئا مريئا لك قد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله هذه الآية التي بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الآية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) اختلفوا في هذا الفتح روى عن أبي جعفر الرازي عن قتادة عن أنس انه فتح مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على انه صلح الحديبية ومعنى الفتح فتح المنغلق والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذرا حتى فتحه الله

عزوجل وروى شعبة عن قتادة عن أنس انا فتحنا لك فتحا مبينا قال صلح الحديبية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس قال الزهري لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم أسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام قوله عزوجل انا فتحنا لك فتحا مبينا أي قضينا لك قضاء بينا وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح المبين قيل اللام في قوله ليغفر لام كي معناه انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات

والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن أنس انه فتح مكة وقال مجاهد انه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله عزوجل له * فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي * قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في أخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عزوجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا وما شيتنا وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فأسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك وأكرم الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم * وقوله عزوجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك ذنبك وهدينا لك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل وقيل يجوز أن يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبويك آدم وحواء بركتك وما تأخر من ذنوب أمتك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول اعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى

(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر) وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية وقال محمد بن جرير هو راجع الى قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك في الجاهلية قبل الرسالة وما تاخر الى وقت نزول هذه السورة وقيل ما تاخر مما يكون وهذا على طريقة من يجوز الصغائر على الانبياء وقال سفيان الثوري ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تاخر كل شيء لم تعمله ويذكر مثل ذلك على طريق التاكيد كما يقال أعطي من رآه ومن لم يره واضرب من لقيه ومن لم يلقه وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء بركتك وما تاخر ذنوب أمتك بدعوتك

أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فأعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعني ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدى بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعني بالباذاعز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى * فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه * قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية أي ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب أما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا * قوله تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) يعني الطمأنينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذي وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم أمر أو نهي آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة في ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبي هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهي جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون في قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله عز وجل ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة في قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثاني ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعني بجميع جنوده الذين في السموات والارض (حكيما) يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على أعدائكم * قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) يستدعي سابقا تقديره هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقد تقدم ما روى عن أنس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله

(ويتم نعمته عليك) بالنبوة والحكمة (ويهديك صراطا مستقيما) أي يثبتك عليه والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى الصراط المستقيم وهو الاسلام وقيل ويهديك أي يهدى بك (وينصرك الله نصرا عزيزا) غالبا وقيل معزا (هو الذي أنزل السكينة) الطمانينة والوقار (في قلوب المؤمنين) لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن فهي طمانينة الا التي في سورة البقرة (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) قال ابن عباس بعث الله رسوله بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل لهم دينهم فكلما أمروا بشئ فصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم قال الكلبي هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق (ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار

خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) وقد ذكرنا عن أنس ان الصحابة قالوا لما نزل ليغفر لك الله هنيئا مريئا فما يفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة (الظانين بالله ظن السوء) أن لن ينصر محمدا والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) بالعذاب والهلاك (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) أي تعينوه وتنصروه (وتوقروه) تعظموه وتفخموه هذه الكنايات راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وههنا وقف (وتسبحوه) أي تسبحوا الله يريد تصلوا له (بكرة وأصيلا) بالغداة والعشي قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بالياء فيهن لقوله في قلوب المؤمنين وقرأ الآخرون بالتاء فيهن (ان الذين يبايعونك) يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا (انما يبايعون الله) لانهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن اسمعيل عن يزيد بن أبي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى ثنا يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله بن الاعرج عن معقل ابن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة

عز وجل الآية التي بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم) * فان قلت تكفير السيآت انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة * قلت الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيآت والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعني ان ذلك الادخال والتكفير كان في علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعني المنافقين والمنافقات من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعني انهم ظنوا ان الله تعالى لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة في تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعني وأبعدهم وطردهم عن رحمته (وأعد لهم جهنم) يعني في الآخرة (وساءت مصيرا) يعني ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره بقي ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء وأخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبدا * فان قلت قال في الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه * قلت لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزيز مقتدر * قوله تعالى (انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على أعمال أمته ومبشرا يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل اليهم (ويعزروه) يعني ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) يعني ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعني ويصلوا لله أو ويسبحوا الله بالغداة والعشي * قوله عز وجل (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على

قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت أى لا نزال قاتل بين يديك مالم نقتل وبايعه آخرون وقالوا لا نفر (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يد الله بالوفاء لما

أن لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهى قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء فى الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز فى الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على أى شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوى عنه وقال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازى يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد فى الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنيين * فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق أيديهم أى نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أى الغلبة والنصرة والقوة * وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشرى لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم فى هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل * وقوله تعالى (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) يعنى فمن نقض العهد الذى عقده مع النبى صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فان وبال ذلك وضره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعنى من البيعة (فسيؤتيه أجرا عظيما) يعنى فى الآخرة وهو الجنة * قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى اعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعنى النساء

وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق أيديهم فى المبايعة قال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ما صنعوا من البيعة (فمن نكث) نقض البيعة (فانما ينكث على نفسه) عليه وباله (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) ثبت على البيعة (فسيؤتيه) قرأ أهل العراق فسنؤتيه بالياء وقرأ الآخرون بالنون (أجرا عظيما) وهو الجنة (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى اعراب بنى غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك المخلفون من الاعراب يعنى الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك فاذا انصرفت من سفرك اليهم فعاتبهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعنى النساء والذرارى أى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم

(فاستغفرلنا) تخلفنا عنك فكذبهم الله عز وجل في اعتذارهم فقال (يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم) من أمر الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أولا (قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا) سوأ (أو أراد بكم نفعا) قرأ حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد وقرأ الآخرون بفتحها لانه قابله بالنفع والنفع ضد الضر وذلك انهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله تعالى انه ان أراد بهم شيأ من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) أي ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون (وزين ذلك في قلوبكم) زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم (وظننتم ظن السوء) وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس فلا يرجعون فاين تذهبون معه انتظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) هلكى لا تصلحون لخير (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون) يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) سرتم وذهبتم أيها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر (ذرونا نتبعكم) الى خيبر نشهد معكم قتال أهلها وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة اذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيا قال الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قرأ حمزة والكسائي كلم الله بغير ألف جمع كلمة وقرأ الاخرون كلام الله قيل يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وقال مقاتل يعني أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يسير معه منهم أحد قال ابن زيد هو قول الله عز وجل فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا والاول أصوب وعليه عامة أهل التاويل (قل لن تتبعونا) الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) أي من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب

والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفرلنا) أي انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا) يعني سوأ (أو أراد بكم نفعا) وذلك انهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر أو يجعل لهم النفع بالسلامة لهم في أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان أراد شيا من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) يعني ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى أهليهم (وزين ذلك في قلوبكم) يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان بالشئ ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا أعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر ان له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) * قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعني الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) يعني اذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيا (ذرونا نتبعكم) يعني الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا اذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعني يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير منهم أحدا الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا والقول الاول أصوب (قل) أي قل لهم يا محمد (لن تتبعونا) يعني الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) يعني من قبل مرجعنا اليكم

غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيأ (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعني لا يعلمون ولا يفهمون من الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله * قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جما كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم أولى بأس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي ظاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم * فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله أولى بأس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولى بأس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مقيد بقيد وهو أن يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مادمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لان من أسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول أن المراد من قوله ان تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدعهم الى الجهاد معه أو منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتناع أبو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولى بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو بأس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وأن عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار * وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع أحد الامرين اما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) يعني تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعني عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة

(فسيقولون بل تحسدوننا) أي يمنعكم الحسد من ان نصيب معكم الغنائم (بل كانوا لا يفقهون) لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين (الا قليلا) منهم وهو من صدق الله والرسول (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد (تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) تعرضوا (كما توليتم من قبل) عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) وهو النار فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى

(ليس على الاعمى حرج) يعني في التخلف عن الجهاد (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) قرأ أهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرأ الآخرون بالياء لقوله ومن يطع الله ورسوله (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب حدثني أبي انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروى ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي (١٦٣) أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربع مائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا محمد ابن حاتم ثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختبأ تحت بطن بعيره وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن أبي أوفى كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وكان سبب هذه البيعة على

والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) يعني في التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان أصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ما ذكرنا وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا أليما) يعني في الآخرة * قوله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعني بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم أعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه جميعا غير جد ابن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية قال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت وأخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم اليوم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة

ما ذكره محمد بن اسحق عن أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أبي أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه

غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيأ (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعني لا يعلمون ولا يفهمون من الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله * قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جما كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم أولى بأس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي ظاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم * فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله أولى بأس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولى بأس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مقيد بقيد وهو أن يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لان من أسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معه أو منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولى بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو بأس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وأن عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار * وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع أحد الامرين اما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) يعني تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعني عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة

(فسيقولون بل تحسدوننا) أي يمنعكم الحسد من ان نصيب معكم الغنائم (بل كانوا لا يفقهون) لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين (الا قليلا) منهم وهو من صدق الله والرسول (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد (تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) تعرضوا (كما توليتم من قبل) عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) وهو النار فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى

والاعذار

(ليس على الاعمى حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) قرأ أهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرأ الآخرون بالياء لقوله ومن يطع الله ورسوله (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب حدثنى أبى انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا و بعضهم ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى (١٦٣) أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا على بن عبد الله ثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربع مائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا محمد ابن حاتم ثنا حجاج عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصارى اختبأ تحت بطن بعيره وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن أبى أوفى كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وكان سبب هذه البيعة على

والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة فى جواز ترك الجهاد لان أصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفى معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفى معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ما ذكروهى الفقر الذى لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التى تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به فى حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به فى الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى أمر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول) يعنى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا أليما) يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعنى بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان أبى ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم أعلم فضحك وفى رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا و بعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبى الزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه جميعا غير جد ابن قيس الانصارى اختفى تحت بطن بعيره زاد فى رواية قال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت وأخرجه الترمذى عن جابر فى قوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم اليوم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة

ماذكره محمد بن اسحق عن أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أبى أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها منى عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه

ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان وعظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير ابن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقال جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر فكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها الا الاجد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر لكاني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته مستترا بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين ابن محمد بن فنجويه ثنا علي بن أحمد بن نضرويه ثنا أبو عمران موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني ثنا محمد بن رمح ثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة قوله عز وجل (فعلم ما في قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة) الطمأنينة والرضا (عليهم)

(ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني أخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الا الاجد ابن قيس أخو بني سلمة قال جابر فكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * وقوله تعالى (فعلم ما في قلوبهم) يعني من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فأنزل السكينة) يعني الطمأنينة (عليهم) يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى أن لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم * فان قلت الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم * قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فأنزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فأنزل

وأثابهم فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) من أموال يهود خيبر وكانت خيبر ذات عقار وأموال فاقتسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهى الفتوح التى تفتح لهم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله أيديهم بالفاء الرعب فى قلوبهم وقيل كف أيدى الناس عنكم يعنى أهل مكة بالصلح (ولتكون) كفهم وسلامتكم (آية للمؤمنين) على صدقك و يعلموا ان الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (و يهديكم صراطا مستقيما) يثبتكم على الاسلام و يزيدكم بصيرة و يقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة و بعض المحرم ثم خرج فى بقية المحرم سنة سبع الى خيبر أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد

السكينة عليهم * وقوله تعالى (وأثابهم فتحا قريبا) يعنى خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعنى منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على أيديكم * قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها) يعنى المغانم التى تغنمونها من الفتوحات التى تفتح لكم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التى يعطيهم الله عز وجل فى المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهى فى جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدى الناس عنكم) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بالفاء الرعب فى قلوبهم وقيل المعنى ان الله عز وجل كف أيدى أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعنى ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على ان ما وهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم و يعلموا ان الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (و يهديكم صراطا مستقيما) يعنى و يهديكم الى دين الاسلام و يثبتكم عليه و يزيدكم بصيرة و يقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

﴿ ذكر غزوة خيبر ﴾ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة و بعض المحرم ثم خرج الى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح و ينظر فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما أصبح و لم يسمع أذانا ركب و ركبت خلف أبى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلجأوا الى الحصن فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
* وأنزلن سكينة علينا *

ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا اسمعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح و ينظر اليهم فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما أصبح و لم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس فلجأوا الى الحصن فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أخبرنا اسمعيل ابن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أنا أبو على الحنفى ثنا عبيد الله ابن عبد المجيد ثنا عكرمة بن عمار ثنا اياس بن سلمة حدثنى أبى قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم شعرا

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا
فثبت الاقدام ان لاقينا * وأنزلن سكينة علينا * ان الالى قد بغوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلتهب

قال و برزله عمى عامر فقال قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله وكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبى صلعم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فأتيت النبى صلعم وأنا أبكى فقلت يارسول الله بطل عمل عامر قتل نفسه قال رسول الله صلعم من قال ذلك قال قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلنى الى على رضى الله عنه وهو أرمد فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا رضى الله عنه فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلعم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

* اذا الحروب أقبلت تلتهب * (١٦٦) فقال على رضى الله عنه أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره

* أوفيهم بالصاع كيل السندره * قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه وروى حديث خيبر سهل ابن سعد وأنس وأبو هريرة يزيدون و ينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ أبو بكر رضى الله عنه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر رضى الله عنه فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الاول ثم رجع فأخبر رسول الله صلعم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله و رسوله يفتح الله على يديه فدعا على بن أبى طالب فأعطاه اياها وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فاتى مدينة خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز فبرز اليه على فضربه فقد الحجر والبيضة والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى يارسول

خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابنى يارسول الله قال لا بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم لم يزل رسول الله صلعم يفتح الحصون و يقتل المقاتلة و يسبى الذرية و يحوز الاموال قال محمد بن اسحق وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت عليه اليهود حجرا فقتله ثم فتح العموص حصن ابن أبى الحقيق فأصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيى بن أخطب جاء بلال بها و بأخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم الى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلعم قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله صلعم اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلعم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرّب * اذا الحروب أقبلت تلتهب

قال و برزله عمى عامر فقال قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يا رسول الله بطل عمل عمى عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلنى الى على وهو أرمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية فخرج مرحب فقال قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

* اذا الحروب أقبلت تلتهب *

فقال على رضى الله عنه أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره

* أوفيهم بالصاع كيل السندره *

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون و ينقصون وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله و يفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلفت حتى يفتح الله على يديك فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد ثقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن أبى طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى

على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ان القمر وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فأتى رسول الله صلعم بها وبها أثر منها فسألها ما هو فأخبرته هذا الخبر وأتى رسول الله صلعم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحده أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله صلعم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلعم انى قد رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلعم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلعم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فأبى أن يؤديه فأمر رسول الله صلعم الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده فى صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلعم الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يعقوب ابن ابراهيم ثنا ابن علية ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلعم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب رسول الله صلعم وركب أبو طلحة وأنا ردیف أبى طلحة فأجرى نبى الله صلعم فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذ نبى الله ثم حسر الازار عن فخذه حتى انى لانظر الى بياض فخذ نبى الله صلعم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى أعمالهم فقالوا محمد قاله عبد العزيز وقال بعض أصحابنا والخميس يعنى الجيش قال فأصبناها عنوة فجمع السبى فجاء دحية فقال يا نبى الله اعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى نبى الله صلعم فقال يا نبى الله أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبى صلعم قال خذ جارية من السبى غيرها قال فأعتقها النبى صلعم وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها فتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح النبى صلعم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الآخر يجئ بالسمن قال وأحسبه قد ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلعم أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا موسى بن اسمعيل ثنا عبد الواحد الشيبانى قال سمعت ابن أبى أوفى يقول أصابتنا مجاعة ليالى خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الاهلية فنحرناها فلما غلت القدور نادى منادى رسول الله صلعم اكفؤا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيأ قال عبد الله بن عباس فقلنا انما نهى النبى صلعم عنها لانها لم تخمس وقال آخرون حرمها البتة وسألت عنها سعيد بن جبير فقال حرمها البتة أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد

يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحق فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح حصن ابن أبى الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيى بن أخطب جاءبها بلال وباخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم الى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وأمر بصفية فجهزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منها فسألها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فابى أن يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبى الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا ردیف أبى طلحة فاجرى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى انى أنظر الى بياض فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى أعمالهم فقالوا محمد والخميس يعنى الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبى فجاء دحية فقال يا رسول الله اعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير ما تصلح الا لك قال ادعوه بها فلما نظر اليها النبى صلى الله عليه وسلم

ابن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن حبيب الحارثى أنا خالد بن الحارث ثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت ان أقتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال على قال قالوا ألا نقتلها يا رسول الله قال لا وتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلعم وقال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة كان النبى صلعم يقول فى مرضه الذى مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع ابهرى من ذلك السم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن بشار أنا حرمى أنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر أنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أحمد بن المقدام ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة أخبرنى نافع عن ابن عمر ان عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وكان رسول الله صلعم لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها وكانت الارض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين فسال اليهود رسول الله صلعم أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال رسول الله صلعم نقركم على ذلك ما شئنا فاقروا حتى أجلاهم عمر فى امارته الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق فلما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلعم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلعم يسالونه ان يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل ثم ان أهل خيبر سالوا رسول الله صلعم ان يعاملهم الاموال على النصف ففعل على أنا اذا شئنا أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلعم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلعم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعنى مشوية وسألت أى عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلعم فقيل له الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلعم تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلعم فاما بشر فاساغها واما رسول الله صلعم فلفظها ثم قال ان هذا العضو ليخبرنى انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر عنها فتجاوز عنها رسول الله صلعم ومات بشر بن البراء من أكلته التى أكل ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله صلعم تعوده فى مرضه الذى توفى فيه فقال يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التى أكلت بخيبر مع ابنك تعاودنى فهذا أوان انقطاع ابهرى وكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله من النبوة

(١٦٨) سليمان ثنا موسى بن عقبة أخبرنى نافع عن ابن عمر ان عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى

قال خذ جارية من السبى غيرها قال فاعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فاهدتها له من الليل وأصبح النبى صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الآخر يجئ بالسمن قال وأحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن أبى أوفى قال أصابتنا مجاعة ليالى خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اكفؤا القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيأ فقال أناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة (ق) عن أنس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجئ بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لا قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علىّ قالوا ألا نقتلها قال لا فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع ابهرى من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر أن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فأراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر فى امارته الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف ففعل على أن لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سألت أى عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلعم فقيل له الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلعم تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلعم فاما بشر فاساغها واما رسول الله صلعم فلفظها ثم قال ان هذا العضو ليخبرنى انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر عنها فتجاوز عنها رسول الله صلعم ومات بشر بن البراء من أكلته التى أكل ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله صلعم تعوده فى مرضه الذى توفى فيه فقال يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التى أكلت بخيبر مع ابنك تعاودنى فهذا أوان انقطاع ابهرى وكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله من النبوة

قوله عز وجل (وأخرى لم تقدروا عليها) أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) حتى يفتحها لكم كأنه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تأخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام وقال الضحاك وابن زيد هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم (وكان الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا) يعني أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل) أي كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) قرأ أبو عمرو بالياء وقرأ الآخرون بالتاء واختلفوا في هؤلاء أخبرنا اسمعيل ابن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد ابن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عمرو بن محمد الناقد ثنا يزيد بن هرون انا حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس ابن مالك رضي الله عنهم ان ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذوا سبايا فاستحياهم وأنزل الله عز وجل هذه الآية وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيديكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا)

الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فأخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة عن عبيد الله ابن سلمان أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه أحد من أهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال ما زلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبو داود * قوله تعالى (وأخرى لم تقدروا عليها) يعني وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه الى آخر الزمان (وكان الله على كل شيء قديرا) أي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أي أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الادبار) أي لانهزموا عنكم (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التي قد خلت من قبل) يعني هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) * قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ما روى عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سبايا فاستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيديكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا)

من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلى بن أبى طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد أو جعل لكم أحد أما نا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل الله عزوجل هذه الآية قوله عزوجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) الآية

روى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة زمن الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه يريدون زيارة البيت لا يريدون قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى (١٧٠) وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتاه عتبة الخزاعى وقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون أن أميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يارسول الله انما خرجت عامدا لهذا البيت لا يريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت القصوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصوا وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يترضضه الناس ترضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكا الناس الى النبى صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عميرة وهو سائق بدن النبى صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا مادتهم ويخلوا بينى وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئنا كم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا

---

*قوله عزوجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

﴿ذكر صلح الحديبية﴾ روى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعى وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان أميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يارسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا يريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت القصوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصوا وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يترضضه الناس ترضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكى الناس الى النبى صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عميرة وهو سائق بدن النبى صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول

الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بينى و بين الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا قال انا قد جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى ولم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة ابن شعبة قائم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه وقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من

فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالولد قالوا بلى قال أولست بالوالد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آته قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى ولم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة ابن شعبة قائم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه وقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من

مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولستم بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آته قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أى محمد أرأيت ان استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر فقال أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم وكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية النبى صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر السب أسعى فى غدرتك وكان المغيرة صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له

فرجع عروة الى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا بالهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع الى قومه ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل صد الهدي في قلائده وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله فقالوا له اجلس انما أنت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك فقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيأ ولكن أنت محمد بن عبد الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على ان من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاه من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا

عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما أنت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أن يصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيأ ولكن أنت محمد بن عبد الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على ان من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاه من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا

(رجعنا

تفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا بما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال عكرمة فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال قد سهل لكم من أمركم قال الزهري في حديثه فجاء سهيل ابن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب ياعلى محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وروى أبو اسحق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيأ ولكن أنت محمد ابن عبد الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى رضى الله عنه امح رسول الله قال على لا والله لا أمحوك أبدا قال فأرنيه فأراه اياه فمحاه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وفى رواية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله قال البراء صالح على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها الا بجلباب السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهرى قال فبينا هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شئ أبدا قال النبى صلى الله عليه وسلم فاجره لى قال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر الى جنب أبى جندل وجعل يقول اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر ورجوت أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبى جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهرى فى حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر ابن الخطاب فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفاخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال فاتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به قال بلى أفاخبرك انه آتيه العام قلت لا قال فانك تاتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس قالت أم سلمة يا نبى الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين

﴿ رجعنا الى حديث الزهرى ﴾ قال بينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شئ أبدا قال النبى صلى الله عليه وسلم فاجره لى قال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر الى جنب أبى جندل وجعل يقول اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر ورجوت أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبى جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهرى فى حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر ابن الخطاب فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفاخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال فاتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به قال بلى أفاخبرك انه آتيه العام قلت لا قال فانك تاتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس قالت أم سلمة يا نبى الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين

ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش قال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا فى الله وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر يمشى الى جنب أبى جندل فقال اصبر فانما هم المشركون ودم أحدهم كدم كلب ويدنى قائم السيف منه قال عمر رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به اباه فضن الرجل بأبيه وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبى جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهرى فى حديثه

قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك أنه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى هداياه جملا لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا فى الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمرهم أن يردوا الصداق قال ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمرهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه فأخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشح السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم فانجانى الله تعالى منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر ويلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت أبو جندل فلحق بأبى بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسلت اليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وأنزل الله عز وجل وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبى الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت أخرجه البخارى بطوله سوى ألفاظ منه وهى مستثناة

عن عروة عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أوليس كنت تحدثنا اناسنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفاخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا اناسنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفاخبرك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال الزهرى قال عمر فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت أم سلمة يا نبى الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة - تى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم أن يقتل بعضا غما وحزنا قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين

قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى هداياه جملا لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك وقال الزهرى فى حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر رضى الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم ان يردوا النساء وأمر برد الصداق قال ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والاخنس بن

شريق الثقفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر من غمده فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه فاخذه وعلا به فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم ثم أنجانى الله منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف انه سيردده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر ويلغ المسلمين الذين احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بابى بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فارسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن

فى الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه الى قوله فوالله ما زال يحيش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا بما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهرى ومنها قوله وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل الى قوله قال عمر فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهرى فى حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخارى فى صحيحه ﴿شرح غريب ألفاظ الحديث﴾ قوله بضع عشرة البضع فى العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له أى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء من القارة انضموا الى بنى ليث فى محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد بأسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين أى منقوصين قوله فنفذوا أى مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدى الجيش ليطلعوا على أخبار العدو قوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير الذى يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوا يعنى انها لما توقفت عن المشى وتقهقرت ظنوا ذلك خللا فى خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت أى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أى منعها عن المسير والذى منع الفيل عن مكة هو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق الاذن قوله خطة أى حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهى فروضه وما يجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهى قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه فى المطالع والثمد الماء القليل الذى لا مادة له والنز بض أخذ الشئ قليلا قليلا وقوله فما زال يحيش بالرى يقال جاشت البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والرى ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته فى ذلك قوله نزلوا على أعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذى

وسلم ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت قال الله تعالى هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به (والهدى) أي وصدوا الهدى وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) محبوسا يقال عكفته عكفا اذا حبسته وعكوفا لازم كما يقال رجع رجعا ورجوعا (أن يبلغ محله) منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) لم تعرفوهم (أن تطؤهم) بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) قال ابن زيد معرة اثم وقال ابن اسحق غرم الدية وقيل الكفارة لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية فقال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك

على

لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهي الناقة اذا وضعت الى أن يقوى ولدها وقيل هي كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب أي أضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة قوله والافقدجموا أي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفردسالقي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهوما بينه وبين الكتف وهوكناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله انى استنفرت يقال استنفر القوم اذادعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة وقوله بلحواعلى فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليح الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان في مبالغة الاذى قوله انى لارى وجوها وأشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك أي جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهي اسم صنم كانوا يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من الهنة التي تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في ألسنتهم قوله لولا يدلك عندي اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله أي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا في هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن أي الابل تهدى الى البيت في حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل في رقابها شئ كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو أن يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي أي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه أي فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشئ واتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلباب السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من أدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق في مؤخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان وهو مشي المقيد قوله فأجره لي قال ابن الاثير يجوز أن يكون بالزاي من الاجازة أي اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو أطلقه لي وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعطى الدنية أي الفضية التي لا نرضى بها أي لم نرض بالادون والاقل في ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله ويل أمه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها أيضا ومسعر الحرب أي موقدها يقال سعرت النار وأسعرتها اذا أوقدتها والمسعر الخشب الذي توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم أي منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به (والهدى) أي وصدوا الهدى وهو البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) أي محبوسا (أن يبلغ محله) أي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) أي لم تعرفوهم (أن تطؤهم) أي بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) أي اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله أوجب

(ليدخل الله في رحمته من يشاء) فاللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الاسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل ان تدخلوها (لو تزيلوا) لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) بالسبي والقتل بأيديكم وقال بعض أهل العلم لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات وقوله في رحمته أي جنته وقال قتادة في هذه الآية ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم والحمية الانفة يقال فلان ذو حمية اذا كان ذا غضب وأنفة قال مقاتل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم أنفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه (حمية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة والسدي وابن زيد وأكثر المفسرين كلمة التقوى لا اله الا الله وروى عن أبي بن كعب مرفوعا وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله والله أكبر وقال عطاء بن أبي رباح هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) من كفار مكة (وأهلها) أي وكانوا أهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير (وكان الله بكل شيء عليما) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق

على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعتبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب (ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي في دين الاسلام من يشاء أي من أهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لو تزيلوا) أي لو تميزا المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي بالسبي والقتل بأيديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته أي في جنته قال قتادة في الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة * قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) أي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصون الله في قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله والله أكبر وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) أي من كفار مكة (وأهلها) أي كانوا أهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شيء عليما) يعني من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير * قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فاخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التي رآها فأنزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل وروى عن مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم لبعض مالي الناس قال أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أهو فتح يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده فقيه دليل على ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر ان الرؤيا التي أراها اياها في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد حق وصدق بالحق أي الذي رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لان الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذي هو ضد

لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم أرى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين ويحلقون رؤسهم ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك فأنزل الله هذه الآية وروى عن مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس فقالوا أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع اليه الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أوفتح هو يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد بالفتح صلح الحديبية وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل فقال جل ذكره لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر ان الرؤية التي أراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام

الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتاكيدا لقوله ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت (محلقين رؤسكم) اي كلها (ومقصرين) أي تاخذون بعض شعوركم (لا تخافون) أي من عدو في رجوعكم لان قوله آمنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع (فعلم مالم تعلموا) يعني علم أن الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا أنتم فظننتم انه في السنة الاولى (فجعل من دون ذلك) أي من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر * قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا البيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أي في انه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) أي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعني أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أي غلاظ أقوياء كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) أي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال في حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) أي يطلبون (فضلا من الله) يعني الجنة (ورضوانا) أي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص

صدق وحق قوله لتدخلن يعني وقال لتدخلن وقال ابن كيسان لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وانما استثنى مع علمه بدخولها باخبار الله تعالى تأدبا بآداب الله حيث قال له ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقال أبو عبيدة ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله كقوله ان كنتم مؤمنين وقال الحسين بن الفضل يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لان بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية لتدخلن المسجد الحرام كلكم ان شاء الله وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقول النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع الى اللحوق بأهل لا اله الا الله لا الى الموت (محلقين رؤسكم) كلها (ومقصرين) بأخذ بعض شعورها (لا تخافون فعلم مالم تعلموا) ان الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وهو قوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية (فجعل من دون ذلك) أي من قبل دخولكم المسجد الحرام (فتحا قريبا) وهو صلح الحديبية عند الاكثرين وقيل فتح خيبر (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) على انك نبي صالح صادق فيما تخبر (محمد رسول الله) ثم الكلام ههنا قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم قال مبتدئا (والذين معه) فالواو فيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين (أشداء على الكفار) غلاظ عليهم كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله) ان يدخلهم الجنة (ورضوانا) ان يرضى عنهم

بعمله

(سيماهم) أى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) اختلفوا فى هذا السيما فقال قوم هو نور و بياض فى وجوههم يوم القيامة يعرفون به انهم سجدوا فى الدنيا وهو رواية عطية العوفى عن ابن عباس قال عطاء بن أبى رباح والربيع بن أنس استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا وقال شهر ابن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال آخرون هو السمت الحسن والخشوع والتواضع وهو رواية الوالبى عن ابن عباس قال ليس بالذى ترون لكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه وهو قول مجاهد والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذى يعرفون به وقال الضحاك هو صفرة الوجه من السهر وقال الحسن اذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى قال عكرمة وسعيد بن جبير هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لانهم يسجدون على التراب لا على الأثواب وقال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك) الذى ذكرت (مثلهم) صفتهم (فى التوراة) ههنا تم الكلام ثم ذكر نعتهم فى الانجيل فقال (ومثلهم)

بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرائى بعمله لا يبتغى له أجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين معه يعنى أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) واختلفوا فى هذه السيما على قولين أحدهما ان المراد فى يوم القيامة قيل هى نور و بياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله فى الدنيا وهى رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود فى وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك فى رجلين أحدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر فى اللهو واللعب فاذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلى نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الأثواب قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم فى التوارة) يعنى ذلك الذى ذكر صفتهم فى التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم فى الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) أى صفتهم (فى الانجيل كزرع أخرج شطأه) أى افراطه قبل فراخه قيل هو نبت فما خرج بعده فهو شطؤه (فآزره) أى قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) أى غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق أى على أصوله (يعجب الزراع) أى يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون و يكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن أبى طالب يعجب الزراع يعنى جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

﴿فصل فى فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله

صفتهم (فى الانجيل كزرع أخرج شطأه) قرأ ابن كثير وابن عامر شطاه بفتح الطاء وقرأ الآخرون بسكونها وهما لغتان كالنهر والنهر واراد فراخه يقال اشطأ الزرع فهو مشطئ اذا أفرخ قال مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج ما بعده فهو شطؤه وقال السدى هو أن يخرج معه الطاقة الاخرى قوله (فآزره) قرأ ابن عامر فأزره بالقصر والباقون بالمد أى قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) غلظ ذلك الزرع (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) أصوله (يعجب الزراع) أعجب ذلك زراعه هذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد والشطء أصحابه والمؤمنون وروى عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق رضى الله عنه اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رضى الله عنه رحماء بينهم عثمان بن عفان رضى الله عنه تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب رضى الله عنه يبتغون فضلا من الله بقية العشرة المبشرين بالجنة وقيل كمثل زرع محمد أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان يعنى استغلظ عثمان للاسلام فاستوى على سوقه على بن أبى طالب استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع قال هم المؤمنون (ليغيظ بهم الكفار) قول عمر لاهل مكة بعدما أسلم لا تعبدوا الله سرا بعد اليوم حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد الشجاعى السرخسى املاء أنا أبو بكر عبد الله بن أحمد القفال ثنا أبو أحمد عبد الله بن محمد الفضل السمرقندى ثنا شيخى أبو عبد الله محمد ابن الفضل الباخى ثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف ان النبى

صلعم قال أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان ابن القاسم ثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسى ثنا أحمد بن هاشم الانطاكى ثنا قطبة بن العلاء ثنا سفيان الثورى عن خالد الخزاعى عن أبى قلابة عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم أبى بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح ورواه معمر عن قتادة مرسلا وفيه وأقضاهم على أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا معلى بن أسد ثنا عبد العزيز المختار قال خالد بن الحذاء ثنا عن أبى عثمان قال حدثنى عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أى الناس أحب اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم أخبرنا أبو منصور عبد الملك وأبو الفتح نصر بن الحسين أنا على بن أحمد ابن منصور بن محمد بن الحسين بن شاذويه الطوسى بها قال ثنا أبو الحسن محمد ابن يعقوب أنا الحسن ابن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ثنا أبو اسحق ابراهيم بن شريك الاسدى ثنا ابراهيم بن اسمعيل هو ابن يحيى بن سلمة بن كهيل ثنا أبى عن أبيه عن سلمة عن أبى الزعراء عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اقتدوا بالذين من بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين على أحدهم ابن محمد بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبى حازم عن سهل بن سعد ان أحدا ارتج وعليه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم أثبت أحد ما عليك الا نبى أو صديق او شهيد اخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى ثنا أبو سعيد الاشج أنا وكيع ثنا الاعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن على قال عهد الى النبى صلعم انه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق أخبرنا أبو المظفر التميمى أنا عبد الرحمن بن عثمان أنا خيثمة بن سليمان ثنا محمد بن عيسى بن حيان المدائنى ثنا محمد بن الفضل بن عطية عن عبد الله بن مسلم عن ابن بريدة عن أبيه عن النبى صلعم قال من مات من أصحابى بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة قوله عز وجل لينيظ بهم الكفار

أى انظر كثرهم وقولهم ليكونوا غيظا للكافرين قال مالك بن أنس من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلعم فقد أصابته هذه الآية
أخبرنا أبو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوى ثنا أبو معمر بن الفضل بن اسمعيل أنا جدى أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلى أخبرنى الهيثم
ابن خلف الدورى ثنا المفضل بن غسان بن المفضل الغلابى ثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد ثنا عتبة بن أبى رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد
الله بن مغفل المزنى قال قال رسول الله صلعم الله الله فى أصحابى الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم
فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد بن حامد التميمى أنا
أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم أنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان ثنا ابراهيم بن عبد الله العبسى القصار بالكوفة أنا وكيع بن الجراح عن الاعمش
عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلعم لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه اخبرنا عبد الواحد المليحى انا ابو عبد الله محمد بن الحسين الزعرانى ثنا ابو محمد عبد الله بن عروة ثنا محمد بن الحسين بن محمد بن اسكاف
ثنا شبابة بن سوار ثنا فضيل بن مرزوق عن ابى خباب عن ابى سليم الهمدانى عن ابيه عن على قال قال رسول الله صلعم ان

أحدهم ولا نصيفه وعن أبى هريرة نحوه أخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزنى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى
أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذى
وقال حديث غريب * قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من فى قوله منهم لبيان
الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس
الصحابة وقال ابن جرير يعنى من الشطء الذى أخرجه الزرع وهم الداخلون فى الاسلام الى يوم القيامة ورد
الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعنى الجنة وقيل ان المغفرة جزاء
الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الحجرات مدنية ﴾

وهى ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) من التقديم
أى لا ينبغى لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدى الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين
يدى أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا انفسكم تقدما عند النبى صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى
احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل أن يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا فى معنى
الآية فروى عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى أى لا تذبحوا قبل أن يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان
ناسا ذبحوا قبل النبى صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن
ذبح قبل أن يصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ زاد الترمذى فى أوله قال خطبنا النبى صلى
الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك أى لا تصوموا

سرك ان تكون من اهل الجنة
فان قوما ينتحلون حبك يقرؤن
القرآن لا يتجاوز تراقيهم ينزهم
الرافضة فان ادركتهم فجاهدهم
فانهم مشركون فى اسناد هذا
الحديث نظر وقول الله عز
وجل (وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم) قال
ابن جرير يعنى من الشطء الذى
اخرجه الزرع وهم الداخلون
فى الاسلام بعد الزرع الى يوم
القيامة ورد الهاء والميم على معنى
الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل
منه (مغفرة واجرا عظيما) منى
الجنة والله اعلم

﴿ سورة الحجرات مدنية
وهى ثمان عشرة آية ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدى الله و رسوله)
قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح

التاء والدال من التقدم اى لا تتقدموا وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال من التقديم وهو لازم بمعنى التقدم مثل بين وتبين وقيل هو متعد على
ظاهره والمفعول محذوف اى لا تقدموا القول والفعل بين يدى الله ورسوله قال أبو عبيدة تقول العرب لا تقدم بين يدى الامام و بين يدى الاب
اى لا تعجل بالامر والنهى دونه ومعنى بين اليدين الامام والقدام اى لا تقدموا بين يدى امرهما ونهيهما واختلفوا فى معناه روى الشعبى
عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى وهو قول الحسن اى لا تذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل صلاة النبى
صلى الله عليه وسلم فأمرهم ان يعيدوا الذبح اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا
سليمان بن حرب ثنا شعبة عن زيد عن الشعبى عن البراء قال خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال ان اول ما نبدأ به فى يومنا هذا ان
نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان نصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وروى مسروق عن
عائشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك اى لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد
ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج اخبرهم عن ابن ابى مليكة ان عبد الله بن الزبير اخبرهم

أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافى قال عمر ما أردت خلافك فتمار يا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت ورواه نافع عن ابن عمر عن ابن أبى مليكة قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى قوله أجر عظيم وزاد قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلعم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر عن أبيه يعنى أبا بكر وقال قتادة نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو أنزل فى كذا وصنع فى كذا وكذا فكره الله ذلك وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلعم بشئ حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك يعنى فى القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله (واتقوا الله) فى تضييع حقه ومخالفة أمره (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بأفعالكم (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا (أن تحبط أعمالكم) لئلا تحبط حسناتكم وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا الحسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أنه قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلعم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت أيشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلعم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم انى من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة زاد فى رواية فكنا نراه يمشى بين أظهرنا رجل من أهل الجنة لفظ مسلم وللبخارى نحوه وروى لما نزلت

قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام فى اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقيل فى سبب نزول هذه الآية ما روى عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك فتمار يا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت زاد فى رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخارى وقيل نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو نزل فى كذا أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل فى معنى الآية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى يقضيه الله على لسانه وقيل فى القتال وشرائع الدين أى لا تقضوا أمرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) أى فى تضييع حقه بمخالفة أمره (ان الله سميع) أى لاقوالكم (عليم) أى بافعالكم * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهى عن فعل وقوله لا ترفعوا أصواتكم نهى عن قول (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أمرهم أن يجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبى الله (أن تحبط أعمالكم) أى لئلا تحبط وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أى بذلك (ق) عن أنس ابن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت أيشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلعم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة زاد فى رواية فكنا نراه يمشى بين أظهرنا رجل من أهل الجنة لفظ مسلم وللبخارى نحوه وروى لما نزلت

نزلت

الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى فمر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملى وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسى فشدى على الضبة بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال اذهب فادعه لى فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فكسرها فخرج فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله ولا أرفع صوتى أبدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله

(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الاية قال أنس فكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن به في طوله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد واخبره حتى يسترد درعي وأت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان وفلان من رقيق عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه له فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال أبو هريرة (١٨٣) وابن عباس لما نزلت هذه الآية

نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون أنزلت في وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملي وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلبتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربتها بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال أنس فكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم أن فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع علي برمته فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان من رقيق عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فأنزل الله تعالى ان الذين يغضون أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أي اجلالا له وتعظيما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم) * قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا

كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فأنزل الله تعالى ان الذين يغضون أصواتهم يخفضون أصواتهم عند رسول الله اجلالا له (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قرأ العامة بضم الجيم وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم وهما لغتان وهي جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة بن حصن وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون ذراريهم فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في أهله فلما رأتهم الذراري أجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا قبل أن يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا ويصيحون حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على ديننا فقالوا نعم فقال سبرة اني لا أحكم بينهم الا وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم وأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات

(أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) قال مقاتل لكان خيرا لهم لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء (والله غفور رحيم) وقال قتادة نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب وروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج إلينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين (١٨٤) فقالوا نحن ناس من بني تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا ما عندكم فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فقام فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبيا تا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجابه فقام الأقرع بن حابس فقال إن محمدا لمؤتى له والله ما أدري ما هذا الأمر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن من خطيبنا قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وأزرى به بعضهم وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآيات الأربع إلى قوله غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فأنزل الله هذه الآيات * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن بني المصطلق منعوا صدقاتهم وأرادوا قتالي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لئن لم تنتهوا لأبعثن إليكم رجلا كنفسي يقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على فخذ علي رضي الله عنه وقال هو هذا فأقبل الوفد يعتذرون ويقولون يا رسول الله ما كنا نرى أن بعثك إلينا إلا لأنك غضبت علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه ورسوله فأنزل الله تعالى هذه الآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الآية نزلت في رجلين من الأنصار كان بينهما حائط فتداعيا إلى السلاح فقال أحدهما لصاحبه لآتينك برجال يشهدون عليك بالظلم فقال له ص

القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلناه من حق الله عز وجل فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي له ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم ترذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أي بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا أي فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق (ان تصيبوا) اي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي (قوما بجهالة) اي جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم (فتصبحوا على ما فعلتم) أي من اصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله) أي فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الامر) أي مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) أي لاثمتم وهلكتم عن أبي سعيد الخدري انه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أي جعله أحب الاديان اليكم (وزينه) أي حسنه وقربه منكم وادخله (في قلوبكم) حتى اخترتموه لان من أحب شيأ اذا طال عليه قد يسأم منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا إله الا الله والعصيان في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم أي أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أي فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) أي بكم وبما في قلوبكم (حكيم) في أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم * قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن أنس قال قيل

فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد اليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقومه وقال له انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم ترذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعني الوليد ابن عقبة بنبأ بخبر فتبينوا (أن تصيبوا) كي لا تصيبوا بالقتل والقتال (قوما) برآء (بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) من اصابتكم بالخطأ (واعلموا أن فيكم رسول الله) فاتقوا الله ان تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الامر) مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) لاثمتم وهلكتم والعنت الاثم والهلاك (ولكن الله حبب اليكم الايمان) فجعله أحب الاديان اليكم (وزينه) حسنه (في قلوبكم) حتى اخترتموه وتطيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله ثم عاد من الخطاب الى الخبر وقال (أولئك هم الراشدون) المهتدون (فضلا) أي كان هذا فضلا (من الله ونعمة والله عليم حكيم) قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)

فأصلحوا بينهما) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا معمر قال سمعت أبي يقول ان أنسا قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ويروى انها لما

للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فأصلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن أسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية وأردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال لا تغيروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مماراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن بينهما قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها الى علية وحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاءه قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج (فأصلحوا بينهما) أي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) أي تعدت (احداهما على الاخرى) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع (الى أمر الله) أي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي أمر به (فان فاءت) أي رجعت الى الحق (فأصلحوا بينهما بالعدل) أي الذي يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) أي اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين (انما المؤمنون اخوة) أي في الدين والولاية وذلك أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وأن بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

أبى الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

(فأصلحوا بين أخويكم) أي اذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) أي فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (لعلكم ترحمون)

نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مماراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن بينهما قتال بالسيوف وقال سفيان عن السدي كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه واقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت احداهما) تعدت احداهما (على الاخرى) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) ترجع (الى أمر الله) (ق) في كتابه وحكمه (فان فاءت) رجعت الى الحق (فأصلحوا بينهما بالعدل) بحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) اعدلوا (ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة) في الدين والولاية (فأصلحوا بين أخويكم) اذا اختلفا واقتتلا قرأ يعقوب بين اخوتكم بالتاء على الجمع (واتقوا الله) فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (لعلكم ترحمون) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن عقيل عن الزهري عن سالم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة

من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وفى هاتين الآيتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين يدل عليه ماروى عن الحارث الاعور أن على بن أبى طالب رضى الله عنه سئل وهو القدوة فى قتال أهل البغى عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا اماما فالحكم فيهم أن يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى طاعته فان أظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم فى قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على رضى الله عنه يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح وأتى على رضى الله عنه يوم صفين بأسير فقال له لا أقتلك صبرا انى أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدى الطائفتين على الاخرى فى حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال كثيرة ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما علمته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أتلفه أما من لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تاويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا فهم كقطاع الطريق وروى ان عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال على كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفئ ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدأكم بقتال وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان فى أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى صلعم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لاحد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا يجلس فيه قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلعم يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلعم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى وفد بنى تميم الذين ذكرناهم كانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب النبى صلعم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبى حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى فى الذين آمنوا منهم يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أى رجال من رجال والقوم اسم يجمع الرجال والنساء وقد يختص بجمع الرجال

(ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ فصل فى حكم قتال البغاة ﴾ قال العلماء فى هاتين الآيتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ماروى عن على بن أبى طالب وهو القدوة فى قتال أهل البغى وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم أن يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان أظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يفيؤا الى طاعته ثم الحكم فى قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه وأتى على يوم صفين بأسير فقال لا أقتلك صبرا انى أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدى الطائفتين على الاخرى فى حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تاويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق فى الحكم وروى أن عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال على كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفئ ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نزلت فى ثلاثة أسباب السبب الاول من أولها

الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان فى أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بينه و بينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى وفد بنى تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب و بلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبى حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أى لا يستهزئ غنى بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثانى قوله (ولا نساء من نساء) أى لا يستهزئ نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) روى عن أنس انها نزلت فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيى قال لها بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودى فبكت فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت قالت لى حفصة انى بنت يهودى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبى وعمك لنبى وانك لتحت نبى ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقى الله يا حفصة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب) عن أبى جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الانصارى قال فينا نزلت هذه الآية فى بنى سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أخرجه أبو داود وفى الترمذى قال كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذى حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أى لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم فى بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كأنفسكم فاذا عاب عائب أحدا بعيب فكأنه عاب نفسه وقيل لا يخلو أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب أى لا تدعوا الانسان بغير ما سمى به وقال ابن عباس التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر فقيل كان الرجل اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكره المنادى به أو يفيد ذما له فأما الالقاب التى صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهها المدعو بها وأما الالقاب التى تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابى بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلى أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بئس الاسم أن تقولوا له يا يهودى أو يا نصرانى بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق و بئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) أى من ذلك كله (فأولئك هم الظالمون) أى الضارون لا نفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل

(عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) روى عن أنس انها نزلت فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عيرن أم سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيى بن أخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض (ولا تنابزوا بالالقاب) التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب وهو ان يدعى الانسان بغير ما سمى به قال عكرمة وهو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك قال عطاء هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وروى عن ابن عباس قال التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بئس الاسم أن يقول له يا يهودى أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب وقيل معناه ان من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق و بئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت الآية في رجلين اغتاب رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما شيأ فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام وادام فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيئ فرجع سلمان اليهما وأخبرهما فقالا كان عند أسامة طعام ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا لو بعثناك الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند

أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وأراد ان يظن بأهل الخير شرا (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو ان تظن وتتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان تظن ولا تتكلم (ولا تجسسوا) التجسس هو البحث عن عيوب الناس نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن

ظلموا الذين قالوا لهم ذلك * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيأ لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتني عيناي فنمت قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادم فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيئ فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان واسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن بأهل الخير سوءا نهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ أو يدخل مدخلا لا يريد به سوأ فيراه أخوه المسلم فيظن شرا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا فاما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم (ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى

أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي بها أنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرايني أنا أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسمعيلي أنا عبد الله بن ناجية ثنا يحيى بن أكثم أنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أبي أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورات المسلمين يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك وقال زيد بن وهب قيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيأ نأخذ به

(ولا يغتب بعضكم بعضا) يقول لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن المفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو الطاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن المثنى بن الصباح عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده انهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا لا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتموه فقالوا انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت أخاك بما فيه قوله عز وجل (أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل لهم أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك وهو ميت لا يحس بذلك أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا الفريابي ثنا محمد بن المصفى ثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج حدثني صفوان بن عمرو ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن [illegible] في مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم قال ميمون بن سيار بينا أنا نائم اذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول كل قلت ياعبد الله ولم آكل قال بما اغتبت عبد فلان فقلت والله اذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك استمعت ورضيت به فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده أحدا (واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية قال ابن عباس نزلت في ثابت بن

قلو بكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة (م) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة * قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالت الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قلت وان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة * قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه آكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا بلغ في الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم اخرجه ابو داود وقال ميمون ابن سيار بينا انا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب احدا عنده * قوله تعالى (واتقوا الله) اي في امر الغيبة واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) * قوله عز وجل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) قال ابن عباس نزلت في ثابت بن [illegible] س بن شماس وقوله

في الرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الآية وفي الذي لم يتفسح يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا وقال مقاتل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم قال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل ابن عمرو ان يرد الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان اني لا أقول شيأ أخاف أن يخبر به رب السماء فأتى جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فانزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء أي انكم متساوون في النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهي رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر والشعب من الاضداد يقال شعب أي جمع وشعب أي فرق (وقبائل) وهي دون الشعوب واحدتها قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهي كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهي كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهي كبني هاشم وبني أمية من لؤي ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من بني هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شيء يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى أحد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل الذين ينتسبون الى آبائهم (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قيل أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالون قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا أحكام الشرع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجلان برتقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر

ان الله عليم خبير) قال قتادة فى هذه الآية ان أكرم الكرم التقوى والآثام الفجور أخبرنا ابو بكر بن أبى الهيثم الزاهى انا ابو محمد عبد الله ابن احمد بن حمويه انا ابراهيم بن خزيم الشاشى ثنا عبد الله بن حميد ثنا يونس بن محمد ثنا سلام بن أبى مطيع عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى أخبرنا ابو بكر ابن ابى الهيثم انا عبد الله بن احمد بن حمويه انا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد الله بن حميد انا الضحاك بن مخلد عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن النبى صلعم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد منا خا فنزل على أيدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان برتقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد هو ابن سلام ثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلعم أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم (١٩٢) قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله

الله لى ولكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعنى كبرها وفخرها (ان الله عليم) أى بظواهركم ويعلم أنسابكم (خبير) أى ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهى ويأتى بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب فى الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقى لم يترك ما أمر به ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله وايا كم من المتقين * قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت فى نفر من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فأفسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بانفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فأنزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا أى صدقنا (قل لم تؤمنوا) أى لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) أى استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) أخبر أن حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم الى فقلت مالك عن فلان والله انى لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه زاد

قالوا ليس عن هذا نسألك
قال فمن معادن العرب
تسألونى قالوا نعم قال فخياركم
فى الجاهلية خياركم فى الاسلام
اذا فقهوا أخبرنا اسمعيل
ابن عبد القاهر انا عبد الغافر
ابن محمد انا محمد بن عيسى
الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد
ابن سفيان ثنا مسلم بن
الحجاج ثنا عمرو الناقد ثنا
كثير بن هشام ثنا جعفر بن
برقان عن يزيد بن الاصم
عن أبى هريرة قال قال رسول
الله صلعم ان الله لا ينظر الى
صوركم وأموالكم ولكن
ينظر الى قلوبكم وأعمالكم
قوله تعالى (قالت الاعراب
آمنا) الآية نزلت فى نفر
من بنى أسد بن خزيمة قدموا
على رسول الله صلعم فى سنة
جدبة فاظهروا الاسلام
ولم يكونوا مؤمنين فى السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها

فى
وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على النبى صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقال السدى نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم واشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا فانزل الله عز وجل هذه الآية فيهم قالت الاعراب آمنا صدقنا (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) فاخبر ان حقيقة الايمان التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن غرير الزهرى ثنا يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب اخبرنى عامر ابن سعد عن أبيه قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فيهم قال فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رجلا

لم يعطه وهو أعجبهم الى فقمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت مالك عن فلان والله انى لاراه مؤمنا قال أو مسلما قال فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله انى لاراه مؤمنا قال أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله انى لاراه مؤمنا قال أو مسلما قال انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه فالاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة يقال أسلم الرجل اذا دخل فى السلم كما يقال أشتى الرجل اذا دخل فى الشتاء وأصاف اذا دخل فى الصيف وأربع اذا دخل فى الربيع فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لابراهيم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم (وان تطيعوا الله ورسوله) ظاهرا و باطنا سرا وعلانية قال ابن عباس تخلصوا الايمان (لا يلتكم) (١٩٣)

قرأ أبو عمرو يالتكم بالالف كقوله تعالى وما ألتناهم والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم يقال ألت يألت ألتا ولات يليت ليتا اذا نقص (من أعمالكم شيأ) أى لا ينقص من ثواب أعمالكم شيأ (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا فى دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فأنزل الله عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) والتعليم ههنا بمعنى الاعلام ولذلك قال بدينكم وأدخل الباء فيه يقول أتخبرون الله بدينكم الذى أنتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) أى لا يحتاج الى اخباركم (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم) أى باسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) وفى مصحف عبد الله اذ هداكم للايمان (ان كنتم صادقين) انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالتاء

﴿ سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقال القرظى هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والفابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء منه خضرة السماء والسماء

فى رواية قال الزهرى فترى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدى اعلم أن الاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله لابراهيم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين * فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول * قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم والايمان أخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمر اغيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم * وقوله تعالى (وان تطيعوا الله و رسوله) أى ظاهرا و باطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان (لا يلتكم) أى لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ) أى من ثواب أعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) أى فى ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فأنزل الله عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أنتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى لا تخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) أى لا يحتاج الى اخباركم (يمنون عليك ان أسلموا) هو قولهم أسلمنا ولم نحارب ك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك ان اسلامهم لم يكن خالصا (قل لا تمنوا على اسلامكم) أى لا تعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أى لله المنة عليكم ان أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) أى انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ فى السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) أى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة ق مكية ﴾

وهى خمس وأربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم

مقببة عليه وعليه كتفاها ويقال هو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة وقيل معناه قضى الأمر اوقضى ماهو كائن كما قالوا فى حم (والقرآن المجيد) الشريف الكريم على الله الكثير الخير واختلفوا فى جواب هذا القسم فقال أهل الكوفة جوابه بل عجبوا وقيل جوابه محذوف مجازه والقرآن المجيد لتبعثن وقيل جوابه قوله ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا وجوابات القسم سبعة ان الشديدة كقوله والفجر وليال عشر ان ربك لبالمرصاد وما النفى كقوله والضحى ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين وان الخفيفة كقوله تعالى تالله ان كنا لفى ضلال مبين ولا كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وقد كقوله تعالى والشمس وضحاها قد أفلح من زكاها وبل كقوله والقرآن المجيد (بل عجبوا أن جاءهم منذر) مخوف (منهم) يعرفون نسبه وصدقه وأمانته (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع) أى رد الى الحياة (بعيد) غير كائن أى يبعد ان نبعث بعد الموت قال الله عز وجل (١٩٤) (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أى ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شئ قال السدى هو الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن أن يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ وقيل حفيظ أى حافظ لعددهم وأسمائهم (بل كذبوا بالحق) بالقرآن (لما جاءهم فهم فى أمر مريج) مختلط قال سعيد بن جبير ومجاهد وملتبس قال قتادة فى هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج أمرهم وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال هو انهم يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ويقولون للقرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم ثم دلهم على قدرته فقال (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) بغير عمد طوالا (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج (والارض مددناها) بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) حسن كريم يبتهج به أى يسر بنظره (تبصرة) أى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أى تبصيرا وتذكيرا (لكل عبد منيب) أى ليبصر ويذكر به (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير الخير وفيه حياة كل شئ وهو المطر (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) يعنى البر والشعير وسائر الحبوب التى تحصد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما يقال مسجد الجامع ورمضان الشهر وقيل حب الحصيد أى وحب النبت الحصيد (والنخل باسقات) قال مجاهد وعكرمة وقتادة طوالا يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت وقال سعيد بن جبير مستويات

من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الامر أوقضى ماهو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ماوراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا فى جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) أى معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) أى حين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) أى يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أى ما تأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ (وعندنا) أى مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ أى من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أى حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق) أى بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم فى أمر مريج) أى مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون فى القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل فى هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) أى بغير عمد (وزيناها) أى بالكواكب (وما لها من فروج) أى شقوق وصدوع (والارض مددناها) أى بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أى من كل صنف حسن كريم يبتهج به أى يسر به (تبصرة) أى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أى تذكرة (لكل عبد منيب) أى راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) أى بساتين (وحب الحصيد) يعنى البر والشعير وسائر الحبوب التى تحصد (والنخل باسقات) أى

(لها طلع) ثمر وحمل سمي بذلك لانه يطلع والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق (نضيد) متراكب منضود بعضه على بعض فى أكمامه فاذا خرج من أكمامه فليس بنضيد (رزقا للعباد) أى جعلناها رزقا للعباد (وأحيينا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) أنبتنا فيها الكلأ (كذلك الخروج) من القبور قوله عز وجل (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع) وهو تبع الحميرى واسمه أسعد أبو كرب قال قتادة ذم الله قومه ولم يذمه ذكرنا قصته فى سورة الدخان (كل كذب الرسل) أى كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل (فحق وعيد) وجب لهم عذابى ثم أنزل جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد (أفعيينا بالخلق الاول) يعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة وهذا تقرير لهم لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شئ عيى به (بل هم فى لبس) أى فى شك (من خلق جديد) وهو البعث (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه) أعلم به (من حبل الوريد) لان أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شئ وحبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق فى سائر البدن والحبل هو الوريد فأضيف الى نفسه

لاختلاف اللفظين (اذ يتلقى المتلقيان) اذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه (عن اليمين وعن الشمال) أى أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب السيئات (قعيد) أى قاعد ولم يقل قعيدان لانه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى باحدهما عن الآخر هذا قول أهل البصرة وقال أهل الكوفة أراد قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع كما قال الله تعالى فى الاثنين فقولا انا رسول رب العالمين قيل أراد بالقعيد الملازم الذى لا يبرح لا القاعد الذى هو ضد القائم قال مجاهد القعيد الرصيد (ما يلفظ من قول) ما يتكلم من كلام فيلفظه أى يرميه من فيه (الا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر أينما كان قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه فى مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى انا الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى ثنا اسمعيل بن جعفر بن حمدان ثنا الفضل بن عباس بن مهران ثنا طالوت ثنا حماد بن سلمة أنا جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر

طوالا وقيل مستويات (لها طلع) أى ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل أن يتشقق (نضيد) أى متراكب بعضه على بعض فى أكمامه فاذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد (رزقا) أى جعلنا ذلك رزقا (للعباد وأحيينا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) فأنبتنا فيها الكلأ والعشب (كذلك الخروج) أى من القبور أحياء بعد الموت * قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الأيكة) قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال اخوان لوط (وقوم تبع) هو أبو كرب أسعد تبع الحميرى وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم (كل كذب الرسل فحق وعيد) أى كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدى أى وجب لهم عذابى وقيل فحق وعيدى للرسل بالنصر (أفعيينا بالخلق الاول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث (بل هم فى لبس) أى شك (من خلق جديد) وهو البعث * قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أى ما يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه أى نحن أعلم به منه والوريد العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان أجزاء الانسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شئ وقيل يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه (اذ يتلقى المتلقيان) أى يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن اليمين وعن الشمال) يعنى ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات (قعيد) أى قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد بالقعيد الملازم الذى لا يبرح (ما يلفظ من قول) أى ما يتكلم من كلام يخرج من فيه (الا لديه رقيب) أى حافظ (عتيد) أى حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان أن يتكلم فى هاتين الحالتين حتى لا يؤذى الملائكة بدنوهما

(وجاءت سكرة الموت) غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أي بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة ويقال لمن جاءته سكرة الموت (ذلك ما كنت منه تحيد) تميل قال الحسن تهرب قال ابن عباس تكره وأصل الحيد الميل يقال حدت عن الشيء أحيد حيدا ومحيدا اذا مللت عنه (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه قال مقاتل يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد (وجاءت) ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) يسوقها الى المحشر (وشهيد) يشهد عليها بما عملت وهو عمله قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدي والارجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقال الآخرون هما جميعا من الملائكة فيقول الله لها (لقد كنت في غفلة من هذا) اليوم في الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك (فبصرك اليوم حديد) نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا وروى عن مجاهد قال يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) الملك الموكل به (هذا ما لدي عتيد) معد محضر وقيل ما بمعنى من وقال مجاهد يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله فيقول الله عز وجل لقرينه (ألقيا في جهنم) هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يقولون ويلك ارحلاها وازجراها وخذاها واطلقاها للواحد قال الفراء وأصل ذلك ان أدنى أعوان الرجل في ابله وغنمه وسفره اثنان فجرى كلام الواحد على صاحبيه ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي وقال الزجاج هذا أمر للسائق والشهيد وقيل للمتلقيين (كل كفار عنيد) عاص معرض عن الحق قال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله (مناع للخير) أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله (معتد) أي ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) أي شاك في التوحيد (الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد) يعني النار (قال قرينه) يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر (ربنا ما أطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما أضللته وما أغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) الله

منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له أجر وثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه أن ينظف عنفقته روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر * قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) أي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أي بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) أي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت) أي في ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أي يسوقها الى المحشر (وشهيد) أي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت في غفلة من هذا) أي من هذا اليوم في الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) أي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) يعني الملك الموكل به (هذا ما لدي) أي عندي (عتيد) أي معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله (ألقيا في جهنم) أي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل كفار) أي شديد الكفر (عنيد) أي عاص معرض عن الحق معاند لله فيما أمره به (مناع للخير) أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله (معتد) أي ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) أي شاك في التوحيد (الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد) يعني النار (قال قرينه) يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر (ربنا ما أطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما أضللته وما أغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) الله تعالى

(لاتختصموا لدى) وقد قدمت اليكم بالوعيد) فى القرآن وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول وقضيت عليكم ما أنا قاض (ما يبدل القول لدى) لا تبديل لقولى وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال قوم معنى قوله ما يبدل القول لدى أى لا يكذب القول عندى ولا يغير القول عن وجهه لانى أعلم الغيب وهذا قول الكلبى واختيار الفراء لانه قال ما يبدل القول لدى ولم يقل ما يبدل قولى (وما أنا بظلام للعبيد) فاعاقبهم بغير جرم (يوم نقول لجهنم) قرأ نافع وأبو بكر بالياء أى يقول الله لقوله قال لاتختصموا لدى وقرأ الآخرون بالنون (هل امتلأت) وذلك لما سبق لها من وعده اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله عزوجل لتصديق خبره وتحقيق

تعالى (لاتختصموا لدى) أى لا تعتذروا عندى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابى فى الآخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدى) أى لا تبديل لقولى وهو قوله عزوجل لأملأن جهنم وقضيت عليكم ما أنا قاض فلا يغير قولى ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندى ولا يغير القول عن وجهه لانى علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى بدل عليه انه قال ما يبدل القول لدى ولم يقل ما يبدل قولى (وما أنا بظلام للعبيد) أى فأعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فأزيد على اساءة المسىء أو أنقص من احسان المحسن * قول عزوجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعنى جهنم (هل من مزيد) يعنى تقول قد امتلات ولم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكارى وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلات قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شئ فتقول ألست قد أقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلات وليس فى مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه أحدا

﴿ فصل ﴾ هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفى أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم فى تأويلها بل نؤمن بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ فى اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان فى المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض أظهر التأويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعى العقلى على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أى حسبى حسبى قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعنى انه يستحيل الظلم فى حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى * قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أى قربت وأدنيت (للمتقين) أى الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعنى انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل أن يدخلوها (هذا ما توعدون) أى يقال لهم هذا الذى وعدتم به فى الدنيا

وعده (وتقول) جهنم (هل من مزيد) قيل معناه قد امتلات فلم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكار هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان وقيل هذا استفهام بمعنى الاستزادة وهو قول ابن عباس فى رواية أبى صالح وعلى هذا يكون السؤال بقوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شئ فتقول ألست قد أقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها تعالى عما يقول الظالمون ثم يقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت فليس فى مزيد أخبرنا ابو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحميدى انا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا ابو عبد الله

الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسى انا ابو حاتم محمد بن ادريس الرازى ثنا آدم بن ابى اياس العسقلانى ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوى بعضها الى بعض ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنه فضول الجنة (وأزلفت الجنة) قربت وأدنيت (للمتقين) الشرك (غير بعيد) ينظرون اليها قبل أن يدخلوها (هذا ما توعدون) قرأ ابن كثير بالياء والاخرون بالتاء يقال لهم هذا الذى ترونه ما توعدون على ألسنة الانبياء عليهم السلام

(لكل أوّاب) رجاع الى الطاعة عن المعاصي قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقال الضحاك هو التواب وقال ابن عباس وعطاء هو المسبح من قوله يا جبال أوّبي معه وقال قتادة هو المصلي (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه أيضا هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها و يستغفر منها قال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه قال الضحاك الحافظ على نفسه المتعهد لها قال الشعبي المراقب قال سهل بن عبد الله هو المحافظ على الطاعات والاوامر (من خشي الرحمن بالغيب) محل من جر على نعت الاوّاب وقيل رفع على الاستئناف ومعنى الآية من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد قال الحسن اذا أرخى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) مخلص مقبل الى طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوها أي ادخلوا الجنة (بسلام) بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها) وذلك انهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤا ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه وهو قوله (ولدينا مزيد) يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم وقال جابر وأنس هو النظر الى وجه الله الكريم قوله عز وجل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد) ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق (هل من محيص) فلم يجدوا محيصا من أمر الله وقيل هل من محيص مفر من الموت فلم يجدوا فيه انذار لاهل مكة انهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرا عن الموت يموتون فيصيرون الى عذاب الله (ان في ذلك) فيما ذكرت من العبر والعذاب واهلاك القرى (لذكرى) تذكرة وعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل قال الفراء هذا جائز في العربية تقول ما لك قلب وما قلبك معك أي ما عقلك فقوله معك وقيل له قلب حاضر مع الله (أو ألقى السمع) استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره تقول العرب ألق الي سمعك يعني استمع (وهو شهيد) يعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله عز وجل (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) اعياء وتعب نزلت في اليهود حيث قالوا يا محمد أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الايام الستة فقال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين والجبال يوم الثلاثاء والمدائن والانهار والاقوات يوم الاربعاء والسموات والملائكة يوم الخميس الى ثلاث ساعات من يوم الجمعة وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال وفي الثانية الآفة وفي الثالث آدم قالوا صدقت ان أتممت قال وماذا قالوا ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم

على ألسنة الانبياء (لكل أواب) أي رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التوّاب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها و يستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر (من خشي الرحمن بالغيب) أي خاف الرحمن فأطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد اذا أرخى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أي مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أي في الجنة لانه لا موت فيها (لهم ما يشاؤن فيها) وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مسئلتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده مما لم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد * قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا) يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف (فنقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصا أي مهربا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه * قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما

(فاصبر على ما يقولون) من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أي صل حمدا لله (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعني صلاة العصر وروى عن ابن عباس قال قبل الغروب الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة المغرب والعشاء وقال مجاهد ومن الليل أي صلاة الليل أي وقت صلى (وأدبار السجود) قرأ أهل الحجاز وحمزة وادبار السجود بكسر الهمز مصدر أدبر ادبارا وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس وروى عنه مرفوعا هذا قول أكثر المفسرين أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو أيوب الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين امام الصبح أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا صالح بن عبد الله ثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة ابن أبي أوفى عن سعيد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن المثنى ثنا بدل بن المحبر ثنا عبد الملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود انه قال ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال مجاهد قوله أدبار السجود هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات أخبرنا أبو الحسين طاهر بن الحسين الدورقي الطوسي بها أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن أيوب أنا مسدد ثنا خالد هو ابن عبد الله ثنا سهيل عن أبي عبيد عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا اسحق أنا يزيد أنا ورقاء عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال كيف ذاك قال صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا اموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا

فقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى أفعيينا بالخلق الاول الآية وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك ان الاحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام أجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت * قوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أي صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) أي صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعني صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل أي وقت صلى (وأدبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما أدبار السجود الركعتان بعد المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر (م) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وأدبار السجود التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح في أدبار الصلوات كلها يعني قوله وأدبار السجود (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله عز وجل (واستمع يوم ينادي المنادمن مكان قريب) اى واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي قال مقاتل يعني اسرافيل ينادي بالحشر يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي وسط الارض قال الكلبي هي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا (يوم يسمعون الصيحة بالحق) وهي الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا) جمع سريع أي يخرجون سراعا

(ذلك حشر علينا) جمع علينا (يسير نحن أعلم بما يقولون) يعني كفار مكة في تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) اى ما أوعدت من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لوخوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد

﴿ سورة الذاريات مكية وهي ستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والذاريات ذروا) يعني الرياح التي تذرو التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب وأذرت (فالحاملات وقرا) يعني السحاب التي تحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) هي السفن تجري في الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) هي الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به اقسم بهذه الاشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته ثم ذكر المقسم عليه فقال (ان ما توعدون) من الثواب والعقاب (لصادق وان الدين) الحساب والجزاء (لواقع) لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى يقال للنساج اذا نسج الثوب فأجاد ما احسن حبكه قال سعيد بن جبير ذات الزينة قال الحسن حبكت بالنجوم قال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها

فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلينا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا * قوله تعالى (واستمع يوم ينادي المناد) يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي في وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أي الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) أي من القبور (انا نحن نحيي) أي في الدنيا (ونميت) يعني عند انقضاء الاجل (والينا المصير) أي في الآخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) أي هين (نحن أعلم بما يقولون) يعني كفار مكة في تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لوخوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أي عظ بالقرآن من يخاف وعيدي والله أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الذاريات مكية ﴾

وهي ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (والذاريات ذروا) يعني الرياح التي تذرو التراب (فالحاملات وقرا) يعني السحاب تحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) يعني الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتملأه ثم تجري به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ما توعدون) أي من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) أي لحق (وان الدين) أي الحساب والجزاء (لواقع) أي لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وهي جمع حبيكة وجواب القسم

قوله (انكم) يا أهل مكة (لفي قول مختلف) في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر ومجنون وقيل لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذب به يعني من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل عن بمعنى من أجل أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الايمان من يصرف، وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان وهذا معنى قول مجاهد (قتل الخراصون) لعن الكذابون يقال تخرص على فلان الباطل وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الاسلام وقال مجاهد هم الكهنة (الذين هم في غمرة) غفلة وعمى وجهالة (ساهون) لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وهو ذهاب القلب عنه (يسئلون أيان يوم الدين) يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله عز وجل (يوم هم) أي يكون هذا الجزاء في يوم هم (على النار يفتنون) أي يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وقيل على بمعنى الباء أي بالنار وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا تكذيبا به (ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم) أعطاهم (ربهم) من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخولهم الجنة (محسنين) في الدنيا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) والهجوع النوم بالليل دون النهار وما صلة والمعنى كانوا يهجعون قليلا من الليل أي يصلون أكثر الليل وقيل معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلا وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيأ اما من أولها أو من أوسطها قال أنس بن مالك كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة قال مطرف بن عبد الله بن الشخير قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها قال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل ووقف بعضهم على قوله قليلا أي كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون وجعله جحدا أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل (وبالاسحار هم يستغفرون) قال الحسن لا ينامون من الليل الا أقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر ثم أخذوا في الاستغفار وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل وبالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي أنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من الذي يدعوني فاستجيب له من الذي يسألني فاعطيه من الذي يستغفرني فاغفر له أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاوس سمع

لبعدها من الناس وجواب القسم قوله (انكم) يعني يا أهل مكة (لفي قول مختلف) يعني في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذب به وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به (قتل الخراصون) أي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم في غمرة) أي في غفلة وعمى وجهالة (ساهون) أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه (يسئلون أيان يوم الدين) أي يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) أي يكون هذا الجزاء في يوم هم (على النار يفتنون) أي يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أي عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أي في الدنيا تكذيبا به * قوله تعالى (ان المتقين في جنات وعيون) يعني في خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) أي ما أعطاهم (ربهم) أي من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف احسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيأ اما من أولها أو من أوسطها وعن أنس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أي من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) أي ربما مدوا عباداتهم الى وقت السحر ثم أخذوا في الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل

ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت

المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت أو لا اله غيرك قال سفيان وزاد عبد الكريم أبو أمية ولا حول ولا قوة الا بالله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا صدقة أنا الوليد عن الاوزاعي حدثني عمير بن هانئ حدثني جنادة بن أبي أمية حدثني عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال رب اغفر لي أو قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت * قوله عز وجل (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم ولا يجري عليه من الفيء شئ هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب قال المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم ومعناه في اللغة الذي منع الخير والعطاء وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقال زيد بن أسلم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الحاجة ثم قرأ انا لمغرمون بل نحن محرومون (وفي الارض آيات) عبر (للموقنين) اذا سار وا فيها من الجبال والبحار والاشجار والثمار وأنواع النبات (وفي أنفسكم) آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى أن تنفخ فيها الروح وقال عطاء عن ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقال ابن الزبير يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين

وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيء الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

﴿فصل﴾ هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد في رواية وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت أو لا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي أو قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت * قوله عز وجل (وفي أموالهم حق) أي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة (للسائل) أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شئ قال ابن عباس رضي الله عنهما المحروم الذي ليس له في فيء الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ (وفي الارض آيات) أي عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفي أنفسكم) أي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى أن تنفخ الروح وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اختلاف

(أفلا تبصرون) قال مقاتل أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق (وما توعدون) قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار ثم أقسم بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه لحق) أى ماذكرت من أمر الرزق لحق (مثل) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم مثل برفع اللام بدلا من الحق وقرأ الآخرون بالنصب أى كمثل (ما أنكم تنطقون) فتقولون لا اله الا الله وقيل شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمى كما تقول انه لحق كما أنت ههنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء يعنى كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق

نفسه الذى قسم له ولا يقدر أن يأكل رزق غيره قوله عز وجل (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) ذكرنا عددهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقد قال الله تعالى فى وصفهم بل عباد مكرمون وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وكان ابراهيم أكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد خدمته بنفسه اياهم وروى عن ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاؤا غير مدعوين وروينا عن النبى صلعم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أى غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) أى عدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) أى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعى اليه فلما لم يأكلوا (قال ألا تأكلون) يعنى انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير أن يأمرهم (فاوجس) أى فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وقيل عليم أى نبى (فاقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه (فى صرة) أى فى صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيأ (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيأ (وقالت عجوز عقيم) معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبكم (أيها

الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقويم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن آدم (أفلا تبصرون) يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وما توعدون) يعنى من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه لحق) أى ماذكر من الرزق وغيره (مثل ما أنكم تنطقون) أى بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره * قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) يعنى هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبى شريح العدوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أى غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) أى عدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) أى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعى اليه فلما لم يأكلوا (قال ألا تأكلون) يعنى انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير أن يأمرهم (فاوجس) أى فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وقيل عليم أى نبى (فاقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه (فى صرة) أى فى صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيأ (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيأ (وقالت عجوز عقيم) معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبكم (أيها غير استئذان وقال ابو العالية أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) فعدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) مشوى (فقربه اليهم) ليأكلوا فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة) أى صيحة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقول القائل أقبل يشتمنى يعنى أخذ فى شتمى أى أخذت تولول كما قال الله تعالى قالت ياويلتى (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقال الآخرون جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا كعادة النساء اذا أنكرن شيأ وأصل الصك ضرب الشئ بالشئ العريض (وقالت عجوز عقيم) مجازه أتلد عجوز عقيم وكانت سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم قال) ابراهيم (فما خطبكم أيها

المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين مسوّمة) معلمة (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس للمشركين والشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فأخرجنا من كان فيها) أي في قرى قوم لوط (من المؤمنين) وذلك قوله فأسر بأهلك بقطع من الليل (فما وجدنا فيها غير بيت) أي غير أهل بيت (من المسلمين) يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم (وتركنا فيها) أي في مدينة قوم لوط (آية) عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) أي علامة للخائفين تدلهم على ان الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم (وفي موسى) أي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة وقيل هو معطوف على قوله وفي الارض آيات للموقنين وفي موسى (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة (فتولى) أي فأعرض وأدبر عن الايمان (بركنه) أي بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوى بهم كالركن الذي يقوّى به البنيان نظيره قوله أو آوي الى ركن شديد (وقال ساحر أو مجنون) قال أبو عبيدة أو بمعنى الواو (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أغرقناهم فيه (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفي عاد)

أي وفي اهلاك عاد أيضا آية (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ما تذر من شيء أتت عليه) من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم وأموالهم (الا جعلته كالرميم) كالشيء الهالك البالي وهو نبات الارض اذا يبس وديس قال مجاهد كالتبن اليابس قال قتادة كرميم الشجر قال ابو العالية كالتراب المدقوق وقيل أصله من العظم البالي (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعني وقت فناء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة) يعني بعد مضي الايام الثلاثة وهي الموت في قول ابن عباس قال مقاتل يعني العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وقرأ الكسائي الصعقة وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة (وهم ينظرون) يرون ذلك عيانا (فما استطاعوا من قيام) فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) منتقمين منا قال قتادة ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله (وقوم نوح) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وقوم بجر الميم أي وفي قوم نوح وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى وهو ان قوله فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم معناه أغرقناهم كأنه قال أغرقنا هم وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الطاعة * قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أي بقوة وقدرة (وانا لموسعون) قيل هو

المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو الآجر (مسوّمة) أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فأخرجنا من كان فيها) أي في قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) أي أهل بيت (من المسلمين) يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام أعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحادهما ومفهوميهما (وتركنا فيها) أي في مدينة قوم لوط (آية) أي عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم * قوله عز وجل (وفي موسى) أي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة (فتولى) أي أعرض عن الايمان (بركنه) أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوّى بهم (وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فاغرقناهم في البحر (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفي عاد) أي وفي اهلاك عاد أيضا آية وعبرة (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعني التي لا خير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ما تذر من شيء أتت عليه) أي من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم (الا جعلته كالرميم) أي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم اذا بلي (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن طاعة ربهم (فأخذتهم الصاعقة) أي بعد مضي ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أي يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) أي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله (وقوم نوح) قرئ بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الطاعة * قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أي بقوة وقدرة (وانا لموسعون) قيل هو

الحسن المطيقون

(والارض فرشناها) بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) الباسطون نحن قال ابن عباس نعم ما وطأت لعبادي (ومن كل شئ خلقنا زوجين) صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والجنة والنار والحق والباطل والحلو والمر (لعلكم تذكرون) فتعلمون ان خالق الازواج فرد (ففروا الى الله) فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه بالايمان والطاعة قال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله (انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين كذلك) أى كما كذبك قومك يا محمد وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتى الذين من قبلهم) من قبل كفار مكة (من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتواصوا به) أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه (بل هم قوم طاغون) قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك (فتول عنهم) فأعرض عنهم (فما أنت بملوم) لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فأنزل الله تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت أنفسهم قال مقاتل معناه عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من فى علم الله ان يؤمن منهم وقال الكلبى عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) قال الكلبى والضحاك وسفيان هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون ثم قال فى آية أخرى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقال بعضهم وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتى والاشقياء منهم الا لمعصيتى وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الا ليعبدون أى الا لآمرهم ان يعبدونى وادعوهم الى عبادتى يؤيده قوله عز وجل وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا وقال مجاهد الا ليعرفونى وهذا أحسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده دليله قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل معناه الا ليخضعوا لى ويتذللوا ومعنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد فكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر وقيل الا ليعبدوز الا ليوحدوز فاما المؤمن فيوحد فى الشدة والرخاء واما الكافر

هو من السعة أى أوسعنا السماء بحيث صارت الارض ومايحيط بها من السماء والفضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أى الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا ذوو السعة والغنى (والارض فرشناها) أى بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض (لعلكم تذكرون) أى فتعلموا ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه (ففروا الى الله) أى قل يا محمد ففروا الى الله أى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله (انى لكم منه نذير) أى مخوف (مبين) أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) أى وحدوه ولا تشركوا به شيأ (انى لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتى الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة والامم الخالية (من رسول) يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة (الا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتواصوا به) أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) أى أعرض عنهم (فما أنت بملوم) أى لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على أصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فأنزل الله عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم * قوله عز وجل (وما خلقت الجن والانس) أى من المؤمنين (الا ليعبدون) قيل هذا خاص بأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتى والاشقياء منهم الا لمعصيتى

فيوحده فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء بيانه قوله عز وجل فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (ما أريد منهم من رزق) أى ان يرزقوا أحدا من خلقى ولا ان يرزقوا أنفسهم (وما أريد أن يطعمون) أى ان يطعموا أحدا من خلقى وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه كما جاء فى الحديث يقول الله يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى أى فلم تطعم عبدى ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال (ان الله هو الرزاق) يعنى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) وهو القوى المقتدر المبالغ فى القوة والقدرة (فان

وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن أبى طالب الا ليعبدون أى الا لآمرهم ان يعبدونى وأدعوهم الى عبادتى وقيل معناه الا ليعرفونى وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا لى ويتذللوا لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدونى فأما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ما أريد منهم من رزق) أى ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقى ولا ان يرزقوا أنفسهم لانى أنا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وما أريد أن يطعمون) أى ان يطعموا أحدا من خلقى وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه لما صح من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى أخرجه مسلم ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (ان الله هو الرزاق) أى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذى لا يلحقه فى أفعاله مشقة (فان للذين ظلموا) أى من أهل مكة (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أى مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) أى بالعذاب لانهم أخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الطور مكية ﴾

وهى تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (والطور) أراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) أى مكتوب (فى رق) يعنى الاديم الذى يكتب فيه المصحف (منشور) أى مبسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن (والبيت المعمور) يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الصراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج من افراد مسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وفى رواية أخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك

للذين ظلموا) كفروا من أهل مكة (ذنوبا) نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود وأصل الذنوب فى اللغة الدلو العظيمة المملوءة ماء ثم استعمل فى الحظ والنصيب (فلا يستعجلون) بالعذاب يعنى انهم أخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر

﴿ سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والطور) أراد به الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالارض المقدسة أقسم الله تعالى به (وكتاب مسطور) مكتوب (فى رق منشور) الرق ما يكتب فيه وهو أديم المصحف والمنشور المبسوط واختلفوا فى هذا الكتاب قال الكلبى هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيامة منشورة فآخذ بيمينه وآخذ بشماله دليله قوله عز وجل ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (والبيت المعمور) بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الصراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبدا

(والسقف المرفوع) يعنى السماء نظيره قوله عز وجل وجعلنا السماء سقفا محفوظا (والبحر المسجور) قال محمد بن كعب القرظى والضحاك يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم كما قال الله تعالى واذا البحار سجرت وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل بحرا الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال مجاهد والكلبى المسجور المملوء يقال سجرت الاناء اذا ملأته وقال الحسن وقتادة وأبو العالية هو اليابس الذى قد ذهب ماؤه ونضب وقال الربيع بن أنس هو المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن على انه قال فى البحر المسجور هو بحر تحت العرش سعته كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون فى قبورهم هذا قول مقاتل أقسم الله بهذه الاشياء (ان عذاب ربك لواقع) نازل كائن (ماله من دافع) مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكانما صدع قلبى حين سمعته ولم يكن أسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن انى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ثم بين انه متى يقع فقال (يوم تمور السماء مورا) أى تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة قال قتادة تتحرك قال عطاء الخراسانى تختلف أجزاؤها بعضها فى بعض وقيل تضطرب والمور يجمع هذه المعانى فهو فى اللغة الذهاب والمجىء والتردد والدوران والاضطراب (وتسير الجبال سيرا) فتزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا (فويل) فشدة عذاب (يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) يخوضون فى الباطل يلعبون غافلين لاهين (يوم يدعون) يدفعون (الى نار جهنم دعا) دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا فى أقفيتهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (أفسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر والى انه يغطى على الابصار بالسحر فوبخوا به وقيل لهم أفسحر هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) قاسوا شدتها (فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم) الصبر والجزع (انما تجزون ما كنتم تعملون ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم)

لا يعودون يسبحون الله ويقدسونه وفى افراد البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمره كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعنى انه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة (ماله من دافع) أى مانع قال جبير ابن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت له وهو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكانما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن انى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) أى تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) أى تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بأن لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) اى شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) أى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) أى يخوضون فى الباطل (يلعبون) أى غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) أى يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيدى الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزجا فى أقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى فى الدنيا (أفسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسحر هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أى قاسوا شدتها (فاصبروا) أى على العذاب (أولا تصبروا) أى عليه (سواء عليكم) أى الصبر والجزع (انما تجزون ما كنتم تعملون) أى من الكفر والتكذيب فى الدنيا * قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) أى معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أى من الخير والكرامة

ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة) موضوعة بعضها الى جنب بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) قرأ أبو عمرو وأتبعناهم بقطع الالف على التعظيم ذرياتهم بالالف وكسر التاء فيهما لقوله ألحقنا بهم وما ألتناهم ليكون الكلام على نسق واحد وقرأ الآخرون واتبعتهم بوصل الالف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الاخيرة ثم اختلفوا في ذريتهم قرأ أهل المدينة الاولى بغير ألف وضم التاء والثانية بالالف وكسر التاء وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالالف وكسر التاء في الثانية وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء في الاولى ونصبها في الثانية واختلفوا في معنى الآية فقال قوم معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار فالكبار بإيمانهم بانفسهم والصغار بإيمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين (ألحقنا بهم ذريتهم) المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وقال آخرون معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بإيمان آبائهم وهو قول الضحاك

ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخبر الله عز وجل انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيأ فذلك قوله (وما ألتناهم) قرأ ابن كثير بكسر اللام والباقون بفتحها أي ما نقصناهم يعني الآباء (من عملهم من شيء) أخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ابن عبد الله الحديثي ثنا سعيد بن محمد بن اسحق الصيرفي ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا جنادة بن المغلس ثنا قيس بن الربيع ثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الى آخر الآية أخبرنا ابو سعيد الشريحي انا أبو اسحاق الثعلبي انا ابو عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا ابو بكر بن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل حدثني عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال سألت خديجة رضي الله تعالى عنها النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما رأى الكراهية في وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم في الجنة وان المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي (كل امرئ) أي كافر (بما كسب) أي عمل من الشرك (رهين) أي مرتهن بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله

(ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أي يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا) أي مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر مصفوفة) أي موضوعة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان) يعني ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بإيمانهم فالكبار بإيمانهم بأنفسهم والصغار بإيمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد أبويه (ألحقنا بهم ذرياتهم) يعني المؤمنين في الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم يعني البالغين بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بإيمان آبائهم أخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيأ وذلك قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم من شيء) يعني وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيأ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الى آخر الآية عن علي قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما رأى الكراهية في وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم في الجنة وان المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي (كل امرئ) أي كافر (بما كسب رهين) أي مرتهن بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله عز وجل كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال

(وأمددناهم بفاكهة) زيادة على ما كان لهم (ولحم مما يشتهون) من أنواع اللحمان (يتنازعون) يتعاطون ويتناولون (فيها كأسا لا لغو فيها) وهو الباطل وروى ذلك عن قتادة وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها وقال القتيبي لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أي لا يكون منهم ما يؤثمهم قال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا بشربة الخمر وقيل لا يأثمون في شربها (ويطوف عليهم) بالخدمة (غلمان لهم كأنهم) في الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) مخزون مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن جبير مكنون يعني في الصدف قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروى عن الحسن انه لما تلا هذه الآية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم

على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا (قالوا انا كنا قبل في أهلنا) في الدنيا (مشفقين) خائفين من العذاب (فمن الله علينا) بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) قال الكلبي عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من أسماء جهنم (انا كنا من قبل) في الدنيا (ندعوه) نخلص له العبادة (انه) قرأ أهل المدينة والكسائي انه بفتح الالف أي لانه أو بأنه وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف (هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقال الضحاك الصادق فيما وعد (الرحيم فذكر) بالقرآن أهل مكة (فما أنت بنعمت ربك) برحمته وعصمته (بكاهن) تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي (ولا مجنون) نزلت في الذين اقتسموا عقبات مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر (أم يقولون) بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين (شاعر) أي هو شاعر (نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء ويتفرق أصحابه وان أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل (قل تربصوا) انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتربصين) من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تنههم معرفة الحق من الباطل (أم هم) بل هم (قوم طاغون)

لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة) يعني زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أي من أنواع اللحوم (يتنازعون) أي يتعاطون ويتناولون (فيها) أي في الجنة (كأسا لا لغو فيها) أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها (ويطوف عليهم) أي للخدمة (غلمان لهم كأنهم) أي في الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) أي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب * قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا (قالوا انا كنا قبل في أهلنا) أي في الدنيا (مشفقين) أي خائفين من العذاب (فمن الله علينا) أي بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (انا كنا من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم برره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده * قوله عز وجل (فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمت ربك) أي برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذي يوهم انه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن أو مجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون (أم يقولون) يعني هؤلاء المقتسمين (شاعر) أي هو شاعر (نتربص به) أي ننتظر به (ريب المنون) يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل (قل تربصوا) أي انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتربصين) أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي (أم تأمرهم أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون) أي يتجاوزون الحد

أم يقولون تقوّله) أي تخلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل ذلك الا في الكذب وليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه (ان كانوا صادقين) ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه (أم خلقوا من غير شئ) قال ابن عباس من غير رب ومعناه أخلقوا من غير شئ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلا بد له من خالق فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) لا نفسهم وذلك في البطلان أشد لان مالا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي قال الزجاج معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون وقال ابن كيسان أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شئ أي لغير شئ أم هم الخالقون لا نفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والارض) فيكونوا هم الخالقين ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك) قال عكرمة يعني النبوة قال مقاتل أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤا قال

الكلبي خزائن المطر والرزق (أم هم المصيطرون) المسلطون الجبارون قال عطاء أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهي ويفعلون ما شاؤا ويجوز بالسين والصاد جميعا قرأ ابن عامر بالسين ههنا وفي قوله بمسيطر وقرأ حمزة باشمام الزاي فيهما وقرأ ابن كثير ههنا بالسين وبمصيطر بالصاد وقرأ الآخرون بالصاد فيهما (أم لهم سلم) مرقى ومصعد الى السماء (يستمعون فيه) أي يستمعون عليه الوحي كقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل أي عليها أي ألهم سلم يرتقون به الى السماء فيستمعون الوحي ويعلمون ان ما هم عليه حق بالوحي فهم متمسكون به كذلك (فليأت مستمعهم) ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون كقوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (أم تسألهم أجرا) جعلا على ما جئتهم به ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنعهم ذلك عن الاسلام (أم عندهم الغيب) أي علم ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول أعندهم علم الغيب حتى علموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم (فهم يكتبون) قال القتيبي فهم يكتبون أي يحكمون والكتاب الحكم قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين تخاصما اليه أقضي بينكما بكتاب الله أي بحكم الله وقال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أي هم المجزيون بكيدهم يريد ان ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وذلك انهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا بدر

في الطغيان والكفر (أم يقولون تقوّله) أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أي بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه (ان كانوا صادقين) يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه (أم خلقوا من غير شئ) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شئ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) أي لا نفسهم وذلك في البطلان أشد لان مالا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل في معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أي لا نفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والارض) يعني ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون) أي بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) أي المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهي ويفعلون ما يشاؤن (أم لهم سلم) يعني مرقى ومصعدا الى السماء (يستمعون فيه) أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) أي ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) أي بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لا نفسهم (أم تسئلهم أجرا) أي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعني أثقلهم ذلك المغرم الذي سالتهم فمنعهم عن الاسلام (أم عندهم الغيب) أي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى أعلموا أن محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) أي يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) أي مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أي

المجزيون

(أم لهم اله غير الله) يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) قال الخليل ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف (وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لما عاندتهم (هذا سحاب مركوم) بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذي فيه يصعقون) يموتون أي حتى يعاينوا الموت قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء أي يهلكون (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون) أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) كفروا (عذابا دون ذلك) أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقال مجاهد هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان العذاب نازل بهم (واصبر لحكم ربك) الى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم (فانك باعيننا) أي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون الى مكروهك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال أنا ابو منصور أحمد بن الفضل البروجردي انا ابو أحمد بكر بن محمد الصيرفي ثنا أحمد ابن عبد الله النرسي ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله بالليل من حين تقوم من الفراش الى أن تدخل في الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه

المجزبون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (أم لهم اله غير الله) يعني يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى انه نزه نفسه عما يقولون * قوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لما عاندتهم هذا (سحاب مركوم) أي بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) أي يعاينوا (يومهم الذي فيه يصعقون) أي يموتون ويهلكون (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون) أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) أي كفروا (عذابا دون ذلك) أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ان العذاب نازل بهم * قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أي الى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به (فانك بأعيننا) أي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أي وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة لك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله بالليل من حين تقوم من الفراش الى أن تدخل في الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك أخبرنا أبو عثمان الضبي انا أبو محمد الجراحي ثنا ابو العباس المحبوبي ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا الحسن بن عرفة ويحيى بن موسى قالا ثنا أبو معاوية عن حارثة بن أبي الرجال عن عمرة عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين يقوم من الفراش الى أن يدخل في الصلاة أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا ابو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي انا ابو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي ثنا ابو داود سليمان بن الاشعث ثنا محمد بن نافع ثنا زيد بن حباب أخبرني معاوية بن صالح انا ازهر ابن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر الله عشرا وحمد الله عشرا وسبح الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

(ومن الليل فسبحه) أى صل له قال مقاتل يعنى صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعنى ركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك هو فريضة صلاة الصبح أخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن أحمد انا أبو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى المغرب بالطور

﴿ سورة النجم مكية وهى اثنتان وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (٢١٢) (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس فى رواية الوالبى والعوفى يعنى الثريا اذا سقطت وغابت وهو به مغيبه والعرب تسمى الثريا نجما وجاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع وأراد بالنجم الثريا وقال مجاهد هى نجوم السماء كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع وروى عن عكرمة عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم يعنى ما ترمى بها الشياطين عند استراقهم السمع وقال أبو حمزة الثمالى هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وسمى التفريق تنجيما والمفرق منجما هذا قول ابن عباس فى رواية عطاء وقول الكلبى والهوى النزول من أعلى الى أسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذى لا ساق له ومنه قوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وهو به سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق

وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذى وأبو داود وقد تكلم فى أحد رواته * وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أى فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هى فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النجم مكية ﴾

وهى اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس يعنى الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وجاء فى الحديث عن أبى هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع أراد بالنجم الثريا وقيل هى نجوم السماء كلها وهو بها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهى ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو النبت الذى لا ساق له وهو به سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو به نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ما ضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى (وما غوى) أى ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغى ان الضلال هو أن لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية أن لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال أكثر استعمالا من الغواية (وما ينطق عن الهوى) أى بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) أى ما هو يعنى القرآن وقيل نطقه فى الدين (الا وحى) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعنى جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أى ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعنى محمدا صلى الله عليه

يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل من السماء الى الارض ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى يهوى هويا اذا نزل مثل مضى يمضى مضيا وجواب القسم قوله (ما ضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى (وما غوى وما ينطق عن الهوى) يعنى بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) ما نطقه فى الدين وقيل القرآن (الا وحى يوحى) يعنى وحى من الله يوحى اليه (علمه شديد القوى) وهو جبريل والقوى جمع القوة (ذو مرة) قوة وشدة فى خلقه يعنى جبريل قال ابن عباس ذو مرة يعنى ذو منظر حسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعنى جبريل (وهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأكثر كلام العرب اذا أرادوا العطف فى مثل هذا أن يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان ونظير هذا قوله تعالى

كنا تراباوآباؤنا عطف الآباء على المكنى فى كنا من غير اظهار نحن ومعنى الآية استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج (بالافق الاعلى) وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أى قام فى صورته التى خلقه الله وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى النبيين فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التى جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء فاما فى الارض ففى الافق الاعلى والمراد بالاعلى جانب المشرق وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة الآدميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى وأما فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عزوجل (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلفوا فى معناه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو أسامة ثنا زكريا ابن أبى زائدة عن أبى الاشوع عن الشعبى عن مسروق قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وانه أتاه هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الافق أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا طلق بن غنام ثنا زائدة عن الشيبانى قال سألت زرا عن قوله فكان قاب قوسين أو أدنى قال أخبرنا عبد الله يعنى ابن مسعود ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح فمعنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى فنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا الان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عزوجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا الان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عزوجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى وروينا فى قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذا رواية أبى سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى الشئ حتى يقرب منه وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى ومعنى قوله قاب قوسين أى قدر قوسين والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار والقوس مايرمى به فى قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس فاخبر انه كان بين جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين قال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تأكيد القرب وأصله ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين أى قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة والقوس الذراع يقاس بها كل شئ أو دنى بل أقرب

وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أى قام فى صورته التى خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التى جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء فأما التى فى الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى وأما التى فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة التى خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة فأين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وانه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الافق أخرجاه فى الصحيحين وعن زر بن حبيش فى قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى وفى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد فى رواية أخرى رأى جبريل فى صورته أخرجه مسلم والبخارى فى قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا الان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عزوجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا الان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عزوجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى وقد ورد فى الصحيحين فى حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبى سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ

(فأوحى) أى أوحى الله (الى عبده ما أوحى) محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فى رواية عطاء والكلبى والحسن والربيع وابن زيد معناه أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى الى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد ما رأى) قرأ أبو جعفر ما كذب بتشديد الذال أى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرأ الآخرون بالتخفيف أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم الذى رأى بل صدقه يقال كذبه اذا قال له الكذب وصدقه اذا قال له الصدق مجازه ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا فى الذى رآه فقال قوم رأى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا حفص هو ابن غياث عن

سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا حفص هو ابن غياث عن الشيبانى عن زر عن عبد الله قال ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى جبريل وله ستمائة جناح وقال آخرون هو الله عز وجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو سعيد الاشج ثنا وكيع ثنا الاعمش عن زياد بن الحصين عن أبى العالية عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى انه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذى باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه

عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن أنس فلم يات أحد منهم بما أتى به وفى رواية شريك قدم وأخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك فى الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذى يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذا اشارة الى تاكيد القرب وأصله ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس أو أدنى بل أقرب (فأوحى) أى فأوحى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ما أوحى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك * قوله عز وجل (ما كذب الفؤاد) قرئ بالتشديد أى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف أى ما كذب فؤاد محمد الذى رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا فى الذى رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقيل جعل بصره فى فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذى باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد

فقد تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام أنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن اسمعيل بن أبى خالد عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد تكلمت بشئ قف له شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك انه كتم شيأ فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الاية ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك

قال نور أنى أراه (أفتمارونه على ما يرى) قرأ حمزة والكسائى ويعقوب أفتمرونه بفتح التاء بلا ألف أى أفتجحدونه تقول العرب مريت الرجل حقه اذا جحدته وقرأ الآخرون أفتمارونه بالالف وضم التاء على معنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين أسرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعنى رآى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك انه رآه فى صورته مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء (عند سدرة المنتهى) وعلى قول ابن عباس معنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبى صلى الله عليه وسلم عرجات فى تلك الليلة لمسئلته التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه فى بعضها وروينا عنه انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه وقوله عند

فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين أخرجاه فى الصحيحين (م) عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه * قوله عز وجل (أفتمارونه على ما يرى) يعنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين أسرى به وقالوا له صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعنى رأى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك انه رآه فى صورته مرتين مرة فى الارض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن أبى هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل فى بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه (عند سدرة المنتهى) (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفى رواية الترمذى اليها ينتهى علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفى حديث المعراج المخرج فى الصحيحين ثم صعد بى الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفى أفراد مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكره الى أن قال فيه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة فى أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وعن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذى وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان ولو أن ورقة وضعت منها فى الارض لاضاءت لاهل الارض وهى شجرة طوبى التى ذكرها الله فى سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوى اليها جبريل والملائكة وقيل

سدرة المنتهى روينا عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة واليها ينتهى الى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وروينا فى حديث المعراج ثم صعد بى الى السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم عليه السلام فسلمت عليه ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة والسدرة شجرة النبق وقيل لها سدرة المنتهى لانه اليها ينتهى علم الخلق قال هلال ابن يسار سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة فى أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا ابو اسحق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا المسوحى ثنا عبد الله بن يعش ثنا يونس بن بكير أنا محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب فى ظل الغصن منها مائة عام ويستظل فى الغصن منها مائة ألف راكب فيها فراش من ذهب كأن ثمرها القلال وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان لو أن ورقة منها وضعت فى الارض لاضاءت لاهل الارض وهى طوبى التى ذكرها الله تعالى فى سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال عطاء عن ابن عباس جنة المأوى جنة يأوى اليها جبريل والملائكة وقال مقاتل والكلبى يأوى اليها أرواح الشهداء

(اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب ورو ينا فى حديث المعراج عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وأوحى الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة وقال مقاتل يغشاها الملائكة أمثال الغربان وقال السدى من الطيور وروى عن أبى العالية عن أبى هريرة رضى الله عنه أو غيره قال غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله أمثال الغربان حتى يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل وعن الحسن قال غشيها نور رب العزة فاستنارت وروى فى الحديث رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما مال بصر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا ولا شمالا وما طغى أى ما جاوز ما رأى وقيل ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه فى ذلك المقام اذ لم يلتفت جانبا (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة فى مسيره وعوده دليله قوله لربه من آياتنا وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى

أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى ثنا أبى ثنا شعبة عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح وأخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا حفص بن عمر وثنا شعبة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء

يأوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة وروى فى الحديث قال رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عز وجل (ما زاغ البصر وما طغى) يعنى ما مال بصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شئ سوى ما أمر به وفى معنى الآية ان قلنا ان الذى يغشى السدرة فراش من ذهب أى لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذى يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثانى ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشى عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت فى ذلك المقام العظيم الذى تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى * وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة فى مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء

﴿فصل من كلام الشيخ محيى الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء﴾ قال القاضى عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فأنكرته عائشة كما وقع فى صحيح مسلم وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس انه رآه بعينه ومثله عن أبى ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الاشعرى وجماعة من أصحابه انه رآه ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل فى الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبى ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الاشعرى وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا فى قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر على ان هذا الدنو والتدلى منقسم بين جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من النبى صلى الله عليه وسلم الى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبى صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه

عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين وأما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فأخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس أنه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت فانفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير في اثبات الرؤية قال الشيخ محيي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها أنه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني أنه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الوجه الثالث ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهرهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند انكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي وانما زت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر نور أنى أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أنى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال الماوردي الضمير في أراه عائد على الله تعالى والمعنى أن النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حلت بين الرائي وبينه وفي رواية رأيت نورا معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفي رواية ذاته نور أنى أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم * قوله عز وجل (أفرأيتم اللات والعزى) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها

اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز أما اللات قال قتادة كانت بالطائف فقال ابن زيد بيت نخلة كانت قريش تعبده وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح اللات بتشديد التاء وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقال مجاهد كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم منه الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولها ثقيف الى منازلها فبدتها فعمدت الطائف على موضع اللات وأما العزى قال مجاهد هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالفاس ويقول

ياعز كفرانك لا سبحانك
اني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان

خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قلعتها فقال ما رأيت قال ما رأيت شيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قلعت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد

أبدا وقال الضحاك هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال انا أصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذي أخذه من المروة فقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فاسندها الى

شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال ابن زيد هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف (ومناة) قرأ ابن كثير بالمد والهمزة وقرأ العامة بالقصر غير مهموز لان العرب سمت زيد مناة وعبد مناة ولم يسمع فيها المد قال قتادة هي لخزاعة كانت بقديد قالت عائشة رضي الله عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد قال ابن زيد بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة وقال بعضهم اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها واختلف القراء في الوقف على اللات ومناة فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء وقال بعضهم ما كتب في المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء وما كتب بالهاء فيوقف عليه بالهاء وأما قوله (الثالثة الاخرى) فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر وأما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى الا انثى انما الاخرى ههنا نعت للثالثة قال الخليل فالياء لوفاق رؤس الآي كقوله ما رب أخرى ولم يقل أخر وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازها أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة ومعنى الآية أفرأيتم أخبرونا أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله تعالى منكرا عليهم

اسما من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقهم فلما مات الرجل حولها ثقيف الى منازلها فمرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

يا عز كفرانك لا سبحانك ✻ اني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت شيأ فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن سالم الغطفاني وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار وأسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كان تعبده ثقيف ✻ وقوله (ومناة) قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هي بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة اذ هي الثالثة في الذكر وأما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثالثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآي كقوله ما رب أخرى ولم يقل أخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فهل هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمي والعزى شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي في أخريات المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله

(ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس وقتادة أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم قال مجاهد ومقاتل قسمة عوجاء وقال الحسن غير معتدلة قرأ ابن كثير ضئزى بالهمز وقرأ الآخرون بغير همز قال الكسائى يقال منه ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا وضاز يضاز ضازا اذا ظلم ونقص وتقدير ضيزى من الكلام فعلى بضم الفاء لانها صفة والصفات لا تكون الا على فعلى بضم الفاء نحو حبلى وانثى و بشرى أو فعلى بفتح الفاء نحو غضبى وسكرى وعطشى وليس فى كلام العرب فعلى بكسر الفاء فى النعوت انما يكون فى الاسماء مثل ذكرى وشعرى وكسروا الضاد ههنا لئلا تنقلب الياء واوا وهى من بنات الياء كما قالوا فى جمع أبيض بيض والاصل بوض مثل حمر وصفر فأما من قال ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل شورى (ان هى) ما هذه الاصنام (الأسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان بما تقولون انها آلهة ثم رجع الى الخبر بعد المخاطبة فقال (ان يتبعون الا الظن) فى قولهم انها آلهة (وما تهوى الانفس) وهو ما زين لهم الشيطان (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) البيان بالكتاب والرسول انها ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار (أم للانسان ما تمنى) أيظن الكافر ان له ما يتمنى و يشتهى من شفاعة الاصنام (فلله الآخرة والاولى) ليس كما ظن الكافر وتمنى بل لله الآخرة والاولى لا يملك أحد فيهما شيأ الا باذنه (وكم من ملك فى السموات) ممن يعبدهم هؤلاء الكفار و يرجون شفاعتهم عند الله (لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء و يرضى) أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وجمع الكناية فى قوله شفاعتهم والملك واحد لان المراد من قوله وكم من ملك الكثرة فهو كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) أى بتسمية الانثى حين قالوا انهم بنات الله (وما لهم به من علم) قال مقاتل معناه ما يستيقنون انهم اناث (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيأ) والحق بمعنى العلم أى لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب أى ان ظنهم لا ينقذهم من العذاب (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل الايمان (ولم يرد الا الحيوة الدنيا) ثم صغر رأيهم فقال

الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هى) أى ما هذه الاصنام (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة (ما أنزل الله بها من سلطان) أى حجة بما تقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) أى فى قولهم انها آلهة (وما تهوى الانفس) يعنى هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذى ينبغى أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان بالكتاب المنزل والنبى المرسل ان الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار * قوله تعالى (أم للانسان ما تمنى) معناه أيظن الكافر ان له ما يتمنى و يشتهى من شفاعة الاصنام أى ليس الامر كما يظن و يتمنى (فلله الآخرة والاولى) أى لا يملك أحد فيهما شيأ أبدا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء فى الدنيا والآخرة وان شاء أمهله الى الآخرة (وكم من ملك فى السموات) أى ممن يعبدهم هؤلاء و يرجون شفاعتهم عند الله (لا تغنى شفاعتهم شيأ) يعنى ان الملائكة مع علو منزلهم لا تغنى شفاعتهم شيأ فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم أخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى (الا من بعد أن يأذن الله) أى فى الشفاعة (لمن يشاء و يرضى) أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وقيل الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى الكفار الذين أنكروا البعث (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) أى بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله * فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث * قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (وما لهم به من علم) يعنى بالله فيشركون به و يجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة أناث (ان يتبعون الا الظن) يعنى فى تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لا يغنى من الحق شيأ) يعنى لا يقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحيوة الدنيا) يعنى انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يردوها و يعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر

(ذلك مبلغهم من العلم) أى ذلك نهاية علمهم وقد رعقولهم أن آثروا الدنيا على الاخرة وقيل لم يبلغوا من العلم الاظنهم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالفريقين فيجازيهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهذا معترض بين الآية الاولى و بين قوله (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) فاللام فى قوله ليجزى متعلق بمعنى الآية الاولى لانه اذا كان أعلم بهم جازى كلا بما يستحقه الذين أساؤا أى أشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وحد وار بهم بالحسنى

بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسىء اذا كان كثير الملك ولذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم وصفهم فقال (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) اختلفوا فى معنى الآية فقال قوم هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب و يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول أبى هريرة ومجاهد والحسن و رواية عطاء عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال السدى قال أبو صالح سئلت عن قول الله تعالى الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم ورو ينا عن عطاء عن ابن عباس فى قوله الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما وأصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة عليه وقال آخرون هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقال بعضهم هو ما سلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال بعضهم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وأبى هريرة ومسروق والشعبى ورواية طاوس عن ابن عباس أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمود بن غيلان انا عبد الرزاق انا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر

رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم أن الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالفريقين ويجازيهم بأعمالهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى و بين قوله (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) والمعنى اذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين أساؤا أى أشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا) أى وحد وار بهم (بالحسنى) يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسىء اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل (الذين يجتنبون كبائر الاثم) قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهى ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هى ما فحش من الكبائر (الا اللمم) أى الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك ألممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول أبى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال أعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ما سلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم به فى الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبى هريرة ومسروق والشعبى والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد

زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان مالم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو مالم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة ﴾ قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لاخفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فأما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر بالنسبة الى مادونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه بنارا في الآخرة أو حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمنهاون في ارتكابها والمستجرئ عليها اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهي من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك أعظم ممن أكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستاصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم انه يؤخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه انه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها ما وصف فاعلها بالفسق أو يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله أعلم * وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب وروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة في الاسلام أي لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة أيضا تمحى بالاستغفار والتوبة الصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في حد الاصرار هو أن يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى (هو أعلم بكم) أي قبل أن يخلقكم وهو قوله (اذ أنشأكم من الارض) يعني خلق أباكم آدم من التراب (واذ أنتم أجنة)

وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه ورواه سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد والعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطى وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات مالم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقال سعيد بن المسيب هو مالم على القلب أي خطر وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور فان أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب تم الكلام ههنا ثم قال (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض) أي خلق أباكم آدم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين سمي جنينا لاجتنانه في البطن

(فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها قال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها قال الكلبى ومقاتل كان الناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا فانزل الله تعالى هذه الآية (هو أعلم بمن اتقى) أى بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى قوله عز وجل (أفرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له أتركت دين الاشياخ وضلالتهم قال انى خشيت عذاب الله فضمن الذى عاتبه ان هو أعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى الذى عيره بعض ذلك المال الذى ضمن ومنعه تمامه فأنزل الله عز وجل أفرأيت الذى تولى أدبر عن الايمان (وأعطى) صاحبه (قليلا وأكدى) بخل بالباقى وقال مقاتل أعطى يعنى الوليد قليلا من الخير بلسانه وأكدى ثم أكدى يعنى قطعه وأمسك ولم يقم على العطية وقال السدى نزلت فى

جمع جنين (فى بطون أمهاتكم) سمى جنينا لاستتاره فى بطن أمه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو أعلم بمن اتقى) يعنى بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم يعنى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله فيهم هذه الآية * قوله عز وجل (أفرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا أتركت دين الاشياخ وضللت قال انى خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه ان أعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى للذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه تمامه فأنزل الله أفرأيت الذى تولى يعنى أدبر وأعرض عن الايمان (وأعطى) يعنى لصاحبه الذى عيره (قليلا وأكدى) أى بخل بالباقى وقيل أعطى قليلا يعنى من الخير بلسانه وأكدى يعنى قطعه وأمسك ولم يعم بالعطية وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل نزلت فى أبى جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى لم يؤمن به ومعنى أكدى يعنى قطع وأصله من الكدية وهى حجر يظهر فى البئر يمنع من الحفر تقول العرب أكدى الحافر وأجبل اذا بلغ فى الحفر الكدية والجبل (أعنده علم الغيب فهو يرى) ماغاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبأ) لم يخبر (بما فى صحف موسى) يعنى أسفار التوراة (وابراهيم) وفى صحف ابراهيم عليه السلام (الذى وفى) تمم وأكمل ما أمر به قال الحسن وسعيد ابن جبير وقتادة عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه قال مجاهد وفى بما فرض عليه قال الربيع وفى رؤياه وقام بذبح ابنه وقال عطاء الخراسانى آخره استكمل الطاعة وقال أبو العالية وفى سهام الاسلام وهو قوله واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن والتوفية الاتمام وقال الضحاك وفى ميثاق المناسك أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى انا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيرى انا ابو جعفر محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا ابراهيم بن اسحاق الزهرى ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذى وفى صلى أربع ركعات أول النهار أخبرنا ابو عثمان الضبى انا ابو محمد الجراحى ثنا ابو العباس المحبوبى ثنا ابو عيسى الترمذى ثنا ابو جعفر الشيبانى ثنا ابو مسهر ثنا اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبى الدرداء وأبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره ثم بين ما فى صحفهما فقال

(ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ومعناه لا تؤخذ نفس بإثم غيرها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة بانه يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بذنب أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أى عمل كقوله ان سعيكم لشتى وهذا أيضا فى صحف ابراهيم وموسى قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى ان

آخره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ثم بين ما فى صحفهما فقال تعالى (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤخذ نفس بإثم غيرها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أنه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أى عمل وهذا فى صحف ابراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فأما هذه الامة فلها ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى عن ابن عباس ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى توفيت أينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفى رواية أن سعد بن عبادة أخا بنى سعد وذكر نحوه وأخرجه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم أخرجاه فى الصحيحين وفى حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك وأحمد وجماهير العلماء ان حج الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال أبو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفى الحديثين الآخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة فى ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعى واختلف العلماء فى الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعى ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعى والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه فى الدنيا بان يوسع عليه فى رزقه ويعافى فى بدنه حتى لا يبقى له فى الآخرة خير وروى أن عبد الله بن أبى ابن سلول كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له فى الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه (وأن سعيه سوف يرى) أى يراه فى ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أى السعى (الجزاء الاوفى) أى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الاوفى * قوله عز وجل (وأن الى ربك المنتهى) أى اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه فى الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفى المخاطب بهذا وجهان أحدهما انه عام تقديره وأن الى ربك أيها السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسىء وحث شديد للمحسن ليقلع المسىء عن اساءته ويزداد المحسن فى احسانه الوجه

امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم ان أمى افتلتت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم وقال الربيع بن أنس وأن ليس للانسان الا ما سعى يعنى الكافر فاما المؤمن فله ما سعى وما سعى له وقيل ليس للكافر من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه فى الدنيا حتى لا يبقى له فى الآخرة خير ويروى ان عبد الله بن أبى كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفنه فيه فلم يبق له حسنة فى الآخرة يثاب عليها (وأن سعيه سوف يرى) فى ميزانه يوم القيامة من أريته الشئ (ثم يجزاه الجزاء الاوفى) الاكمل والاتم أى يجزى الانسان بسعيه يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الشاعر ان أجز علقمة بن سعد سعيه لم أجزه ببلاء يوم واحد فجمع بين اللغتين (وأن الى ربك المنتهى) أى منتهى الخلق ومصيرهم اليه وهو

مجازيهم بأعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنى الحسن بن محمد الشيبانى أنا محمد بن سليمان بن الفتح الحنبلى ثنا على بن محمد المصرى أنا أبو اسحق بن منصور الصمدى أنا العباس بن زفر عن أبى جعفر الرازى عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وأن الى ربك المنتهى قال لا فكرة فى الرب وهذا مثل ما روى عن أبى هريرة مرفوعا تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانه لا تحيط به الفكرة

(وانه هو أضحك وأبكى) فهذا يدل على أن كل ما يعمله الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء قال مجاهد والكلبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحاك أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر قال عطاء بن أبي مسلم يعني أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا قيس هو ابن الربيع الاسدي ثنا سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم وكان أصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر و يذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون و يتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال معمر عن قتادة سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم أعظم من الجبل (وأنه هو أمات وأحيى) أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الابناء وقيل أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) من كل حيوان (من نطفة اذا تمنى) اى تصب في الرحم يقال منيت الشئ اذا قدرته (وان عليه النشأة الاخرى) اى الخلق الثاني للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) قال ابو صالح اغنى الناس بالاموال واقنى اى اعطى القنية واصول الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية قال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقال قتادة والحسن اقنى اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى فارضى قال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى بما اعطى وقنع وقال ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل وقرأ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش اقنى أفقر وقال ابن كيسان أولد (وأنه هو رب الشعرى) وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان يقال لاحداهما العبور وللاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها أخفى من الاخرى والمجرة بينهما وأراد هنا الشعرى العبور وكانت خزاعة تعبدها وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة لخلافه اياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعرى

الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الآية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى البغوي باسناده الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأن الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب أي انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت أنه لا بد لها من موجد واذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أي هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقيل أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر و يتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون و يتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم أعظم من الجبل (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة أي بكاء مع صوت يخرج من الانف (وأنه هو أمات وأحيى) أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الابناء وقيل أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى) أي من كل حيوان وهو أيضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا و بعضها أنثى وهذا شئ لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة (من نطفة اذا تمنى) أي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شئ واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع أحد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خالق غيره كما لم يقدر أحد أن يدعي خلق السموات والارض (وأن عليه النشأة الاخرى) أي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أي أغنى الناس بالاموال وأعطى القنية وهي أصول الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية وقيل أغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية وأقنى بالابل والبقر والغنم وقيل أقنى أي أخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أي أعطى فأرضى وقيل أغنى يعني رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شئ لان الغنى ضد الفقر وأقنى أي زاد فوق الغنى (وأنه هو رب الشعرى) أي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن

(وأنه أهلك عادا الاولى) قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال وبهمزوا وقالون عن نافع والعرب تفعل ذلك فتقول قم لان عنا تريد قم الآن عنا ويكون الوقف عندهم عادا والابتداء أولى بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة ويجوز الابتداء لولى بحذف الهمزة المفتوحة وقرأ الآخرون عادا الاولى وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) أى أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (أهوى) أسقط أى أهواها جبريل بعد ما رفعها الى السماء (فغشاها) ألبسها الله (ما غشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى آلاء ربك) نعم ربك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة (تتمارى) تشك وتجادل وقال ابن عباس تكذب (هذا نذير) يعنى محمدا (من النذر الاولى) أى رسول من الرسل أرسل (٢٢٥) اليكم كما أرسلوا الى أقوامهم وقال قتادة يقول أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله (أزفت الآزفة) دنت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى مظهرة مقيمة كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرا كالخيالة والعافية والمعنى ليس لها من دون الله كاشف أى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعنى اذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) لما فيه من الوعد والوعيد (وأنتم سامدون) لاهون غافلون والسمود الغفلة عن الشئ واللهو يقال دع عنا سمودك أى لهوك هذا رواية الوالبى والعوفى عن ابن عباس وقال عكرمة عنه هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال الضحاك أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله واعبدوا) أى واعبدوه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل ثنا نصر ابن على أخبرنى أبو أحمد ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول

لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب فى الدين سموه ابن أبى كبشة تشبيها له به فى خلافه اياهم كما خالفهم أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضئ خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار أيضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها أخفى من العبور والمجرة بينهما وأراد بالشعرى هنا العبور (وأنه أهلك عادا الاولى) وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا أخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعنى أول الخلق هلاكا بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) يعنى منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) يعنى أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) يعنى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (أهوى) أى أسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم أهوى بها (فغشاها) أى ألبسها الله (ما غشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى آلاء ربك تتمارى) أى تشك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تمارى أى تكذب (هذا نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الاولى) أى رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليكم كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غيره لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعنى اذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد * قوله تعالى (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) أى استهزاء (ولا تبكون) أى مما فيه من الوعيد (وأنتم سامدون) أى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود فى اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمغنى وقيل معناه أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعنى أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض فى الصلاة (واعبدوا) أى اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة فى الحقيقة لا تكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخا من قريش

الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسميل أنا آدم بن أبي اياس أنا ابن أبي ذئب أنا يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها فقلت هذا دليل على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء وهو قول الشافعي وأحمد وذهب قوم الى أن وجوب سجود التلاوة على القارئ والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي

﴿ سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقتربت الساعة) دنت القيامة (وانشق القمر) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسميل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب أنا بشر بن المفضل ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسميل ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فاسألوا السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر

أخذ كفا من حصباء أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا فقال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها فى هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي وأحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة القمر مكية ﴾

وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (اقتربت الساعة) أي دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روى عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية أخرى قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فسترا الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد رأوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رأيناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين الخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره فأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشتهر لعلم أهل الارض كلهم في رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل

(وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أى ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشئ واستمر اذا ذهب مثل قولهم قروا استقر هذا قول مجاهد وقتادة وقال أبو العالية والضحاك مستمر أى قوى شديد يعلو كل سحر من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد وأمررته أنا اذا أحكمت فتله واستمر الشئ اذا قوى واستحكم (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) أى كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله عز وجل واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل (وكل أمر مستقر) قال الكلبى لكل أمر حقيقة ما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان منه فى الآخرة فسيعرف وقال قتادة كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير والشر مستقر بأهل الشر وقيل كل أمر من خير أو شر مستقر قراره فالخير مستقر باهله فى الجنة والشر مستقر باهله فى النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل كل ما قدر كائن واقع لا محالة وقرأ أبو جعفر مستقر بجر الراء ولا وجه له (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (من الانباء) من أخبار الامم المكذبة فى القرآن (مافيه مزدجر) لا منتهى مصدر بمعنى الازدجار أى نهى وعظة يقال زجرته وازدجرته اذا نهيته عن السوء وأصله من تجر قلبت التاء دالا (حكمة بالغة) يعنى القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية فى الزجر (فما تغنى النذر) يجوز أن تكون ما نفيا على معنى فليست تغنى النذر ويجوز أن يكون استفهاما والمعنى فاى شئ تغنى النذر اذا خالفوهم وكذبوهم كقوله وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون والنذر جمع نذير (فتول عنهم) أى أعرض عنهم نسختها آية القتال قيل ههنا وقف تام وقيل فتول عنهم (يوم يدع الداع) أى الى يوم يدع الداعى قال مقاتل هو اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس (الى شئ نكر) منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما وقرأ ابن كثير نكر بسكون الكاف والآخرون بضمها (خشعا أبصارهم) قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائى خاشعا على الواحد وقرأ الآخرون خشعا بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع ويجوز فى أسماء الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث تقول مررت برجال حسن أوجههم وحسنة أوجههم وحسان أوجههم قال الشاعر

ورجال حسن أوجههم * من اياد بن نزار بن معد

وفى قراءة عبد الله خاشعة أبصارهم أى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الاجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) منبث بعضه فى بعض وذكر المنتشر على لفظ الجراد نظيرها كالفراش المبثوث وأراد انهم يخرجون فزعين لا جهة لاحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها فى بعض

من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل فى معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضى وحمل الماضى على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفى قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا) دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية أى تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أى عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) أى دائم مطرد وكل شئ دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أى قوى محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر أى ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا (وكذبوا) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) أى ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر (وكل أمر مستقر) أى لكل أمر حقيقة فما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان منه فى الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهله فى الجنة والشر مستقر باهله فى النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أو العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعنى ليس أمره بذاهب كما زعموا بل كل أمر من أموره مستقر وان امر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق (ولقد جاءهم) يعنى اهل مكة (من الانباء) أى من أخبار الامم الماضية المكذبة فى القرآن (مافيه مزدجر) اى منتهى وموعظة (حكمة بالغة) يعنى القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية (فما تغنى النذر) يعنى اى غنى تغنى النذر اذا خالفوهم وكذبوهم (فتول عنهم) اى اعرض عنهم نسختها آية القتال (يوم يدع الداع) اى اذكر يا محمد يوم يدعو الداعى وهو اسرافيل ينفخ فى الصور قائما على صخرة بيت المقدس (الى شئ نكر) اى منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له (خاشعا) وقرئ خشعا (أبصارهم) اى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الاجداث) يعنى من القبور (كأنهم جراد منتشر) مثل فى كثرتهم وتموج

(مهطعين) مسرعين مقبلين (الى الداع) الى صوت اسرافيل (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد قوله عز وجل (كذبت قبلهم) اى قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أى زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد وقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وقال مجاهد معنى ازدجر أى استطير جنونا (فدعا) نوح (ربه) وقال (أنى مغلوب) مقهور (فانتصر) فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما وقال يمان قد طبق ما بين السماء والارض (وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء الارض وانما قال فالتقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد انما يكون بين اثنين فصاعدا الان الماء يكون جمعا وواحدا وقرأ عاصم الجحدرى فالتقى الما آن (على أمر قد قدر) أى قضى عليهم فى أم الكتاب وقال مقاتل قدر الله أن يكون الما آن سواء فكانا على ما قدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات ألواح ودسر) أى سفينة ذات ألواح ذكر النعت وترك الاسم أراد بالالواح خشب السفينة العريضة ودسر أى المسامير التى

تشدبها الالواح واحدها دسار ودسير يقال دسرت السفينة اذا شددتها بالمسامير وقال الحسن الدسر صدر السفينة سميت بذلك لانها تدسر الماء بجؤجؤها أى تدفع وقال مجاهد هى عوارض السفينة وقيل اضلاعها وقال الضحاك الالواح جانباها والدسر أصلها وطرفاها (تجرى بأعيننا) أى بمرأى منا وقال مقاتل بن حبان بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقال سفيان بأمرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لمن كان كفر به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام وقيل من بمعنى ما أى جزاء لما كان كفر من أيادى الله ونعمه عند الذين أغرقهم أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه وقرأ مجاهد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء يعنى كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله (ولقد تركناها) يعنى الفعلة التى فعلنا (آية) يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) أى متذكر معتبر خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها على وفى رواية اخرى سمعته يقرؤها فهل من مدكر دالا (فكيف كان عذابى ونذر) يعنى انذارى (ولقد يسرنا القرآن) يعنى سهلنا القرآن (للذكر) يعنى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) يعنى متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى وغيرهم

بعضهم فى بعض حيارى فزعين (مهطعين) مسرعين ماد ى اعناقهم مقبلين (الى الداع) يعنى الى صوت الداعى وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) اى صعب شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين * قوله تعالى (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) يعنى نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أى زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعنى نوحا (ربه) وقال (أنى مغلوب) أى مقهور (فانتصر) اى فانتقم لى منهم (ففتحنا ابواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح فى الحديث ان للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) اى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع اربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) اى وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء الارض (على امر قد قدر) اى قضى عليهم فى ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الما آن سواء فكانا على ما قدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات ألواح) يعنى سفينة ذات ألواح وأراد بالالواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هى المسامير التى تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هى عوارض السفينة وأضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها (تجرى) يعنى السفينة (باعيننا) يعنى بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد أمره وقيل لمن بمعنى لما اى جزاء لما كان كفر من ايادى الله ونعمه عند الذين اغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح واصحابه (ولقد تركناها آية) يعنى الفعلة التى فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة (فهل من مدكر) يعنى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها على وفى رواية اخرى سمعته يقرؤها فهل من مدكر دالا (فكيف كان عذابى ونذر) يعنى انذارى (ولقد يسرنا القرآن) يعنى سهلنا القرآن (للذكر) يعنى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) يعنى متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى

(كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) شديدة الهبوب (في يوم نحس مستمر) شديد دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته فلم يبق منهم أحدا لا أهلكه قيل كان ذلك يوم الاربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم وروى انها كانت تنزع الناس من قبورهم (كانهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصولها وقال الضحاك أوراك نخل (منقعر) منقلع من مكانه ساقط على الارض و واحد الاعجاز عجز مثل عضد وأعضاد وانما قال أعجاز نخل وهي أصولها التي قطعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم من أجسادهم فتبقى أجسادهم بلا رؤس (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) بالانذار الذي جاءهم به صالح (فقالوا أبشرا) آدميا (منا واحدا نتبعه) ونحن جماعة كثيرة وهو واحد (انا اذا لفي ضلال) خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقال الحسن شدة عذاب وقال قتادة عناء يقولون انا اذا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته قال سفيان بن عيينة هو جمع سعير وقال الفراء جنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها وقال وهب وسعر أي بعد عن الحق (أ ألقي الذكر) أ أنزل الذكر الوحي (عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة والاشر المرح والتجبر

وغيرهم * قوتعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي شديدة الهبوب (في يوم نحس) أي في يوم شؤم (مستمر) أي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) أي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصول نخل (منقعر) أي منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من أجسامهم فتبقى أجسامهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) أي بالانذار الذي جاءبه صالح (فقالوا أبشرا منا واحدا) يعني آدميا واحدا منا (نتبعه) أي ونحن جماعة كثيرون (انا اذا لفي ضلال) أي خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق (أ ألقي الذكر عليه) يعني أ أنزل الوحي عليه (من بيننا بل هو كذاب أشر) أي بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) أي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب (من الكذاب الاشر) أي صالح أم من كذبه (انا مرسلوا الناقة) أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا أن يخرجها منها وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنة) أي محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) أي فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) أي على أذاهم (ونبئهم) أي اخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) أي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) أي نصيب من الماء (محتضر) أي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وحضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعني قدار بن سالف (فتعاطى) أي فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعني الناقة (فكيف كان عذابي ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يعني صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر

(سيعلمون) قرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون بالتاء على معنى قال صالح لهم وقرأ الآخرون بالياء يقول الله تعالى سيعلمون (غدا) حين ينزل بهم العذاب وقال الكلبي يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس يقولون ان مع اليوم غدا (من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة) أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا أن يخرجها منها وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنة لهم) محنة واختبارا لهم (فارتقبهم) فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) على ارتقابهم وقيل على ما يصيبك من الاذى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) وبين الناقة يوم لها ويوم لهم وانما قال بينهم لان العرب اذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم (كل شرب) نصيب من الماء (محتضر) يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم واحتضر وحضر بمعنى واحد قال مجاهد يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت الناقة حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) وهو قدار بن سالف (فتعاطى) فتناول الناقة بسيفه (فعقر) أي فعقرها (فكيف كان عذابي ونذر) ثم بين عذابهم فقال (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) قال عطاء يريد صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقال ابن زيد هو الشجر البالي الذي تهشم حتى ذرته الريح والمعنى انهم صاروا كيبس الشجر اذا تحطم والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما وقال قتادة كالعظام النخرة المحترقة وقال سعيد بن جبير هو التراب الذي يتناثر من الحائط

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى قال الضحاك يعني صغار الحصى وقيل الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فيكون المعنى على هذا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم يعني يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال (الا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه (نجيناهم) من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) يعني جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم (كذلك) يعني كما أنعمنا على آل لوط (نجزي من شكر) قال مقاتل من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد أنذرهم) لوط (بطشتنا) أخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) شكوا بالانذار وكذبوا ولم يصدقوا (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا أن يسلم اليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب فأخرجهم لوط عميا لا يبصرون قوله فطمسنا أعينهم يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا (فذوقوا عذابي ونذر) أي ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم الى عذاب الآخرة وقيل عذاب حق (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما السلام وقيل هي الآيات التي أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) وهي الآيات التسع (فاخذناهم) بالعذاب (أخذ عزيز) غالب في انتقامه (مقتدر) قادر على اهلاكهم فوحد

والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعني من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) أي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزي) أي كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي (من شكر) يعني ان من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد أنذرهم) أي لوط (بطشتنا) يعني أخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) أي شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أي طلبوا منه أن يسلم اليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب وأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروهم (فذوقوا عذابي ونذر) يعني ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أي جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) يعني دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التي أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعني الآيات التسع (فأخذناهم) يعني بالعذاب (أخذ عزيز مقتدر) يعني غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه عما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم خير من أولئكم) يعني أقوى وأشد من الذين أحللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكار أي ليسوا بأقوى منهم (أم لكم براءة) يعني من العذاب (في الزبر) أي في الكتب انه لن يصيبكم ما أصاب الامم الخالية (أم يقولون) يعني كفار مكة (نحن جميع) يعني أمرنا (منتصر) يعني من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم يعني كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعني كفار مكة (ويولون الدبر) يعني الادبار

لا يعجزه ما أراد بهم ثم خوف أهل مكة فقال (أكفاركم خير من أولئكم) أشد وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام بمعنى الانكار أي ليسوا باقوى منهم (أم لكم براءة) من العذاب (في الزبر) في الكتب انه لن يصيبكم ما أصاب الامم الخالية (أم يقولون) يعني كفار مكة (نحن جميع منتصر) قال الكلبي نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآي قال الله تعالى (سيهزم الجمع) قرأ يعقوب سنهزم بالنون الجمع نصب وقرأ الآخرون بالياء وضمها الجمع رفع على غير تسمية الفاعل يعني كفار مكة (ويولون الدبر) يعني الادبار فوحد لاجل رؤس الآي كما يقال ضربنا منهم الرؤس وضربنا منهم الرأس اذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع أخبر الله انهم يولون أدبارهم منهزمين فصدق الله وعده ووعيده يوم

بدر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبته يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم فاخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر أي أعظم داهية وبلية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر (ان المجرمين) المشركين (في ضلال وسعر) قيل في ضلال بعد عن الحق قال الضحاك وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة وسعر نار مسعرة قال الحسين ابن فضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم فقال (يوم يسحبون) يجرون (في النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر) أي ما خلقناه فقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ قال الحسن قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذي ينبغي له أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي أنا أبو مسلم غالب ابن علي الرازي أنا أبو معشر يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب ثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب أنا أحمد بن نصر النيسابوري أنا عبد الله بن الوليد العدني أنا الثوري عن زياد بن اسمعيل السهمي عن محمد بن عباد المخزومي عن أبي هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي الحدشاهي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجويدري أنا يونس بن عبد الاعلى الصدفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زياد بن سعد عن

فوحد لاجل رؤس الآي وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد ابن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة أدهى وأمر أي أعظم داهية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر * قوله عز وجل (ان المجرمين) يعني المشركين (في ضلال وسعر) قيل في بعد عن الحق وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال أي عن طريق الجنة وسعر أي عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى (يوم يسحبون) أي يجرون (في النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) أي ذوقوا أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (انا كل شئ خلقناه بقدر) أي مقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

﴿ فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه ﴾ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن أبي هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر أخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال

أخرجه أبو داود وله عن أبي هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام * وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فينادي نداء يسمعه الاولون والآخرون أين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون في انه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم أخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم ان مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستأنفة العلم أي انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * وحكى أبو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في أصول الدين ان بعض القدرية قالوا السنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان أهل الحق يفوضون أمورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى أنفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليها أولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم أبو عبد الله في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع أبي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على ما أمره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أي خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله أعلم * وأما معاني الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركو قريش الى قوله

عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله ابن عمر رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أنا أحمد بن حازم بن أبي عروة أنا يعلى بن عبيد وعبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر زاد عبد الله خيره وشره ورواه أبو داود عن شعبة عن منصور وقال عن ربعي عن علي ولم يقل عن رجل وهذا أصح

انا كل شئ خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف و هو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فان ذلك أزلى لا أول له وقوله وعرشه على الماء أى قبل أن يخلق السموات والارض وقوله كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات و يحتمل العموم فى أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث أن العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه * قوله تعالى (وما أمرنا الا واحدة) أى وما أمرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشئ اذا أردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا أراد الله سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد ان قضائى فى خلقى أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة (فهل من مدكر) أى متعظ بان ذلك حق فيخاف و يعتبر (وكل شئ فعلوه) يعنى الاشياع من خير وشر (فى الزبر) أى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) أى من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) أى مكتوب * قوله عز وجل (ان المتقين فى جنات) أى بساتين (ونهر) أى انهار وانما وحده لموافقة رؤس الآى وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه فى ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم (فى مقعد صدق) أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان (مقتدر) أى قادر لا يعجزه شئ وقيل مقتدر بين عند مليك أمره فى الملك والاقتدار أعظم شئ فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فاى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق والله أعلم

(تم الجزء السادس من تفسير الخازن و يليه الجزء السابع وأوله سورة الرحمن)

بالبصر) قوله واحدة ترجع الى المعنى دون اللفظ أى وما أمرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشئ اذا أردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيها كلمح بالبصر قال عطاء عن ابن عباس يريد ان قضائى فى خلقى أسرع من لمح البصر وقال الكلبى عنه وما أمرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة (فهل من مدكر) متعظ يعلم ان ذلك حق فيخاف و يعتبر (وكل شئ فعلوه) يعنى فعله الاشياع من خير وشر (فى الزبر) فى كتاب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) مكتوب يقال سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت (ان المتقين فى جنات) بساتين (ونهر) أى أنهار ووحده لاجل رؤس الآى وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقال الضحاك يعنى فى ضياء وسعة ومنه النهار وقرأ الاعرج ونهر بضمتين جمع النهار يعنى لا ليل لهم (فى مقعد صدق) فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم (عند مليك مقتدر) ملك قادر لا يعجزه شئ قال جعفر الصادق رضى الله عنه مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق

﴿ فهرست الجزء السادس من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل للامام الخازن رحمه الله تعالى ﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	﴿ تفسير سورة يس عليه الصلاة والسلام ﴾	١٤٤	﴿ تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾
٤	ذكر بعث سيدنا عيسى الرسل الى أهل انطاكية	١٤٥	فصل فى حكم الآية (يعنى قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الخ)
١٤	﴿ تفسير سورة والصافات ﴾	١٥٦	﴿ تفسير سورة الفتح ﴾
٢٣	ذكر الاشارة الى قصة الذبح	١٦٥	ذكر غزوة خيبر ١٧٠ ذكر صلح الحديبية
٢٦	ذكر قصة بعث الله تعالى الياس نبيا الى بنى اسرائيل	١٧٩	فصل فى فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٤	﴿ تفسير سورة ص ﴾	١٨١	﴿ تفسير سورة الحجرات ﴾
٤١	فصل فى تنزيه سيدنا داود عما لا يليق به	١٨٧	فصل فى حكم قتال البغاة
٥٣	فصل فى حديث أتانى ربى فى أحسن صورة الخ	١٩٣	﴿ تفسير سورة ق ﴾
٥٥	﴿ تفسير سورة الزمر ﴾	١٩٧	فصل فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد الخ
٦٨	فصل فى ذكر أحاديث تتعلق بقوله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الخ	٢٠٠	﴿ تفسير سورة الذاريات ﴾
٧٣	﴿ تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر ﴾	٢٠٢	فصل هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان الخ (وهو قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا الخ)
٨٣	فصل فى ذكر الدجال	٢٠٦	﴿ تفسير سورة الطور ﴾
٨٧	﴿ تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة ﴾	٢١٢	﴿ تفسير سورة النجم ﴾
٩٧	﴿ تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى ﴾	٢١٦	فصل من كلام الشيخ محيى الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء
١٠٣	فصل فى ذكر التوبة وحكمها	٢٢١	فصل فى بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة
١٠٨	﴿ تفسير سورة الزخرف ﴾	٢٢٦	﴿ تفسير سورة القمر ﴾
١١٩	﴿ تفسير سورة الدخان ﴾	٢٣١	فصل فى سبب نزول قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وما ورد فى القدر وما قيل فيه
١٢٣	ذكر قصة تبع على ما ذكره ابن اسحق الخ		
١٢٦	﴿ تفسير سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة ﴾		
١٣٠	﴿ تفسير سورة الاحقاف ﴾		
١٣٨	ذكر القصة فى ذلك (أى قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الخ)		

(تمت)

فهرست الجزء السادس من كتاب معالم التنزيل لمحيى السنة أبى محمد الحسين الفراء البغوى الذى بهامش الخازن

صحيفة		صحيفة		صحيفة		صحيفة	
٢	سورة يس	٨٧	سورة فصلت	١٣٠	سورة الاحقاف	١٩٣	سورة ق
١٤	سورة الصافات	٩٧	سورة شورى	١٤٤	سورة محمد صلى الله عليه وسلم	٢٠٠	سورة الذاريات
٣٤	سورة ص	١٠٨	سورة الزخرف	١٥٦	سورة الفتح	٢٠٦	سورة الطور
٥٥	سورة الزمر	١١٩	سورة الدخان	١٨١	سورة الحجرات	٢١٢	سورة النجم
٧٣	سورة المؤمن	١٢٦	سورة الجاثية			٢٢٦	سورة القمر

(تمت)

ما شاء الله كان

الجزء السابع

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل

تأليف الامام العلامه قدوة الامه وعلم الائمه ناصر

الشريعة ومحيي السنه علاء الدين على بن محمد بن

ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن

فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من

رمضان سنة ٧٢٥ هجريه

تغمده الله برحمته

آمين

﴿ وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل ﴾

﴿ تأليف الامام الجليل محيي السنة أبى محمد الحسين الفراء البغوى ﴾

﴿ عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

﴿ قال فى كشف الظنون ﴾

(معالم التنزيل فى التفسير) الامام محيي السنة أبى محمد حسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بمطبعة التقدم العلمية بمصر

(سنة ١٣٣٢ هجريه)

﴿ على نفقة أبناء المرحوم مولوى محمد بن غلام رسول السورتى

عبد الستار وعبد الصمد وعبد الرزاق أصحاب المكتبة المحمدية

فى (بومباى) حفظهم الله ﴾

﴿ سورة الرحمن ﴾
مكية وهي ست وسبعون آية
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(الرحمن) نزلت حين قالوا
وما الرحمن وقيل هو جواب
لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه
بشر (علم القرآن) قال الكلبي
علم القرآن محمدا وقيل علم القرآن
سره للذكر (خلق الانسان)
يعني آدم عليه السلام قاله ابن
عباس وقتادة (علمه البيان)
أسماء كل شئ وقيل علمه
اللغات كلها وكان آدم يتكلم
بسبعمائة ألف لغة أفضلها
العربية وقال الآخرون
الانسان اسم جنس وأراد
به جميع الناس علمه البيان
النطق والكتابة والفهم
والافهام حتى عرف ما يقول
وما يقال له هذا قول أبي العالية
وابن زيد والحسن وقال
السدي علم كل قوم لسانهم
الذي يتكلمون به وقال ابن
كيسان خلق الانسان يعني
محمدا صلى علمه البيان يعني
بيان ما كان وما يكون لانه
كان يبين عن الاولين
والآخرين وعن يوم الدين
(الشمس والقمر بحسبان)
قال مجاهد بحسبان الرحى
يدوران في مثل قطب الرحا
قال غيره معناه أي يجريان
بحساب ومنازل لا يعدوانها
قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن

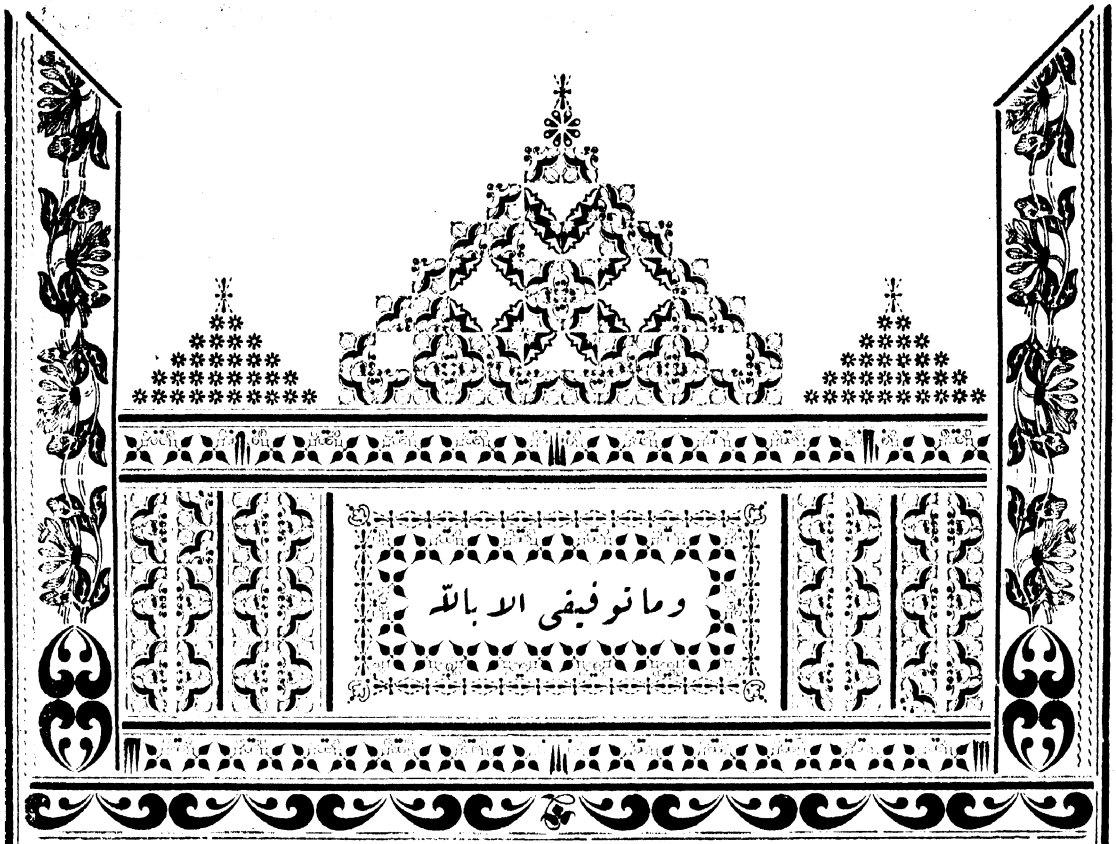

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل وهي مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول من قولين عن ابن عباس وهي ست وسبعون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فأنزل الله الرحمن يعني الذي أنكرتموه هو الذي علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه أعظم وحي الله الى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه وأكثره ذكرا وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية (خلق الانسان) يعني آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعني أسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعني بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في

زيد وابن كيسان يعني بهما تحسب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيأ الشتاء
وقال الضحاك يجريان بقدر والحسبان يكون مصدر حسبت حسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان والنقصان وقد يكون جمع الحساب كالشهبان والركبان (والنجم والشجر يسجدان) النجم ما ليس له ساق من النبات والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودهما سجود

ظلهما كما قال يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وقال مجاهد النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه (والسماء رفعها) فوق الارض (ووضع الميزان) قال مجاهد أراد بالميزان العدل المعنى انه أمر بالعدل يدل عليه قوله تعالى (ألا تطغوا في الميزان) اى لا تجاوزوا العدل وقال الحسن وقتادة والضحاك أراد به الذى يوزن به ليوصل به الى الانصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير ألا تطغوا يعنى لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) بالعدل وقال أبو الدرداء وعطاء معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل قال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) ولا تنقصوا (الميزان) ولا تطففوا في الكيل والوزن (والارض وضعها للانام) للخلق الذين بثهم فيها (فيها فاكهة) يعنى أنواع الفواكه قال ابن كيسان ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى (والنخل ذات الاكمام) الاوعية التي يكون فيها الثمر لان (٣) ثمر النخل يكون في غلاف مالم

الشتاء وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول أظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما أرضيان في مقابلة سمائيين (والسماء رفعها) اى فوق الارض (ووضع الميزان) قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه أمر بالعدل يدل عليه قوله (ألا تطغوا في الميزان) اى لا تجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التي يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير أن لا تطغوا في الميزان اى لا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) يعنى بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) أى لا تنقصوا (الميزان) اى لا تطففوا في الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) اى خفضها ممدوحة على الماء (للانام) يعنى للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها) يعنى في الارض (فاكهة) يعنى من أنواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى (والنخل ذات الاكمام) يعنى الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شئ ستر شيأ فهو كم وقيل أكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه أعظمها وأكثرها بركة (والحب) يعنى جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب أنفع من النخل وأعم وجودا في الاماكن (ذو العصف) قال ابن عباس يعنى التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث في الاكمام الحب (والريحان) يعنى الرزق قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذى يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) يعنى أيها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع اليه بالايادى وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا التكرار شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأى آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها

ينشق واحدها كم وكل ما ستر شيأ فهو كم وكمة ومنه كم القميص ويقال للقلنسوة كمة قال الضحاك ذات الاكمام اى ذات الغلف وقال الحسن أكمامها ليفها وقال ابن زيد هو الطلع قبل أن ينفتق (والحب ذو العصف) أراد بالحب جميع الحبوب التي تحرث في الارض والعصف قال مجاهد هو ورق الزرع قال ابن كيسان العصف ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو أولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث من الاكمام الحب وقال ابن عباس في رواية الوالبي هو التبن وهو قول الضحاك وقتادة وقال عطية عنه هو ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس نظيره كعصف مأكول (والريحان) هو الرزق في قول الاكثرين قال ابن عباس كل ريحان في القرآن فهو رزق قال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذى يشم قال الضحاك العصف هو التبن والريحان

ثمرته وقراءة العامة والحب ذو العصف والريحان كلها مرفوعات بالرد على الفاكهة وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بنصب الباء والنون وذا بالالف على معنى خلق الانسان وخلق هذه الاشياء وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالجر عطفا على العصف فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أيها الثقلان يريد من هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها على عادة العرب في الابلاغ والاشباع يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع عليه بالايادى وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فاغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا التكرار شائع في كلام العرب حسن تقريرا وقد خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب تخاطب

الواحد بلفظ التثنية كقوله تعالى ألقيا في جهنم وروى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان) وهو أبو الجن وقال الضحاك هو ابليس (من مارج من نار) وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه قال مجاهد هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا أوقدت من قولهم مرج أمر القوم اذا اختلط (فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) مشرق الصيف ومشرق الشتاء (ورب المغربين) مغرب الصيف ومغرب الشتاء (فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) العذب والملح

عليكم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا أحسن منكم ردا وفيه ولا بشيء * قوله تعالى (خلق الانسان من صلصال) يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف * فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار * قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعل له طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار (وخلق الجان) وهو أبو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت (فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعني أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) أي حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أي لا يبغي أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام (فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل أراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما قال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف افواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة * وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ما عظم من الدر (والمرجان) صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر (فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعني السفن الكبار (المنشآت) أي المرفوعات التي يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هي ما رفع قلعها من السفن أما ما لم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (في البحر كالاعلام) أي كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن

أرسلهما وخلاهما (يلتقيان بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه وقال قتادة لا يطغيان على الناس بالغرق وقال الحسن مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وعن قتادة أيضا بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقال مجاهد والضحاك بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام (فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قرأ أهل المدينة والبصرة يخرج بضم الياء وفتح الراء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء (اللؤلؤ والمرجان) وانما يخرج من الملح دون العذب وهذا جائز في كلام العرب ان يذكر شيآن ثم يخص أحدهما بفعل كما قال عز وجل يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وكان الرسل من الانس دون الجن وقال بعضهم يخرج من ماء السماء وماء البحر قال ابن جريج اذا أمطرت السماء فتحت السفن الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة واللؤلؤ ما عظم من الدر والمرجان صغارها وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا وقيل المرجان الخرز الاحمر وقال عطاء الخراساني هو البسد (فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) السفن الكبار (المنشآت) وقرأ حمزة وأبو بكر المنشآت بكسر الشين أي المنشآت السير يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وقيل هي ما رفع قلعه من السفن وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت وقيل المخلوقات المسخرات (في البحر كالاعلام) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر

(فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) أى على الارض من حيوان فانه (فان) هالك (ويبقى وجه ربك ذو الجلال) ذو العظمة والكبرياء (والاكرام) أى مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان يسئله من فى السموات والارض) من ملك وانس وجن وقال قتادة معناه لا يستغنى عنه أهل السماء والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسالونه المغفرة وأهل الارض يسالونه الرزق والتوبة والمغفرة وقال مقاتل يساله أهل الارض الرزق والمغفرة وتساله الملائكة أيضا لهم الرزق والمغفرة (كل يوم هو فى شان) قال مقاتل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيا قال المفسرون من شانه ان يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه ما يشاء (٥) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى املاء أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزاز أنا يحيى بن الربيع المكى أنا سفيان بن عيينة انا أبو حمزة اليمانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم هو فى شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يوما ن أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشان الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشان يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقيل شانه جل ذكره انه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله عز وجل وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت وقال أبو سليمان الدارانى فى هذه الآية كل يوم له الى العبيد برجديد (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) قرأ حمزة والكسائى سيفرغ بالياء لقوله يساله من فى السموات والارض ويبقى وجه ربك وله الجوار فاتبع الخبر الخبر وقرأ الآخرون بالنون وليس المراد منه الفراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان ولكنه وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة كقول القائل لا تفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس والضحاك وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشان وقال آخرون معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونا خذ فى أمركم كقول القائل للذى لا شغل له قد تفرغت لك وقال بعضهم ان الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه والى هذا ذهب الحسن ومقاتل (أيه الثقلان) أى

السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) * قوله عز وجل (كل من عليها) أى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء (فان) أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعنى ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفى المخاطب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم (ذو الجلال) أى ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والاكرام) أى المكرم لانبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بيا ذا الجلال والاكرام أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها * قوله تعالى (يسئله من فى السموات والارض) يعنى من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسالونه المغفرة وأهل الارض يسالونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يساله الرحمة وما يحتاج اليه فى دينه او دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى (كل يوم هو فى شأن) قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيا قال المفسرون من شانه انه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله واحداثه فى خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوى باسناده الثعلبى عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شان قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يوما ن أحدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيامة والشان الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة ايام الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشان يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون فى كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده فى ذلك الوقت وقال ابو سليمان الدارانى فى هذه الآية له فى كل يوم الى العبيد برجديد وقيل شانه تعالى انه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان) قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق

الجن والانس سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض أحياء وأمواتا قال الله تعالى وأخرجت الارض أثقالها وقال أهل المعانى كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل قال النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام سمى الجن والانس ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب (فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا) أى تجوزوا وتخرجوا (من أقطار السموات والارض) أى من جوانبهما وأطرافهما (فانفذوا) معناه ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها والمعنى حيثما كنتم أدركم الموت كما قال جل ذكره أينما تكونوا يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة ان استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا (لا تنفذون الا بسلطان) أى بملك وقيل بحجة (٦) والسلطان القوة التى يتسلط بها على الامر فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان يريد حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وروى عن ابن عباس قال معناه أن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان أى ببينة من الله عزوجل وقيل قوله الا بسلطان أى الا الى سلطان كقوله وقد أحسن بى أى أحسن الى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة و بلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا الآية وذلك قوله عزوجل (يرسل عليكما شواظ من نار) قرأ ابن كثير بكسر الشين والآخرون بضمها وهما لغتان مثل صوار من البقر وصوار وهو اللهب الذى لا دخان فيه هذا قول أكثر المفسرين وقال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قرأ ابن كثير وأبو عمر ونحاس بجر السين عطفا على النار وقرأ الباقون برفعها عطفا على الشواظ قال سعيد بن جبير والكلبى وقيل النحاس الدخان وهو رواية عطاء عن ابن عباس ومعنى الرفع يرسل عليكما شواظ و يرسل نحاس هذا مرة وهذا مرة و يجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج احدهما بالآخر ومن جر بالعطف على النار يكون ضعيفا لانه لا يكون شواظ من نحاس فيجوز أن يكون تقديره شواظ من نار وشئ من نحاس على انه حكى أن الشواظ لا يكون الا من النار والدخان جميعا قال مجاهد وقتادة النحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو رواية العوفى عن ابن عباس وقال عبد الله بن مسعود النحاس هو المهل (فلا تنتصران) أى فلا تمتنعان من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت) انفرجت (السماء) فصارت أبوابا لنزول الملائكة

بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لا تفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى أمركم فهو كقول القائل الذى لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض أحياء وأمواتا وقيل كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر ابن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب (فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) أى تخرجوا (من أقطار السموات والارض) أى جوانبهما وأطرافهما (فانفذوا) أى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها حيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكى ومن سمائى وأرضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لانهم أقدر على النفوذ والهرب من الانس وأقوى على ذلك ثم قال تعالى (لا تنفذون الا بسلطان) يعنى لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك لانكم حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان أى بينة من الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة و بلسان من نار ثم ينادى يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار) قال أكثر المفسرين هو اللهب الذى لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر (فلا تنتصران) أى فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) أى انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى أهل الارض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء

(فكانت وردة) أى كلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة والصفرة قال قتادة انها اليوم خضراء ويكون لها يومئذ لون آخر يضرب الى الحمرة وقيل انها تتلون ألوانا يومئذ كلون الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فاذا اشتد الشتاء كان أغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه (كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الوردة فى اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع وقال عطاء بن أبى رباح كالدهان كعصير الزيت يتلون فى الساعة ألوانا وقال مقاتل كدهن الورد الصافى وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقال الكلبى كالدهان أى كالاديم الاحمر وجمعه أدهنة ودهن (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) قال الحسن وقتادة لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله عز وجل علمها منهم وكتبت الملائكة عليهم وهى رواية العوفى عن ابن (٧) عباس وعنه أيضا لا تسأل الملائكة

وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ما هو أعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ ألوانا كألوان الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فاذا اشتد البرد صار أغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان أى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان أى كالاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) قيل لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس أيضا فى الجمع بين هذه الآية و بين قوله تعالى فور بك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لا يسأل هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكنه يسأل هم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لا يسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى و بعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم) أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التى يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها و بين حميم آن) يعنى قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الحميم و بين الجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى قد صار كالمهل وقال كعب الاحبار آن وادمن أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار وذلك قوله تعالى يطوفون بينها و بين حميم آن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) * فان قلت هذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان * قلت المذكور فى هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه) يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة

المجرمين لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده وهذا قول مجاهد وعن ابن عباس فى الجمع بين هذه الآية و بين قوله فور بك لنسئلنهم أجمعين قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعن عكرمة انه قال انها مواطن يسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وانما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقال أبو العالية لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) وهو سواد الوجوه وزرقة العيون كما قال جل ذكره يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (فيؤخذ بالنواصى والاقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان) تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف و يلقون فى النار ثم يقال لهم (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) المشركون (يطوفون بينها و بين حميم آن) قد انتهى حره قال الزجاج أنى يأنى فهو آن اذا انتهى فى النضج والمعنى انهم يسعون بين الجحيم والحميم فاذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى صار كالمهل وهو قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال كعب الاحبار آن وادمن أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فى ذلك الوادى حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار وذلك قوله يطوفون بينها و بين حميم آن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وكل ما ذكر الله تعالى من قوله كل من عليها فان الى هينا مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر عن المعاصى ولذلك ختم كل آية بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه فقال (ولمن خاف مقام ربه) أى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك

المعصية والشهوة وقيل قيام ربه عليه بيانه قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال ابراهيم النخعي ومجاهد هو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله وقوله (جنتان) قال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم قال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته قال الضحاك هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به الى الله لا يحب ان يطلع عليه أحد وقال قتادة ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي أنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي حدثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن يونس أنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني أنا محمد بن عبيد الهمداني أنا هاشم بن القاسم عن أبي عقيل هو الثقفي عن يزيد بن شيبان سمعت بكير بن فيروز قال سمعت أبا هريرة قال قال رسول الله صلى من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا (٨) علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة مولى حويطب بن عبد العزى عن عطاء ابن يسار عن أبي الدرداء انه سمع رسول الله صلى يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي الدرداء (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال (ذواتا أفنان) أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي وقال عكرمة ظل الاغصان على الحيطان قال الحسن ذواتا ظلال قال ابن عباس ألوان قال سعيد بن جبير والضحاك ألوان ابن القواكه واحدها فنن من قولهم أفنن فلان في حديثه اذا أخذ في فنون منه وضروب وجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقال قتادة ذواتا فضل وسعة على ماسواهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة على أهل الجنة قال الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان ونوعان قيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة وقال الزجاج وهي مما يلي الارض (من استبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق فظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض أحد يعرف ما الظواهر

والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله في السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشيته وما عمل من خير أخلصه لله ولا يحب أن يطلع عليه أحد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودأبوا الليل والنهار (جنتان) يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة لخوفه ربه وجنة بتركه شهوته * عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذي قوله أدلج الادلاج مخففا سير أول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد في أول الامر فان من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (ذواتا أفنان) أي أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعني ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة (من استبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال

(وجنى الجنتين دان) الجنى ما يجتنى من الثمار يريد ثمرهما دان قريب ينا له القائم والقاعد والنائم قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا قال قتادة لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف) غاضات الاعين قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمثهن) لم يجامعهن ولم يفرعهن وأصله من الدم قيل للحائض طامث كانه قال لم يدمهن بالجماع (انس قبلهم ولا جان) قال الزجاج فيه دليل على ان الجنى يغشى كما يغشى الانسى قال مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه قال مقاتل فى قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لانهن خلقن فى الجنة فعلى قوله هؤلاء من حور الجنة وقال الشعبى هن من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن وهو قول الكلبى يعنى لم يجامعهن فى هذا

الخلق الذى أنشئن فيه انس ولا جان وقرأ طلحة بن مصرف لم يطمثهن بضم الميم فيهما وقرأ الكسائى احداهما بالضم فان كسر الاولى ضم الثانية وان ضم الاولى كسر الثانية لما روى أبو اسحق السبيعى قال كنت أصلى خلف أصحاب على رضى الله عنه فأسمعهم يقرؤن لم يطمثهن بالرفع وكنت أصلى خلف أصحاب عبد الله بن مسعود فاسمعهم يقرؤن بكسر الميم وكان الكسائى يضم احداهما ويكسر الاخرى لئلا يخرج عن هذين الاثرين (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) قال قتادة صفاء الياقوت فى بياض المرجان ورو ينا عن أبى سعيد فى صفة

ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس فى الارض أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولا بد أن تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر (وجنى الجنتين دان) يعنى أن ثمرهما قريب ينا له القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) * فان قلت الضمير الى ما ذا يعود * قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) أى غاضات الاعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمثهن) أى لم يجامعهن ولم يفرعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمثن قبل * وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسسن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (انس قبلهم) أى قبل أزواجهن من أهل الجنة (ولا جان) قيل انما نفى الجن لان لهم أزواجا فى الجنة منهم وفى الآية دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى الانسى وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه واختلف فى هؤلاء اللواتى لم يطمثن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن فى الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتى متن أبكارا ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك أقر لاعين أزواجهن اذا لم يغشهن أحد غيرهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان أحسن الالوان البياض المشوب بحمرة والاصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان

أهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمهن ودمائهما وجلدهما أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب أنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب درى فى السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يمرضون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون

ذراعا فى السماء أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أنا هرون بن محمد بن هرون أنا حازم بن يحيى الحلوانى أنا سهيل بن عثمان العسكرى أنا عبيدة بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها ان الله يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ما جزاء من أحسن فى الدنيا الا أن يحسن اليه فى الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه أنا ابن أبى شيبة أنا اسحق بن ابراهيم بن بهرام أنا الحجاج بن يوسف المكتب أنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أى من دون الجنتين الاوليين جنتان أخريان قال ابن عباس من دونهما فى الدرج وقال ابن زيد من دونهما فى الفضل وقال أبو موسى الاشعرى جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان سودا وان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال الكنانى ومن دونهما جنتان يعنى أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الاوليين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أى

المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذى قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد فى رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخارى قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعنى بخورهم العود (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ما جزاء من أحسن فى الدنيا الا أن يحسن اليه فى الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوى باسناد الثعلبى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدى بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتى وتوحيدى الا ان اسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى وقيل فى معنى الآية هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان يؤتى فى مقابلته بفعل حسن وفى الآية اشارة الى رفع التكليف فى الآخرة لان الله وعد المؤمنين بالاحسان وهو الجنة فلو بقى التكليف فى الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أى ومن دون الجنتين الاوليين جنتان أخريان وقال ابن عباس من دونهما فى الدرج وقيل فى الفضل وقال أبو موسى الاشعرى جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال الكنانى ومن دونهما جنتان يعنى أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الاوليين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أى

سودا وان من شدة الخضرة تضربان الى السواد

للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا على بن عبد الله أنا عبد العزيز بن عبد الصمد عن ابى عمران عن ابى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال الكنانى ومن دونهما أى أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان

سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على اولياء الله وقال انس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كطش المطر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) يعنى فيهما من انواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا يأكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول اهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوى بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال اوالدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واليين من الزبد ليس له عجم وروى ان الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل اهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) اى في الجنان الاربع (خيرات حسان) روى عن ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات) اى محدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن اطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا (في الخيام) قيل هي البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من درلؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة (ق) عن ابي موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) تقدم تفسيره (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق

عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وورقها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) يعنى في الجنان الاربع (خيرات حسان) روى الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات) محبوسات مستورات في الحجال يقال امرأة مقصورة وقصيرة اذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج وقال مجاهد يعنى قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها (في الخيام) جمع خيمة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن المثنى أنا عبد العزيز بن عبد الصمد أنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قال سعيد بن جبير الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى ذلك عن ابن عباس واحدتها رفرفة وقال الرفارف جمع الجمع وقيل الرفرف البسط وهو قول

الحسن ومقاتل والقرظي وروى العوفي عن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط وقال الضحاك وقتادة هي مجالس مخضرة فوق العرش وقال ابن كيسان هي المرافق وقال ابن عيينة الزرابي وقال غيره كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) هي الزرابي والطنافس الثخان وهي جمع واحدتها عبقرية وقال قتادة العبقري عتاق الزرابي وقال أبو العالية هي الطنافس المخملة الى الرقة وقال القتيبي كل ثوب موشي عند العرب عبقري وقال أبو عبيدة هو منسوب الى أرض يعمل بها الوشي قال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقري ومنه قول

النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم أر عبقريا يفري فريه (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قرأ أهل الشام ذو الجلال بالواو وكذلك هو في مصاحفهم اجراء على الاسم أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني انا ابو محمد محمد بن علي بن محمد ابن شريك الشافعي انا عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا ابو بكر الجوزي انا احمد بن حرب انا ابو معاوية الضرير عن عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام

﴿ سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا وقعت الواقعة) اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة (ليس لوقعتها) لمجيئها (كاذبة) كذب كقوله لا تسمع فيها لاغية أي لغو يعني انها تقع صدقا وحقا والكاذبة اسم كالعافية والنازلة (خافضة رافعة) تخفض أقواما الى النار وترفع آخرين الى الجنة وقال عطاء عن ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعفين (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا وزلزلت زلزالا قال الكلبي ان الله اذا أوحى اليها اضطربت فرقا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها وأصل الرج في اللغة التحريك يقال رجحته فارتج (وبست الجبال بسا) قال عطاء ومقاتل ومجاهد فتتت فتا فصارت كالسويق

الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشي عند العرب فهو عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقريا يفري فريه وأصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شيء عجيب بديع (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى أن الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائي غير قولها لم يقعد الا مقدار ما يقول والله أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الواقعة مكية ﴾

وهي سبع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف

روى البغوي بسنده عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو ظبية لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى أعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) يعني اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) يعني لمجيئها (كاذبة) يعني ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أي كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) أي تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعفين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة (اذا رجت الارض رجا) اي اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) أي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة وقيل معناه قامت من

أصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعنى أصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم التابعون باحسان (ما أصحاب الميمنة) تعجيب من حالهم فى السعادة والمعنى أى شئ هم (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) يعنى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا أبالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى مادعا الله اليه من أعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة * فان قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين * قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة فى الثواب واما مسىء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد أصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم أثنى على السابقين فقال تعالى (أولئك المقربون) يعنى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) * قوله تعالى (ثلة) أى جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) يعنى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من الآخرين يعنى التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقيل من الآخرين أى ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) أى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل

أصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعنى أصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم التابعون باحسان (ما أصحاب الميمنة) تعجيب من حالهم فى السعادة والمعنى أى شئ هم (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) يعنى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا أبالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى مادعا الله اليه من أعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة * فان قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين * قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة فى الثواب واما مسىء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد أصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم أثنى على السابقين فقال تعالى (أولئك المقربون) يعنى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) * قوله تعالى (ثلة) أى جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) يعنى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من الآخرين يعنى التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقيل من الآخرين أى ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) أى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل

المبهون وهو المبطول قال سعيد بن المسيب والسدى كسرت كسرا وقال الكلبى سيرت على وجه الارض تسييرا قال الحسن قلعت من أصلها فذهبت تظيرها فقل ينسفها ربى نسفا قال ابن كيسان جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة (فكانت هباء منبثا) غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أصنافا (ثلاثة) ثم فسرها فقال (فأصحاب الميمنة) هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله لهم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وقال الضحاك هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقال الحسن والربيع هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم وكانت أعمارهم فى طاعة الله وهم التابعون باحسان ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (ما أصحاب الميمنة) وهذا كما يقال زيد ما زيد ورادز يد شديد (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) يعنى أصحاب الشمال والعرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى ومنه تسمى الشأم واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشأم عن شمالها وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله لهم هؤلاء فى النار ولا أبالى وقال الضحاك هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم وقال الحسن هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم فى المعاصى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس السابقون الى الهجرة هم السابقون فى الآخرة وقال عكرمة السابقون الى الاسلام قال ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين دليله قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال الربيع بن أنس السابقون الى اجابة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الدنيا هم السابقون الى الجنة فى العقبى وقال مقاتل الى اجابة الانبياء صلوات الله عليهم بالايمان وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الى الصلوات الخمس وقال الضحاك الى الجهاد وقال سعيد بن جبير هم المسارعون الى التوبة والى أعمال البر قال الله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم ثم أثنى عليهم فقال أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون قال ابن كيسان والسابقون الى كل مادعا الله اليه وروى عن كعب قال هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة وقيل هم أولهم رواحا الى المسجد وأولهم خروجا فى سبيل الله وقال الفرظى الى كل خير (أولئك المقربون) من الله (فى جنات النعيم ثلة من الاولين) أى من الامم الماضية من لدن آدم عليه السلام الى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم والثلة الجماعة غير محصورة العدد (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم (على سرر موضونة) منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها فى بعض قال المفسرون

هى موصولة منسوجة بالذهب والجواهر وقال الضحاك موضونة مصفوفة (متكئين عليها متقابلين) لا ينظر بعضهم فى قفا بعض (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان) غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون وقال الفراء تقول العرب لمن كبر ولمن شمط انه مخلد قال ابن كيسان يعنى ولدانا لا يحولون من حالة الى حالة قال سعيد بن جبير مقرطون يقال خلد جاريته اذا حلاها بالخلد وهو القرط قال الحسن هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات

فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها لان الجنة لا ولادة فيها فهم خدم أهل الجنة (بأكواب وأباريق) فالاكواب جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الا فواه لا آذان لها ولا عرى والاباريق جمع ابريق وهى ذوات الخراطيم سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء (وكأس من معين) خمر جارية (لا يصدعون عنها) لا تصدع رؤسهم من شربها (ولا ينزفون) أى لا يسكرون هذا اذا قرئ بفتح الزاى ومن كسر فمعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يختارون ما يشتهون يقال تخيرت الشئ اذا أخذت خيره (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ويقال انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير فيذهب (وحور عين) قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائى بكسر الراء والنون أى وبحور عين أتبعه قوله بأكواب وأباريق وفاكهة ولحم طير فى الاعراب وان اختلفا فى المعنى لان الحور لا يطاف بهن كقول الشاعر

اذا ما الغانيات برزن يوما * وزججن الحواجب والعيونا

(لا والعين لا نزجج وانما تكحل ومثله كثير وقيل معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين وقرأ الباقون بالرفع أى ويطوف عليهم حور عين وقال الاخفش رفع على معنى لهم حور عين وجاء فى تفسيره حور عين بيض ضخام العيون (كأمثال اللؤلؤ المكنون) المخزون فى الصدف لم تمسه الايدى ويروى انه يسطع نور فى الجنة قالوا وما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها ويروى أن الحوراء اذا مشت ليسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت ليضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون)

موضونة يعنى مصفوفة (متكئين عليها) أى على السرر (متقابلين) يعنى لا ينظر بعضهم فى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة فى المجالسة وقيل لانهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار وظهور (يطوف عليهم) أى للخدمة (ولدان) أى غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق فى الاذن واختلفوا فى هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالا وفيه ضعف لان الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بأبى الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول أقرب من الاول لانه قد اختلف فى أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذى لا معدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان أسنت (بأكواب) جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الا فواه لا آذان لها ولا عرا (وأباريق) جمع ابريق وهى ذوات الخراطيم والعرا سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكأس من معين) أى من خمرة جارية (لا يصدعون عنها) أى لا تصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون) أى لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاى ومعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) أى يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير * فان قلت هل فى تخصيص الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتهاء بلاغة * قلت نعم وكيف لا وفى كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذى يظهر فيه أن اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشتهه والشبعان غير مشتهه بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم (وحور عين) أى ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء فى تفسير حور أى بيض عين أى ضخام العيون (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء روى انه سطع نور فى الجنة فقيل ما هذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروى أن الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون) أى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا

لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا) أي قولا (سلاما سلاما) نصبهما اتباعا لقوله قيلا أي يسمعون قيلا سلاما سلاما قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود) لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وعكرمة وقال الحسن لا يعقر الايدي قال ابن كيسان هو الذي لا أذى فيه قال وليس شئ من ثمر الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه قال الضحاك ومجاهد هو الموقر حملا قال سعيد بن جبير ثمارها أعظم من القلال قال أبو العالية والضحاك ونظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدرها وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية (وطلح) أي موز واحدتها طلحة عن أكثر المفسرين وقال الحسن ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب قال الفراء وأبو عبيدة الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال قرأ رجل عند علي رضي الله عنه وطلح (منضود) فقال وما شأن الطلح انما هو وطلع منضود ثم قرأ طلعها هضيم قلت يا أمير المؤمنين انها في المصحف بالحاء أفلا نحولها فقال ان القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول والمنضود المنراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله الى

(لا يسمعون فيها) أي في الجنة (لغوا) قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولا تأثيما) قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأثمون تأثيما أي ما هو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح (الا قيلا) معناه لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا (سلاما سلاما) يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو برسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) لما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى (في سدر مخضود) أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية (وطلح) قيل هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة نخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) أي منراكم قد نضد بالحمل من أوله الى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى أغصانه ثمر وليس شئ من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) أي دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظلها الا شمس فيها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (وماء مسكوب) أي مصبوب يجري دائما في غير أخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد اذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال علي رضي الله عنه على الاسرة وقيل

آخره ليست له سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها ثمر كله (وظل ممدود) دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشئ الذي لا ينقطع ممدود أخبرنا أبو علي حسان ابن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أبو الحسن احمد ابن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام ابن منبه قال ثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق العرش يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (وماء مسكوب) مصبوب يجري دائما في غير أخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا اذا جاء الشتاء ولا يتوصل اليها الا بالثمن وقال القتيبي يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال علي رضي الله عنه وفرش مرفوعة على الاسرة وقال جماعة من المفسرين بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن حبيش ثنا أبو عبد الرحمن النسائي ثنا أبو زريب ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ان ارتفاعها كما بين السماء والارض وان ما بين

السماء والارض لمسيرة خمسمائة عام وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة مرفوعة رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبه (انا أنشأناهن انشاء) خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر (فجعلناهن أبكارا) عذارى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي عن الهيثم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى الترمذي أنا عبيد بن حميد أنا مصعب بن المقدام أنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الخطيب أنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور أنا أبو بكر بن محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي ببغداد أنا خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي ثنا سفيان الثوري عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا أنشأناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا

جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وذكر المسيب عن غيره انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقال مقاتل وغيره هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع (عربا) قرأ حمزة واسماعيل عن نافع وأبو بكر عربا ساكنة الراء الباقون بضمها وهي جمع عروب أي عواشق محببات الى أزواجهن قاله الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وهي رواية الوالبي عن ابن عباس وقال عكرمة عنه ملقة وقال عكرمة غنجة وقال أسامة بن زيد عن أبيه عربا حسنات الكلام (أترابا) مستويات في السن على سن واحد أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة أنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعا في سبعة أذرع أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود ثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشد بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينظر الى وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون

بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أي رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله في عقبه (انا أنشأناهن انشاء) أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر (فجعلناهن أبكارا) يعني عذارى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال ان من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى قال انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل وروى باسناد الثعلبي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا أنشأناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع (عربا) جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة ابن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام (أترابا) يعني أمثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا.

عليها أبدا وكذلك أهل النار وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن محمد بن سليمان عن الحجاج بن عتاب العبدي عن عبد الله بن معبد الرماني عن أبي هريرة قال أدنى أهل الجنة منزلة ومامنهم دنيء لمن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه قوله عز وجل (لأصحاب اليمين) يريد أنشأناهن لاصحاب اليمين (ثلة من الاولين) من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الامة (وثلة من الآخرين) من مؤمني هذه الامة هذا قول عطاء ومقاتل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد العدل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق ثنا محمد بن العزيز ثنا عيسى بن المساور ثنا الوليد بن مسلم ثنا عيسى بن موسى عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله على رسوله ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر رضي الله عنه فقال يانبي الله آمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقناه ومن نجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله عز وجل فيما قلت فقال عمر رضي الله عنه رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنى الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الاسودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا حصين بن نمير عن حصين ابن عبد الرحمن عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال عرضت على الامم فجعل يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط والنبي ليس معه أحد ورأيت سوادا كثيرا سد الافق فرجوت أن يكونوا أمتي فقيل هذا موسى في قومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا

مردامكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (لاصحاب اليمين) يعني أنشأناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لاصحاب اليمين (ثلة من الاولين) يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة (وثلة من الآخرين) يعني من مؤمني هذه الامة يدل عليه ماروى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يانبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الاسودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت انهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين (ق) عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة

سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال أمنهم أنا يارسول الله فقال نعم فقام آخر فقال أمنهم أنا قال عليه السلام قد سبقك بها عكاشة ورواه عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الانبياء الليلة بأتباعها حتى أتى على موسى عليه السلام في كبكبة بني اسرائيل فلما رأيته أعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء قيل هذا أخوك موسى ومن معه من بني اسرائيل قلت رب فأين أمتي قيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة لا حساب لهم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم

ان استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب وان عجزتم فكونوا من أهل الافق فاني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون كثيرا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وذهب

جماعة الى ان الثلثين جميعا من هذه الامة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلثة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الدينوري ثنا أحمد بن اسحق السني أنا أبي خليفة الفضل بن الحباب ثنا محمد ابن كثير أنا سفيان عن أبان ابن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) ريح جارة (وحميم) ماء حار (وظل من يحموم) دخان شديد السواد تقول العرب أسود يحموم اذا كان شديد السواد وقال الضحاك النار سوداء وأهلها سود وكل شئ فيها أسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار (لا بارد ولا كريم) قال قتادة لا بارد المنزل ولا كريم المنظر تشرب

مسلمة وما أنتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة الى أن الثلثين جميعا من هذه الامة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلثة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة أيضا في آخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه * فان قلت كيف قال في الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين * قلت الآية الاولى في السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في أصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين وحكى عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ * قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالتهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) أي في حر النار وقيل في ريح شديد الحرارة (وحميم) أي ماء حار يغلي (وظل من يحموم) يعني في ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء وأهلها سود وكل شئ فيها أسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار (لا بارد ولا كريم) يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى أمرين أحدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل أهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان أسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك) يعني في الدنيا (مترفين) يعني منعمين (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل ان الاولين والآخرين يعني الآباء والابناء (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم انكم أيها الضالون) يعني عن الهدى (المكذبون) أي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب (لآكلون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) يعني الابل العطاش قيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال

وقال سعيد بن المسيب ولا كريم ولا حسن نظيره من كل زوج كريم وقال مقاتل طيب (انهم كانوا قبل ذلك) يعني في الدنيا (مترفين) منعمين (وكانوا يصرون) يقيمون (على الحنث العظيم) على الذنب الكبير وهو الشرك وقال الشعبي الذنب العظيم اليمين الغموس ومعنى هذا انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب أئذا مستفهما انا بتركه وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما (أو آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) قرأ أهل

المدينة وعاصم وحمزة شرب بضم الشين وقرأ الباقون بفتحها وهما لغتان فالفتح على المصدر والضم اسم بمعنى المصدر كالضعف والهيم الابل العطاش قال عكرمة وقتادة الهيام داء يصيب الابل لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك يقال جمل أهيم وناقة هيماء والابل هيم وقال الضحاك وابن عيينة الهيم الارض السهلة ذات الرمل (هذا نزلهم) يعني ماذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعدلهم (يوم الدين) يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم في البعث فقال تعالى (نحن خلقناكم) قال مقاتل خلقناكم ولم

تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذا نزلهم) يعني ماذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعدلهم (يوم الدين) يعني يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعني ولم تكونوا شيأ وأنتم تعلمون ذلك (فلولا) أي فهلا (تصدقون) يعني بالبعث بعد الموت * قوله عزوجل (أفرأيتم ماتمنون) يعني ما تصبون في الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) أي أأنتم تخلقون ماتمنون بشرا (أم نحن الخالقون) أي انه خلق النطفة وصورها وأحياها فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على أن يعيدكم كما أنشاكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) يعني لا يفوتني شيء أريده ولا يمتنع مني أحد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى (على أن نبدل أمثالكم) أي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في أسرع حين (وننشئكم) أي نخلقكم (فيما لا تعلمون) أي من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ما هو أسمج منها من أي خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أي ان أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء أن يبدلهم بامثالهم من بني آدم قدر ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض أهل المعاني هذا يدل على النشاة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمونه يعني وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا في الازمان ولا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الاولى) أي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيأ وفيه تقرير للنشاة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) أي بانى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم أول مرة * قوله تعالى (أفرأيتم ماتحرثون) لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقاء وذكر أمورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول أولا لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التي بها الاصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه أيضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح أكثر الاغذية فقوله أفرأيتم ماتحرثون أي ماتثيرون من الارض وتلقون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) أي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه (أم نحن الزارعون) معناه أأنتم فعلتم ذلك أم الله ولا شك في ان ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس (لو نشاء لجعلناه) يعني ماتحرثونه وتلقون فيه من البذر

تكونوا شيأ وأنتم تعلمون ذلك (فلولا) فهلا (تصدقون) بالبعث (أفرأيتم ماتمنون) تصبون في الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) يعني أأنتم تخلقون ماتمنون بشرا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا) قرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان (بينكم الموت) قال مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وقال الضحاك تقديره انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء فعلى هذا يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بأمثالكم فذلك قوله عزوجل (على أن نبدل أمثالكم) يعني نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم (وننشئكم) نخلقكم (فيما لا تعلمون) من الصور قال مجاهد في أي خلق شئنا وقال الحسن أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة

وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم يعني ان أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف وبرهوت واد باليمن (ولقد علمتم النشأة الاولى) الخلقة الاولى ولم تكونوا شيأ (فلولا تذكرون) اني قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم (أفرأيتم ماتحرثون) يعني تثيرون من الارض وتلقون فيها من البذر (أأنتم تزرعونه) تنبتونه (أم نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه

حطاما) قال عطاء تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم وغذاء (فظلتم) وأصله فظللتم حذفت احدى اللامين تخفيفا (تفكهون) تتعجبون بما نزل بكم فى زرعكم وهو قول عطاء والكلبى ومقاتل وقيل تندمون على نفقاتكم وهو قول يمان نظيره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وقال الحسن تندمون على ما سلف منكم من المعصية التى أوجبت تلك العقوبة وقال عكرمة تتلاومون وقال ابن كيسان تحزنون قال الكسائى هو تلهف على ما فات وهو من الاضداد تقول العرب تفكهت أى تنعمت وتفكهت أى حزنت (انا لمغرمون) قرأ أبو بكر عن عاصم أئنا بهمزتين وقرأ الآخرون على الخبر وجاز الآية فظلتم تفكهون وتقولون انا لمغرمون وقال مجاهد وعكرمة لموقع بنا وقال ابن عباس وقتادة معذبون والغرام العذاب وقال الضحاك وابن كيسان غرمنا أموالنا وصار ما أنفقنا غرما علينا والمغرم الذى ذهب ماله بغير عوض وهو قوله (بل نحن محرومون) محدودون ممنوعون أى حرمنا ما كنا نطلبه من الربح فى الزرع (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب واحدتها مزنة (أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه

أجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة قال الحسن مرا (فلولا تشكرون أفرأيتم النار التى تورون)

(حطاما) أى تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لما عاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون أنتم على حفظه أو هو يدفع عن نفسه تلك الآفات التى تصيبه ولا يشك أحد فى ان دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه (فظلتم تفكهون) أى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات (انا لمغرمون) أى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لمعذبون يعنى انهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرومون) أى ممنوعون والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه من الربح فى الزرع (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عز وجل (لو نشاء جعلناه أجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه (فلولا) أى أفلا (تشكرون) يعنى نعمة الله عليكم (أفرأيتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أأنتم أنشأتم شجرتها) يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع الشجر الذى توقد منه النار (أم نحن المنشئون نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا (تذكرة) أى للنار الكبرى اذا رأى الرائى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها (ومتاعا) أى بلغة ومنفعة (للمقوين) يعنى للمسافرين والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها أهل البوادى والسفار فان منفعتهم أكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو خلوه من المال ويقال للغنى

تقدحون وتستخرجون من زندكم (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار (أم نحن المنشؤن نحن جعلناها) خلقناها يعنى نار الدنيا (تذكرة) للنار الكبرى اذا رآها الرائى ذكر جهنم قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل وقال عطاء موعظة يتعظ بها المؤمن أخبرنا أبو الحسن محمد ابن محمد السرخسى انا ابو على زاهر بن أحمد الفقيه ثنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ (ومتاعا) بلغة ومنفعة (للمقوين) المسافرين والمقوى النازل فى الارض

مقو

والقى القواء هوى القفر الخالية البعيدة من العمران يقال أقوت الدار اذا خلت من سكانها والمعنى انه ينتفع بها أهل البوادى والاسفار فان منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك انهم يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع ويهتدى بها الضلال وغير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة للمقوين يعنى للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيؤن بها فى الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز قال الحسن بلغة للمسافرين يتبلغون بها الى أسفارهم يحملونها فى الخرق والجواليق وقال ابن زيد للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أى ما أكلت شيأ قال قطرب المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو خلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على ما يريد يقال أقوى الرجل اذا قويت دوابه وكثر ماله وصار الى حال القوة والمعنى ان فيها متاعا للاغنياء والفقراء جميعا لا غنى لاحد عنها

(فسبح باسم ربك العظيم) قوله عز وجل (فلا أقسم بمواقع النجوم) قال أكثر المفسرين معناه أقسم ولا صلة وكان عيسى بن عمر يقرأ فلا قسم على التحقيق وقيل قوله لا رد لما قاله الكفار في القرآن انه سحر وشعر وكهانة معناه ليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم بمواقع النجوم قرأ حمزة والكسائي بموقع على التوحيد وقرأ الآخرون بمواقع على الجمع قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا نجوما وقال جماعة من المفسرين أراد مغارب النجوم ومساقطها وقال عطاء بن أبي رباح أراد منازلها وقال الحسن أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة (وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه) يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم (لقرآن كريم) عزيز مكرم لانه كلام الله قال بعض أهل المعاني الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير (في كتاب مكنون) مصون عند الله في اللوح المحفوظ محفوظ من الشياطين (لا يمسه) أي ذلك الكتاب المكنون (الا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة روى هذا عن أنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد انهم الملائكة وروى حسان عن الكلبي قال هم السفرة الكرام البررة وروى محمد ابن الفضل عنه لا يقرؤه الا الموحدون قال عكرمة وكان ابن عباس ينهى ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلاف والاول قول أكثر الفقهاء أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف

مقولفوته على ما يريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك أي برئ الله ونزهه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم * قوله عز وجل (فلا أقسم) قال أكثر المفسرين معناه فأقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على أصلها وفي معناها وجهان أحدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناها النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج الوجه الثاني أن لا رد لما قاله الكفار في القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا ها هنا معناها النفي فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهي عن السؤال (بمواقع النجوم) قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل أراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون أي فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم (انه لقرآن كريم) أي ان الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم أي عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شأنه أن يعطي الكثير وسمي القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التي تؤدي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كريما لان كل أحد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسأمه السامعون ويهون في الاعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك (في كتاب مكنون) أي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول أصح (لا يمسه) أي ذلك الكتاب المكنون (الا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث روى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني من أن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون أي من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لا يقرؤه الا

(تنزيل من رب العالمين) أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كما يقال للمقدور وللمخلوق خلق (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم) يا أهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقال مقاتل بن حيان كافرون نظيره ودوا لو تدهن فيدهنون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو من الادهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر (وتجعلون رزقكم) حظكم ونصيبكم من القرآن (انكم تكذبون) قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب به وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقال الهيثم بن عدي ان

الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء يدل عليه ما روى مالك في الموطأ عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهر أخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه * فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان المراد من لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف * قلت من قال ان الشافعي أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه أخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه أخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله أعلم * قوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعر أو سحر أو كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين * قوله عز وجل (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم) أي يا أهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والادهان الجري في الباطل على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر (وتجعلون رزقكم) أي حظكم ونصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى أتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر

من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا يقولون اذا مطروا مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم يعني شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن صالح ابن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر

فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب عبادي

وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب ورواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن سلمة المرادي ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث ان أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله تعالى الغيث فيقولون مطرنا بكوكب كذا وكذا

قوله عز وجل (فلولا) فهلا (اذا بلغت الحلقوم) أى بلغت النفس الحلقوم عند الموت (وأنتم حينئذ تنظرون) يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون اليه متى تخرج نفسه وقيل معنى قوله تنظرون أى الى أمرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيأ (ونحن أقرب اليه منكم) بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب اليه منكم (ولكن لا تبصرون) الذين حضروه (فلولا) فهلا (ان كنتم غير مدينين) مملوكين وقال أكثرهم محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) أى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد ومثله قوله عز وجل فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم أجيبا بجواب واحد معناه ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله عز وجل فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال (فأما ان كان من المقربين) وهم السابقون (فروح) قرأ يعقوب فروح بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم قال الحسن معناه تخرج روحه فى الريحان وقال قتادة الروح الرحمة أى له الرحمة وقيل معناه حياة وبقاء لهم ومن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة (وريحان) استراحة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رزق وقال مقاتل هو الرزق بلسان حمير يقال خرجت أطلب ريحان الله أى رزق الله وقال آخرون هو الريحان الذى يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه

عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا و بنجم كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله فى أثر سماء أى أثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول هو الذى ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض فى الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما أراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة انه اذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثانى فى تأويل أصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث أبى هريرة ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله أعلم * قوله تعالى (فلولا) أى فهلا (اذا بلغت الحلقوم) أى النفس أو الروح الى الحلقوم عند الموت (وأنتم) يعنى يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى أمرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيأ (ونحن أقرب اليه منكم) أى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب الى الميت منكم (ولكن لا تبصرون) أى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون أى لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) أى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) أى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فأما ان كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) أى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة (وريحان) أى وله استراحة

(وجنة نعيم) قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار (وأما ان كان) المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى سلامة لك يا محمد منهم فلانهم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم ما تحب من السلامة قال مقاتل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم و يقبل حسناتهم وقال الفراء وغيره فسلام لك انهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين سلام لك انك من أصحاب اليمين فالتفيت ان كالرجل يقول انى مسافر عن قليل فتقول له أنت مصدق مسافر عن قليل وقيل فسلام لك أى عليك من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) بالبعث (الضالين) عن الهدى وهم أصحاب المشأمة (فنزل من حميم) فالذى يعد لهم حميم جهنم (وتصلية جحيم) وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعنى ماذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) أى الحق اليقين أضافه الى نفسه (فسبح باسم ربك العظيم) قيل فصل بذكر ربك وأمره وقيل الباء زائدة أى فسبح اسم ربك العظيم أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى

أنا ابن فنجويه أنا ابن شيبة ثنا حمزة بن محمد الكاتب ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب الغافقى عن عمه وهو اياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم أخبرنا أبو عثمان الضبى أنا أبو محمد الجراحى ثنا أبو العباس المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود قال أنا شعبة عن الاعمش قال سمعت سعد ابن عبيدة يحدث عن المستورد عن صلة بن زفر عن حذيفة انه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ أخرجه أبو داود عن حذيفة أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله و بحمده غرست له نخلة فى الجنة (م) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله و بحمده (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث فى صحيح البخارى والله أعلم

وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (وجنة نعيم) أى وله جنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (وأما ان كان) يعنى المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلانهم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم و يقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من أصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) أى بالبعث (الضالين) أى عن الهدى وهم أصحاب الشمال (فنزل من حميم) أى الذى يعد لهم حميم جهنم (وتصلية جحيم) أى وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعنى ماذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) أى لا شك فيه وقيل ان هذا الذى قصصناه عليك فى هذه السورة من الاقاصيص وما أعد الله لاوليائه من النعيم وما أعد لاعدائه من العذاب الاليم وماذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أى فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم و بأمره عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو داود عن حذيفة أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله و بحمده غرست له نخلة فى الجنة (م) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله و بحمده (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث فى صحيح البخارى والله أعلم

*(تفسير

وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسن الجلفرى حدثنى أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازى بدمشق ثنا على بن الحسين البزاز وأحمد بن سليمان بن حكم وابن راشد قالوا أخبرنا بكار بن قتيبة ثنا روح بن عبادة ثنا حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم و بحمده غرست له نخلة فى الجنة أخبرنا عبد الواحد المليحى قال أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا يونس بن عبد الاعلى أنا ابن وهب أخبرنى السرى بن يحيى ان شجاعا حدثه عن أبى طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو طيبة لا يدعها أبدا

﴿سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن) يعني هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل شئ بلا انتهاء تفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم وقال السدي هو الاول بره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ عصيته فستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم)

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات

﴿تفسير سورة الحديد مدنية﴾

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات والارض) يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي قولهم والحق أن التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وماسوى العاقل ففي تسبيحه وجهان أحدهما أنها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله ما في السموات والارض من في السموات وهم الملائكة ومسبحي الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع أجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء * فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه * قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله أبدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة أبدا في الماضي وستكون مسبحة أبدا في المستقبل (وهو العزيز) أي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شئ (الحكيم) أي الذي جميع أفعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أي انه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه (يحيي ويميت) أي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا (وهو على كل شئ قدير) * قوله عز وجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) يعني هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والآخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول أن تكيفه وقيل هو الاول الذي سبق وجوده كل موجود والآخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام أبو بكر بن الباقلاني معناه أنه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا المذهبهم في فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه انه الباقي بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعني أهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء أجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر بحجة الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا تستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول بره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) (م) عن سهيل بن أبي صالح قال كان أبو صالح

السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم) بالعلم (أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله) يخاطب كفار مكة (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) مملكين فيه يعنى المال الذى كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشا فكانوا فى ذلك المال خلفاء عمن مضوا (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) قرأ أبو عمرو وأخذ بضم الهمزة وكسر الخاء ميثاقكم برفع القاف على ما لم يسم فاعله وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف أى أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا اله لكم سواه قاله مجاهد وقيل أخذ ميثاقكم باقامة الحجج والدلائل التى تدعوا الى

معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم (ان كنتم مؤمنين) يوما فالآن أحرى الاوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن

يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته وفى رواية من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أبى هريرة أيضا قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماء كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذى تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال الترمذى قال بعض أهل العلم فى تفسير هذا الحديث انما أراد الهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا * قوله عز وجل (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم أينما كنتم) أى بالعلم والقدرة فليس ينفك أحد من تعليق علم الله تعالى وقدرته أينما كان من أرض أو سماء براو بحر او قيل وهو معكم بالحفظ والحراسة * وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره * قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى المال الذى كان بيد غيركم فأهلكهم وأعطاكم اياه فكنتم فى ذلك المال خلفاء عمن مضى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) يعنى وأى عذر لكم فى ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد أخذ ميثاقكم) أى أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التى تدعو الى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) أى يوما ما فالآن

(هو الذى ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) الله بالقرآن (من الظلمات الى النور) وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات الى النور أى من ظلمات الشرك الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول أى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) يعنى فتح مكة فى قول أكثر المفسرين وقال الشعبى هو صلح الحديبية (وقاتل) يقول لا يستوى فى الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) وروى محمد بن فضيل عن الكلبى ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه

أحرى الاوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) يعنى الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات الى النور) أى من ظلمات الشرك الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) * قوله تعالى (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول أى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالاولى أن تنفقوها أنتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) يعنى فتح مكة فى قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوى فى الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال الكلبى ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق ماله فى سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه سبع منهم النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فقال أنفق ماله علىّ قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت فى فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أسخط على ربى انى على ربى راض انى على ربى راض (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح فى أفضلها (والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى تجمع فيه أوصاف عشرة وهى أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود المال وأن تتصدق به وأنت محتاج اليه وأن تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وأن تكتم الصدقة ما أمكنك وأن لا تتبعها بالمن والاذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائى بها الناس وأن تستحقر ما تعطى وتتصدق به وان كان كثيرا وأن يكون من أحب أموالك اليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة أوصاف اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (فيضاعفه له) يعنى يعطيه أجره على انفاقه مضاعفا (وله أجر كريم) يعنى وذلك الاجر كريم فى نفسه * قوله عز وجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعنى على الصراط (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) أى عن أيمانهم

أول من أسلم وأول من أنفق ماله فى سبيل الله وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه بسيفه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أخبرنا أحمد ابن ابراهيم الشريحى انا ابو اسحق أحمد بن محمد ابن ابراهيم الثعلبى انا عبد الله بن حامد بن محمد انا أحمد بن اسحق بن أيوب أنا محمد بن يونس ثنا العلاء بن عمرو الشيبانى ثنا أبو اسحق الفزارى ثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن على عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فقال أنفق ماله علىّ قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت فى فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أسخط على ربى انى عن ربى راض انى عن ربى راض (وكلا وعد الله الحسنى) أى كلا الفريقين وعدهم الله الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح فى أفضلها وقرأ ابن عامر وكل بالرفع (والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم) يعنى على الصراط (بين أيديهم وبأيمانهم) يعنى عن أيمانهم قال بعضهم أراد جميع جوانبهم فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضىء نوره يعنى على الصراط مثل

المدينة الى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة و يقد مرة وقال الضحاك ومقاتل يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم كتبهم يريد ان كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) قرأ الاعمش وحمزة أنظرونا بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا وقيل انتظرونا وقرأ الآخرون بحذف الالف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء تقول العرب أنظرني وانظرني يعني انتظرني (نقتبس من نوركم) نستضيء من نوركم وذلك ان الله تعالى يعطي المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط و يعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم وهو قوله عز وجل وهو خادعهم فبيناهم يمشون (٢٨) اذ بعث الله عليهم ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزي الله

النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون و بقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم (فالتمسوا نورا) فاطلبوا هناك لا نفسكم نورا فانه لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم و بين المؤمنين وهو قوله (فضرب بينهم بسور) أي سور والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين (قالوا

وقيل أراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة و يقد مرة وقيل في معنى الآية يسعى نورهم بين أيديهم أي يعطون كتبهم بأيمانهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أي انتظرونا (نقتبس من نوركم) أي نستضيء من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط و يعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم فبيناهم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيؤن بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها أعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) أي اطلبوا لانفسكم هناك (نورا) أي لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم و بين المؤمنين فذلك قوله تعالى (فضرب بينهم) أي المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) أي لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذي ذكر في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية (ينادونهم) يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم و بقوا في الظلمة (ألم نكن معكم) أي في الدنيا نصلي ونصوم

وهو حائط بين الجنة والنار (له) أي لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة (وظاهره) أي خارج ذلك السور (من قبله) أي من قبل ذلك الظاهر (العذاب) وهو النار (ينادونهم) روى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن فضرب بينهم بسور له باب هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله عز وجل فضرب بينهم بسور له باب الآية ينادونهم يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم بالسور و بقوا في الظلمة (ألم نكن معكم) في الدنيا نصلي ونصوم

(قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) بالايمان والتوبة قال مقاتل وتربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم الموت وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه (وارتبتم) شككتم فى نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الامانى) الاباطيل وما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعنى الموت (وغركم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب تؤخذ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء فدية بدل وعوض بان تفدوا أنفسكم من العذاب (ولا من الذين كفروا) يعنى المشركين (مأواكم النار هى مولاكم) صاحبكم وأولى بكم لما اسلفتم من الذنوب (وبئس المصير) قوله عز وجل (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قال الكلبى ومقاتل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت نحن نقص عليك أحسن القصص فاخبرهم ان القرآن أحسن قصصا من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت هذه الآية فعلى هذا تأويل قوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يعنى فى العلانية وباللسان وقال الآخرون نزلت فى المؤمنين قال عبد الله بن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الا أربع سنين وقال ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله (وما نزل من الحق) وهو القرآن (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) وهم اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) الزمان بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا الى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله والمعنى ان الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روى أن أبا موسى الاشعرى بعث الى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال لهم أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم

(قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أى أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) أى بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه (وارتبتم) أى شككتم فى نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الامانى) أى الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعنى الموت وقيل هو القاؤهم فى النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أى عوض وبدل بان تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة (ولا من الذين كفروا) يعنى المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (مأواكم النار) أى مصيركم (هى مولاكم) أى وليكم وقيل هى أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لانها ملكت أمركم وأسلمتم اليها فهى أولى بكم من كل شئ وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له (وبئس المصير) * قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان الفارسى ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك أحسن القصص فاخبرهم ان القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تاويل قوله ألم يأن للذين آمنوا يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فوبخوا ونزل فى ذلك ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا أربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن يعنى أما حان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم أى ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله أى لمواعظ الله (وما نزل من الحق) يعنى القرآن (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعنى اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) أى الزمان الذى بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين أن يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روى عن أبى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا

(وكثير منهم فاسقون) يعني الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام قوله عزوجل (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات) قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي المؤمنين والمؤمنات وقرأ الاخرون بتشديدهما أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد (وأقرضوا الله قرضا حسنا) بالصدقة والنفقة في سبيل الله عزوجل (يضاعف لهم) ذلك القرض (ولهم أجر كريم) ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) والصديق الكثير الصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية قال الضحاك هم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض في زمانهم الى الاسلام (٣٠) أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) اختلفوا في نظم هذه الآية منهم من قال هي متصلة بما قبلها والواو واو النسق وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين وقال الضحاك هم الذين سميناهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقال قوم تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ فقال والشهداء عند ربهم والواو واو الاستئناف وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فقال قوم هم الانبياء الذين يشهدون على الامم يوم القيامة يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حيان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم) بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) من على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) قوله عز وجل (اعلموا انما الحيوة الدنيا) أي ان الحياة الدنيا وما صلة أي ان الحياة في هذه الدار (لعب) باطل لا حاصل له (ولهو) فرح ثم ينقضي (وزينة) منظر تتزينون به (وتفاخر بينكم) يفخر به بعضكم على بعض (وتكاثر في الاموال والاولاد) أي مباهاة بكثرة الاموال والاولاد ثم ضرب لها مثلا فقال (كمثل غيث أعجب الكفار) أي الزراع (نباته) ما نبت من ذلك الغيث (ثم يهيج) ييبس (فتراه مصفرا) بعد خضرته ونضرته (ثم يكون حطاما) ينحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفي الآخرة عذاب شديد) قال مقاتل لاعداء الله (ومغفرة)

القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعني الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم * قوله عزوجل (اعلموا أن الله يحيي الارض) أي بالمطر (بعد موتها) أي يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات) أي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي بالنفقة والصدقة في سبيل الله (يضاعف لهم) أي ذلك القرض (ولهم أجر كريم) أي ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) أي الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة في كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض في زمانهم الى الاسلام وهم أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل أراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم) أي بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) يعني على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بحال الكافرين * قوله عزوجل (اعلموا أنما الحيوة الدنيا) أي مدة الحياة في هذه الدار الدنيا وانما أراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله (لعب) أي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان (ولهو) أي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب (وزينة) أي منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعني انكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض (وتكاثر في الاموال والاولاد) أي مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل بجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على أولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار) أي الزراع انما سمى الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر (نباته) أي ما نبت بذلك الغيث (ثم يهيج) أي ييبس (فتراه مصفرا) أي بعد خضرته (ثم يكون حطاما) أي يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفي الآخرة عذاب شديد) أي لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعاني زهد الله بهذه الآية في العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للآخرة بقوله (ومغفرة

من الله ورضوان) لاوليائه وأهل طاعته (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ الى ما هو خير منه (سابقوا) سارعوا (الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) لو وصل بعضها ببعض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فبين ان أحدا

من الله ورضوان) أى لاوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) أى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل فى الدنيا بطلب الآخرة فهى له بلاغ الى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة * قوله عز وجل (سابقوا الى مغفرة من ربكم) معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ما أنتم عليه بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار الى مغفرة أى الى ما يوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولاشك ان الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها أضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وأفكارهم وأكثر ما يقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لانه ذكر ان الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله فى سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فبين انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله (والله ذو الفضل العظيم) (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحدا منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل * قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الارض) يعنى عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا فى أنفسكم) يعنى الامراض وفقد الاولاد (الا فى كتاب) يعنى فى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة (ان ذلك على الله يسير) أى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) أى تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أى لا تبطروا (بما آتاكم) أى أعطاكم قال عكرمة ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن الخارج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فأما الحزن الذى لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت (والله لا يحب كل مختال) أى متكبر بما أوتى من الدنيا (فخور) أى بذلك الذى أوتى على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون بما رزقوا ما لا وحظا من الدنيا فلا يحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم يخلوا به حتى يأمروا الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وانها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن

لا يدخل الجنة الا بفضل الله قوله عز وجل (ما أصاب من مصيبة فى الارض) يعنى قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا فى أنفسكم) يعنى الامراض وفقد الاولاد (الا فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة وقال أبو العالية يعنى النسمة (ان ذلك على الله يسير) أى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أى لا تبطروا (بما آتاكم) قرأ أبو عمرو بقصر الالف لقوله فاتكم فجعل الفعل له وقرأ الآخرون آتاكم بمد الالف أى أعطاكم قال عكرمة ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا (والله لا يحب كل مختال) متكبر بما أوتى من الدنيا (فخور) يفخر به على الناس قال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه فى يدك الموت (الذين يبخلون) قيل هو فى محل الخفض على نعت المختال وقيل هو رفع بالابتداء وخبره فيما بعده (ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول) أى يعرض عن الايمان

(فان الله هو الغني الحميد) قرا اهل المدينة والشام فان الله الغني باسقاط هو وكذلك هو في مصاحفهم قوله عز وجل (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) بالآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) يعني العدل وقال مقاتل بن سليمان هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال والسماء رفعها ووضع الميزان (ليقوم الناس بالقسط) ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) روى عن ابن عمر يرفعه ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقال أهل المعاني معنى قوله أنزلنا الحديد أنشأنا وأحدثنا أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وقال قطرب هذا من النزل كما يقال أنزل الامير على فلان نزلا حسنا فمعنى الآية انه جعل ذلك نزلا لهم ومثله قوله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج (فيه بأس شديد) قوة شديدة يعني السلاح للحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب (ومنافع للناس) مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحوها اذ هو آلة لكل صنعة (وليعلم الله) أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله (من ينصره) أي دينه (ورسله بالغيب) أي قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب (ان الله قوي عزيز) قوي في أمره عزيز في ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) على دينه (رأفة) وهي أشد الرقة (ورحمة) كانوا متوادين بعضهم لبعض كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال وابتدعوا رهبانية أي جاؤا بها من قبل أنفسهم عيسى

(ما كتبناها) أي ما فرضناها (عليهم الا ابتغاء رضوان الله) يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال (فما رعوها حق رعايتها) أي لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهب وأقام منهم أناس على دين عيسي عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وذلك قوله تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنبأني عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله المزني ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا شيبان بن فروخ

الايمان (فان الله هو الغني) أي عن عباده (الحميد) أي الى أوليائه * قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالدلالات والآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) أي المتضمن للاحكام وشرائع الدين (والميزان) يعني العدل أي وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل أيضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) قيل ان الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل أنزلناها بمعنى أنشأنا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه بأس شديد) أي قوة شديدة فمنه جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهي آلة الضرب (ومنافع للناس) أي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه (وليعلم الله) أي وأرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله (من ينصره) أي من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أي الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوي) في أمره (عزيز) في ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) معناه أنه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما (فمنهم) أي من الذرية (مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) أي اتبعنا (على آثارهم برسلنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى أن انتهت الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي على دينه (رأفة ورحمة) يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فروا من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) أي لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين

ثنا الصمغ بن حرب عن عقيل الجعدي عن أبي اسحق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء أفتونا ولم يبق للدين أحد يدعو اليه فقالوا تعالوا نتفرق في الارض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا

عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم بدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء فتنونا ولم يبق أحد يدعو اليه تعالى فتعالوا نتفرق في الارض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم أي من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث

رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الآية فآتينا الذين آمنوا منهم يعني من ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل

 وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا عليهم قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا بارض فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي نحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى عليه الصلاة والسلام وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها أي ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم

قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سياح من سياحته وصاحب دير من ديره. وآمنوا به فقال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يقول يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم (وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم أجرين لايمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فأكلوا الخبز وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الطاعة والملة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين ابتدعوا الرهبانية واليه ذهب مجاهد ومعنى قوله الا ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما أمرناهم وما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله

وما أمرناهم بالترهب قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته وروينا عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده (ويجعل لكم نورا تمشون به) قال ابن عباس ومقاتل يعني على الصراط كما قال نورهم يسعى بين أيديهم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النور هو القرآن وقال مجاهد هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به قيل (ويغفر لكم والله غفور رحيم) وقيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله عز وجل أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابكم وبكتابنا وأما من لم يؤمن منا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته فيجعل لهم الاجرين اذا آمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وزادهم النور والمغفرة ثم قال (لئلا يعلم أهل الكتاب) قال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم فأنزل الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وقال مجاهد قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب أي ليعلم ولا صلة

البقول ولا يرد عليكم ولا يمر عليكم وليس أحد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بكم أن لا يقدرون على شئ من فضل الله الآية أخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فأكلوا الخبز وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم ولكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به دون الترهب لانه لم يأمر به * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) أي نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم أجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذي أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به (ويغفر لكم) أي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب)

(ألا يقدرون على شئ من فضل الله) أى ليعلم الذين لم يؤمنوا انهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم فى فضل الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أجلكم فى أجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط

قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم أى ليعلم ولا صلة أهل الكتاب يعنى الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (ألا يقدرون) يعنى انهم لا يقدرون (على شئ من فضل الله) والمعنى جعلنا الاجر بن لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل فى مسلمى أهل الكتاب أولئك يؤتون أجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب يعنى المؤمنين منهم أن لا يقدرون على شئ من فضل الله (وأن الفضل بيد الله) يعنى الذى خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل أن يكون الاجر الواحد أكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبى يقطع الايدى والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة (يؤتيه من يشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله أى فى ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار (والله ذو الفضل العظيم) (خ) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتى أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أى ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيأ قالوا لا قال فهو فضلى أوتيه من أشاء وفى رواية انما أجلكم فى أجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلى أصيب به من شئت أى أعطيه من شئت (خ) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى أجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذى جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فان ما بقى من النهار شئ يسير فأبوا فاستأجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله سبحانه وتعالى أعلم

فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلى أعطيه من شئت أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل حدثنى محمد ابن العلاء ثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار

﴿ سورة المجادلة مدنية وهي اثنان وعشرون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى اذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبرسني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا وانه أبو ولدي (٣٦) وأحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني أشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي وكان هذا أول ظهار في الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه أخذه مثل السبات فلما قضى الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآيات قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الاصوات كلها ان المرأة لتحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه اذ أنزل الله قد سمع الله الآيات ومعنى قوله قول التي تجادلك تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها (وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما الكلام (ان الله سميع بصير) سميع لما تناجيه وتتضرع اليه بصير بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) قرأ عاصم يظاهرون فيهما بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي بفتح الياء والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها وقرأ الآخرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف

﴿ سورة المجادلة مدنية ﴾

وهي اثنان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فأرادها فأبت عليه فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى اذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه وتنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه أبو ولدي وأحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونثرت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم أشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي وهذا كان أول ظهار في الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضى الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع ما تقول فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآية واما تفسير الآية فقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها اي في امر زوجها (وتشتكي الى الله) اي شدة حالها وفاقتها ووحدتها (والله يسمع تحاوركما) أي مراجعتكما الكلام (ان الله سميع) اي لمن يناجيه ويتضرع اليه (بصير) اي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) يعني يقولون لهن أنتن

أنين كظهور أمهاتنا (ماهن أمهاتهم) أى ما اللواتى يجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بأمهات والمعنى ليس هن بأمهاتهم (ان أمهاتهم) أى ما أمهاتهم (الا اللائى ولدنهم وانهم) يعنى المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) يعنى لا يعرف فى الشرع (وزورا) يعنى كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

﴿فصل فى أحكام الظهار وفيه مسائل﴾ ﴿المسئلة الاولى فى معناه لغة﴾ قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر بأولى من سائر الاعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى أى طلقتها وفى قولهم أنت على كظهر أمى حذف واضمار لان تأويله ظهرك على أى ملكى اياك وعلوى عليك حرام كعلوى أمى وعلوه عليها حرام ﴿المسئلة الثانية﴾ كان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية لانه فى التحريم آكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل فى الشرائع لا فى أحكام الجاهلية وعاداتهم ﴿المسئلة الثالثة﴾ فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله أنت على كظهر أمى وأنت منى أو معى أو عندى كظهر أمى وكذا لو قال أنت على كبطن أمى أو كرأس أمى أو كيد أمى أو قال بطنك أو رأسك أو يدك على كظهر أمى أو شبه عضوا منها بعضو من أعضاء أمه يكون ذلك ظهارا وقال أبو حنيفة ان شبهها ببطن أمه أو بفرجها أو بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال أنت على كأمى أو كروح أمى وأراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال أنت على كظهر جدتى يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت على كظهر أختى أو عمتى أو خالتى أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح ﴿المسئلة الرابعة فيمن يصح ظهاره﴾ قال الشافعى الضابط فى هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمى وقال أبو حنيفة لا يصح احتج الشافعى بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج أبو حنيفة بأن هذا خطاب للمؤمنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين وأجيب عنه بأن هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين * قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم) يعنى يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء فى معنى العود فى قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد أولا من بيان أقوال أهل العربية ثم بيان أقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق فى اللغة بين أن يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال أبو على الفارسى كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله وأوحى الى نوح وبأن ربك أوحى لها وأما لفظة ما فى قوله لما فهى بمعنى الذى والمعنى يعودون الى الذى قالوا أو فى الذى قالوا وفيه وجهان أحدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثانى ان المراد لما قالوا أى المقول فيه وهو الذى حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا أى يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسرنا هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز أن يكون المعنى عاد لما فعل أى فعله مرة أخرى وعلى الوجه الثانى يجوز أن يقال عاد لما فعل أى نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيأ ثم أراد أن يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيأ ثم أراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة أخرى ويحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعى ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على انه ندم على

(ماهن أمهاتهم) أى ما اللواتى يجعلونهن من زوجاتهم كالامهات بأمهات وخفض التاء فى أمهاتهم على خبر ما ومحله نصب كقوله ما هذا بشرا المعنى ليس هن بأمهاتهم (ان أمهاتهم) أى ما أمهاتهم (الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول) لا يعرف فى شرع (وزورا) كذبا (وان الله لعفو غفور) عفا عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى أو أنت منى أو معى أو عندى كظهر أمى وكذلك لو قال أنت على كبطن أمى أو كرأس أمى أو كيد أمى أو قال بطنك أو رأسك أو يدك على كظهر أمى أو شبه عضوا منها بعضو آخر من أعضاء أمه فيكون ظهارا وعند أبى حنيفة رضى الله عنه ان شبهها ببطن الام أو فرجها أو فخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو آخر لا يكون ظهارا ولو قال أنت على كأمى أو كروح أمى وأراد به الاعزاز والاكرام فلا يكون ظهارا حتى يريده ولو شبهها بجدته فقال أنت على كظهر جدتى يكون ظهارا وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت على كظهر أختى أو عمتى أو خالتى أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح من الاقاويل (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا

فتحرير رقبة) ثم حكم الظهار انه يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار مالم يكفر والكفارة تجب بالعود بعد الظهار لقوله تعالى ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة واختلف أهل العلم فى العود فقال أهل الظاهر هو اعادة لفظ الظهار وهو قول أبى العالية وقال ثم يعودون لما قالوا أى الى ما قالوا أى اعادة مرة أخرى فان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وذهب قوم الى ان الكفارة تجب بنفس الظهار والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه فى الجاهلية من نفس الظهار وهو قول مجاهد والثورى وقال قوم المراد من العود الوطء وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى وقالوا لا كفارة عليه مالم يطأها وقال قوم هو العزم على الوطء وهو قول مالك وأصحاب الرأى وذهب الشافعى الى ان العود هو ان يمسكها عقيب الظهار زمانا يمكنه ان يفارقها فلم يفعل فان طلقها عقيب الظهار فى الحال أو مات أحدهما فى الوقت فلا كفارة عليه لان العود للقول هو المخالفة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة ومعناه هذا قال الفراء يقال عاد فلان لما قال أى فيما قال وفى نقض ما قال يعنى رجع عما قال وهذا يبين ما قال الشافعى وذلك ان قصده بالظهار التحريم فاذا أمسكها على النكاح فقد خالف قوله ورجع عما قاله فتلزمه الكفارة حتى قال لو ظاهر عن امرأته الرجعية ينعقد ظهاره ولا كفارة عليه حتى يراجعها فان راجعها صار عائدا ولزمته الكفارة قوله فتحرير رقبة (من قبل أن يتماسا) والمراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التى ظاهر عنها مالم يكفر سواء أراد التكفير بالاعتاق أو بالصيام أو بالاطعام وعند مالك ان أراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال فى الاطعام فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ولم يقل من قبل أن يتماسا وعند الآخرين الاطلاق فى الاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام واختلفوا فى تحريم ماسوى الوطء من المباشرات قبل التكفير كالقبلة والتلذذ فذهب أكثرهم الى انه لا يحرم سوى الوطء وهو قول الحسن وسفيان الثورى وأظهر قولى الشافعى كما ان الحيض يحرم الوطء دون سائر الاستمتاعات وذهب بعضهم الى انه يحرم جميعها لان اسم التماس يتناول الكل ولو جامع فمن

ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثانى فى تفسير العود وهو قول أبى حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام فى حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله أنت على كظهر أمى الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول أبى حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه مالم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا هب أنه صالح للجماع أو للعزم عليه أولا ستباحته الا ان الذى قاله الشافعى هو أقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذى به يتحقق مسمى العود وأما الباقى فزيادة لا دليل عليه وأما الاحتمال الاول فى قوله ثم يعودون أى يفعلون مثل ما فعلوه فعلى هذا الاحتمال فى الآية وجوه أيضا الاول قال مجاهد والثورى العود هو الاتيان بالظهار فى الاسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه فى الجاهلية وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار فى الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا أى فى الاسلام فيقولون فى الاسلام مثل ما كانوا يقولون فى الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثانى قال أبو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد والا لم يكن عود وهذا قول أهل الظاهر واحتجوا عليه بأن ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه * وقوله تعالى (فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التى ظاهر منها مالم يكفر (ذلكم توعظون به) يعنى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه (والله بما تعملون) أى من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى (فمن لم يجد) أى الرقبة (فصيام شهرين) أى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا)

المظاهر قبل التكفير يعصى الله تعالى والكفارة فى ذمته ولا يجوز أن يعود مالم يكفر ولا يجب بالجماع كفارة أخرى وقال بعض أهل العلم اذا واقعها قبل التكفير عليه كفارتان وكفارة الظهار مرتبة يجب عليه عتق رقبة مؤمنة فان لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين فان أفطر يوما متعمدا أو نسى النية يجب عليه استئناف الشهرين فان عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستين مسكينا وقد ذكرنا فى سورة المائدة مقدارما يطعم كل مسكين (ذلكم توعظون به) تؤمرون به (والله بما تعملون خبير فمن لم يجد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) فان كانت له رقبة الا انه محتاج الى خدمته أو له ثمن رقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعى يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة أو ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال أبو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها فاما اذا كان واجدا الثمن الرقبة وهو محتاج اليه فله أن يصوم فلو شرع المظاهر فى صوم الشهرين ثم جامع فى خلال الشهر بالليل يعصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة ولكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند أبى حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين

قوله عز وجل (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) يعني المظاهر اذا لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة عن عطاء بن يسار ان خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت فظاهر منها وكان به لمم فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا ظاهر مني وذكرت ان به لمما فقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان له في مناف فانزل القرآن فيهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قالت والذي بعثك بالحق ما عنده رقبة ولا ثمنها قال مريه فليصم شهرين متتابعين فقالت والذي بعثك بالحق لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع قال مريه فليطعم ستين مسكينا قالت والذي بالحق ما يقدر عليه قال مريه فليذهب الى فلان ابن فلان فقد أخبرني ان عنده شطر تمر صدقة فليأخذه صدقة عليه ثم ليتصدق به على ستين مسكينا وروى سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال كنت امرأ أصيب من النساء ما لم يصب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيأ فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تحدثني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شئ فلم ألبث ان وقعت عليها فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال أنت بذاك فقلت أنا بذاك قاله ثلاثا قلت أنا بذاك وها أنا ذا فامض في حكم الله فاني صابر لذلك قال فاعتق رقبة فضربت صفحة عنقي بيدي فقلت لا والذي بعثك بالحق ما أملك غيرها قال فصم شهرين متتابعين فقلت يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني الا من الصيام قال فاطعم ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشيا ما لنا عشيا قال اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها وسقا ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك قال فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة أمر لي بصدقتكم فادفعوها الي قال فدفعوها الي (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) لتصدقوا ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل (وتلك حدود الله) يعني ما وصف من الكفارات في الظهار (وللكافرين عذاب أليم) قال ابن عباس لمن جحده وكذب به

فمن لم يستطع) أي الصيام (فـ) كفارته (اطعام ستين مسكينا ذلك) أي الفرض الذي وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) أي لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله تعالى (وتلك حدود الله) يعني ما وصف من الكفارة في الظهار (وللكافرين) أي لمن جحد هذا وكذب به (عذاب أليم) أي في نار جهنم يوم القيامة

﴿فصل في أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعي قولان أحدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول أبي حنيفة ﴿المسئلة الثانية﴾ اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وأبو حنيفة لكل ظهار كفارة الا أن يكون في مجلس واحد وأراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة ﴿المسئلة الثالثة﴾ الآية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء أراد التكفير بالاعتاق أو بالصيام أو بالاطعام وعند مالك ان أراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من قبل أن يتماسا فدل على ذلك وعند الآخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي ﴿المسئلة الرابعة﴾ كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال أبو حنيفة هذه الرقبة تجزي سواء كانت مؤمنة أو كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا انا أجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد أولى ﴿المسئلة الخامسة﴾ الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان أفطر يوما متعمدا أو نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين ﴿المسئلة السادسة﴾ ان عجز عن الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا كل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به أهل البلد من حنطة أو شعير أو أرز أو ذرة أو تمر أو نحو ذلك وقال أبو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير ولو أطعم مسكينا واحدا ستين جاز لا يجزيه عند الشافعي وقال أبو حنيفة يجزيه حجة الشافعي ظاهر الآية وهو ان الله تعالى أوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة أبي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل وأجيب عنه بأن ادخال السرور على قلب ستين مسكينا أولى من ادخال السرور على قلب مسكين

واحد ﴿المسئلة السابعة﴾ اذا كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة أوله ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعى يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة أوثمنها وان كان محتاجا اليه وقال أبو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله أن يصوم ﴿المسئلة الثامنة﴾ قال أصحاب الشافعى الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر فى الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضى قال كنت امرأ أصيب من النساء مالا يصيب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتى شيأ تتابع بى حتى أصبحت فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هى تخدمنى ذات ليلة اذا انكشف لى منها شئ فما لبثت ان نزوت عليها فلما أصبحت خرجت الى قومى فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أنت بذاك ياسلمة قلت أنا بذاك يارسول الله مرتين وأنا صابر لامر الله فاحكم بما أمرك الله به قال حرر رقبة قلت والذى بعثك بالحق نبيا ما أملك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهل أصبت الذى أصبت الا من الصيام قال فأطعم وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذى بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لا نملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بنى زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل أنت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومى فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند النبى صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأى وقد أمر لى بصدقتكم و بنو بياضة بطن من بنى زريق أخرجه أبو داود قوله نزوت عليها أى وثبت عليها وأراد به الجماع وقوله تتابع بى التتابع الوقوع فى الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام وأوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه و يقول اتقى الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يارسول الله انه شيخ كبير مابه من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شئ يتصدق به قال فانى سأعينه بعرق من تمر قلت يارسول الله وأنا أعينه بعرق آخر قال قد أحسنت اذهبى فأطعمى بهما عنه ستين مسكينا وارجعى الى ابن عمك أخرجه أبو داود وفى رواية قالت ان أوسا ظاهر منى وذكرت ان به لمما وقالت والذى بعثك بالحق ماجئتك الا رحمة له ان له فى مناهض وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابى ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر فى تلك الحال لم يلزمه شئ بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله أعلم *قوله عز وجل (ان الذين يحادون الله و رسوله) أى يعادون الله ورسوله و يشاقون و يخالفون أمرهما (كبتوا) أى ذلوا وأخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) أى كما أخزى من كان قبلهم من أهل الشرك (وقد أنزلنا آيات بينات) يعنى فرائض وأحكاما (وللكافرين) أى الذين لم يعملوا بها وجحدوها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله) أى حفظ الله أعمالهم (ونسوه) أى نسوا ما كانوا يعملون فى الدنيا (والله على كل شئ شهيد) *قوله تعالى (ألم تر) أى ألم تعلم (ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السموات ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) أى من أسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة والمعنى ما من شئ يناجى به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا (الا هو رابعهم) أى بالعلم يعنى يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) *فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة *قلت أقل ما يكفى فى المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان

(ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادون الله ورسوله و يشاقون و يخالفون أمرهما (كبتوا) أذلوا وأخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا) اليك (آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله) حفظ الله أعمالهم (ونسوه والله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون) قرأ أبو جعفر بالتاء لتأنيث النجوى وقرأ الآخرون بالياء لاجل الحائل (من نجوى ثلاثة) أى من سرار ثلاثة يعنى من المسارة أى ما من شئ يناجى به الرجل صاحبيه (الا هو رابعهم) بالعلم وقيل معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا هو رابعهم بالعلم يعلم نجواهم (ولا خمسة الا هو سادسهم

(ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) قرأ يعقوب أكثر بالرفع على محل الكلام قبل دخول من (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فأنزل الله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى

كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد أشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) يعني ولا أقل من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد (الا هو معهم أينما كانوا) أي بالعلم والقدرة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم) * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنين لذلك ويقولون ما نراهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى أي المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لما نهوا عنه) أي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين أو شئ يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان (ومعصيت الرسول) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول (واذا جاؤك) يعني اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه أنهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون في أنفسهم) يعني اذا خرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المعنى أن تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أو لم تسمع ما قالوا قال أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم أهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردي من القول * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) في المخاطبين بهذه

أي المناجاة (ثم يعودون لما نهوا عنه) أي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها (ويتناجون) قرأ الاعمش وحمزة ويتناجون على وزن يفتعلون وقرأ الآخرون ويتناجون لقوله اذا تناجيتم فلا تتناجوا (بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن النجوى فعصوه (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم (ويقولون) السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يقولون السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول عليكم فاذا خرجوا قالوا (في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا حقا لعذبنا الله بما نقول قال الله عز وجل (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد الوهاب ثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا السام عليك قال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أو لم تسمع ما قالوا قال أو لم تسمعي ما قلت ردت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في ثم ان الله نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول)

أى كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد بقوله آمنوا المنافقين أى آمنوا بلسانهم قال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) أى من تزيين الشيطان (ليحزن الذين آمنوا) أى انما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين (وليس) التناجى (بضارهم شيأ) وقيل ليس الشيطان بضارهم شيأ (الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى أنا جدى أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد ابن زكريا العذافرى أنا اسحق بن ابرهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) الآية قال مقاتل ابن حيان كان النبى صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فأنزل الله هذه الآية وقال الكلبى نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرنا فى سورة الحجرات قصته وقال قتادة كانوا يتنافسون فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فنزل الله عزوجل يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا أى توسعوا فى المجلس قرأ الحسن وعاصم فى المجالس لان لكل جالس مجلسا معناه ليتفسح كل رجل فى مجلسه وقرأ الآخرون فى المجلس على التوحيد لان المراد منه مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فافسحوا أوسعوا يقال فسح يفسح فسحا اذا أوسع فى المجلس (يفسح الله لكم) يوسع الله لكم الجنة والمجالس فيها أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا سفيان بن عيينة عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخالفه فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى عن جابر بن

الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أتبعه بأن نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم وأن يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثانى وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كأنه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بالطاعة وترك المعصية (واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) أى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول (ليحزن الذين آمنوا) أى انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابى داود (وليس بضارهم شيأ) يعنى ذلك التناجى وقيل الشيطان ليس بضارهم شيا (الا باذن الله) أى الا ما أراد الله تعالى وقيل الا باذن الله فى الضر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فليكل المؤمنون أمرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه * قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا) الآية قيل فى سبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فاقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة فى سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا فى مجلسهم فامرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فى الصفة والمكان ضيق والاقرب أن المراد مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا فى المجلس لمن أراد الجلوس عنده النبى صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس فى الاخذ بالحظ منه وقرئ فى المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل فى مجلسه فافسحوا أى فاوسعوا فى المجالس أمروا بان يوسعوا فى المجالس لغيرهم (يفسح الله لكم) أى يوسع الله لكم فى الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما

لعبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا وقال أبو العالية والقرظي والحسن هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين وقرأ الآخرون بكسرهما وهما لغتان أي ارتفعوا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم وقال عكرمة والضحاك كان رجال يتثاقلون عن الصلاة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الآية معناه اذا نودي للصلاة فانهضوا لها وقال مجاهد وأكثر المفسرين معناه اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم (والذين أوتوا العلم) من المؤمنين بفضل علمهم ومسابقتهم (درجات) فاخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وان أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا من الاكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في أفراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الآية ان هذا في مجالس العرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فأمروا بأن يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودي الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم (والذين أوتوا العلم) أي ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم (درجات) أي على من سواهم في الجنة قيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع في الناس أخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وان أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم في أقواله وفي أفعاله كلها عن قيس ابن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما جئت لحاجة غيره قال لا قال أما قدمت في تجارة قال لا قال ولا جئت الا رغبة فيه قال نعم قال فاني

العالم فوق الذي لا يعلم درجات

أخبرنا الامام أبو علي الحسين ابن محمد القاضي ثنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد ابن سليمان ثنا أبو علي حامد ابن محمد بن عبد الله الهروي أنا محمد بن يونس القرشي أنا عبد الله بن داود ثنا عاصم ابن رجاء بن حيوة حدثني داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا أبا الدرداء اني جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كانت لك حاجة غيره قال لا قال ولا جئت لتجارة قال لا قال ولا جئت الا رغبة فيه قال نعم قال فاني

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان السموات والارض والحوت في الماء لتدعو له وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو علي الحسين بن أحمد بن ابراهيم السراج أنا الحسن بن يعقوب العدل ثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء ثنا جعفر بن عون أنا عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه قال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم) امام مناجاتكم (صدقة) قال ابن عباس وذلك ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف على نبيه ويثبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم ان

لا قال ماجئت الا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما أورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر أخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (ق) عن معاوية بن أبى سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده أحد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) يعنى اذا أردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا أمام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشئ بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه فأراد الله تعالى أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فأما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيأ وأما الاغنياء وأهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا على بن على أبى طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان على يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى وهى آية المناجاة وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات الآية قال فبى خفف الله عن هذه الامة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة أى وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعنى قليل المال قدرت على قدر حالك * فان قلت فى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه اذ لم يعمل بها أحد غيره * قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة أولى بان تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم * وقوله (ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله (وأطهر) أى لذنوبكم (فان لم تجدوا) يعنى الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعنى انه تعالى رفع عنهم ذلك (أأشفقتم) قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله (أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم

يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل بن حيان نزلت فى الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره النبى صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فاما أهل العسرة فلم يجدوا شيأ وأما أهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا على رضى الله عنه تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان على رضى الله عنه يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى وهى آية المناجاة وروى عن على رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فكم قلت حبة أو شعيرة قال انك لزهيد فنزلت أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات قال على رضى الله تعالى عنه فبى قد خفف الله عن هذه الامة (ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة (وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) يعنى للفقراء الذين لا تفعلوا) يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم (أأشفقتم أن تقدموا) قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم (بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم

تفعلوا) ما أمرتم به (وتاب الله عليكم) تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة وقيل الواو صلة مجازه فان لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار (فأقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت في المنافقين تولوا اليهود ونا صحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين اليهم وأراد بقوله غضب الله عليهم اليهود (ما هم منكم ولا منهم) يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين كما قال مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) قال السدى ومقاتل نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجراته اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فأنزل الله عز وجل هذه الآيات فقال ويحلفون على الكذب وهم يعلمون انهم كذبة (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم (فلهم عذاب مهين ان تغنى عنهم) يوم القيامة (أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

تفعلوا) أي ما أمرتم به (وتاب الله عليكم) أي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ (فأقيموا الصلوة) أي المفروضة (وآتوا الزكوة) أي الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله) أي فيما أمر ونهى (والله خبير بما تعملون) أي انه محيط بأعمالكم ونياتكم * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود ونصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين اليهم فأراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ما هم) يعني المنافقين (منكم) أي من المؤمنين في الدين والولاء (ولا منهم) يعني ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) أي انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فأنزل الله هذه الآية (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) يعني الكاذبة (جنة) أي يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعني انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم بسبب أيمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام (فلهم عذاب مهين) يعني في الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم) يوم القيامة (من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) أي في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انه ينفع في الآخرة أيضا (ويحسبون أنهم على شئ) يعني من أيمانهم الكاذبة (ألا انهم هم الكاذبون) يعني في أقوالهم وأيمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) أي غلب واستولى عليهم وملكهم (فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) يعني في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة لان ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) أي قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوى) أي على نصر رسله وأوليائه (عزيز) أي غالب على أعدائه * قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مؤمنا

يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) كاذبين ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) في الدنيا (ويحسبون أنهم على شئ) من أيمانهم الكاذبة * (ألا انهم هم الكاذبون استحوذ) غلب واستولى (عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) الاسفلين أي هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة (كتب الله) قضى الله قضاء ثابتا (لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز) نظيره قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة قوله عز وجل (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) الآية أخبر ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وان من كان مؤمنا لا يوالي من كفر وان كان من عشيرته قيل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى أهل مكة وسيأتي في سورة الممتحنة ان شاء الله عز وجل وروى مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعني أبا بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد أو عشيرتهم يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) اثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان فذكر القلوب لانها موضعه (وأيدهم بروح منه) قواهم بنصر منه قال الحسن سمى نصره اياهم روحا لان أمرهم يحيا به وقال السدي يعني

بالايمان وقال الربيع يعني بالقرآن وحجته كما قال وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقيل برحمة منه وقيل أمدهم بجبريل عليه السلام (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون)

﴿ سورة الحشر ﴾

مدنية وهي أربع وعشرون آية

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر قال قل سورة النضير

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة فصالحته بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والكعبة ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب ابن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة ذكرناه في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في ما نصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن فعصمه الله وأخبره بذلك ذكرناه هو

لا يوالي من كفر لان من أحب أحدا امتنع أن يحب عدوه * فان قلت قد أجمعت الامة على انه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة * قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) يعني ان الميل الى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب أن يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى أهل مكة وستأتي قصته في سورة الممتحنة وروى عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) أي أثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وأيدهم بروح منه) أي قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به حي أمرهم وقيل بالايمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم أتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) والله أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الحشر ﴾

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم

في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد داعية على أثر داعية وباكية على أثر باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر بأمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه اليهم أن لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا اليه أن اخرج في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا و بينك فيستمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في برا زمن الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله فأرسلوا اليه كيف

هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبي الامي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب بن الاشرف في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقدوا عليه كعب وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم وأخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد داعية على أثر داعية وباكية على أثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهم أن لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا و بينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في برا زمن الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه

نفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج اليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك فان آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى أخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الابل من أموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم ولنبي الله صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا وخرجوا من المدينة الى الشام الى أذرعات وأريحاء الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله عز وجل (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني بني النضير (من ديارهم) التي كانت بيثرب قال ابن اسحق كان أجلاء بني النضير بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب و بينهما سنتان

(لاول الحشر) قال الزهري كانوا ممن سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى فكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر الى الشام قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقال الكلبي انما قال لاول الحشر لانهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلي آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال مرة الهمداني كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر وقال قتادة كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ماظننتم) أيها المؤمنون (أن يخرجوا) من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فأتاهم الله) أي أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف في قلوبهم الرعب) بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون) قرأ أبو عمر بالتشديد والآخرون بالتخفيف ومعناهما واحد (بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها قال ابن زيد كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى فيهدمونها الاوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا قال قتادة كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها قال ابن عباس رضي الله عنهما كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أدبارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله عز وجل يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين

ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى أخيها وهو رجل مسلم من الانصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل أن يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الابل من أموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى أذرعات وأريحا من أرض الشام الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان أجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لاول الحشر) قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلي آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحا من أرض الشام في أيام عمر وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ماظننتم) يعني أيها المؤمنين (أن يخرجوا) أي من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فأتاهم الله) أي أتاهم أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم

فاعتبروا) فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم (ياأولى الابصار) ياذوى العقول والبصائر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك) الذى لحقهم (بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ماقطعتم من لينة) الآية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يامحمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل فهل وجدت فيما زعمت انه أنزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى

فيهدمونها و ينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم و يخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد و ينقضون السقوف و ينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم و بغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها و يخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها و يكسرون ما يليهم و يرمون بالتى خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاعتبروا) يعنى فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم (ياأولى الابصار) يعنى ياذوى العقول والبصائر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) يعنى الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك) أى الذى لحقهم ونزل بهم (بانهم شاقوا الله ورسوله) أى خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) * قوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) الآية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يامحمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ماخلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة وأهل المدينة يسمون ماخلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة و يرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف وأحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعواهذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فاخبر الله ان قطعها كان باذنه (وليخزى الفاسقين) يعنى اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود أذن الله فى قطعها احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لا باس أن تهدم وتحرق وترمى

هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزلت ماقطعتم من لينة (أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) أخبر الله فى هذه الآية ان ماقطعوه وما تركوه فباذن الله (وليخزى الفاسقين) واختلفوا فى اللينة فقال قوم النخل كلها لينة ماخلا العجوة وهو قول عكرمة وقتادة ورواه زاذان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة وأهل المدينة يسمون ماخلا العجوة من التمر الالوان واحدها لون ولينة وقال الزهرى هى ألوان النخل كلها الا العجوة والبرنية وقال مجاهد وعطية هى النخل كلها من غير استثناء وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهم هى لون من النخل وقال سفيان هى كرام النخل وقال مقاتل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف وأحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد فى الارض وأنتم تفسدون دعواهذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فأخبر الله تعالى ان ذلك باذنه

(وما أفاء الله على رسوله) أى رده على رسوله يقال فاء يفىء أى رجع وأفاءها الله (منهم) أى من يهود بنى النضير (فما أوجفتم) أوضعتم (عليه من خيل ولا ركاب) يقال وجف الفرس والبعير يجف وجيفا وهو سرعة السير وأوجفه صاحبه اذا حمله على السير وأراد بالركاب الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية انها فىء لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربا (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) فجعل أموال بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو اليمان انا شعيب عن الزهرى أخبرنى مالك بن أوس بن الحدثان النضرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك فى عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فأدخلهم فلبث يرفا قليلا ثم جاء فقال هل لك فى عباس وعلى يستأذنان قال نعم فلما دخلا قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بينى و بين هذا وهما يختصمان فى الذى أفاء الله على رسوله من بنى النضير فقال الرهط يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال (٥٠) اتئدوا أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا قد قال ذلك فأقبل عمر على على وعباس فقال أنشدكما بالله هل تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك قالا نعم قال فانى أحدثكم عن هذا الامر ان الله كان خص رسوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الى قوله قدير وكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم لقد أعطاكموها و بثها فيكم حتى بقى منها هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم توفى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها أبو بكر رضى الله تعالى عنه فعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتما حينئذ جميع وأقبل على على وعباس تذكران ان أبا بكر فعل فيه كما تقولان والله يعلم انه فيها صادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فقبضتها سنتين من امارتى أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم انى فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى كلا كما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لى أن أدفعه اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر و بما عملت به فيها منذ وليتها والا فلا تكلمانى فيها فقلتما ادفعها الينا بذلك فدفعتها اليكما أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا أقضى فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فادفعاها الى فانى أكفيكماها

بالحمائق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها * قوله عز وجل (وما أفاء الله على رسوله) أى ما رد الله على رسوله (منهم) أى من يهود بنى النضير (فما أوجفتم عليه) يعنى أوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من أعدائه (والله على كل شىء قدير) أى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة (ق) عن مالك بن أوس النضرى ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا أمير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فاذن لهم فلما دخلا قال العباس يا أمير المؤمنين اقض بينى و بين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال مالك بن أوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلى وقال أنشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة

قوله عز وجل (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعني من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد ذكرنا في سورة الانفال حكم الغنيمة وحكم الفيء ان مال الفيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما هو للمقاتلة والثاني لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب بعضهم الى انه يخمس فخمسه لاهل خمس الغنيمة وأربعة أخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة وقال ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفيء حق الا ما ملكت أيمانكم (كيلا يكون دولة) قرأ العامة بالياء دولة نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة وقرأ أبو جعفر تكون بالتاء دولة بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الامر الى دولة وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحينئذ لا خبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعني بين الرؤساء والاقوياء معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الاغنياء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي بعده ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمره به ثم قال (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي من مال الفيء والغنيمة (وما نهاكم عنه) أي من الغلول وغيره (فانتهوا) وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن

(٥١)

لم يخصص بها أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بني النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض أتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم حينئذ وأقبل على علي وعباس وقال تذكران أن أبا بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من امارتي أعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم اني فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلا كما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لي أن أدفعها اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الي فاني أكفيكماه قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعني من اموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذي القربى) يعني بني هاشم وبني المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم تفسيره في سورة الانفال في حكم الغنيمة وقسمتها وأما حكم الفيء فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم الى انه يخمس لخمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة أو للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله في هذا الفيء حق الا ما ملكت أيمانكم (كيلا يكون) الفيء (دولة) والدولة اسم الشيء الذي يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعني بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي بعده ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمره به (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي من مال الفيء والغنيمة (وما نهاكم عنه) أي من الغلول وغيره (فانتهوا) وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن

(ق) عن عبد الله بن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات

علقمة عن عبد الله قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) ثم بين من له الحق في الفيء فقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا) رزقا (من الله ورضوانا) أي خرجوا الى دار الهجرة طلبا لرضا الله عز وجل (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) (٥٢) في ايمانهم قال قتادة هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الخفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أنا أبو العباس الطحان أنا أبو أحمد بن محمد بن قيس بن سليمان أنا علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثني عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي اسحق عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين قال أبو عبيد هكذا قال عبد الرحمن وهو عندي أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور أي التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة (والذين تبوؤا الدار والايمان) وهم الانصار تبوؤا الدار بمعنى اتخذوها دار الهجرة والايمان (من قبلهم) أي أسلموا في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ونظم الآية والذين تبوؤا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان تبوء (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة) حزازة وغيظا وحسدا (مما أوتوا) أي مما أعطى المهاجرون دونهم من الفيء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط منها الانصار فطابت أنفس الانصار بذلك

والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثنايا بها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها فكل ذلك منهي عنه (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد عن أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن الاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو نحو ذلك (واتقوا الله) أي في أمر الفيء (ان الله شديد العقاب) اي على ترك ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) يعني ألجأهم كفار مكة الى الخروج (يبتغون فضلا من الله) أي رزقا وقيل ثوابا من الله (ورضوانا) أي خرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل (وينصرون الله ورسوله) أي بأنفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته (أولئك هم الصادقون) أي في ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الخفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة بأربعين خريفا وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود * قوله عز وجل (والذين تبوؤا الدار والايمان) يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا (من قبلهم) يعني انهم أسلموا في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا الان الايمان ليس بمكان يتبوأ (يحبون من هاجر اليهم) وذلك انهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة) أي حزازة وغيظا وحسدا (مما أوتوا)

(و يؤثرون على أنفسهم) أى يؤثرون اخوانهم من المهاجرين باموالهم ومنازلهم على أنفسهم (ولوكان بهم خصاصة) فاقة وحاجة الى ما يؤثرون وذلك انهم قاسموهم ديارهم وأموالهم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا عبد الله بن داود عن فضيل بن غزوان عن أبى حازم عن أبى هريرة ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فاستضافه فبعث الى نسائه هل عندكن من شئ فقلن ما معنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الانصار أنا يارسول الله فانطلق به الى امرأته فقال اكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال هيئ طعامك وأصبحى سراجك ونومى صبيانك اذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كانها تصلح سراجها فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما فانزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا الحكم بن نافع أنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قالت الانصار اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا عبد الله ابن محمد ثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس ابن مالك حين خرج معه الى الوليد قال دعا النبى

أى أعطى المهاجرون من الفئ دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة فطابت أنفس الانصار بذلك (و يؤثرون على أنفسهم) أى و يؤثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على أنفسهم (ولوكان بهم خصاصة) أى فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ما عندى الا الماء ثم أرسل به الى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يارسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا الا قوت صبيانى قال فعللبهم بشئ ونومهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نا كل فاذا أهوى بيده ليا كل فقومى الى السراج كى تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة زاد فى رواية فانزل الله و يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة (ق) عن أبى هريرة قال قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا و بين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمر قالوا سمعنا وأطعنا (خ) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا الا أن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانه سيصيبكم أثرة بعدى وفى رواية ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول أشهر ومعناه الاستئثار وهو أن يستأثر عليكم بامور الدنيا و يفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم فى الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا أعطى أراد انه يستأثر عليكم غيركم فيفضل فى نصيبه من الفئ والاستئثار الانفراد بالشئ وقيل الاثرة الشدة والاول أظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيا من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل و يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح فى كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) أى الفائزون بما أرادوا وروى ان رجلا قال لابن

صلى الله عليه وسلم الانصار الى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا الا أن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال ألا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانه سيصيبكم أثرة بعدى وروى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديارهم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم ديارهم وأموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل و يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والشح فى كلام العرب البخل ومنع الفضل وفرق العلماء بين الشح والبخل روى أن رجلا قال لعبد الله ابن مسعود انى أخاف ان أكون قد هلكت فقال وما ذاك قال أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح

لا يكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس ذاك بالشح الذى ذكر الله عز وجل فى القرآن ولكن الشح ان تاكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل و بئس الشئ البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل الى ما ليس له وقال سعيد بن جبير الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمله على ارتكاب المحارم قال ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عنه ولم يدعه الشح الى أن يمنع شيأ من شئ أمره الله به فقد وقاه شح نفسه أخبرنا الامام محمد بن أبى الحسين بن محمد القاضى أنا أبو سعد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى نزار ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حرار القهندرى ثنا أبو عبد الله محمد بن اسحق السعيدى ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا القعنبى ثنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان استحلوا دماءهم واستحلوا محارمهم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى ثنا أبو العباس الاصم أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبى وشعيب قالا أنا الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبى صالح عن صفوان بن يزيد عن القعقاع هو ابن اللجلاج عن أبى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا (والذين جاؤا من بعدهم) يعنى التابعين وهم الذين يجيؤن بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة ثم ذكر انهم يدعون لانفسهم ولمن سبقهم بالايمان والمغفرة فقال (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا) غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) فكل من كان فى قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الاية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين من بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين قال ابن أبى ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا عبد الله ابن حامد أنا أحمد بن عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن عبد الله ثنا ابن نمير ثنا أبى عن اسمعيل بن ابراهيم عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وقال مالك بن مغول قال عامر بن شرحبيل الشعبى يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالت أصحاب موسى عليه السلام وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا حوارى عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نار اللحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم أعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة قال مالك بن أنس من يبغض أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فئ المسلمين ثم تلا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى أتى على هذه الآية للفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم الى قوله رؤف رحيم

مسعودا نى أخاف ان أكون قد هلكت قال وما ذاك قال انى أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ولكن الشح أن تاكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل و بئس الشئ البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيا أمره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود الهلع أشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا و يحزن على شئ يفوته أو يخرج من يده والخالع الذى خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا أخرجه النسائى * قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) يعنى من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أخبرانهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) اى غشا وحسدا و بغضا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) فكل

قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نافقوا) أى أظهروا خلاف ما أضمروا يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود من بنى قريظة والنضير جعل المنافقين اخوانهم فى الدين لانهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) من المدينة (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا) يسألنا خذلانكم وخلافكم (أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم) يعنى المنافقين (لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فانهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم قوله تعالى (ولئن نصروهم ليولن الادبار) أى لو قدر وجود نصرهم قال الزجاج معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون) يعنى بنى النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم (لانتم) يا معشر المسلمين (أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أى ذلك الخوف منكم (بأنهم قوم لا يفقهون) عظمة الله (لا يقاتلونكم) يعنى اليهود (جميعا الا فى قرى محصنة) أى لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله (أو من وراء جدر) قرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار على الواحد وقرأ الآخرون جدر بضم الجيم والدال على الجمع (بأسهم بينهم شديد) أى بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله

من كان فى قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين وليس له فى المسلمين نصيب وقال ابن أبى ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوّؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن أختى أمروا أن يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذى وقال مالك بن أنس من انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان فى قلبه غل عليهم فليس له حق فى فىء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك ابن مغول قال الشعبى يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم قال حوارى عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم أعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة وروى عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الاجر وروى أن ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أمن المهاجرين الاولين أنت قال لا قال فمن الانصار أنت قال لا قال فانا أشهد بأنك لست من التابعين لهم باحسان * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نافقوا) يعنى أظهروا خلاف ما أضمروا وهم عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود من بنى قريظة و بنى النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) أى من المدينة (لنخرجن معكم) أى منها (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) يعنى ان سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم (وان قوتلتم لننصرنكم) أى لنعيننكم ولنقاتلن معكم (والله يشهد انهم) يعنى المنافقين (لكاذبون) أى فيما قالوا ووعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فانهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم (ولئن نصروهم ليولن الادبار) يعنى لو قدروا نصرهم أو لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون) يعنى بنى النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصروهم (لأنتم) يعنى يا معشر المسلمين (أشد رهبة فى صدورهم من الله) أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أى الخوف منكم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعنى عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة) أى لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (أو من وراء جدار) وقرئ جدر (بأسهم بينهم شديد) أى بعضهم فظ على بعض أو عداوة بعضهم

بعضا شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم أجبن خلق الله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق وقيل أراد ان دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا) يعنى مشركى مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم) أى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) أى مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) وذلك مارى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى أقصى أرض الهند لا بليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا فى كل عشرة أيام ولا يفطر الا فى كل عشرة أيام مرة فلما رأى الابيض انه لا يجيبه أقبل على العبادة فى أصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه أى لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتى انى جئت لاكون معك فأتأدب بادبك وأقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم أقبل على صلاته وترك الابيض وأقبل الابيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتى أن تأذن لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر الا فى كل أربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك أشد اجتهادا مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا أنا أكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى أخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يفد فقال لهم انى لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعا به أجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عم تلك الجارية ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم أعالجها قالوا نعم فقال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعالها فاذا علمتم انها قد عوفيت ترددونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا أن يجيبنا الى هذا وهو أعظم شانا من

(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهاداتهم مختلفة أعمالهم وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق وقال مجاهد أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم) يعنى مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم (قريبا) يعنى مشركى مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير قاله مجاهد وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم) ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذعهم فقال (كمثل الشيطان) أى مثل المنافقين فى غرورهم بنى النضير وخذلانهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر

(فلما كفر قال انى برىء منك) وذلك ما روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا أجد أحدا منكم يكفينى أمر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبرائيل ليوسوس اليه على وجه الوحى فدفعه جبرائيل الى أقصى أرض الهند فقال الابيض لا بليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا فى كل عشرة أيام ولا يفطر الا فى عشرة أيام

ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه أمانة عندك فاحتسب أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فأخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيؤن فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكربون جاء الشيطان الى أكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان الى أوسطهم فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله قد رأيت مثله فقال الاكبر وأنا والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوه فى النوم فشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم القؤس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك فأقر على نفسه وذلك ان الشيطان أتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمر ان قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفنى فقال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات وكنت اذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك ما اتقيت الله فى أمانتك خنت أهلها وانك زعمت أنك أعبد بنى اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح أبدا وان يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فأخذ باعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيصا فقال يا برصيصا هذا الذى أردت منك صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك (فلما كفر قال انى برىء منك

مرة فلما رأى الابيض انه لا يجيبه أقبل على العبادة فى أصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال حاجتى انى أحببت أن أكون معك فأتأدب بك وأقتبس من عملك وعلمك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم أقبل على صلاته وترك الابيض وأقبل الابيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما بعدها فلما انفتل رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له ما حاجتك قال حاجتى أن تأذن لى فارتفع اليك فأذن له فارتفع اليه فى صومعته فأقام معه حولا يتعبدان

يفطر الا فى كل أربعين يوما ولا ينفتل عن صلاته الا فى كل أربعين يوما مرة وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته للذى رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الابيض ان عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انى أكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى أخاف ان علم بى الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل

به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فقال لهم انى لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الاعظم الذى اذا دعا به أجيب فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل بين ثلاثة اخوة وكان أبوهم ملكهم فمات واستخلف أخاه فكان عمها ملك بنى اسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم فى صورة متطبب فقال لهم أتريدون أن أعالجها قالوا نعم قال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا أن يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعته ثم قولوا له هى أمانة عندك فاحتسب فيها قال فانطلقوا اليه فسألوه فابى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الابيض ووضعوا الجارية فى صومعته وقالوا هذه أختنا أمانة فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه أمر عظيم ثم أقبل فى صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فجاءه الشيطان وقال واقعها فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفار للذنوب والخطايا فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقدر عليه فدخل فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فاخذ بطرف ازارها فبقى طرف ازارها خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته فاقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيؤن فى بعض الايام يسألون (٥٨) عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى أكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه خاف منكم فقتلها ودفنها فى موضع كذا وكذا فقال الاخ فى نفسه هذا حلم وهو من عمل الشيطان فان برصيصا خير عاقبة من ذلك قال فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط بمثل ما قال الاكبر فلم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا وقال الاوسط وأنا والله قد رأيت مثله وقال الاكبر وأنا رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال ألست قد أعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتمونى فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه فانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا فى النوم فشوا فى مواليهم وغلمانهم ومعهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه فانطلقوا به الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمر ان قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفنى قال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك ما اتقيت الله فى أمانتك خنت أهلها وانك زعمت أنك أعبد بنى اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال فى آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه فاتخذ باعينهم فاخرج من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذى كنت أردت منك صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك انى برىء منك (انى أخاف الله رب العالمين) يقول الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعنى الشيطان وذلك الانسان (أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك ان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير عن المدينة فدس المنافقون اليهم وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر

انى أخاف الله رب العالمين) قال الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعنى الشيطان وذلك الانسان (أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان

المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس رضي الله عنه فكان الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسوق والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموا به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ما أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا يزيد بن هارون أنا جرير بن حازم ثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى ابن مريم عليه السلام وصاحب جريج وصاحب يوسف وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته أمه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يارب أمي وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت يا جريج فقال أي رب أمي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى

ينظر الى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغية فولدت منك فقال أين الصبي فجاؤا به فقال دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبني لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثل هذا ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها أخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه وأخرجه

عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسق والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من أمر جريج الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصاحب يوسف وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فيها فقالت يا جريج فقال يارب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت يا جريج فقال يارب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت يا جريج فقال يارب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها معهم فقالت ان شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوي الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال أين الصبي فجاؤا به فقال دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبني لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه ونظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها قال ان ذاك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) يعنى ليوم القيامة أى لينظر أحدكم أى شئ قدم لنفسه عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه (واتقوا الله ان الله

خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا أمر الله (فانساهم أنفسهم) أى حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا (أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) قوله عز وجل (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل لو جعل فى الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته حذرا من أن لا يؤدى حق الله عز وجل فى تعظيم القرآن والكافر يعرض عما فيه من العبر كان لم يسمعها يصفه بقساوة القلب (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) الغيب ماغاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه والشهادة ماشاهدوه وعلموه (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس) الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به (السلام) الذى سلم من النقائص (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه هو من الامان الذى هو ضد التخويف كما قال وآمنهم من خوف وقيل معناه المصدق لرسله باظهار المعجزات والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وللكافرين بما أوعدهم من العقاب

البخارى مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزوانى جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة والبغى الزانية أيضا وقوله يتمثل بحسنها أى يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة أى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتى المتكبر القاهر للناس * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى لينظر أحدكم أى شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كأن يوم القيامة يأتى غدا وكل ما هو آت فهو قريب (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله فى أداء الواجبات ومعنى الثانى واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولا تكونوا كالذين نسوا الله أى تركوا أمر الله (فانساهم أنفسهم) أى أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده (أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لما أرشد المؤمنين الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم أنفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوى أصحاب النار يعنى الذين هم فى العذاب الدائم وأصحاب الجنة يعنى الذين هم فى النعيم المقيم ثم أتبعه بقوله أصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما * قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل فى الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع أى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله وحذر من أن لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كأنه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه أوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا أن يخلق الله تعالى له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل * قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى فى الدنيا يعم المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) أى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذى كثرت بركته (السلام) أى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق * فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن * قلت الفرق بينهما أن القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام أى سلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه

(المهيمن) الشهيد على عباده بأعمالهم وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى ومقاتل يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن اذا كان رقيبا على الشئ وقيل هو فى الاصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء كقولهم أرقت وهرقت ومعناه المؤمن وقال الحسن الامين وقال الخليل هو الرقيب الحافظ وقال ابن زيد المصدق وقال سعيد بن المسيب والضحاك القاضى وقال ابن كيسان هو اسم من أسماء الله تعالى فى الكتب والله أعلم بتأويله (العزيز الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على هذا القول صفة ذات الله وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح يقال جبرت الكسر والامر وجبرت العظم اذا أصلحته بعد الكسر فهو يغنى الفقير ويصلح الكسير وقال السدى ومقاتل هو الذى يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن بعض عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز (المتكبر) الذى تكبر عن كل سوء وقيل المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل ذو الكبرياء وهو الملك (سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق) المقدر والمقدر للشئ بالتدبير الى غيره كما قال يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق (البارئ) المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) الممثل المخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض يقال هذه صورة الامر أى مثاله فأولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا (له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا ابن وهب ثنا أحمد بن أبى شريح وأحمد بن منصور الرمادى قالا أنا أبو أحمد الزبيرى ثنا خالد بن طهمان حدثنى نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر

عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس أى الشهيد على عباده بأعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد فى معناه

ألا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

أى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فى أبيات منها

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء زانها النطق

وقيل المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده * ولقد تعالى عن عقول أولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم * والوصف يعجز عن مليك لا يرى

(العزيز) أى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لا ينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كذابا فى فعله فكان مذموما فى حق الناس وأما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان أظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون أى من ادعاء الكبر لانفسهم (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر أفعاله على وجود مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارئ) أى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) أى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد بخلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وأنشاه على صور مختلفة وأشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فأولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات (له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ

وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال حين يمسى كان بتلك المنزلة ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبى أحمد الزبيرى بهذا الاسناد وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه

﴿ سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدكم أولياء) الآية أخبرنا عبد الواحد المليحى ثنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرنى الحسن بن محمد انه سمع عبد الله بن أبى رافع يقول سمعت عليا رضى الله عنه يقول بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما معى كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب قال فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتى ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى هذه السورة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله سواء السبيل قال المفسرون نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك ان سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم ابن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسلمة جئت قالت لا قال أمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاصل والعشيرة والموالى وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى فقال لها وأين أنت من شبان مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب منى شئ بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وبنى المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن أبى بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى فكتب معها الى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى أهل مكة وكتب فى الكتاب من حاطب ابن أبى بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم

الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان كذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله أعلم

﴿ سورة الممتحنة مدنية ﴾

وهى ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) الآية (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما معى من كتاب فقلنا لتخرجى الكتاب أو لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فأتينا به النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول أصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية فى حاطب بن أبى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك ان سارة مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسلمة جئت

بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبا مرثد فرسانا فقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها قال فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها كتاب فبحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه فقال أخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته

من ذؤابتها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها فرجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فاردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر ابن الخطاب فقال دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال

قالت لا قال أما هجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها وأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شئ بعد وقعة بدر غير عليها بني عبد المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب الى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد ابن الاسود وأبا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال أخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا منهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فاردت أن أتخذ لي عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شان حاطب بن أبي بلتعة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء يعني أصدقاء وأنصارا (تلقون اليهم بالمودة) أي باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) اي وحالهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعني القرآن (يخرجون الرسول واياكم) يعني من مكة (أن تؤمنوا) اي لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء * وقوله (تسرون اليهم بالمودة) اي بالنصيحة (وأنا أعلم بما أخفيتم) اي من المودة للكفار (وما أعلنتم) اي اظهرتم بالسنتكم منها (ومن يفعله

لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل في شان حاطب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء (تلقون اليهم بالمودة) قيل اي المؤدة والباء زائدة كقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم وقال الزجاج معناه تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) الواو للحال اي وحالهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعني القرآن (يخرجون الرسول واياكم) من مكة (أن تؤمنوا) اي لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ان كنتم خرجتم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة) قال مقاتل بالنصيحة (وأنا أعلم بما أخفيتم) من المودة للكفار (وما أعلنتم) أظهرتم بالسنتكم (ومن يفعله

منكم فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الهدى (ان يثقفوكم) يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم) بالضرب والقتل (وألسنتهم بالسوء) بالشتم (وودوا لو تكفرون) كما كفروا يقول لا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم ولا يوادونكم (لن تنفعكم أرحامكم) معناه لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم التي بمكة الى خيانة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم (ولا أولادكم) الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار قرأ عاصم ويعقوب يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الصاد مشددا وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشددا وقرأ الاخرون بضم الياء وفتح الصاد مخففا (والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة) قدوة (حسنة في ابراهيم والذين معه) من أهل الايمان

(اذ قالوا لقومهم) من المشركين (انا برآء منكم) جمع بريء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) جحدنا وأنكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) يأمر حاطبا والمؤمنين بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) يعني لكم أسوة حسنة في ابراهيم وأموره الا في استغفاره لابيه المشرك فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لابيه لاستغفرن لك ثم تبرأ منه على ما ذكرناه في سورة التوبة (وما أملك لك من الله من شئ) يقول ابراهيم لابيه ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله ان عصيته وأشركت به (ربنا عليك توكلنا) يقوله ابراهيم ومن معه من المؤمنين (واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) يجعل

منكم) اى الاسرار والقاء المودة اليهم (فقد ضل سواء السبيل) اى أخطأ طريق الهدى ثم أخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أى بالضرب والقتل والشتم والسب (وودوا) أى تمنوا (لو تكفرون) اى ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم أنتم ولا توادوهم (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) اى لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فانه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) اى يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) * قوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) اى من اهل الايمان (اذ قالوا لقومهم) يعني المشركين (انا برآء منكم) جمع بريء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) اى جحدناكم وأنكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) والمعنى ان ابراهيم عليه السلام وأصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فأمر حاطبا والمؤمنين أن يتأسوا بهم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) يعني لكم أن تتأسوا بابراهيم في جميع أموره الا في الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه (وما أملك لك من الله من شئ) هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله ان عصيته وأشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) اى لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) يعني في ابراهيم ومن معه (أسوة حسنة) اى اقتداء حسن (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) اى ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) اى يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغني) اى عن خلقه (الحميد) اى الى أهل طاعته وأوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله تعالى (عسى الله أن

قال الزجاج لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق فيفتتنوا وقال مجاهد لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) أي في ابراهيم ومن معه (أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) هذا بدل من قوله لكم وبيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغني) عن خلقه (الحميد) الى أوليائه وأهل طاعته قال مقاتل فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة فعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله عز وجل (عسى الله أن

يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم) أي من كفار مكة (مودة) ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم (والله قدير والله غفور رحيم) ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) تعدلوا فيهم بالاحسان والبر (ان الله يحب المقسطين) قال ابن عباس نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أسماء بنت أبي بكر وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وأقطا وسمنا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي على بيتي حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وتقبل (٦٥) هديتها وتكرمها وتحسن اليها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا قتيبة ثنا حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قال قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها قال صليها وروى عن ابن عيينة قال فأنزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركو مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم

يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم) أي من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله قدير) أي على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم وأسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله ابن الزبير نزلت في أمه وهي أسماء بنت أبي بكر وذلك ان أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وأقطا وسمنا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتا حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قال قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فأنزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الذين نهى عن صلتهم و برهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركو مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا و بينه وكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون عنها النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن الى ولاهم يحلون لهن قال عروة فأخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه

الظالمون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا و بينه فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت

المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مهاجرة وهي عاتق فجاء أهلها يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم فلم يرجعها اليهم لما أنزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فأخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها به والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما بايعهن الا بقوله قال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من أتاه من أهل مكة رده اليهم ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقال مقاتل صيفي بن الراهب في طلبها وكان كافرا فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طيبة الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا رغبة عن أرض الى أرض ولا لحدث أحدثته ولا لالتماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله قال فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فحلفت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء

الآية يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من أتاه من أهل مكة رده اليهم ومن أتى مكة من أصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طيبة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها أن تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض الى أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن ويرد من جاءه من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا أو عموما فقيل قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وانما أطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم (الله أعلم بايمانهن) أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بايمانهن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي اذا أقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر (وآتوهن) يعني أزواجهن (ما أنفقوا) أي عليهن من المهر الذي دفعوه اليهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن أزواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فان أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن (الله أعلم بايمانهن) أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بايمانهن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) ما أحل الله مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعني أزواجهن الكفار (ما أنفقوا) عليهن يعني المهر الذي دفعوا اليهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن أباح الله نكاحهن للمسلمين وان كان لهن أزواج في دار الكفر لان الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار (ولا تمسكوا) قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتشديد والآخرون بالتخفيف من الامساك (بعصم الكوافر) والعصم جمع العصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب والكوافر جمع الكافرة نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب

رضى الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم ابنه عبيد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وهى بمكة على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها فى الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبى العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسئلوا) أيها المؤمنون (ما أنفقتم) أى ان لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسئلوا) يعنى المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ما أنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عز وجل وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم فانزل الله عز وجل (وان فاتكم) أيها المؤمنون (شئ من أزواجكم الى الكفار) فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) قال المفسرون معناه غنمتم أى غزوتم فاصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم وقيل أصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم قرأ حميد الاعرج فعقبتم بالتشديد وقرأ الزهرى فعقبتم خفيفة بغير ألف وقرأ مجاهد فاعقبتم أى صنعتم بهم كما صنعوا بكم وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب واعقب وتعقب وتعاقب واعتقب اذا غنم وقيل التعقيب غزوة بعد غزوة (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) الى الكفار منكم (مثل ما أنفقوا) عليهن من الغنائم التى صارت فى أيديكم من أموال الكفار وقيل فعاقبتم المرتدة بالقتل وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت أبى أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر ان يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز ابن نضلة وتزوجها عمرو بن عبد ودوهند بنت أبى جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر ابن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة

المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهرى لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى أم ابنه عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هى على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده فى الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبى العاص بن الربيع اسلمت وهاجرت ولحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسئلوا) أى أيها المؤمنون (ما أنفقتم) يعنى ان لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسألوا) يعنى المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ما أنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله تعالى وأدوا ما أمروا به من أداء نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل (وان فاتكم) ايها المؤمنون (شئ من أزواجكم الى الكفار) أى فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه غزوتم فغنمتم وأصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) أى الى الكفار (مثل ما أنفقوا) معناه اعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم التى صارت فى أيديكم من أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة (١) بنت أبى أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر بها أبت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبد ودوهند بنت أبى جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن

(١) قوله فاطمة تقدم ان اسمها قريبة فلعل فى اسمها خلافا وذكر الخطيب اولا ان اسمها قريبة وثانيا فاطمة كما هنا والله اعلم اه

(واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) واختلف القول فى أن ردمهر من أسلمت من النساء الى أزواجهن كان واجبا أو مندوبا وأصله ان الصلح هل كان وقع على رد النساء فيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روينا انه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا ثم صار الحكم فى رد النساء منسوخا بقوله فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الآخر أن الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن على انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة فى الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت وأكرهت عليها الضعف قلبها وقلة عقلها وقلة هدايتها الى المخرج منها باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار الايمان ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته الى التقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا واختلفوا فى انه هل يجب العمل به اليوم فى رد المال اذا شرط فى معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الآية منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم هى غير منسوخة ويرد اليهم ما أنفقوا قوله عز وجل (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر ابن الخطاب أسفل منه وهو يبايع النساء بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعهن (على أن لا يشركن بالله شيأ) فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال و بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبى صلى الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هنات فلا أدرى أيحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولا يزنين) فقالت هند أوتزنى الحرة فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال (ولا يعصينك فى معروف) فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شئ فاقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزى وجملة من أحصى من المبايعات اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضى

مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول فى رد مهر من أسلمت من النساء الى زوجها هل كان واجبا أو مندوبا وأصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لا يأتيك منا أحد الا رددته ثم صار الحكم فى رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثانى ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن على أنه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة فى الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت وأكرهت عليها الضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته الى التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا فى انه هل يجب العمل به اليوم فى رد المال اذا شرط فى معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا * قوله تعالى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعهن (على ان لا يشركن بالله شيا) فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبى صلى الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فلا ادرى يحل لى ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولا يزنين) فقالت هند اوتزنى الحرة فقال (ولا يقتلن اولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك فى معروف) فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا ان نعصيك فى شئ فاقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزى وجملة من احصى من المبايعات اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضى

في شئ فاقر النسوة بما أخذ عليهن قوله ولا يقتلن أولادهن أرادوا أد البنات الذى كان يفعل أهل الجاهلية قوله ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهى عن الزنا قد تقدم ذكره بل المراد منه ان تلتقط مولودا وتقول لزوجها هذا ولدى منك فهو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن لان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها قوله ولا يعصينك فى معروف أى فى كل أمر وافق طاعة الله قال بكر بن عبد الله المزنى فى كل أمر فيه رشدهن وقال مجاهد لا تخلو المرأة بالرجال وقال سعيد بن المسيب والكلبى وعبد الرحمن بن زيد هو النهى عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المرأة الرجال الا اذا محرم ولا تخلو برجل غير ذى محرم ولا تسافر الا مع ذى محرم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت أسعدتنى فلانة أريد أن أجزيها فما قال لها النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ورجعت وبايعها أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أنا الحسين بن محمد ابن الحسين الدينورى ثنا أحمد بن محمد بن اسحق ثنا أبو يعلى الموصلى ثنا هدبة بن خالد ثنا أبان بن يزيد ثنا يحيى بن أبى كثير ان زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه ان أبا مالك الاشعرى حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الاحساب والطعن فى الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عمرو بن حفص ثنا أبى أنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية قوله (فبايعهن) يعنى اذا بايعنك فبايعهن (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثنى محمود ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية لا يشركن بالله شيأ قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا ابو اسحق الثعلبى انا محمد بن عبد الله بن حمدون انا مكى بن عبدان ثنا عبد الرحمن ابن بشر ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع اميمة بنت رقيقة تقول بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم بنا من انفسنا قالت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعنى صافحنا فقال انى لا اصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأة

الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن لا يشركن بالله شيأ وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا يملكها وأما تفسير الآية فقوله تعالى ولا يقتلن أولادهن أراد به وأد البنات الذى كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام فى كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعنى لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهى عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك فى معروف أى فى كل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه وقيل فى كل أمر وافق طاعة الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهى عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المرأة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذى محرم ولا تسافر مع غير ذى محرم قال ابن عباس فى قوله ولا يعصينك فى معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء أخرجه البخارى (ق) عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة أسعدتنى فأنا أريد أن أجزيها فما قال لها النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن أسيد بن أسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذى أخذ علينا أن لا نعصيه فيه أن لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا ننشق جيبا ولا ننشر شعرا أخرجه أبو داود عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن أن لا ينحن فقلن يا رسول الله نساء أسعدتنا فى الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد فى الاسلام أخرجه النسائى (م) عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه أبو داود * وقوله تعالى (فبايعهن) يعنى اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) عن أميمة

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) وهم اليهود وذلك ان أناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا) يعني هؤلاء اليهود (من الآخرة) بأن يكون لهم فيها ثواب وخير (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أي كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة قال مجاهد الكفار حين دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله قال سعيد بن جبير يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار الذين ماتوا فعاينوا الآخرة وقيل كما يئس الكفار من أصحاب

القبور ان يرجعوا اليهم

﴿سورة الصف مدنية وقال عطاء مكية وهي أربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقال محمد ابن كعب لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقال قتادة والضحاك نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية قال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر

للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله أن تقولوا) قوله ان تقولوا في موضع رفع فهو كقولك بئس رجلا أخوك ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض عند الله أي ان الله يبغض بغضا شديدا أن تقولوا (ما لا تفعلون) أن تعدوا من أنفسكم شيأ ثم لم تفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم (كأنهم بنيان

بنت رقية قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن قلنا الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا من الآخرة) يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من أن يكون لهم ثواب أو خير في الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الصف﴾

وفيها قولان أحدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي أربع عشرة آية وماتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قيل سبب نزولها ما روى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيها أموالنا وأنفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأنزل الله هل أدلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب أهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وأطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) أي عظم بغضا عند الله (أن تقولوا ما لا تفعلون) معناه أن يعدوا من أنفسهم شيأ ولم يفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم (كأنهم بنيان

مرصوص) أى قدرص بعضه ببعض وألزق بعضه الى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا فى الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص * قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) أى واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بنى اسرائيل (يا قوم لم تؤذونني) قيل انهم كانوا يؤذونه بأنواع من الاذى التعنت منها قولهم أرنا الله جهرة وقولهم ان نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) يعنى تؤذوننى وأنتم عالمون علما قطعيا انى رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) أى عدلوا وما لوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أى أمالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يهدى من سبق فى علمه أنه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى أن أذاهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم) أى انى رسول أرسلت اليكم بالوصف الذى وصفت به فى التوراة (مصدقا لما بين يدى من التوراة) أى مقرر معترف بأحكام التوراة وكتب الله وأنبيائه جميعا ممن قد تقدم (ومبشرا برسول يأتى من بعدى) أى يصدق بالتوراة على مثل تصديقى فكأنه قيل ما اسمه فقال (اسمه أحمد) عن أبى موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يأتوا النجاشى وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشى يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال أبو داود المدنى قد بقى فى البيت موضع قبر أخرجه الترمذى عن كعب الاحبار أن الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم (١) يأتى بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم فى الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى يوم القيامة وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما وأحمد يحتمل معنيين أحدهما أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الانبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمد الله من غيره والثانى أنه مبالغة من المفعول ومعناه أن الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التى يحمد بها من غيره (فلما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أى ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أى ومن أقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه أن يكذب على الله وذلك انهم علموا أن ما نالوه من نعمة الله فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية أى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) يعنى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه

مرصوص) أى قدرص بعضه ببعض وألزق بعضه الى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا فى الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص * قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) أى واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بنى اسرائيل (يا قوم لم تؤذوننى) قيل انهم كانوا يؤذونه بأنواع من الاذى التعنت منها قولهم أرنا الله جهرة وقولهم ان نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) يعنى تؤذوننى وأنتم عالمون علما قطعيا انى رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) أى عدلوا وما لوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أى أمالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يهدى من سبق فى علمه أنه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى أن أذاهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم) أى انى رسول أرسلت اليكم بالوصف الذى وصفت به فى التوراة (مصدقا لما بين يدى من التوراة) أى مقرر معترف بأحكام التوراة وكتب الله وأنبيائه جميعا ممن قد تقدم (ومبشرا برسول يأتى من بعدى) أى يصدق بالتوراة على مثل تصديقى فكأنه قيل ما اسمه فقال (اسمه أحمد) عن أبى موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يأتوا النجاشى وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشى يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال أبو داود المدنى قد بقى فى البيت موضع قبر أخرجه الترمذى عن كعب الاحبار أن الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم (١) يأتى بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم فى الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى يوم القيامة وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما وأحمد يحتمل معنيين أحدهما أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الانبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمد الله من غيره والثانى أنه مبالغة من المفعول ومعناه أن الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التى يحمد بها من غيره (فلما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أى ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أى ومن أقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه أن يكذب على الله وذلك انهم علموا أن ما نالوه من نعمة الله فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية أى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) يعنى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه

قال الزجاج يعنى لا يهدى من سبق فى علمه انه فاسق (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) والالف فيه للمبالغة فى الحمد وله وجهان أحدهما انه مبالغة من الفاعل أى الانبياء كلهم حامدون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التى يحمد بها (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم) قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والآخرون بالتخفيف (من عذاب أليم) نزل هذا

حين قالوا لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملناه وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال

(١) قوله قال نعم الخ كذا فى نسخة وفى أخرى قال نعم أمة أحمد حكماء اه من هامش

(تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) أي ولكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قال الكلبي هو النصر على قريش وفتح مكة وقال عطاء يريد فتح فارس والروم (وبشر المؤمنين) يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو أنصارا بالتنوين لله بلام الاضافة (٧٢) وقرأ الآخرون أنصار الله بالاضافة كقوله نحن أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين) أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام (من أنصاري الى الله) أي من ينصرني مع الله (قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس يعني في زمن عيسى عليه السلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) غالبين عالين وروي مغيرة عن ابراهيم قال فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى كلمة الله وروحه

الآية حين قالوا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم) أي الذي آمركم به من الايمان والجهاد في سبيله (ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله أي اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعني هذا الجزاء الذي ذكر هو الفوز العظيم (وأخرى تحبونها) أي ولكم تجارة أخرى وقيل لكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) أي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله) أي مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصاري الى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وكانوا اثني عشر رجلا أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حواري الزبير (فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أي غالبين وقيل معناه فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى روح الله وكلمته والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الجمعة مدنية﴾

وهي احدى عشرة آية ومائة وثلاثون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين) يعني العرب وكانت العرب أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الامي هو الذي على ما خلق عليه كأنه منسوب الى أمه (رسولا منهم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل أميا مثلهم وانما كان أميا لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب الى صدقه (يتلوا عليهم آياته) أي التي تبين رسالته وقيل آياته التي يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل (ويزكيهم) أي يطهرهم من دنس الشرك (ويعلمهم الكتاب)

أي

﴿سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين) يعني العرب كانت أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ (رسولا منهم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم نسبه نسبهم (يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب

والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) اى ما كانوا قبل بعثة الرسول الا فى ضلال بين يعبدون الاوثان (وآخرين منهم) وفى آخرين وجهان من الاعراب أحدهما الخفض على الرد الى الاميين مجازه وفى آخرين والثانى النصب على الرد الى الهاء والميم فى قوله ويعلمهم أى ويعلم آخرين منهم اى من المؤمنين الذين يدينون بدينهم لانهم اذا أسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة واختلف العلماء فيهم فقال قوم هم العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليث عن مجاهد والدليل عليه ما أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسى بها ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب انا ابو النصر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسين بن سفيان وعلى بن طيفور وابو العباس الثقفى قالوا حدثنا قتيبة ثنا عبد العزيز عن نور عن أبى الغيث عن أبى هريرة قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرتين أو ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسى قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء أخبرنا ابو سعيد عبد الله بن احمد الطاهرى انا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز انا محمد بن زكريا العذافرى انا اسحاق الدبرى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن جعفر الجزرى عن يزيد بن الاصم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الدين عند الثريا لذهب اليه رجل أو قال رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه وقال عكرمة ومقاتل هم التابعون وقال ابن زيد هم جميع من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وهى رواية ابن أبى نجيح

اى القرآن وقيل الفرائض (والحكمة) قيل هى السنة (وان كانوا من قبل) اى من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لفى ضلال مبين وآخرين منهم) اى من المؤمنين الذين ظهروا ويدينون بدينهم لانهم اذا أسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة وقيل أراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسى فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذى نفسى بيده لو كان الايمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء أخرجاه فى الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة (لما يلحقوا بهم) لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم فى الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأو الصحابة (وهو العزيز) اى الغالب الذى قهر الجبابرة (الحكيم) اى الذى جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعنى الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) اى على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (مثل الذين حملوا التورية) يعنى اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهى الكتب العظام من العلم سمى سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا اذ لم ينتفعوا بما فى التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذى يحمل الكتب ولا يدرى ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون ابن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) يعنى بئس مثلا مثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما أتى من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى لا يهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما وقيل يعنى الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب آيات الله وأنبيائه (قل) اى قل يا محمد (يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم

عن مجاهد قوله (لما يلحقوا بهم) اى لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم وقيل لما يلحقوا بهم اى فى الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأو الصحابة (وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعنى الاسلام والهداية (والله ذو الفضل العظيم) قوله عز وجل (مثل الذين حملوا التورية) اى كلفوا القيام بها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) اى كتبا من العلم واحدها سفر قال الفراء هى الكتب العظام يعنى كما ان الحمار يحملها ولا يدرى ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرؤن التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الانبياء يعنى من سبق فى علمه انه لا يهديهم (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم

أولياء الله من دون الناس) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) فادعوا بالموت على أنفسكم (ان كنتم صادقين) أنكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم اليه (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة) أى فى يوم الجمعة كقوله أروني ماذا خلقوا من الارض اى فى الارض وأراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم ثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء قرأ الاعمش من يوم الجمعة بسكون الميم وقرأ العامة بضمها واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة منهم من قال لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام

وقيل لان الله تعالى فرغ فيه من خلق جميع الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب ابن لؤى قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب ابن لؤى وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن ينزل يوم الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى فيه فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة ثم أنزل الله عز وجل فى ذلك بعد وروى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه كعب

الخميس

انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه أول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر أهل السير أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع هناك وخطب

أولياء الله من دون الناس) اى من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) اى ادعوا على أنفسكم بالموت (ان كنتم صادقين) يعنى فيما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم اليه لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) اى بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) اى لا ينفعكم الفرار منه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة) اى لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) اى فى يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء زاد فى رواية فثبت الامر على ذلك ولابى داود قال كان يؤذن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤى قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤى وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله تعالى فى ذلك اليوم يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة الآية عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد ابن زرارة قال لانه أول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر أصحاب السير أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم

قوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أى فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع انما المراد منه العمل والفعل كما قال واذا تولى سعى فى الارض وقال ان سعيكم لشتى وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وكذلك هى فى قراءة عبد الله بن مسعود وقال الحسن اما والله ماهو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال فالسعى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعى يقول فلما مشى معه أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميدانى ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا قوله الى ذكر الله أى الصلاة وقال سعيد بن المسيب فاسعوا الى ذكر الله قال هو موعظة الامام (وذروا البيع) يعنى البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما جميعا وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثانى وقال الزهرى عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء (ذلكم) الذى ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع (خير لكم) من المبايعة (ان كنتم تعلمون) مصالح أنفسكم واعلم ان صلاة الجمعة من فروض الاعيان فتجب على كل من جمع العقل والبلوغ والحرية والذكورة والاقامة اذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد اما الصبى والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من أهل ان يلزمهما فرض الابدان لنقصان أبدانهما ولا جمعة على النساء بالاتفاق أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا ابراهيم بن محمد حدثنى سلمة بن عبد الله الخطمى عن محمد بن كعب انه سمع رجلا من بنى وائل يقول قال النبى صلعم تجب الجمعة على كل مسلم الا امرأة أو صبيا أو مملوكا وذهب أكثرهم الى انه لا جمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعى تجب على العبد الخارج ولا على المسافر عند الاكثرين وقال النخعى والزهرى تجب على المسافر اذا سمع النداء وكل من له عذر من مرض أو تمهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا اسمعيل أخبرنا عبد المجيد صاحب الزيادى ثنا عبد الله بن الحارث بن عمر ثنا محمد بن سيرين قال ابن عباس لمؤذنه فى يوم مطير اذا قلت أشهد أن محمدا رسول الله فلا تقل حى على الصلاة قل صلوا فى بيوتكم فكان الناس استنكروا فقال فعله من هو خير منى ان الجمعة عزيمة وانى كرهت ان أخرجكم من بيوتكم فتمشون فى الطين والدحض وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل به العدد أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة أنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى ثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى

الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب * وقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أى فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع فى المشى وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن أما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا أن يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعى أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعى بقوله فلما مشى معه (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا وفى رواية فاذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان أحدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام (وذروا البيع) يعنى البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثانى وقال الزهرى عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء (ذلكم) أى الذى ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع والشراء (خير لكم) أى من المبايعة فى ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أى مصالح أنفسكم والله تعالى أعلم

﴿ فصل فى فضل الجمعة وأحكامها وآثم تاركها ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ فى فضلها (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد فى رواية ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله فيها شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن

السمرقندى أنا يحيى بن حسان ثنا معاوية بن سلام أخبرنى زيد بن سلام انه سمع أباسلام يقول حدثنى الحكم بن مينا ان ابن عمر حدثه وأبا هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على أعواد منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أوليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الخزاعى ثنا أبو العباس المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا على بن خشرم أنا عيسى بن يونس عن محمد بن عمرو عن عبيدة بن سفيان عن أبى الجعد يعنى الضميرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على قلبه واختلف أهل العلم فى موضع اقامة الجمعة وفى العدد الذى تنعقد به الجمعة وفى المسافة التى يجب ان يؤتى منها أما الموضع فذهب قوم الى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلا من أهل الكمال بأن يكونوا أحرارا عاقلين بالغين مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا الا لظعن حاجة تجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول عبيد الله ابن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعى وأحمد واسحق وقالوا لاتنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع عدد الاربعين أن يكون فيهم وال والوالى غير شرط عند الشافعى وقال على لا جمعة الا فى مصر جامع وهو قول أصحاب الرأى ثم عند أبى حنيفة رضى الله عنه تنعقد بأربعة والوالى شرط وقال الاوزاعى وأبو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن وأبو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثنى عشر رجلا والدليل على جواز اقامتها فى القرى ماأخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو عامر العقدى ثنا ابراهيم بن طهمان عن أبى جمرة الضبعى عن ابن عباس قال ان أول جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجؤاثى من البحرين واذا كان الرجل مقيما فى قرية لاتقام فيها الجمعة أوكان مقيما فى برية فذهب قوم الى انه ان كان يبلغهم النداء من موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة وان كان لا يبلغهم النداء فلا جمعة عليهم وهو قول الشافعى وأحمد واسحق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهورى الصوت يؤذن فى وقت تكون الاصوات فيه هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة فى القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب على كل من آواه المبيت وقال الزهرى تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة رضى الله عنه لا جمعة على أهل السواد قرية

راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا أحرم الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عبادة قال أدركنى أبو عيسى وأنا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثنى عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه اياه قال كعب ذاك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار وما حدثته فى يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أى ساعة هى قال أبو هريرة فقلت أخبرنى بها ولا تكتمنى وفى رواية تضن على قال هى آخر ساعة فى يوم الجمعة قال أبو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك فى الموطأ والنسائى (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى عن أوس بن أوس الثقفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه أبو داود والنسائى قال أبو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده ﴿المسئلة الثانية﴾ فى اثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبى هريرة انهما سمعا رسول

كانت القرية أو بعيدة وكل من تلزمه صلاة الجمعة لا يجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فيجوز غير انه يكره الا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو وذهب بعضهم الى انه اذا أصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى ثنا أحمد بن منيع ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم فقال لو أنفقت ما في الارض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا عليه هيئة السفر يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس أحدا عن سفر وقد ورد أخبار في سنن يوم الجمعة وفضلها منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة انه قال خرجت الى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيما حدثته ان قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة قال عبد الله بن سلام قد علمت أية ساعة هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي فيها وتلك ساعة لا يصلي فيها فقال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال أبو هريرة بلى قال فهو ذاك أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن أبي الجعد الضمري وكان له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمعتها ونا طبع الله على قلبه أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت أن آمر رجلا أن يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم ﴿المسئلة الثالثة في تأكيد وجوبها﴾ قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من أهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روى عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض أخرجه أبو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيأ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء أخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما أسنده قبيصة عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى أهله أخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن أحمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد واسحق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات فيه هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا جمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس قال ان أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجؤاثى من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجؤاثى قرية من قرى البحرين ﴿المسئلة الرابعة﴾ في تركها لعذر كل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فأمر المؤذن فلما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كأنهم أنكروا ذلك فقال كأنكم أنكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة وانى كرهت أن

أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري أخبرني ابي عن عبد الله بن وديعة عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة و يتطهر ما استطاع من طهر و يدهن من دهنه او يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه و بين الجمعة الاخرى اخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا احمد بن خالد ثنا محمد بن اسحق عن محمد ابن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن وعن ابي أمامة يعني ابن سهل بن حنيف حدثاه عن أبي سعيد وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله أن يركع وانصت اذا

خرج الامام كانت كفارة لما بينها و بين الجمعة التي كانت قبلها وقال أبو هريرة و زيادة ثلاثة ايام لان الله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اخبرنا ابو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني انا ابو القاسم بن جعفر الهاشمي انا ابو علي محمد بن احمد بن عمر اللؤلؤي ثنا ابو داود سليمان ابن الاشعث ثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ثنا ابن المبارك عن الاوزاعي حدثني حسان بن عطية حدثني ابو الاشعث الصنعاني حدثني اوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل يوم الجمعة واغتسل و بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال يعني ثنا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة وقفت على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الاول فالاول فاذا خرج الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة والمهجر الى الصلاة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي كبشا حتى ذكر الدجاجة والبيضة قوله عز وجل (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض) اي اذا فرغ من الصلوة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعني الرزق وهذا امر اباحة كقوله واذا حللتم فاصطادوا قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم

أخرجكم زاد في رواية فتمشون في الطين والدحض والزلق أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد ﴿المسئلة الخامسة﴾ في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من أربعين رجلا وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من أربعين رجلا من أهل الكمال وذلك بان يكونوا أحرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا لظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد بار بعة والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد و به قال الشافعي ومالك وابو يوسف وقال احمد تصح بموضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع ﴿المسئلة السادسة﴾ لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل ان يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال و بعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج او غزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ماروى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك ثم اتبعهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذي وروى ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر وسمعه يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله اعلم قوله عز وجل (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض) أي اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم (وابتغوا من فضل الله)

(واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) قوله عز وجل (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا حفص بن عمر ثنا خالد بن عبد الله أنا حصين عن سالم بن أبي الجعد وعن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فثار الناس الا اثني عشر رجلا فانزل الله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ويحتج بهذا الحديث من يرى الجمعة باثني عشر رجلا وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط وقال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية ابن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع (٧٩) خشوا أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق بالمدينة عاتق الا أتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وغيره فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس فلم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله انفضوا اليها راجع الى التجارة لانها أهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على أن هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن

يعني الرزق وهذا أمر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) أي اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لا تكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا (لعلكم تفلحون) * قوله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبلت عير تحمل طعاما فانفتلوا اليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشام وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلا وأجيب عنه بأنه ليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشأم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشأم بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة الا أتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله انفضوا اليها راجع الى التجارة لانها أهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على أن هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله انفضوا اليها رد الكناية الى التجارة لانها أهم وقال علقمة سئل عبد الله بن عمر أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا قال أما تقرأ وتركوك قائما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو الاحوص عن

سماك عن جابر بن سمرة قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس وبهذا الاسناد على جابر بن سمرة قال كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا والخطبة فريضة في صلاة الجمعة ويجب أن يخطب قائما خطبتين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه الى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا عبد (٨٠) الله بن يوسف بن محمد بن ماهونة أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة ثنا الحسن بن الصباح الزعفراني ثنا عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف أبا هريرة على المدينة فصلى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة في الركعة الاولى وفي الثانية اذا جاءك المنافقون فقال عبيد الله لما انصرف مشيت الى جنبه فقلت له لقد قرأت بسورتين سمعت علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الصلاة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ضمرة بن سعيد المازني عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة فقال كان يقرأ هل أتاك حديث الغاشية أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد يطيعه الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فيقرأ بهما ولجواز الجمعة خمس شرائط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة والدار الاقامة فاذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلوها ظهرا ولا يجوز للامام أن يبتدئ الخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد الاربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح أقوال الشافعي أن بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة ولو انتقص واحد

مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا قال أما تقرؤن وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة الى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب أن يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك

﴿ ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام ﴾

(ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد أبو داود ويقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أخرجه أبو داود والترمذي ولابي داود عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وفي رواية أن يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن

يطيعه و يطيع رسوله و يتبع رضوانه و يجتنب سخطه انما نحن به وله أخرجه أبو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله و يثنى عليه بما هو أهله ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم و يقول بعثت أنا والساعة كهاتين و يقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى و يقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالىّ وعلىّ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام يخطب فقد لغوت عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك فى الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام ﴿ فاما صفة صلاة الجمعة ﴾ فركعتان يجهر فيهما بالقراءة والجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب أن يصلى ظهرا ولا يجوز للامام أن يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو أربعون عند الشافعى فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انفض واحد من العدد لا يجوز أن يصلى بهم الجمعة بل يصلى الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح أقوال الشافعى ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما ان بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل أن يسلم الامام يجب على الباقين أن يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو انه ان بقى معه اثنان أتمها جمعة وقيل ان بقى معه واحد أتمها جمعة وعند المزنى ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة أتمها جمعة وان بقى وحده وان كان فى الركعة الاولى يتمها أربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة لكن فى العدد الذى يشترط كالمسبوق اذا أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام أتمها جمعة وان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا (خ) عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن أبى رافع قال استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة فى الاولى واذا جاءك المنافقون فى الثانية قال فادركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان على بن أبى طالب يقرأ بهما فى الكوفة فقال أبو هريرة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما فى الصلاتين عن سمرة بن جندب رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبو داود والنسائى * وقوله تعالى (قل ما عند الله) أى ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (خير من اللهو ومن التجارة) الذى جاء بهما دحية (والله خير الرازقين) يعنى انه تعالى موجد الارزاق وأصلها منه فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة المنافقين مدنية ﴾

وهى احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (اذا جاءك المنافقون) يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (قالوا نشهد انك لرسول الله) وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم انك لرسوله) أى هو الذى أرسلك فهو عالم بك (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) يعنى فى قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم أضمروا خلاف ما أظهروا وذلك لان حقيقة الايمان أن يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شئ واعتقد خلافه أو أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى انهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف

منهم قبل أن يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها أربعا وفيه قول آخر ان بقى معه اثنان أتمها جمعة وقيل ان بقى معه واحد أتمها جمعة وعند المزنى اذا انفضوا بعد ما صلى الامام بهم ركعة أتمها جمعة وان بقى وحده فان كان فى الركعة الاولى يتمها أربعا وان انتقص من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة فى العدد الذى يشترطه كالمسبوق اذا أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام أتمها جمعة وان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا قوله عز وجل (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أى ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة (والله خير الرازقين) لانه موجد الارزاق فاياه فاسئلوا ومنه فاطلبوا

﴿ سورة المنافقون مدنية وهى احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا جاءك المنافقون) يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) لانهم أضمروا خلاف ما أظهروا

(اتخذوا أيمانهم جنة) سترة (فصدوا عن سبيل الله) منعوا الناس عن الجهاد والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا) أقروا باللسان اذا رأوا المؤمنين (ثم كفروا) اذا خلوا الى المشركين (فطبع على قلوبهم) بالكفر (فهم لا يفقهون) الايمان (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) يعني ان لهم أجساما ومناظر (وان يقولوا تسمع لقولهم) فتحسب انه صدق قال عبد الله بن عباس كان عبد الله بن أبي جسيما فصيحا ذا لق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله (كأنهم خشب مسندة) أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام قرأ أبو عمرو والكسائي خشب بسكون الشين وقرأ الباقون بضمها مسندة ممالة الى جدار من قولهم أسندت الشيء اذا أملته والتثقيل للتكثير وأراد انها ليست بأشجار تثمر ولكنها خشب مسندة الى حائط (يحسبون كل صيحة عليهم) أي لا يسمعون صوتا في العسكر بان نادى منادأو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة الا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم

امر أيهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال (هم العدو) هذا ابتداء وخبره (فاحذرهم) ولا تأمنهم (قاتلهم الله) لعنهم الله (أنى يؤفكون) يصرفون عن الحق (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أي عطفوا رؤسهم وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار قرأ نافع ويعقوب لووا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد لانهم فعلوها مرة بعد مرة (ورأيتهم يصدون) يعرضون عما دعوا اليه (وهم مستكبرون) متكبرون عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم) يا محمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) ذكر محمد بن اسحق وغيره من أصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فافاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقوده فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف ابن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاها الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا وغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن فقال ابن أبي افعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم

اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم جنة) أي سترة يستترون بها من القتل ومعنى أيمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله (فصدوا عن سبيل الله) أي أعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعني حيث آثروا الكفر على الايمان (ذلك بانهم آمنوا) أي في الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين أقروا بالايمان (ثم كفروا) أي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تاكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون (فطبع على قلوبهم) أي بالكفر (فهم لا يفقهون) أي الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن (واذا رأيتهم) يعني المنافقين مثل عبد الله بن أبي ابن سلول (تعجبك أجسامهم) يعني ان لهم أجساما ومناظر حسنة (وان يقولوا تسمع لقولهم) أي فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبي ابن سلول جسيما فصيحا ذا لق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله (كأنهم خشب مسندة) أي أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام شبههم بالخشب المسندة الى جدر وليست باشجار مثمرة ينتفع بها (يحسبون كل صيحة عليهم) يعني انهم لا يسمعون صوتا في العسكر بان ينادي منادأو تنفلت دابة أو تنشد ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من أن ينزل فيهم أمر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى (هم العدو فاحذرهم) أي لا تامنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك أعداء لك فاحذرهم ولا تامنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم أسرارك (قاتلهم الله) أي لعنهم الله (أنى يؤفكون) أي يصرفون عن الحق * قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أي أمالوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار (ورأيتهم يصدون) أي يعرضون عما دعوا اليه (وهم مستكبرون) أي عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم) أي يا محمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين)

﴿ ذكر القصة في سبب نزول هذه الآية ﴾ قال محمد بن اسحق وغيره من أصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن عز وجل ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبى اسكت فانما كنت ألعب قال فمشى زيد بن أرقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال دعنى أضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابى فاتاه فقال له أنت صاحب هذا

الكلام الذى بلغنى فقال عبد الله والذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيا من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر من أصحابه من الانصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام وهم فى حديثه ولم يحفظ ماقاله فعذره النبى صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة فى الانصار لزيد وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس كلهم يقولون ان عبد الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار ومقتوك وكان زيد يسير النبى صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبى صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن ابى فقال اسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل

وسلم بلغه ان بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين وأعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن أبى لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعنى أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبى وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبى افعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبى اسكت لقد كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعنى أضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبى فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى فقال عبد الله بن ابى والذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم فى حديثه ولم يحفظ ماقاله فعذره النبى صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد فى الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يسير النبى صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبى صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن ابى فقال اسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل

فقال أسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى ما كان من أمر أبيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فانا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منى وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر

فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قال وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا أن وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالامس من حديث عبد الله بن أبى ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوا منها وضلت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفى بالمدينة قيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل فاخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر بذلك رسول اصلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما أزعم انى أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى هى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هى كما قال فجاؤا بها من ذلك الشعب وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة ابن زيد بن التابوت قدمات ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست فى البيت لما بى من الهم والحياء فانزل الله تعالى سورة المنافقين فى تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن أبى فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله قد صدقك وأوفى باذنك وكان عبد الله ابن أبى أتى بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبى قال وراءك قال ما لك ويلك قال لا والله لا تدخلها أبدا الا باذن رسول الله صلى الله يا للمهاجرين عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز ومن الاذل فشكا عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل عنه حتى يدخل فقال أما اذ جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل فلم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات قالوا فلما نزلت الآية وبان كذب عبد الله بن أبى قيل له يا أبا حباب انه قد نزل فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أعطى زكاة مالى فقد

فقال أسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى أنك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابى ما كان من أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن ابى لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منى وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل عبد الله بن ابى يمشى على الارض فاقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن ابى الذى كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفى بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته الا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما أزعم انى أعلم الغيب ولا أعلمه ولكن الله أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى هى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هى كما قال فجاؤا بها فآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قدمات فى ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست فى البيت لما بى من الهم والحياء فأنزل الله عز وجل سورة المنافقين فى تصديق زيد بن أرقم وتكذيب عبد الله بن ابى فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله قد صدقك وأوفى باذنك (ق) عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابى لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن ابى فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع فى نفسى مما قالوه شدة حتى أنزل الله تصديقى اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤوسهم وقوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بات معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا فغضب الانصارى غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصارى يا للانصار وقال المهاجرى

أعطيت فما بقي الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الاية ونزل (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) فلا يعطى أحد أحدا شيا الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته (ولكن المنافقين لا يفقهون) ان أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله قهره من دونه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) قال المفسرون يعني الصلوات الخمس نظيره. قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله (فاولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتني) هلا أخرتني أمهلتني وقيل لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني أي لو أخرتني (الى أجل قريب فاصدق) فاتصدق وازكى مالي (وأكن من الصالحين) أي من المؤمنين نظيره قوله تعالى ومن صلح من آبائهم هذا قول مقاتل وجماعة وقالوا نزلت الآية في المنافقين وقيل نزلت الآية في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس انه قال ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج الا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وقال وأكن من الصالحين أحج قرأ أبو عمرو وأكون بالواو ونصب النون على جواب التمني وعلى لفظ فاصدق قال انما حذفت الواو من المصحف اختصارا وقرأ الآخرون وأكن بالجزم عطفا على قوله فاصدق ولو لم يكن فيه الفاء لانه لو لم يكن فيه الفاء لكان جزما يعني ان أخرتني أصدق وأكن ولانه مكتوب في المصحف بحذف الواو

يا للمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري ففال دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن أبي ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر ألا أقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل أصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالما كان أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله ابن عبد الله لا تنقلب حتى تقر انك أنت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال أصحاب السير وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لا والله لا تدخلها أبدا الا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز ومن الاذل فشكا عبد الله بن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل عنه يدخل فقال عبد الله أما اذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل يا أباحباب انه قد نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتموني ان أومن فآمنت وأمرتموني ان أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية ونزل (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) أي يتفرقوا عنه (ولله خزائن السموات والارض) يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي أحد أحدا شيأ الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته (ولكن المنافقين لا يفقهون) يعني ان أمر الله اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) يعني من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل) فرد الله عليهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) أي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول لم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) أي لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) اي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله (فاولئك هم الخاسرون) اي في تجارتهم حيث آثروا الفاني على الباقي (وأنفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل ان يأتي احدكم الموت) اي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتني) اي هلا امهلتني وقيل لو اخرت اجلي (الى اجل قريب فاصدق) اي فازكي مالي (واكون) وقرئ واكن (من الصالحين) اي المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية في المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسال الرجعة وقيل نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته أو أطاق الحج ولم يحج الا سال الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية

(ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) قرأ أبو بكر يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء

﴿ سورة التغابن مدنية ﴾

قال عطاء هي مكية الا ثلاث آيات من قوله يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم الى آخرهن وهي ثمانى عشرة آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير) قال ابن عباس ان الله خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا وروينا عن ابن عباس عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام طبع كافرا وقال جل

وأكون من الصالحين أى أحج وأزكى (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) يعنى انه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته (والله خبير بما تعملون) يعنى انه لو رد الى الدنيا وأجيب الى ما سال ما حج ومازكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير أو شر والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة التغابن ﴾

وهى مدنية فى قول الاكثر وقيل هى مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد) يعنى انه تعالى متصرف فى ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان أصول النعم كلها منه وهو الذى يحمد على كل حال فلا محمود فى جميع الاحوال الا هو (وهو على كل شئ قدير) يعنى انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضى خلقها قال يارب أذكر أم انثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك وهو فى بطن أمه وقال جماعة فى معنى الآية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا فى تاويلها فروى عن ابى سعيد الخدرى انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر فى العاقبة وقال عطاء بن ابى رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر اى بان الله خلقه وهم الدهرية واصحاب الطبائع ومنكم مؤمن اى بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية (والله بما تعملون بصير) اى انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن (خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم) أى انه أتقن واحكم صوركم على

ذكره ولا يلدوا الا فاجرا كفارا أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد عن عبد الله بن أبى بكر عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضى خلقها قال يارب اذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك فى بطن أمه وقال جماعة معنى الآية ان الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما قال الله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه فالله خلقهم والمشى فعلهم ثم اختلفوا فى تأويلها فروى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال فمنكم كافر فى حياته مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن فى حياته كافر فى العاقبة وقال عطاء بن أبى رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر بان الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية ومنكم مؤمن بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله تعالى اياه يختار الكفر لان الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلك أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر (خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم

واليه المصير يعلم مافى السموات والارض و يعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور ألم يأتكم) يخاطب كفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى الامم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) يعنى ماحقهم من العذاب فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) العذاب (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) ولم يقل يهدينا لان البشر وان كان لفظه واحدا فانه فى معنى الجمع

وجه لا يوجد مثله فى الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة فى الاعضاء وقد علم بهذا ان صورة الانسان أحسن صورة وأكملها (واليه المصير) أى المرجع فى القيامة (يعلم مافى السموات والارض و يعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) معناه أنه لا تخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * قوله تعالى (ألم يأتكم) يخاطب كفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى خبر الامم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) أى جزاء أعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى فى الآخرة (ذلك) أى الذى نزل بهم من العذاب (بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) معناه أنهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لغلبة عقولهم وسخافة أحلامهم ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا (فكفروا) أى جحدوا وأنكروا (وتولوا) أى أعرضوا (واستغنى الله) أى عن ايمانهم وعبادتهم (والله غنى) أى عن خلقه (حميد) أى فى أفعاله ثم أخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) أى قل لهم يا محمد (بلى وربى لتبعثن) أى يوم القيامة (ثم لتنبؤن) أى لتخبرن (بما عملتم وذلك على الله يسير) أى أمر البعث والحساب يوم القيامة (فآمنوا بالله ورسوله) لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن سماه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة (والله بما تعملون خبير) يعنى أنه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه * قوله عز وجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فى المجازاة والتجارة وذلك انه اذا أخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة وذلك لان كل كافر له أهل ومنزل فى الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان و يظهر غبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وقيل ان قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة ينعمون فلا غبن أعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون فى الدنيا فصار فى الآخرة غابنا لظالمه وأصل الغبن فى البيع والشراء وقد ذكر الله فى حق الكافرين أنهم خسروا وغبنوا فى شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال فى حق المؤمنين هل أدلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (و يعمل صالحا) أى فى ايمانه الى أن يموت على ذلك (يكفر عنه سيآته و يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا) أى بوحدانية الله وقدرته (وكذبوا بآياتنا) أى الدالة على البعث (أولئك أصحاب النار خالدين فيها و بئس المصير ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) أى بقضاء الله وقدره وارادته (ومن يؤمن بالله) أى يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه (يهد قلبه) أى يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله) أى فيما أمر (وأطيعوا الرسول) أى فيما جاء به عن الله وما أمركم به (فان توليتم) أى عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه

وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه وواحده انسان ومعناه ينكرون و يقولون آدمى مثلنا يهدينا (فكفروا وتولوا واستغنى الله) عن ايمانهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) فى أفعاله ثم أخبر عن انكارهم البعث فقال جل ذكره (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) يا محمد (بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا) وهو القرآن (والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات والارض (ذلك يوم التغابن) وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فالمغبون من غبن عن أهله ومنازله فى الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان (ومن يؤمن بالله و يعمل صالحا يكفر عنه سيآته و يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) قرأ أهل المدينة والشام نكفر وندخله وفى سورة الطلاق ندخله بالنون فيهن وقرأ الآخرون بالياء (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها و بئس المصير ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) بارادته وقضائه (ومن يؤمن بالله) فيصدق انه لا يصيبه مصيبة الا باذن الله (يهد قلبه) يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم

فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قوله عز وجل (يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال ابن عباس هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا الى المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا صبرنا على اسلامكم فلا نصبر على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال تعالى فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) هذا فيمن أقام على الاهل والولد ولم يهاجر فاذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة وان لحقوا في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فامرهم الله عز وجل بالعفو عنهم والصفح وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا أهل وولد وكان اذا أراد الغزو بكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق لهم ويقيم فانزل الله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم يحملهم اياكم على ترك الطاعة فاحذروهم ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فلا تعاقبوهم على خلافهم اياكم فان الله غفور رحيم (انما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الانسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام (والله عنده أجر عظيم) قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض فقال ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما أموالكم واولادكم فتنة لانهم لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم اني أعوذ بك من الفتنة فانه ليس منكم أحد يرجع الى مال وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن أخبرنا (ومن

(فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو) أي لا معبود ولا مقصود الا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال تعالى فاحذروهم اي ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم يحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أي أن تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا أي فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) اي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده اجر عظيم) يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما اموالكم وأولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى أهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ; وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أي ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا وأطيعوا) أي لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وأنفقوا) أي من أموالكم حق الله الذي أمركم به (خيرا لانفسكم) أي ما أنفقتم في طاعة الله

ووالد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن أخبرنا (ومن

أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو الحسن أحمد بن اسحق الفقيه ثنا أحمد بن بكر بن سيف ثنا علي بن الحسن أنا الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال سمعت أبا بريدة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما (فاتقوا الله ما استطعتم) أي أطقتم هذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا وأطيعوا) الله ورسوله (وأنفقوا خيرا لانفسكم) أي أنفقوا من أموالكم خيرا لانفسكم

(ومن يوق شح نفسه) حتى يعطى حق الله من ماله (فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم)

﴿ سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لانه السيد المقدم فخطاب الجميع معه وقيل مجازه يا أيها النبي قل لامتك اذا طلقتم النساء أى اذا أردتم تطليقهن كقوله عز وجل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أى اذا أردت القراءة (فطلقوهن لعدتهن) أى لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن فى قبل عدتهن نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر انه طلق

امرأته وهى حائض فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله ان تطلق لها النساء ورواه سالم عن ابن عمر قال فمره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ورواه يونس بن جبير وأنس ابن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا مسلم وسعيد بن سالم عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل عبد الله بن عمر وأبو الزبير يسمع فقال كيف ترى فى رجل طلق

(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعنى ان تقرضوا أى تنفقوا فى طاعة الله متقربين اليه بالانفاق (يضاعفه لكم) أى يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما يشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعنى يحب المتقربين اليه (حليم) أى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبهم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم

﴿ تفسير سورة الطلاق مدنية ﴾

وهى اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة فى ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء أى اذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) أى لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل فى العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن فى قبل عدتهن وهذا فى المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء زاد فى رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لمسلم انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ولمسلم من حديث أبى الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع كيف ترى فى رجل طلق امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن (١)

﴿ فصل ﴾ اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه لقول النبى صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السنى ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فأما اذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض أو طلق الصغيرة التى لم تحض

امرأته حائضا فقال ابن عمر طلق عبد الله بن عمر امرأته حائضا فقال النبى صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر وقال الله عز وجل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن أو لقبل عدتهن الشافعى يشك ورواه حجاج بن محمد عن ابن جريج وقال قال ابن عمر وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن

﴿ فصل ﴾ اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه لقول النبى صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل أن يمس والطلاق السنى ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض أو طلق الصغيرة التى لم تحض قط أو الآيسة بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها أو فى حال رؤية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة

(١) قوله فى قبل عدتهن قال فى شرح مسلم هى قراءة ابن عباس وابن عمر وهى شاذة لا تثبت قرآنا بالاجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اه

فى طلاق هؤلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا والخلع فى حال الحيض أو فى طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا الا ان النبى صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس فى مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الاحوال لاشبه أن يتعرف الحال ولو طلق امرأته فى حال الحيض أو فى طهر جامعها فيه قصدا يعصى الله تعالى ولكن يقع الطلاق لان النبى صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة ولولا وقوع الطلاق لكان لا يأمره بالمراجعة واذا راجعها فى حال الحيض يجوز ان يطلقها فى الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فاستحباب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثانى حتى لا يكون مراجعته اياها للطلاق كما يكره النكاح للطلاق ولا بدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم حتى لو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعى وأحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأى قوله عز وجل (وأحصوا العدة) أى عدد اقرائها فاحفظوها وقيل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن) أراد به اذا كان المسكن الذى طلقها فيه للزوج لا يجوز له أن يخرجها منه (ولا يخرجن) ولا يجوز لها ان تخرج مالم تنقض العدة فان خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما أو غرقا لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك ان كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا فان رجالا استشهدوا بأحد فقالت (وتلك نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فاذن لهن النبى صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عندا حداهن فاذا كان وقت النوم تأوى كل امرأة الى بيتها وأذن النبى صلى الله عليه وسلم لخالة جابر حين طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها واذا زمنها العدة فى السفر تعتد فى أهلها ذاهبة وجائية والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها فى العدة لان الانتقال فى حقهم كالاقامة فى حق المقيم قوله (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذأ على أهل زوجها فيحل اخراجها وقال جماعة أراد بالفاحشة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقال قتادة معناه الا أن يطلقها على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقال ابن عمر والسدى خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة

أو الآيسة بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها أو طلق التى لم تر الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة فى طلاق هؤلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا والخلع فى حال الحيض أو فى طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبى صلى الله عليه وسلم أذن لثابت بن قيس فى مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الاحوال لامره ان يتعرف الحال ولو طلق امرأته فى حال الحيض أو فى طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبى صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة واذا راجعها فى حال الحيض يجوز أن يطلقها فى حال الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فأمر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثانى حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما أنه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعى وأحمد وذهب بعضهم الى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأى * قوله تعالى (وأحصوا العدة) أى عدة اقرائها فاحفظوها قيل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) أى واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به (لا تخرجوهن من بيوتهن) يعنى اذا كان المسكن الذى طلقها فيه الزوج له بملك أو كراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج أن يكرى لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذى طلقها فيه (ولا يخرجن) يعنى ولا يجوز للمرأة ان تخرج مالم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة أثمت فان وقعت ضرورة بأن خافت هدما او غرقا جاز لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا لانه يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا بأحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فأذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تأوى كل امرأة الى بيتها وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها أن تخرج لجداد نخلها فاذا زمنها العدة فى السفر تعتد فى أهلها ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها فى العدة لان الانتقال فى حقهم كالاقامة فى حق المقيم * وقوله تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة

(وتلك حدود الله) يعني ماذكر من سنة الطلاق وما بعدها (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنته المراجعة (فاذا بلغن أجلهن) اى قربن من انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف أوفارقوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيبن منكم (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة او الفراق أمر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق (وأقيموا الشهادة لله) أيها الشهود (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قال عكرمة والشعبي والضحاك ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وأكثر المفسرين قالوا نزلت في عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أسر العدو ابني وشكا اليه ايضا الفاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب إبلا وجاء بها الى أبيه وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال فغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا في ابنه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) ماساق من الغنم وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم فأنزل الله هذه الآية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا هو أن يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقال ابو العالية يجعل له مخرجا من كل شدة وقال الحسن مخرجا عما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يعني من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا

(وتلك حدود الله) يعني ماذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) اى فيطلق لغير السنة او تجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) اى ضر نفسه (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) اى يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنه المراجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس به حرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي * قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) اى اذا قربن من انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف او فارقوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم (وأشهدوا ذوى عدل منكم) اى على الرجعة وعلى الفراق أمر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد أخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كما في قوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في امساكها وأن لا يموت أحد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل أمر بالاشهاد للاحتياط مخافة أن تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة وتنكح زوجا غيره (وأقيموا الشهادة) يعني أيها الشهود (لله) اى طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وأدوها على الصحة (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك أسر ابن له يسمى سالما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أسر العدو ابني وشكا اليه أيضا فاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب إبلا وجاء بها الى أبيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى أبيه وهي اربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اى في ابنه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يعني ماساق من الغنم وقيل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى أبيه فانطلق أبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يعني من يتق الله فيما

(ان الله بالغ أمره) قرأ طلحة بن مصرف وحفص عن عاصم بالغ أمره بالاضافة وقرأ الآخرون بالغ بالتنوين أمره نصب اى منفذ أمره ممض فى خلقه قضاءه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) اى جعل الله لكل شئ من الشدة والرخاء أجلا ينتهى اليه قال مسروق فى هذه الآية ان الله بالغ أمره توكل عليه أو لم يتوكل غير ان المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا قوله عز وجل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) فلا يرجون أن يحضن (ان ارتبتم) اى شككتم فلم تدروا ما عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) قال مقاتل لما نزلت والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصارى يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم يعنى القواعد اللائى قعدن عن الحيض ان ارتبتم شككتم فى حكمهن فعدتهن ثلاثة أشهر (واللائى لم يحضن) يعنى الصغائر اللائى

لم يحضن فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر أما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم الى ان عدتها لا تنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول عثمان وعلى وزيد ابن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى وأصحاب الرأى وحكى عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض تعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض تعتد بثلاثة اشهر وهذا كله فى عدة الطلاق أما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها اومات عنها لقوله تعالى (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) اخبرنا عبد الوهاب بن محمد يعنى الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا سفيان انا الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابيه ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فمر بها ابو السنابل بن بعكك فقال قد تصنعت للازواج انها اربعة اشهر وعشر فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذب ابو السنابل اوليس كما قال ابو السنابل قد حللت فتزوجى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) يسهل عليه امر الدنيا والآخرة (ذلك) يعنى ما ذكر من الاحكام (أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا أسكنوهن) يعنى مطلقات نسائكم

نا به كفاه ما أهمه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (ان الله بالغ أمره) اى منفذ أمره وممض فى خلقه ما قضاه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) اى جعل لكل شئ من شدة أو رخاء أجلا ينتهى اليه وقال مسروق فى هذه الآية ان الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا * قوله عز وجل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصارى يا رسول الله فما عدة من تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عز وجل واللائى يئسن من المحيض من نسائكم يعنى القواعد اللاتى قعدن عن الحيض فلا يرجى أن يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض (ان ارتبتم) اى شككتم فى حكمهن ولم تدروا ما عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) يعنى الصغائر اللاتى لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر أما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب اكثر أهل العلم الى ان عدتها لا تنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى واصحاب الرأى وحكى عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله فى عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض اولا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها اومات عنها وهو قوله تعالى (وأولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن) (ق) عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال لها مالى اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانت والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حتى امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فافتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وامرنى بالتزوج ان بدا لى لفظ البخارى ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت فى دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر (ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا) اى يسهل عليه امر الدنيا والآخرة (ذلك) اى ذلك الذى ذكر من الاحكام (امر الله انزله اليكم) اى لتعملوا به (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له اجرا) * قوله تعالى (أسكنوهن)

(من حيث سكنتم) من صلة أى أسكنوهن حيث سكنتم (من وجدكم) سعتكم وطاقتكم يعنى ان كان موسرا يوسع عليها فى المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) مساكنهن فيخرجن (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من عدتهن

﴿فصل﴾ اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت فى العدة ونعنى بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التى طلقها فيها ملكا للزوج يجب على الزوج أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية ورجع المعير فعليه أن يكترى لها دارا تسكنها فأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلقات الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو حائلا عند أكثر أهل العلم روى ذلك عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها الا أن تكون حاملا وهو قول الحسن وعطاء والشعبى واختلفوا فى نفقتها فذهب قوم الى أنه لا نفقة لها الا أن تكون حاملا روى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء والشعبى وبه قال الشافعى وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعى وبه قال الثورى وأصحاب الرأى وظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق

يعنى مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم من وجدكم) أى من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها فى المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) أى لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعنى فى مساكنهن فيخرجن (وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أى فيخرجن من عدتهن

﴿فصل فى حكم الآية﴾ اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت فى العدة ونعنى بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التى طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكترى لها دارا تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها الا أن تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبى واختلفوا فى نفقتها فذهب قوم الى أنه لا نفقة لها الا أن تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبى وبه قال الشافعى وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعى وبه قال الثورى وأصحاب الرأى وظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق النفقة الا أن تكون حاملا لقوله تعالى وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وأما الدليل على ذلك من السنة فما روى عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شئ فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابى فاعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنينى قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطبانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحى أسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحى أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد فى بيت عبد الله بن أم مكتوم ولا حجة له فيه لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كانت فاطمة

الا أن تكون حاملا لان الله تعالى قال وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن والدليل عليه من جهة السنة ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا مصعب عن مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الاسود ابن سفيان عن أبى سلمة عن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب بالشام فأرسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شئ فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابى فاعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فآذنينى قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطبانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحى أسامة بن زيد قالت فكرهته ثم قال انكحى أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به واحتج من لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس أن النبى صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد فى بيت عبد الله بن أم مكتوم ولا حجة فيه لما روى عن عائشة أنها قالت كانت فاطمة فى مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما انتقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان للسانها ذرابة أما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا والمعتدة عن وفاة الزوج لا نفقة لها حاملا كانت أو حائلا عند أكثر أهل العلم وروى عن على رضى الله تعالى عنه أن لهذه النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبى والنخعى والثورى واختلفوا فى سكناها وللشافعى رضى الله عنه فيه قولان أحدهما لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول على وابن عباس وعائشة

وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه والثاني لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك وسفيان الثوري وأحمد واسحق واحتج من أوجب لها السكنى بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع الى أهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرجع الى أهلي فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني أو أمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعيت له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل الي فسألني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة أولا بالرجوع الى أهلها صار منسوخا بقوله آخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل (فان أرضعن لكم) أي أرضعن أولادكم (فآتوهن أجورهن) على ارضاعهن (وأتمروا بينكم بمعروف) ليقبل بعضكم من بعض اذا أمره بالمعروف وقال الشافعي شاوروا قال مقاتل يتراضى الاب والام على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار (وان تعاسرتم) في الرضاع والاجرة فابى الزوج أن يعطي المرأة أجرتها وأبت الام أن ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستأجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته) على قدر غناه (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) من المال (لا يكلف الله نفسا) في النفقة (الا ما آتاها) أعطاها من المال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق وشدة غنى وسعة

في مكان وحش تخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة وأما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا وأما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي أن لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان أحدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة والثاني أن لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري وأحمد واسحق واحتج من أوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالته أن ترجع الى أهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرجع الى أهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة نادانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو امر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شان زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل الي فسالني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به أخرجه أبو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة أولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا * قوله عز وجل (فان أرضعن لكم) يعني أولادكم (فآتوهن أجورهن) يعني على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للأم والا لم يكن لها أن تاخذ عليه أجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد (وأتمروا بينكم بمعروف) اي ليقبل بعضكم من بعض اذا أمره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا أمرهم ان يأتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) اي في حق الولد وأجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي المرأة اجرة رضاعها وأبت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته) اي على قدر غناه (ومن قدر) أي ضيق (عليه رزقه) فكان بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه الله) اي على قدر ما آتاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) اي في النفقة (الا ما آتاها) يعني من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أي بعد ضيق وشدة غنى وسعة * قوله تعالى (وكأين

قوله عز وجل (وكاين من قرية عتت) عصت وطغت (عن أمر ربها ورسله) اى وأمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) بالمناقشة والاستقصاء قال مقاتل حاسبها بعملها فى الدنيا فجازاها بالعذاب وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) منكرا فظيعا وهو عذاب النار لفظهما ماض ومعناهما الاستقبال وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال أمرها) جزاء أمرها وقيل ثقل عاقبة كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) خسرانا فى الدنيا والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعنى القرآن (رسولا) بدلا من الذكر وقيل أنزل اليكم قرآنا وأرسل رسولا وقيل مع الرسول وقيل الذكر هو الرسول وقيل

(وكاين من قرية عتت) اى عصت وطغت والمراد أهل القرية (عن أمر ربها ورسله) اى وأمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) اى بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها فى الكفر فجزاها النار وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) اى منكرا فظيعا وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر أنواع البلاء وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال أمرها) اى شدة أمرها وجزاء كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) اى خسرانا فى الدنيا والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا) يخوف كفار مكة أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية (فاتقوا الله يا أولى الالباب) اى يا ذوى العقول ثم نعتهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعنى القرآن (رسولا) اى وأرسل اليكم رسولا (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات بالخفض اى تبين الحلال من الحرام والامر والنهى وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) اى من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يعنى الجنة التى لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة (الله الذى خلق سبع سموات) يعنى بعضها فوق بعض (ومن الارض مثلهن) اى فى العدد (يتنزل الامر بينهن) اى الوحى الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيآته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل فى كل سماء من سمواته وأرض من أرضيه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة فى علمه والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة التحريم مدنية ﴾

وهى اثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم) ﴿ ذكر سبب نزولها ﴾ (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها

ذكرا اى شرفا ثم بين ما هو فقال (يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يعنى الجنة التى لا ينقطع نعيمها (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) فى العدد (يتنزل الامر بينهن) بالوحى من السماء السابعة الى الارض السفلى قال أهل المعانى هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيآتها وينقلها من حال الى حال وقال قتادة فى كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) فلا يخفى عليه شئ

﴿ سورة التحريم مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم) وسبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد ابن احمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبيد الله بن اسمعيل ثنا ابو اسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا صلى العصر دخل على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منها شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يا رسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لا فقولى له ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فانه سيقول سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له

يارسول الله جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذى لا اله الا هو لقد كدت أن أبادئه بالذى قلت لى وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما بال هذه الريح قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ودخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لى به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتى وأخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا الحجاج عن ابى جريج قال زعم عطاء انه سمع عبيد ابن عمير يقول سمعت عائشة رضى الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل انى أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وبهذا الاسناد قال حدثنا محمد بن اسمعيل انا ابراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء باسناده وقال قال لا ولكن كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك أحدا يبتغى بذلك مرضات أزواجه وقال المفسرون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة أبيها فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال ما يبكيك فقالت انما أذنت لى من أجل هذا ادخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى وعلى فراشى أما رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليست هى جاريتى أحلها الله لى اسكتى فهى حرام على ألتمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبى الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها فانزل الله عز وجل يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك يعنى العسل ومارية تبتغى مرضات ازواجك والله غفور رحيم وأمر أن يكفر يمينه ويراجع أمته فقال

عكة من عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يارسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لا فقولى ما هذه الريح التى أجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولى أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذى لا اله الا هو لقد كدت أبادئه بالذى قلت لى وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يارسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى أجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لى فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتى (ق) عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل له انى اجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك أحدا زاد فى رواية يبتغى بذلك مرضات أزواجه

﴿ شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما ﴾

قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد وهو كل شئ حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا فى جملة الحلواء تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها فى الحديث الثانى فتواطيت أنا وحفصة هكذا ذكر فى الرواية وأصله فتواطأت أى اتفقت أنا وحفصة قولها انى لاجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه أكلت نحله العرفط فصار منه العسل قولها

قولها فى الحديث الثانى فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفى الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتى تظاهرن عليه قال القاضى عياض والصحيح الاول قال النسائى اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلى حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله وأكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه وهما اثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر فى حديث ابن عباس وسيأتى الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوى فى الرواية الاخرى يعنى الحديث الاول الذى فيه أن الشرب كان عند حفصة قال القاضى عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم وكذا ذكره القرطبى أيضا وقال المفسرون فى سبب النزول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة أبيها فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال ما يبكيك قالت انما أذنت لى من أجل هذا أدخلت أمتك بيتى ووقعت عليها فى يومى وعلى فراشى أما رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هى جاريتى قد أحلها الله لى اسكتى فهى على حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبى الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله تعالى يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك الآية أخرجه النسائى قال العلماء الصحيح فى سبب نزول الآية انها فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائى اسناد حديث عائشة فى العسل جيد صحيح غاية ﴿وأما التفسير﴾ فقوله يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك أى من العسل أو ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبى صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغى مرضات أزواجك أى تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أى غفر لك ذلك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى بين وأوجب لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهو ما ذكر فى سورة المائدة فأمره الله أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته فأعتق رقبة (والله مولاكم) أى وليكم وناصركم (وهو العليم) أى بخلقه (الحكيم) أى فيما فرض من حكمه

﴿فصل﴾ اختلف العلماء فى لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته أنت على حرام أو قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسى فلا شئ عليه وهذا قول ابن مسعود واليه ذهب الشافعى وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف ان لا يطأها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل يروى ذلك عن أبى بكر وعائشة وبه قال الاوزاعى وأبو حنيفة رضى الله عنه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا معاذ بن فضالة ثنا هشام عن يحيى عن ابن حكيم وهو يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى الحرام يكفر وقال ابن عباس لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وفى رواية اذا حرم امرأته ليس بشئ وقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة

(قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى بين وأوجب أن تكفروها اذا حنثتم وهى ما ذكر فى سورة المائدة (والله مولاكم) وليكم وناصركم (وهو العليم الحكيم) واختلف أهل العلم فى لفظ التحريم فقال قوم ليس هو بيمين فان قال لزوجته أنت على حرام أو حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين فان قال لطعام حرمته على نفسى فلا شئ عليه وهذا قول ابن مسعود واليه ذهب الشافعى وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف ان لا يطأها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل يروى ذلك عن أبى بكر وعائشة وبه قال الاوزاعى وأبو حنيفة رضى الله عنه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا معاذ بن فضالة ثنا هشام عن يحيى عن ابن حكيم وهو يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال

(واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) وهو تحريم فتانه على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك أحدا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أسر اليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي وقال ميمون بن مهران أسر اليها ان أبا بكر خليفتي من بعدي (فلما نبأت به) أخبرت به حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) أي أطلع الله تعالى نبيه على انها أنبأت به (عرف بعضه) قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي عرف بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من افشاء سره أي غضب من ذلك عليها وجازاها به من قول القائل لمن أساء اليه لاعرفن لك ما فعلت أي لاجازينك عليه وجازاها به عليه بان طلقها فلما بلغ ذلك عمر قال لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل وأمره بمراجعتها واعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا وقعد في مشربة أم ابراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير وقال مقاتل بن حيان لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل عليه السلام وقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من جملة نسائك في الجنة فلم يطلقها وقرأ الآخرون عرف بالتشديد أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث أي (٩٨) أخبرها ببعض القول الذي كان منها (وأعرض عن بعض) يعني لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال

الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يراضيها فاسر اليها شيئين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنهما فاخبرت به حفصة عائشة رضي الله عنها وأطلع الله تعالى نبيه عليه عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الامة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتشر ذلك في الناس (فلما نبأها به) أي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) حفصة (من أنبأك هذا) أي من أخبرك بأني أفشيت السر (قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله) أي من التعاون على النبي صلى الله عليه وسلم بالايذاء بخاطب عائشة وحفصة (فقد صغت قلوبكما) أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله ابن عبد الله بن أبي ثور أنا عبد الله بن عباس قال لم أزل حريصا على ان أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى لهما ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج فحججت معه وعدل وعدلت معه باداوة فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه من الاداوة فتوضأ فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله عز وجل لهما ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال اني كنت أنا وجار لي من الانصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت حدثته بما حدث من خبر فقلت

أسوة حسنة لفظ الحميدي * قوله تعالى (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) يعني ما أسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك أحدا وقال ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أسر اليها ان أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة أراد أن يراضيها فسرها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في أبي بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به) اي أخبرت بذلك حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) اي أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء أي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فأتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) أي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس (فلما نبأها به) اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه (قالت) يعني حفصة (من أنبأك هذا) اي من اخبرك بأني أفشيت السر (قال نبأني العليم الخبير) اي بخفيات الامور * قوله عز وجل (ان تتوبا الى الله) يخاطب عائشة وحفصة اي من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له (فقد صغت قلوبكما) اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما أن تتوبا وذلك بأن سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم أزل حريصا على ان أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتاني فصببت على يديه فتوضأ

ذلك اليوم من الامر أو غيره واذا نزل فعل مثله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الانصار اذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الانصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت ان تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فافزعني فقلت خابت من فعلت منهن بعظيم ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة فقلت أي حفصة أتغاضب احداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل فقالت نعم فقلت خابت وخسرت أفتأمنين ان يغضب الله تعالى لغضب رسوله فتهلكي لا تستكثري على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب الى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة قال عمر وكنا تحدثنا ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضربا شديدا وقال أثم هو ففزعت فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ما هو أجاءت غسان قال لا بل أعظم منه وأطول طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن ان هذا يوشك ان يكون فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فاذا هي تبكي فقلت ما يبكيك أولم أكن حذرتك

فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهري كره منه ما سأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فانكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت أتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعلت ذلك منكن وخسرت أفتأمن احداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما ويأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم قلت ماذا أجاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما أجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر

أطلقكن النبي صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري هو ذا في المشربة فخرجت فجئت المنبر فاذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلا ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم فقلت للغلام له اسود استأذن لعمر فدخل فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الي فقال قد كلمت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرتك له فصمت فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع الي فقال قد ذكرتك له فصمت فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فاستأذن

ثم رجع الي فقال قد ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفا فاذا الغلام يدعوني فقال قد اذن لك النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع الي بصره فقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم استأنس يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة اذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته يتبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى فليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا من الدنيا وهم لا يعبدون الله تعالى فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب ان اولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعتزل النبي صلى الله عليه

وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان يقول ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة رضى الله عنها فبدأ بها فقالت له عائشة يا رسول الله انك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا فانما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله آية التخيير فبدأ بي أول مرة ٣ من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمر الله تعالى أن يخير أزواجه فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي بالجواب حتى تستأمري ابويك وقد علم ان ابوي لم يكونا يأمراني بفراقه ثم قال يا ايها النبي قل لازواجك الى تمام الايتين فقلت اوفي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة اخبرنا اسمعيل ابن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل النبي (وان

في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله قد كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت اذ راجعتني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر أفتامن احداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه ما يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان قد أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله انك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت في تسعة وعشرين أعدهن فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ثم قال يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم رسول الله والله ان أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام الا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول فنزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وانه قام على باب المسجد فنادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ﴿شرح بعض ألفاظه﴾ قوله فعدلت معه بالاداوة أي ذهبت معه بالركوة فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة العوالي جمع عالية وهي أماكن باعلى أراضي المدينة قوله ولا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة أوسم منك أي أكثر حسنا وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله الانسان مرة ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الا أهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب * قوله تعالى

صلى الله عليه وسلم نساءه وذكر الحديث وقال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله تعالى بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير

قوله (وان تظاهرا عليه) أى تتظاهرا وتتعاونا على أذى النبى صلى الله عليه وسلم قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء والآخرون بتشديدها (فان الله هو مولاه) أى وليه وناصره قوله (وجبريل وصالح المؤمنين) روى عن ابن مسعود وأبى بن كعب وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال الكلبى هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين قوله (والملائكة بعد ذلك ظهير) قال مقاتل بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير أى أعوان النبى صلى الله عليه وسلم وهذا من الواحد الذى يؤدى عن الجمع كقوله وحسن أولئك رفيقا (عسى ربه ان طلقكن) أى واجب من الله ان طلقكن رسوله (أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات) خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) مصدقات بتوحيد الله (قانتات) طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات (تائبات عابدات سائحات) صائمات وقال زيد بن

(وان تظاهرا عليه) أى تعاونا على ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم (فان الله هو مولاه) أى وليه وناصره (وجبريل) يعنى وجبريل وليه وناصره أيضا وانما أفرده وان كان داخلا فى جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته (وصالح المؤمنين) روى عن ابن مسعود وأبى بن كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء (والملائكة بعد ذلك) أى بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أى أعوان للنبى صلى الله عليه وسلم ينصرونه (عسى ربه) أى واجب من الله (ان طلقكن) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبدله أزواجا خيرا منكن) ثم وصف الازواج اللواتى كان يزوجه بهن فقال (مسلمات) أى خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) أى مصدقات بتوحيد الله تعالى (قانتات) أى طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل (تائبات) أى تاركات للذنوب لقبحها أو كثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادات (سائحات) أى صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (ثيبات) جمع ثيب وهى التى تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه (وأبكارا) أى عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته انه ان طلقهن أبدله أزواجا خيرا منهن تخويفا لهن * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (وأهليكم) يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك (نارا وقودها الناس والحجارة) يعنى الكبريت لانه أشد الاشياء حرا وأسرع ايقادا (عليها ملائكة) يعنى خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) أى فظاظ على أهل النار (شداد) يعنى أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا فى النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما أمرهم) أى لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه (ويفعلون ما يؤمرون) أى لا تأخذهم رأفة فى تنفيذ أوامره والانتقام من أعدائه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) أى يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار (انما تجزون ما كنتم تعملون) يعنى ان أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أى ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذى تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبى بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هى أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود اليه وقال الكلبى ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظى التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان

﴿ فصل ﴾ وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة

معه حيث ما ساح (ثيبات وأبكارا) وهذا فى الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن وهذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم وهذا اخبار عن القدرة لا أن فى الوجود أمة هم خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال عطاء عن ابن عباس أى بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته (وأهليكم نارا) يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك نارا (وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة) يعنى خزنة النار (غلاظ) فظاظ على أهل النار (شداد) أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا فى النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) قرأ الحسن وأبو بكر عن عاصم نصوحا بضم النون وقرأ العامة بفتحها أى توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود الى ما تاب منه واختلفوا فى معناها قال عمر وأبى ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع قال الحسن هى أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه قال الكلبى ان يستغفر باللسان وينادم بالقلب ويمسك بالبدن قال سعيد بن المسيب توبة تنصحون بها أنفسكم قال القرظى يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان

(عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) أى لا يعذبهم الله بدخول النار (نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم) على الصراط (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم و بئس المصير) ثم ضرب الله مثلا للصالحات والطالحات من النساء فقال جل ذكره (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح) واسمها واعلة (وامرأت لوط) واسمها واهلة وقال مقاتل والمة وواهلة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) قال ابن عباس ما بغت امرأة نبى قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة وأما امرأة لوط فانها كانت تدل قومه على أضيافه اذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار واذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه انه نزل به ضيف وقال الكلبى أسرتا النفاق وأظهرتا الايمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) لم يدفعا عنهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية ان ينفعه صلاح غيره ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره اذا كان مطيعا فقال (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) وهى آسية بنت مزاحم

أو كبيرة فان كانت المعصية بين العبد و بين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاث شروط أحدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها أبدا فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف أو نحوه مكنه من نفسه أو طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها و يجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب و بقى عليه ما لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب فى اليوم مائة مرة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة الحديث (م) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار و يبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم) هذا اطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه (و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) أى لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم) يعنى على الصراط (يقولون ربنا) يعنى اذا انطفأ نور المنافقين (أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم و بئس المصير) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ضرب الله مثلا) أى بين شبها وحالا (للذين كفروا امرأت نوح) واسمها واعلة (وامرأت لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة وواهلة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم (فخانتاهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة من قومها وأما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على أضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) اى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وأنه لا ينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذى يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيأ فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية و يتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بأمى المؤمنين عائشة وحفصة ومافرط منهما وتحذيرلهما على أغلظ وجه وأشده ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد والقاها فى الشمس فكانت تعذب فى الشمس فاذا انصرفوا

قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها أوتد يديها و رجليها بأربعة أوتاد وألقاها فى الشمس قال سلمان كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة

(اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة حتى رأته وفى القصة ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فأبصرت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب (ونجنى من فرعون وعمله) قال مقاتل وعمله يعنى الشرك وقال أبو صالح عن ابن عباس وعمله قال جماعه (ونجنى من القوم الظالمين) الكافرين (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه) أى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا وصدقت بكلمات ربها) يعنى الشرائع التى شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة (وكتبه) قرأ أهل البصرة وحفص وكتبه على الجمع وقرأ الآخرون وكتابه على التوحيد والمراد منه الكثرة أيضا وأراد الكتب التى أنزلت على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام (وكانت من القانتين) أى من القوم القانتين المطيعين لربها ولذلك لم يقل من القانتات وقال عطاء من القانتين أى من المصلين ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فانهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون

﴿ سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحيوة) قال عطاء عن ابن عباس يريد الموت فى الدنيا والحياة فى الآخرة وقال قتادة أراد موت الانسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء قيل انما قدم الموت لانه الى القهر أقرب وقيل قدمه لانه أقدم لان الاشياء فى الابتداء كانت فى حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء انثى وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيى وهى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها فألقاها فى العجل فحيى

انصرفوا عنها أظلتها الملائكة (اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة وقيل ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فأبصرت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهى تأكل وتشرب فيها (ونجنى من فرعون وعمله) يعنى وشركه وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه (ونجنى من القوم الظالمين) يعنى الكافرين (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها) أى عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنا فيه) أى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا) اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعنى الشرائع التى شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه (وكتبه) يعنى الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القانتين) يعنى كانت من القوم القانتين أى المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة لله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح والله أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الملك مكية ﴾

وهى ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ولابى داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائى على قبر انسان وأنا لا أحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (تبارك الذى بيده الملك) أى له الامر والنهى والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شئ قدير) أى من الممكنات (الذى خلق الموت والحيوة) قيل اراد موت الانسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه أقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه أقدم وذلك لان الاشياء كانت فى الابتداء فى حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيى وهى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها فألقاها فى العجل فحيى

(ليبلوكم) فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقال الحسن أيكم أزهد فى الدنيا وأترك لها وقال الفراء لم توقع البلوى على أى الا وبينهما اضمار كما تقول بلوتكم لا نظر أيكم أطوع ومثله سلهم أيهم بذلك زعيم اى سلهم وانظر أيهم فاى رفع على الابتداء وأحسن خبره (وهو العزيز) فى انتقامه ممن عصاه (الغفور) لمن تاب اليه (الذى خلق سبع سموات طباقا) طبقا على طبق بعضها فوق بعض (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) قرأ حمزة والكسائى من تفوّت بتشديد الواو بلا ألف وقرأ الآخرون بتخفيف الواو وألف قبلها وهما لغتان كالتحمل والتحامل والتظهر والتظاهر ومعناه

ما ترى يا ابن آدم فى خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل هى مستقيمة مستوية واصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها (فارجع البصر) كرر النظر معناه انظر ثم ارجع البصر (هل ترى من فطور) شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) ينصرف ويرجع (اليك البصر خاسئا) صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى (وهو حسير) كليل منقطع لم يدرك ما طلب وروى عن كعب أنه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية من درة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومن السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) أراد الادنى من الارض وهى التى يراها الناس وقوله بمصابيح الكواكب واحدها مصباح وهو السراج سمى الكوكب مصباحا لاضاءته (وجعلناها رجوما) مرامى (للشياطين) اذا استرقوا السمع (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير) النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الاصوات (وهى تفور) تغلى بهم كغلى المرجل وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) تتقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم قال ابن قتيبة تكاد تنشق غيظا على الكفار (كلما ألقى فيها فوج) جماعة منهم (سألهم خزنتها) سؤال توبيخ (ألم يأتكم نذير) رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) للرسل (ما نزل الله من شئ)

الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف فى هذه الدار وحال المجازاة فى دار القرار والحياة أيضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم أحد فى الدنيا ولم يصل اليه الثواب فى الآخرة (ليبلوكم) أى ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعته وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال أيضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل أيكم أزهد فى الدنيا (وهو العزيز) أى الغالب المنتقم ممن عصاه (الغفور) اى لمن تاب اليه ورجع عن اساءته * قوله تعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا) يعنى طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحار من نور (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) اى ما ترى يا ابن آدم فى شئ مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر) أى كرر النظر (هل ترى من فطور) أى من شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) اى ينصرف (اليك) فيرجع (البصر خاسئا) أى صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى (وهو حسير) أى كليل منقطع لم يدرك ما طلب (ولقد زينا السماء الدنيا) أى القربى من الارض وهى التى يراها الناس (بمصابيح) أى بكواكب كالمصابيح فى الاضاءة وهى اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع * فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضى بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضى زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين * قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهى الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهى على حالها (وأعتدنا لهم) أى وأعتدنا للشياطين بعد الاحتراق فى الدنيا (عذاب السعير) أى فى الآخرة وهى النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) أى ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق الحمار وذلك أقبح الاصوات (وهى تفور) أى تغلى بهم كغلى المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) أى تتقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم (كلما ألقى فيها فوج) أى جماعة (سألهم خزنتها) يعنى سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم نذير) أى رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) يعنى للرسول (ما نزل الله من شئ) وهذا اعتراف منهم بانه أزاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم

ان أنتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع) من الرسل ما جاؤا به (أو نعقل) منهم وقال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به (ما كنا فى أصحاب السعير) قال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعى ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار (فاعترفوا بذنبهم فسحقا) بعدا (لاصحاب السعير) قرأ أبو جعفر والكسائى فسحقا بضم الحاء وقرأ الباقون بسكونها وهما لغتان مثل الرعب والرعب والسحت والسحت (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لا يسمع اله محمد فقال الله جل ذكره (ألا يعلم من خلق) ألا يعلم ما فى الصدور من خلقها (وهو اللطيف الخبير) لطيف علمه بما فى القلوب الخبير بما فيها من السر والوسوسة وقيل من يرجع الى المخلوق أى ألا يعلم الله مخلوقه (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) سهلا لا يمتنع المشى فيها بالحزونة (فامشوا فى مناكبها) قال ابن عباس وقتادة فى جبالها وقال الضحاك فى آكامها وقال مجاهد فى طرقها وفجاجها قال الحسن فى سبلها وقال الكلبى فى أطرافها وقال مقاتل فى نواحيها قال الفراء فى جوانبها والاصل فى الكلمة الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء وتنكب فلان (وكلوا من رزقه) مما خلقه رزقا لكم فى الارض (واليه النشور) أى واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف الكفار فقال (أأمنتم من فى السماء) قال ابن عباس أى عذاب من فى السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور) أى تتحرك بأهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى أسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم أى تجىء وتذهب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) يعنى ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) أى عند الموت فى الآخرة (كيف نذير) أى انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا * قوله عز وجل (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممن أجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط (ما يمسكهن) أى حال القبض والبسط (الا الرحمن) والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظه لها (انه بكل شىء بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية (أمن هذا الذى هو جند لكم) استفهام انكار أى لا جند لكم (ينصركم) اى يمنعكم (من دون الرحمن) اى من عذاب الله قال ابن عباس اى من ينصركم منى

ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شىء (ان أنتم الا فى ضلال كبير) فيه وجهان أحدهما وهو الاظهر أنه من جملة قول الكفار للرسل والثانى يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم فى الدنيا فى ضلال كبير (وقالوا لو كنا نسمع) أى من الرسل ما جاؤا به (أو نعقل) أى نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به (ما كنا فى أصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يميز وننظر ونتفكر ما كنا فى أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو فى معنى الجمع أى بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شىء (فسحقا) أى بعدا (لاصحاب السعير) * قوله عز وجل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) أى لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى جزاء أعمالهم الصالحة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) قال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لا يسمع اله محمد فاخبره الله أنه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى (انه عليم بذات الصدور) ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) يعنى ألا يعلم من خلق مخلوقه وقيل ألا يعلم الله من خلق والمعنى ألا يعلم الله ما فى صدور من خلق (وهو اللطيف) أى باستخراج ما فى الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة * قوله تعالى (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شىء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشى فيها لحزونتها وغلظها (فامشوا فى مناكبها) أمر اباحة وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذى سهل لكم السلوك فى جبالها وهو أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أى مما خلقه الله لكم فى الارض (واليه النشور) أى واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أأمنتم من فى السماء) قال ابن عباس يعنى عقاب من فى السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور) أى تتحرك بأهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى أسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم أى تجىء وتذهب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) يعنى ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) أى عند الموت فى الآخرة (كيف نذير) أى انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا * قوله عز وجل (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممن أجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط (ما يمسكهن) أى حال القبض والبسط (الا الرحمن) والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظه لها (انه بكل شىء بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية (أمن هذا الذى هو جند لكم) استفهام انكار أى لا جند لكم (ينصركم) اى يمنعكم (من دون الرحمن) اى من عذاب الله قال ابن عباس اى من ينصركم منى

(أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور) قال الحسن تتحرك باهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تلقيهم الى أسفل والارض تعلو عليهم وتمور فوقهم يقال مار يمور اذا جاء وذهب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) فى الآخرة وعند الموت (كيف نذير) أى انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بالعذاب (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) تصف أجنحتها فى الهواء (ويقبضن) أجنحتهن بعد البسط (ما يمسكهن) فى حال القبض والبسط ان يسقطن (الا الرحمن انه بكل شىء بصير أمن هذا الذى هو جند لكم) استفهام انكار قال ابن عباس أى منعة لكم (ينصركم من دون الرحمن) يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم

(ان الكافرون الا فى غرور) أى فى غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) أى من الذى يرزقكم المطران أمسك الله عنكم (بل لجوا فى عتو) تمادوا فى الضلال (ونفور) تباعد من الحق ثم ضرب مثلا فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه) راكبا رأسه فى الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر قال قتادة راكبا على المعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى أمن يمشى سويا) معتدلا يبصر الطريق وهو (على صراط مستقيم) وهو مؤمن قال قتادة يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) قال مقاتل يعنى انهم لا يشكرون رب هذه النعم (قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة على قول اكثر المفسرين وقال مجاهد يعنى العذاب ببدر (زلفة) أى قريبا وهو اسم يوصف به المصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع (سيئت وجوه الذين كفروا) اسودت وعلتها الكآبة فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد يقال ساء الشئ يسوء فهو سيئ اذا قبح وسيئ يساء اذا أقبح (وقيل) لهم أى قال لهم الخزنة (هذا) أى هذا العذاب (الذى كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى ان تدعوه وتتمنوه انه يعجله لكم وقرأ يعقوب تدعون بالتخفيف وهى قراءة قتادة ومعناهما واحد مثل تذكرون وتذكرون (قل) يا محمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك (أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) فأبقانا الى منتهى آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) فانه واقع بهم لا محالة وقيل معناه أرأيتم ان أهلكنى وقال الله فيعذبنى ومن معى أو رحمنا فيغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجير الكافرين فمن يجيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون وهذا معنى قول ابن عباس (قل هو الرحمن) الذى نعبده (آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون) قرأ الكسائى بالياء وقرأ الباقون بالتاء (من هو فى ضلال مبين) أى ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال أنحن أم أنتم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) أى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى والدلاء قال الكلبى ومقاتل يعنى ماء زمزم (فمن يأتيكم بماء معين) ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال عطاء

ان أردت عذابكم (ان الكافرون الا فى غرور) أى من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) يعنى من ذا الذى يرزقكم المطران أمسكه الله عنكم (بل لجوا) أى تمادوا (فى عتو) أى تبوّوتكبر (ونفور) أى تباعدعن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أى كابا رأسه فى الضلالة والجهالة أعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى) أى هو اهدى (أمن يمشى سويا) اى قائما معتدلا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذى أنشأكم) اى خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها فى غير ما خلقت له فلهذا قال (قليلا ما تشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم (فى الارض واليه تحشرون) أى يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابداء قادر على الاعادة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) هذا سؤال يحتمل وجهين أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى انه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله (قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين) امره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحى اليه (فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب ببدر (زلفة) اى قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد (وقيل) لهم اى وقالت لهم الخزنة (هذا الذى كنتم به تدعون) من الدعاء اى تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى اى تدعون انه باطل (قل) يا محمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك (أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى) أى من المؤمنين (أو رحمنا) أى فابقانا وأخر فى آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) اى انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى الآية قل أرأيتم ان اهلكنى الله اى فعذبنى ومن معى او رحمنا اى فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم أو يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس (قل) أى قل لهم فى انكارك عليهم وتوبيخك لهم (هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) اى نحن آمنا به وعبدناه وانتم كفرتم به (فستعلمون) أى عند معاينة العذاب (من هو فى ضلال مبين) اى نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم بعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم) قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه (غورا) اى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى ولا الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) اى ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء

ثم قال الشيخ الامام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى رحمه الله تعالى أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنى الحسن الفارسى ثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد ثنا أبو يحيى البزار ثنا محمد بن يحيى ثنا أبو داود ثنا عمران عن قتادة عن ابن عباس الجشمى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب الله ما هى الا ثلاثون

آية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك ﴿ سورة القلم مكية وهي اثنان وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ن) اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن عباس ن والقلم وما يسطرون واختلفوا في اسمه فقال الكلبي ومقاتل بهموت وقال الواقدي ليوثا وقال كعب لوثيا وعن علي اسمه بلهوث وقال الرواة لما خلق الله الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله عليه من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة في الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فهج الحوت الى الله منها فاذن لها فخرجت قال كعب فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت الى ذلك كما كانت وقال بعضهم ان نون آخر حروف الرحمن وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة وقيل هو قسم أقسم الله به وقيل فاتحة السورة وقال عطاء افتتاح اسمه نور وناصر وقال محمد بن كعب أقسم الله بنصرته المؤمنين (والقلم) هو الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض وقيل أول ما خلق الله القلم ونظر اليه فانشق بنصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك

وقال ابن عباس معين أي جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا في الارض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شيء أصلا شريكا له في العبودية فهذا محال والله أعلم

﴿ تفسير سورة ن مكية ﴾

وهي اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة وألف وماتان وستة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه أن أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليوثيا وقيل لوثيا وعن علي بلهوث قال أصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخاره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فهج الحوت الى الله منها فاذن لها فخرجت قال كعب فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت الى ذلك كما كانت وقيل هو من الدواة وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقال الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم * ألقت النون بالدمع السجام

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة (والقلم) هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله

(ومايسطرون) يكتبون أى ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بنى آدم (ما أنت بنعمة) بنبوة (ربك بمجنون) هذا جواب لقولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فاقسم الله بالنون والقلم ومايكتب من الاعمال فقال ما أنت بنعمت ربك بنبوة ربك بمجنون هذا جواب القسم أى انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أى والحمد لك (وان لك لاجرا غير ممنون) أى غير منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك (وانك لعلى خلق عظيم) قال ابن عباس ومجاهد دين عظيم لا دين أحب الى ولا أرضى عندى منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن قال قتادة وهو ما كان يأمر به من أمر الله وينتهى عنه من نهى الله والمعنى انك لعلى الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وقيل سمى الله خلقه

عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو الآية وروينا عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أحمد ابن سعيد أبو عبد الله ثنا اسحق بن منصور ثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم على بن أحمد الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أحمد بن محمد ابن عيسى البرنى ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان الثورى عن الاعمش عن أبى وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو العباس الاصم ثنا محمد بن هشام بن ملاس ثنا مروان الفزارى ثنا حميد الطويل عن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان لى اليك حاجة فقال يا أم فلان اجلسى فى أى سكك المدينة شئت أجلس اليك قال فقعدت فقعد اليها رسول الله صلى

ما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه (ومايسطرون) أى ومايكتب الحفظة من أعمال بنى آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد ومايسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع فى ومايسطرون للتعظيم لا للجمع (ما أنت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم ومايسطرون وما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفى حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين فى قولهم انك لمجنون (وان لك لاجرا غير ممنون) أى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد

* عبس كواسب ما يمن طعامها *

أى ما يقطع بصف بذلك كلا باضارية وقيل فى معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم اجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذى قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وافعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الى

حتى قضت حاجتها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل قال قال لي محمد بن عيسى ثنا هشام أنا حميد الطويل ثنا أنس بن مالك قال ان كانت الامة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أخبرنا عمران بن يزيد الثعلبي عن زيد العمي عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا هرون بن اسحق الهمداني ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيأ قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا اسمعيل بن عبد الله حدثني مالك ابن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ورجع النبي صلى الله عليه وسلم في نحر الاعرابي حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له بعطاء أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريائي ثنا حميد بن زنجويه ثنا علي المديني ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذيء أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الريائي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا داود بن يزيد الاودي سمعت أبي سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفرج والفم أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس الاصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبي وشعيب قالا ثنا الليث عن أبي الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن عبد المطلب بن عبد الله عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك

ولا أرضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من أوامر الله وينتهي عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل سمي الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ من ذلك ما روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم أخرجه أبو داود وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكمل الناس ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم باهله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن أبي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أحبكم الى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا (ق) عن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحاسنكم أخلاقا (ق) عن أنس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي أف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية ويجيب اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له أخرجه الترمذي (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول

بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار قوله عز وجل (فستبصر ويبصرون) فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قيل معناه بأيكم الجنون فالمفتون مفعول بمعنى المصدر كما يقال ما بفلان معقول ومجلود أي جلادة وعقل وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أو في فريقهم وقيل بأيكم المفتون وهو الشيطان الذي فتن بالجنون وهذا قول مجاهد وقال آخرون الباء فيه زائدة معناه أيكم المفتون أي المجنون الذي فتن بالجنون وهذا قول قتادة (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين) يعني مشركي مكة فانهم كانوا يدعونه الى دين آبائه فنهاه

الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شئ قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا أن يجاهد في سبيل الله تعالى (ق) عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء (ق) عنه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبا عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور الا أنه أحمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته قالت كان يكون في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي * قوله تعالى (فستبصر) اي يا محمد (ويبصرون) يعني أهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قال ابن عباس معناه بأيكم المجنون وقيل الباء بمعنى في معناه فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون في فريقك او فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) اصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الآية انهم تمنوا ان تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) اي كثير الحلف بالباطل (مهين) اي ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق (هماز) أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس (مشاء بنميم) أي فتان يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) أي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول ان دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) اي ظلوم يتعدى الحق (أثيم) اي فاجر يتعاطى الاثم (عتل) اي غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيئ الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوي الشديد ولا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا في النار دفعة واحدة (بعد ذلك زنيم) اي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قال ابن عباس

أن يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) قال الضحاك لو تكفر فيكفرون وقال الكلبي لو تلين لهم فيلينون لك قال الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم قال زيد بن أسلم لو تنافق وترائي فينافقون قال ابن قتيبة أرادوا على أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف بالباطل قال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة وقيل الاسود بن عبد يغوث وقال عطاء الاخنس بن شريق قوله (مهين) ضعيف حقير قيل هو فعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه (هماز) مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة وقال الحسن هو الذي يغمز بأخيه في المجلس كقوله همزة (مشاء بنميم) قتات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم (مناع للخير) بخيل بالمال قال ابن عباس مناع للخير أي للاسلام يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن

يريد

دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) ظلوم يتعدى الحق (أثيم) فاجر (عتل) العتل الغليظ الجافي وقال الحسن هو الفاحش الخلق السيئ الخلق قال الفراء هو الشديد الخصومة في الباطل وقال الكلبي هو الشديد في كفره وكل شديد عند العرب عتل وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف قال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا دفعة واحدة (بعد ذلك) أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به (زنيم) وهو الدعي الملصق بالقوم وليس منهم قال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا ودعي

يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوب به ماذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة (أن كان ذا مال و بنين) قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال و بنين أي لا تطعه لماله و بنيه وقرئ أأن كان ذا مال و بنين بالاستفهام ومعناه ألأن كان ذا مال و بنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) اي جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لان كان ذا مال و بنين تطيعه ثم أوعده فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) اي على الانف والمعنى نسوّد وجهه فنجعل له علما يعرف به في الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه اي سنسمه ميسم سوء يريد نلحق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تمحى ولا يعفى أثرها وقد ألحق الله به بما ذكر من عيوب به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه * وقوله تعالى (انا بلوناهم) اي اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) روى عن ابن عباس في قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل اذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو أيضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر أيضا فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذ قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع أن نفعل فتحالفوا بينهم

تطيعه ومن قرأ على الخبر فمعناه لا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال و بنين اي لا تطعه لماله و بنيه اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ثم أوعده فقال (سنسمه على الخرطوم) والخرطوم الانف قال ابو العالية ومجاهد أي نسود وجهه فنجعل له علما في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه قال الفراء خص الخرطوم بالسمة وانه في مذهب الوجه لان بعض الشئ يعبر به عن كله وقال ابن عباس سنخطمه بالسيف وقد فعل ذلك يوم بدر وقال قتادة سنلحق به شيا لا يفارقه قال القتيبي تقول العرب للرجل سب الرجل سبة قبيحة قد وسمه ميسم سوء يريد ألصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تمحى ولا يعفو أثرها وقد ألحق الله بما ذكر من عيوب به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة كالوسم على الخرطوم وقال الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه (انا بلوناهم) يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا) ابتلينا (أصحاب الجنة) روى محمد بن مروان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة قال كان بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق كان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل اذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شئ يسقط على البساط فهو أيضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوا كان لهم كل شئ ينتثر أيضا فلما مات الاب وورثه هؤلاء الاخوة عن أبيهم فقالوا والله ان المال لقليل وان العيال لكثير وانما كان هذا الامر يفعل اذ كان المال كثيرا والعيال قليلا فأما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع أن نفعل هذا فتحالفوا بينهم ليصرمنها مصبحين ولا يستثنوا يعني لم يقولوا ان شاء الله فعند الفوم بسدفة من الليل الى جنتهم ليصرموها قبل أن يخرج المساكين فرأوها مسودة وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها فأصبحت كالصريم فذلك قوله عز وجل

(اذ أقسموا) حلفوا (ليصرمنها مصبحين) ليقطعن ثمرها اذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين (ولا يستثنون) لا يقولون ان شاء الله (فطاف عليها طائف) عذاب (من ربك) ليلا ولا يكون الطائف الا بالليل وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها (وهم نائمون فأصبحت كالصريم) كالليل المظلم الاسود وقال الحسن اى صرم منها الخير فليس فيها شئ وقال الاخفش كالصبح الصريم من الليل وأصل الصريم المصروم مثل قتيل ومقتول وكل شئ قطع فهو صريم فالليل صريم والصبح صريم لان كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه وقال ابن عباس كالرماد الاسود بلغة خزيمة (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا (أن اغدوا على حرثكم) يعنى الثمار والزروع والاعناب (ان كنتم صارمين) قاطعين للنخل (فانطلقوا) مشوا اليها (وهم يتخافتون) يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) الحرد فى اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب قال الحسن وقتادة

وابو العالية على جد وجهد وقال القرظى ومجاهد وعكرمة على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وهذا على معنى القصد لان القاصد الى الشئ جاد مجمع على الامر وقال ابو عبيدة والقتيبى غدوا من بيتهم على منع المساكين يقال حاردت السنة اذا لم يكن لها مطر وحاردت الناقة اذا لم يكن لها لبن وقال الشعبى وسفيان على حنق وغضب من المساكين وعن ابن عباس على قدرة (قادرين) عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها أحد (فلما رأوها قالوا انا لضالون) اى لما رأوا الجنة محترقة قالوا انا لخطئون الطريق أضللنا عن مكان جنتنا ليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) أعدلهم وأعقلهم وافضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء بذلك فى قولهم ليصرمنها مصبحين وسمى الاستثناء تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بأنه لا يقدر أحد على شئ الا بمشيئته وقال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم (قالوا سبحان ربنا) نزهوه عن ان يكون ظالما فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) بمنعنا المساكين (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فى منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) فى منعنا حق الفقراء وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال عبد الله بن مسعود بلغنى ان القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا قال الله تعالى (كذلك العذاب) اى

يوما أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى (اذ أقسموا) اى تحالفوا (ليصرمنها) اى ليقطعن ثمرها (مصبحين) أى اذا أصبحوا قبل أن يخرج اليهم المساكين وقبل أن يعلم بها المساكين (ولا يستثنون) أى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل لا يستثنون شيأ للمساكين من ثمرجنتهم (فطاف عليها طائف من ربك) أى عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها وهو قوله تعالى (فأصبحت) أى الجنة (كالصريم) أى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة (فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما أصبحوا (أن اغدوا على حرثكم) يعنى الثمار والزرع والاعناب (ان كنتم صارمين) أى قاطعين ثماركم (فانطلقوا) أى مشوا اليها (وهم يتخافتون) أى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) أى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) أى عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها أحد (فلما رأوها) اى رأوا الجنة محترقة (قالوا انا لضالون) اى لخطؤن الطريق أضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) اى أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) اى هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بأنه لا يقدر أحد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى ان الاستثناء بمعنى لا يترك شيأ للمساكين من ثمرجنتهم يكون معنى لولا تسبحون اى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) اى بمنعنا المساكين حقوقهم (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) اى يلوم بعضهم بعضا (قالوا يا ويلنا) دعوا على أنفسهم بالويل (انا كنا طاغين) اى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغنى ان القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا قال الله تعالى (كذلك العذاب) اى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف

كفعلنا بهم تفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) فقال المشركون انا نعطى فى الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تكذيبا لهم (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب) نزل من عند الله (فيه) فى هذا الكتاب (تدرسون) تقرؤن (ان لكم فيه) فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) تختارون وتشتهون (أم لكم أيمان) عهود ومواثيق (علينا بالغة) مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا فلا تنقطع (الى يوم القيامة ان لكم) كسر ان لدخول

بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) أى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى فى الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل أو يعطى أفضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات (مالكم كيف تحكمون) يعنى هذا الحكم المعوج (أم لكم كتاب) أى نزل من عند الله (فيه) أى فى ذلك الكتاب (تدرسون) أى تقرؤن (ان لكم فيه) أى فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) أى تختارون وتشتهون (أم لكم أيمان علينا بالغة) معناه ألكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا (الى يوم القيامة) أى لا تنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة (ان لكم) أى فى ذلك العهد (لما تحكمون) أى لا نفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم أيهم بذلك زعيم) أى أيهم كفيل لهم بأن لهم فى الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء) أى بل لهم شركاء يعنى ما كانوا يجعلونه لله شريكا وانما أضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) أى فى دعواهم (يوم يكشف) أى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم (عن ساق) أى عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع فى أمر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك اذا قام فى ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفى عليكم شئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وأنشد أهل اللغة أبياتا فى هذا المعنى فمنها ما أنشده أبو عبيدة لقيس بن زهير

فان شمرت لك عن ساقها * فدنها ربيع ولا تسام

ومنها قول جرير

ألا رب ساهى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا فى كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا ترودون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح

اللام فى الخبر فى ذلك العهد (لما تحكمون) لانفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم أيهم بذلك زعيم) كفيل أى أيهم يكفل لهم بان لهم فى الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء) أى عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا وقيل شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق) قيل يوم ظرف لقوله فليأتوا بشركائهم أى فليأتوا بها فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يوم يكشف عن ساق قيل عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة فى القيامة قال سعيد بن جبير يوم يكشف عن ساق عن شدة الامر وقال ابن قتيبة تقول العرب للرجل اذا وقع فى أمر عظيم يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه ويقال اذا اشتد الامر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق أخبرنا اسمعيل ابن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنى سويد بن سعيد حدثنى حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية

أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرأهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون فقالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم

كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد تقاورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا وقد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شئ أفضل من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم أبدا لفظ مسلم وللبخارى نحوه بمعناه

﴿فصل فى شرح ألفاظ الحديث وما يتعلق به﴾ أما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتى الكلام عليها فى موضعها ان شاء الله تعالى قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها وفى رواية أبى هريرة فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم

ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد فيقولون يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية لتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد تقاورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون

فيقولون

فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا فيه خير ممن أمرتنا به وكان أبو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله من النار الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شئ أفضل من هذا فيقول رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا وروى محمد بن اسمعيل هذا الحديث عن يحيى بن بكير عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم بهذا المعنى أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى

فيقولون أنت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره اعلم أن هذا الحديث من أكبر أحاديث الصفات وأعظمها وللعلماء فيه وفي أمثاله قولان أحدهما وهو قول معظم السلف أو كلهم انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شئ وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين انها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا الوجه أشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي يصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة أنا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم في الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لا يشبه شيأ من مخلوقاته وقد علموا انه لا يشبه شيأ من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون أنت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث أبي سعيد أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها معنى رأوه فيها اي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين وهي انه لا يشبهه شئ وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال أبو سليمان الخطابي فيحتمل أن يكون معنى قوله فيكشف ربنا عن ساقه أي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روى عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن حبان مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي يأتي باحاديث منكرة لا يتابع عليها وموالي عمر بن عبد العزيز كثيرون في اسناده مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضي عياض وقيل قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال

فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك و يتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابى وهذه الرؤية فى هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة أولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا أذن الله له فى السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة أى فقارة واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها قوله دحض مزلة اى تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشئ وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم معناه انهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا ينالهم شئ أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس أى يلقى و يسقط فى جهنم وفى هذا اثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة وأهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم وأعمالهم والآخرون يسقطون فى جهنم أعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار شفاعتهم لهم وقوله فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذى هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذكر خفى وعمل من أعمال القلب من شفقه على مسكين أو خوف من الله تعالى أو نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك أقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا أى صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة أى جمع جماعة قوله قد عادوا حمما أى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة جمع فوهة وهى أول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ أى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه انه يعلق فى رقابهم أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم * قوله تعالى (و يدعون الى السجود فلا يستطيعون) السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصى البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطعون السجود (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين و يغشاهم ذل وخسران وندامة (وقد كانوا يدعون الى السجود) يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) يعنى انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم أصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعة * قوله عز وجل (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى دعنى والمكذبين بالقرآن وخل بينى و بينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الى فانى أكفيك اياهم (سنستدرجهم) أى سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر واذا أذنب ذنبا أن يعاجله بالاستغفار والتوبة (وأملى لهم) أى أمهلهم وأطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم الى الموت فلا أعاجلهم بالعقوبة (ان كيدى متين) أى عذابى شديد وقيل

الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة و يبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا قوله عز وجل (و يدعون الى السجود فلا يستطيعون) يعنى الكفار والمنافقون تصير أصلابهم كصياصى البقر فلا يستطيعون السجود (خاشعة أبصارهم) وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين (ترهقهم ذلة) يغشاهم ذل الندامة والحسرة (وقد كانوا يدعون الى السجود) قال ابراهيم التيمى يعنى الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) أصحاء فلا يأتونه قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعات (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى فدعنى والمكذبين بالقرآن وخل بينى و بينهم قال الزجاج معناه لا تشغل قلبك به وكله الى فانى أكفيك أمره (سنستدرجهم) سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) فعذبوا يوم بدر (وأملى لهم ان كيدى متين

أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك) اصبر على أذاهم لقضاء ربك (ولا تكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) وهو يونس بن متى (اذ نادى) ربه وهو فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غما (لولا أن تداركه) أدركه (نعمة من ربه) حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) لطرح بالفضاء من بطن الحوت (وهو مذموم) يذم ويلام بالذنب (فاجتباه ربه) اصطفاه (فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وذلك ان الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى أسد حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذى المكتل والدراهم فأتينا بشئ من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقال الكلبى كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثا ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من

هذه فما تذهب الا قليلا حتى تسقط منها طائفة وعدة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه وأنزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم أى ويكاد ودخلت اللام فى ليزلقونك لمكان ان وقرأ أهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء والآخرون بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وأزلقه يزلقه ازلاقا قال ابن عباس معناه ينفذونك يقال زلق السهم اذا نفذ قال السدى يصيبونك بعيونهم قال النضير بن شميل يعينونك وقيل يزيلونك وقال الكلبى يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة قال ابن قتيبة ليس يريد انهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما أرادانهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك وقال الزجاج يعنى من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظرا البغضاء أن يصرعوك وهذا مستعمل فى الكلام يقول القائل نظرا الى نظرا يكاد يصرعنى ونظرا يكاد يأكلنى يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون اليه النظر بالبغضاء (ويقولون انه لمجنون) أى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فقال الله تعالى (وما هو) يعنى القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء اصابة العين أن يقرأ الانسان هذه الآية أخبرنا أبو على حسان بن سعيد المنيعى أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال

الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدى الى العذاب (أم تسألهم أجرا) أى على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم الغرامة والمعنى أتطلب منهم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار (فاصبر لحكم ربك) أى اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف (ولا تكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) يعنى يونس بن متى (اذ نادى) ربه أى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) أى مملوء غما (لولا أن تداركه نعمة من ربه) أى حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) أى لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) أى يذم ويلام بالذنب وقيل فى معنى الآية لولا أن تداركته نعمة من ربه لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة أى بارضها وفضائها * فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب * قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها أن كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثانى لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتباه ربه) والفاء للتعقيب أى اصطفاه ورد عليه الوحى وشفعه فى قومه (فجعله من الصالحين) أى النبيين * قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وذلك ان الكفار أرادوا أن يصيبوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى أسد حتى ان كانت الناقة أو البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذى المكتل والدراهم فأتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط ما عناه فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وانما أرادانهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظرا الى نظرا يكاد يصرعنى أو يكاد يهلكنى يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) لانهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء (ويقولون انه لمجنون) أى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم (وما هو) يعنى القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العين حق ونهى عن الوشم أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى ثنا السيد أبو الحسن ابن محمد بن الحسين بن داود العلوى أنا أبو نصر بن محمد بن حمدويه بن سهل المروزى ثنا محمود بن آدم المروزى ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقى أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم قال نعم فلو كان شئ يسبق القضاء لسبقته العين

﴿ سورة الحاقة مكية وهى ست وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحاقة) يعنى القيامة سميت حاقة لانها حقت فلا كاذبة لها وقيل لان فيها حواق الامور وحقائقها ولان فيها يحق الجزاء على الاعمال أى يجب يقال حق عليه الشئ اذا وجب يحق حقوقا قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قال الكسائى الحاقة يوم الحق (ما الحاقة) هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم لشأنه (وما أدراك ما الحاقة) أى انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم ترما فيها من الاهوال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس وقتادة بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذى أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بطغيانهم وكفرهم قيل هى مصدر وقيل نعت أى بأفعالهم الطاغية وهذا معنى قول مجاهد كما قال كذبت ثمود بطغواها وقال قتادة بالصيحة الطاغية وهى التى جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم وقيل طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) عتت على خزانها فلم تطمهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها (سخرها عليهم) أرسلها عليهم وقال مقاتل سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام) قال وهب هى الايام التى تسميها العرب أيام العجوز ذات برد وريح شديدة قيل سميت عجوزا لانها فى عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب

(الحاقة) يعنى القيامة سميت حاقة لانها حقت فلا كاذبة لها وقيل لان فيها حواق الامور وحقائقها ولان فيها يحق الجزاء على الاعمال أى يجب يقال حق عليه الشئ اذا وجب يحق حقوقا قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قال الكسائى الحاقة يوم الحق (ما الحاقة) هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم لشأنه (وما أدراك ما الحاقة) أى انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم ترما فيها من الاهوال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس وقتادة بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذى أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بطغيانهم وكفرهم قيل هى مصدر وقيل نعت أى بأفعالهم الطاغية وهذا معنى قول مجاهد كما قال كذبت ثمود بطغواها وقال قتادة بالصيحة الطاغية وهى التى جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم وقيل طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) عتت على خزانها فلم تطمهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها (سخرها عليهم) أرسلها عليهم وقال مقاتل سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام) قال وهب هى الايام التى تسميها العرب أيام العجوز ذات برد وريح شديدة قيل سميت عجوزا لانها فى عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب

للمؤمنين قال الحسن دواء من أصابته العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقى أن أسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقى لهم قال نعم ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذى قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا فى نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذى هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى أن الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شئ الا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله أعلم

﴿ تفسير سورة الحاقة مكية ﴾

وهى اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربع وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (الحاقة) يعنى القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعنى انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال أى يجب وقيل الحاقة النازلة التى حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هى التى تحق على القوم أى تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشانها والتهويل لها والمعنى أى شئ هى الحاقة (وما أدراك ما الحاقة) أى انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم ترما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة أمر لا تبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهى أعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذى أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) أى بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد فى القوة وقيل الطاغية الفرقة التى عقروا الناقة فاهلك قوم ثمود بسببهم (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أى شديدة الصوت فى الهبوب لها صرصرة وقيل هى الباردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عاتية) أى عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) أى أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية أيام) ذات برد ورياح شديدة

(حسوما) قال مجاهد وقتادة متتابعة ليس فيها فترة فعلى هذا هو من حسم الكى وهو أن يتابع على موضع الداء بالمكواة حتى يبرأ ثم قيل لكل شئ تتابع حاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود وقال الكلبي ومقاتل حسوما دائمة وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء قال الزجاج اى تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم وقال عطية شؤما كأنها حسمت الخير عن أهلها (فترى القوم فيها) اى فى تلك الليالى والايام (صرعى) هلكى جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل خاوية) ساقطة وقيل خالية الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) اى من نفس باقية يعنى لم يبق منهم أحد (وجاء فرعون ومن قبله) قرأ اهل البصرة والكسائى بكسر القاف وفتح الباء اى ومن معه من جنوده وأتباعه وقرأ الآخرون بفتح القاف وسكون الباء اى ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعنى اى قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم (بالخاطئة) اى

قال وهب هى الايام التى سماها العرب العجوز لانها أيام ذات برد وريح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتى فى عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربها فاتبعتها الريح حتى قتلتها (حسوما) اى متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم فى هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن أهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحدا (فترى القوم فيها) أى فى تلك الليالى والايام (صرعى) اى هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أى ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) أى من نفس باقية قيل انهم لما أصبحوا موتى فى اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فألقتهم فى البحر فلم يبق منهم أحد * قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء اى ومن معه من جنوده وأتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء اى ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعنى قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) أى بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعصوا رسول ربهم) قيل يعنى موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الامتين جميعا (فأخذهم أخذة رابية) يعنى نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انا لما طغى الماء) اى عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه وذلك فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان (حملناكم فى الجارية) يعنى حملنا آباءكم وأنتم فى أصلابهم فصح خطاب الحاضرين فى الجارية أى السفينة التى تجرى فى الماء (لنجعلها) أى لنجعل تلك الفعلة التى فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه (لكم تذكرة) اى عبرة وموعظة (وتعيها) اى تحفظها (أذن واعية) اى حافظة لما جاء من عند الله وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتى بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة * قوله عز وجل (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) يعنى النفخة الاولى (وحملت الارض والجبال) اى رفعت من أماكنها (فدكتا دكة واحدة) اى كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين (فيومئذ وقعت الواقعة) اى قامت القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) اى ضعيفة لتشققها (والملك) يعنى الملائكة (على أرجائها) يعنى نواحيها وأقطارها وهو الذى لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) اى فوق رؤسهم يعنى الحملة (يومئذ) اى يوم القيامة (ثمانية) يعنى ثمانية

بالخطيئة والمعصية وهى الشرك (فعصوا رسول ربهم) يعنى لوطا وموسى (فأخذهم أخذة رابية) نامية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انا لما طغى الماء) اى عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه يعنى زمن نوح عليه السلام (حملناكم) اى حملنا آباءكم وأنتم فى أصلابهم (فى الجارية) فى السفينة التى تجرى فى الماء (لنجعلها) اى لنجعل تلك الفعلة التى فعلنا من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) قرأ القواس عن ابن كثير وسليم عن حمزة باختلاس العين وقرأ الآخرون بكسرها اى تحفظها (أذن واعية) اى

حافظة لما جاء من عند الله قال قتادة أذن سمعت وعقلت ما سمعت قال الفراء لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتى بعد (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) وهى النفخة الاولى (وحملت الارض والجبال) رفعت عن أماكنها (فدكتا) كسرتا (دكة) كسرة (واحدة) فصارتا هباء منثورا (فيومئذ وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) ضعيفة قال الفراء وهيها تشققها (والملك) يعنى الملائكة (على أرجائها) نواحيها وأقطارها مالم ينشق منها واحدها رجا مقصورا وتثنيته رجوان قال الضحاك تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) اى فوق رؤسهم يعنى الحملة (يومئذ) يوم القيامة (ثمانية) اى ثمانية أملاك جاء فى الحديث انهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وجاء فى الحديث لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر

أخبرنا ابو بكر بن الهيثم الترابي انا ابو الفضل محمد بن الحسين الحدادي انا محمد بن يحيى الخالدي انا اسحق بن ابراهيم الحنظلي ثنا عبد الرزاق ثنا يحيى بن العلاء الراعي عن عمه شعيب بن خالد ثنا سماك بن حرب عن عبد الله بن عمير عن العباس بن عبد المطلب قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم بالبطحاء فمرت سحابة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا السحاب قال والمزن قلنا والمزن قال والعنان فقلنا والعنان فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكذلك غلظ كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين السماء والارض وفوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء ويروى هذا عن عبد الله بن عمير عن الاحنف بن قيس عن العباس وروى عن ابن عباس انه قال فوقهم يومئذ ثمانية أي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله (يومئذ تعرضون) على الله (لا تخفى) قرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء وقرأ الآخرون بالتاء (منكم خافية) اي فعلة خافية قال الكلبي لا يخفى على الله منكم شيء قال ابو موسى يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وذلك قوله عز وجل

أملاك وجاء في الحديث انهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال تيوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه انسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت في شيء من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث يرصد

عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعدا ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عد هن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود زاد في رواية وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش قرون ما بين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر ابن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) اي على الله تعالى للحساب (لا تخفى منكم خافية) اي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر أحوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعندذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى

عن

(فاما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم) تعالوا (اقرؤا كتابيه) الهاء فى كتابيه هاء الوقف (انى ظننت) علمت وأيقنت (أنى ملاق حسابيه) أى أحاسب فى الآخرة (فهو فى عيشة) يعنى حالة من العيش (راضية) مرضية كقوله ماء دافق يريد مرضاها بان لقى الثواب وأمن العقاب (فى جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطعون كيف شاؤا ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم) قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله) قال ابن السائب تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه وقيل تنزع يده اليسرى من

صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) يتمنى انه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله (ولم أدر ما حسابيه) يا ليتها كانت القاضية) يقول ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها والقاطعة للحياة فلم أحى بعدها والقاضية موت لا حياة بعدها يتمنى انه لم يبعث للحساب قال قتادة يتمنى الموت وان لم يكن عنده فى الدنيا شئ أكره من الموت (ما أغنى عنى ماليه) لم يدفع عنى من عذاب الله شيا (هلك عنى سلطانيه) ضلت عنى حجتى عن أكثر المفسرين وقال ابن زيد زال عنى ملكى وقوتى قال مقاتل يعنى حين شهدت عليه الجوارح بالشرك يقول الله لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) اجمعوا يده الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى ادخلوه الجحيم (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) فادخلوه

عن النبى صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (فاما من أوتى) أى أعطى (كتابه بيمينه فيقول هاؤم) أى تعالوا (اقرؤا كتابيه) والمعنى انه لما بلغ الغاية فى السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرح له وقيل يقول ذلك لاهله وأقربائه (انى ظننت) أى علمت وأيقنت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن فى الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام (أنى ملاق حسابيه) أى فى الآخرة والمعنى انى كنت فى الدنيا أستيقن انى أحاسب فى الاخرة (فهو فى عيشة راضية) أى فى حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقى الثواب وأمن من العقاب (فى جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) أى ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا (كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا بما أسلفتم) أى بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) أى الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله) قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) وذلك لما نظر فى كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه تمنى أنه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح (ولم أدر ما حسابيه) أى لم أدر أى شئ حسابى لانه لا طائل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له (ياليتها كانت القاضية) تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة أى ما أحيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده أكره منه اليه أى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من الموت (ما أغنى عنى ماليه) أى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيا (هلك عنى سلطانيه) أى ضلت عنى حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا (خذوه) أى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه (فغلوه) أى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى الدنيا (ثم فى سلسلة) وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة (ذرعها) أى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها (سبعون ذراعا) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله أعلم أى ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رضاضة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت فى رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرضاض الحصباء الصغار وقوله مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو أشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله تعالى (فاسلكوه) أى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره

فيها قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك فيدخل فى دبره ويخرج من منخره وقيل يدخل فى فيه ويخرج من دبره وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله أعلم أى ذراع هو أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكيسانى أنا عبد الله بن محمود ثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبى السمح عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رضاضة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة

التي ذكرها الله في القرآن لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وعن كعب قال لو جمع حديد الدنيا وزن حلقة منها (انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب ينفعه ويشفع له (ولا طعام الا من غسلين) وهو صديد أهل النار ما خوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم قال الضحاك والربيع هو شجر يأكله أهل النار (لا يأكله الا الخاطئون) أي الكافرون (فلا أقسم) لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس كما يقول المشركون أقسم (بما تبصرون ومالا تبصرون) أي بما ترون وبما لا ترون قال قتادة أقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل أقسم بالدنيا والآخرة وقيل ما تبصرون ما على وجه الارض ومالا تبصرون ما في بطنها وقيل ما تبصرون من الاجسام ومالا تبصرون من الارواح وقيل ما تبصرون الانس ومالا تبصرون الملائكة والجن وقيل النعم الظاهرة والباطنة وقيل ما تبصرون ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم ومالا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدا (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) أي تلاوة رسول كريم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يؤمنون ويذكرون بالياء فيهما وقرأ الآخرون بالتاء وأراد بالقليل نفي ايمانهم أصلا كقولك لمن لا يزورك بالقوة قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا (تنزيل من رب العالمين ولو تقول) تخرص واختلق (علينا) محمد (بعض الاقاويل) وأتى بشئ من عند نفسه (لاخذنا منه باليمين) قيل من صلة مجازه لاخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق كقوله كنتم تأتوننا عن اليمين أي من قبل الحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

(انه كان لا يؤمن بالله العظيم) أي لا يصدق بوحدانية الله وعظمته (ولا يحض على طعام المسكين) أي ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن في هذه الآية أدركت أقواما يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يامر أهله بتكثير المرقة لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الثاني بالاطعام (فليس له اليوم ههنا حميم) أي ليس له في الآخرة قريب ينفعه أو يشفع له (ولا طعام الا من غسلين) يعني صديد أهل النار ما خوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله أهل النار (لا يأكله الا الخاطئون) أي الكافرون * قوله عز وجل (فلا أقسم) قيل ان لا صلة والمعنى أقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى أقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا أقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم * وقوله (بما تبصرون ومالا تبصرون) يعني بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون ومالا تشاهدون أقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل أقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض ومالا تبصرون أي ما في بطنها وقيل بما تبصرون يعني الاجسام ومالا تبصرون يعني الارواح وقيل بما تبصرون يعني الانس ومالا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة ومالا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما أظهره الله من مكنون غيبه للملائكته واللوح والقلم وجميع خلقه ومالا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول أصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم * فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم أهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول * قلت أما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به وأما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما أوحى اليه ولهذا أكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما أراد أنه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفي الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله تعالى * وقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) يعني ان هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه (قليلا ما تؤمنون) أراد بالقليل عدم ايمانهم أصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن) أي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليلا ما تذكرون) يعني لا تتذكرون البتة (تنزيل) أي هو تنزيل يعني القرآن (من رب العالمين) وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال * قوله تعالى (ولو تقول علينا) أي اختلق علينا محمد (بعض الاقاويل) يعني أتى بشئ من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوجه اليه (لاخذنا منه باليمين) أي لاخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين أي بالحق قال ابن عباس لاخذناه

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوّة عبر عن القوّة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه وقيل معناه لاخذنا بيده اليمنى وهو مثل معناه لاذللناه وأهناه كالسلطان اذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فأقمه (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس أى نياط القلب وهو قول أكثر المفسرين وقال مجاهد الحبل الذى فى الظهر وقيل هو عرق يجرى فى الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلف الكذب لاجلكم مع علمه بانه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بالجمع وهو وصف أحد رداعلى معناه كقوله لا نفرق بين أحد من رسله (وانه) يعنى القرآن (لتذكرة للمتقين) أى لعظة لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين) يوم القيامة يندمون على ترك الايمان به (وانه لحق اليقين) أضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين (فسبح باسم ربك العظيم)

﴿ سورة المعارج مكية أربع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (سأل سائل) قرأ أهل المدينة والشام سال بغير همز وقرأ الآخرون بالهمز فمن همز فهو من السؤال ومن قرأ بغير همز قيل هو لغة فى السؤال يقال سال يسال مثل خاف يخاف يعنى سأل يسأل خفف الهمزة وجعلها ألفا وقيل هو من السيل وسال واد من أودية جهنم يروى ذلك عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم والاول أصح واختلفوا فى الباء فى قوله (بعذاب) قيل هى بمعنى عن كقوله فاسئل به خبيرا أى عنه خبيرا ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب (واقع) نازل كائن على من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله مبينا مجيبا لذلك السائل (للكافرين) وذلك ان أهل مكة لما خوّفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فانزل الله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أى هو للكافرين هذا قول الحسن وقتادة وقيل الباء صلة ومعنى الآية دعا داع وسأل سائل عذابا واقعا للكافرين أى على الكافرين اللام بمعنى على وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرا وهذا قول ابن عباس ومجاهد (ليس له دافع)

بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوّة فعبر عن القوّة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين أى سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذللناه وأهناه كفعل السلطان بمن يريد ان يهينه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه أشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعنى نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجرى فى الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يردانا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقوّل علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما أن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما أن نميته (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد رداعلى معناه (وانه) يعنى القرآن وذلك انه لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى (لتذكرة) أى لعظة (للمتقين) أى لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) فيه وعيد لمن كذب بالقرآن (وانه) يعنى القرآن (لحسرة على الكافرين) يعنى يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه انه حق معين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أى نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك أهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج مكية ﴾

وهى أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة فى السؤال والثانى انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن أى عن عذاب (واقع) أى نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافرين) وذلك ان أهل مكة لما خوّفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فانزل الله تعالى سال سائل بعذاب واقع للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسال العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سال فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) أى ان

من الله) أي بعذاب من الله (ذي المعارج) قال ابن عباس أي ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقال سعيد بن جبير ذي الدرجات وقال قتادة ذي الفواضل والنعم ومعارج الملائكة (تعرج الملائكة) قرأ الكسائي يعرج بالياء وهي قراءة ابن مسعود وقرأ الآخرون تعرج بالتاء (والروح) يعني جبريل عليه السلام (اليه) أي الى الله عز وجل (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة الى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة وروى ليث عن مجاهد ان مقدار هذا خمسين ألف سنة وقال

العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة لان العذاب واقع بهم في الآخرة لا يدفعه عنهم دافع (من الله) أي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذي المعارج) قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة فيها وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام وانما أفرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التخويف والتهويل أفرد الروح بالذكر وهذا يقتضي ان الروح أعظم الملائكة (اليه) أي الى الله عز وجل (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أي من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة الى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة أو أقل من ذلك وذكر ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا وليس يعني ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعا وهذا الطول في حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقيل معناه سال سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفيه تقديم وتاخير (فاصبر) أي يا محمد على تكذيبهم اياك (صبرا جميلا) أي لا جزع فيه وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (انهم يرونه) أي العذاب (بعيدا) أي غير كائن (ونراه قريبا) أي كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه (يوم تكون السماء

محمد بن اسحق لو سار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقال عكرمة وقتادة هو يوم القيامة وقال الحسن أيضا هو يوم القيامة وأراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا ليس يعني به ان مقدار طوله هذا دون غيره لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود ولو كان له آخر لكان منقطعا وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة أخبرنا أبو الفرج المظفر ابن اسمعيل التيمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا عبد الله بن سعيد ثنا أسد بن موسى ثنا ابن لهيعة عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها (كالمهل)

في الدنيا وقيل معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل وقال عطاء ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وروى محمد بن الفضل عن الكلبي قال يقول لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منها في ساعة من النهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وفيه تقديم وتاخير كأنه قال ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح اليه (فاصبر صبرا جميلا) يا محمد على تكذيبهم وهذا قبل ان يؤمر بالقتال (انهم يرونه بعيدا) يعني العذاب (ونراه قريبا) لان ما هو آت قريب وهو يوم القيامة (يوم تكون السماء

كالمهل) كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة اذا أذيبت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ولا يقال عهن الا للمصبوغ وقال مقاتل كالصوف المنفوش وقال الحسن كالصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) قرأ البزى عن ابن كثير لا يسئل بضم الياء أى لا يسئل حميم عن حميم أى لا يقال له أين حميمك وقرأ الآخرون بفتح الياء أى لا يسئل قريب قريبا لشغله بشأن نفسه (يبصرونهم) يرونهم وليس فى القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسأله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه قال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده وقيل يبصرونهم يعرفونهم أى يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه وقال السدى يعرفونهم أما المؤمن فبياض وجهه وأما الكافر فبسواد وجهه (يود المجرم) يتمنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته) زوجته (وأخيه وفصيلته) عشيرته التى فصل منهم وقال مجاهد قبيلته وقال غيره أقربائه الاقربين (التى تؤويه) أى تضمه (١٢٥) ويأوى اليها (ومن فى الارض جميعا)

كالمهل) أى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) أى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات ألوان أحمر وأبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) أى لا يسأل قريب قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى لا يسال الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله الشفاعة أو لا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله فى الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) أى يرونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن أو انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم أى يعرفونهم أما المؤمن فيعرف ببياض وجهه وأما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) أى يتمنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ) أى عذاب يوم القيامة (ببنيه وصاحبته) أى زوجته (وأخيه وفصيلته) أى عشيرته وقيل قبيلته وقيل أقربائه الاقربين (التى تؤويه) أى تضمه و يأوى اليها (ومن فى الارض جميعا) يعنى انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيه) أى ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) أى لا ينجيه من عذاب الله شئ ثم ابتدأ فقال تعالى (انها لظى) يعنى النار ولظى اسم من أسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى أى تلتهب (نزاعة للشوى) يعنى الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى أن النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تاكله فذلك دأبها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه (تدعو) يعنى النار الى نفسها (من أدبر) أى عن الايمان (وتولى) أى عن الحق فتقول له الى يا مشرك الى يا منافق الى الى قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو أى تعذب قال اعرابى لآخر دعاك الله أى عذبك الله (وجمع فاوعى) يعنى وتدعو من جمع المال فى الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هلوعا) قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا

يود لو يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيه) ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) لا ينجيه من عذاب الله شئ ثم ابتدأ فقال (انها لظى) وهى اسم من أسماء جهنم وقيل هى الدركة الثانية سميت بذلك لانها تتلظى أى تلتهب (نزاعة للشوى) قرأ حفص عن عاصم نزاعة نصب على الحال والقطع وقرأ الآخرون بالرفع أى هى نزاعة للشوى وهى الاطراف اليدان والرجلان والاطراف وقال مجاهد لجلود الرأس وروى ابراهيم ابن المهاجر عنه اللحم دون العظام قال مقاتل تنزع النار الاطراف فلا تترك لحما ولا جلدا وقال الضحاك تنزع الجلد واللحم عن العظام قال سعيد بن جبير عن ابن عباس للعصب والعقب وقال الكلبى لام الرأس تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تعود لا كله فتاكله فذلك دأبها وقال قتادة لمكارم خلقه وأطرافه وقال أبو العالية لمحاسن وجهه وقال ابن جرير الشوى جوارح الانسان ما لم يكن مقتلا يقال رمى فاشوى اذا أصاب الاطراف ولم يصب المقتل (تدعو) النار الى نفسها (من أدبر) عن الايمان (وتولى) عن الحق فتقول الى يا مشرك الى يا منافق الى الى قال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب حكى عن الخليل أنه قال تدعو أى تعذب وقال قال أعرابى لآخر دعاك الله أى عذبك الله (وجمع) أى جمع المال (فاوعى) أمسكه فى الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هلوعا) روى السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال الهلوع الحريص على ما لا يحل له وقال سعيد بن جبير شحيحا وقال عكرمة ضجورا وقال الضحاك والحسن بخيلا وقال قتادة جزوعا وقال مقاتل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال عطية عن ابن عباس تفسيره ما بعده وقوله

(اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعنى اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره ثم استثنى فقال (الا المصلين) استثنى الجمع من الواحد لان الانسان فى معنى الجمع (الذين هم على صلوتهم دائمون) (١٢٦) يقيمونها فى أوقاتها يعنى الفرائض أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحرث أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن أبى لهيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن أبا الخير أخبره قال سألنا عقبة ابن عامر عن قول الله تعالى الذين هم على صلوتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنهم اذا صلوا لم يلتفتوا عن يمينهم ولا عن شمائلهم ولا خلفهم (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون) قرأ حفص عن عاصم ويعقوب بشهاداتهم على الجمع وقرأ الآخرون بشهادتهم على التوحيد قائمون أى يقومون فيها بالحق ولا يكتمونها ولا يغيرونها (والذين هم على صلوتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون) قوله عز وجل (فمال الذين كفروا) أى فما بال الذين كفروا كقوله فما لهم عن التذكرة معرضين (قبلك مهطعين) مسرعين مقبلين اليك ما دى أعناقهم ومديمى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت فى جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه و يستهزؤن به و يكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك و يجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون

وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعنى اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره قيل أراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى (الا المصلين) وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع (الذين هم على صلوتهم دائمون) يعنى يقيمونها فى أوقاتها وهى الفرائض * فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون * قلت معنى ادامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها وأن لا يتركوها فى شئ من الاوقات وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو أن يأتى بها العبد على أكمل الوجوه وهذا انما يحصل بأمور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل وأما الامور المقارنة للصلاة فهى أن لا يلتفت فى الصلاة يمينا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب فى جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها وأما الامور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترز عن الرياء والسمعة وخوف أن لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى فى سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى أحوالها وهيآتها وروى البغوى بسنده عن أبى الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلوتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه (والذين فى أموالهم حق معلوم) يعنى الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هى صدقة التطوع وذلك بأن يوظف الرجل على نفسه شيأ من الصدقة يخرجه على سبيل الندب فى أوقات معلومة (للسائل) يعنى الذى يسأل (والمحروم) يعنى الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) يعنى ان الانسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغى ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغى بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغى أن يكون العبد بين الخوف والرجاء * وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره فى سورة المؤمنين * قوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا أنه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفى تركها تموت وتضيع وقيل أراد بالشهادة الشهادة له بأن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها (والذين هم على صلوتهم يحافظون) ثم ذكر ما أعده لهم فقال تعالى (أولئك) يعنى من هذه صفته (فى جنات مكرمون) * قوله تعالى (فمال الذين كفروا) أى فما بالهم (قبلك مهطعين) أى مسرعين مقبلين اليك ما دى أعناقهم ومديمى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت فى جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه و يستهزؤن به و يكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك و يجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون منك

(عن اليمين وعن الشمال عزين) حلقا وفرقا والعزون جماعات فى تفرقة واحدتها عزة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتى كما يدخلها المسلمون و يتنعم فيها وقد كذب نبيى (كلا) لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال (انا خلقناهم مما يعلمون) أى من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وانما يتفاضلون و يستوجبون الجنة بالايمان والطاعة

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحى أنا أحمد بن ابراهيم الثعلبى اخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى بن محمد بن على ثنا جعفر بن محمد الفريابى ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثنا جرير بن عثمان الرحبى عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال قال النبى صلى الله عليه وسلم و بصق يوما فى كفه ووضع عليها أصبعه فقال يقول الله عز وجل ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك

(عن اليمين وعن الشمال عزين) يعنى انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات فى تفرقة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنة نعيم كما يدخلها المسلمون و يتنعمون وقد كذبوا نبيى (كلا) أى لا يدخلها ثم ابتدأ فقال تعالى (انا خلقناهم مما يعلمون) اى من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وشئ واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة و يستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوى باسناد الثعلبى عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و بصق يوما فى كفه ووضع عليها أصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وأخرجه ابن الجوزى فى تفسيره بلا اسناد وقيل فى معنى الآية انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الامر والنهى والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون و يعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا أقسم) يعنى وأقسم وقد تقدم بيانه (برب المشارق والمغارب) يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعنى مشرق كل نجم ومغربه (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) أى بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بمن هو خير منكم (فذرهم يخوضوا) أى فى أباطيلهم (و يلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال ثم فسر ذلك فقال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث) يعنى القبور (سراعا) اى الى اجابة الداعى (كأنهم الى نصب) يعنى الى شئ منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها (يوفضون) أى يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعى مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها (خاشعة أبصارهم) أى ذليلة خاضعة (ترهقهم ذلة) أى يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعنى يوم القيامة الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية ﴾

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وأربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك) اى بأن خوف قومك وحذرهم (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) يعنى الغرق بالطوفان والمعنى انا أرسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا (قال يا قوم انى لكم نذير مبين) اى أنذركم وأبين لكم (أن اعبدوا الله) اى وحدوه ولا تشركوا به شيأ (واتقوه) اى وخافوه بأن تحفظوا أنفسكم مما يؤثمكم (وأطيعون) اى فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه (يغفر لكم من ذنوبكم) اى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان

من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقيل معناه انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الامر والنهى والثواب والعقاب وقيل ما بمعنى من مجازه انا خلقناهم ممن يعلمون و يعقلون لا كالبهائم (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (و يلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال (يوم يخرجون من الاجداث) أى القبور (سراعا) الى اجابة الداعى (كأنهم الى نصب) قرأ ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد يعنون الى شئ منصوب يقال فلان نصب عينى وقال الكلبى الى علم وراية ومن قرأ بالضم قال مقاتل والكسائى يعنى الى أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال الحسن يسرعون اليها أيهم يستلمها أولا (يوفضون) أى يسرعون (خاشعة) ذليلة خاضعة (أبصارهم ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعنى يوم القيامة

﴿ سورة نوح مكية وهى ثمان وعشرون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك) أى بان أنذر قومك (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) المعنى انا أرسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا (قال يا قوم انى لكم نذير مبين) أنذركم وأبين لكم (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم) من صلة أى يغفر لكم ذنوبكم وقيل يعنى ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض ذنوبهم

(و يؤخركم الى أجل مسمى) اى يما فيكم الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم (ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان أجل الله اذا جاء لا يؤخر ولا يمكنكم الايمان (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا) نفارا وادبارا عن الايمان (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا دعوتى (واستغشوا ثيابهم) غطوا بها وجوههم لئلا يرونى (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) عن الايمان بك (استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا) معناه بالدعاء قال ابن عباس بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم) اى كررت الدعاء معلنا (وأسررت لهم اسرارا) قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرا بينى و بينه أدعوه الى عبادتك وتوحيدك (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أولادهم وأموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك اى استدعوا المغفرة بالتوحيد يرسل السماء عليكم مدرارا وروى مطرف عن الشعبى ان عمر رضى الله تعالى عنه خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجادح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية وقوله (و يمددكم بأموال و بنين) قال عطاء لا يكثر أموالكم وأولادكم (و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهارا مالكم لا ترجون لله وقارا) قال ابن عباس ومجاهد لا ترون لله عظمة وقال سعيد بن جبير مالكم لا تعظمون الله حق عظمته وقال الكلبى لا تخافون الله حق عظمته والرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم قال الحسن لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة قال ابن كيسان مالكم لا ترجون فى عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم اياه خيرا

وذلك بعض الذنوب (و يؤخركم الى أجل مسمى) أى الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم (ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان أجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشرى ان قلت كيف قال و يؤخركم مع الاخبار بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض * قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضرب له أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم أخبر انه اذا جاء ذلك الاجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان (قال) يعنى نوحا عليه الصلاة والسلام (رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا) أى نفارا وادبارا عن الايمان (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم) اى ليؤمنوا بك فتغفر لهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا دعوتى (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرونى (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) عن الايمان بك (استكبارا) أى تكبرا عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا) أى معلنا قال ابن عباس بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم) أى كررت لهم الدعاء معلنا (وأسررت لهم اسرارا) قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرا بينى و بينه أدعوه الى عبادتك وتوحيدك (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم أى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وأن الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه فى الدنيا وروى الشعبى ان عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجادح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية قوله بمجادح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان أكثر الناس ذنوبا أقلهم استغفارا وأكثرهم استغفارا أقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم أى يرسل ماء السماء وذلك لان ماء المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل أراد بالسماء السحاب وقيل أراد بالسماء المطر من قول الشاعر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

يعنى المطر مدرارا أى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا أى متتابعا (و يمددكم بأموال و بنين) أى يكثر أموالكم وأولادكم (و يجعل لكم جنات) أى البساتين (و يجعل لكم أنهارا) وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه (مالكم لا ترجون لله وقارا) قال ابن عباس أى لا ترون لله عظمة وقيل معناه

(وقد خلقكم أطوارا) تارات حالات بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما يقال أتيت بني تميم وانما أتى بعضهم وفلان متوار في دور بني فلان وهو في دار واحدة وقال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس ونور القمر فيهن وأقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس (وجعل الشمس سراجا) مصباحا مضيئا (والله أنبتكم من الارض نباتا) أراد مبدأ خلق أبي البشر آدم خلقه من الارض والناس ولده قوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر أي نباتا قال الخليل مجازه فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) منها يوم البعث أحياء (اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا) فرشها وبسطها لكم (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) طرقا واسعة (قال نوح رب انهم عصوني) يعني لم يجيبوا دعوتي (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين هم لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) اي كبيرا عظيما يقال كبير وكبار بالتخفيف وكبار بالتشديد شدد للمبالغة وكلها بمعنى واحد كما يقال أمر عجيب وعجاب وعجاب وبالتشديد أشد في المبالغة واختلفوا في مكرهم قال ابن عباس قالوا قولا عظيما قال الضحاك افتروا على الله وكذبوا رسله وقيل منع الرؤساء اتباعهم عن الايمان بنوح وحرشوهم على قتله (وقالوا) لهم (لا تذرن آلهتكم) اي عبادتها (ولا تذرن ودا) قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها (ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء آلهتهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم

لا تخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه مالكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه مالكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا (وقد خلقكم أطوارا) يعني تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم أصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعني في سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بني تميم وانما أتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا وأقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس أيضا (والله أنبتكم من الارض نباتا) أراد مبدأ خلق آدم وأصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر أي انباتا وقيل تقديره أنبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو قال أنبتكم انباتا كان المعنى أنبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم نباتا عجيبا وهذا الثاني أولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) أي في الارض بعد الموت (ويخرجكم) أي منها يوم البعث (اخراجا) يعني اخراجا حقا لا محالة (والله جعل لكم الارض بساطا) أي فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أي طرقا واسعة * قوله تعالى (قال نوح رب انهم عصوني) أي لم يجيبوا دعوتي (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) يعني كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا بالتشديد والتخفيف والتشديد أشد وأعظم في المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على أذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله (وقالوا) يعني القادة للاتباع (لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركن عبادتها (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء آلهتهم وانما أفردها بالذكر وان كانت داخلة في جملة قوله لا تذرن آلهتكم لانهم

مأخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق الى العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب بعده أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ

العلم عبدت وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة لقديد واساف ونائلة وهبل لاهل مكة (وقد أضلوا كثيرا) أى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس كقوله عز وجل رب انهن أضللن كثيرا من الناس وقال مقاتل أضل كبراؤهم كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) هذا دعاء عليهم بعد ما أعلم الله نوحا انهم لا يؤمنون وهو قوله أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (مما خطيئاتهم) أى من خطيئاتهم وما صلة وقرأ أبو عمرو خطاياهم وكلاهما جمع خطيئة (أغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) قال الضحاك هى فى حالة واحدة فى الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب وقال مقاتل فادخلوا نارا فى الآخرة (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) أحدا يدور فى الارض فيذهب ويجىء من الدوران وقال القتيبى ان أصله من الدار أى نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس والكلبى ومقاتل كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول احذر هذا فانه كذاب وان أبى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم انما قال نوح هذا حين أخبر الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة وقيل سبعين سنة وأخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاءه وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبى وقت العذاب لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال (رب اغفر لى

كانت لهم أصنام هذه الخمسة المذكورة هى أعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان أتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم فى العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك أنشط لكم وأشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبا وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس فى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب أنفسهم بعبدود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء (وقد أضلوا كثيرا) أى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل أضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) يعنى ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم * فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة أن يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه * قلت انما دعا عليهم بعد ان أعلمه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انما أراد بالضلال فى أمر الدنيا وما يتعلق بها لا فى أمر الآخرة (مما خطاياهم أغرقوا) أى بالطوفان (فادخلوا نارا) أى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى أغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول أصح (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يعنى أحدا يدور فى الارض فيذهب ويجىء من الدوران وقيل أصله من الدار أى نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان أبى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) انما قال نوح هذا حين أخبر الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة وقيل سبعين سنة وأخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاءه وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبى وقت العذاب لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال (رب اغفر لى

يحتمل

يحتمل انه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس أولانه ترك الاحتمال (ولوالدى) وكان اسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم أمه سمخاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء (ولمن دخل بيتى مؤمنا) أى دارى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (وللمؤمنين والمؤمنات) وهذا عام فى كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها أولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم أحق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ فى الدعاء (ولا تزد الظالمين الا تبارا) أى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعا والله أعلم

﴿ تفسير سورة الجن ﴾

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن) اختلف الناس قديما وحديثا فى ثبوت وجود الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية الا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل وهم أتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا فى ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائى يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم الا الله تعالى وقيل انهم أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهى كونهم حاصلون فى الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوى وسفلى ولا يمتنع فى بعض الاجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة لسائر أنواع الاجسام فى الماهية وأن يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة أو شاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية فى تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعرى وجمهور أتباعه وشذ تأويل المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات وردما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

﴿ فصل ﴾ اختلف الرواة هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه وقد تقدم حديثه فى تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخارى ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شئ قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فنفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن زاد فى رواية وانما أوحى اليه قول الجن أخرجاه فى الصحيحين قال القرطبى فى شرح مسلم فى حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذى حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه وعلى هذا فهو صلى

ولوالدى) واسم أبيه لمك ابن متوشلخ واسم أمه سمحاء بنت أنوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتى) دارى (مؤمنا) وقال الضحاك والكلبى مسجدى وقيل سفينتى (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا عام فى كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل (ولا تزد الظالمين الا تبارا) هلاكا ودمارا فاستجاب الله دعاءه فاهلكهم

﴿ سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن) وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة استمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ذكرنا خبرهم فى سورة الاحقاف

(فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس بليغا أى قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته (يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب من التوحيد والايمان (فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا) قرأ أهل الشام والكوفة غير أبى بكر عن عاصم وأنه تعالى بفتح الهمزة وكذلك ما بعده الى قوله وأنا منا المسلمون وقرأ الآخرون بكسرهن وفتح أبو جعفر منها وانه وهو ما كان مردودا على الوحى وكسر ما كان حكاية عن الجن والاختيار كسر الكل لانه من قول الجن لقومهم فهو معطوف على قوله فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقالوا وأنه تعالى ومن فتح رد على قوله فآمنا به وآمنا بكل ذلك ففتح ان لوقوع الايمان عليه جد ربنا جلال ربنا وعظمته قاله مجاهد وعكرمة وقتادة يقال جد الرجل أى عظم ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم قدره وقال السدى جد ربنا أى أمر ربنا وقال الحسن غنى ربنا ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود قال ابن عباس قدرة ربنا وقال الضحاك فعله وقال القرظى آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقال الاخفش علا ملك ربنا (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) قيل تعالى جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبة وولدا (وأنه كان يقول سفيهنا) جاهلنا وقال مجاهد وقتادة هو ابليس (على الله شططا) كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد (وأنا ظننا) حسبنا (أن لن تقول الانس والجن) قرأ يعقوب تقول بفتح الواو وتشديدها (على الله كذبا) أى كنا نظنهم صادقين فى قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن قال الله (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب فى الجاهلية كان اذا سافر فامسى فى أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى أمن وجوار منهم حتى يصبح

الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما أعلمه الله عز وجل بما أوحى اليه من قوله قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم وأن النبى صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضى أن الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى أنه كان قبل مبعثه وآخرون الى أنه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبى والله أعلم عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها فى كل سنة مرة فى الجاهلية وأول الاسلام وتهامة كل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة وادمن أودية مكة قريب منها وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل أوحى الى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما أنه مبعوث الى الانس فهو أيضا مبعوث الى الجن لتعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم (فقالوا) أى لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضى الله عنهما بليغا أى ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدى الى الرشد) أى يدعو الى الصواب يعنى التوحيد والايمان (فآمنا به) أى بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) أى ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وأنه تعالى جد ربنا) أى جلال ربنا وعظمته ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل أمر ربنا وقيل فعله وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أى انه تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص (وأنه كان يقول سفيهنا) يعنى جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) أى كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد أو الشطط هو مجاوزة الحد فى كل شئ (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أى كنا نظن أن الانس والجن صادقون فى قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله فى ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله * قوله تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب فى الجاهلية كان اذا سافر فامسى فى أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادى

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا ابن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن اسحق المروزى ثنا موسى بن سعيد بن النعمان بن بطرسوس ثنا فروة بن أبى المغراء الكندى ثنا القاسم بن مالك عن عبد الرحمن بن اسحق عن أبيه عن كردم بن أبى السائب الانصارى قال خرجت مع أبى الى المدينة فى حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال يا عامر الوادى جارك فنادى منادا لا نراه يقول يا سرحان أرسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

(فزادوهم) يعني زاد الانس والجن باستعاذتهم بقادتهم (رهقا) قال ابن عباس اثما وقال مجاهد طغيانا وقال مقاتل غيا قال الحسن شرا قال ابراهيم عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا يقولون سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وأنهم ظنوا) يقول الله تعالى ان الجن ظنوا (كما ظننتم) يا معشر الكفار من الانس (أن لن يبعث الله أحدا) بعد موته (وأنا) يقول الجن (لمسنا السماء) قال الكلبي السماء الدنيا (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) من الملائكة (وشهبا) من النجوم (وأنا كنا نقعد منها) من السماء (مقاعد للسمع) أي كنا نستمع (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أرصد له ليرمى به قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك أصلا ثم قالوا (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض) برمي الشهب (أم أراد بهم ربهم رشدا وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) دون الصالحين (كنا طرائق قددا) أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشئ يقال صار القوم قددا اذا اختلفت حالاتهم وأصلها من القد وهو القطع قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وقال الحسن والسدي الجن أمثالكم فيهم قدرية ومرجئة ورافضة وقال ابن كيسان شيعا وفرقا

من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى منادلا نراه بأسرحان ارسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمته فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن (فزادوهم رهقا) وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وأنهم ظنوا) يعني الجن (كما ظننتم) أي يا معشر الكفار من الانس (أن لن يبعث الله أحدا) يعني بعد الموت (وأنا) يعني يقول الجن وانا (لمسنا السماء) أي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام أهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعني من الملائكة (شديدا وشهبا) أي من النجوم (وأنا كنا نقعد منها) أي من السماء (مقاعد للسمع) يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي أرصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من أمر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فأخبروه فقال هذا الحدث في الارض أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاسترق بالكلية (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض) أي برمي الشهب (أم أراد بهم ربهم رشدا) ومعنى الآية لا ندري هل المقصود من المنع من الاسترق هو شر أريد بأهل الارض أم أريد بهم صلاح وخير (وأنا منا الصالحون) أي المؤمنون المخلصون (ومنا دون ذلك) أي دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشئ قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا أي سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وأنا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي علمنا وأيقنا (أن لن نعجز الله في الارض) أي لن نفوته ان أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) أي ان طلبنا فلن نعجزه أينما كنا (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) أي لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أي نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه (وأنا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ومنا

لكل فرقة هوى كاهواء الناس وقال سعيد بن جبير ألوانا شتى وقال أبو عبيدة أصنافا (وأنا ظننا) علمنا وأيقنا (أن لن نعجز الله في الارض) أي لن نفوته ان أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) ان طلبنا (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن وما أتى به محمد (آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) ظلما وقيل مكروها يغشاه (وأنا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ومنا

القاسطون) الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس الذين جعلوا لله ندا يقال أقسط الرجل اذا عدل فهو مقسط وقسط اذا جار فهو قاسط (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق الحق وتوخوه (وأما القاسطون) الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) كانوا وقود النار يوم القيامة ثم رجع الى كفار مكة فقال (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فى تأويلها فقال قوم لو استقاموا على طريقة الحق والايمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين (لاسقيناهم ماء غدقا) كثيرا قال مقاتل وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين وقالوا معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا وأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله فى المطر كما قال ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم الآية وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء الآية وقوله تعالى (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبى رباح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن وقال آخرون معناها وأن لو استقاموا على

طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبى وابن كيسان كما قال الله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ الآية (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه) قرأ أهل الكوفة ويعقوب يسلكه بالياء وقرأ الآخرون بالنون أى ندخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا والمعنى ذا صعد أى ذا مشقة قال قتادة لا راحة فيه وقال مقاتل لا فرج فيه قال الحسن لا يزداد الا شدة والاصل فيه ان الصعود يشق على الانسان (وأن المساجد لله) يعنى المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله (فلا تدعوا مع الله أحدا) قال قتادة كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فامر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد وأرادبها المساجد كلها وقال الحسن أرادبها البقاع كلها لان الارض جعلت كلها مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير قالت الجن للنبى صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن فنزلت وأن المساجد لله وروى عن سعيد بن جبير أيضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التى يسجد عليها الانسان وهى سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان يقول هذه الاعضاء التى يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا على ابن الحسن الهلالى والسرى بن خزيمة قالا ثنا يعلى بن أسد ثنا وهيب عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة وأشار بيده اليها واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا أكف الثوب ولا الشعر فان جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها مسجد بكسر الجيم وان جعلتها الاعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم

القاسطون) أى الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله أندادا (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق الله وتوخوه (وأما القاسطون) يعنى الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) يعنى وقودا للنار يوم القيامة * فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمنى الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم * قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد * فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها * قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر أن يعذب النار بالنار * قوله عز وجل (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التى كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا (لاسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وأن لو استقاموا يعنى كفار مكة على الطريقة يعنى على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعنى كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا ولاعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه أى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل فى معنى الآية لو استقاموا أى ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الاول أصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهى طريقة الهدى والقول بان الآية فى الانس أولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر (ومن يعرض عن ذكر ربه) أى عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (نسلكه) أى ندخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة * قوله تعالى (وأن المساجد لله) يعنى المواضع التى بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التى لليهود والنصارى (فلا تدعوا مع الله أحدا) قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله

(وأنه) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة وقرأ الباقون بفتحها (لما قام عبد الله) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعني يعبده ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن (كادوا) يعني الجن (يكونون عليه لبدا) أي يركب بعضهم بعضا ويزدحمون حرصا على استماع القرآن هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير عنه هذا من قول النفر الذين رجعوا الى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واقتدائهم به في الصلاة وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفؤا نور الله فأبى الله الا أن يتم نوره ويتم هذا الامر وينصره على من ناواه وقرأ هشام عن ابن عامر لبدا بضم اللام وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبد الشعر اذا تراكم (قل انما أدعو ربي) قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة قل على الامر وقرأ الآخرون قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أدعو ربي قال مقاتل وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم انما أدعو ربي (ولا أشرك به أحدا قل اني لا أملك لكم ضرا) لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا (ولا رشدا) أي لا أسوق لكم أو اليكم رشدا أي خيرا يعني ان الله يملكه (قل اني لن يجيرني من الله أحد) لن يمنعني منه أحد ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملجا أميل اليه ومعنى الملتحد أي المائل قال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب (الا بلاغا من الله ورسالاته)

بالله فيها فأمر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل أراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وأن المساجد لله وروي عنه أيضا أن المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره (م) عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعضاء وأن لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء على الجبهة وأشار بيده الى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر كف شعره عقصه وغرز طرفه في أعلى الضفيرة وقد نهي عن ذلك * قوله عز وجل (وأنه لما قام عبد الله) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة (كادوا) يعني الجن (يكونون عليه لبدا) يعني يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه أيضا أنه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فأخبروهم عن طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفؤا نور الله فأبى الله الا أن يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه وأصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض (قال) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ على الامر (انما أدعو ربي) وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما أدعو ربي (ولا أشرك به أحدا قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي لا أقدر على أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى (قل اني لن يجيرني من الله أحد) أي لن يمنعني منه أحد ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ ألجأ اليه وقيل حرزا أحترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب أدخل فيه (الا بلاغا من الله ورسالاته) أي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا عن الله عز وجل فانما أنا مرسل لا أملك الا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) يعني ولم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون) يعني العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) أي عند نزول العذاب (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون (قل ان أدري) أي ما أدري (أقريب ما توعدون) يعني العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربي أمدا)

ففيه الجوار والامن والنجاة قاله الحسن قال مقاتل ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقال قتادة الا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه وقيل لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا من الله فانما أنا مرسل به لا املك الا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) ولم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون) يعني العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) عند نزول العذاب (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون (قل ان أدري) أي ما أدري (أقريب ما توعدون) من العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربي أمدا) أجلا وغاية تطول مدتها يعني ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله

يقرن بينهن فذكر عشر بن سورة من المفصل كل سورتين فى ركعة أخبرنا ابو جعفر احمد بن أبى احمد منويه أنا الشريف ابو القاسم على بن محمد بن على الحسينى الحرانى فيما كتبه الىّ انا أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى انا ابو بكر عبد الله بن محمد بن حميد الواسطى ثنا زيد بن اجروم ثنا محمد بن الفضل ثنا سعيد بن زيد عن أبى حمزة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله يعنى ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة اخبرنا ابو جعفر احمد بن أبى أحمد بن منويه انا الشريف ابو القاسم على بن محمد بن على الحسينى الحرانى فيما كتب الى (١٣٨) ثنا ابو بكر محمد بن الحسين الآجرى ثنا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا الحسين بن الحسن المروزى ثنا ابن المبارك الحنبلى انا ابو بكر محمد بن عبد الله بن ابى توبة انا ابو طاهر محمد بن احمد ابن الحرث انا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم ابن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدى قال بينا نحن نقرأ اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر والاسود والابيض اقرؤا القرآن قبل أن يأتى أقوام يقرؤنه يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه اخبرنا ابو عثمان الضبى انا ابو محمد الجراحى ثنا ابو العباس المحبوبى ثنا ابو عيسى الترمذى ثنا ابو بكر محمد بن نافع البصرى ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن اسمعيل بن مسلم العبدى عن أبى المتوكل الناجى عن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه وسلم قال بآية من القرآن ليلة ورواه أبو ذر قال قام النبى صلى الله عليه وسلم حتى أصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) قال ابن عباس رضى الله عنهما شديدا قال الحسن ان الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقيل قال قتادة ثقيلا هو والله فرائضه وحدوده قال مقاتل ثقيل لما فيه من الامر والنهى والحدود قال أبو العالية ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين قال الحسين بن الفضل قولا خفيفا على اللسان ثقيلا فى الميزان قال الفراء ثقيلا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل فى الدنيا ثقل فى الموازين يوم القيامة أخبرنا أبو الحسن السرخسى

وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا أثره فى أثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تأكيد فى الامر به وانه لابد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلى من حضور القلب والتأمل والفكر فى حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع فى القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

﴿ فصل ﴾ (خ) عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم عن أم سلمة رضى الله عنها وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائى وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية أبى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته (ق) عن أبى وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال انى لاقرأ المفصل فى ركعة قال عبد الله هذا كهذ الشعر ان أقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ نفع ان أفضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل عن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن أخرجه الترمذى وللنسائى عن أبى ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل لقراءته ولا يتأجله أخرجه أبو داود وزاد غيره فى روايه لا يجاوز تراقيهم عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربى والعجمى فقال اقرؤا فكل حسن وسيجىء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة * قوله تعالى (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا)

أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عني وقد وعيت ماقال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا قوله عزوجل (ان ناشئة الليل) أي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة سميت بذلك لانها تنشأ أي تبدو ومنه نشأت السحابة اذا بدت وكل ماحدث بالليل و بدا فقد نشأ فهو ناشئ والجمع ناشئة وقال ابن أبي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وقال سعيد بن جبير وابن زيد أي ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش القيام يقال نشأ فلان أي قام وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقال ابن كيسان هي القيام من آخر الليل وقال عكرمة هي القيام من أول الليل يروى عن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء و يقول هذه ناشئة الليل وقال الحسن كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل وقال الازهري ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو (هي أشد وطأ) قرأ ابن عامر وأبو عمر وطأ بكسر الواو ممدودا بمعنى المواطاة والموافقة يقال وطات فلانا مواطاة ووطاء اذا وافقته وذلك ان مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار وقرأ الآخرون بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ يقول هي أجدر أن يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ وقيل أثبت للخير وأحفظ للقراءة من النهار وقيل هي أوطأ للقيام وأسهل على المصلي من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل أفرغ للقلب من النهار ولا

قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شئ له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم و يظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا أي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام رب تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين في صحته و بيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحي يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الحارث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عني وقد وعيت ماقال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية كان اذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم أي ينفصل عني و يفارقني وقد وعيت ماقال أي حفظت وقوله ليتفصد عرقا أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة في الالوان غبرة مع سواد * وقوله تعالى (ان ناشئة الليل) أي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن أبي مليكة سالت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهي عبارة عن الامور التي تحدث وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي قيام آخر الليل وقيل أوله وقيل أي ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء و يقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه وقيل ناشئة الليل وطاؤه (هي أشد وطاء) قرئ بكسر الواو مع المد يعني من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل أكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ يقول هي أجدر أن يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ وقيل أثبت للخير وأحفظ للقراءة من النهار وقيل هي أوطأ للقيام وأسهل على المصلي من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل أفرغ للقلب من النهار ولا

المصلي وأثقل من صلاة النهار لان الليل للنوم والراحة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ يقول هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لم يدر متى يستيقظ وقال قتادة أثبت في الخير واحفظ للقراءة وقال الفراء أثبت قياما أي أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار لان النهار خلق لتصرف العباد والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل وقيل أشد نشاطا وقال ابن زيد أفرغ له قلبا من النهار لانه لا تعرض فيه حوائج وقال الحسن أشد وطأ في الخير وأمنع من الشيطان

(وأقوم قيلا) وأصوب قراءة وأصح قولا لهدأة الناس وسكون الاصوات وقال الكلبي أبين قولا بالقرآن وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطا وأتم اخلاصا وأكثر بركة وأبلغ في الثواب (ان لك في النهار سبحا طويلا) أي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك وأشغالك وأصل السبح سرعة الذهاب ومنه السباحة في الماء وقيل سبحا طويلا أي فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل وقرأ يحيى بن يعمر سبخا بالخاء المعجمة أي استراحة وتخفيفا للبدن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على سارق لا تسبخي عنه بدعائك عليه أي لا تخففي (واذكر اسم ربك) بالتوحيد والتعظيم (وتبتل اليه تبتيلا) قال ابن عباس وغيره أخلص اليه اخلاصا قال الحسن اجتهد وقال ابن زيد تفرغ لعبادته وقال سفيان توكل عليه توكلا وقيل انقطع اليه في العبادة انقطاعا وهو الاصل في الباب يقال تبتلت الشيء أي قطعته وصدقة بتلة أي مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها والتبتيل تفعيل منه يقال بتلته فتبتل المعنى بتل اليه نفسك ولذلك قال تبتيلا قال ابن زيد التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله تعالى (رب المشرق والمغرب) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص رب برفع الباء على الابتداء وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قوله واذكر اسم ربك (لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) قيما بأمورك ففوضها اليه (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) نسختها آية القتال (وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا) نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقال مقاتل بن حيان نزلت في المطعمين ببدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر (ان لدينا) بموسى عندنا في الآخرة (أنكالا) قيودا عظاما لا تفك أبدا واحدها نكل قال الكلبي أغلالا من حديد (وجحيما وطعاما ذا غصة) غير سائغة يأخذ بالحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) أي وجيعا (يوم ترجف الارض والجبال) أي تتزلزل وتتحرك (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) رملا سائلا قال الكلبي هو الرمل الذي اذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده يقال أهلت الرمل أهيله هيلا اذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا)

يعرض له في الليل حوائج وموانع مثل النهار وأمنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى (وأقوم قيلا) أي أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه أبين قولا بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل أشد نشاطا وأتم اخلاصا وأبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ في الثواب وأدخل في القبول (ان لك في النهار سبحا طويلا) أي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك واشتغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك أفضل من الليل (واذكر اسم ربك) أي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح (وتبتل اليه تبتيلا) قال ابن عباس أخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شيء سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة قد تبتل أي انقطع عن كل شيء الا من عبادة الله وطاعته * فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجيء على مصدره * قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه في المعنى ويكون التقدير وبتل نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل في تبتل ان يقال تبتلت تبتيلا وتبتلت تبتلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر أولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لا بد منه (رب المشرق والمغرب) يعني ان التبتل والانقطاع لا يليق الا لله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب (لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) أي فوض أمرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ بالمحمد ربك كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء (واصبر على ما يقولون) أي من التكذيب لك والاذى (واهجرهم هجرا جميلا) أي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال (وذرني والمكذبين) أي دعني ومن كذبك لانتهم به فاني أكفيكه (أولي النعمة) أي أصحاب النعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر (ومهلهم قليلا) يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل أردا بالقليل أيام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى (ان لدينا) أي عندنا في الآخرة (أنكالا) يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك أبدا وقيل أغلالا من حديد (وجحيما وطعاما ذا غصة) أي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) أي وجيعا (يوم ترجف الارض والجبال) أي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) يعني رملا سائلا وهو الذي اذا أخذت منه شيئا يتبعك ما بعده (انا أرسلنا اليكم) يعني يا أهل مكة (رسولا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أي بالتبليغ وايمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه أهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى

فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذا وبيلا) شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة تخوف كفار مكة (فكيف تتقون ان كفرتم) أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة اذ كفرتم فى الدنيا يعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم يوم القيامة وقيل معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأى شئ تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه اذا كفرتم (يوما يجعل الولدان شيبا) شمطا من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك ثم وصف هول ذلك اليوم فقال (السماء منفطر به) متشقق لنزول الملائكة به أى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب أى بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) كائنا (ان هذه) أى آيات القرآن (تذكرة) تذكير وموعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالايمان والطاعة (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل (من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) قرأ أهل مكة والكوفة نصفه وثلثه بنصب الفاء والثاء واشباع الهاءين ضما أى وتقوم نصفه وثلثه وقرأ الآخرون بجر الفاء والثاء واشباع الهاءين كسرا عطفا على ثلثى (وطائفة من الذين معك) يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه (والله يقدر الليل والنهار) قال عطاء يريد لا يفوته علم ما تفعلون أى انه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذى تقومون من الليل (علم أن لن تحصوه) قال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه لن تطيقوه وقال مقاتل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال علم أن لن تحصوه لن تطيقوا معرفة ذلك

بموسى وآذاه لانه رباه (فعصى فرعون الرسول فاخذناه) أى فرعون (أخذا وبيلا) أى شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة تخوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم أى فى الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأى شئ تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم فى الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعنى شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعا وتسعين ومنكم واحد ثم قال أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله أن تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز أهل الجنة من أهل النار وأما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهى الاثرة فى باطن عضد الحمار وقوله انى لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة وثلث أهل الجنة وشطر أهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع أهل الجنة أولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهى ان ذلك أوقع فى نفوسهم وأبلغ فى اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث فى قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثانى انه فى القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل فى شدة الامر وهوله يقال فى اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصى الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان أسرع فيه الشيب قال المتنبى

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لا تميز له وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة أيضا وان السماء مع عظمها تنفطر به وتتشقق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تتشقق لنزول الملائكة وقيل به أى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى أى بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) أى كائنا لا محالة فيه ولا خلف (ان هذه) أى آيات القرآن (تذكرة) أى مواعظ يتذكر بها (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالايمان والطاعة * قوله تعالى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل) أى أقل من ثلثى الليل (ونصفه وثلثه) أى تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعنى ان العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذى يقومون من الليل والذى يناموا منه (علم أن لن تحصوه) يعنى أن لن تطيقوا

(فتاب عليكم) فعاد عليكم بالعفو والتخفيف (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) يعني في الصلاة قال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال ان الله عز وجل يقول فاقرؤا ما تيسر منه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان بن صالح ثنا ابن لهيعة حدثني حميد بن مخراق عن أنس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم ابن محمد ثنا مسلم بن الحجاج حدثني القاسم بن زكريا ابن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن مولى بني زهرة عن أبي سلمة عن عبد الله ابن عمرو قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن في كل شهر قال قلت اني أجد قوة قال فاقرأه في عشرين ليلة قال قلت اني أجد قوة قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك قوله عز وجل (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله) يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) لا يطيقون قيام الليل روى ابراهيم عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيأ

معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالى علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) أي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فيه قولان أحدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة وذلك لان القراءة أحد أجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد وا كتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك * القول الثاني ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وأن لا يعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوي باسناده عن أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أو ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاججه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيي الدين في كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم أرد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل شهر مرة قال قلت يا نبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشر قال قلت يا نبي الله اني أطيق افضل من ذلك قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى) يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عز وجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه (وآخرون يضربون في الارض) يعني المسافرين للتجارة (يبتغون من فضل الله) أي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل في النهار بالاعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه أسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله (فاقرؤا ما تيسر منه) أي من القرآن وانما أعاده للتأكيد (وأقيموا الصلوة) يعني المفروضة (وآتوا الزكوة) أي الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها على أحسن وجه من كسب طيب ومن أكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق

(وما

الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله (فاقرؤا ما تيسر منه) أي ما تيسر عليكم من القرآن قال أهل التفسير كان هذا في صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس وذلك قوله (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف

(وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا) تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم (وأعظم أجرا) من الذي أخرتم ولم تقدموه ونصب خيرا وأعظم على المفعول الثاني فان الوجود اذا كان بمعنى الرؤية يتعدى الى مفعولين وهو فصل في قول البصريين وعماد في قول الكوفيين لا محل له في الاعراب أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني أنا أبو نصر أحمد بن علي البخاري بالكوفة أنا أبو القاسم نصر بن أحمد الفقيه بالموصل ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا أبو خيثمة ثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا من أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر

(وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) أي ثوابه وأجره (هو خيرا وأعظم أجرا) يعني ان الذي قدمتم لانفسكم خير من الذي أخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر (واستغفروا الله) أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل (ان الله غفور رحيم) أي لجميع الذنوب والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة المدثر وهي مكية ﴾

قيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف حرف وعشرة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (يا أيها المدثر) (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فرأيت شيأ فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة شديدة (ق) عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلي وذكره وفيه قال أبو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي بعد وتتابع

* فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين أيضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث * قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء ان أول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة وقول من قال ان سورة المدثر أول ما نزل من القرآن على الاطلاق ضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن

(واستغفروا الله) لذنوبكم (ان الله غفور رحيم)

﴿ سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا احدثك الا بما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت أمامي فلم أر شيأ ونظرت من خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فرأيت شيأ فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا قال فدثروني وصبوا علي ماء باردا قال فنزلت يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب سمعت أبا سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فبينا أنا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا حتى هويت الى الارض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فانزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر الى قوله فاهجر قال أبو سلمة والرجز الاوثان ثم حمي الوحي بعد وتتابع قوله عز وجل (يا أيها المدثر

قم فانذر) أي إنذر كفار مكة (وربك فكبر) أي عظمه عما يقوله عبدة الأوثان (وثيابك فطهر) قال قتادة ومجاهد نفسك فطهر من الذنب فكني عن النفس بالثوب وهو قول ابراهيم والضحاك والشعبي والزهري وقال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا على غدر ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

وانى بحمد الله لأثوب فاجر ... لبست ولا من غدرة أتقنع

جابر ويدل عليه أيضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه أيضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وأيضا قوله ثم حمي الوحي بعد وتتابع فالصواب ان أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وان أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بتاء عين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي بعد وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرهما وقوله وصبوا علي ماء فيه انه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله أعلم * وأما التفسير فقوله عز وجل يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل معناه يا أيها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا (قم فأنذر) أي حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته (وربك فكبر) أي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك فطهر) فيه أربعة أوجه أحدها أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثاني أن ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز * أما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فأمر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين * الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب * الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه * الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

وانى بحمد الله لأثوب فاجر ... لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثياب والسبب في ذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره * وقوله تعالى (والرجز فاهجر) يعني اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المأثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال وقتادة والزهري وابن زيد وأبو سلمة المراد بالرجز الاوثان قال فاهجرها ولا تقربها وقيل الزاي فيه منقلبة عن السين (ولا

والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما ودليل هذا التأويل قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وروي عن ابن عباس أن معناه اترك المأثم وقال أبو العالية والربيع الرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية قال الضحاك يعني الشرك وقال الكلبي يعني العذاب ومجاز الاية اهجر ما أوجب لك العذاب من الاعمال

لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء انه طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثياب وقال أبي بن كعب لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وأنت بر طاهر وروى أبو روق عن الضحاك معناه وعملك فاصلح قال السدي يقال للرجل اذا كان صالحا انه لطاهر الثياب واذا كان فاجرا انه لخبيث الثياب وقال سعيد بن جبير وقلبك ونيتك فطهر وقال الحسن والقرظي وخلقك فحسن وقال ابن سيرين وابن زيد أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها وذلك ان المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم وقال طاوس وثيابك فقصر لان تقصير الثياب طهرة لها (والرجز فاهجر) قرأ أبو جعفر وحفص عن عاصم ويعقوب والرجز بضم الراء وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد قال مجاهد وعكرمة

(ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه وهذا قول أكثر المفسرين قال الضحاك ومجاهد كان هذا للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة قال الضحاك هما رباآن حلال وحرام فأما الحلال فالهدايا وأما الحرام فالربا قال قتادة لا تعط شيأ طمعا لمجازاة الدنيا يعنى اعط لربك وأردبه الله وقال الحسن معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره قال الربيع لا يكثرن عملك فى عينك فانه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل وروى خصيف عن مجاهد ولا تضعف أن تستكثر من الخير من قولهم حبل متين اذا كان ضعيفا دليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر من الخير وقال ابن زيد معناه لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجرا أو عرضا من الدنيا (ولربك فاصبر) قيل فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لاجل ثواب الله وقال مجاهد فاصبر لله على ما أوذيت فيه وقال ابن زيد معناه حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عزوجل وقيل فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله (فاذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل يعنى النفخة الثانية (فذلك) أى النفخ فى الصور (يومئذ) يعنى يوم القيامة (يوم عسير) شديد (على الكافرين) يعسر فيه الامر عليهم (غير يسير) غيرهين قوله عزجل (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خلقته فى بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد نزلت فى الوليد ابن المغيرة المخزومى كان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أى كثيرا هو ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه قال مجاهد وسعيد بن جبير مائة ألف دينار وقال قتادة أربعة آلاف دينار وقال سفيان الثورى ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقال عطاء عن ابن عباس كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له عير كثيرة وعبيد وجوار وقيل مالا ممدودا غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) حضورا بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة قاله مجاهد وقتادة وقال مقاتل كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش وطول العمر بسطا وقال الكلبى يعنى المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش (ثم يطمع) يرجو (أن أزيد) أى أن أزيده مالا وولدا وتمهيدا

(ولا تمنن تستكثر) يعنى لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهى مختص بالنبى صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من أعطى شيأ لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وأن يتواضع لذلك الذى أعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود فى حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما رباآن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه أكثر منها وأما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيأ لمجازاة الدنيا أعط لله وأردبه وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك فى عينك فانه مما أنعم الله به عليك وأعطاك وقيل معناه لا تمنن على أصحابك بما تعلمهم من أمر الدين وتبلغهم من أمر الوحى كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك أجرا تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل (ولربك فاصبر) أى على طاعته وأوامره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما أوذيت فيه وقيل معناه انك حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عزوجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله (فاذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهى النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح (فذلك يومئذ) يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة (يوم عسير) أى شديد (على الكافرين) يعنى يعسر عليهم فى ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم (غير يسير) أى غير هين * فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه * قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله أنا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين * قوله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خلقته فى بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد والمعنى ذرنى واياه فأنا أكفيكه نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أى كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه فقيل كان ألف دينار وقيل أربعة آلاف درهم وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) أى حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا أغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا أى رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة فى قومه وكان الوليد من أكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش (ثم يطمع) أى يرجو (أن أزيد) أى أزيده

(كلا) لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك (انه كان لآياتنا عنيدا) معاندا (سأرهقه صعودا) سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وروينا عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى اخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي اخبرني ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل انا منجاب بن الحارث انا شريك عن عمار الدهني عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها لا يترك أن يتنفس في صعوده ويجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها ويجذب من أمامه ويضرب من خلفه

فذلك دأبه أبدا (انه فكر وقدر) الآيات وذلك ان الله تعالى لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد ولتصبون قريش كلهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد قالوا

مالا وولدا وتمهيدا (كلا) أي لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله وولده حتى هلك (انه كان لآياتنا عنيدا) أي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكر الكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأفحشه (سأرهقه صعودا) يعني سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك أبدا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أحدر الى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها يجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا * قوله عز وجل (انه فكر وقدر) أي فكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر أي وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك ان الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي أراك حزينا يا ابن أخي فقال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبرسنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن

حزينا فقال له الوليد مالي أراك حزينا يا ابن أخي قال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبرسنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن أبي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد فقال ألم تعلم قريش اني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر في محمد والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن

(فقتل) لعن وقال الزهري عذب (كيف قدر) على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام كما يقال لاضربنه كيف صنع أي على اي حال صنع (ثم نظر) في طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) كلح وقطب وجهه فنظر بكراهية شديدة كالمهتم المتفكر في شئ (ثم أدبر) عن الايمان (واستكبر) تكبر حين دعي اليه (فقال ان هذا) ما هذا الذي يقرأه محمد (الا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعني يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما وقيل يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة قال الله تعالى (صأصليه) سأدخله (سقر) وسقر اسم من أسماء جهنم (وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر) أي لا تبقي ولا تذر فيها شيا الا أكلته وأهلكته وقال مجاهد لا تميت ولا تحيي يعني لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقال الضحاك اذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيا واذا أعيد لم تذرهم حتى تفنيهم ولكل شئ ملالة وفترة الا جهنم (لواحة للبشر) مغيرة للجلد حتى تجعله اسود يقال لاحه السقم والحزن اذا غيره قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس وزيد بن أسلم محرقة للجلد وقال الحسن وابن كيسان تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره قوله وبرزت الجحيم للغاوين ولواحة رفع على نعت سقر في قوله وما أدراك ما سقر والبشر جمع بشرة وجمع البشر ابشار (عليها تسعة عشر) أي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وجاء في الاثر أعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر قال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم اي الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم قال ابو الاشد اسيد بن كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين وروى انه قال أنا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار وامضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) يعني لا رجالا آدميين فمن ذا

قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر أي في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على أي حال قدره من الكلام (ثم نظر) أي في طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) أي كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر في شئ يدبره (ثم أدبر) أي عن الايمان (واستكبر) أي حين دعي اليه (فقال ان هذا) أي الذي يقوله محمد ويقرؤه (الا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعني يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى (سأصليه) أي سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما أدراك ما سقر) أي وما أعلمك أي شئ هي سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لا تبقي ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صد عني وأعرض عني وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا تبقي أحدا من المستحقين للعذاب الا أخذته ثم لا تذر من لحوم أولئك شيأ الا أكلته وأهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيا أي لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبقي عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أي مغيرة للجلد حتى تجعله أسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان أحدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع من ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم يعني الشجعان أفتعجز كل عشر منكم أن تبطش بواحد منهم يعني خزنة جهنم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين وروى عنه أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار وأمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) يعني لا رجالا آدميين فمن ذا

(وما جعلنا عدتهم) اى عددهم فى القلة (الا فتنة للذين كفروا) اى ضلالة لهم حتى قالوا ماقالوا (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) لانه مكتوب فى التوراة والانجيل انهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعنى من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا وجدوا ماقاله موافقا لما فى كتبهم (ولا يرتاب) لا يشك (الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) فى عددهم (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والكافرون) مشركو مكة (ماذا اراد الله بهذا مثلا) اى شىء اراد بهذا الحديث واراد بالمثل الحديث نفسه (كذلك) اى كما اضل الله من انكر عدد الخزنة وهدى من صدق كذلك (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) قال مقاتل هذا جواب أبى جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر قال عطاء وما يعلم جنود ربك الا هو يعنى من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب اهل النار لا يعلم عدتهم الا الله والمعنى ان تسعة عشرهم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم الا الله عز وجل ثم رجع الى ذكر سقر فقال (وما هى) يعنى النار (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة وموعظة للناس (كلا والقمر) هذا قسم يقول حقا (والليل اذ أدبر) قرأ نافع وحمزة وحفص ويعقوب اذ بغير الف ادبر بالالف وقرأ الآخرون اذا بالالف دبر بلا الف لانه اشد موافقة لما يليه وهو قوله والصبح اذا اسفر ولانه ليس فى القرآن قسم بجانبه اذ وانما بجانب الاقسام اذا وكلاهما

لغة يقال دبر الليل وادبر اذا ولى ذاهبا قال ابو عمرو دبر لغة قريش وقال قطرب دبر أى اقبل تقول العرب دبرنى فلان اى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار

يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وما جعلنا عدتهم) أى عددهم فى القلة (الا فتنة للذين كفروا) أى ضلالة لهم حتى قالوا ماقالوا وقيل فتنتهم هى قولهم لم يكونوا عشرين وما الحكمة فى تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هى قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من فى النار وأجيب عن قولهم لم يكونوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لا مر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة فى كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الآحاد أقل الاعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل لهذه الحكمة وماسوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطى هذا القليل من القوة والقدرة مايقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على شىء قدير وان أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) يعنى أن هذا العدد مكتوب فى التوراة والانجيل أنهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعنى من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن العدد كان موجودا فى كتابهم وأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ماعندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحى السماوى فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) أى ولا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) يعنى فى عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفى الشك وذلك أبلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والكافرون) أى مشركو مكة * فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية * قلت لانه كان فى علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فأخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل أن يراد بالذين فى قلوبهم مرض أهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعنى أى شىء أراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العقد واستبعادا له والمعنى أى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من أصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا (كذلك) أى كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال (وما يعلم جنود ربك الا هو) هذا جواب لابى جهل حين قال أما لمحمد أعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وما هى) يعنى النار (الا ذكرى للبشر) أى الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ما هى يعنى آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها (كلا) أى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفى أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذ أدبر) أى ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرنى فلان

(والصبح اذا أسفر) أضاء وتبين (انها لاحدى الكبر) يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وواحد الكبر كبرى قال مقاتل والكلبى أراد بالكبر دركات جهنم وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) يعنى النار نذيرا للبشر قال الحسن والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها وهو نصب على القطع من قوله لاحدى الكبر لانها معرفة ونذيرا نكرة قال الخليل النذير مصدر كالنكير ولذلك وصف به المؤنث وقيل هو من صفة الله سبحانه وتعالى مجازه وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة نذيرا للبشر أى انذارا لهم قال أبو رزين يقول أنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم معناه يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذر وهذا معنى قول ابن زيد (لمن شاء) بدل من قوله للبشر (منكم أن يتقدم) فى الخير والطاعة (أو يتأخر) عنها فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرتهنة فى النار بكسبها مأخوذة بعملها (الا أصحاب اليمين) فانهم لا يرتهنون بذنوبهم فى النار

أى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار (والصبح اذا أسفر) أى أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبر) يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل أراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل أن يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر بشيء أدهى من النار وقيل يجوز أن يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى يتقدم فى الخير والطاعة أو يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وأجيب عنه بأن مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتاخر * قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) أى مرتهنة فى النار بكسبها ومأخوذة بعملها (الا أصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذى عليه واختلفوا فى أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (فى جنات) أى هم فى بساتين (يتساءلون عن المجرمين) أى يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم (ما سلككم فى سقر) قيل وهذا يقوى قول من قال ان أصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التى توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم أى يقول المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم أى أدخلكم وقيل ما حبسكم فى سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع (قالوا) مجيبين لهم (لم نك من المصلين) أى لله فى الدنيا (ولم نك نطعم المسكين) أى لم نتصدق عليه (وكنا نخوض مع الخائضين) أى فى الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة (حتى أتانا اليقين) يعنى الموت قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون

ولكن يغفرها الله لهم قال قتادة علق الناس كلهم الا أصحاب اليمين واختلفوا فيهم روى عن على رضى الله عنه انهم أطفال المسلمين وروى أبو ظبيان عن ابن عباس هم الملائكة وقال مقاتل هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وعنه أيضا هم الذين أعطوا كتبهم بايمانهم وعنه أيضا هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم وقال الحسن هم المسلمون المخلصون وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر الا من اعتمد على الفضل وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) المشركين (ما سلككم) أدخلكم (فى سقر) فاجابوا و (قالوا لم نك من المصلين) لله (ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض) فى الباطل (مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) وهو الموت قال الله عز وجل (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الى قوله يوم الدين قال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن يزيد الرقاشى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيمدبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان قال فيقول ما تريد فيقول أما تذكر يوم سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لا نت هو

فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول اما تذكر رجلا وهب لك وضوأ يوم كذا وكذا فيقول انك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (فما لهم عن التذكرة معرضين) عن مواعظ القرآن معرضين نصب على الحال وقيل صاروا معرضين (كانهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء وقرأ الباقون بكسرها فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة يقال نفر واستنفر بمعنى واحد كما يقال عجب واستعجب (فرت من قسورة) قال مجاهد وقتادة والضحاك القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من لفظها وهي رواية عطاء عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس وقال زيد بن

أسلم من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة وعن أبي المتوكل قال هي لغط القوم وأصواتهم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هي حبال الصيادين وقال أبو هريرة هي الاسد وهو قول عطاء والكلبي وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت كذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه قال عكرمة هي ظلمة الليل ويقال لسواد أول الليل قسورة (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك قال الكلبي ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك والصحف الكتب وهي جمع الصحيفة ومنشرة منشورة فقال الله تعالى (كلا) لا يؤتون الصحف وقيل حقا

هؤلاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول للرجل منهم يا فلان فيقول ما تريد فيقول أما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول أما تذكر رجلا وهب لك وضوأ يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (فما لهم عن التذكرة معرضين) أي عن مواعظ القرآن (كانهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرئ بالكسر أي نافرة وقرئ بالفتح أي منفرة مذعورة محمولة على النفار (فرت من قسورة) قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم وأصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال أبو هريرة هي الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شئ (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك (كلا) أي لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات (بل لا يخافون الآخرة) أي لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت (كلا) أي حقا (انه تذكرة) يعني انه عظة عظيمة (فمن شاء ذكره) أي اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه (وما يذكرون الا أن يشاء الله) أي الا أن يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا أهل أن أغفر له أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطيعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به عن ثابت والله تعالى أعلم بمراده

* (تفسير

وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه (بل لا يخافون الآخرة) أي لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة (كلا) حقا (انه) يعني القرآن (تذكرة) موعظة (فمن شاء ذكره) اتعظ به (وما يذكرون) قرأ نافع ويعقوب تذكرون بالتاء والآخرون بالياء (الا أن يشاء الله) قال مقاتل الا أن يشاء الله لهم الهدى (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي أهل ان يتقى محارمه وأهل ان يغفر لمن اتقاه أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل ثنا هدية بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال قال ربكم عز وجل انا أهل أن أتقى ولا يشرك بي غيري وأنا أهل لمن اتقى ان يشرك بي ان أغفر له وسهيل هو ابن عبد الرحمن القطعي أخو حزم القطيعي

﴿ سورة القيامة مكية وهي أربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (لا أقسم بيوم القيامة) قرأ القواس عن ابن كثير لاقسم الحرف الاول بلا ألف قبل الهمزة (ولا أقسم بالنفس اللوامة) بالالف وكذلك قرأ عبد الرحمن الاعرج على معنى انه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة والصحيح انه أقسم بهما جميعا ولا صلة فيهما أى أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة وقال أبو بكر بن عياش هو تأكيد للقسم كقولك لا والله وقال الفراء لا رد لكلام المشركين المنكرين ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وقال المغيرة بن شعبة يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال أما هذا فقد قامت قيامته ولا أقسم بالنفس اللوامة قال سعيد بن جبير وعكرمة تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء قال قتادة اللوامة الفاجرة قال مجاهد تندم على ما فات وتقول لو فعلت ولو لم أفعل قال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وان عملت شرا قالت ليتني لم أفعل قال الحسن هي نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي وان الكافر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها قال مقاتل هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عدي بن ربيعة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تكون وكيف أمرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك

﴿ تفسير سورة القيامة مكية ﴾

وهي أربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (لا أقسم بيوم القيامة) اتفقوا على ان المعنى أقسم واختلفوا في لفظ لا فقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ماذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه أبلغ في الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقول الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في أوله وأجيب عنه بان القرآن في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه أنه قد يجيء ذكر الشئ في سورة ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف أيضا لان القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث أي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه أن يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كأنه قال لا أقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا أقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته أظهر من أن يقسم عليه وروى البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال أما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك * وقوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هي التي تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول يا ليتني لم أفعل وقال الحسن هي نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي وان الكافر يمضي ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين أهوال يوم القيامة فتقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله * فان قلت أي مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم * قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة تظهر أحوال النفوس اللوامة من الشقاوة أو السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها أبدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكأنه قال أقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا أقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة أو الفاجرة لا يقسم بها * فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال * قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها في الحقيقة فكأنه قال أقسم برب القيامة وقيل لله تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وقيل جواب

اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل أيحسب الانسان يعني الكافر أن لن نجمع عظامه بعد التفرق والبلى فنحييه قيل ذكر العظام وأراد نفسه لان العظام قالب النفس لا يستوى الخلق الا باستوائها وقيل هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله قال من يحيي العظام وهي رميم (بلى قادرين) أي نقدر استقبال صرف الى الحال قال الفراء قادرين نصب على الخروج من نجمع كما تقول في الكلام أتحسب أن لا نقدر عليك بلى قادرين على أقوى منك بريد بلى قادرين على أكثر من ذا مجازا لآية بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك وهو (على أن نسوّي بنانه) أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها هذا قول أكثر المفسرين وقال الزجاج وابن قتيبة معناه ظن الكافر انا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوى البنان ثم نقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها أقدر (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) يقول لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد ان يفجر أمامه أي يمضي قدما في معاصي الله ما عاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وقال سعيد بن جبير ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله وقال الضحاك هو الامل يقول أعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس وابن زيد يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسئل أيان يوم القيامة) أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى (فاذا برق البصر) أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب الى كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أي أظلم وذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) يعني اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهنالك نار الله الكبرى (يقول الانسان)

القسم قوله (بلى قادرين على أن نسوّي بنانه) ومعنى أيحسب الانسان أيظن هذا الكافر أن العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها في أباعد الارض أن لن نجمع عظامه أي لا يمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم أن القادر على الابداء قادر على الاعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل أيحسب الانسان يعني هذا الكافر أن لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلاء فنحييه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام وأراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفوس ولا يستوى الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر أو يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتأليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو أعظم من ذلك وهو أن نسوّي بنانه يعني أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار فلا يقدر أن يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه أظن الكافر أن لن نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى أماكنها ونؤلف بينها حتى نسوى البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها أقدر وهذا القول أقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه آخر ما يتم به الخلق * قوله تعالى (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله وقيل هو طول الامل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسئل أيان يوم القيامة) أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى (فاذا برق البصر) أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أي أظلم وذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) يعني اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهنالك نار الله الكبرى (يقول الانسان)

يعني أي متى يكون ذلك تكذيبا به قال الله تعالى (فاذا برق البصر) قرأ أهل المدينة برق بفتح الراء وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان قال قتادة ومقاتل شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا قيل ذلك عند الموت وقال الكلبي عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار وقال الفراء والخليل برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب وبرق بالفتح اي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أظلم وذهب نوره وضوءه (وجمع الشمس والقمر) أي صارا اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضياء وقال عطاء بن يسار يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمعان ثم يقذفان في النار وقيل يجمعان فيطلعان من المغرب (يقول الانسان) أي الكافر المكذب

(يومئذ أين المفر) أى المهرب وهو موضع الفرار وقيل هو مصدر أى أين الفرار قال الله تعالى (كلا لا وزر) لا حصن ولا حرز ولا ملجأ وقال السدى لا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا الى الجبل فتحصنوا به وقال تعالى لا جبل يومئذ يمنعهم (الى ربك يومئذ المستقر) أى مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود المصير والمرجع نظيره قوله تعالى الى ربك الرجعى والى الله المصير وقال السدى المنتهى نظيره وأن الى ربك المنتهى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيئ وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وقال عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال عطاء بما قدم فى أول عمره وما أخر فى آخر عمره وقال زيد بن أسلم بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة (بل الانسان على نفسه بصيرة) قال عكرمة ومقاتل والكلبى معناه بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهى سمعه وبصره وجوارحه ودخل الهاء فى البصيرة لان المراد بالانسان ههنا جوارحه ويحتمل أن يكون معناه بل الانسان على نفسه بصيرة يعنى لجوارحه فحذف حرف الجر كقوله وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم أى لاولادكم ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث أى بل الانسان على نفسه عين بصيرة وقال أبو العالية وعطاء بل الانسان على نفسه شاهد وهى رواية العوفى عن ابن عباس والهاء فى بصيرة للمبالغة دليل هذا التأويل قوله عزوجل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (ولو ألقى معاذيره) يعنى يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه كما قال يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء قال الفراء ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره ومعنى الالقاء القول كما قال فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وقال الضحاك والسدى ولو ألقى معاذيره يعنى ولو أرخى الستور وأغلق الابواب وأهل اليمن يسمون الستر معذار وجمعه معاذير ومعناه على هذا القول وان أسبل الستر ليخفى ما كان يعمل فان نفسه شاهدة عليه قوله عزوجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عزوجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل بالوحى كان يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عزوجل الآية التى فى لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به

يعنى الكافر المكذب (يومئذ) أى يوم القيامة (أين المفر) أى المهرب وهو موضع الفرار (كلا) أى لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله (لا وزر) أى لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس آلت علينا فيك ليس لنا * الا السيوف وأطراف القنا وزر

ومعنى الآية انه لا شئ يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون اليه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) يعنى مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم أى موضع قرارهم من جنة أو نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن شاء أدخله النار بعدله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيئ وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقيل بأول عمله وآخره وهو ما عمله فى أول عمره وفى آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته (بل الانسان على نفسه بصيرة) أى بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهى سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء فى البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفى رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة (ولو ألقى معاذيره) يعنى ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره وقيل ان أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى الستور وأغلق الابواب ليخفى ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا فى حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل فى الدنيا * قوله عزوجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به) (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عزوجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عزوجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنصت ثم ان علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأه وفى رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى وقال فيه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عزوجل الآية التى فى لا أقسم

(ان علينا جمعه وقرآنه) قال علينا أن نجمعه فى صدرك قرآنه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاذا أنزلناه فاستمع (ثم ان علينا بيانه) علينا أن نبينه بلسانك قال وكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل ورواه محمد بن اسمعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن موسى بن أبى عائشة بهذا الاسناد وقال كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه تخشى أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك ان

بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا أن نجمعه فى صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا أنزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا أن نبينه بلسانك قال فكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفى رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه تخشى أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه أى نجمعه فى صدرك وقرآنه أن تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به أى باخذه (ان علينا جمعه) أى جمعه فى صدرك وحفظك اياه (وقرآنه) أى وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لا تنساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ أنت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحى ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول أولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحى أصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه (ثم ان علينا بيانه) اى أن نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل وقيل اذا أشكل شئ من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أشكل عليه شئ سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك * قوله تعالى (كلا) اى حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) اى تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة (وجوه يومئذ) اى يوم القيامة (ناضرة) من النضارة وهى الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها أن تنضر وهى تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وابى صالح انهما فسرا النظر فى هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما أمر لها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهرى ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشئ بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اى انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة * للورد طال بها حورى وتنساسى

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت فى الامر احتمل ان يكون تفكر فيه وتدبر بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد فى التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل فى موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا ناويله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى أتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر فى هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

﴿فصل فى اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى فى الآخرة﴾ قال علماء اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها فى الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون

علينا جمعه أن نجمعه فى صدرك وقرآنه أن تقرأه (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) قرأ أهل المدينة والكوفة تحبون وتذرون بالتاء فيهما وقرأ الآخرون بالياء أى يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يعنى كفار مكة ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد بل تحبون وتذرون (وجوه يومئذ) يوم القيامة (ناضرة) قال ابن عباس حسنة وقال مجاهد مسرورة وقال ابن زيد ناعمة وقال مقاتل بيض يعلوها النور وقال السدى مضيئة وقال يمان مسفرة وقال الفراء مشرقة بالنعيم يقال نضر الله وجهه ينضر نضرا ونضره الله وأنضره ونضر وجهه ينضر نضرة ونضارة قال الله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم (الى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر الناس تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن تنظر الى الخالق وحق لها أن تنضر وهى تنظر الى الخالق أخبرنا أبو بكر ابن ابى الهيثم الترابى انا عبد الله بن احمد الحموى انا ابراهيم ابن خزيم الشاشى انا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن اسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة

الكافرين

لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة

الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذى قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة فى كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقى شبههم وأجوبتها مشهورة مستفاضة فى كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك وأما الاحاديث الواردة فى اثبات الرؤية فمنها ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئى بالمرئى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان أناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده فى أوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقد روى مثل هذا الحديث عن أبى سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم أخرجه أبو داود (م) عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث فى الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله أعلم * قوله عز وجل (ووجوه يومئذ باسرة) أى عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما أدركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين أهل الجنة والنار (تظن) أى تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (أن يفعل بها فاقرة) أن يفعل بها أمر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذى يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هى ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) أى حقا (اذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقى

(وقيل) يعنى وقال من حضره (من راق) أى هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من

(ووجوه يومئذ باسرة) عابسة كالحة مغبرة مسودة (تظن أن يفعل بها فاقرة) تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد يكسر فقار الظهر قال سعيد ابن المسيب قاصمة الظهر قال ابن زيد هى دخول النار وقال الكلبى هى ان يحتجب عن رؤية الرب عز وجل (كلا اذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) فخشرج بها عند الموت والتراقى جمع الترقوة وهى العظام بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت (وقيل من راق) أى قال من حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دوائه وقال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وقال سليمان التيمى ومقاتل ابن سليمان هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .

(وظن) أيقن الذى بلغت روحه التراقى (أنه الفراق) من الدنيا (والتفت الساق بالساق) قال قتادة الشدة بالشدة قال عطاء شدة الموت بشدة الآخرة قال سعيد بن جبير تتابعت عليه الشدائد قال السدى لا يخرج من كرب الا جاءه أشد منه قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقال مجاهد اجتمع فيه الحياة والموت وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقال الحسن هما ساقاه اذا التفتا فى الكفن وقال الشعبى هما ساقاه اذا التفتا عند الموت (الى ربك يومئذ المساق) أى مرجع العباد الى الله يساقون اليه (فلا صدق ولا صلى) يعنى أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله (ولكن كذب وتولى) عن الايمان (ثم ذهب الى أهله) رجع اليهم (يتمطى) يتبختر ويختال فى مشيه قيل أصله يتمطط أى يتمدد والمط هو المد (أولى لك فأولى) ثم أولى لك فأولى

ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب (وظن) أى أيقن الذى بلغت روحه التراقى (أنه الفراق) يعنى الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد (والتفت) أى اجتمعت (الساق بالساق) أى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو أشد منه وقال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا فى الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت ألا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى (الى ربك يومئذ المساق) أى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم * قوله تعالى (فلا صدق ولا صلى) يعنى أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) أى أعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل أصله يتمطط أى يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لانه يليه (أولى لك فاولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فاولى (ثم أولى لك فاولى) فقال أبو جهل أتوعدنى يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرعة وقتله اشد قتلة وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أى هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب فى الآخرة (ألم يك نطفة) اى ماء قليلا (من منى يمنى) اى يصب فى الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقة) أى صار الانسان علقة بعد النطفة (فخلق فسوى) أى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه (فجعل منه) اى من الانسان (الزوجين) اى الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والانثى) اى خلق من مائه اولادا ذكورا واناثا (أليس ذلك) اى الذى فعل هذا وأنشأ الاشياء اول مرة (بقادر على أن يحيى الموتى) اى بقادر على اعادته بعد الموت عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أولى لك فأولى هذا وعيد على وعيد من الله عز وجل لابى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد وقال بعض العلماء معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال لرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه وقيل هى كلمة تقولها العرب لمن قارب به المكروه وأصلها من الولى وهو القرب قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال قتادة ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل أتوعدنى يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوأ قتلة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل

من

(أيحسب الانسان أن يترك سدى) هملا لا يؤمر ولا ينهى قال السدى معناه المهمل وابل سدى اذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع (ألم يك نطفة من منى تمنى) تصب فى الرحم قرأ حفص عن عاصم بمنى بالياء وهى قراءة الحسن وقرأ الآخرون بالتاء لاجل النطفة (ثم كان علقة فخلق فسوى) فجعل فيه الروح وسوى خلقه (فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) خلق من مائه أولادا ذكورا واناثا (أليس ذلك الذى فعل هذا (بقادر على أن يحيى الموتى) أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشانى أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمى أنا أبو على محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤى ثنا أبو داود سليمان بن الاشعث ثنا عبد الله بن محمد الزهرى ثنا سفيان حدثنى اسمعيل بن أمية قال سمعت اعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله

باحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله اخبرنا عمر بن عبد العزيز انا ابو القاسم بن جعفر انا ابو على اللؤلؤى انا ابو داود ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن موسى بن ابى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته وكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة الانسان ﴾

قال عطاء هى مكية وقال مجاهد وقتادة مدنية وقال الحسن وعكرمة هى مدنية الا آية وهى قوله فاصبر لحكم (١٥٧) ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا وهى احدى وثلاثون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (هل أتى) قد أتى (على الانسان) يعنى آدم عليه السلام (حين من الدهر) اربعون سنة وهو من طين ملقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح (لم يكن شيأ مذكورا) لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به يريد كان شيأ ولم يكن مذكورا وذلك من حين خلقه من طين الى أن نفخ فيه الروح روى أن عمر سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يريد ليته بقى على ما كان قال ابن عباس ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة (انا خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم (من نطفة) يعنى منى الرجل ومنى المرأة (أمشاج) اخلاط واحدها مشج ومشيج مثل خدن وخدين قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقال الضحاك أراد بالامشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء وهى رواية الوالبى عن ابن عباس وكذلك قال الكلبى قال الامشاج البياض فى الحمرة والصفرة وقال عمان كل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقال الحسن نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فاذا حبلت ارتفع الحيض وقال قتادة هى أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر

من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أبو داود وله عن موسى بن أبى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضا ﴾

وهى مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكى ومدنى فالمكى منها قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا و باقيها مدنى قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدنى من أولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكى حكاه الماوردى وهى احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (هل أتى) اى قد أتى (على الانسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام (حين من الدهر) يعنى مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم فى الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به وينظر اليه فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك قوله يطوف به أى يدور حوله فلما رآه أجوف أى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف أنه خلق لا يتمالك أى لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروى فى تفسير الآية ان آدم بقى أربعين سنة طينا وأربعين سنة حمأ مسنونا وأربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة (لم يكن شيأ مذكورا) اى لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيأ ولم يكن شيأ يذكر روى عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعنى ليته بقى على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا الانسان) فالانسان فى الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيأ مذكورا يعنى انهم كانوا نطفا فى الاصلاب ثم علقا ومضغا فى الارحام لم يذكروا بشىء انا خلقنا الانسان يعنى ولد آدم (من نطفة) أى من منى الرجل ومنى المرأة (أمشاج) اى اخلاط قال ابن عباس وغيره يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من

(نبتليه) نختبره بالامر والنهى (فجعلناه سميعا بصيرا) قال بعض أهل العربية فيه تقديم وتاخير مجازه فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة (انا هديناه السبيل) أى بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر (اما شاكرا واما كفورا) اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معنى الكلام الجزاء يعنى بيناله الطريق ان شكر أو كفر ثم بين ما للفريقين فقال (انا أعتدنا للكافرين سلاسل) يعنى فى جهنم

قرأ أهل المدينة والكسائى وأبو بكر عن عاصم سلاسلا وقوارير الاول والثانى بالالف فى الوقف وبالتنوين فى الوصل فيهن جميعا وقرأ حمزة ويعقوب بلا ألف فى الوقف ولا تنوين فى الوصل فيهن وقرأ ابن كثير قوارير الاولى بالالف فى الوقف وبالتنوين فى الوصل وسلاسل وقوارير الثانية بلا ألف ولا تنوين وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص سلاسلا وقوارير الاولى بالالف فى الوقف على الخط وبغير تنوين فى الوصل وقوارير الثانية بغير ألف ولا تنوين قوله (وأغلالا) يعنى فى أيديهم تغل فى أعناقهم (وسعيرا) وقودا شديدا (ان الابرار) يعنى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار مثل شاهد واشهاد وناصر وانصار وبر أيضا مثل نهر وانهار (يشربون) فى الآخرة (من كأس) فيه شراب (كان مزاجها كافورا) قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك قال عكرمة مزاجها طعمها وقال أهل المعانى أراد كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وهو كقوله حتى اذا جعله نارا أى كنار وهذا معنى قول مقاتل ومجاهد يمازجه ريح الكافور وقال ابن كيسان طيبت

بالكافور والمسك والزنجبيل قال عطاء والكلبى الكافور اسم لعين ماء فى الجنة (عينا) نصب تبعا للكافور وقيل نصب على المدح وقيل أعنى عينا وقال الزجاج الاجود أن يكون المعنى من عين (يشرب بها) قيل يشرب بها والباء صلة وقيل بها أى منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) أى يقودونها حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم كمن يكون له نهر يفجره ههنا وههنا الى حيث يريد (يوفون بالنذر) هذا من صفاتهم فى

عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقيل هى نطفة مشجت أى خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة أخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج (نبتليه) أى لنختبره بالامر والنهى (فجعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتاخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم الحواس وأشرفها (انا هديناه السبيل) أى بيناله سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وانزال الكتب (اما شاكرا واما كفورا) يعنى اما موحدا طائعا لله واما مشركا بالله فى علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل فى معنى الآية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء أى بيناله الطريق ان شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذى يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذى لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر وأوعد الكافر فقال تعالى (انا أعتدنا) أى هيأنا فى جهنم (للكافرين سلاسل) يعنى يشدون بها (وأغلالا) أى فى أيديهم تغل بها الى أعناقهم (وسعيرا) يعنى وقودا لا توصف شدته وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى (ان الابرار) يعنى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر وأصله التوسع فمعنى البر المتوسع فى الطاعة (يشربون من كأس) يعنى فيها شراب (كان مزاجها كافورا) قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك * فان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به * قلت قال أهل المعانى أراد بالكافور بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين فى الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التى تسمى كافورا ولا يكون فى ذلك ضرر لان أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده باسم عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل (عينا) بدلا من الكافور وقيل أعنى عينا (يشرب بها) أى يشرب منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) أى يقودونها الى حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم * قوله تعالى (يوفون بالنذر) لما وصف الله تعالى ثواب الابرار فى الآخرة وصف أعمالهم فى الدنيا التى يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا فى الدنيا يوفون بالنذر والنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة

الدنيا أى كانوا فى الدنيا كذلك قال قتادة أرادوا يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرها من الواجبات ومعنى النذر الايجاب وقال مجاهد وعكرمة اذا نذروا فى طاعة الله وفوا به أخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلى عن القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) فاشيا ممتدا يقال استطار الصبح اذا امتد وانتشر قال مقاتل كان شره فاشيا فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة

والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر فى عرف الشرع واللغة أن يوجب الرجل على نفسه شيا ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله على كذا وكذا من صدقة أو صلاة أو صوم أو حج أو عمرة يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضى أو قدم غائبى كان لله على كذا ولو نذر فى معصية لا يجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليف بنذره ومن نذر أن يعصى الله فلا يف به وفى رواية فليطعه ولا يعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر فى معصية الله وكفارته كفارة يمين أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى (ق) عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فامره أن يقضيه عنها أخرجه الجماعة وفى الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة فى وصفهم باداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أى منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه فى أهل السموات واهل الارض وفى أولياء الله وأعدائه وقيل فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفى الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته * قوله عز وجل (ويطعمون الطعام على حبه) اى حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه وقيل على حب الله عز وجل اى لحب الله (مسكينا) يعنى فقيرا وهو الذى لا مال له ولا يقدر على الكسب (ويتيما) اى صغيرا وهو الذى لا أب له يكتسب له وينفق عليه (وأسيرا) قيل هو المسجون من أهل القبلة يعنى من المسلمين وقيل هو الاسير من أهل الشرك أمر الله بالاسرى أن يحسن اليهم وان أسراهم يومئذ أهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرى وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز أن يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المرأة لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان يعنى أسرى وقيل غريمك أسيرك فاحسن الى أسيرك واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى رجل من الانصار يقال له أبو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاءه مسكين ويتيم وأسير فاطعمهم ثلاثة أرغفة وبقى له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروى عن ابن عباس انها نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وذلك انه عمل ليهودى بشئ من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه وأصلحوا منه شيا ليا كلونه فلما فرغ أتى مسكين فسال فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثانى فلما فرغ أتى يتيم فسال فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقى فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسال فاعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل من أطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه (انما نطعمكم لوجه الله) اى لاجل وجه الله تعالى (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) قيل

وفى الارض فنسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء (ويطعمون الطعام على حبه) اى على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه وقيل على حب الله (مسكينا) فقيرا لا مال له (ويتيما) صغيرا لا أب له (وأسيرا) قال مجاهد وسعيد ابن جبير وعطاء هو المسجون من أهل القبلة وقال قتادة أمر الله بالاسراء أن يحسن اليهم وان أسراهم يومئذ لاهل الشرك وقيل الاسير المملوك وقيل المرأة لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان اى أسراء واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية قال مقاتل نزلت فى رجل من الانصار أطعم فى يوم واحد مسكينا ويتيما وأسيرا وروى عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس انها نزلت فى على بن ابى طالب وذلك انه عمل ليهودى بشئ من شعير فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيأ ليا كلوه فلما تم انضاجه أتى مسكين فسال فاخرجوا اليه الطعام ثم عمل الثلث الثانى فلما تم انضاجه أتى يتيم فسال فاطعموه ثم عمل الثلث الباقى فلما تم انضاجه أتى أسير من المشركين فسال فاطعموه وطووا يومهم ذلك وهذا قول الحسن وقتادة ان الاسير كان من أهل الشرك وفيه دليل على ان اطعام الاسارى وان كانوا من أهل الشرك حسن يرجى ثوابه (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) والشكور مصدر كالكفور والدخول والخروج قال مجاهد وسعيد بن جبير انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى عليهم

(انا نخاف من ربنا يوما عبوسا) تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته ونسب العبوس الى اليوم كما يقال يوم صائم وليل نائم وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قمطريرا) قال قتادة ومجاهد ومقاتل القمطرير الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقال الكلبي العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير الشديد قال الاخفش القمطرير أشد ما يكون من الايام وأطوله في البلاء يقال يوم قمطرير وقمطرار اذا كان شديدا كريها والقمطرير اليوم فهو مقمطر (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) الذي يخافون (ولقاهم نضرة) حسنا في وجوههم (وسرورا) في قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) على طاعة الله واجتناب معصيته وقال الضحاك على الفقر وقال عطاء على الجوع (جنة وحريرا) قال الحسن أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير (متكئين) نصب على الحال (فيها) في الجنة (على الأرائك) السرر في الحجال ولا تكون أريكة الا اذا

اجتمعا (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أي صيفا ولا شتاء قال مقاتل يعني شمسا يؤذيهم حرها ولا زمهريرا يؤذيهم برده لانهما يؤذيان في الدنيا والزمهرير البرد الشديد (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة منهم ظلال أشجارها ونصب دانية بالعطف على قوله متكئين وقيل على موضع قوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ويرون دانية وقيل على المدح (وذللت) سخرت وقربت (قطوفها) ثمارها (تذليلا) يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا على أي حال كانوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة) قال المفسرون أراد بياض الفضة في صفاء القوارير فهي من فضة في صفاء الزجاج يرى ما في داخلها من خارجها قال الكلبي ان الله جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وان أرض الجنة من فضة فجعل

منها قوارير يشربون فيها (قدروها تقديرا) قدروا الكاس على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) يشوق ويطرب والزنجبيل مما كانت العرب تستطيبه جدا فوعدهم الله تعالى انهم يسقون في الجنة الكاس الممزوجة بزنجبيل الجنة قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا قال ابن عباس كل ما ذكر الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل وقيل هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل قال قتادة يشربها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة

انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافأة وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لا يراد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافأة أو لطلب الحمد من الناس أو لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا وريا فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نخاف من ربنا يوما) يعني ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم (عبوسا) وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد أهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قمطريرا) يعني شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو أشد ما يكون من الايام وأطوله في البلاء (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أي الذي يخافونه (ولقاهم نضرة) أي حسنا في وجوههم (وسرورا) أي في قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) أي على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار (جنة وحريرا) أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير (متكئين فيها) أي في الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهي السرر في الحجال ولا تسمى أريكة الا اذا اجتمعا (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في الدنيا والزمهرير أشد البرد وحكى الزمخشري قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ممازهر

والمعنى أن الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة منهم ظلال أشجارها (وذللت) أي سخرت وقربت (قطوفها) أي ثمارها (تذليلا) أي يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا على أي حال أرادوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه (كانت قواريرا قواريرا من فضة) قال أهل التفسير أراد بياض الفضة في صفاء القواريرا وهو الزجاج والمعنى أن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج والمعنى يرى ما في باطنها من ظاهرها قال الكلبي ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وان أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة ولكنها أصفى من الزجاج (قدروها تقديرا) أي قدروا الكؤس على قدر ريهم وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى أن السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم (ويسقون فيها) أي في الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وقيل هو النبت

(عينا فيها تسمى سلسبيلا) قال قتادة سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا قال مجاهد حديدة الجرية قال أبو العالية ومقاتل بن حيان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال الزجاج سميت سلسبيلا لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى قوله تسمى أي توصف لان أكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) قال عطاء يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه واللؤلؤ اذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوما وقال أهل المعاني انما شبهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة فلو كانوا صفا اشبهوا بالمنظوم (واذا رأيت ثم) أي اذا رأيت ببصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة (رأيت نعيما) لا يوصف (وملكا كبيرا) وهو

المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيـ * ـل باتا بفيها وأريا مشورا

الاري العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس

فكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب أهل الجنة بذلك وقيل ان شرب أهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أي سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى أي توصف لان أكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أي في الخدمة وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة * قوله عز وجل (واذا رأيت) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثم) يعني الى الجنة (رأيت نعيما) أي لا يوصف عظمه (وملكا كبيرا) قيل هو ان أدناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال (عاليهم) أي فوقهم (ثياب سندس خضر) وهو ما رق من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير (وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يعني طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في أبدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم والشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد (ان هذا كان لكم جزاء) أي يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد أعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد أعده لهم في الآخرة (وكان سعيكم مشكورا) أي شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده

ان أدناهم منزلة ينظر الى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه قال مقاتل والكلبي هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وقيل ملكا لا زوال له (عاليهم ثياب سندس) قرأ أهل المدينة وحمزة عالهم ساكنة الياء مكسورة الهاء فيكون في موضع رفع بالابتداء وخبره ثياب سندس وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة أي فوقهم وهو نصب على الظرف ثياب سندس (خضر واستبرق) قرأ نافع وحفص خضر واستبرق مرفوعان عطفا على الثياب وقرأهما حمزة والكسائي مجرورين وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر جر واستبرق رفع وقرأ أبو جعفر وأهل البصرة والشام على ضده فالرفع على نعت الثياب والجر على نعت السندس (وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا)

قيل طاهرا من الاقذار والاقذاع لم تدنسه الايدي والارجل كخمر الدنيا وقال أبو قلابة وابراهيم انه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا في أبدانهم كريح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام فيأكلون فاذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أي ما وصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء باعمالكم وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكورا قال عطاء شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل الثواب قوله عز وجل

(انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم) يعنى من مشركى مكة (آثما أو كفورا) يعنى وكفورا والالف صلة قال قتادة أراد بالآثم والكفور أبا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه وقال مقاتل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة قالا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر قال عتبة فانا

أزوجك ابنتى وأسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله هذه الآية قوله عزوجل (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له) يعنى صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) يعنى التطوع بعد المكتوبة (ان هؤلاء) يعنى كفار مكة (يحبون العاجلة) أى الدار العاجلة وهى الدنيا (ويذرون وراءهم) يعنى أمامهم (يوما ثقيلا) شديدا وهو يوم القيامة أى يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) قوينا وأحكمنا (أسرهم) قال مجاهد وقتادة ومقاتل أسرهم أى خلقهم يقال رجل حسن الاسر أى الخلق وقال الحسن يعنى أوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والعصب وروى عن مجاهد فى تفسير الاسر قال الفرج يعنى موضع مصر فى البول والغائط اذا خرج الاذى انقبضا (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى اذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه) يعنى هذه السورة (تذكرة) تذكير وعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) وسيلة للطاعة (وما تشاؤن) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو يشاؤن بالياء وقرأ الآخرون بالتاء (الا أن يشاء الله) أى لستم تشاؤن الا بمشيئة الله عزوجل لان الامر اليه (ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين) أى المشركين

هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات * قوله عزوجل (انا نحن نزلنا عليك) أى يا محمد (القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزله جملة واحدة والمعنى أنزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شئ بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذى أنزله اليه وحى منه ليس بكهانة ولا سحر لنزول تلك الوحشة التى حصلت له من قول الكفار انه سحر أو كهانة (فاصبر لحكم ربك) أى لعبادته فهى من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك فى تأخير الاذن فى القتال وقيل هو عام فى جميع التكاليف أى فاصبر لحكم ربك فى كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات أو عاما متعلقا بالغير كالتبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) قيل أراد به أبا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه وقيل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك أنهما قالا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة أنا أزوجك ابنتى وأسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية * فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصى أى معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع فى حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعنى صلاة الصبح وأصيلا يعنى صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعنى صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس (وسبحه ليلا طويلا) يعنى صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود أن يكون ذاكرا لله تعالى فى جميع الاوقات فى الليل والنهار بقلبه وبلسانه * قوله عزوجل (ان هؤلاء) يعنى كفار مكة (يحبون العاجلة) يعنى الدار العاجلة وهى الدنيا (ويذرون وراءهم) يعنى أمامهم (يوما ثقيلا) يعنى شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) أى قوينا وأحكمنا (أسرهم) أى خلقهم وقيل أوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه) اى السورة (تذكرة) اى تذكير وعظة (فمن شاء اتخذ) اى لنفسه فى الدنيا (الى ربه سبيلا) اى وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدرية يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة ويرد عليهم قوله عزوجل فى سياق الآية (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) أى لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شانه (ان الله كان عليما) أى بأحوال خلقه وما يكون منهم (حكيما) أى حيث خلقهم مع علمه بهم (يدخل من يشاء فى رحمته) أى فى دينه وقيل فى جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق (والظالمين)

يعني المشركين (أعد لهم عذابا أليما) أي مؤلما والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة المرسلات مكية ﴾

وهي خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها * الاول ان المراد بأسرها الرياح ومعنى والمرسلات عرفا الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي أرسلها نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح اذا أرسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد في القلوب فيلجؤن الى الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والمعرفة في القلوب عند هبوبها * الوجه الثاني ان المراد بأسرها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات عرفا الملائكة الذين أرسلوا بالمعروف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا أجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء وقيل يجوز أن يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقى هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم * الوجه الثالث ان المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة في النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعني آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعني آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة في قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعني آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني آيات القرآن هي الذكر الحكيم الذي يلقى الايمان والنور في قلوب المؤمنين * الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيأ واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة * فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما في القسم * قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما في القسم عذرا أو نذرا أي للاعذار والانذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى (ان ما توعدون) أي من أمر الساعة ومجيئها (لواقع) أي لكائن نازل لا محالة وقيل معناه ان ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) أي محي نورها وقيل محقت (واذا السماء فرجت) أي شقت وقيل فتحت (واذا الجبال نسفت) أي قلعت من أماكنها (واذا الرسل أقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد أي جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم

من أمر الله ونهيه وهي رواية مسروق عن ابن مسعود (فالعاصفات عصفا) يعني الرياح الشديدة الهبوب (والناشرات نشرا) يعني الرياح اللينة وقال الحسن هي الرياح التي يرسلها الله بشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر وقال مقاتل هم الملائكة ينشرون الكتب (فالفارقات فرقا) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل وقال قتادة والحسن هي آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام وروي عن مجاهد قال هي الرياح تفرق السحاب وتبدده (فالملقيات ذكرا) يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء نظيرها يلقي الروح من أمره (عذرا أو نذرا) أي للاعذار والانذار قرأ الحسن عذرا بضم الذال واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم وقراءة العامة بسكونها وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص نذرا ساكنة الذال وقرأ الباقون بضمها ومن سكن قال لانهما في موضع مصدرين

بمعنى الانذار والاعذار وليسا بجمع فينقلا الى ههنا أقسام ذكرها على قوله (انما توعدون) من أمر الساعة والبعث (لواقع) لكائن ثم ذكر متى يقع فقال (فاذا النجوم طمست) محي نورها (واذا السماء فرجت) شقت (واذا الجبال نسفت) قلعت من أماكنها (واذا الرسل أقتت) قرأ أهل البصرة وقتت بالواو وقرأ أبو جعفر بالواو وتخفيف القاف وقرأ الآخرون بالالف وتشديد القاف وهما لغتان

والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت وأكدت وورخت وأرخت ومعناهما جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم (لاى يوم أجلت) أى أخرت وضرب الاجل لجمعهم فعجب العباد من ذلك اليوم ثم بين فقال (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم فصل الرحمن بين الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين ألم نهلك الاولين) يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب يعنى كفار مكة بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (الى قدر معلوم) وهو وقت الولادة (فقدرنا) قرأ أهل المدينة والكسائى فقدرنا بالتشديد من التقدير وقرأ الآخرون

القيامة ليشهدوا على الامم (لاى يوم أجلت) أى أخرت وضرب الاجل لجميعهم كأنه تعالى يعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم فصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى (وما أدراك ما يوم الفصل) أى وما أعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) أى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب * قوله تعالى (ألم نهلك الاولين) يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش أى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين) أى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (الى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره (فقدرنا) قرئ بالتشديد من التقدير أى قدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) أى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة أى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه فى أحسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) أى المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) يعنى وعاء وأصله الضم والجمع (أحياء وأمواتا) يعنى تكفتهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسمى الارض أما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها (وجعلنا فيها) أى فى الارض (رواسى شامخات) يعنى جبالا عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) يعنى عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى ان هذا كله أعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث * قوله عز وجل (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) يعنى يقال للمكذبين بيوم القيامة فى الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى دخان جهنم اذا سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم (لا ظليل) أى ان ذلك الظل لا يظل من حر (ولا يغنى من اللهب) أى لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب (انها) يعنى جهنم (ترمى بشرر) جمع شرارة وهى ما تطاير من النار (كالقصر) يعنى كالبناء العظيم ونحوه وقيل هى أصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك

القراء يريد تكفتهم أحياء على ظهرها فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا فى بطنها اى تحوزهم وهو قوله (أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسى) جبالا (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) قال مقاتل وهذا كله أعجب من البعث الذى تكذبون به ثم أخبر انه يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) فى الدنيا (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى دخان جهنم اذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب نور ودخان ولهب فاما النور فيقف على رؤس المؤمنين والدخان يقف على رؤس المنافقين واللهب الصافى يقف على رؤس الكافرين ثم وصف ذلك الظل فقال (لا ظليل) يظل من الحر (ولا يغنى من اللهب) قال الكلبى لا يرد لهب جهنم عنكم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب (انها) يعنى جهنم (ترمى بشرر) وهو ما تطاير من النار واحدها شررة (كالقصر) وهو البناء العظيم قال ابن مسعود يعنى الحصون وقال عبد الرحمن بن عياش سألت ابن عباس عن قوله انها ترمى بشرر كالقصر قال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هى أصول النخل والشجر العظام واحدتها قصرة مثل تمرة وتمر وجمرة وجمر وقرأ على وابن عباس كالقصر بفتح الصاد اى أعناق النخل والقصرة العنق وجمعها

ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر (كأنه) يعني الشرر (جمالات) جمع الجمال وقال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كأوساط الجمال (صفر) جمع أصفر يعني ان لون ذلك الشرر أصفر وأنشد بعضهم

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء في الحديث ان شرر نار جهنم أسود كالقير والعرب تسمي سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شئ من الصفرة وقيل هي قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كأنه شئ مجموع غليظ أصفر (ويل يومئذ للمكذبين) * قوله عز وجل (هذا يوم لا ينطقون) يعني بحجة تنفعهم قيل هذا في بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآي بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد أي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه * فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره * قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار في الدنيا فلم يبق لهم عذر في الآخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد (ويل يومئذ للمكذبين) يعني انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما أتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لاجرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين (هذا يوم الفصل) يعني بين أهل الجنة وأهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات (جمعناكم والاولين) يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا أنبياءهم من الامم الماضية (فان كان لكم كيد فكيدون) أي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون أن الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين) * قوله عز وجل (ان المتقين) أي الذين اتقوا الشرك (في ظلال) جمع ظل وهو ظل الاشجار (وعيون) أي في ظلهم عيون ماء (وفواكه مما يشتهون) أي يتلذذون بها (كلوا واشربوا) أي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل أن يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما أعظمها من نعمة أو يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) أي خالصا لا ذلا يشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الطاعات (انا كذلك نجزي المحسنين) قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله (ويل يومئذ للمكذبين) * قوله عز وجل (كلوا وتمتعوا قليلا) يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا الى منتهى آجالكم وهذا وان كان في ظاهر اللفظ أمرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم (انكم مجرمون) أي مشركون بالله مستحقون للعقاب لاجرم أتبعه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي واذا قيل لهم صلوا مع محمد وأصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من أركانها وقال ابن عباس انما

قصر وقصرات (كأنه) رد الكناية الى اللفظ (جمالة) قرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة على جمع الجمل مثل حجر وحجارة وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف أراد الاشياء العظام المجموعة وقرأ الآخرون جمالات بالالف وكسر الجيم على جمع الجمال وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى يكون كأوساط الرجال (صفر) جمع الاصفر يعني لون النار وقيل الصفر معناها السود لانه جاء في الحديث ان شرر نار جهنم أسود كالقير والعرب تسمي سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شئ من صفرة كما يقال لبيض الظباء أدم لان بياضها يعلوه كدرة (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) أي في القيامة لان فيها مواقف ففي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) رفع عطف على قوله يؤذن قال الجنيد أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين أهل الجنة والنار (جمعناكم والاولين) يعني مكذبي هذه الامة والاولين الذين كذبوا أنبياءهم (فان كان لكم كيد فكيدون) قال مقاتل ان كانت لكم حيلة فاحتالوا لانفسكم (ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال) جمع ظل أي في ظلال الشجر (وعيون) الماء (وفواكه مما يشتهون) ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) في الدنيا بطاعتي (انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال لكفار مكة (كلوا وتمتعوا قليلا) في الدنيا (انكم مجرمون) مشركون بالله عز وجل مستحقون للعذاب (ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا) يعني صلوا (لا يركعون) لا يصلون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون

(و يل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده) أى بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به

﴿ سورة النبأ مكية وهى أربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (عمّ) أصله عن ما فأدغمت النون فى الميم وحذفت ألف ما كقوله فيم وبم (يتساءلون) أى عن أى شئ يتساءل هؤلاء المشركون وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم كما تقول أى شئ زيد اذا عظمت أمره وشأنه ثم ذكر ان تساؤلهم عما ذا فقال (عن النبأ العظيم) قال مجاهد والاكثرون هو القرآن دليله قوله قل هو نبأ عظيم وقال قتادة هو البعث (الذى هم فيه مختلفون) فمصدق ومكذب (كلا سيعلمون) كلا نفى يقول هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الامور (ثم كلا سيعلمون) وعيد لهم على أثر وعيد قال الضحاك كلا سيعلمون يعنى الكافرين ثم كلا سيعلمون يعنى المؤمنين ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده فقال (ألم نجعل الارض مهادا) فراشا (والجبال أوتادا) للارض حتى لا تميد (وخلقناكم أزواجا) أصنافا ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لابدانكم قال الزجاج السبات أن ينقطع عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم لان أصل السبت القطع (وجعلنا الليل لباسا) غطاء وغشاء يستر كل شئ بظلمته (وجعلنا النهار معاشا) المعاش العيش وكل ما يعاش فيه فهو معاش أى جعلنا النهار سببا للمعاش والتصرف فى المصالح قال ابن عباس يريد تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه (و بنينا فوقكم سبعا شدادا) يريد سبع سموات (وجعلنا سراجا) يعنى الشمس (وهاجا) مضيئا منيرا قال الزجاج الوهاج الوقاد وقال مقاتل جعل فيه نورا وحرارة والوهج يجمع النور والحرارة (وأنزلنا من المعصرات) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبى يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية العوفى عن ابن عباس قال الازهرى هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا التأويل تكون من بمعنى الباء أى بالمعصرات وذلك ان الريح

يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (و يل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) أى بعد نزول القرآن اذا لم يؤمنوا به فبأى شئ يؤمنون والله أعلم

﴿ تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل مكية ﴾

وهى أربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (عم) أصله عن ما (يتساءلون) عن أى شئ يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك أى شئ زيد اذا عظمت شانه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عما ذا تساؤلهم فقال تعالى (عن النبأ العظيم) يعنى الخبر العظيم الشان قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به (الذى هم فيه مختلفون) فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر أو شعر أو كهانة أو نحو ذلك مما قالوه فى القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم فى القرآن (كلا) هى ردع وزجر وقيل هى نفى لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا (سيعلمون) أى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعنى فى القيامة (ثم كلا سيعلمون) وعيد على أثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر أشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا أنه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى (ألم نجعل الارض مهادا) أى فراشا وبساطا تستقر عليها الاقدام (والجبال أوتادا) يعنى للارض حتى لا تميد (وخلقناكم أزواجا) يعنى أصنافا ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة وأصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف فى الاعمال (وجعلنا الليل لباسا) أى غطاء وغشاء يستر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا أراد هربا من عدو ونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) أى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه (و بنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى أن يأتى أمر الله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة (وأنزلنا من المعصرات) يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء أى وأنزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هى السحاب وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس

تستدر المطر وقال أبو العالية والربيع والضحاك المعصرات هي السحاب وهي رواية الوالبي عن ابن عباس وقال القراء المعصر السحابة التي تتحلب بالمطر ولا تمطر كالمرأة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض وقال ابن كيسان هي المغيثات من قوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان من المعصرات أي من السموات (ماء ثجاجا) أي صبابا وقال مجاهد مدرارا وقال قتادة متتابعا يتلو بعضه بعضا وقال ابن زيد كثيرا (لنخرج به) أي بذلك الماء (حبا) وهو ما يأكله الناس (ونباتا) ما تنبته الارض مما تأكله الانعام (وجنات ألفافا) ملتفة بالشجر واحدها لف ولفيف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفاء وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع ألاف (ان يوم الفصل) يوم القضاء بين الخلق (كان ميقاتا) لما وعد الله من الثواب والعقاب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء) قرأ أهل الكوفة فتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد أي شقت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) أي ذات أبواب وقيل تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) أي هباء منبثا لعين الناظر كالسراب (ان جهنم كانت مرصادا) طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وقيل كانت

مرصادا أي معدة لهم يقال أرصدت الشيء اذا أعددته له وقيل هو من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو وقوله ان جهنم كانت مرصادا أي ترصد الكفار وروى مقسم عن ابن عباس أن على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسئل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع أكملت به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا أي معدة لهم وقيل هو من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار أي تنتظرهم (للطاغين) اى الكافرين (مآبا) أي مرجعا يرجعون اليها (لابثين فيها) أي في جهنم (أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن علي بن أبي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة * فان قلت الاحقاب وان طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فما معنى قوله أحقابا * قلت ذكروا فيه وجوها

عباس المعصرات السحابة التي حان لها أن تمطر ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) أي صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى (لنخرج به) أي بذلك الماء (حبا) أي ما يأكله الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) أي ما ينبت في الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام (وجنات ألفافا) أي ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم أخبر عنه بقوله تعالى (ان يوم الفصل) أي الحساب (كان ميقاتا) أي لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجمع فيه الخلائق ليقضي بينهم (يوم ينفخ في الصور) يعني النفخة الاخيرة (فتأتون أفواجا) يعني زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت أبوابا) يعني فكانت ذوات أبواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) أي عن وجه الارض (فكانت سرابا) أي هباء منبثا كالسراب في عين الناظر (ان جهنم كانت مرصادا) أي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع أكملت به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة (للطاغين) للكافرين (مآبا) مرجعا يرجعون اليه (لابثين) قرأ حمزة ويعقوب لبثين بغير ألف وقرأ العامة لابثين بالالف وهما لغتان (فيها أحقابا) جمع حقب والحقب الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة روى ذلك عن علي بن طالب وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة وأربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة قال الحسن ان الله لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى السدي عن مرة عن عبد الله قال لو علم أهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وقال مقاتل بن حيان الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة قال وهذه الآية منسوخة نسخها فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل

(لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) روى عن ابن عباس ان البرد النوم ومثله ما قال الكسائي وأبو عبيدة تقول العرب منع البرد البرد أي أذهب البرد النوم وقال الحسن وعطاء لا يذوقون فيها بردا أي روحا وراحة قال مقاتل لا يذوقون فيها بردا ينفعهم من حر ولا شرابا ينفعهم من عطش (الا حميما وغساقا) قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل صديد أهل النار وقد ذكرناه في سورة ص (جزاء وفاقا) أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أي بما جاءه به الانبياء (كذابا) يعني تكذيبا قال الفراء هي لغة يمانية

فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال قال لي اعرابي منهم على المروة يستفتيني الحلق أحب اليك أم القصار (وكل شئ أحصيناه كتابا) أي وكل شئ من الاعمال بيناه في اللوح المحفوظ كقوله وكل شئ أحصيناه في امام مبين (فذوقوا) أي يقال لهم فذوقوا (فلن نزيدكم الا عذابا) قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) فوزا ونجاة من النار وقال الضحاك متنزها (حدائق وأعنابا) يريد أشجار الجنة وثمارها (وكواعب) جواري نواهد قد تكعبت ثديهن واحدتها كاعب (أترابا) مستويات في السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد مترعة مملوءة وقال سعيد ابن جبير ومجاهد متتابعة قال عكرمة صافية (لا يسمعون فيها لغوا) باطلا من الكلام (ولا كذابا) تكذيبا لا يكذب بعضهم بعضا وقرأ الكسائي كذابا بالتخفيف مصدر المكاذبة وقيل هو الكذب وقيل هو بمعنى التكذيب كالمشدد (جزاء من ربك عطاء حسابا) لا أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا يقال أحسبت فلانا أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي وقال ابن قتيبة عطاء حسابا أي كثيرا وقيل هو جزاء بقدر أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو رب رفع على الاستئناف والرحمن خبره وقرأ الآخرون بالجر اتباعا لقوله من ربك وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب الرحمن جرا اتباعا لقوله رب السموات والارض وقرأ الآخرون بالرفع فحمزة والكسائي يقرآن رب بالخفض لقربه من قوله جزاء من ربك ويقرآن الرحمن بالرفع لبعده منه على الاستئناف وقوله لا يملكون في موضع رفع خبره ومعنى

* أحدها ما روي عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبد الله بن مسعود قال لو علم أهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا * الوجه الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها أحقابا لا يذوقون فيها أي في تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها * الوجه الثالث ان الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قدر تنفع والخلود قد حصل (لا يذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا أي روحا وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) أي يغنيهم عن عطش (الا حميما وغساقا) أي لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أي جزيناهم جزاء وافق أعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أي التي جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) أي تكذيبا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال وقد سألني اعرابي منهم يستفتيني الحلق أحب اليك أم القصار يريد التقصير (وكل شئ) أي من الاعمال (أحصيناه) أي بيناه وأثبتناه (كتابا) أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى أنا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر وأنا أجازيهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه الآية أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه * قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) أي فوزا أي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل أن يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون (وأعنابا) التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن (أترابا) يعني مستويات في السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية (لا يسمعون فيها) أي في الجنة وقيل في حالة شربهم لان أهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم (لغوا) أي باطلا من الكلام (ولا كذابا) أي تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن

(لا يملكون منه خطابا) قال مقاتل لا يقدر الخلق على ان يكلموا الرب الا باذنه وقال الكلبي لا يملكون شفاعة الا باذنه (يوم يقوم الروح) أي في ذلك اليوم (والملائكة صفا) واختلفوا في هذا الروح قال الشعبي والضحاك هو جبريل وقال عطاء عن ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم وعن ابن مسعود قال الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا وحده وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وروى مجاهد عن ابن عباس قال هم خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا معه واحد منهم وقال الحسن هم بنو آدم ورواه قتادة عن ابن عباس وقال هذا مما كان يكتمه ابن عباس والملائكة صفا قال الشعبي هما سماطا رب العالمين يوم يقوم سماط من الروح وسماط من الملائكة (لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) في الدنيا أي حقا وقيل قال لا اله الا الله (ذلك اليوم الحق) الكائن الواقع يعني يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) مرجعا وسبيلا بطاعته أي فمن شاء رجع الى الله بطاعته (انا أنذرناكم عذابا قريبا) يعني العذاب في الآخرة وكل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتا في صحيفته (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين لهم أيام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت في الدنيا في صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال

لا يملكون منه خطابا) أي لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب الا باذنه وقيل لا يملكون منه خطابا أي لا يملكون شفاعة الا باذنه في ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم أعظم من السموات والارض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة (لا يتكلمون) يعني الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (الا من أذن له الرحمن) أي في الكلام (وقال صوابا) أي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لا يشفعون الا في شخص أذن الرحمن في الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله (ذلك اليوم الحق) أي الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه (انا أنذرناكم) أي خوفناكم في الدنيا (عذابا قريبا) أي في الآخرة وكل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) يعني من خير أو شر مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيامة (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين لهم أيام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت في الدنيا في صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال

لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ومثله عن مجاهد وقال مقاتل يجمع الله الوحوش والبهائم والهوام والطير فيقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم انما خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين اياهم أيام حياتكم فارجعوا الى الذي كنتم كونوا ترابا فاذا التفت الكافر الى شيء صار ترابا يتمنى فيقول يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير وكنت اليوم ترابا وعن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان قال اذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وبه قال ليث بن أبي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقيل ان الكافر ههنا ابليس وذلك انه عاب آدم انه خلق من التراب وافتخر بانه خلق من النار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال أبو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي

﴿ سورة النازعات مكية وهي ست وأربعون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والنازعات غرقا) يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق اسم أقيم مقام الاغراق أي والنازعات اغراقا والمراد بالاغراق المبالغة في المد وقال ابن مسعود ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة ومن الاظافير وأصول القدمين ويردها في جسده بعد ما ينزعها حتى اذا كادت تخرج ردها في جسده بعد ما ينزعها فهذا عمله بالكفار وقال مقاتل ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفسه كالغريق في الماء وقال مجاهد هو الموت ينزع النفوس وقال السدي هي النفس حين تغرق في الصدر وقال الحسن وقتادة وابن كيسان هي النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة هي القسي وقيل هم الغزاة الرماة (والناشطات نشطا) هي الملائكة تنشط نفس المؤمن أي تحل حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير أي يحل برفق حكى الفراء هذا القول ثم قال والذي سمعت من العرب أن يقولوا انشطت العقال اذا حللته ونشطته اذا عقدته بانشوطة وفي الحديث كأنما انشط من عقال وعن ابن عباس هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة لانه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت وقال علي بن أبي طالب هي الملائكة تنشط ارواح الكفار مما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من

أفواههم بالكرب والغم والنشط الجذب والنزع يقال نشطت الدلو نشطا اذا نزعتها قال الخليل النشط والانشاط مدك الشيء الى نفسك حتى ينحل وقال مجاهد هو الموت ينشط النفوس وقال السدي هي النفس تنشط من القدمين أي تجذب وقال قتادة هي النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب يقال نشط من بلد الى بلد اذا خرج في سرعة ويقال حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد وقال عطاء وعكرمة هي الازهاق (والسابحات سبحا) هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح يأخذ في الماء برفق به وقال مجاهد وأبو صالح هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح اذا أسرع في جريه وقيل هي خيل الغزاة وقال قتادة هي النجوم والشمس والقمر قال الله تعالى وكل في فلك يسبحون وقال عطاء هي السفن (فالسابقات سبقا) قال مجاهد هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال مقاتل هي الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة وعن ابن مسعود قال هي أنفس المؤمنين تتسارع وتسبق الى الملائكة الذين يقبضونها شوقا الى لقاء الله وكرامته وقد عاينت المرور وقال قتادة هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير وقال عطاء هي الخيل (فالمدبرات أمرا) قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام أما جبريل فموكل بالوحي والبطش وهزم الجيوش وأما ميكائيل فموكل بالمطر والنبات والارزاق وأما ملك الموت فموكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو صاحب الصور ولا ينزل الا للامر العظيم وجواب هذه الاقسام محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقا

يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في طاعة الله في الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليه بأنه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال أبو هريرة رضي الله عنه يقول التراب لا ولا كرامة لك من جملك مثلي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النازعات مكية ﴾

وهي ست وقيل خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا) اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد أم لاشياء مختلفة على أوجه واتفقوا على ان المراد بقوله (فالمدبرات أمرا) وصف لشيء واحد وهم الملائكة * الوجه الاول في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق أي والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن أي تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا أسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بارواح

قوله عزوجل (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الاولى يتزلزل و يتحرك لها كل شئ و يموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) وهي النفخة الثانية ردفت الاولى و بينهما أربعون سنة قال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحيي كل شئ باذن الله عزوجل وقال مجاهد ترجف الراجفة تتزلزل الارض والجبال تتبعها الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث وأصل الرجفة الصوت والحركة أخبرنا

أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد ابن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن مالك ثنا محمد بن هرون الحضرمي ثنا الحسن بن عرفة ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه (قلوب يومئذ واجفة) خائفة قلقة مضطربة وسمي الوجيف في السير لشدة اضطرابه يقال وجف القلب ووجب وجوفا ووجيفا ووجوبا ووجيبا وقال مجاهد وجلة وقال السدي زائلة عن أماكنها نظيره اذا القلوب لدى الحناجر (أبصارها خاشعة) ذليلة كقوله خاشعين من الذل الآية (يقولون) يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون من بعد الموت (أئنا لمردودون في الحافرة) أي الى أول الحال وابتداء الامر فنصير احياء بعد الموت كما كنا تقول العرب رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ وأول الشئ وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعنى المحفورة كقوله عيشة راضية أي مرضية وقيل سميت حافرة لانها مستقر الحوافر أي أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقال ابن زيد الحافرة النار

المؤمنين الى الجنة * الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل أن يموت وقال علي بن أبي طالب هي أرواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني أرواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة المقدسة * الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير * الوجه الرابع في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في أعنتها وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات في جريها وهي السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية * الوجه الخامس في قوله والنازعات غرقا يعني الغزاة حين تنزع قسيها في الرمي فتبلغ غاية المدوهو قوله غرقا والناشطات نشطا أي السهام في الرمي والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعني الخيل والابل حين يخرجها أصحابها الى الغزو * الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيأ واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى يبلغها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات أما قوله فالمدبرات أمرا فأجمعوا على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله عزوجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة أملاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فموكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى أقسم الله بهذه الاشياء لشرفها ولله أن يقسم بما يشاء من خلقه أو يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الاولى يتزلزل و يتحرك لها كل شئ و يموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية ردفت الاولى و بينهما أربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحيي كل شئ باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة التي تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه * قوله عزوجل (قلوب يومئذ واجفة) أي خافقة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن أماكنها (أبصارها خاشعة) أي أبصار أهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (أئنا لمردودون في الحافرة) يعني أنرد الى أول الحال وابتداء الامر فنصير احياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ وأول الشئ و يقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه الذي جاء منه يحفره بمشيته فحصل بأثر قدميه حفر فهي

(أئذا كنا عظاما نخرة) قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب أئنا مستفهم اذا بتركه ضده أبو جعفر الباقون باستفهامهما وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عظاما ناخرة والآخرون نخرة وهما لغتان مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر ومعناهما البالية وفرق قوم بينهما فقالوا النخرة البالية والناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر أي تصوت (قالوا) يعني المنكرين (تلك اذا كرة خاسرة) رجعة خائبة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت قال الله عز وجل (فانما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة) صيحة (واحدة) يسمعونها (فاذا هم بالساهرة) يعني وجه الارض أي صاروا على وجه الارض بعدما كانوا في جوفها والعرب تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة قال بعض أهل اللغة تراهم سموها ساهرة لان فيها نوم الحيوان

وسهرهم قال سفيان هي أرض الشام وقال قتادة هي جهنم قوله عز وجل (هل أتاك حديث موسى) يقول قد جاءك يا محمد حديث موسى (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) فقال يا موسى (اذهب الى فرعون انه طغى) علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الى أن تزكى) قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي أي تتزكى وتتطهر من الشرك وقرأ الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح قال ابن عباس تشهد أن لا اله الا الله (وأهديك الى ربك فتخشى) أي أدعوك الى عبادة ربك وتوحيده فتخشى عقابه (فأراه الآية الكبرى) وهي العصا واليد البيضاء (فكذب) بأنهما من الله (وعصى ثم أدبر) تولى وأعرض عن الايمان (يسعى) يعمل بالفساد في الارض (فحشر) فجمع قومه وجنوده (فنادى) لما اجتمعوا (فقال أنا ربكم الاعلى) فلا رب فوقي وقيل أراد ان الاصنام أرباب وأنا ربكم وربها (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) قال الحسن وقتادة عاقبه الله فجعله نكال الآخرة والاولى أي في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار وقال مجاهد وجماعة من المفسرين أراد بالآخرة والاولى كلمتي فرعون قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله أنا ربكم الاعلى وكان بينهما أربعون سنة (ان في ذلك) الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) عظة (لمن يخشى) الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال (أأنتم أشد خلقا أم السماء) يعني أخلقكم بعد الموت أشد عندكم وفي تقديركم أم السماء وهما في قدرة الله واحد كقوله لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ثم وصف من خلق السماء فقال (بناها رفع سمكها) سقفها

محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار (أئذا كنا عظاما نخرة) أي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر أي تصوت (قالوا) يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا أهوال القيامة (تلك اذا كرة خاسرة) أي رجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فانما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) أي صيحة واحدة يجمعون بها جميعا (فاذا هم بالساهرة) يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطء عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي أرض الشام وقيل أرض القيامة وقيل هي أرض جهنم * قوله عز وجل (هل أتاك حديث موسى) يعني قد أتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب الى فرعون انه طغى) أي علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الى أن تزكى) أي تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد أن لا إله الا الله (وأهديك الى ربك) أي أدعوك الى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعني عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فأراه) أي أرى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعني اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعني فرعون بانها من الله (وعصى) أي تمرد وأظهر التجبر (ثم أدبر) أي أعرض عن الايمان (يسعى) يعمل الفساد في الارض (فحشر) أي فجمع قومه وجنوده (فنادى) أي لما اجتمعوا (فقال) يعني فرعون لقومه (أنا ربكم الأعلى) أي لا رب فوقي وقيل أراد ان الاصنام أرباب وهو ربها وربهم (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى) أي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان أغرقه في الدنيا ويدخله النار في الآخرة وقيل أراد بالآخرة والاولى كلمتي فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله أنا ربكم الاعلى وكان بينهما أربعون سنة (ان في ذلك) أي في الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) أي عظة (لمن يخشى) أي يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكري البعث فقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) معناه أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء عندكم في تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا أضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء أعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خلق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى (رفع سمكها) يعني علو سمتها

(فسوّاها) بلا شقوق ولا فطور (وأغطش) أظلم (ليلها) والغطش والغبش الظلمة (وأخرج ضحاها) أبرز وأظهر نهارها ونورها وأضافهما الى السماء لان الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء (والارض بعد ذلك) بعد خلق السماء (دحاها) بسطها والدحو البسط قال ابن عباس خلق الله الارض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم أي مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة وسميت القيامة طامة لانها تطم على كل هائلة من الامور فتعلو فوقها وتغمر ماسواها والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ماسعى) ماعمل في الدنيا من خير وشر (وبرّزت الجحيم لمن يرى) قال مقاتل يكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فأما من طغى) في كفره (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة (فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) عن المحارم التي تشتهيها قال مقاتل هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها (فان الجنة هي المأوى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) متى ظهورها وثبوتها (فيم أنت من ذكراها) لست في شئ من علمها وذكرها أي لا تعلمها (الى ربك منتهاها) أي منتهى علمها عند الله (انما أنت منذر من يخشاها) قرأ أبو جعفر منذر بالتنوين أي أنبئ مخوّف من يخاف قيامها أي انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعني الكفار (يوم يرونها) أي يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) أي في الدنيا وقيل في قبورهم (الا عشية أو ضحاها) * فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله أو ضحاها * قلت ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية أو ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كانه قال الا عشية أو ضحى يومها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة عبس مكية ﴾

سمتها وقيل رفعها بغير عمد (فسوّاها) أي أتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (وأغطش) أي أظلم (ليلها) والغطش الظلمة (وأخرج) أي وأظهر وأبرز (ضحاها) أي نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه أكمل أجزاء النهار في النور والضوء وانما أضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي في السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) أي بسطها ومدها قال أمية بن أبي الصلت

دحوت البلاد فسوّيتها * وأنت على طيها قادر

* فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضي ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين ومامعناهما * قلت خلق الله الارض أولا مجتمعة ثم سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم أي مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي فجر من الارض عيونها ومرعاها أي رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوّز (والجبال أرساها) أي أثبتها (متاعا لكم ولانعامكم) أي الذي أخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم * قوله عز وجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ماسعى) أي ماعمل في الدنيا من خير أو شر (وبرّزت الجحيم لمن يرى) يعني انه ينكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فاما من طغى) أي كفر (وآثر الحيوة الدنيا) أي على الآخرة (فان الجحيم هي المأوى) أي لمن هذه صفته (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أي المحارم التي يشتهيها وقيل هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فان الجنة هي المأوى) أي لمن هذه صفته * قوله عز وجل (يسئلونك) أي يا محمد (عن الساعة أيان مرساها) أي متى ظهورها وقيامها (فيم أنت من ذكراها) أي لست في شئ من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (الى ربك منتهاها) أي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت يا محمد من ذكراها أي من علامتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (انما أنت منذر من يخشاها) اي انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعني الكفار (يوم يرونها) أي يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) أي في الدنيا وقيل في قبورهم (الا عشية أو ضحاها) * فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله أو ضحاها * قلت ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية أو ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كانه قال الا عشية أو ضحى يومها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة عبس مكية ﴾

انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعني كفار قريش (يوم يرونها) يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) في الدنيا وقيل في قبورهم (الا عشية أو ضحاها) قال الفراء ليس للعشية ضحى انما الضحى اسم لصدر النهار ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا آتيك العشية أو غدا تها انما معناه آخر يوم أو أوله نظير قوله يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

﴿ سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (عبس) كلح (وتولى) أعرض بوجهه (أن جاءه الاعمى) وهو ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك ابن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبى بن خلف وأخاه أمية يدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما أتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس بن مالك فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء (وما

وهى احدى وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عزوجل (عبس وتولى) أى كلح وقطب وجهه وتولى أى أعرض بوجهه (أن جاءه الاعمى) يعنى ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس ابن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشى الفهرى من بنى عامر بن لؤى واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وذلك انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبى بن خلف وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضى الله عنها قالت أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله أرشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففى هذا أنزلت أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (وما يدريك) أى أى شئ يجعلك داريا (لعله يزكى) أى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أو يذكر) أى يتعظ (فتنفعه الذكرى) أى الموعظة (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال (فأنت له تصدى) أى تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه (وما عليك ألا يزكى) أى لا يؤمن ولا يهتدى وانما عليك البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يعنى يمشى يعنى ابن أم مكتوم (وهو يخشى) أى الله عزوجل (فأنت عنه تلهى) أى تتشاغل وتعرض عنه (كلا) أى لا تفعل بعدها مثلها (انها) يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) أى موعظة للخلق (فمن شاء) أى من عباد الله (ذكره) أى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عزوجل (فى صحف مكرمة) يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ (مرفوعة) أى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السماء السابعة (مطهرة) يعنى الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بأيدى سفرة)

يدريك لعله يزكى) يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك وقال ابن زيد يسلم (أو يذكر) يتعظ (فتنفعه الذكرى) الموعظة قرأ عاصم فتنفعه بنصب العين على جواب لعل بالفاء وقراءة العامة بالرفع نسقا على قوله يذكر (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال (فأنت له تصدى) تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه قرأ أهل الحجاز تصدى بتشديد الصاد أى تتصدى وقرأ الآخرون بتخفيف الصاد على الحذف (وما عليك ألا يزكى) أن لا يؤمن ولا يهتدى ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يمشى يعنى ابن أم مكتوم (وهو يخشى) الله عزوجل (فأنت عنه تلهى) تتشاغل وتعرض عنه (كلا) زجر أى لا تفعل بعدها مثلها (انها) يعنى هذه الموعظة وقال مقاتل قال آيات القرآن (تذكرة) موعظة وتذكير للخلق (فمن شاء) من عباد الله (ذكره) أى اتعظ به وقال مقاتل فمن شاء الله ذكره وفهمه واتعظ بمشيئته وتفهيمه والهاء فى ذكره راجعة الى القرآن والتنزيل أو الوعظ ثم أخبر عن جلالته عنده فقال (فى صحف مكرمة) يعنى اللوح المحفوظ وقيل كتب الانبياء دليله قوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (مرفوعة) رفيعة القدر عند الله عزوجل وقيل مرفوعة يعنى فى السماء السابعة (مطهرة) لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بأيدى سفرة) قال ابن عباس ومجاهد كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر يقال سفرت أى كتبت ومنه قيل للكتاب سفر وجمعه أسفار وقال الآخرون هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول وسفير القوم الذى يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم اذا أصلحت بينهم ثم أثنى عليهم فقال

(كرام بررة) أى كرام على الله بررة مطيعين جمع بار قوله عزوجل (قتل الانسان) أى لعن الكافر قال مقاتل نزلت فى عتبة بن أبى لهب (ما أكفره) ما أشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وأياديه عنده على طريق التعجب قال الزجاج معناه اعجبوا أنتم من كفره قال الكلبى ومقاتل هو ما الاستفهام يعنى أى شئ حمله على الكفر ثم بين من أمره ما كان ينبغى معه أن يعلم ان الله خالقه فقال (من أى شئ خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسره فقال (من نطفة خلقه فقدره) أطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه قال الكلبى قدر خلقه رأسه وعينيه ويديه ورجليه (ثم السبيل يسره) أى طريق خروجه من بطن أمه قاله السدى ومقاتل وقال الحسن ومجاهد يعنى طريق الحق والباطل سهل له العلم به كما قال انا هديناه السبيل وهديناه النجدين وقيل يسر على كل أحد ما خلقه له وقدر عليه (ثم أماته فأقبره) جعل له قبرا يوارى فيه قال الفراء جعله مقبورا ولم يجعله ممن يلقى كالسباع والطيور يقال قبرت الميت اذا دفنته وأقبره الله أى صيره (١٧٥) بحيث يقبر وجعله ذا قبر كما يقال

قال ابن عباس يعنى كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله (كرام) أى هم كرام على الله (بررة) أى مطيعين له جمع بار * قوله عزوجل (قتل الانسان) أى لعن الكافر وطرد (ما أكفره) أى ما أشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب أى اعجبوا من كفره وقيل معناه أى شئ حمله على الكفر نزلت هذه الآية فى عتبة بن أبى لهب وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة فى كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغى أن يعلم ان الله تعالى خالقه منه فقال تعالى (من أى شئ خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعنى خلقه أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعنى خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما أراده (ثم السبيل يسره) أى سهل له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل أحد ما خلق له وقدر عليه (ثم أماته فأقبره) أى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور أو أقبره بمعناه ستره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات ثم قال تعالى (ثم اذا شاء أنشره) أى أحياه بعد موته للبعث والحساب وانما قال تعالى ثم اذا شاء أنشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء أن يحيى الخلق أحياهم (كلا) ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب (لما يقض ما أمره) أى لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قدرة ربه فيه أى كيف قدره ربه ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى (أنا صببنا الماء صبا) يعنى المطر (ثم شققنا الارض شقا) أى بالنبات (فأنبتنا فيها) أى بذلك الماء (حبا) يعنى الحبوب التى يتغذى بها الانسان (وعنبا) يعنى انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا أتبعه الحب (وقضبا) يعنى القت وهو الرطب سمى بذلك لانه يقتضب أى يقطع فى كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذى تعلف به الدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعنى غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفاكهة) يعنى جميع ألوان الفاكهة (وأبا) يعنى

طردت فلانا والله أطرده أى صيره طريدا (ثم اذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) رد عليه أى ليس كما يقول ويظن هذا الكافر وقال الحسن حقا (لما يقض ما أمره) أى لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته وقال مجاهد الى مدخله ومخرجه ثم بين فقال (أنا) قرأ أهل الكوفة أنا بالفتح على تكرير الخافض مجازه فلينظر الى انا وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف (صببنا الماء صبا) يعنى المطر (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) يعنى الحبوب التى يتغذى بها (وعنبا وقضبا) وهو القت الرطب سمى بذلك لانه يقضب فى كل أيام أى يقطع وقال الحسن القضب العلف للدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلا) جمع نخلة (وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الاشجار واحدها أغلب ومنه قيل لغليظ الرقبة أغلب وقال مجاهد ومقاتل الغلب الملتفة الشجر بعضها فى بعض قال ابن عباس طوالا (وفاكهة) يريد ألوان الفواكه (وأبا) يعنى الكلأ والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله الانعام والدواب قال عكرمة الفاكهة ما يأكل الناس والاب ما يأكله الدواب ومثله عن قتادة قال الفاكهة لكم والاب لانعامكم وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما أنبتت الارض مما يأكل الناس والانعام وروى عن ابراهيم التيمى ان أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم وروى ابن شهاب عن أنس انه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه

(متاعالكم) منفعة لكم يعني الفاكهة (ولانعامكم) يعني العشب ثم ذكر القيامة فقال (فاذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة سميت بذلك لانها تصخ الاسماع أي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) لا يلتفت الى واحد منهم لشغله بنفسه حكى عن قتادة قال في هذه الآية يوم يفر المرء من أخيه قال يفرها بيل من قابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من أمه وابراهيم عليه السلام من أبيه ولوط عليه السلام من صاحبته ونوح عليه السلام من ابنه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يشغله

عن شأن غيره أخبرنا أحمد ابن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله أنا عبد الله ابن عبد الرحمن ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا ابن أبي أويس ثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (ووجوه يومئذ مسفرة) مشرقة مضيئة (ضاحكة) بالسرور (مستبشرة) فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل (ووجوه يومئذ عليها غبرة) سواد وكآبة مما يشاهدونه من الغم والهم (ترهقها قترة) تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف قال ابن عباس تغشاها ذلة قال ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة ان القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء والغبرة ما كان أسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء (أولئك) أي الذين يصنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع الكافر والفاجر

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سهل المارسرجسي املاء أنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى المارسرجسي ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا ابراهيم بن خالد ثنا عبد الله بن بحير القاضي قال سمعت عبد الرحمن بن زيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت

الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل فاكهة ما يأكله الناس والاب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما أنبتت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمي ان أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله مالا أعلم (خ) عن أنس ان عمر قرأ وفاكهة وأبا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب ومالا فدعوه (متاعالكم) يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم (ولانعامكم) ثم ذكر أهوال القيامة فقال تعالى (فاذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ أسماع الخلق أي تبالغ في أسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أي انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر هابيل من أخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من أمه وابراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقربونهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كأنه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لانهما أقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهما أشد من تعلقه بالابوين (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (ووجوه يومئذ مسفرة) أي مشرقة مضيئة من أسفر الصبح اذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من أثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله (ضاحكة) أي عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم (ترهقها قترة) أي تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان أسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء (أولئك) أي الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة التكوير مكية﴾

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه الترمذي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله

قوله عز وجل (اذا الشمس كورت) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أظلمت وقال قتادة ومقاتل والكلبي ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على رأسي أكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها وأصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرم نارا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا عبد العزيز بن المختار ثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت من السماء وتساقطت على الارض يقال انكدر الطائر اذا سقط عن عشه قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع (واذا الجبال سيرت) على وجه الارض فصارت هباء منبثا (واذا العشار عطلت) وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي أنفس مال عند العرب عطلت تركت هملا بلا راع اهملها أهلها وكانوا لازمين لاذنابها ولم يكن لهم مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعني دواب البر (حشرت) جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض وروى عكرمة عن ابن عباس قال حشرها موتها وقال حشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة وقال أبي بن كعب اختلطت (واذا البحار سجرت) قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد ومقاتل يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح فصارت البحور

قوله عز وجل (اذا الشمس كورت) قال ابن عباس أظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة وأصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرم نارا (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع (واذا الجبال سيرت) أي عن وجه الارض فصارت هباء منثورا (واذا العشار عطلت) يعني النوق الحوامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي أنفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع أهملها أهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعني من دواب البر (حشرت) أي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شيء موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم أهل النار وقيل سجرت أي يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال أبي بن كعب ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذا انصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى (واذا النفوس زوجت)

كلها بحرا واحدا وقال الكلبي ملئت وهذا أيضا معنى قوله والبحر المسجور والمسجور المملوء وقيل صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لاهل النار وقال الحسن يبست وهو قول قتادة قال ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش والسباع وماج بعضهم في بعض فذلك قوله واذا الوحوش حشرت واختلطت واذا العشار عطلت واذا البحار سجرت قال قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم وعن ابن عباس أيضا قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكره بقوله عز وجل (واذا النفوس زوجت) روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح

مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وهذا قول عكرمة وقال الحسن وقتادة ألحق كل امرئ بشيعته اليهودى باليهودى والنصرانى بالنصرانى قال الربيع بن خيثم يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس بأعمالها وقال عطاء ومقاتل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وروى عن عكرمة قال واذا النفوس زوجت ردت الارواح فى الاجساد (واذا الموؤدة سئلت) وهى الجارية المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أى يثقلها حتى تموت وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة يقال وأدته وأدا فهو وائد والمفعول موؤد روى عكرمة عن ابن عباس كانت المرأة فى الجاهلية اذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفرة وان ولدت غلاما حبسته (بأى ذنب قتلت) قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما وأبو جعفر يقرأ قتلت بالتشديد ومعناه تسئل الموؤدة فيقال لها بأى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها تقول قتلت بغير ذنب وروى أن جابر بن زيد كان يقرأ واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت

روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس بأعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد (واذا الموؤدة سئلت) يعنى الجارية التى دفنت وهى حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أى يثقلها حين تموت وكانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة فى الجاهلية اذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد بقاءها حية ألبسها جبة صوف أو شعر وتركها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا أراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة فى النار أخرجه أبو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يئد فافتخر به الفرزدق فى شعره فقال

ومنا الذى منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم توأد

(بأى ذنب قتلت) معناه تسئل الموؤدة فيقال لها بأى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعنى صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كشطت) أى نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وأزيلت عمن فيها (واذا الجحيم سعرت) أوقدت لاعداء الله تعالى (واذا الجنة أزلفت) أى قربت لاولياء الله (علمت نفس ما أحضرت) يعنى عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من خير أو شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا * قوله عز وجل (فلا أقسم) لا زائدة والمعنى أقسم وقد تقدم ذلك فى قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعنى النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن على بن أبى طالب وقيل هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس فى مجاريها أى ترجع وراءها فى الفلك وتنكس أى

ومثله قرأ أبو الضحى (واذا الصحف نشرت) قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب نشرت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد لقوله يتلوا صحفا منشرة يعنى صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كشطت) قال الفراء نزعت فطويت وقال الزجاج قلعت كما يقلع السقف وقال مقاتل تكشف عمن فيها ومعنى الكشط رفعك شيأ عن شئ قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام (واذا الجحيم سعرت) قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم سعرت بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف أى أوقدت لاعداء الله (واذا الجنة أزلفت) قربت لاولياء الله (علمت) عند ذلك كل (نفس ما أحضرت) من خير أو شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت

وما بعدها قوله عز وجل (فلا أقسم بالخنس) ولا زائدة معناه أقسم بالخنس (الجوار الكنس) قال قتادة هى النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتخفى فلا ترى وعن على أيضا أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى وتكنس بالليل فتأوى الى مجاريها وقال قوم هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس فى مجراها أى ترجع وراءها وتكنس تستر وقت اختفائها وغروبها كما تكنس الظباء فى مغارها وقال ابن زيد معنى الخنس انها تخنس أى تتأخر عن مطالعها فى كل عام تأخرا تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه بتأخرها والكنس أى تكنس بالنهار فلا ترى وروى الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله أنها هى الوحش وقال سعيد بن جبير هى الظباء وهى رواية العوفى عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس أن تأوى الى مكانسها وهى المواضع التى تأوى اليها الوحوش

(والليل اذا عسعس) قال الحسن أقبل بظلامه وقال الآخرون أدبر تقول العرب عسعس الليل وسعسع اذا أدبر ولم يبق منه الا اليسير (والصبح اذا تنفس) أقبل و بدا أوله وقيل امتد ضوءه وارتفع (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل أي نزل به جبريل عن الله تعالى (ذي قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة ففتحه بجناحه نفحة ألقاه الى أقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض و يصعد في أسرع من الطرف (عند ذي العرش مكين) في المنزلة (مطاع ثم) أي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة اياه انهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) على وحي الله ورسالته الى أنبيائه (وما صاحبكم بمجنون) يقول لاهل مكة وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا ليس كما يقوله أهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وما يقول يقوله من عند نفسه (ولقد رآه) يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) وهو الافق الاعلى من ناحية المشرق قاله مجاهد وقتادة

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني بن فنجويه ثنا محمد بن جعفر ثنا الحسن بن علوية ثنا اسمعيل ابن عيسى ثنا اسحق بن بشر أنا ابن جريج عن عكرمة بن خالد ومقاتل عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه

تستروقت اخفائها وقيل انها تخنس أي تتأخر عن مطالعها والكنس معناه أنها لا ترى بالنهار وقيل هي الظباء وهي رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو أن تأوي الى كناسها وهو الموضع الذي يأوي اليه الوحوش (والليل اذا عسعس) أي أقبل بظلامه وقيل أدبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرف الليل (والصبح اذا تنفس) أي أقبل و بدا أوله وقيل أسفر وفي تنفسه قولان أحدهما ان في اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني أنه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عز وجل (ذي قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة ففتحه بجناحه نفحة ألقاه الى أقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف (عند ذي العرش مكين) أي في المنزلة والجاه (مطاع ثم) أي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له انهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) يعني على وحي الله تعالى الى أنبيائه (وما صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول أهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وأن ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التي خلق فيها (بالافق المبين) يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام اني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فأين تشاء أن أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني ذلك قال فبمنى قال لا يسعني ذلك قال فبعرفات قال لا يسعني ذلك قال بحراء قال ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه

وسلم لجبريل اني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء أن أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فههنا قال لا يسعني قال فبعرفات قال ذلك بالحري أن يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم كبر وخر مغشيا عليه قال فتحول جبريل في صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لك لو رأيت اسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الصعو يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته

(وماهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أى الوحى وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عنه من الانباء والقصص (بضنين) قرأ أهل مكة والبصرة والكسائى بالظاء أى بمتهم يقال فلان يظن بمال ويزن أى يتهم به والظنة التهمة وقرأ الآخرون بالضاد أى ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا تقول العرب ضننت بالشئ بكسر النون أضن به ضنا وضنانة فأنا به ضنين أى بخيل (وماهو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) قال الكلبى يقول ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش (فأين تذهبون) أى أين تعدلون عن هذا القرآن وفيه الشفاء والبيان قال الزجاج اى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم ثم بين فقال (إن هو) أى ما القرآن (الا ذكر للعالمين) موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى يتبع الحق ويقيم عليه (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) أى اعلمهم ان المشيئة فى التوفيق اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وفيه اعلام ان أحدا لا يعمل خيرا الا

بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه

﴿ سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقال الربيع فجرت فاضت (واذا القبور بعثرت) بحثرت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء يقال بعثرت الحوض وبحثرته اذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه (علمت نفس ماقدمت وأخرت) قيل ماقدمت من عمل صالح أوسيئ وما أخرت من سنة حسنة أوسيئة وقيل ماقدمت من الصدقات وأخرت من التركات على ماذكرنا فى قوله ينبأ الانسان يومئذ بماقدم وأخر (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم) ماخدعك وسول لك الباطل حتى أضعت وقيل ماوجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قال عطاء نزلت فى الوليد بن المغيرة وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى أبى الشريق ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله عز وجل فانزل الله هذه الآية يقول ما الذى غرك بربك الكريم المتجاوز عنك اذلم يعاقبك عاجلا بكفرك قال قتادة غره عدوه المسلط عليه يعنى الشيطان قال مقاتل غره عفو الله حين لم يعاقبه فى أول أمره وقال السدى غره رفق الله به وقال ابن مسعود ما منكم من أحد الا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فقال يا فضيل ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرنى ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامنى بين يديه فقال يا يحيى ماغرك بى قلت غرنى بك برك بى سالفا وآنفا وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى بك كرم الكريم قال بعض أهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كانه لقنه الاجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم

وشانه حتى يصير كالصعو يعنى العصفور حتى مايحمل عرش ربك الا عظمته (وماهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أى الوحى وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء (بظنين) قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والمظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو أجرة الكاهن وقراءة الظاء أولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو أراد البخل لقال وماهو بالغيب (وما هو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) يعنى ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه (فاين تذهبون) أى فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه أى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم (ان هو) يعنى ما فى القرآن (الا ذكر للعالمين) أى موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) أعلمهم الله ان المشيئة فى التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الانفطار مكية ﴾

وهى تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (اذا السماء انفطرت) اى انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت (واذا البحار فجرت) أى فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (واذا القبور بعثرت) أى بحثرت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء (علمت نفس ماقدمت وأخرت) يعنى علمت فى ذلك اليوم ماقدمت من عمل صالح أوسيئ وأخرت بعدها من حسنة أوسيئة وقيل ماقدمت من الصدقات وأخرت من الزكوات وهذه أحوال يوم القيامة * قوله عز وجل (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم) أى ماخدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ماصنعت وضيعت ماأوجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى أبى الشريق واسمه أسيد بن كلدة

(الذى خلقك فسوّاك فعدلك) قرأ أهل الكوفة وابو جعفر فعدلك بالتخفيف أى صرفك وأمالك الى أى صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا وقرأ الآخرون بالتشديد أى قومك وجعلك معتدل الخلق والاعضاء (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال مجاهد والكلبى ومقاتل فى أى شبه من أب اوام أو خال أو عم وجاء فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أحضر كل عرق بينه و بين ابن آدم ثم قرأ فى أى صورة ما شاء ركبك وذكر الفراء والزجاج قولا آخر فى أى صورة ما شاء ركبك اما طويلا أو قصيرا (١٨١) أو حسنا أو غير ذلك قال عكرمة وأبو صالح فى أى صورة ما شاء ركبك ان شاء فى صورة انسان وان شاء فى صورة دابة أو حيوان آخر (كلا بل تكذبون) قرأ أبو جعفر بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لقوله وان عليكم لحافظين (بالدين) بالجزاء والحساب (وان عليكم لحافظين) رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) على الله (كاتبين) يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ما تفعلون) من خير أو شر قوله عز وجل (ان الابرار لفى نعيم) الابرار الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه (وان الفجار لفى جحيم) روى أن سليمان بن عبد الملك قال لابى حازم المزنى ليت شعرى ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال فاين أجده فى كتاب الله فقال عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قوله عز وجل (يصلونها) يدخلونها (يوم الدين) يوم القيامة (وما هم عنها بغائبين) ثم عظم ذلك اليوم فقال (وما أدراك ما يوم الدين) ثم كرر تفخيما لشانه فقال (ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك) قرأ أهل مكة والبصرة يوم برفع الميم ردا على اليوم الاول وقرأ الآخرون بنصبها أى فى يوم يعنى هذه الاشياء فى يوم لا تملك (نفس لنفس شيأ) قال مقاتل يعنى لنفس كافرة شيأ من المنفعة (والامر يومئذ لله) أى يوم لا يملك الله فى ذلك اليوم أحد اشيأ كما ملكهم فى الدنيا والله أعلم

وقيل كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وأنزل الله هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ما الذى غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى أول مرة بربك الكريم أى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من أحد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرنى ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامنى بين يديه وقال ما غرك بى أقول غرنى برك بى سالفا وآنفا وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ما غرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم وقال بعض أهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كانه لقنه حجته فى الاجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم (الذى خلقك) أى أوجدك من العدم الى الوجود (فسوّاك) أى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) أى عدل خلقك فى مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها أطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا لا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (فى أى صورة ما شاء ركبك) أى فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم وجاء فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أحضر كل عرق بينه و بين آدم ثم قرأ فى أى صورة ما شاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك فى صورة انسان وان شاء فى صورة دابة أو حيوان وقيل فى أى صورة ما شاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفى هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى * قوله عز وجل (كلا بل تكذبون بالدين) أى بيوم الحساب والجزاء (وان عليكم لحافظين) يعنى رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) أى على الله (كاتبين) أى يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ما تفعلون) يعنى من خير أو شر * قوله عز وجل (ان الابرار) يعنى الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (وان الفجار لفى جحيم) روى أن سليمان بن عبد الملك قال لابى حازم المزنى ليت شعرى ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال أين أجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يصلونها يوم الدين) يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء (وما هم عنها بغائبين) أى عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى أى شىء أعلمك به لو لم نعرفك أحواله (ثم ما أدراك ما يوم الدين) التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أى لا تملك نفس كافرة لنفس كافرة شيأ من المنفعة (والامر يومئذ لله) يعنى انه لم يملك الله فى ذلك أحدا شيأ كما ملكهم فى الدنيا والله أعلم

﴿ تفسير سورة المطففين مدنية ﴾

﴿ سورة المطففين مكية أو مدنية وهى ست وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ويل للمطففين) يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد علي الصيرفي ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية فالله تعالى جعل الويل للمطففين ثم بين ان المطففين من هم فقال (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) وأراد اذا اكتالوا من الناس أي أخذوا منهم ومن وعلى يتعاقبان قال الزجاج المعنى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وأراد الذين اذا اشتروا لانفسهم استوفوا في الكيل والوزن (واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أي كالوا لهم أو وزنوا لهم اي للناس يقال وزنتك حقك وكلتك طعامك أي وزنت لك وكلت لك كما يقال نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك كتبك وكتبت لك

قال أبو عبيد وكان عيسى ابن عمر يجعلهما حرفين يقف على كالوا أو وزنوا ويبتدئ هم يخسرون قال أبو عبيدة والاختيار الاولى يعني ان كل واحدة كلمة واحدة لانهم كتبوهما بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكتب كالوا أو وزنوا بالالف كسائر الافعال مثل جاؤا وقالوا واتفقت المصاحف على اسقاط الالف ولانه يقال في اللغة كلتك ووزنتك كما يقال كلت لك ووزنت لك وقوله يخسرون أي ينقصون قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى ان العرق ليلجمهم الى انصاف آذانهم (ألا يظن) يستيقن (أولئك) الذين يفعلون ذلك (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم ليوم (لرب العالمين) أي لامره وجزائه وحسابه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا ابراهيم ابن المنذر أنا معن حدثني مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود ثنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر حدثني سليم ابن عامر حدثني المقداد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال سليم لا أدري أي الميلين يعني مسافة الارض أو الميل الذي تكحل به العين قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما فرأيت رسول الله

في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهي من قوله ان الذين أجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهي قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (ويل) أي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم (للمطففين) يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشيء اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) يعني انهم اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس أي اشتروا شيأ استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم أو وزنوهم) يعني واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) أي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وقال الفضيل يخس الميزان سوادا يوم القيامة (ألا يظن) أي ألا يعلم ويستيقن (أولئك) أي الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعني من قبورهم (لرب العالمين) أي لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون

صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده الى فيه يقول يلجمه الجاما قوله عز وجل (كلا) ردع أى ليس الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وتمام الكلام ههنا وقال الحسن كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) الذى كتبت فيه أعمالهم (لفى سجين) قال عبد الله ابن عمرو وقتادة ومجاهد والضحاك سجين هى الارض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى بن محمد ثنا الحسن بن علويه أنا اسمعيل بن عيسى ثنا المسيب ثنا الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال سمرة بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال أخبرنى عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين فقال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها ثم تهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين من تحت جند ابليس رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة واليه ذهب سعيد بن جبير قال سجين تحت جند ابليس وقال عطاء الخراسانى هى الارض السفلى وفيها ابليس وذريته وقال الكلبى هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء وخضرة السماء منها يجعل كتاب الفجار تحتها وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد أيضا قال سجين صخرة تحت الارض السفلى تقلب فيجعل كتاب الفجار فيها وقال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقال عكرمة لفى سجين أى لفى خسار وضلال وقال الاخفش هو فعيل من السجن كما يقال فسيق وشريب معناه لفى حبس وضيق شديد (وما أدراك ما سجين) قال الزجاج أى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك (كتاب مرقوم) ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار أى هو كتاب الفجار مرقوم أى هو كتاب مرقوم أى مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به وقال قتادة ومقاتل رقم عليه بشركانه علم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مختوم بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم أحدهم فى رشحه الى انصاف أذنيه وروى مرفوعا عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى أو ميلين قال سليم بن عامر والله ما أدرى ما يعنى بالميل مسافة الارض أو الميل ما تكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه * قوله عز وجل (كلا) قيل انه ردع وتنبيه أى ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) أى الذى كتبت فيه أعمالهم (لفى سجين) قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها أرواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال أخبرنى عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لفى سجين لفى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفى حبس وضيق شديد (وما أدراك ما سجين) أى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين (كتاب مرقوم) ليس هذا تفسير السجين وانما هو بيان للكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم أى مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشركانه علم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم أى مختوم وهو بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين) وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين أى فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) أى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء (وما يكذب به) أى بيوم القيامة (الا كل معتد) أى متجاوز عن نهج الحق (أثيم) هو مبالغة فى الآثم وهو المرتكب الاثم والمعاصى (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أى أكاذيب الاولين * قوله عز وجل

كلا) قال مقاتل أي لا يؤمنون ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي ثنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن حمويه السرخسي أنا ابراهيم بن حزيم الشاشي أنا أبو محمد عبد بن حميد الكشي ثنا صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقله ترين رينا وريونا اذا غلبت عليه حتى سكر ومعنى الآية غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال ابن عباس كلا يريد لا يصدقون ثم استأنف فقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال بعضهم عن كرامته ورحمته ممنوعون وقال قتادة هو أن لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وقال أكثر المفسرين عن رؤيته قال الحسن لو علم الزاهدون العابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقال الشافعي رضي الله عنه في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على أن أولياء الله يرون الله عيانا ثم أخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال (ثم انهم لصالوا الجحيم) لداخلو النار (ثم يقال) أي تقول لهم الخزنة (هذا) أي هذا العذاب (الذي كنتم به تكذبون) كلا أي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار لفي عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) تنبيه له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم

(كلا) أي لا يؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يميت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع الله على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شيء كالصدى فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم في الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذي ذهب اليه أكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لو لا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقال الشافعي في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان أولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم أخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال عز من قائل (ثم انهم لصالوا الجحيم) أي لداخلو النار (ثم يقال) أي تقول لهم الخزنة (هذا) أي هذا العذاب (الذي كنتم به تكذبون) يعني في الدنيا (كلا) أي ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا أي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار لفي عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) تنبيه له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم (لا يشهده المقربون) من كل سماء فيكتبونه فيما يقال ثم يرفع الى السماء التي تليها فيشهده المقربون من أهلها

الكرامة وهو معنى قول مقاتل وقيل رقم لهم بخير وتقدير الاية على التقديم والتأخير مجازها ان كتاب الابرار كتاب مرقوم فى عليين وهو محل الملائكة ومثله كتاب الفجار كتاب مرقوم فى سجين وهو محل ابليس وجنده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب أو ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين (ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون) الى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة وقال مقاتل ينظرون الى عدوهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) اذا رأيتهم عرفت انهم من أهل النعمة مما ترى فى وجوههم من النور والحسن والبياض قال الحسن النضرة فى الوجه والسرور فى القلب وقرأ أبو جعفر ويعقوب تعرف بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل نضرة رفع وقرأ الباقون بفتح التاء وكسر الراء نضرة نصب (يسقون من رحيق) خمرصافية طيبة قال مقاتل الخمر البيضاء (مختوم) ختم ومنع من أن تمسه يد الى أن يفك ختمه الابرار قال مجاهد مختوم أى مطين (ختامه) أى طينه (مسك) كانه ذهب الى هذا المعنى قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنياطين وقال ابن مسعود مختوم أى ممزوج ختامه أى آخر طعمه وعاقبته مسك فالمختوم الذى له

فى عليين فيه ما أعد لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون أى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن * قوله تعالى (ان الابرار) يعنى المطيعين لله (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهى الاسرة فى الحجال (ينظرون) أى الى ما أعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى أعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) يعنى انك اذا رأيتهم تعرف انهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب (يسقون من رحيق) يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم) يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الايدى الى أن يفك ختمه الابرار * فان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خمر وانهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين * قلت يحتمل أن يكون المذكور فى هذه الآية فى أوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها (ختامه مسك) أى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم أى ممزوج ختامه أى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به ويبخل (ومزاجه من تسنيم) أى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه أعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (عينا يشرب بها) أى منها وقيل يشربها (المقربون) أى صرفا * وقوله عز وجل (ان الذين أجرموا) أى أشركوا يعنى كفار قريش أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفى أهل مكة (كانوا من الذين آمنوا)

ختام أى آخر وختم كل شئ الفراغ منه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقراءة العامة ختامه مسك بتقديم التاء وقرأ الكسائى خاتمه وهى قراءة على وعلقمة ومعناهما واحد كما يقال فلان كريم الطابع والطباع والخاتم والختام آخر كل شئ (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون وقال عطاء فليستبق المستبقون وأصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن (ومزاجه من

تسنيم) شراب ينصب عليهم من علو فى غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء متسنما فينصب فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وهذا معنى قول قتادة وأصل كلمة السنام من العلو يقال للشئ المرتفع سنام ومنه سنام البعير قال الضحاك هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف الشراب قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وهو قوله ومزاجه من تسنيم (عينا يشرب بها المقربون) وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن قوله من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين عينا نصب على الحال يشرب بها اى منها وقيل يشرب بها المقربون صرفا قوله عز وجل (ان الذين أجرموا) أشركوا يعنى كفار قريش أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفى مكة (كانوا من الذين آمنوا) عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين

(يضحكون) وبهم يستهزؤون (واذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون بالكفار (يتغامزون) والغمز الاشارة بالجفن والحاجب أى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء (واذا انقلبوا) يعنى الكفار (الى أهلهم انقلبوا فكهين) معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم (واذا رأوهم) رأوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (قالوا ان هؤلاء لضالون) يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم يرون انهم على شئ (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) أعمالهم أى لم يوكلوا بحفظ أعمالهم (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) قال أبو صالح وذلك انه يفتح للكفار وهم فى النار أبوابها (١٨٦) ويقال لهم اخرجوا فاذا رأوها مفتوحة أقبلوا اليها ليخرجوا والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى أبوابها غلقت دونهم يفعل بهم ذلك مرارا والمؤمنون يضحكون وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه كان فى الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى كما قال فاطلع فرآه فى سواء الجحيم فاذا اطلعوا فى الجنة الى أعدائهم وهم يعذبون فى النار ضحكوا فذلك قوله عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) من الدر والياقوت (ينظرون) اليهم فى النار قال الله تعالى (هل ثوب) هل جوزى (الكفار ما كانوا يفعلون) أى جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام ههنا التقرير وثوب وأثاب بمعنى واحد

﴿ سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا السماء انشقت) انشقاقها من علامات القيامة (وأذنت لربها) أى سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع (وحقت) أى وحق لها أن تطيع ربها (واذا الارض مدت) مد الاديم العكاظى وزيد فى سعتها وقال مقاتل سويت أى كمد الاديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل (وألقت) أخرجت (ما فيها) من الموتى والكنوز (وتخلت) خلت منها (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا فى جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب والعقاب وقيل جوابه (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) ومجازه اذا السماء انشقت لقى كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة ومعنى قوله كادح

أى من عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أى منهم ويستهزؤون بهم (واذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء (يتغامزون) يعنى يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب أى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم (واذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهين) أى معجبين بما هم فيه وقيل ينقلبون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم (واذا رأوهم) يعنى رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى هم فى ضلال يأتون محمدا ويرون انهم على شئ قال الله عز وجل (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) أى لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ أعمالهم * قوله عز وجل (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما أفضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال أبو صالح تفتح للكافرين أبواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه فى الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) جمع أريكة وهو السرير ويتخذ فى الحجلة وهى الكلة يزين بها البيت وأرائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى اليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أى جوزى الكفار (ما كانوا يفعلون) أى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب وأثيب بمعنى قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب * وحسبك أن يثنى عليك وتحمدى

والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الانشقاق مكية ﴾

وهى خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (اذا السماء انشقت) يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها (وأذنت لربها) أى سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع (وحقت) أى حق لها أن تطيع أمر ربها (واذا الارض مدت) يعنى مد الاديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل (وألقت ما فيها) أى أخرجت ما فى بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) أى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا فى جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب أو العقاب وقيل جوابه يا أيها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقى كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا)

الى ربك كدحا أى ساع اليه فى عملك والكدح سعى الانسان وجهده فى الامر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه أى يؤثر وقال قتادة والكلبى والضحاك عامل لربك عملا (فملاقيه) أى ملاق جزاء عملك خيرا كان أو شرا (فاما من أوتى كتابه) ديوان أعماله (بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا سعيد ابن أبى مريم أنا نافع عن ابن عمر حدثنى ابن أبى مليكة أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيأ لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت عائشة رضى الله عنها فقلت يا رسول الله أوليس يقول الله عز جل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش فى الحساب يهلك (وينقلب الى أهله) يعنى فى الجنة من الحور العين والآدميات (مسرورا) بما أوتى من الخير والكرامة (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) فتغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقال مجاهد تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (فسوف يدعوا ثبورا) ينادى بالويل والهلاك اذا قرأ كتابه يقول يا ويلاه يا ثبوراه لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا (ويصلى سعيرا) قرأ أبو جعفر وأهل البصرة وعاصم وحمزة ويصلى بفتح الياء خفيفا كقوله يصلى النار الكبرى وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام لقوله وتصلية جحيم ثم الجحيم صلوه (انه كان فى أهله مسرورا) يعنى فى الدنيا باتباع هواه وركوب شهواته (انه ظن أن لن يحور) ان لن يرجع الينا ولن يبعث ثم قال (بلى) أى ليس كما ظن بل يحور الينا ويبعث (ان ربه كان به بصيرا) من يوم خلقه الى أن بعثه قوله عز وجل (فلا أقسم بالشفق) قال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة ما بقى من النهار وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وقال قوم هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة (والليل وما وسق) أى جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا أقبل أوى كل شئ الى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد فيجوز أن يقسم به (والقمر اذا اتسق) أى اجتمع وتم نوره وذلك فى الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركبن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد

أى ساع اليه فى عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده فى الامرين الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح فى لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح فى دنياك كدحا تصير به الى ربك (فملاقيه) أى فملاق جزاء عملك خيرا كان أو شرا وقيل فملاق ربك (فأما من أوتى كتابه بيمينه) يعنى ديوان عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن أبى مليكة أن عائشة كانت لا تسمع شيأ لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب (وينقلب الى أهله) يعنى فى الجنة من الحور العين والآدميات (مسرورا) أى بما أوتى من الخير والكرامة (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعنى أنه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعوا ثبورا) يعنى عند اعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم أنه من أهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه (ويصلى سعيرا) أى ويقاسى لهاب النار وحرها (انه كان فى أهله) يعنى فى الدنيا (مسرورا) يعنى باتباع هواه وركوب شهواته (انه ظن أن لن يحور) أى لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع (بلى) أى ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب (ان ربه كان به بصيرا) أى من يوم خلقه الى أن يبعث * قوله عز وجل (فلا أقسم بالشفق) تقدم الكلام فى تفسير لا أقسم فى سورة القيامة وأما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته فى ذلك أنه عطف عليه فيجب أن يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقى من النهار وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبى حنيفة (والليل وما وسق) أى جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا أقبل أوى كل شئ الى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد فيجوز أن يقسم به (والقمر اذا اتسق) أى اجتمع وتم نوره وذلك فى الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركبن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد

طبقا عن طبق) قرأ أهل مكة وحمزة والكسائي لتركبن بفتح الباء يعني لتركبن يا محمد قال الشعبي ومجاهد سماء بعد سماء قال الكلبي يعني تصعد فيها ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والرفعة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا سعيد بن النضر أنا هيثم أنا أبو بشر عن مجاهد قال قال ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم وقيل أراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل فتنشق بالغمام مرة وتطوى أخرى وقرأ الآخرون بضم الباء لان المعنى بالناس أشبه لانه ذكر من قبل فاما من أوتي كتابه بيمينه وشماله وذكر من بعد فما لهم لا يؤمنون وأراد لتركبن حالا بعد حال وأمرا بعد أمر في موقف القيامة يعني الاحوال تتقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وعن ابن عباس في رواية عطاء يعني بعد الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة وقال عطاء مرة فقيرا ومرة غنيا وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس يعني الشدائد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقال عكرمة حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وقال أبو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد اسمعيل ثنا محمد بن عبد العزيز أنا أبو عمرو الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن قوله عز وجل (فما لهم لا يؤمنون) استفهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) قال الكلبي ومقاتل لا يصلون أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي (وشاهد ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد أنا معمر قال سمعت أبي قال حدثني بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذا قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) في صدورهم من التكذيب قال مجاهد يكتمون (فبشرهم بعذاب أليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع ولا منقوص

﴿ سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والسماء ذات البروج) يعني والسماء ذات البروج (واليوم الموعود) هو يوم القيامة

(طبقا عن طبق) يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة أسري به فاصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا لنبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال وأمرا بعد أمر وذلك في موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم (ق) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم وأحوالهم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الآية انه أراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى أخرى (فما لهم لا يؤمنون) يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعني لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة أحد سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذا قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت (بل الذين كفروا يكذبون) يعني بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب أليم) يعني على عنادهم وكفرهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة البروج مكية ﴾

وهي اثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمسة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثني عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة

(وشاهد ومشهود) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء الا أعاذه منه وهذا قول ابن عباس والاكثرون ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وروى عن ابن عمر الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر قال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقال عبد العزيز بن يحيى الشاهد محمد

صلى الله عليه وسلم والمشهود الله عز وجل بيانه قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة وقال عكرمة الشاهد الانسان والمشهود يوم القيامة وعنه أيضا الشاهد الملك يشهد على ابن آدم والمشهود يوم القيامة وتلا وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم مشهود وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقال عطاء بن يسار الشاهد آدم وذريته والمشهود يوم القيامة وروى الوالبي عن ابن عباس الشاهد هو الله عز وجل والمشهود يوم القيامة وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم بيانه وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال سالم بن عبد الله سألت سعيد بن جبير عن قوله وشاهد ومشهود فقال الشاهد هو الله والمشهود نحن بيانه وكفى بالله شهيدا وقيل الشاهد أعضاء ابن آدم والمشهود ابن آدم بيانه يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم الآية وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد بيانه قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين الى قوله فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (قتل أصحاب الاخدود) أي لعن والاخدود الشق المستطيل في الارض كالنهر وجمعه أخاديد واختلفوا فيهم أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي عبد الله بن سعدان الخطيب أخبرني أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن قريش بن نوح بن رستم ثنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البوشنجي ثنا هدبة بن خالد ثنا حماد ابن سلمة ثنا ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان

(وشاهد ومشهود) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر الا أعاذه الله منه أخرجه الترمذي وضعف أحد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود أي عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أي عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أي لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتني قال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي فقال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني انه قد بلغ من

قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه وكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوى الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك وكان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما هذا لك هذا لك أجمع ان أنت شفيتنى قال انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله فان آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربى عز وجل قال أولك رب غيرى قال ربى وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجىء بالغلام

فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الاكمه والابرص وتفعل كذا وتفعل كذا فقال انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جىء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جىء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع نخل ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى به فانك ان فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فاتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود فى أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبرى ولا تقاعسى فانك على الحق هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وفى هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب فى مصلحة ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك والاكمه هو الذى خلق أعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر أعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق

سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جىء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جىء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع نخل ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبى لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبرى فانك على الحق هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن هدبة

ابن خالد عن حماد بن سلمة وذكر محمد بن اسحق عن وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فسار اليه ذونواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخد الاخاديد وأحرق اثنى عشر ألفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق قال الكلبي وذونواس قتل عبدالله بن التامر وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكران خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبدالله بن التامر واضعا يده على ضربة فى رأسه اذا أميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم من حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذى وجدتم عليه وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شراحبيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر وكان أبوه قد سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب الى أن قال الغلام للملك انك لا تقدر على قتلى الا أن تفعل (١٩١) ما أقول لك قال فكيف أقتلك

والاخدود الشق العظيم فى الارض وأقحموه اى ارموه فيها وتقاعست اى تاخرت وكرهت الدخول فى النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل بن شراحيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فاحبوه فسار اليه ذونواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثنى عشر ألفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن تامر واضعا يده على ضربة فى رأسه اذا أميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذى وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن أبزى لما انهزم أهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب أى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال على بن أبي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد أحلت لهم فتنا ولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه انك تخطب الناس وتقول ان الله قد أحل نكاح الاخوات فاذا ذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقرّ به وما جاءنا به من نبى ولا أنزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فابوا أن يقروا فخرد فيهم السيف فابوا أن يقروا فخرد لهم الاخدود وأوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن أبى قذفه فى النار ومن أجاب أطلقه وروى عن على قال كان أصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه أناس فقاتلهم الكفار فقتل أصحابه وأخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا له

قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترمينى بسهم باسم الهى ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا الله اله عبد الله ابن تامر لا دين الا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرضهم رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال دينى دين عبد الله ابن تامر ألقاه فى الاخدود فأحرقه وكان فى مملكته امرأة اسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا ألقيتك وأولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن دينك فابت فالقى الثانى فى النار ثم قال لها ارجعى فابت فاخذوا الصبى منها ليلقوه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال الصبى يا أماه لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا باس عليك فالقى الصبى فى النار وألقيت أمه على أثره وقال سعيد ابن جبير وابن أبزى لما انهزم أهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب اى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال على بن أبي طالب رضى الله عنه بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر أحلت لهم فتنا ولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد أحل نكاح الاخوات فاذا ذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا فقال ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقرّ به وما جاءنا به نبى ولا أنزل علينا فيه كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فخرد فيهم السيف فابوا ان يقروا فخدّ لهم اخدودا وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى ولم يطعه قذفه فى النار ومن أجاب خلى سبيله وقال الضحاك أصحاب الاخدود من بنى اسرائيل أخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم اخدودا ثم أوقدوا فيها النيران فاقاموا المؤمنين عليها فقالوا أتكفرون أم نقذفكم

فى النار ويزعمون انه دانيال واصحابه وهذه رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال أبو الطفيل عن على رضى الله عنه كان أصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على رضى الله عنه ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الآية فدعاهم فتابعه ناس فقاتلهم اصحابه فاخذوا وأوثقوا من أفلت منهم فخدوا اخدودا فملؤها نارا فمن اتبع النبى رمى فيها ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة ومعها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى يا أماه مرى ولا تنافقى وقال عكرمة كانوا من النبط أحرقوا بالنار وقال مقاتل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس أما التى بالشام فهوا بطاموس الرومى وأما التى بفارس فبختنصر وأما التى بارض العرب فهو ذونواس يوسف فاما التى بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل فى التى كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه فى عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستاجر النور يضىء من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمقه حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا من بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذونواس فخد لهم فى الارض وأوقد فيها نارا فعرضهم على الكفر فمن أبى أن

اخدودا فملؤها نارا فمن تبع ذلك النبى رمى به فى النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى يا أماه قعى ولا تقاعسى وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التى بالشام فهوا بطاموس الرومى وأما التى بفارس فبختنصر ويزعمون انهم أصحاب دانيال وأما التى باليمن فذونواس يوسف فاما التى بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وأنزل فى التى بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره فى الدين * وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا فى النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم (اذهم عليها قعود) أى جلوس عند الاخدود (وهم) يعنى الملك الذى خد الاخدود وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) أى من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا الى دينهم (شهود) أى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما نقموا منهم) قال ابن عباس ما كرهوا منهم (الا أن يؤمنوا بالله) وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله (العزيز) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لا يغالب ولا يدافع (الحميد) يعنى الذى يستحق أن يحمد ويثنى عليه وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذى له ملك السموات والارض) أى فهو المستحق للعبادة (والله على كل شئ) اى من أفعالهم بالمؤمنين (شهيد) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين * قوله عز وجل (ان الذين فتنوا) أى عذبوا وأحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) اى بالنار (ثم لم يتوبوا) اى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان الله أحرقهم بالنار التى أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم فى الآخرة ثم ذكر

يكفر قذفه فى النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وان امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت فى الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه انى أرى أمامك نارا لا تطفأ فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهما فى النار فجعلها الله وابنها فى الجنة فقذف فى النار فى يوم واحد سبعة وسبعون ألف انسان فذلك قوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود (النار ذات الوقود) بدل من الاخدود قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا فى النار بقبض أرواحهم قبل ما أن تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم (اذهم عليها قعود) اى عند النار جلوس يعذبون المؤمنين قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسى عند الاخدود (وهم) يعنى الملك واصحابه الذين خدوا الاخدود (على ما يفعلون بالمؤمنين) من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا الى دينهم (شهود) حضور وقال مقاتل يعنى يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما نقموا منهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كرهوا منهم (الا أن يؤمنوا بالله) قال مقاتل ما عابوا منهم وقيل ما علموا فيهم عيبا قال الزجاج ما أنكروا عليهم ذنبا الا ايمانهم بالله (العزيز الحميد الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ) من أفعالهم (شهيد ان الذين فتنوا) عذبوا واحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) يقال فتنت الشئ اذا أحرقته نظيره يومهم على النار يفتنون (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما أحرقوا المؤمنين وقيل ولهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان الله أحرقهم بالنار التى أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود قاله الربيع بن أنس والكلبى ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) واختلفوا فى جواب القسم فقال بعضهم جوابه قتل أصحاب الاخدود يعنى لقد قتل وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره قتل أصحاب الاخدود والسماء ذات البروج وقال قتادة جوابه (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان أخذه بالعذاب اذا أخذ الظلمة لشديد كقوله ان أخذه أليم شديد (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم أولا فى الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت (وهو الغفور) لذنوب المؤمنين (الودود) المحب لهم وقيل معناه المودود كالحلوب والركوب بمعنى المحلوب والمركوب وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل المتودد الى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش المجيد) قرأ حمزة والكسائى المجيد بالجر على صفة العرش أى السرير العظيم وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم فقال رب العرش الكريم ومعناه الكمال والعرش أحسن الاشياء وأكملها وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش (فعال لما يريد) لا يعجزه شئ يريده ولا يمتنع منه شئ طلبه قوله عز وجل (هل أتاك حديث الجنود) قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال (فرعون وثمود بل الذين كفروا) من قومك يا محمد (فى تكذيب) لك وللقرآن كذب من قبلهم ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار (والله من ورائهم محيط) عالم بهم لا يخفى عليه شئ من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) كريم شريف كثير الخير ليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرأ نافع محفوظ بالرفع على

ما أعد للمؤمنين فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) قوله عز وجل (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان أخذه بالعذاب اذا أخذ الظلمة لشديد (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم أولا فى الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم فى القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) أى المحب لهم وقيل المحبوب أى يوده أولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل هو المتودد الى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش) أى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجد من صفات التعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش أى السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش أحسن الاجسام ثم قال تعالى (فعال لما يريد) يعنى انه لا يعجزه شئ ولا يمنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل أولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر (هل أتاك) أى قد أتاك (حديث الجنود) أى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (وثمود) وكانت قصتهم عند أهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) أى من قومك يا محمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن أهلكنا منهم (والله من ورائهم محيط) أى عالم بهم لا يخفى عليه شئ من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) أى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الطارق مكية ﴾

وهى سبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

 نعت القرآن فان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذى يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أنا الحسين بن محمد بن فنجويه أنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه أنا اسمعيل بن عيسى ثنا اسحق بن بشر أخبرنى مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق الى المغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه قديم وكل شئ فيه مستور وقيل أعلاه معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك قال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش

﴿ تفسير سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والسماء والطارق) قال الكلبي نزلت في أبي طالب وذلك انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نار افتزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله عز وجل فعجب أبو طالب فانزل الله عز وجل والسماء والطارق وهذا قسم والطارق النجم يظهر بالليل وما أتاك ليلا فهو طارق (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره فقال (النجم الثاقب) أي المضيء المنير قال مجاهد المتوهج قال ابن زيد أراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه تقول العرب للطائر اذا حلق ببطن السماء ارتفاعا قد ثقب (ان كل نفس) جواب القسم (لما عليها حافظ) قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى ما كل نفس الا عليها حافظ وهي لغة هذيل

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (والسماء والطارق) قيل نزلت في أبي طالب وذلك انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب أبو طالب فانزل الله والسماء والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق

تريد أن أباها نجم في علوه وشرفه (وما أدراك ما الطارق) قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) أي المضيء المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالي وقيل هو الذي يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه أقسام أقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) يعني ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير أو شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها * قوله عز وجل (فلينظر الانسان) يعني نظر تفكر واعتبار (مم خلق) أي من أي شيء خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعني من مني (دافق) أي مدفوق مصبوب في الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما (يخرج) يعني ذلك الماء وهو المني (من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثدي المرأة قيل ان المني يخرج من جميع أعضاء الانسان وأكثر ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر (انه على رجعه لقادر) يعني ان الله تعالى قادر على أن يرد النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه ان الذي قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو أهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الاعمال

يجعلون لما بمنزلة الا يقولون نشدتك الله لما قمت أي الا قمت وقرأ الآخرون بالتخفيف جعلوا ما صلة مجازه ان كل نفس لعليها حافظ وتأويل الآية كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير وشر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقال الكلبي حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها (فلينظر الانسان مم خلق) أي فليتفكر من أي شيء خلقه ربه أي فلينظر نظر المتفكر ثم بين فقال (خلق من ماء دافق) مدفوق أي مصبوب في الرحم وهو المني فاعل بمعنى مفعول كقوله عيشة راضية والدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وجعله واحدا لامتزاجهما (يخرج من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وروى الوالبي عنه بين ثدي المرأة وقال قتادة النحر وقال ابن زيد الصدر (انه على رجعه لقادر) قال مجاهد على رد النطفة في الاحليل وقال عكرمة على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقال الضحاك انه على رد الانسان ماء كما كان من قبل لقادر وقال مقاتل بن حيان ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج وقال قتادة ان الله تعالى على بعث الانسان واعادته بعد الموت قادر وهذا أولى الاقاويل لقوله (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا قال قتادة ومقاتل تختبر قال عطاء ابن أبي رباح السرائر فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد فلو شاء

كالصوم

العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها قال ابن عمر يبدى الله عز وجل يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من أداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه أغبر (فما له من قوة ولا ناصر) أى ما لهذا الانسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر لانه يرجع كل عام و يتكرر وقال ابن عباس هو السحاب يرجع بالمطر (والارض ذات الصدع) أى تتصدع وتنشق عن النبات والاشجار والانهار وجواب القسم قوله (انه) يعنى القرآن (لقول فصل) حق وجد يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) باللعب والباطل ثم أخبر عن مشركى مكة فقال (انهم يكيدون كيدا) يحتالون النبى صلى الله عليه وسلم و يظهرون ما هم على خلافه (وأكيد كيدا) وكيد الله استدراجها ياهم من حيث لا يعلمون (فمهل الكافرين) قال ابن عباس هذا وعيد من الله عز وجل لهم (أمهلهم رويدا) قليلا ومعنى

كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد و بين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدى الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر (فما له) أى لهذا الانسان المنكر البعث (من قوة) أى يمتنع بها من عذاب الله (ولا ناصر) أى ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر سمى به لانه يجىء و يرجع و يتكرر (والارض ذات الصدع) أى تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول فصل) أى انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) أى باللعب والباطل (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعنى يحتالون بالمكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيه (وأكيد كيدا) يعنى أجازيهم على كيدهم بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون فأنتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار (فمهل الكافرين) أى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال تعالى (أمهلهم رويدا) يعنى قليلا فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الاعلى مكية ﴾

وهى تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحد وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى) أى قل سبحان ربى الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح أى صل بامر ربك الاعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو داود (الذى خلق فسوى) أى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة (والذى قدر فهدى) قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شئ شكله فهدى أى فعرف كيف يأتى الذكر الانثى وقيل قدر مدة الجنين فى الرحم وهداه

مهل وامهل انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف

﴿ سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (سبح اسم ربك الاعلى) يعنى قل سبحان ربى الاعلى والى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله ثنا محمد ابن عبد الله ثنا عبد الله ابن عمر بن أبان ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن مسلم البطين عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى وقال قوم معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه به الملحدون وجعلوا الاسم صلة ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا لان أحدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا انما يقولون سبحان الله وسبحان ربنا وكان معنى سبح اسم ربك سبح ربك وقال آخرون نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت معظم ولذكره محترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية وقال ابن عباس سبح أى صل بامر ربك الاعلى (الذى خلق فسوى) قال الكلبى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين قال الزجاج خلق الانسان مستويا ومعنى سوى عدل قامته (والذى قدر فهدى) قرأ الكسائى قدر بتخفيف الدال وشددها الآخرون وهما بمعنى واحد وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراتعها وقال مقاتل والكلبى قدر لكل شئ مسلكه فهدى عرفها كيف يأتى الذكر الانثى وقيل قدر الارزاق فهدى لاكتساب الارزاق والمعاش وقيل خلق المنافع فى الاشياء وهدى الانسان لوجه

استخراجها منها وقال السدى قدر مدة الجنين فى الرحم ثم هداه للخروج من الرحم وقال الواسطى قدر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر عليه (والذى أخرج المرعى) أنبت العشب وما ترعاه النعم من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض (فجعله) بعد الخضرة (غثاء) هشيما باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل (أحوى) اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود (سنقرئك) سنعلمك بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى الا ما شاء الله) أن تنساه وما نسخ الله تلاوته من القرآن كما قال ما ننسخ من آية أو ننسها والانساء نوع من النسخ وقال مجاهد والكلبى كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة أن ينساها فانزل الله سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيأ (انه يعلم الجهر) من القول والفعل (ومايخفى) منهما والمعنى انه يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) قال مقاتل نهوّن عليك عمل الجنة وهو معنى قول ابن

الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر أى أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى (والذى أخرج المرعى) أى أنبت العشب وما ترعاه الانعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك (فجعله) يعنى المرعى بعد الخضرة (غثاء) أى هشيما يابسا باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل (أحوى) أى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود * قوله عز وجل (سنقرئك) أى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعنى ما يقرأ عليك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة أن ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيأ بعد ذلك (الا ما شاء الله) يعنى ان تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما شاء الله أن تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت أسقطتهن من سورة كذا أخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسيه شيأ (انه يعلم الجهر) يعنى من القول والفعل (ومايخفى) يعنى منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) أى نهوّن عليك أن تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة ومايخفى مما تقرؤه فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أى نهوّن عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) أى فعظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) أى مدة نفع الموعظة والتذكير أو المعنى عظ أنت وذكر ان نفعت الذكرى أو لم تنفع انما عليك البلاغ (سيذكر من يخشى) أى سيتعظ من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) أى الذكرى ويتباعد عنها (الاشقى) أى فى علم الله تعالى (الذى يصلى النار الكبرى) أى النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هى نار الآخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) أى فى النار فيستريح (ولا يحيى) أى حياة طيبة تنفعه * قوله عز وجل (قد أفلح من تزكى) أى تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى

عباس نيسرك لان تعمل خيرا واليسرى عمل الخير وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول اذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أى نهون عليك الوحى حتى تحفظه وتعلمه (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) الموعظة والتذكير والمعنى نفعت أو لم تنفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سرابيل تقيكم الحر وأراد الحر والبرد جميعا (سيذكر) سيتعظ (من يخشى) الله عز وجل (ويتجنبها) أى يتجنب الذكرى ويتباعد عنها (الاشقى) الشقى فى علم الله (الذى يصلى النار الكبرى) العظيمة والفظيعة لانها أعظم وأشد حرا من نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الشرك

الغداة

وقال لا اله الا الله هذا قول عطاء وعكرمة ورواية الوالبى وسعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الحسن من كان عمله زاكيا وقال آخرون هو صدقة الفطر روى عن ابى سعيد الخدرى فى قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) قال خرج الى العيد فصلى صلاته وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعنى من يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما نزلت هذه الآية فى هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وهو قول أبى العالية وابن سيرين وقال بعضهم لا أدرى ما وجه هذا التاويل لان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قال الشيخ الامام محيى السنة رحمه الله يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وأنت حل بهذا البلد فالسورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح حتى

قال عليه الصلاة والسلام أحلت لى ساعة من نهار وكذلك نزل بمكة سيهزم الجمع و يولون الدبر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع و يقول سيهزم الجمع و يولون الدبر وذكر اسم ربه فصلى أى وذكر ربه فصلى وقيل الذكر تكبيرات العيد والصلاة صلاة العيد وقيل الصلاة ههنا الدعاء (بل تؤثرون) قرأ أبو عمرو و يعقوب بالياء يعنى الاشقين الذين ذكروا وقرأ الآخرون بالتاء دليله قراءة أبى بن كعب بل أنتم تؤثرون (الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى) قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها و بهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان أريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان أريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل فى الآخرة وهو خير وأبقى (ان هذا) أى الذى ذكر من قوله قد أفلح من تزكى الى هنا وهو أربع آيات (لفى الصحف الاولى) أى الكتب المتقدمة التى نزلت قبل القرآن ذكر فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعنى ان هذا القدر المذكور فى صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور فى جميع صحف الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور فى هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه عن أبى ذر رضى الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيأ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين فى كتابه وذكره ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيأ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فى ركعة ركعة أخرجه الترمذى والنسائى وعن عبد العزيز ابن جريج قال سألنا عائشة بأى شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ فى الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون وفى الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب والله أعلم

﴿تفسير سورة الغاشية مكية﴾

وهى ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا

الغداة يعنى يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما هذه الآية فى هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى * فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر * قلت يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وأنت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع و يولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدرى أى جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع و يقول سيهزم الجمع و يولون الدبر ووجه آخر وهو أنه كان فى علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فأخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد * قوله عز وجل (بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى) يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وأنتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها و بهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان أريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان أريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل فى الآخرة وهو خير وأبقى (ان هذا) أى الذى ذكر من قوله قد أفلح من تزكى الى هنا وهو أربع آيات (لفى الصحف الاولى) أى الكتب المتقدمة التى نزلت قبل القرآن ذكر فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعنى ان هذا القدر المذكور فى صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور فى جميع صحف الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور فى هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه عن أبى ذر رضى الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيأ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين فى كتابه وذكره ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيأ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فى ركعة ركعة أخرجه الترمذى والنسائى وعن عبد العزيز ابن جريج قال سألنا عائشة بأى شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ فى الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون وفى الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب والله أعلم

﴿تفسير سورة الغاشية مكية﴾

وهى ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا

أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا محمد بن أحمد ابن مفلل الميدانى ثنا محمد ابن يحيى ثنا سعيد بن كثير ثنا يحيى بن أيوب عن يحيى ابن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وفى الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس

﴿سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (هل أتاك حديث الغاشية) قد أتاك حديث القيامة تغشى كل شئ بالاهوال (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) قال عطاء عن ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة يدخلون النار يوم القيامة وهو قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومعنى النصب الدأب في العمل بالنعب وقال عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقال بعضهم عاملة في النار ناصبة فيها قال الحسن لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وبه قال قتادة وهي رواية العوفي عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل قال الكلبي يجرون على وجوههم في النار وقال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار والكلام خرج على الوجوه والمراد منها أصحابها (تصلى نارا) قرأ أهل البصرة وأبو بكر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (هل أتاك) أي قد أتاك يا محمد (حديث الغاشية) يعني القيامة سميت غاشية لانها تغشى كل شئ بأهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (خاشعة) يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه أشرف أعضاء الانسان فعبر به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما الرواية الاولى فانها تختص بمن أحدث في دين الاسلام شيأ ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه وأما الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل في دين الاسلام أو غير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لانها لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى (تصلى نارا حامية) قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيد فعون اليها ورودا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام الا من ضريع) قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شئ في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولا مريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تأكله فانزل الله

تصلى بضم التاء اعتبارا بقوله تسقى من عين آنية وقرأ الآخرون بفتح التاء (حامية) قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله (تسقى من عين آنية) متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشا قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال (ليس لهم طعام الا من ضريع) قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموها الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهو رواية العوفي عن ابن عباس قال الكلبي لا تقربه دابة اذا يبست قال ابن زيد أما في الدنيا فان الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك تعالى

من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شئ في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولا مريئة كلما أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا ما دام رطبا يسمى شبرقا فاذا يبس لا يأكله شئ فانزل الله

(لا يسمن ولا يغني من جوع) ثم وصف أهل الجنة فقال (وجوه يومئذ ناعمة) قال مقاتل في نعمة وكرامة (لسعيها) في الدنيا (راضية) في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية) لغوا وباطلا قرأ أهل مكة والبصرة لا يسمع بالياء وضمها لاغية رفع وقرأ نافع بالتاء وضمها لاغية رفع وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها لاغية بالنصب على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة مالم يجئ أهلها فاذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى مواضعها (وأكواب موضوعة) عندهم (ونمارق) وسائد ورافق (مصفوفة) بعضها بجنب بعض واحدتها نمرقة بضم النون (وزرابي) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية (مبثوثة) مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله تعالى في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله تعالى صنعه فقال أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكانت الابل أعظم عيش العرب لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لاهل الجنة فيها ما صنع وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الابل من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لانهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة ذكر الله ارتفاع سرر الجنة وفرشها فقالوا كيف نصعدها فانزل الله هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درها والابل من أعز مال للعرب وأنفسها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن وقيل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت

تعالى (لا يسمن ولا يغني من جوع) يعني ان هذا الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الانسان على أكله فهو اذا لا يسمن ولا يغني من جوع * فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية انه لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع آخر انه لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما * قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) أي متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة (لسعيها راضية) أي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حيث أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية) قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض (لا تسمع فيها لاغية) أي ليس فيها لغو ولا باطل (فيها عين جارية) على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة مالم يجئ أهلها فاذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى مواضعها (وأكواب) يعني الكيزان التي لا عرى لها (موضوعة) يعني عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة (ونمارق مصفوفة) يعني وسائد ورافق مصفوفة بعضها جنب بعض أينما أراد أن يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى (وزرابي) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية (مبثوثة) أي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس * قوله عز وجل (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من أنفس أموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهد الفيل الا النادر منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب درره والابل أعز مال للعرب وأنفسه تأكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتني اما للزينة أو للركوب أو للحمل أو للبن أو لاجل اللحم ولا توجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويأكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة أيام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات وهي

(والى السماء كيف رفعت) عن الارض حتى لا يناله شئ يغيرها (والى الجبال كيف نصبت) على وجه الارض مرساة لا تزول (والى الارض كيف سطحت) بسطت قال عطاء عن ابن عباس هل يقدر أحد ان يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غيرى (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر) بمسلط فتقتلهم وتكرههم على

سفن البر يحمل عليها الثقيل و يقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت * فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم يبدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال * قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من أعظم شئ عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا و يصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها من أعجب الحيوانات عندهم (والى السماء كيف رفعت) يعنى فوق الارض بغير عمد ولا يناله شئ (والى الجبال كيف نصبت) أى على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول (والى الارض كيف سطحت) أى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شئ قال ابن عباس المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شئ ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (فذكر انما أنت مذكر) أى فعظ انما أنت واعظ (لست عليهم بمسيطر) أى بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسخها آية القتال (الا من تولى وكفر) استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو أن يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا فى الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار أكبر من هذا كله (ان الينا ايابهم) أى رجوعهم بعد الموت (ثم ان علينا حسابهم) يعنى جزاءهم بعد الرجوع الينا والله أعلم

﴿ تفسير سورة الفجر مكية ﴾

وهى تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وماثة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (والفجر) أقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهى انها دلائل باهرة و براهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا فى معانى هذه الالفاظ فروى عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح فى كل يوم أقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات فى طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا انه صلاة الفجر والمعنى انه أقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذى الحجة لانه قرن به الليالى العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليال عشر) قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذى لا يحصل فى غيرها روى عن ابن عباس انها العشر الاول من ذى الحجة لانها أيام الاشتغال بأعمال الحج وأخرج الترمذى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيهن أحب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هى العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وشد مئزره وأيقظ أهله يعنى للعبادة وقيل هى العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن أبى سعيد الخدرى مجاهد وقتادة والضحاك والسدى والكلبى وقال أبو روق عن الضحاك هى العشر الاول من شهر رمضان وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال هى العشر الاواخر من شهر رمضان وقال يمان بن رباب هى العشر الاول من المحرم التى عاشرها يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قرأ حمزة والكسائى الوتر بكسر الواو وقرأ الاخرون بفتحها واختلفوا فى الشفع والوتر قيل الشفع الخلق قال الله تعالى وخلقناكم أزواجا والوتر هو الله عز

الايمان نسختها آية القتال (الا من تولى) استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى (وكفر) بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا فى الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر (ان الينا ايابهم) رجوعهم بعد الموت يقال آب يؤب أوبا واياباوقرأ أبو جعفر ايابهم بتشديد الياء وهو شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج فانه قال يقال أيب ايابا على فعل فيعالا (ثم ان علينا حسابهم) يعنى جزاءهم بعد المرجع الى الله عز وجل

﴿ سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والفجر) أقسم الله عز وجل بالفجر روى أبو صالح عن ابن عباس قال هو انفجار الصبح كل يوم وهو قول عكرمة وقال عطية عنه صلاة الصبح وقال قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة وقال الضحاك فجر ذى الحجة لانه قرن به الليالى العشر (وليال عشر) روى عن ابن عباس انها العشر الاول من ذى الحجة وهو قول

وجل روى ذلك عن أبي سعيد الخدري وهو قول عطية العوفي وقال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله كما قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر هو الله قال الله تعالى قل هو الله أحد قال الحسن وابن زيد الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر وروى قتادة عن الحسن قال هو العدد منه شفع ومنه وتر وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر وروى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا وروى عطية عن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع يوم النفر الاول والوتر يوم النفر الاخير روى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما

الخدري وقيل الشفع هو الخلق كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكأنه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التي تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذا يسر) أي اذا سار وذهب وقيل اذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه (هل في ذلك) أي فيما ذكرت (قسم) مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لذي حجر) أي لذي عقل سمي ذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغي كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمي نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي وأصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما أقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك أي ألم تعلم وانما أطلق لفظ الرؤية على العلم لان أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم * وقوله (ألم تر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد (كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) المقصود من ذلك تخويف أهل مكة وكيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد

عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقال مقاتل بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع كانه أقسم بالجنة والنار وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد أوصاف المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والحياة والموت والوتر انفراد صفات الله عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذا يسر) أي اذا سار وذهب كما قال والليل اذ أدبر وقال قتادة اذا جاء وأقبل وأراد كل ليلة وقال مجاهد وعكرمة والكلبي هي ليلة المزدلفة قرأ أهل الحجاز والبصرة يسري بالياء في

الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضا والباقون يحذفونها في الحالين فمن حذف فلوفاق رؤس الآي ومن أثبت فلانها الام الفعل والفعل لا يحذف منه في الوقف نحو قوله هو يقضي وأنا أقضي وسئل الاخفش عن العلة في سقوط الياء فقال الليل لا يسري ولكن يسري فيه فهو مصروف فلما صرفه بخسه حقه من الاعراب كقوله وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لانه صرف من باغية (هل في ذلك) أي فيما ذكرت (قسم) أي مقنع ومكتفى في القسم (لذي حجر) لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل كما يسمى عقلا لانه يعقله عن القبائح وتنهى لانه ينهى عما لا ينبغي وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل (ألم تر) قال الفراء ألم تخبر وقال الزجاج ألم تعلم ومعناه التعجب (كيف فعل ربك بعاد ارم) يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة ممن هؤلاء واختلفوا في ارم فقال سعيد بن المسيب ارم (ذات العماد) دمشق وبه قال عكرمة وقال

قوة من هؤلاء فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ماذكر فى نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم فأهلك عادا وثمود وأبقى أهل السواد وأهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة فى الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادى القرى وهى التى قال الله تعالى (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) وسموا ذات العماد لانهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعنى طولهم مثل العماد فى الشبه قال مقاتل كان طول أحدهم اثنى عشر ذراعا وقوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد يعنى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعادا بنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجارا للؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة أشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار مطردة تجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض أن يمدوه بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى أمر الملك أن نبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليمانى وأقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل

* قوله عز وجل (وثمود) أى وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد (الذين جابوا) أى قطعوا (الصخر) أى الحجر

وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم فنسبهم اليه وهو ارم بن عاد ابن شيم بن سام بن نوح وقال محمد بن اسحق هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح وقال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة كان يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك الله عادا ثم ثمود وبقى أهل السواد والجزيرة وكانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادى القرى وهى التى يقول الله فيها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) وسموا ذات العماد لهذا لانهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سموا ذات العماد لطول قامتهم قال ابن عباس يعنى طولهم مثل العماد وقال مقاتل كان طول أحدهم اثنى عشر ذراعا وقوله لم يخلق مثلها فى البلاد أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه يقال بناه شداد بن عاد على صفة لم يخلق فى الدنيا مثله وسار اليه فى

قومه فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى قومه صيحة من السماء
فاهلكتهم جميعا (وثمود) أى و بثمود (الذين جابوا الصخر) قطعوا الحجر واحدتها صخرة

(بالواد) يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتا وأثبت ابن كثير ويعقوب الياء في الوادي وصلا ووقفا على الاصل وأثبتها ورش وصلا والآخرون بحذفها في الحالين على وفق رؤس الآي (وفرعون ذي الاوتاد) سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وقد ذكرناه في سورة ص أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه ثنا اسمعيل بن عيسى ثنا اسحق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس أن فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت له امرأة وهي امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة تمشط بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غيري أبي فقالت الهي واله أبيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم أن الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وأقري بأني الهك قالت لا أفعل فدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت

(بالواد) يعني بوادي القرى وكانت ثمود أول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا (وفرعون ذي الاوتاد) سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك كما قيل * في ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناده الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهي امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غيري أبي فقالت الهي واله أبيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم أن الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وقري أني الهك قالت لا أفعل فدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء ابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من على وجه الارض على في ما كفرت بالله عزوجل فاتى ابنتها فلما اضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا في المهد صغارا أطفالا وقالت يا أماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام أن ماتت فأسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم أني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر علي أحد فايما هذين الرجلين كتم على فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملأ

بالله وكان لها ابنتان فجاء ابنتها الكبرى فذبحها على قلبها وقال لها اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من على وجه الارض على في ما كفرت بالله عزوجل فاتى ابنتها الصغرى فلما اضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا أطفالا فقالت يا أماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث أن ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤي في موضع كذا في جبل كذا وكذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي ويليه صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأيا ذلك انصرفا فقال حزقيل اللهم انك تعلم أني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر على أحد فايما هذين الرجلين كتم على فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين أظهر على فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملأ فقال له فرعون وهل كان معك غيرك قال نعم فلان فدعاه فقال ألحق ما يقول هذا قال لا ما رأيت مما قال شيأ فاعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وان الهي والهها والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فزق عليها ثيابها وضربها وأرسل الى أبويها فدعاهما فقال لهما ألا تريان أن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك اني أشهد أن ربي وربك

ورب السموات والارض واحدلا شريك له فقال أبوها يا آسية ألست من خير نساء العماليق وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فقبض الله روحها وأسكنها الجنة (الذين طغوا في البلاد) يعني عادا وثمود وفرعون عملوا في الارض بالمعاصي وتجبروا (فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم (٢٠٤) ربك سوط عذاب) قال قتادة يعني لونا من العذاب صبه عليهم قال أهل المعاني هذا على الاستعارة لان السوط عندهم غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع من العذاب قال الزجاج جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد قال الكلبي عليه طريق العباد لا يفوته أحد قال مقاتل ممر الناس عليه والمرصاد والمرصد الطريق وقيل مرجع الخلق الى حكمه وأمره واليه مصيرهم وقال الحسن وعكرمة يرصد أعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته شئ من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد وقال السدي أرصد الله النار على طريقهم حتى يهلكهم (فأما الانسان اذا ما ابتلاه) امتحنه (ربه) بالنعمة (فاكرمه) بالمال (ونعمه) بما وسع عليه (فيقول ربي أكرمن) بما أعطاني (وأما اذا ما ابتلاه) بالفقر (فقدر عليه رزقه) قرأ أبو جعفر وابن عامر فقدر بتشديد الدال وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان أي ضيق عليه رزقه وقيل قدر بمعنى وسعة قتروا عطاه قدر ما يكفيه (فيقول ربي أهانن) أذلني بالفقر وهذا يعني به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته قال الكلبي ومقاتل نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر فرد الله على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال (كلا) لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه فاخبر أن الاكرام والاهانة لا تدور على المال وسعة الرزق ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته ويقدر على المؤمن لا لهوانه انما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته قرأ أهل الحجاز والبصرة أكرمني وأهانني باثبات الياء في الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء والآخرون بحذفها وصلا ووقفا

فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال أحق ما يقول هذا قال ما رأيت مما يقول شيأ فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي جنون ولكن الهها والهك والهي واله السموات والارض واحد لا شريك له فبصق عليها وضربها وأرسل الى أبيها وأمها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك اني أشهد أن ربي وربك وربه السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها أبوها يا آسية ألست من خير نساء العماليق وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها وأدخلها الجنة * قوله عز وجل (الذين طغوا في البلاد) يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فاكثروا فيها الفساد) يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع أقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسام الاثم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان أصل السوط خلط الشئ بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته أحد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وأمره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد أعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته شئ من أعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقد قيل أرصد النار على طريقهم حتى تهلكهم * قوله عز وجل (فأما الانسان اذا ما ابتلاه) أي امتحنه (ربه) أي بالنعمة (فأكرمه) أي بالمال (ونعمه) أي بما يوسع عليه (فيقول ربي أكرمن) أي بما أعطاني من المال والنعمة (وأما اذا ما ابتلاه) يعني بالفقر (فقدر عليه) أي فضيق عليه وقيل قتر (رزقه) أي وقد أعطاه ما يكفيه (فيقول ربي أهانن) أي أذلني بالفقر قيل نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن أن سعة الرزق اكرام وأن الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) أي ليس الامر كذلك أي لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه فاخبر أن الاكرام والاهانة لا يدوران على المال

(بل لا تكرمون اليتيم) قرأ أهل البصرة يكرمون ويحضون ويأكلون ويحبون بالياء فيهن وقرأ الآخرون بالتاء لا تكرمون اليتيم لا تحسنون اليه وقيل لا تعطونه حقه قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه (ولا تحاضون على طعام المسكين) أي لا تأمرون باطعامه وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها أي لا يحض بعضكم بعضا عليه (وتأكلون التراث) أي الميراث (أكلا لما) شديدا يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم قال ابن زيد الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام ويأكل الذي له ولغيره يقال لممت ما على الخوان اذا أتيت ما عليه فأكلته (وتحبون المال حبا جما) أي كثيرا يعني يحبون جمع المال ويولعون به يقال جم الماء في الحوض اذا كثر واجتمع (كلا) ما هكذا ينبغي أن يكون الامر وقال مقاتل أي لا يفعلون ما أمروا به من اكرام اليتيم واطعام المسكين ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من قائل (اذا دكت الارض دكا دكا) مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء (وجاء ربك)

وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من أصناف المال ليختبره أيشكر أم يكفر ويضيق عليه ليختبره أيصبر أم يضجر ويقلق (بل لا يكرمون اليتيم) أي لا يعطونه حقه الثابت له في الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه (ولا يحضون على طعام المسكين) أي لا يطعمون مسكينا ولا يأمرون باطعامه وقرئ ولا يحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (ويأكلون التراث) أي الميراث (أكلا لما) أي شديدا والمعنى أنه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم وقيل الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل أحلال أم حرام فيأكل الذي له ولغيره (ويحبون المال حبا جما) أي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به وبحبه (كلا) أي لا ينبغي أن يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما أمروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) أي دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شيء (وجاء ربك) اعلم أن هذه الآية من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتاخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الآية فقيل في تاويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الآيات (والملك صفا صفا) أي تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وجيء يومئذ) يعني يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود في هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعني يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) أي يتعظ الكافر ويتوب (وأنى له الذكرى) يعني أنه يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة التي لا موت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وثاقه أحد) يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق هو الاسر في السلاسل والاغلال وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق وثاقه أحد وهو أمية بن خلف

(يومئذ) يعني يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) يتعظ ويتوب الكافر (وأنى له الذكرى) قال الزجاج يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة أي لآخرتي التي لا موت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) قرأ الكسائي ويعقوب لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ ولا يوثق كوثاقه يومئذ وقيل هو رجل بعينه وهو أمية بن خلف يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق كوثاقه أحد وقرأ الآخرون بكسر الذال والثاء أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق كوثاقه أحد يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل والاغلال

قوله عزوجل (يا أيتها النفس المطمئنة) الى ما وعد الله المصدقة بما قال الله قال مجاهد المطمئنة التي أيقنت أن الله تعالى ربها وصبرت جاشا لامره وطاعته وقال الحسن المؤمنة الموقنة وقال عطية الراضية بقضاء الله تعالى وقال الكلبي الآمنة من عذاب الله وقيل المطمئنة بذكر الله بيانه قوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله واختلفوا في وقت هذه المقالة فقال قوم يقال لها ذلك عند الموت فيقال لها (ارجعي الى ربك) الى الله (راضية) بالثواب (مرضية) عنك وقال الحسن اذا أراد الله قبضها اطمأنت الى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها قال عبد الله بن عمرو اذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عزوجل ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجي يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه (٢٠٦) والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن فتسجد ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذله الريحان وان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه واذا توفى الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقال أبو صالح في قوله ارجعي الى ربك راضية مرضية قال هذا عند خروجها من الدنيا فاذا كان يوم القيامة قيل ادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال آخرون انما يقال لها ذلك عند البعث ارجعي الى ربك أي الى صاحبك وجسدك فيأمر الله الارواح أن ترجع الى الاجساد وهذا قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس وقال الحسن معناه ارجعي الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما أعدلها مرضية رضي عنها ربها (فادخلي في عبادي) أي مع عبادي جنتي وقيل في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين نظيره وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (وادخلي جنتي) وقال بعض أهل الاشارة يا أيتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى الله بتركها والرجوع الى الله وسلوك سبيل الآخرة وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم نر على خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم نر خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم ندر من قرأها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

﴿ سورة البلد مكية وهي عشرون آية ﴾

وذلك لشدة كفره وعتوه * قوله عزوجل (يا أيتها النفس المطمئنة) أي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التي قد أيقنت بالله تعالى وبأن الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله وقيل هي الآمنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في حبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل في أبي بكر الصديق والاصح أن الآية عامة في كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجعي الى ربك) أي الى ما وعدر بك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عزوجل اليه ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه واذا توفى الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أي من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي الى ربك أي الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح أن ترجع الى أجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته (راضية) أي عن الله بما اعدلك (مرضية) أي رضي الله عنها وقيل لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلي في عبادي) أي في جملة عبادي الصالحين المصطفين (وادخلي جنتي) قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدري من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض أهل الاشارة في تفسير هذه الآية يا أيتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم

﴿ تفسير سورة البلد مكية ﴾

وهي عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (لا أقسم) يعني أقسم (بهذا البلد) يعني مكة (وأنت حل) أي حلال (بهذا البلد) تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس فيه من الاثم أحل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له قال شرحبيل بن سعد ومعنى قوله وأنت حل بهذا البلد قال يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك (ووالد وما ولد) يعني آدم عليه السلام وذريته (لقد خلقنا الانسان في كبد) روى الوالبي عن ابن عباس في نصب قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال قتادة في مشقة فلا تلقاه الا يكابد أمر الدنيا وقال سعيد بن جبير في شدة وقال عطاء عن ابن عباس في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وقال عمرو بن دينار عند نبات أسنانه قال يمان لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وأصل الكبد الشدة وقال مجاهد وعكرمة وعطية والضحاك يعني منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشي منكبا وقيل منتصبا رأسه في بطن أمه فاذا أذن الله في خروجه انقلب رأسه الى أسفل وقيل في كبد أي في قوة نزلت في أبي الاشد أسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه (أيحسب) يعني أبا الاشد من قوته (أن لن يقدر عليه أحد) يعني أيظن لشدته في نفسه انه لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي (يقول) يعني هذا الكافر (أهلكت) أي أنفقت (مالا لبدا) أي كثيرا من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (أيحسب أن لم يره أحد) يعني أيظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه أنفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى أيظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (لا أقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لا أقسم في أول سورة القيامة والبلد هي مكة في قول جميع المفسرين (وأنت حل بهذا البلد) أي مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من أجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل أي حلال والمعنى أحللت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها أحل الله عز وجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وأحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده وقيل في معنى قوله وأنت حل بهذا البلد أي انهم يحرمون أن يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه (ووالد وما ولد) يعني آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه أيضا قال في شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وأصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وعن ابن عباس أيضا قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشي منكبا وقيل منتصبا رأسه في بطن أمه فاذا أذن الله في خروجه انقلب رأسه الى أسفل وقيل في كبد أي في قوة نزلت في أبي الاشد أسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه (أيحسب) يعني أبا الاشد من قوته (أن لن يقدر عليه أحد) أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى وقيل هو الوليد بن المغيرة (يقول أهلكت) يعني أنفقت (مالا لبدا) أي كثيرا بعضه على بعض من التلبيد في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم قرأ أبو جعفر لبدا بتشديد الباء على جمع لبدة مثل راكع وركع وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع لبدة وقيل على الواحد مثل قثم وحطم (أيحسب أن لم يره أحد) قال سعيد بن جبير وقتادة أيظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه وقال الكلبي انه كان كاذبا في قوله أنفقت كذا وكذا ولم يكن انفق جميع ما قال يقول أيظن ان الله عز وجل لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه ليعتبر فقال

(ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) قال قتادة نعم الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق (وهديناه النجدين) قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وقال محمد بن كعب عن ابن عباس وهديناه النجدين قال الثديين وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك والنجد طريق في ارتفاع (فلا اقتحم العقبة) يقول فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان فيكون خيرا له من انفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم هذا قول ابن زيد وجماعة وقيل

فلا اقتحم العقبة أي لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل في جهنم وقال الحسن وقتادة عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي صراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة) أي وما أدراك ما اقتحام العقبة (فك رقبة) يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه أو يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل في معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التي يصير بها الى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار (أو اطعام

عليه ليعتبر فقال تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) يعني ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كي يشكره وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه (وهديناه النجدين) قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين (فلا اقتحم العقبة) أي فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام المساكين يكون ذلك خيرا له من انفاقه في عداوة من أرسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال الخير والبر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمران هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال (وما أدراك ما العقبة) أي وما أدراك ما اقتحام العقبة (فك رقبة) يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه أو يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل في معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التي يصير بها الى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار (أو اطعام

كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار في منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار قال ابن زيد يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال (وما أدراك ما العقبة) ما اقتحام العقبة قال سفيان بن عيينة كل شيء قال وما أدراك فانه أخبر به وما قال وما يدريك فانه لم يخبر به (فك رقبة أو اطعام) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك بفتح الكاف رقبة نصب أو أطعم بفتح الهمزة والميم على الماضي وقرأ الآخرون فك برفع الكاف رقبة جرا أو اطعام على المصدر وأراد بفك الرقبة اعتاقها واطلاقها ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداءه من النار أخبرنا

عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني ابن الهاد عن عمر بن علي بن حسين عن سعيد بن حارثة قال سمعته يحدث عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى يعتق فرجه بفرجه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن كثير العبدي ثنا عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن طلحة بن مصرف اليامي عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقال عكرمة قوله فك رقبة يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة أو اطعام (في يوم ذي مسغبة) مجاعة يقال سغب يسغب سغبا اذا جاع (يتيما ذا مقربة) أي ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة (أو مسكينا ذا متربة) قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال مجاهد عن ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى انه ان كان مؤمنا تنفعه هذه القرب وكان مقتحما العقبة وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة (وتواصوا بالصبر) يعني وصى بعضهم بعضا على الصبر على أداء الفرائض وجميع أوامر الله ونواهيه (وتواصوا بالمرحمة) أي برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله (أولئك) يعني أهل هذه الخصال (أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة) يعني مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الشمس مكية ﴾

وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (والشمس وضحاها) أي اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها وهذا أضعف الاقوال (والقمر اذا تلاها) أي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستديروذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في أول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكأنه تبعها (والنهار اذا جلاها) يعني جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا (والليل اذا يغشاها) أي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسماء وما بناها) أي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كأنه أقسم به وبأعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر

﴿ سورة والشمس مكية وهي خمس عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والشمس وضحاها) قال مجاهد والكلبي ضوءها والضحى حين تطلع الشمس فيصفو ضوءها قال قتادة هو النهار كله وقال مقاتل حرها كقوله في طه ولا تضحى يعني لا يؤذيك الحر (والقمر اذا تلاها) تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقال الزجاج وذلك حين استدار يعني كمل ضوءه فصار تابعا للشمس في الانارة وذلك في الليالي البيض (والنهار اذا جلاها) يعني اذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفا (والليل اذا يغشاها) يعني يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق (والسماء وما بناها) قال الكلبي ومن بناها وخلقها كقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي من طاب قال عطاء يريد والذي بناها وقال الفراء والزجاج ما بمعنى المصدر أي وبنائها كقوله بما غفر لي ربي

آصدت الباب وأوصدته اذا أغلقته وأطبقته وقيل معنى الهمزة المطبقة وغير الهمزة المغلقة

(والارض وما طحاها) بسطها (ونفس وما سوّاها) عدل خلقها وسوّى أعضاءها قال عطاء يريد جميع ما خلق من الجن والانس (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة بين لها الخير والشر وقال في رواية عطية علمها الطاعة والمعصية وروى الكلبي عن أبي صالح عنه عرفها ما تأتي وما تتقي وقال سعيد بن جبير ألزمها فجورها وتقواها قال ابن زيد جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا وحمل الالهام على التوفيق والخذلان وهذا يبين أن الله عز وجل خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور أنا أحمد ابن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله ثنا موسى بن محمد ثنا علي بن عبد الله أنا عبد الله ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن ابراهيم أنا عروة بن ثابت الانصاري ثنا يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس

ويكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم وأكدت عليهم الحجة قلت بل شيء قد قضي عليهم قال فهل يكون ذلك ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا وقلت انه ليس شيء الا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي سددك الله انما سألتك لاختبر عقلك ان رجلا من جهينة أو مزينة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس ويكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم نبيهم وأكدت به عليهم الحجة فقال لا بل شيء قد قضي عليهم ومضى فيهم قال قلت ففيم العمل اذا قال من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال زهير فقال كلمة خفيت علي فسألت عنها نسي ٣ بعد فذكر انه سمعها فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (قد أفلح من زكاها) وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أي خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها وقال الحسن معناه قد أفلح من زكى نفسه فاصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل وقد خاب من دساها أهلكها وأضلها وحملها على المعصية فجعل الفعل للنفس

أي والسماء وبنائها (والارض وما طحاها) أي بسطها وسطحها على الماء (ونفس وما سوّاها) أي عدل خلقها وسوى أعضاءها هذا ان أريد بالنفس الجسد وان أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سوّاها أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتي وما تتقي وقيل ألزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لي يرحمك الله اني لم أرد بما سألتك الا لاختبر عقلك ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها الشمس وما بعدها وأورد على هذا القول انه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير رب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز وأجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد أفلح من زكاها) المعنى لقد أفلح من زكاها أي فازت وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس الشيء اذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى أقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله وأضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد

ودساها أصله دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشئ فابدلت السين الثانية ياء والمعنى ههنا أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا أبو بكر الجور بردي ثنا أحمد بن حرب نا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم قال لا أقول لكم الا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على التكذيب (اذ انبعث أشقاها) أي قام والانبعاث هو الاسراع في الطاعة للباعث أي كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا لما انبعث أشقاها وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا قام لعقر

الناقة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا موسى بن اسمعيل ثنا وهب ثنا هشام عن أبيه انه أخبره عبد الله ابن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) أي احذروا عقر ناقة الله وقال الزجاج منصوب على معنى ذروا ناقة الله (وسقياها) شربها أي ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء فلا تعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعني صالحا (فعقروها) يعني الناقة (فدمدم عليهم ربهم) قال عطاء ومقاتل فدمر عليهم ربهم فاهلكهم قال المدرج الدمدمة الهلاك باستئصال (بذنبهم) بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد وقال الفراء سوى الامة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها يعني سوى بينهم (ولا يخاف عقباها) قرأ أهل المدينة والشام فلا بالفاء وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الباقون بالواو وهكذا في مصاحفهم عقباها عاقبتها قال الحسن معناه لا يخاف الله من أحد تبعة في اهلاكهم وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال الضحاك والسدي والكلبي هو راجع الى العاقر وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره اذ انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها

﴿ سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والليل اذا يغشى) أي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه (والنهار اذا تجلى) بان وظهر من بين الظلمة (وما خلق الذكر والانثى) يعني ومن خلق وقيل هي ما المصدرية أي وخلق الذكر والانثى قال مقاتل والكلبي يعني آدم وحواء وفي قراءة ابن مسعود

زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها * قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) أي بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (اذ انبعث أشقاها) أي قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة لفظ البخاري قوله عارم أي شديد ممتنع * قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) أي ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما أضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله (وسقياها) أي وشربها أي وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعني صالحا (فعقروها) يعني الناقة (فدمدم عليهم ربهم) أي فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم أحد (بذنبهم) أي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) أي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) أي لا يخاف الله تبعة من أحد في هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسبب ذلك والله أعلم

﴿ تفسير سورة والليل مكية ﴾

وهي احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة ومائتان وعشرة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (والليل اذا يغشى) أي يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوي فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله (والنهار اذا تجلى) أي بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق (وما خلق الذكر والانثى) أي ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم

وأبي الدرداء والذكر والانثى وجواب القسم قوله (ان سعيكم لشتى) ان أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها (فأما من أعطى) ماله في سبيل الله (واتقى) ربه (وصدق بالحسنى) قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وصدق بلا اله الا الله وهي رواية عطية عن ابن عباس وقال مجاهد بالجنة دليله قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى يعني الجنة وقيل صدق بالحسنى أي بالخلف أي أيقن ان الله تعالى سيخلفه وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال قتادة ومقاتل والكلبي بموعود الله عز وجل الذي وعده ان يفي به (فسنيسره) فسنهيئه في الدنيا (لليسرى) أي للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل (وأما من بخل) بالنفقة في الخير (واستغنى) عن ثواب الله فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) سنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله فيستوجب به النار قال مقاتل نعسر عليه ان يأتي خيرا ورويانا عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة أو النار فقال رجل أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء واما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة ثم تلا فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قيل نزلت في أبي بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشر أواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي أبي بكر وأمية وروى علي بن حجر عن اسحق عن أبي نجيح عن عطاء قال كان فقال لرجل من الانصار نخلة وكان له جار يسقط من بلحها في داره وكان صبيانه يتنا ولون منه فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعنيها بنخلة في الجنة فأبى فخرج فلقيه أبو الدحداح فقال له هل لك ان تبيعها بحش يعني حائطا له فقال هي لك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتشتريها مني بنخلة في الجنة قال نعم قال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جار الانصاري فقال خذها فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى أبو الدحداح والانصاري صاحب النخلة فاما من أعطى واتقى أبو الدحداح وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى يعني الجنة وأما من بخل واستغنى يعني الانصاري وكذب بالحسنى يعني الثواب فسنيسره للعسرى يعني النار

الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ان أريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما أقسم بهما لانه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) أي ان أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله موبقها أي مهلكها * قوله تعالى (فأما من أعطى) أي أنفق ماله في سبيل الله عز وجل (واتقى) أي ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف به أي أيقن ان الله سيخلف عليه ما أنفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه (فسنيسره) فسنهيئه في الدنيا (لليسرى) أي للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله * قوله عز وجل (وأما من بخل) أي بالنفقة في الخير والطاعة (واستغنى) أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) أي بلا اله الا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب (فسنيسره للعسرى) أي فسنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه أن يأتي خيرا وفي الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق له في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم (١) والا وقد كتبت شقية أو سعيدة فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك أو غيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي أبي بكر وأمية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم وان وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه في فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة

---

(١) (قوله زاد مسلم الخ) حديث مسلم ما من نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والا وقد كتبت شقية أو سعيدة الخ

(وما يغنى عنه ماله) الذى يخل به (اذا تردى) قال مجاهد اذا مات وقال قتادة وأبو صالح هوى فى جهنم (ان علينا للهدى) يعنى البيان قال الزجاج علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال وهو قول قتادة قال على الله بيان حلاله وحرامه قال الفراء يعنى من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال كقوله بيدك الخير (وان لنا للآخرة والاولى) فمن طلبهما من غيرما لكهما فقد أخطأ الطريق (فأنذرتكم) يا أهل مكة (نارا تلظى) أى تتلظى يعنى تتوقد وتتوهج (لا يصلاها الا الأشقى الذى كذب) الرسول (وتولى) عن الايمان (وسيجنبها الاتقى) يريد بالاشقى الشقى وبالاتقى التقى (الذى يؤتى ماله) يعطى ماله (يتزكى) يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا رياء ولا سمعة يعنى أبا بكر الصديق فى قول الجميع قال ابن الزبير كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال أبوه أى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى أريد فنزل وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك البلاء أحد أحد وقال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لأمية ألا تتقى الله تعالى فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى قال أبو بكر افعل عندى غلام اسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه قال قد فعلت فاعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فاعتقه ثم أعتق معه على الاسلام قبل أن يهاجر ستة رقاب بلال سابعهم عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأم عميس وزهرة فاصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان فرد الله اليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحنان لها وهى تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها فاعتقها وقال سعيد بن المسيب بلغنى ان أمية بن خلف قال لابى بكر فى بلال حين قال أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس وكان نسطاس عبدا لابى بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فابغضه أبو بكر فلما قال له أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه منه فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر بلالا الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله

فقال له تعطينى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة فقال الرجل ان لى نخلا وما فيه أعجب الى منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعها بحش يعنى حائطا له فيه نخل فقال هى لك فأتى أبو الدحداح النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تشتريها منى بنخلة فى الجنة فقال نعم فقال هى لك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصارى صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت فى أبى بكر الصديق وأمية بن خلف لان سياق الآيات يقتضى ذلك * قوله عز وجل (وما يغنى عنه ماله) أى الذى يخل به (اذا تردى) أى اذا مات وقيل هوى فى جهنم (ان علينا للهدى) أى ان علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسىء من العسرى أخبرهم أن بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر أحدهما والمعنى أرشد أوليائى الى العمل بطاعتى وأصرف أعدائى عن العمل بطاعتى وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للآخرة والاولى) أى لنا ما فى الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق (فأنذرتكم) أى يا أهل مكة (نارا تلظى) أى تتوقد وتتوهج (لا يصلاها الا الاشقى) يعنى الشقى (الذى كذب) يعنى الرسل (وتولى) أى عن الايمان (وسيجنبها الاتقى) يعنى التقى (الذى يؤتى) أى يعطى (ماله يتزكى) أى يطلب عند الله أن يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق فى قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى أريد فانزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد ابن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية ألا تتقى الله فى هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال ابو بكر افعل

(ومالاحد عنده من نعمة تجزى) يد يكافئه عليها (الا) لكن (ابتغاء وجه ربه الاعلى) يعنى لا يفعل ذلك مجازاة لاحد يبدله عنده ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب رضاه (ولسوف يرضى) بما يعطيه الله عز وجل فى الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل

﴿ سورة الضحى مكية وهى احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا الاسود بن قيس قال سمعت جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المرأة التى قالت ذلك أم جميل امرأة أبى لهب وقال المفسرون سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحى وقال زيد بن أسلم كان سبب احتباس جبريل عليه السلام عنه كون جرو فى بيته فلما نزل عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا فى مدة احتباس الوحى عنه فقال ابن جريج اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما قال المفسرون فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فانزل الله تعالى هذه السورة فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل انى كنت أشد شوقا اليك ولكنى عبد مامور فانزل وما نتنزل الا بامر ربك قوله عز وجل (والضحى) أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل فقال والليل اذا سجى نظيره قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى أى نهارا وقال قتادة ومقاتل يعنى وقت الضحى وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد والصيف والشتاء

عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على الاسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فرآهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بحنطة لها وهى تقول والله لا أعتقهما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها وأعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق أبى بكر اياهم وكان اسم أبى بكر عتيقا فقال فى ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل * عشية هما فى بلال بسوءة
ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل * بتوحيده رب الانام وقوله * شهدت بان الله ربى على مهل
فان تقتلونى فاقتلونى فلم أكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل * فيا رب ابراهيم والعبد يونس
وموسى وعيسى نجنى ثم لا تملى * لمن ظل يهوى النبى من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى ان أمية بن خلف قال لابى بكر فى بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لابى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله عز وجل (ومالاحد عنده) أى عند أبى بكر (من نعمة تجزى) أى من يد يكافئه عليها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) أى لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته (ولسوف يرضى) أى بما يعطيه الله عز وجل فى الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم

﴿ تفسير سورة والضحى مكية ﴾

وهى احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (والضحى) اختلفوا فى سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك ليلتين أو ثلاثا فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وأخرجه الترمذى عن جندب قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت أصبعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمدا ربه فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المرأة المذكورة فى الحديث المتفق عليه هى أم جميل امرأة أبى لهب القول الثانى قال المفسرون سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذى القرنين وأصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل

(والليل اذا سجى) قال الحسن أقبل بظلامه وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقال الوالبي عنه اذا ذهب قال عطاء والضحاك غطى كل شئ بالظلمة وقال مجاهد استوى وقال قتادة وابن زيد سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك يقال ليل ساج و بحر ساج اذا كان ساكنا قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) هذا جواب القسم أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك (وللآخرة خير لك من الاولى) حدثنا المطهر بن علي الفارسي انا محمد بن ابراهيم الصالحاني انا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ انا ابن أبي عاصم انا ابو بكر بن أبي شيبة انا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد ابن زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال عطاء عن ابن عباس هو الشفاعة في أمته حتى يرضى وهو قول علي والحسن وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أمتي أمتي و بكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك فيهم وقال حرب بن شريح سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول انكم معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى قيل ولسوف يعطيك ربك من الثواب وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى ثم اخبره الله عز وجل عن حالته التي كان عليها قبل الوحي وذكره نعمه فقال جل ذكره (ألم يجدك يتيما فآوى) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال أنبأني عبد الله بن حامد الاصفهاني انا محمد بن عبد الله النيسابوري ثنا محمد بن عيسى انا ابو عمرو الحوضي وابو الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي مسئلة ووددت اني لم أكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما

ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن أسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل أربعون يوما فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك أشد شوقا ولكني عبد مامور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وأنزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل أراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء (والليل اذا سجى) قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزاد بعد ذلك وهذا قسم أقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) أي ما تركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وانما قال قلى و لم يقل قلاك لموافقة رؤس الاى وقيل معناه وما قلى أحدا من أصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة (وللآخرة خير لك من الاولى) أي الذي أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من الذي أعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هي الشفاعة في أمته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي و بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد واساله ما يبكيك وهو أعلم فاتى جبريل وساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعتي لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيا عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة و بين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيا أخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيري الدنيا والآخرة معا أولى وذلك ان الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على الاعداء وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه و بعده الى يوم القيامة وأعلى دينه وان أمته خير الامم وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة ثم أخبر عن حاله صغيرا وكبيرا قبل الوحي وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل (ألم يجدك يتيما) أي صغيرا (فآوى) أي ألم يعلمك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدك يتيما صغيرا حين مات أبوك و لم يخلف لك مالا ولا ماوى فجعل لك ماوى تاوي اليه وضمك الى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفالك المؤنة وذلك ان عبد الله مات

وآتيت فلانا كذا وآتيت فلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى أى رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى أى رب قال ألم أجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى أى رب وزاد غيره عن حماد قال ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى أى رب ومعنى الآية ألم يجدك يتيما صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى تأوى فجعل لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك أبى طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة (ووجدك ضالا فهدى) يعنى ضالا عما أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة قال الحسن والضحاك وابن كيسان ووجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلا عنها فهداك اليها كما قال وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضالا فى شعاب مكة فهداك الى جدك عبد المطلب روى أبو الضحى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده الى عبد المطلب وقال سعيد ابن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقة جاء ابليس فاخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الحبشة ورده الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك (ووجدك عائلا فاغنى) أى فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق واختاره الفراء وقال لم يكن غنيا عن كثرة المال ولكن الله رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنه قال أنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس أنا عبد الواحد المليحى أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعفرانى أنا أحمد بن سعيد أنا أبو يحيى محمد بن عبد الله ثنا أبى حدثنى شرحبيل بن شريك عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب الى أن قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك اليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (ووجدك ضالا) أى عما أنت عليه اليوم (فهدى) أى فهداك الى توحيده ونبوته وقيل ووجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة اذ جاءه ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل ووجدك ضالا نفسك لا تدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو فى غار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما أنزل الله اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل فى هذه الآية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا نشؤا على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك أن قريشا عابوا النبى صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ما روى فى قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبى طالب الى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبى فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيأ بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله عليه وسلم فى حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشرى ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان أراد انه كان على دين قومه فمعاذ الله والانبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ والله أعلم * قوله عز وجل (ووجدك عائلا فاغنى) يعنى فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله

(فأما اليتيم فلا تقهر) قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقال الفراء والزجاج لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحرث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحق بن ابراهيم بن الحلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال باصبعه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير باصبعيه السبابة والوسطى (وأما السائل فلا تنهر) قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تنهره لا تزجره اذا سالك فقد كنت فقيرا فاما أن تطعمه واما أن ترده ردا لينا يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره قال قتادة ردا السائل برحمة ولين قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريدنا الى الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول هل توجهون الى أهليكم بشيء وروى عن الحسن في قوله وأما السائل فلا تنهر قال طالب العلم (وأما بنعمة ربك فحدث) قال مجاهد يعني النبوة روى عنه أبو بشر واختاره الزجاج وقال أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك * وقال الليث عن مجاهد يعني القرآن وهو قول الكلبي أمره أن يقرأه وقال مقاتل اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والتحدث بنعمة الله شكرا أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد ابن محمد بن محمى البسطامي ثنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن ابراهيم بن محمد بن يحيى ابن شختويه أنا عبد الله بن محمد بن الحسين النصرابادي ثنا علي بن سعيد النسوي أنا سعيد بن عفير ثنا يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الانصاري عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صنع اليه معروف فليجز به ان وجد فان لم يجد ما يجزي به فليثن عليه فانه اذا أثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا الحسين ابن محمد بن الحسين ثنا أحمد بن محمد بن اسحق ثنا أبو القاسم بن منيع ثنا منصور بن أبي مزاحم ثنا وكيع عن أبي عبد الرحمن يعني القاسم بن الوليد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة والضحى على

بما آتاه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عز وجل مسئلة وددت أني لم أكن سالته قلت يا رب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يا رب زاد في رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب * فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بانعامه على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى * قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك أن يقوي قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال مالك تقطع رجاءك عني ألست الذي ربيتك وآويتك وأنت يتيم صغير أتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لا بد وأن أتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فاما اليتيم فلا تقهر) أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير باصبعيه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (وأما السائل فلا تنهر) يعني السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سالك فقد كنت فقيرا فاما أن تطعمه واما أن ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك في وجهه وقال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريدنا الى الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول هل توجهون الى أهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهر ولا يلفى بمكروه (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل أراد بالنعمة النبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن أمره أن يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكره لما ذكره نعمه عليه في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر أمره أن يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطي عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من أثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر كذلك قرأنه على الامام المقرئ أبي نصر محمد بن أحمد بن علي الحامدي بمرو قال قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي قال قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران قال قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقرئ قال قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي قال قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد وهما قرآ على أبي الحسين بن أبي بزة وأخبرهما ابن أبي بزة انه قرأ على عكرمة بن سليمان بن كثير المكي وأخبره عكرمة انه قرأ على شبل بن عباد واسمعيل بن قسطنطين وأخبراه انهما قرآ على عبد الله بن كثير وأخبرهما عبد الله انه قرأ على مجاهد وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبي بن كعب وأخبرنا الامام المقرئ أبو نصر محمد بن أحمد بن علي وقرأت عليه بمرو وقال أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد الزبدي بالتكبير وقرأت عليه بثغر حران قال ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش وقرأت عليه بمدينة السلام ثنا أبو ربيعة محمد بن اسحق الربعي وقرأت عليه بمكة ثنا أبو الحسن أحمد ابن محمد بن عبد الله بن أبي بزة وقرأت عليه قال لي قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرني انه قرأ على اسمعيل ابن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لي كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فانا قرأنا على ابن كثير فامرنا بذلك وأخبرنا انه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي انه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك وكان سبب التكبير ان الوحي لما احتبس قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة

قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة ألم نشرح مكية﴾

وهي ثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (ألم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير أي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصده عن ادراك الحق وقيل معناه ألم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره (م) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره (ووضعنا عنك وزرك) أي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها الان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم أن القول في عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل أو الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة

نتحدثها

﴿سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ألم نشرح لك صدرك) ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالايمان والنبوة والعلم والحكمة (ووضعنا عنك وزرك) قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال الحسين بن الفضل يعني الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بهم (الذي أنقض ظهرك) أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض أي صوت وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة يعني خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بامرها

(ورفعنا لك ذكرك) أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي انا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي انا ابو القاسم عبد الخالق بن علي المؤذن ثنا ابو بكر بن حبيب ثنا ابو اسمعيل محمد بن اسمعيل ثنا صفوان يعني ابن صالح ابو عبد الملك ثنا الوليد يعني ابن مسلم حدثني عبد الله بن لهيعة عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم انه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله تعالى اذا ذكرت ذكرت معي وعن الحسن قال ورفعنا لك ذكرك اذا ذكرت ذكرت وقال عطاء عن ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شئ ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشئ وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا يجوز خطبة الا به وقال مجاهد يعني بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده ... ببرهانه والله أعلى وأمجد

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي مع اسمه ... اذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفعه بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك انه كان بمكة في شدة فقال (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) اي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به ان مع العسر يسرا كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون ومعنى قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله تعالى كرر العسر بلفظ المعرفة واليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت نكرة ثم أعدته مثله صارا اثنين واذا أعدته معرفة فالثاني هو الاول كقولك اذا كسبت درهما فانفق درهما فالثاني غير الاول واذا قلت اذا كسبت درهما فانفق الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة فكانا يسرين كأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وقال ابو علي الحسين ابن يحيى بن نصر الجرجاني صاحب النظم تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة

بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيئات المقربين * وقوله عز وجل (ورفعنا لك ذكرك) روى البغوي باسناده الثعلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شئ ولم يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشئ وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد * وضم الاله اسم النبي مع اسمه

اذا قال في الخمس المؤذن أشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه في قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى (فان مع العسر يسرا) أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به (ان مع العسر يسرا) وانما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب

فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر أهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فظن ان قومه انما يكذبونه لفقره فعدد الله

نعمه عليه فى هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال فان مع العسر يسرا مجازه لا يحزنك ما يقولون فان مع العسر يسرا فى الدنيا عاجلا ثم أنجزه ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع عليه ذات يده حتى كان يعطى المئين من الابل ويهب الهبات السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمر الآخرة فقال ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين ومجازه ان مع العسر يسرا أى ان مع العسر فى الدنيا للمؤمن يسرا فى الآخرة فربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره فى الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره فى الآية الثانية فقوله عليه السلام ان يغلب عسر يسرين أى لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذى وعده للمؤمنين فى الدنيا واليسر الذى وعدهم فى الآخرة وانما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل أى لا يجمعهما فى الغلبة كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان أى لا يجتمعان فى النقص (فاذا فرغت فانصب) أى فاتعب والنصب التعب قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبى فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة يعطك وروى عبد الوهاب ابن مجاهد عن أبيه قال اذا صليت فاجتهد فى الدعاء والمسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقال الشعبى اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال الحسن وزيد بن أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقال منصور عن مجاهد اذا فرغت من أمر الدنيا فانصب فى عبادة ربك وصل وقال حيان عن الكلبى اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب اى استغفر لذنبك وللمؤمنين

أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر أهل مكة فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه فى هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا أى لا يحزنك الذى يقولون فان مع العسر الذى فى الدنيا يسرا عاجلا ثم أنجز ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع ذات يده حتى كان يعطى المئين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذى فى الدنيا للمؤمن يسرا فى الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره فى الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره فى الآية الثانية فقوله ان يغلب عسر يسرين أى ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذى وعده الله للمؤمنين فى الدنيا واليسر الذى وعدهم فى الآخرة انما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم أبدا غير زائل أى لا يجتمعان فى الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان أى لا يجتمعان فى النقص قال القشيرى كنت يوما فى البادية بحالة من الغم فالقى فى روعى بيت شعر فقلت

أرى الموت لمن أصـ * ـبح مغموما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف فى الهواء

ألا يا أيها المرء الـ * ـذى الهم به برّح ... وقد أنشد بيتا لم * يزل فى فكره يسنح
اذا اشتد بك العسر * ففكر فى ألم نشرح ... فعسر بين يسرين * اذا أبصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عنى وقال اسحق بن بهلول القاضى

فلا تيأس اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى دهر طويل
ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل

وقال أحمد بن سليمان فى المعنى

توقع لعسر دهاك سرورا * ترى العسر عنك بيسر تسرى
فما الله يخلف ميعاده * وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره

وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

* قوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن لا يخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة أتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لاكره أن أرى أحدكم فارغا ليس فى شئ من عمل دنياه

(والى ربك فارغب) قال عطاء تضرع اليه راهبا من النار راغبا فى الجنة وقيل فارغب اليه فى جميع أحوالك قال الزجاج أى اجعل رغبتك الى الله وحده

﴿ سورة التين مكية وهى ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والتين والزيتون) قال ابن عباس والحسن ومجاهد وابراهيم وعطاء بن أبى رباح ومقاتل والكلبى هو تينكم الذى تأكلونه وزيتونكم هذا الذى تعصرون منه الزيت قيل خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة لا عجم فيها شبيهة بفواكه الجنة والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو ثمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح وقال عكرمة هما جبلان (٢٢١) قال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس لانهما ينبتان التين والزيتون وقال الضحاك هما مسجدان بالشام قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله وشجرة تخرج من طور سيناء (وهذا البلد الامين) أى الآمن يعنى مكة يأمن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام هذه أقسام والمقسم عليه قوله (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) أعدل قامة وأحسن صورة وذلك انه خلق كل حيوان منكبا على وجهه الا الانسان خلقه مديد القامة يتناول ما كوله بيده مزينا بالعقل والتمييز (ثم رددناه أسفل سافلين) يريد الى الهرم وأرذل العمر فينقص عقله ويضعف بدنه والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا وأسفل سافلين نكرة تم الجنس كما تقول فلان أكرم قائم وفى مصحف عبد الله أسفل السافلين وقال الحسن وقتادة ومجاهد يعنى ثم رددناه الى النار يعنى الى أسفل السافلين لان جهنم بعضها أسفل من بعض قال أبو العالية يعنى الى النار فى شر صورة فى صورة خنزير ثم استثنى فقال (الا الذين آمنوا) فانهم لا يردون الى النار ومن قال بالقول الاول قال رددناه أسفل سافلين فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم فلا يكتب لهم حسنة الا الذين آمنوا (وعملوا الصالحات) فانه يكتب لهم بعد الهرم

ولا فى عمل آخرته السبهلل الذى لا شئ معه وقيل السبهلل الباطل (والى ربك فارغب) أى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فى جميع أحوالك لا الى أحد سواه والله أعلم

﴿ تفسير سورة والتين مكية ﴾

وهى ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم وأما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى أغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض ألوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لا جرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يامن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه أقسام أقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) يعنى فى أعدل قامة وأحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ما كوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى الى الهرم وأرذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يردون الى النار أو الى أسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى أرذل العمر على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم وأخبرهم أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب

خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له بأحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) يعنى يا أيها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات (بعد) أى بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) أى بالحساب والجزاء والمعنى فما الذى يلجئك أيها الانسان الى هذا الكذب ألا تتفكر فى صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على أن يبعثنى ويحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى باقضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يوم القيامة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذى وعن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الاخيرة فقرأ فى احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة العلق مكية﴾

وهى تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله مالم يعلم (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحى وفى رواية حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما انا بقارئ قال فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أى خديجة مالى وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى انزل الله على موسى يا ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك حيا انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفى وفتر الوحى زاد البخارى قال وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

صلم فانزل الله تعالى عذرهم فاخبر أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم قال عكرمة لم يضر هذا الشيخ كبره اذ ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروى عاصم الاحول عن عكرمة عن ابن عباس قال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) غير مقطوع لانه يكتب له كصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) أيها الانسان (بعد) أى بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) بالحساب والجزاء والمعنى ألا تتفكر فى صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على أن يبعثنى ويحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج (أليس الله بأحكم الحاكمين) بأقضى القاضين قال مقاتل يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد ورونا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عدى قال سمعت البراء قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فقرأ فى العشاء فى احدى الركعتين بالتين والزيتون

(فصل)

﴿سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اقرأ باسم ربك الذى خلق) أكثر المفسرين على ان هذه أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل من آيات من أولها الى قوله مالم يعلم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها

حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ قال فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فاخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ابن عم خديجة

﴿فصل﴾ فى هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر أول ما نزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين فى أول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل أنها سمعتها من النبى صلى الله عليه وسلم أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابى حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجاه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوحى وأما التحنث فقد فسر فى الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان أصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجاءه الحق أى جاءه الحق بالوحى بغتة قوله فغطنى بالغين المعجمة والطاء المشالة المهملة أى عصرنى وضمنى ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ منى الجهد قال العلماء والحكمة فى الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة فى صفاء قلبه وله ذا كرره ثلاثا قوله زملونى زملونى كذا هو فى الروايات مكررا مرتين ومعناه غطونى بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع أى الفزع قولها كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزى أى لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يذلك وروى بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون أى لا يحزنك من الحزن الذى هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل أى الثقيل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم أى تعطى المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية وفى رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربى يكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله تعالى أن يكتب ومعناهما صحيح وحاصله أنه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف فى الانجيل فيكتب أى موضع شاء منه بالعبرانية ان أراد أو بالعربية ان أراد ذلك قوله هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمى جبريل بذلك لان الله خصه بالوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله يا ليتنى فيها أى فى أيام النبوة واظهار الرسالة جذعا أى شابا قويا حتى أبالغ فى نصرتك وهو قوله وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا أى قويا بالغا قولها ثم لم يلبث ورقة أن توفى أى فلم يلبث أن مات قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم قوله كى يتردى التردى الوقوع من علو وذروة الجبل أعلاه قوله تبدى له أى ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه أى قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجاش هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تاديبا وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أى قل بسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون فى الآية دلالة على استحباب البداءة بالتسمية فى أول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ما تتحمله من النبوة واعباء الرسالة (الذى خلق) يعنى

وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى فيكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى يا ليتنى فيها جذعا يا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة الى أن توفى وفتر الوحى وروى محمد بن اسمعيل هذا الحديث فى موضع آخر من كتابه عن يحيى بن بكير بهذا الاسناد وقال حدثنى عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر قال الزهرى فاخبرنى

عروة عن عائشة وذكر الحديث وقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ مالم يعلم وزاد فى آخره فقال وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أنا عبد الله بن حامد الوراق أنا مكى بن عبدان أنا عبد الرحمن بن بشر ثنا سفيان عن محمد بن اسحق عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت أول سورة نزلت اقرأ باسم ربك قوله عز وجل اقرأ باسم ربك قال أبو عبيدة مجازه اقرأ اسم ربك يعنى أن الباء زائدة والمعنى اذكر اسمه أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا الذى خلق قال الكلبى يعنى الخلائق ثم فسره فقال (خلق الانسان) يعنى ابن آدم (من علق) جمع علقة (اقرأ) كرره تأكيدا ثم استأنف فقال (وربك الاكرم) قال الكلبى الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة (الذى علم بالقلم) يعنى الخط والكتابة (علم الانسان مالم يعلم) من أنواع الهدى والبيان وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل الانسان ههنا محمد صلى الله عليه وسلم بيانه وعلمك مالم تكن تعلم (كلا) حقا (ان الانسان ليطغى) ليتجاوز حده ويستكبر على ربه (أن) لأن (رآه استغنى) أن رأى نفسه غنيا قال الكلبى يرتفع عن منزلة الى منزلة فى اللباس والطعام وغيرهما وقال مقاتل نزلت فى أبى جهل كان اذا أصاب مالا زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه (ان الى ربك الرجعى) أى المرجع فى الآخرة (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى أبى جهل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الاعلى القيسى قالا ثنا المعتمر عن أبيه قال حدثنى نعيم بن أبى هند عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه قال فقيل له مالك يا أبا الحكم قال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال فانزل الله لا ندرى فى حديث أبى هريرة أو شىء بلغه كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الآيات ومعنى أرأيت ههنا تعجيب المخاطب وكرر هذه اللفظة للتاكيد

جميع الخلائق وقيل الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وقيل الذى خلق كل شىء (خلق الانسان) يعنى آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه أشرفها وأحسنها خلقة (من علق) جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولما شاكلة رؤس الآى أيضا (اقرأ) كرره تاكيدا وقيل الاول اقرأ فى نفسك والثانى اقرأ للتبليغ وتعليم أمتك ثم استانف فقال تعالى (وربك الاكرم) يعنى الذى لا يوازيه كريم ولا يعادله فى الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشىء من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد أن يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشانه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك فى وصفه لانه أكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذى له الابتداء فى كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل أن يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزى بكل حرف عشر حسنات (الذى علم بالقلم) أى الخط والكتابة التى بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش فسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له ثم قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه (علم الانسان مالم يعلم) قيل يحتمل أن يكون المراد علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من أنواع العلم والهداية والبيان مالم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان ههنا محمد صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (كلا) أى حقا (ان الانسان ليطغى) أى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه (أن) أى لان (رآه استغنى) أى رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة أخرى فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى أبى جهل وكان قد أصاب مالا فزاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه (ان الى ربك الرجعى) أى المرجع فى الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى أبى جهل وذلك انه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه قال فقيل له ما لك يا أبا الحكم قال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال فانزل الله لا ندرى فى حديث أبى هريرة أو شىء بلغه كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الآيات ومعنى أرأيت ههنا تعجيب المخاطب وكرر هذه اللفظة للتاكيد

(أرأيت ان كان على الهدى) يعنى العبد المنهى وهو محمد صلى الله عليه وسلم (أو أمر بالتقوى) يعنى بالاخلاص والتوحيد (أرأيت ان كذب) يعنى أبا جهل (وتولى) عن الايمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان أى فما أعجب من هذا (ألم يعلم) يعنى أبا جهل (بأن الله يرى) ذلك فيجازيه به (كلا) لا يعلم ذلك (لئن لم ينته) عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار كما قال فيؤخذ بالنواصى والاقدام يقال سفعت بالشئ اذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) أى صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل أتنهرنى فوالله لأملأن عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا قال الله عز وجل (فليدع ناديه) أى قومه وعشيرته أى فليستنصر بهم (سندع الزبانية) جمع زبنى مأخوذ من الزبن وهو الدفع قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بها لانهم يدفعون أهل النار اليها قال الزجاج هم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله ثم قال (كلا) ليس الامر على ما عليه أبو جهل (لا تطعه) فى ترك الصلاة (واسجد) صل لله (واقترب) من الله أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشانى أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمى ثنا أبو على محمد بن أحمد اللؤلؤى ثنا أبو داود سليمان بن الاشعث ثنا أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو بن السراج ومحمد بن سلمة قالوا أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن سمى مولى أبى بكر انه سمع أبا صالح ذكوان يحدث عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء

منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له ما لك قال ان بينى وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله هذه الآية لا أدرى أفى حديث أبى هريرة أو شئ بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وأمره بما أمره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه (خ) عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند البيت لاطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذى عيانا ومعنى أرأيت تعجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير فى قوله عبدا تدل على انه كامل العبودية والمعنى أرأيت الذى ينهى أشد الخلق عبودية عن العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك أيضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا أن يأذن فيه المولى أو الزوج (أرأيت ان كان على الهدى) يعنى العبد المنهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم (أو أمر بالتقوى) يعنى بالاخلاص والتوحيد (أرأيت ان كذب) يعنى أبا جهل (وتولى) أى عن الايمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان أى اعجب من هذا (ألم يعلم) يعنى أبا جهل (بأن الله يرى) يعنى يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم (كلا) أى لا يعلم ذلك أبو جهل (لئن لم ينته) يعنى عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه (لنسفعا بالناصية) أى لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشئ اذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب أى لنضربن وجهه فى النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) أى صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل أتنهرنى فوالله لأملأن عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فزبره فقال أبو جهل انك لتعلم ما بها ناد أكثر منى فانزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه أى عشيرته وقومه فلينتصر بهم وأصل النادى المجلس الذى يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعنى الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون أهل النار اليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع (كلا) أى ليس الامر على ما هو عليه أبو جهل (لا تطعه) اى فى ترك الصلاة (واسجد) يعنى صل لله (واقترب) أى من الله (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارئ والمستمع أن يسجدا عند قراءتها يدل عليه ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت أخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة القدر ﴾

وهى مدنية وقيل انها مكية والقول الاول أصح وهو قول الاكثرين قيل انها أول ما نزل بالمدينة وهى خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

﴿ سورة القدر مكية وهى خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (انا أنزلناه فى ليلة القدر) يعنى القرآن كناية عن غير مذكور أنزله جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فوضعه فى بيت العزة ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوما فى عشرين سنة ثم عجب نبيه فقال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (انا أنزلناه) يعنى القرآن كناية عن غير مذكور (فى ليلة القدر) وذلك ان الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه فى بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما أنزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهى لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال وما يكون فى تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك فى بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك للملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه أنه يحدثه فى تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والارض فى الازل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدور وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالى من قولهم لفلان قدر عند الامير أى منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

﴿ فصل فى فضل ليلة القدر وما ورد فيها ﴾ (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء فى وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان انى خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال فى آخره فالتمسوها فى العشر الاواخر فى التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية الى يوم القيامة روى عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابى هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر رمضان أستقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا فى محلها فقيل هى منتقلة تكون فى سنة فى ليلة وفى سنة أخرى فى ليلة أخرى هكذا أبدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة فى أوقاتها المختلفة وقال مالك والثورى وأحمد واسحق وأبو ثور انها تنتقل فى العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل فى رمضان كله وقيل انها فى ليلة معينة لا تنتقل عنها أبدا فى جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هى فى ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبى حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما انه علم أنها فى شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء انها فى شهر رمضان واختلفوا فى تلك الليلة فقال أبو رزين العقيلى فى أول ليلة من شهر رمضان وقيل هى ليلة سبعة عشر وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا والحسن والصحيح الذى عليه الاكثرون انها فى العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك ﴾ (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أيقظنى بعض أهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعى الى أنها ليلة احدى وعشرين (ق) عن أبى

هريرة ان أبا سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاواسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه وأنا أريت هذه الليلة ورأيتني أسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا أنه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبد الله بن أنيس قال كنت في مجلس لبني سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أرسلني اليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنتان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ثلاثا وعشرين أخرجه أبو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي أيضا (خ) عن الصنابحي أنه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيأ قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في أول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن أنيس قال قلت يارسول الله ان لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة أنزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان أبوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته أخرجه أبو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني أسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان أثر الماء والطين على جبهته وأنفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة أربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في أربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس واليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت أبي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر قال أبي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف ولا يستثني فوالله اني لأعلم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين أخرجه أبو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع فقال هي في كل رمضان أخرجه أبو داود قال وبروى موقوفا عليه

﴿ذكر ليال مشتركة﴾ عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت أخرجه أبو داود عن عتبة ابن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال ما أنا بملتمسها بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين أو في سبع يبقين أو في خمس يبقين أو في ثلاث يبقين أو آخر الشهر قال وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد أخرجه الترمذي (خ) عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان أي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما أراد رفع

(وما أدراك ما ليلة القدر) سميت ليلة القدر لانها ليلة تقدير الامور والاحكام يقدر الله فيها أمر السنة فى عباده و بلاده الى السنة المقبلة كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وهو مصدر قولهم قدر الله الشئ بالتخفيف قدرا وقدرا كالنهر والنهر والشعر والشعر وقدره بالتشديد تقديرا بمعنى واحد قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير التى خلقها الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقال الازهرى فى ليلة العظمة والشرف من قول الناس لفلان عند الامير قدر أى جاه ومنزلة يقال قدرت فلانا أى عظمته قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره أى ما عظموه حق تعظيمه وقيل لان العمل الصالح فيه يكون ذا قدر عند الله لكونه مقبولا واختلفوا فى وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت وعامة الصحابة والعلماء على انها باقية الى يوم القيامة وروى عن عبد الله بن الحسين مولى معاوية قال قلت لابى هريرة زعموا أن ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر قال لا بل فى شهر رمضان فاستقبله وقال بعضهم هى ليلة من ليالى السنة حتى لو علق رجل طلاق امرأته وعتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تمض سنة من حين حلف يروى ذلك عن ابن مسعود قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما انه علم أنها فى شهر رمضان

ولكن أراد أن لا يتكل الناس والجمهور من أهل العلم على انها فى شهر رمضان واختلفوا فى تلك الليلة قال أبو رزين العقيلى هى أول ليلة من شهر رمضان وقال الحسن ليلة سبع عشرة وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر والصحيح والذى عليه الاكثرون انها فى العشر الاواخر من شهر رمضان أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبى أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا هرون ابن اسحق الهمدانى ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى العشر الاواخر أى من رمضان و يقول تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان أخبرنا أبو عثمان الضبى أنا أبو محمد الجراحى ثنا أبو العباس المحبوبى ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الاواخر ما لا يجتهد فى غيرها أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا على بن عبد الله ثنا سفيان عن أبى يعقوب عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله واختلفوا فى انها فى أى ليلة من العشر أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا اسمعيل بن جعفر ثنا أبو سهيل عن أبيه عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا عبد الله بن حامد الوزان أنا مكى بن عبدان ثنا عبد الله بن هاشم بن حيان ثنا يحيى بن سعيد القطان ثنا عيينة بن عبد الرحمن حدثنى أبى قال ذكرت ليلة القدر عند أبى بكرة فقال ما أنا بطالبها بعد شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فى العشر الاواخر سمعت رسول

بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى العشر فى سبع مضين أو سبع يبقين يعنى ليلة القدر وفى رواية فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى قال أبو عيسى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعى كان هذا عندى والله أعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها فى كذا فقال التمسوها فى ليلة كذا قال الشافعى وأقوى الروايات عندى فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوى و بالجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا فى العبادة ليالى شهر رمضان طمعا فى ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الاعظم فى القرآن فى أسمائه ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الاواخر من رمضان ما لا يجتهد فى غيره (ق) عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولى اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه النسائى وابن ماجه * قوله عز وجل (وما ادراك ما ليلة القدر)

الله صلى الله عليه وسلم يقول التمسوها فى العشر الاواخر من تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة وكان أبو بكرة اذا دخل رمضان يصلى كما يصلى فى سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد وأخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن المثنى حدثنى خالد بن الحارث ثنا حميد ثنا أنس عن عبادة بن الصامت قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا ابو اسحق الهاشمى انا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله ابن عمر أن رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الاواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الاواخر وروى عن أبى سعيد الخدرى أنها ليلة احدى وعشرين أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا ابو اسحق الهاشمى انا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد الخدرى أنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الوسطى من رمضان واعتكف عاما حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهى الليلة التى يخرج صبيحها من اعتكافه قال من كان اعتكف معى فليعتكف العشر الاواخر وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتنى أسجد فى صبيحتها فى ماء وطين فالتمسوها فى العشر الاواخر والتمسوها فى كل وتر فقال أبو سعيد الخدرى فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد قال أبو سعيد فبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وقال بعضهم هى ليلة ثلاث وعشرين أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا أحمد بن خالد الحصى ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم حدثنى عبد الله بن أنيس عن أبيه أنه

قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أكون بادية يقال لها الوطأة وانى بحمد الله أصلى بهم فرنى بليلة من هذا الشهر أنزلها الى المسجد فاصليها فيه فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه وان أحببت أن تستتم آخر الشهر فافعل وان أحببت فكف قال

أى اى شئ يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا وأقلها أعمالا فاعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من أهل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته اى لا يبلغوا من العمل مثل الذى يبلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر أخرجه مالك فى الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى

فكان اذا صلى العصر دخل المسجد فلم يخرج الا من حاجة حتى يصلى الصبح فاذا صلى الصبح كانت دابته بباب المسجد أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم مضى من الشهر فقلنا اثنان وعشرون وبقى ثمان فقال مضى اثنتان وعشرون وبقى سبع اطلبوها الليلة الشهر تسع وعشرون وقال قوم فى ليلة سبع وعشرين وهو قول على وأبى وعائشة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش قال قلت لابى بن كعب يا أبا المنذر اخبرنا عن ليلة القدر فان ابن مسعود عبد الله يقول من يقم الحول يصبها فقال رحم الله أبا عبد الرحمن أما انه قد علم أنها فى رمضان ولكن كره أن يخبركم فتتكلوا هى والذى أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين فقلنا يا أبا المنذر أنى علمت هذا قال بالآية التى أخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم فحفظناها وعددناها هى والله لا تنسى قال قلنا لزر وما الآية قال تطلع الشمس كأنها طاس ليس لها شعاع ومن علاماتها ما روى عن الحسن رفعه أنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها وفى الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الامة ليجتهدوا فى العبادة ليالى رمضان طمعا فى ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الاعظم فى الاسماء ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها قوله عز وجل (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال عطاء عن ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يارب جعلت أمتى أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله ولامتك الى يوم القيامة قال المفسرون ليلة القدر خير من

ألف شهر معناه عمل صالح فى ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر حدثنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى املاء ثنا أبو نعيم الاسفرايني أنا أبو عوانة ثنا أبو اسمعيل ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا الزهرى أخبرنى أبو سلمة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال سعيد بن المسيب من شهد المغرب والعشاء فى جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو بكر بن عبدوس المزكى ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن مكرم ثنا يزيد بن هارون أنا كهمس عن عبد الله بن بريدة ان عائشة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان وافيت ليلة القدر فما أقول قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف

عنى قوله عزوجل (تنزل الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه السلام معهم (فيها) أى فى ليلة القدر (باذن ربهم من كل أمر) أى بكل أمر من الخير والبركة كقوله يحفظونه من أمر الله أى بامر الله (سلام) قال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر قال الكلبى الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم من كل أمر ثم ابتدأ فقال سلام (هى) أى ليلة القدر سلام وخير كلها ليس فيها شر قال الضحاك لا يقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة وقال مجاهد يعنى ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوأ ولا ان يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أى الى مطلع الفجر قرأ الكسائى مطلع بكسر اللام والآخرون بفتحها وهو الاختيار بمعنى الطلوع على المصدر يقال طلع الفجر طلوعا ومطلعا والكسر موضع الطلوع

فيها من المنافع والارزاق وأنواع الخير والبركة * الوجه الثانى من فضلها قوله عزوجل (تنزل الملائكة) يعنى الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم (والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام قاله أكثر المفسرين وفى حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عزوجل ذكره ابن الجوزى وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) أى فى ليلة القدر (باذن ربهم) أى بأمر ربهم (من كل أمر) أى بكل أمر من الخير والبركة وقيل بكل ما أمر به وقضاه من كل أمر * الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) أى سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة فى ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة يسلمون عليه من ربه عزوجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ فقال تعالى سلام (هى) يعنى ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ أو يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أى ان ذلك السلام أو السلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة﴾

وهى مدنية قاله الجمهور وفى رواية عن ابن عباس انها مكية وهى ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عزوجل (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والمشركين) أى ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه فى دينهم أما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه وأما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثانى المشركون أهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (منفكين) أى منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تأتيهم) أى حتى أتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضى (البينة) أى الحجة الواضحة

يعنى

﴿سورة لم يكن مدنية وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى (والمشركين) وهم عبدة الاوثان (منفكين) منتهين عن كفرهم وشركهم وقال أهل اللغة منفكين زائلين منفصلين يقال فككت الشئ فانفك أى انفصل (حتى تاتيهم البينة) لفظه مستقبل ومعناه الماضى اى حتى اتتهم الحجة الواضحة يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم الى الاسلام والايمان فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهل والضلالة ثم فسر البينة فقال

يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدي في بسيطه وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وأنا أقول وجه الاشكال ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر انهم منفكون عما ذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه أولها وأحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب أي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ما يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع كان بخلاف ما ادعوا وثانيها أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة في شيء وذكروجوها أخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى (رسول من الله) أي تلك البينة رسول من الله (يتلوا) أي يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم (صحفا) أي كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب (مطهرة) أي من الباطل والكذب والزور والمعنى أنها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة أي لا ينبغي أن يمسها الا المطهرون (فيها) أي في الصحف (كتب) أي الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الاحكام (قيمة) أي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا أجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) يعني في أمر محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءتهم البينة) يعني جاءتهم البينة في كتبهم أنه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال تعالى (وما أمروا) يعني هؤلاء الكفار (الا ليعبدوا الله) أي وما أمروا الا أن يعبدوا الله قال ابن عباس ما أمروا في التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له (مخلصين له الدين) الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلابد وأن يكون منويا

وهو القرآن لانه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب قوله (مطهرة) من الباطل والكذب والزور (فيها) أي في الصحف (كتب) يعني الآيات والاحكام المكتوبة فيها (قيمة) عادلة مستقيمة غير ذات عوج ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءتهم البينة) أي البيان في كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون وقال بعض أئمة اللغة معنى قوله منفكين أي هالكين من قولهم انفك صلاء المرأة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم فتهلك ومعنى الآية لم يكونوا هالكين معذبين الا من بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسول وانزال الكتاب والاول أصح ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال (وما أمروا) يعني هؤلاء الكفار (الا ليعبدوا الله) يعني الا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين) قال ابن عباس ما أمروا في التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين

(حنفاء) مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام (ويقيموا الصلوة) المكتوبة فى أوقاتها (ويؤتوا الزكوة) عند محلها (وذلك) الذى امروا به (دين القيمة) أى الملة والشريعة المستقيمة أضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا بها الى الملة وقيل الهاء فيه للمبالغة وقيل القيمة هى الكتب التى جرى ذكرها أى وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو اليه وتأمر به كما قال وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال النضر بن شميل سألت الخليل بن أحمد عن قوله وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله بالتوحيد ثم ذكر ما للفريقين فقال (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) قرأ نافع وابن عامر البرية بالهمزة فى الحرفين لانه من قولهم برأ الله الخلق وقرأ الآخرون مشددا بغير همز كالذرية ترك همزها فى الاستعمال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) وتناهى عن المعاصى وقيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضى ويقدر قال السرى رحمه الله اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ان الله تعالى أمرنى أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسمانى ربى قال نعم فبكى وقال همام عن قتادة أمرنى أن أقرأ عليك القرآن

فلا بد من اعتبار النية فى جميع المأمورات قال أصحاب الشافعى الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منويا فتجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو أن يأتى بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى قالوا فى ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (حنفاء) أى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء أى حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء أى مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن بأشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف (ويقيموا الصلوة) أى المكتوبة فى أوقاتها (ويؤتوا الزكوة) أى المفروضة عند محلها (وذلك) أى الذى أمروا به (دين القيمة) أى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما أضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء فى القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التى جرى ذكرها أى وذلك دين أصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد أولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر ما للفريقين فقال تعالى (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) * فان قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين * قلت لان جناياتهم أعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث أنكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جناياتهم أعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم * فان قلت ان المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب لان المشركين أنكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفريقين فى العذاب * قلت لما أراد أهل الكتاب الرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أذلهم الله فى الدنيا وأدخلهم أسفل سافلين فى الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين أن تتفاوت مراتبهم فى العذاب (فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) أى هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) يعنى انهم بسبب أعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به أن يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضى ويدبر قال السرى اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضى الله أعمالهم ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) أى هذا الجزاء والرضا (لمن خشى ربه) أى لمن خاف

خاف ربه فى الدنيا وانتهى عن المعاصى (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله أمرنى أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال وسمانى قال نعم فبكى وفى رواية البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن قال الله سمانى لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه ﴿شرح غريب الحديث﴾ أما بكاء أبى فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين أحدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثانى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره فى شكره هذه النعمة وأما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضى الاختصار واما الحكمة فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبى فهى أن يتعلم أبى القراءة من ألفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ماسواه من النمم المستعملة فى غيره فكانت قراءته على أبى ليتعلم أبى منه لا ليتعلم هو من أبى وقيل انما قرأ على أبى ليتعلم غيره التواضع والادب وأن لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة أبى والحث على الاخذ عنه وتقديمه فى ذلك فكان كذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم رأسا واماما فى القراءة وغيرها وكان أحد علماء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزلزلة ﴾

وهى مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله عز وجل (اذا زلزلت الارض زلزالها) أى تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الاكثرين انها فى الدنيا وهى من أشراط الساعة والثانى انها زلزلة يوم القيامة (وأخرجت الارض أثقالها) فمن قال ان الزلزلة تكون فى الدنيا قال أثقالها كنوزها وما فى بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ أخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور فى الجوف وانما خص الكبد لانها من أطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار التقيء للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال أثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم أحياء وأمواتا (وقال الانسان مالها) يعنى ما لها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما فى بطنها وفى الانسان وجهان أحدهما انه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من أشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من أشراط الساعة فيسال بعضهم بعضا عن ذلك والثانى انه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسال عنها

﴿ سورة الزلزلة مكية وهى ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا زلزلت الارض) حركت الارض حركة شديدة لقيام الساعة (زلزالها) تحريكها (وأخرجت الارض أثقالها) موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر بن عبد الغافر بن محمد أنا محمد ابن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا واصل بن عبد الاعلى ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ (وقال الانسان مالها) قيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره

(يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الانسان مالها أى تخبر الارض بما عمل عليها أخبرنا ابو بكر محمد عبد الله بن أبى توبة انا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث انا محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن ابى ايوب ثنا يحيى ابن ابى سليمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا قال فهذه أخبارها (بأن ربك أوحى لها) اى امرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس والقرظى أوحى اليها ومجاز الآية يوحى الله اليها يقال أوحى لها وأوحى اليها ووحى لها ووحى اليها واحد قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض (أشتاتا) متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار كقوله يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم والمعنى انهم يرجعون عن الموقف فرقا ليتزلوا منازلهم من الجنة والنار (فمن يعمل مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا فى الدنيا الا أراه الله له يوم القيامة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته قال محمد بن كعب فى هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قال مقاتل نزلت هذه الآية فى رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها يقول ما هذا بشئ انما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فانزل الله تعالى هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكبر والاثم الصغير فى عين صاحبه أعظم عند الله من الجبال يوم القيامة وجميع محاسنه أقل من كل شئ قال ابن مسعود أحكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما أنزل على فيها شئ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة وقال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى قد انتهت الموعظة اخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى اخبرنا محمد بن القاسم ثنا ابو بكر بن محمد بن عبد الله ثنا الحسين بن سفيان ثنا على بن حجر ثنا يزيد بن هرون ثنا اليمان بن المغيرة ثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت الارض تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن

والكافر جاحدها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الانسان مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير أو شر فتشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (بأن ربك أوحى لها) أى أمرها بالكلام وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق فى الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة * قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) أى عن موقف الحساب بعد العرض (أشتاتا) أى متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف أعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة) أى وزن نملة صغيرة وقيل هو ما التصق من التراب باليد (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا فى الدنيا الا أراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وولده وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الآية فى رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه وكان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها يقول ما هذا بشئ انما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فانزل الله تعالى هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكبر والاثم الصغير فى عين صاحبه أعظم عند الله من الجبال يوم القيامة وجميع محاسنه أقل من كل شئ قال ابن مسعود أحكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما أنزل على فيها شئ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة وقال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى قد انتهت الموعظة اخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى اخبرنا محمد بن القاسم ثنا ابو بكر بن محمد بن عبد الله ثنا الحسين بن سفيان ثنا على بن حجر ثنا يزيد بن هرون ثنا اليمان بن المغيرة ثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت الارض تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن

﴿ سورة والعاديات مكية وهي احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والعاديات ضبحا) قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن والكلبي وقتادة ومقاتل وابو العالية وغيرهم هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح والضبح صوت أجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس شئ من الحيوانات يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب أو فزع وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه وقوله ضبحا نصب على المصدر مجازه والعاديات تضبح ضبحا وقال علي هي الابل في الحج تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وقال كانت أول غزوة في الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد ابن الاسود فكيف تكون الخيل العاديات والى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسدي وقال بعض من قال هي الابل قوله ضبحا يعني ضباحا تمد أعناقها في السير (فالموريات قدحا) قال عكرمة وعطاء والضحاك ومقاتل والكلبي هي الخيل توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة يعني والقادحات قدحا يقدحن بحوافرهن وقال قتادة هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيورون نارهم ويصنعون طعامهم وقال مجاهد ويزيد بن أسلم هي مكر الرجال يعني رجال الحرب والعرب تقول اذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به أي بالمكان نقعا أي غبارا فوسطن به جمعا أي دخلن به أي بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الآيات أولى بالصحة وأشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار أيضا وانما أقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع

عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود أحكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما أنزل الله فيها شيا الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال الربيع ابن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة العاديات ﴾

وهي مكية في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس وهي احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (والعاديات ضبحا) فيه قولان أحدهما انها الابل في الحج قال علي كرم الله وجهه هي الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت أول غزاة في الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحها مد أعناقها في السير وأصله من حركة النار في العود (فالموريات قدحا) يعني ان أخفاف الابل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيورى النار وقيل هي النيران تجمع (فالمغيرات صبحا) يعني الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة أن لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به نقعا) أي هيجن بمكان سيرها غبارا (فوسطن به جمعا) أي وسطن بالنقع جمعا وهو من دلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى أقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت أجوافها اذا غدت قال ابن عباس وليس شئ من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من فزع أو تعب وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعني انها توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تاوي بالليل فيورى أصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به أي بالمكان نقعا أي غبارا فوسطن به جمعا أي دخلن به أي بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الآيات أولى بالصحة وأشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار أيضا وانما أقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع

الله ثم تأوي بالليل فيورون نارهم ويصنعون طعامهم وقال مجاهد ويزيد بن أسلم هي مكر الرجال يعني رجال الحرب والعرب تقول اذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك وقال محمد بن كعب هي النيران تجمع (فالمغيرات صبحا) هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح هذا قول أكثر المفسرين وقال القرظي هي الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا تدفع حتى تصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به) أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لان المعنى مفهوم (نقعا) غبارا والنقع الغبار (فوسطن به جمعا) أي دخلن به وسط جمع العدو وهم الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بالتشديد كلها بمعنى

واحد قال القرظي يعني جمع مني أقسم الله بهذه الاشياء (ان الانسان لربه لكنود) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة لكنود لكفور جحور لنعم الله تعالى قال الكلبي هو بلسان مضر وربيعة الكفور وبلسان كندة وحضرموت العاصي وقال الحسن هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقال عطاء هو الذي لا يعطي في النائبة مع قومه وقال أبو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التي لا تنبت شيأ وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من

الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى (ان الانسان لربه لكنود) اي لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيأ وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه على ذلك لشهيد) قال أكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا الشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع (وانه) يعني الانسان (لحب الخير) اي المال (لشديد) اي لبخيل والمعنى انه من أجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد (أفلا يعلم) يعني هذا الانسان (اذا بعثر) اي أثير وأخرج (ما في القبور) يعني من الموتى (وحصل ما في الصدور) اي ميز وأبرز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم) انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس (يومئذ لخبير) اي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص أعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لان أعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات التي في القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله أعلم

﴿ تفسير سورة القارعة مكية ﴾

وهي ثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (القارعة) أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أي شدائده والقارعة من أسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع في الهول والشدة (وما أدراك ما القارعة) معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيفما قدرت أمرها فهي أعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم أيضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي كالصوف المندوف وذلك لانها تتفرق أجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فاما من ثقلت موازينه) يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن

الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه على ذلك لشهيد) قال أكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقال ابن كيسان الهاء راجعة الى الانسان أي انه شاهد على نفسه بما يصنع (وانه) يعني الانسان (لحب الخير) أي لحب المال (لشديد) أي لبخيل أي انه من أجل حب المال لبخيل يقال للبخيل شديد ومتشدد وقيل معناه وانه لحب الخير لقوي أي شديد الحب للخير أي المال (أفلا يعلم) هذا الانسان (اذا بعثر) أثير وأخرج (ما في القبور وحصل ما في الصدور) أي ميز وأبرز ما فيها من خير أو شر (ان ربهم بهم) جمع الكناية لان الانسان اسم الجنس (يومئذ لخبير) عالم قال الزجاج الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم

﴿ سورة القارعة مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (القارعة) اسم من أسماء القيامة لانها تقرع القلوب بالفزع (ما القارعة) تهويل وتعظيم (وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش الطير التي تراها تتهافت في النار والمبثوث المفرق وقال الفراء كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من الهول كما قال كانهم جراد منتشر (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف (فأما من ثقلت موازينه) رجحت حسناته

(فهو فى عيشة راضية) مرضية فى الجنة قال الزجاج ذات رضا يرضاها صاحبها (وأما من خفت موازينه) رجحت سيآته على حسناته (فأمه هاوية) مسكنه النار سمى المسكن أما لان الاصل فى السكون الى الامهات والهاوية اسم من أسماء جهنم وهى المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة هى كلمة عربية كان الرجل اذا وقع فى أمر شديد يقال هوت أمه وقيل أراد أم رأسه يعنى انهم يهوون فى النار على رؤسهم والى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح (وما أدراك ماهيه) يعنى الهاوية وأصلها ماهى أدخل الهاء فيها للوقف ثم فسرها فقال (نار حامية) أى حارة قد انتهى حرها

﴿ سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألهاكم التكاثر) (٢٣٧)

فى أحسن صورة فتوضع فى كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيآت الكافر فى أقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن ثقلت سيآته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته وأما الكافرون فقد قال فى حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن أبى بكر الصديق أنه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا * قوله تعالى (فهو فى عيشة راضية) أى مرضية فى الجنة وقيل فى عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها (وأما من خفت موازينه) أى رجحت سيآته على حسناته (فأمه هاوية) أى مسكنه النار سمى المسكن أما لان الاصل فى السكون الامهات وقيل معناه فأم رأسه هاوية فى النار والهاوية اسم من أسماء النار وهى المهواة التى لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع فى أمر شديد يقال هوت أمه أى هلكت حزنا وثكلا (وما أدراك ماهيه) يعنى الهاوية ثم فسرها فقال (نار حامية) أى حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة التكاثر مكية ﴾

وهى ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (ألهاكم التكاثر) أى شغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشئ أعرض عن غيره فينبغى للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله فى تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر بأخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التى هى سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فأبليت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله (حتى زرتم المقابر) أى حتى متم ودفنتم فى المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية فى اليهود قالوا نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت فى حيين من قريش

شغلكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه (حتى زرتم المقابر) حتى متم ودفنتم فى المقابر وقال قتادة نزلت فى اليهود قالوا نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال مقاتل والكلبى نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف بن قصى وبنى سهم بن عمرو كان بينهم تفاخر فتعادوا السادة والاشراف أيهم أكثر عددا فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا فى الجاهلية أكثر عددا فانزل الله هذه الآية أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا النضر بن شميل أنا شعبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فامضيت أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا عبد الله ابن ابى بكر بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله ثم رد الله عليهم فقال

(كلا) ليس الامر بالتكاثر (سوف تعلمون) وعيد لهم ثم كرره تاكيدا فقال (ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وكان يقرأ الاولى بالتاء والثانية بالياء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي علما يقينا فأضاف العلم الى اليقين كقوله لهو حق اليقين وجواب لو محذوف اى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نتحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) قرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء من أريته الشيء وقرأ الاخرون بفتح التاء اى ترونها بأبصاركم من بعد (ثم لترونها) مشاهدة (عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر هذا قول الحسن وعن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة وقال قتادة ان الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه اخبرنا ابو بكر بن الهيثم الترابي انا عبد الله بن احمد ابن حمويه السرخسي ثنا ابراهيم بن

خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عرزم الاشعري قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسئل العبد يوم القيامة من النعيم ان يقال له ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد أخبرنا ابو محمد عبد الله ابن عبد الصمد الجورجاني انا ابو القاسم علي بن أحمد الخزاعي انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي انا ابو عيسى الترمذي انا محمد بن اسمعيل ثنا آدم بن أبي اياس ثنا شيبان ابو معاوية ثنا عبد الملك ابن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد فأتاه ابو بكر فقال ما جاء بك يا أبا بكر فقال

لتسئلن

خرجت لالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر الى وجهه وللتسليم عليه فلم يلبث ان جاء عمر فقال ما جاء بك يا عمر قال الجوع يا رسول الله قال النبي صلى الله عليه وسلم وانا قد وجدت بعض ذلك فانطلقوا الى منزل أبي الهيثم بن التيهان الانصاري وكان رجلا كثير النخل والشاء ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لامرأته أين صاحبك فقالت انطلق ليستعذب لنا الماء فلم يلبثوا ان جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها ماء فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفديه بابيه وأمه ثم انطلق بهم الى حديقته فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخلة فجاء بقنو فوضعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفلا تنقيت لنا من رطبه وبسره فقال يا رسول الله اني أردت ان تتخيروا من رطبه وبسره فاكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسالون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد فانطلق ابو الهيثم ليصنع لهم طعاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تذبحن ذات در فذبح لهم عناقا أو جديا فاتاهم بها

وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا فأنزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر مضى فكانه تعالى يعجبهم من أنفسهم ويقول مجيبا هب انكم أكثر عددا فاذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) أي ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) اللام تدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما أوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعني مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني ان كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما أنعم الله به عليه وأطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله وأي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال أما انه سيكون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال

فأكلوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل لك خادم قال لا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أتانا سبي فأتنا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهما فقال يا نبي الله اختر لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المستشار مؤتمن خذ هذا فاني رأيته يصلي واستوص به معروفا فانطلق به أبو الهيثم الى امرأته فاخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت امرأته ما أنت ببالغ فيه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن تعتقه قال فهو عتيق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيا ولا خليفة الا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه الا خبالا ومن

لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فاذا هو بأبي بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي أخرجكما فقوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا وروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وأخرجه الترمذي بأطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لا بد لكل أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه أكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنقذكم به من الضلال الى الهدى والنور واجتباه عليكم والله أعلم

﴿ تفسير سورة العصر وهي مكية ﴾

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فأقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها وحفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل أراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه

يوق بطانة السوء فقد وقى وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وذلك قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا قال عكرمة عن الصحة والفراغ وقال سعيد بن جبير عن الصحة والفراغ والمال أخبرنا الامام ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي ثنا ابو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ثنا الحسين بن الحسن بمكة ثنا عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى قالا ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ قال محمد بن كعب يعني عما أنعم عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم

وقال أبو العالية عن الاسلام والسنن وقال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القرآن

﴿ سورة العصر مكية وقيل مدنية وهي ثلاث آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والعصر) قال ابن عباس والدهر قيل أقسم به لان فيه عبرة للناظر وقيل معناه ورب العصر وكذلك في أمثاله وقال ابن كيسان أراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن من بعد زوال الشمس الى غروبها وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى

(ان الانسان لفي خسر) أي خسران ونقصان قيل أراد به الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين والخسران ذهاب رأس المال الانسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي وهما أكبر رأس ماله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم ليسوا في خسران (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالحق) بالقرآن قاله الحسن وقتادة وقال مقاتل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) على أداء الفرائض واقامة أمر الله وروى ابن عون عن ابراهيم قال أراد ان

وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد نبه بذلك على أن زمانه أفضل الازمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان لفي خسر) أي لفي خسران ونقصان قيل أراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في أيدي الناس أي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لا ينفك أحد من خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك (وتواصوا) أي أوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) أي على أداء الفرائض واقامة أمر الله وحدوده وقيل أراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الهمزة مكية﴾

وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (ويل) أي قبح وقيل اسم واد في جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس في بعضهم قال الشاعر

اذا لقيتك من كره تكاشرني * وان تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يرمق بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان في أنسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب وأصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف والمراد منه هنا الكسر من أعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس بأقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في الاخنس بن شريق بن وهب كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه

أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

﴿سورة الهمزة مكية وهي سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ويل لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت ومعناهما واحد وهو العياب وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقال أبو العالية والحسن بضده وقال سعيد بن جبير وقتادة الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثوري يهمز بلسانه ويلمز بعينيه ومثله قال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومض بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس وأصل الهمز الكسر والعض على الشيء بالعنف واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية قال الكلبي نزلت في الاخنس بن شريق بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقال مجاهد هي عامة في حق كل من هذه صفته ثم وصفه فقال

(الذى جمع مالا) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص وحمزة والكسائى جمع بتشديد الميم على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف (وعدده) أحصاه وقال مقاتل استعده وادخره وجعله عتادا له يقال أعددت الشئ وعددته اذا أمسكته (يحسب أن ماله أخلده) فى الدنيا يظن انه لا يموت مع يساره (كلا) ردع عليه أى لا يخلده ماله (لينبذن) ليطرحن (فى الحطمة) فى جهنم والحطمة من أسماء النار مثل سقر ولظى سميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها (وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة) أى التى يبلغ ألمها ووجعها الى القلوب

وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل هى عامة فى كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ والحكم ومن قال انها فى أناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافى أن يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى أن تحمل على العموم فى كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى (الذى جمع مالا) وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجرى مجرى السبب والعلة فى الهمز واللمز يعنى وهو باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو أكثر منه كالشئ الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر بالشئ الحقير (وعدده) أى أحصاه من العدد وقيل هو من العدة أى استعده وجعله ذخيرة وغنى له (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن انه يخلد فى الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون فى الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد فى الدنيا ولا يموت (كلا) ردع عليه أى لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول على مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر وقيل معناه حقا (لينبذن) واللام فى لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن (فى الحطمة) أى فى النار وهو اسم من أسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا أيها الهمزة اللمزة الذى يأكل لحوم الناس ويكسر من أعراضهم ان وراءك الحطمة التى تأكل اللحوم وتكسر العظام (وما أدراك ما الحطمة) أى نار لا كسائر النيران (نار الله) انما أضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها (الموقدة) أى لا تخمد أبدا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة أخرجه الترمذى قال ويروى عن أبى هريرة موقوفا وهو أصح (التى تطلع على الافئدة) أى يبلغ ألمها ووجعها الى القلوب والمعنى انها تأكل كل شئ حتى تنتهى الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه ألطف شئ فى بدن الانسان وانه يتألم بادنى شئ فكيف اذا اطلعت عليه واستولت عليه ثم انه مع لطافته لا يحترق اذا لو احترق لمات صاحبه وليس فى النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة (فى عمد ممددة) قال ابن عباس أدخلهم فى عمد فمدت عليهم بعمادهم وفى أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى أوتاد الاطباق التى تطبق على أهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم بأوتاد ممدودة وقيل أطبقت الابواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم من النار وحرها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الفيل مكية وهى خمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) كانت قصة أصحاب

والاطلاع والبلوغ والتطلع بمعنى واحد يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أى بلغت ومعنى الآية انها تأكل كل شئ منه حتى تنتهى الى فؤاده قاله القرظى والكلبى (انها عليهم مؤصدة) مطبقة مغلقة (فى عمد ممددة) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر فى عمد بضم العين والميم وقرأ الآخرون بفتحهما كقوله تعالى رفع السموات بغير عمد ترونها وهما جميعا جمع عمود مثل أديم وأدم وأدم قاله الفراء وقال أبو عبيدة جمع عماد مثل اهاب واهب واهب قال ابن عباس أدخلهم فى عمد فمدت عليهم بعمادهم وفى أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى أوتاد الاطباق التى تطبق على أهل النار أى انها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة وهى فى قراءة عبد الله بعمد بالباء قال مقاتل أطبقت الابواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم ريح والممددة من صفة العمد أى مطولة فتكون أرسخ من القصيرة

﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وكانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدى ان النجاشى ملك الحبشة كان قد بعث ارياطا الى أرض اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح أبو مكتوم فساخط أرياط فى أمر الحبشة حتى انصدع عواصد عين وكانت طائفة مع ارياط وطائفة مع أبرهة

فتراحفا فقتل أبرهة ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله ثم ان أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج بيت الله فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها مستخفيا فدخلها ليلا فقعد فيها وتغوط بها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على ولطخ كنيستي بالعذرة فقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما اجسما وقوة فبعث به اليه فخرج أبرهة من الحبشة سائرا الى مكة وأخرج معه الفيل فسمعت العرب بذلك فاستعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذونفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر فقال أيها الملك لا تقتلني فان استبقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج نفيل ابن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيل فقال نفيل أيها الملك اني دليل بأرض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وقد علمنا انك تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره و بعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود فانه

القيل على ماذكره محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي أن النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح ابن يكسوم فساخط أرياط في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع أرياط وطائفة مع ابرهة فتراحفا فقتل ابرهة أرياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخل وتغوط فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذونفر بمن أطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه ابرهة وأخذ ذا نفر فقال يا أيها الملك استبقني فان بقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك اني دليل بأرض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره و بعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود أموال أصحاب الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميري الى أهل مكة فقال سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به اليه أخبره انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك أرسلني اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا أن تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا له عندنا الا أن نخلي بينه و بين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام و بيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه و بين ذلك فوالله ما لنا به قوة الا به قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم على العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشية ولكن سأبعث الى أنيس سائس الفيل

بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفير صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفير هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشيا ولكن سابعث الى أنيس سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى أنيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى أحب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستاذن اليك وأحب أن تاذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه وكره أن

فانه لى صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى أحب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستاذن عليك وأنا أحب أن تاذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتى الى الملك أن يرد على مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوّفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص

يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتى الى الملك أن يرد الى مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل وان لهذا البيت ربا سيمنع عنه من يقصده بسوء قال ما كان ليمنعه منى قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل الى عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر الذى وقع بينه وبين أبرهة وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوّفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلوا ومارقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فأمر ما بدالك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه فاصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا عظيما لم ير

مثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه فقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فابى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعود ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد فى أعلا الجبل وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذى جاؤا

منه وهم ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال فصرخ القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط منه أنامله كلما سقطت أنملة أتبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيمن بقى من أصحابه ومامات حتى انصدع صدره من قلبه ثم هلك قال الواقدى وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر شجعوا فحصبوا وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذى جرأ أصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا نارا فاصطلوا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فاسف واغتاظ غيظا شديدا فبعث ابرهة لهدم الكعبة

والعدس فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل قوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذى جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل

فانك ما رأيت ولن تراه * لدى حين المحصب ما رأينا * حمدت الله اذ أبصرت طيرا

وحصب حجارة تلقى علينا * وكلهم يسائل عن نفيل * كان علىّ للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون فى كل منهل وبعث الله على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من أصحابه ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر شجعوا فحصبوا أى رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت أبو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير فخلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أنهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدى النجاشى قال أمية بن أبى الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * ما يمارى فيهن الا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يعوى كأنه معقور

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جرأ أصحاب الفيل أن فتية من قريش أججوا نارا حين خرجوا تجارا الى أرض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان فى مكة يومئذ أبو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيلا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثثها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم فيفعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا بيضاء نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ما أعرفها ما هى بنجدية ولا بتهامية ولا

عربية

وقال فيه انه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيلا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا ثم ارسلها فى الحرم لعل بعض هذه السودان يعقر منها شيأ فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطى

البيض وعظمه ونحر له جزورا ثم قال ابو مسعود انظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها فقال أراها قد دارت على رؤسنا قال فهل تعرفها قال فوالله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال أشباه اليعاسيب في مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت بعسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب في كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا (٢٤٥) من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فاصبحوا نياما فلما دنوا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع في دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فؤسهم فحفر حتى أعمق في الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملأه ثم قال لابي مسعود اختران شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال أبو مسعود فاختر لي على نفسك فقال عبد المطلب اني أرى أجود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بار بعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذي عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ وأهل التفسير انه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم وأما التفسير فقوله عز وجل ألم تر أي ألم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا أن العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثني عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآي وفي قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل في العقل ان طيرا اتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمي بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال أنا الذي فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك واذا قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك قبل ظهورك (ألم يجعل كيدهم) يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة (في تضليل) أي تضييع وخسار وابطال ما أرادوا أضل كيدهم فلم يصلوا الى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع

عربية ولا شامية قال ما قدرها قال أشباه اليعاسيب في مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم دنوا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فاصبحوا نياما فلما دنوا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع في دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فؤسهم فحفر حتى أعمق في الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملأه ثم قال لابي مسعود اختران شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال أبو مسعود فاختر لي على نفسك فقال عبد المطلب اني أرى أجود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال ودفع الله عن كعبته وبيته واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقال مقاتل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقال الكلبي بثلاث وعشرين سنة والاكثرون على انه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قال مقاتل كان معهم فيل واحد وقال الضحاك كانت الفيلة ثمانية وقيل اثني عشر سوى الفيل الاعظم وانما وحد لانه نسبهم الى الفيل الاعظم وقيل لوفاق رؤس الآي (ألم يجعل كيدهم في تضليل) كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة وقوله في تضليل عما أرادوا فضلل كيدهم حتى لم يصلوا الى الكعبة والى ما أرادوه بكيدهم قال مقاتل في خسارة وقيل في بطلان (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أقاطيع كالابل المؤبلة قال

أبو عبيدة أبابيل جماعات فى تفرقة يقال جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقال الكسائى انى كنت أسمع النحويين يقولون واحدها ابول مثل عجول وعجاجيل وقيل واحدها من لفظها ابيل قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة لها رؤس كرؤس السباع قال الربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال قتادة طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيأ الا هشمته (ترميهم بحجارة من سجيل) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره (فجعلهم كعصف مأكول) كزرع وتبن أكلته الدواب فراثته فيبس (٢٤٦) وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث قال مجاهد العصف ورق الحنطة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحب اذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له

﴿ سورة قريش مكية وهى أربع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (لايلاف قريش) قرأ أبو جعفر ليلاف بغير همز الا فهم طلبا للخفة وقرأ ابن عامر لالاف بهمزة مختلسة من غير ياء بعدها وقرأ الآخرون بهمزة مشبعة وياء بعدها واتفقوا غير أبى جعفر فى ايلافهم انها بياء بعد الهمزة الا عبد الوهاب بن فليح عن ابن كثير فانه قرأ الفهم ساكنة اللام بغير ياء وعد بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة منهم أبى بن كعب لا فصل بينهما فى مصحفه وقالوا اللام فى لايلاف تتعلق بالسورة التى قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة وقال لايلاف قريش وقال الزجاج المعنى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش أى هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف وقال مجاهد ألفوا ذلك فلا يشق عليهم فى الشتاء والصيف والعامة على انهما سورتان واختلفوا فى العلة الجالبة للام فى قوله لايلاف قال الكسائى والاخفش هى لام التعجب يقول اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته كما تقول فى الكلام لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب أى اعجبوا لذلك والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من اظهار الفعل منه وقال الزجاج هى مردودة الى ما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف وقال ابن عيينة لنعمتى على قريش وقريش هم ولد النضر بن كنانة

بعضها بعضا وقيل أبابيل أقاطيع كالابل المؤبلة وقيل أبابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل أيبل وقيل أبول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيا الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف أجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله أعلم * قوله عزوجل (ترميهم بحجارة) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن بما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وأصله سنك وكل فارسى معرب وقيل سجيل الشديد (فجعلهم كعصف مأكول) يعنى كزرع وتبن أكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة قريش مكية ﴾

وقيل مدنية والاول أصح وأكثر وهى أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عزوجل (لايلاف قريش) اختلفوا فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش أى هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبى ابن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه بسم الله الرحمن الرحيم والذى عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبى بن كعب فى جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا باطباق الصحابة

وكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني انا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي انا عبد الله بن مسلم ابو بكر الجوربردي ثنا يونس بن عبد الاعلى الصدفي انا بشر بن بكر عن الاوزاعي حدثني شداد أبو عمار ثنا واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وسموا قريشا من القرش والتقرس وهو التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش أي يكتسب وهم كانوا تجارا حرصا على جمع المال والافضال وقال أبو ريحانة سال معاوية عبد الله بن عباس

الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لايلاف فقيل هي لام التعجب أي أعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف أي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من ألفت الشيء إلافا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من ألفت كذا أي لزمته وآلفنيه الله أي ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشي (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (م) عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال أبو ريحانة سال معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحـ * ـر على سائر البحور جيوشا
تاكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش * ياكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهم في آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملا الارض خيله ورجالا * يحشرون المطي حشرا كميشا

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمي قصي مجمعا لذلك قال الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

* وقوله تعالى (الافهم) هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا

لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم فانشده شعر الجمحي وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا سلطت بالعلو في لجة البحر على سائر البحور جيوشا تاكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشا هكذا في البلاد حي قريش ياكلون البلاد أكلا كميشا ولهم في آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا قوله تعالى (الافهم) بدل من الايلاف الاول (رحلة الشتاء والصيف) رحلة نصب على المصدر أي ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف روى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون

بالطائف فامرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الآخرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة احداهما في الشتاء الى اليمن لانها أدفأ والاخرى في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء كانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة أهل الساحل من البحر على السفن وأهل البر على الابل والحمير فالفى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب واخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة فالقوا بالابطح فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين وأمرهم بعبادة رب البيت فقال

(فليعبدوا رب هذا البيت) أى الكعبة (الذى أطعمهم من جوع) أى من بعد جوع بحمل الميرة الى مكة (وآمنهم من خوف) بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم فى رحلتهم وقال عطاء عن ابن عباس انهم كانوا فى ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغنى حتى كان فقيرهم كغنيهم قال الكلبى وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اكفاف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى
والقائمين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

قوله عز وجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعنى الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين أحدهما دفع ضرر وهو ما ذكره فى سورة الفيل والثانى جلب نفع وهو ما ذكره فى هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو (الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذى أطعمهم من جوع أى من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد فى البر والبحر وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد وأخصبت أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد فى رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله أعلم

﴿تفسير سورة الماعون وهى مكية﴾

وقيل نزل نصفها بمكة فى العاص بن وائل والنصف الثانى بالمدينة فى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق وهى سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (أرأيت الذى يكذب بالدين) قيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وفى رواية عن ابن عباس انها فى رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذى يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذى يدع اليتيم) ولفظ أرأيت استفهام والمراد به المبالغة فى التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أرأيت يا أيها الانسان أو يا أيها العاقل هذا الذى يكذب بالدين بعد ظهور حيان وابن كيسان فى الوليد بن المغيرة قال الضحاك نزلت فى عمرو بن عائذ المخزومى وقال عطاء عن ابن عباس فى رجل من المنافقين ومعنى يكذب بالدين أى بالجزاء والحساب (فذلك الذى يدع اليتيم) يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بالعنف والجفوة

(ولا يحض على طعام المسكين) لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لأنه يكذب بالجزاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي ثنا حرمي ابن حفص القسملي ثنا عكرمة بن ابراهيم الازدي ثنا عبد الكريم بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه

ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم أي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف أي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالاطعام * قوله تعالى (فويل للمصلين) يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلوتهم ساهون) روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراؤن وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساه عنها لا يبالي صلى أو لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو أن لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو أن يبقى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد أنه لا فائدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق أن السهو عن الصلاة من أفعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن (الذين هم يراؤن) يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدي به ويأمن على نفسه من الرياء فلا باس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روى عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه الزكاة المفروضة وأدناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الاية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم

﴿ تفسير سورة الكوثر ﴾

قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا لقوله تعالى (الذين هم يراؤن) وقال في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس وقال قتادة ساه عنها لا يبالي صلى أم لم يصل قيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عقابا ان تركوا وقال مجاهد غافلون عنها يتهاونون بها وقال الحسن هو الذي ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لم يندم وقال أبو العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها (ويمنعون الماعون) روى عن علي رضي الله عنه أنه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك وقال عبد الله بن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة أعلاها الزكاة المعروفة وأدناها عارية المتاع وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون

المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم قال قطرب أصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعة ولا منعة أي شئ قليل فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار

﴿ سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(انا أعطيناك الكوثر)
أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر ابن أبي شيبه ثنا على بن مسهر عن المختار يعنى ابن فلفل عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتى فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك تدرى ما أحدث بعدك أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عمرو بن محمد ثنا هاشم ثنا أبو بشر وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ان أناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ان أناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى أعطاه الله اياه قال الحسن هو القرآن قال عكرمة النبوة والكتاب وقال أهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل فوعل من النفل والعرب تسمى كل

وهى مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهى ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (انا أعطيناك الكوثر) الكوثر نهر فى الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وأمته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ان أناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى أعطاه الله اياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثير فى العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التى فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء فى تفسير الكوثر فقد أعطيه النبى صلى الله عليه وسلم أعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الاقاويل فى الكوثر الذى عليه جمهور العلماء انه نهر فى الجنة كما جاء مبينا فى الحديث (ق) عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتى فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك لفظ مسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فاذا طينه أو طينته مسك أذفر شك الراوى عن أنس رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كاعناق الجزور قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ أبدا زاد فى رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمامكم حوضى ما بين جنبيه كما بين جربا وأذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفى رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا (ق) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتى وفى رواية لابتى حوضى كما بين صنعاء والمدينة وفى رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفى رواية قال ان قدر حوضى كما بين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل (م) عن ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لبعقر حوضى أذود الناس لاهل اليمن أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه

قال عكرمة النبوة والكتاب وقال أهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل فوعل من النفل والعرب تسمى كل

فقال

فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ينبت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن الىّ رجال منكم حتى اذا أهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فأقول أى ربى أصحابى فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلأقولن أى رب أصحابى أصحابى فليقالن لى انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك وفى رواية ليردن على ناس من أمتى الحديث وفى آخره فأقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهطان من أصحابى أو قال من أمتى فيجلون عن الحوض فأقول رب أصحابى فيقول انه لاعلم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على أمتى الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبى الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم ترد ون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون الىّ فأقول يا رب هؤلاء من أصحابى فيجيبنى ملك فيقول وهل تدرى ما أحدثوا بعدك (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاذودن رجالا عن حوضى كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضى لأبعد من ايلة الى عدن والذى نفسى بيده لأذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم ترد ون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم الا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أخرجه أبو داود

﴿فصل فى شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض﴾ قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض أحاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبى سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو عائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبى ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبى بكر الصديق وزيد بن أرقم وابى أمامة وعبد الله بن زيد وأبى برزة وسويد بن جبلة وعبد الله بن الصنابحى والبراء بن عازب وأسماء بنت أبى بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيى الدين ورواه البخارى ومسلم أيضا من رواية أبى هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره فى الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما وأخرجا أيضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبى بكر الصديق وذكرها القاضى عياض فيمن خرج له فى غير الصحيحين قال القاضى عياض وفى بعض هذا ما يقتضى كون الحديث متواترا وأما صفة الحوض ومقداره فقد قال فى رواية حوضى مسيرة شهر وفى رواية ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح وفى رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفى رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفى رواية ان حوضى لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف فى هذه الروايات فى قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت فى حديث واحد بل فى أحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن مختلفة ضرب لها النبى صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على أفهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة

شئ كثير فى العدد أو كثير فى القدر والخطر كوثرا والمعروف انه نهر فى الجنة أعطاه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الحديث أخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الحزقى انا ابو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى انا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا أحمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر ثنا حميد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بنهر يجرى بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل وحافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى فاذا اثرى مسك أذفر فقلت لجبريل ما هذا قال الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودى انا أبو الحسن أحمد بن محمد ابن موسى الصلت ثنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو سعيد الاشج ثنا محمد بن فضيل عن عطاء ابن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من

الحوض وليس فى ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول فى آنية الحوض من ان العدد المذكور فى الاحاديث على ظاهره وانها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول فى الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم الا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضربه مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا صريح فى ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتى فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك وفى رواية وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا أهويت لاناولهم اختلجوا دونى فأقول أى رب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة فى الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء فى معناه وفى المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبى صلى الله عليه وسلم للسيما التى عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك أى لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من أسلم وافى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده فى زمن أبى بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبى صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم فى حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام وأصحاب المعاصى والكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم فعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز أن يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابن عبد البر كل من أحدث فى الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وغمط الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا قال القاضى عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله

﴿ شرح غريب ألفاظ الاحاديث ﴾ قوله فيختلج العبد منهم أى ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جربا وأذرح أما جربا فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخارى فيها المد والقصر أولى وهى قرية من الشام وأما أذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهى فى طرف الشام قريب من الشوبك وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من أرض الشام وأما أيلياء فبفتح الهمزة واسكان المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة فى طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنا عشر مرحلة وهى آخر الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فهى قاعدة اليمن وأكبر مدنه وانما قيد باليمن فى الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين أى يسيل فيه وفى الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق أى يدفق منه ميزابان تدفقا شديدا متتابعا قوله أنى لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله أذود الناس أى أضرب الناس لاهل

المسك وأشد بياضا من الثلج

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا سعيد بن أبى مريم ثنا نافع عن ابن عمر عن ابن أبى مليكة قال قال عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها لا يظمأ أبدا

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى انا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انا محمد بن زكريا العذافرى انا اسحق بن ابراهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عند عقر حوضى أذود الناس عنه لاهل اليمن أى أضربهم بعصاى حتى يرفضوا عنه وانه ليغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والآخر من ذهب طوله ما بين بصرى وصنعاء أو ما بين أيلة ومكة أو من مقامى هذا الى عمان

اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ومعنى يرفض أى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله أنا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى أنا سابقكم على الحوض كالمهيئ له قوله سحقا أى بعدا وفيه دليل لمن قال انهم أهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث أنس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة يعنى نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله أعلم * قوله تعالى (فصل لربك وانحر) معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر أى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد أعطيتك مالا نهاية لكثرته من خيرى الدارين وخصصتك بما لم أخص به أحدا غيرك فاعبد ربك الذى أعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير وأعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه (ان شانئك) يعنى عدوك ومبغضك (هو الابتر) يعنى هو الاذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذاك الابتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال أنتم فنزلت فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ونزلت فى الذين قالوا انه أبتر ان شانئك هو الابتر أى المنقطع من كل خير قولهم فى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور أرادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق أسفلها وتسمى الصنبور وقيل هى النخلة التى تخرج فى أصل أخرى تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تقربها ودواؤها أن تنقطع تلك الصنابر منها فاراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنابر تنبت فى جذع نخلة فاذا انقلع استراحت النخلة فكذا محمدا اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذى لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى فى ذلك وردعليهم أشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وأنت الاعز الاشرف الاعظم والله أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة قل يا أيها الكافرون مكية ﴾

وهى ست آيات وست وعشرون كلمة وأربعة وتسعون حرفا عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهى وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك أربعة أقسام وهذه السورة

سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلوات المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وروى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال فصل لربك وانحر قال وضع اليمين على الشمال فى الصلاة عند النحر قوله تعالى (ان شانئك) عدوك ومبغضك (هو الابتر) هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت فى العاص ابن وائل السهمى وذلك انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه قال ذلك الابتر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها وذكر محمد ابن اسحق عن يزيد بن رومان قال كان العاص ابن وائل اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال عكرمة عن ابن عباس نزلت فى كعب بن

الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال بل أنتم خير منه فنزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزل فى الذين قالوا انه أبتر ان شانئك هو الابتر أى المنقطع من كل خير

﴿ سورة الكافرون مكية وهى ست آيات ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمى والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد

الهك سنة فان كان الذى جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا كنت قد شركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فقال معاذ الله ان أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فقال حتى أنظر ما يأتى من عند ربى فانزل الله عز وجل قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه ومعنى الآية (لا أعبد ما تعبدون) فى الحال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى الحال (ولا أنا عابد ما عبدتم) فى الاستقبال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى الاستقبال وهذا خطاب لمن سبق فى علم الله انهم لا يؤمنون وقوله ما أعبد أى من أعبد لكنه ذكره لمقابلة ما تعبدون ووجه التكرار قال أكثر أهل المعانى هو ان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار وارادة التخفيف والايجاز وقال القتبى تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك أن ندخل فى دينك عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة (لكم دينكم ولى دين) الشرك (ولى دين) الاسلام قرأ ابن كثير ونافع وحفص ولى بفتح الياء والآخرون باسكانها (تفسير

مشتملة على النهى عن عبادة غير الله تعالى وهى من الاعتقاد وذلك من أفعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمى والعاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى ديننا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذى جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وان كان الذى بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى أنظر ما يأتى من ربى فانزل الله قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه أولئك الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ الرسالة بجميع ما أوحى اليه فلما قال الله تعالى قل يا أيها الكافرون أداه النبى صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ جميع ما أنزل الله على وكان فيما نزل عليه قل يا أيها الكافرون وقيل ان النفوس تابى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا أشنع ولا أغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندى انما هو من عند الله عز وجل وقد أنزل الله على قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق فى علم الله انهم لا يؤمنون (لا أعبد ما تعبدون) فى معنى الآية قولان أحدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة الهى ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى ولست فى الحال بعابد معبودكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم فى الحال بعابدين معبودى وقيل يحتمل أن يكون الاول للحال والثانى للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما أن يكون للحال والاستقبال ولكن يختص أحدهما بالحال والثانى بالاستقبال لانه أخبر أولا عن الحال ثم أخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون فى الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الاستقبال وما بمعنى من أى من أعبد ويحتمل أن تكون بمعنى الذى أى الذى أعبد القول الثانى حصول التكرار فى الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد أشد كان التكرار أحسن ولا موضع أحوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى مرارا فحسن التوبيد والتكرار فى هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك أن ندخل فى دينك عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم (لكم دينكم ولى دين) أى لكم كفركم ولى اخلاصى وتوحيدى والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم

عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة (لكم دينكم) الشرك (ولى دين) الاسلام قرأ ابن كثير ونافع وحفص ولى بفتح الياء والآخرون باسكانها

﴿ سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا جاء نصر الله والفتح) أراد فتح مكة وكانت قصته على ماذكر محمد بن اسحق وأصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلعم وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل

في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماءلهم أسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدئل من بني بكر حتى بيت خزاعة فأصابوا منهم رجلا وتحاربوا واقتتلوا وردفت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا بالليل حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما أهاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

يارب اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
قد كنتموا ولدا وكنا والدا * ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتشهد بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بابي سفيان قد جاء ليشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا من الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل

﴿ تفسير سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (اذا جاء نصر الله والفتح) يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ماذكره محمد بن اسحق وأصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماءلهم أسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدئل من بني بكر حين بقيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلعم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

لاهم اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا

الابيات كما ذكرنا في سورة التوبة فقال رسول الله صلعم قد نصرت يا عمر بن سالم ثم عرض لرسول الله صلعم عنان بين السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلعم فاخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلعم قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في

المدة ومضى بديل بن ورقاء فلقى أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا الذى صنعوا فلما لقى أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن انه قد أتى رسول الله صلعم قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النوى فعمد الى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلعم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان فلما ذهب (٢٥٦) ليجلس على فراش رسول الله صلعم طوته عنه فقال يا بنية أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بلى هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدى شئ ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا لا أشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على على بن ابى طالب رضى الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن على غلاما يدب بين يديها فقال يا على انك امس القوم بى رحما وأقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما بلغ بنيى أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فقال يا أبا الحسن انى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله لا أعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال ايها الناس انى قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيئا ثم جئت ابن ابى قحافة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت على بن ابى طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشئ صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا قالوا وما ذاك قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ما زاد على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عائشة وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس انه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبى صلى

وفى بطن هذا الوادى قال وهل أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت أبى سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال أى بنية أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا لا اشفع لك الى النبى صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على على بن ابى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن على غلاما يدب بين يديها فقال يا على انك امس القوم بى رحما واقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بنى أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا الحسن انى ارى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله لا اعلم شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال لا والله ما اظن ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان فى المسجد فقال ايها الناس انى قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيأ ثم جئت ابن ابى قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته اعدى القوم ثم اتيت على بن ابى طالب فوجدته الين القوم وقد اشار على بشئ صنعته فوالله ما ادرى هل يغنى ذلك شيأ ام لا قالوا وما ذاك قال امرنى ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ما زاد على ان لعب بك فما يغنى عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله أن يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عائشة وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبى صلى

به عنى قالت بلى هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدى شئ ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا لا أشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على على بن ابى طالب رضى الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن على رضى الله عنهما غلام يدب بين يديها فقال يا على انك امس القوم بى رحما وأقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه الله

فيه فالتفت الى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما بلغ بنيى أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فقال يا أباحسن انى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله ما أعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال أوترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك

غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال يا أيها الناس انى قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته والله ما رد على شيأ ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد عنده خيرا فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت على بن أبى طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشئ صنعته فوالله ما أدرى هل يغنينى شيأ أم لا قالوا وماذا أمرك قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال لا قالوا والله ان زاد على ان لعب بك فلا يغنى عنا ماقلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فاين ترينه يريد قالت ما أدرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا الى قريش ذكرناها فى سورة الممتحنة ثم استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا رهم كلثوم ابن حصين بن خلف الغفارى وخرج عامدا الى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد ما بين عسفان

الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار والمهاجرين عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل خرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار و ينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى أجد حطابا أو صاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس فوالله انى لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام أبى سفيان و بديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال يا أبا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفنى ورجع صاحباه فخرجت أركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الىّ ويقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الى فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطئ قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله انى قد أجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لا يناجيك الليلة أحد دونى فلما أكثر عمر فى شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بنى عبد مناف ولو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم وماذاك الا لانى أعلم ان اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله وأنى رسول الله

وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل فخرج فى تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار هل يجدون خبرا وقد قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن بغتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بلادها فدخل مكة عنوة انها لهلاك قريش الى آخر الدهر فخرج العباس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخرج الى الاراك لعلى أرى حطابا أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله

صلم فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة قال العباس فخرجت وانى لأطوف فى الاراك ألتمس ماخرجت له اذ سمعت صوت أبى سفيان وحكيم وحزام و بديل بن ورقاء وقد خرجوا يتجسسون الخبر فسمعت أباسفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا وقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال أبوسفيان خزاعة ألأم من ذلك وأذل فعرفت صوته فقلت يا أباحنظلة فعرف صوتى فقال يا أبا الفضل فقلت نعم فقال مالك فداك أبى وأمى قلت ويحك يا أباسفيان هذا والله رسول الله صلعم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن (٢٥٨) عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلعم فاستأمنه فردفنى ورجع صاحباه فخرجت أركض به بغلة رسول الله صلعم كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا الى قالوا هذا عم رسول الله صلعم على بغلة رسول الله صلعم حتى مررت بنار عمر ابن الخطاب فقال من هذا وقام الى فلما رأى أباسفيان على عجز الدابة قال أبوسفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله صلعم فركضت البغلة وسبقته بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطىء فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلعم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبوسفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعنى أضرب عنقه فقلت يا رسول الله انى قد أجرته ثم جلست الى رسول الله صلعم فاخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه الليلة أحد دونى فلما أكثر فيه عمر رضى الله عنه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بنى عبد مناف ولو كان من بنى عدى ابن كعب ما قلت هذا قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم وذلك لرسول لانى أعلم أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلعم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله قال بابى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيا بعد قال ويحك يا أباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قال بابى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان فى النفس منها حتى الآن

قال بابى أنت وأمى ما احلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيا بعد قال ويحك يا اباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قال بابى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان فى النفس منها حتى الآن شيا فقال العباس ويحك اسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان أباسفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فاقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لا تمر قبيلة الا سالنى عنها فاذا أخبرته عنها فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ فى المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن قالوا قاتله الله وما تغنى عنا دارك قال ومن خل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد وجاء حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما و بايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث فى أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والانصار وأمره أن يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتى حتى آتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة عليه برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة و بنى سليم أن يدخلوا من أسفل مكة و بها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش و بنو الحرث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا باسفل مكة وأن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال

ويحك يا أباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قال بابى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان فى النفس منها حتى الآن

شيئا قال العباس قلت له ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس قلت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها قال فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هؤلاء يا عباس قال أقول سليم قال يقول مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفدت القبائل لا تمر قبيلة الا سالني عنها فاذا أخبرته يقول مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد قال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار فقال والله ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال ويحك انها

النبوة فقال نعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند النبي صلى الله عليه وسلم عامدين الى

لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدركه بهذه الراية فكن أنت الذي تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش بأسفل مكة فقاتلوه فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم أمر بقتلهم وان وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وانما أمر بقتله لانه كان قد أسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما أمر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان يغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث بن نقيذ بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس صبابة وانما أمر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن أبي جهل فأما عكرمة فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الاسلمي اشتركا في دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسه في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هانئ لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الي رجلان من أحمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل علي علي بن أبي طالب أخي فقال والله

مكة بعث في اثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والانصار وأمره أن يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك ومن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضربت هناك قبته وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبني سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكم وأمر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين قريب من

اثنى عشر أو ثلاثة عشر ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا أحدا الا من قاتلهم الا فى نفر سماهم أمر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وانما أمر بقتله لانه كان قد أسلم فارتد مشركا فقر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة فاستامن له وعبد الله بن خطل كان رجلا من بنى تيم بن غالب وانما أمر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما وينام فاستيقظ ولم يصنع له شيا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث بن نقيذ ابن وهب كان ممن يؤذيه بمكة

ومقيس بن صبابة وانما أمر بقتله لقتله الانصارى الذى قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة كانت لبعض بنى المطلب كانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة ابن أبى جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث ابن هشام فاستامنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت فى طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومى وأبو برزة الاسلمى اشتركا فى دمه وأما مقيس ابن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها فامنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسه فى زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب فلما دخل رسول الله وخير صلى الله عليه وآله وسلم مكة وقف قائما على باب الكعبة وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا ان كل مأثرة أودم أومال فى الجاهلية يدعى فهو تحت قدمى هاتين الاسدانة البيت وسقاية الحاج يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية يا أهل مكة ماذا ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم اجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحى يا نبى الله ان صفوان بن أمية سيد قومى وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر فآمنه قال

لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا وأهلا بأم هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر على بن أبى طالب فقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا تقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة وأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا كل مأثرة أودم أومال يدعى فهى تحت قدمى هاتين الاسدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها خلفة فى بطونها أولادها يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وكان الله أمكنه منهم عنوة فبذلك سموا أهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحى يا رسول الله ان صفوان بن أمية سيد قومى قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه فى البحر فأمنه يا رسول الله فقال هو آمن قال يا رسول الله اعطنى شيا يعرف به أمانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان فداك أبى وأمى أذكرك الله فى نفسك ان تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال ويلك اعزب عنى لا تكلمنى قال فداك أبى وأمى أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو آمن قال يارسول الله اعطنى شيأ يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال ياصفوان فداك أبى وأمى أذكرك الله فى نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال ويلك اعزب عنى فلا تكلمنى قال أى صفوان فداك أبى وأمى أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمتك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم أنك أمنتنى قال صدق قال فاجعلنى فى أمرى بالخيار شهرين قال أنت فيه بالخيار أربعة أشهر قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو نعيم ثنا شيبان عن يحيى عن أبى سلمة عن أبى هريرة

وخير الناس ابن عمتك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى اخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك أمنتنى قال صدق قال فاجعلنى فى ذلك بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر قال ابن هشام وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه مكة أرضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن أبى هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام الفتح بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وانها لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد من بعدى ألا وانما أحلت لى ساعة من نهار ألا وانها ساعتى هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقطع شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفتدى واما أن يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابى شاه قال الاوزاعى يعنى الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وأما التفسير﴾ فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعنى اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجئ النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها أو تأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعنى فتح مكة فى قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح أن النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذى هو تمام النعمة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) يعنى زمرا وارسالا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله

أن خزاعة قتلوا رجلا وقال محمد بن اسمعيل قال عبد الله بن رجاء ثنا حرب عن يحيى ثنا أبو سلمة أنا ابو هريرة أنه قال عام فتح مكة قتلت خزاعة رجلا من بنى ليث بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين ألا وانها لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد من بعدى ألا وانما أحلت لى ساعة من نهار ألا وانها ساعتى هذه حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها ولا يلتقط ساقطتها الا منشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما يودوا واما يفادوا فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال اكتب لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابى شاه ثم قام رجل

من قريش فقال يارسول الله الا الاذخر فانا نجعله فى بيوتنا وقبورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبى طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبى طالب تقول ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب قالت فسلمت فقال من هذه فقلت أنا أم هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا بام هانئ فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفا فى ثوب واحد ثم انصرف فقلت له يارسول الله زعم ابن أمى على بن أبى طالب أنه قاتل رجلا أجرته فلان ابن هبيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وذلك ضحى قوله عز وجل اذا جاء نصر الله يا محمد على من عاداك وهم قريش والفتح فتح مكة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) زمرا وارسالا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب

بعضها لبعض اذا ظفر محمد باهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن أنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى انا ابو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى انا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا احمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر ثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم أهل اليمن هم اضعف قلوبا وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فانك حينئذ لاحق به اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو النعمان ثنا ابو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال انه

ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم قال وما رأيته دعانى يومئذ الا ليريهم منى فقال ما تقولون فى قوله اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندرى ولم يقل بعضهم شيأ فقال لى يا ابن عباس أكذلك تقول قلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله به اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثنى عثمان بن ابى شيبة ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى حدثنى عبد الاعلى ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه قالت فقلت يا رسول الله اراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه فقال اخبرنى ربى انى سأرى علامة فى امتى فاذا رأيتها أكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فالفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبى صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه قال الحسن أعلم أنه قد اقترب أجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة فى العمل الصالح قال قتادة وقد قاتل عاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سبعين يوما

صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قد أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل أراد بالناس أهل اليمن (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام وأضافه اليه تشريفا وتعظيما كبيت الله وناقة الله * قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) يعنى فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم قال وما رأيت انه كان دعانى يومئذ الا ليريهم منى قال ما تقولون فى قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس قال قلت لا قال فما هو قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن أنزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القول من سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وقال أخبرنى ربى انى سأرى علامة فى أمتى فاذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبى صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب أجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة فى العمل الصالح قيل عاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل فى معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا لمزيد درجاتك فى الدنيا والآخرة وفى معنى التسبيح وجهان أحدهما نزهه عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثانى فصل له بك لان التسبيح جزء من أجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هى صلاة

﴿ سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (تبت يدا أبي لهب وتب) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على الصفا فقال يا صباحاه قال فاجتمعت اليه قريش فقالوا له مالك قال أرأيتم لو أخبرتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا جميعا فانزل الله عز وجل تبت يدا أبي لهب وتب الى آخرها قوله تبت أي خابت وخسرت يدا أبي لهب أي هو أخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشئ عن كله وقيل اليد صلة كما يقال يد الدهر يد الرزايا والبلايا وقيل المراد به ماله وملكه يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال والتباب الخسار والهلاك وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى قال مقاتل كني بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه وقرأ ابن كثير أبي لهب ساكنة الهاء وهي لغة مثل نهر ونهر واتفقوا في ذات لهب انها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل وتب أبو لهب وقرأ عبد الله وقد تب قال القراء الاول دعاء والثاني خبر كما يقال أهلكه الله وقد فعل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرباءه الى الله عز وجل قال أبو لهب ان كان ما يقول ابن أخي حقا فاني أفتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله أي ما يغني وقيل أي شئ يغني عنه ماله أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال وكان صاحب مواش وما كسب قيل بعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه وان ولده من كسبه ثم أوعده بالنار فقال (سيصلى نارا ذات لهب) أي نارا تلتهب عليه (وامرأته) أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان

صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح * فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر * قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى أن يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته وهذا ظاهر لان الله تعالى أمره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (تبت يدا أبي لهب) (ق) ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشئ عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه * فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة * قلت فيه وجوه أحدها أنه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من أهل النار وماله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بأن يذكر بها (وتب) قيل الاول أخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أخرج مخرج الخبر كما يقال أهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا أبي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه أي وقد أهلكت نفسه (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرباءه الى الله تعالى قال أبو لهب ان كان ما تقول يا ابن أخي حقا فأنا أفتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله أي أي شئ يغني عنه ماله وما كسب يعني من المال وكان صاحب مواش أي ما جمع من المال أو ما كسب من المال أي الربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي ثم أوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أي نارا تلتهب عليه (وامرأته) يعني أم جميل بنت حرب بن أمية أخت

(حمالة الحطب) قال زيد والضحاك كانت تحمل الشوك والعضاه فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتعقرهم وهى رواية عطية عن ابن عباس وقال قتادة ومجاهد والسدى كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث فتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به وقال سعيد ابن جبير حمالة الخطايا دليله قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم قرأ عاصم حمالة بالنصب على الذم كقوله ملعونين وقرأ الآخرون بالرفع وله وجهان أحدهما سيصلى نارا هو وامرأته حمالة الحطب والثانى وامرأته حمالة الحطب فى النار أيضا (فى جيدها) فى عنقها وجمعه أجياد (حبل من مسد) واختلفوا فيه قال ابن عباس وعروة بن الزبير سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل فى فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من ليف وقال الحسن كانت خرزات فى عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فى عنقها فاخرة فقالت لا نفقنها فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم

﴿سورة الاخلاص مكية وهى أربع آيات﴾

أبى سفيان بن حرب عمة معاوية بن أبى سفيان وكانت فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (حمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك وهى رواية عن ابن عباس * فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب * قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها فى نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى انها تستعين فى ذلك بأحد بل تفعله هى بنفسها وقيل كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث وتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان لذا كان يغرى به وقيل حمالة الخطايا والآثام التى حملتها فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب فى مصيرها الى النار (فى جيدها) أى عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذى كانت تحتطب به فبينما هى ذات يوم حاملة الحزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات فى عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لا نفقنها فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة الاخلاص﴾

وهى مكية وقيل مدنية وهى أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا

﴿فصل فى فضلها﴾ (خ) عن أبى سعيد الخدرى ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزأ من القرآن (م) عن أبى هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضى الله عنهم فى كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن أقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة أقسام وهى الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى التقديس فى ان يكون واحدا فى ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون أحد فى درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذى لا تتناهى أسراره ولا تنقضى عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازى لعل الغرض منه أن يكون المقصود الاشرف فى جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة انحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متضمنة للصفات فهى ثلث القرآن وجزء

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (قل هو الله أحد) روى أبو العالية عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلعم انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى هذه السورة وروى أبو ظبيان وأبو صالح عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلعم فقال عامر إلام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة فأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون ذكرناه في سورة الرعد وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك يا محمد لعلنا نؤمن بك فان الله أنزل نعته في التوراة فاخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل ويشرب ومن يرث السماء ومن يرث الارض فانزل الله هذه السورة قل هو الله أحد أي واحد ولا فرق بين الواحد والاحد بدل عليه قراءة ابن مسعود قل هو الله الواحد (الله الصمد) قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير الصمد الذي لا جوف له قال الشعبي الذي لا يأكل ولا يشرب وقيل تفسيره ما بعده روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يرث يورث منه قال أبو وائل شقيق بن سلمة هو السيد الذي قد انتهى سوده وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السودد وعن سعيد ابن جبير أيضا هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وقيل هو السيد المقصود في الحوائج قال السدي هو المقصود اليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا أصمده صمدا بسكون الميم اذا قصدته والمقصود صمد بفتح الميم وقال قتادة الصمد الباقي بعد فناء خلقه وقال عكرمة الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول علي وقال الربيع الذي لا تعتريه الآفات قال مقاتل بن حيان الذي لا عيب فيه

من ثلاثة أجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقللها يقال استقللت الشيء وتقللته وتقاللته أي عددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى في صفته أو لان قارئها قد أخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه أن رجلا قال يا رسول الله اني أحب هذه السورة قل الله أحد قال حبك اياها أدخلك الجنة أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عز وجل (قل هو الله أحد) عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء أخرجه الترمذي وقال وقد روى عن أبي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب وهذا أصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر إلام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر الطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل نعته في التوراة فاخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل ويشرب ومن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله أحد يعني الذي سألتموني عنه هو الله الواحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف أحد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ودرهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها أحد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رأيت رجلا واحدا وفي النفي ما رأيت أحدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد (الله الصمد) قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشيء المصمد الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذي ليس بأجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله

(لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) قرأ حمزة واسمعيل كفؤا ساكنة الفاء مهموزا وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزا وكلها لغات صحيحة ومعناه المثل أي هو أحد وقيل هو على التقديم والتأخير مجازه لم يكن له أحد كفوا أي مثلا قال مقاتل قال مشركو العرب الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو اليمان انا شعيب عن الزهري انا ابو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد أخبرنا

أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا ابو علي زاهر بن أحمد أنا ابو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة الانصاري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد ويرددها فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن أخبرنا أبو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا ابو بكر محمد ابن الحسن الاصفهاني انا عبد الله بن جعفر بن أحمد ابن فارس ثنا يونس بن حبيب ثنا ابو داود الطيالسي ثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم ابن ابي الجعد يحدث عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال اقرؤا قل هو الله أحد وأخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن أحمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن جبير مولى زيد بن الخطاب انه قال سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع رسول الله صلعم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال رسول الله صلعم وجبت فسألته ماذا يا رسول الله فقال الجنة فقال أبو هريرة فأردت أن أذهب الى الرجل فابشره ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآثرت الغداء ثم ذهبت الى الرجل فوجدته قد ذهب أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا يزيد بن هرون ثنا المبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أحب هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك اياها أدخلك الجنة

الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس باجوف شيآن أحدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني أشرف من الانسان وأعلى منه وهو الباري جل وعز وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في افراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سوددة وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على انه المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس لزوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والاولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شئ وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزيرا ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا أحد أي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له كفوا أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفلق مدنية﴾

وقيل مكية والاول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا

(م) عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب

﴿سورة الفلق مكية وقيل مدنية وهي خمس آيات﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو

سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم أنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم طب حتى انه ليخيل اليه انه قد صنع شيأ وما صنعه وانه دعا به ثم قال أشعرت ان الله أفتاني فيما استفتيته فيه فقالت عائشة وماذاك يارسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال الآخر هو مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بئر ذروان وذروان بئر في بني زريق قالت عائشة فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤس الشياطين قلت فقلت له يارسول الله فهلا أخرجته قال أما أنا فقد شفاني الله فكرهت أن أثير على الناس به شرا وروى انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه فيها أخبرنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن ابراهيم الصالحاني ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود قال فاشتكى لذلك أياما قال فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء

برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن أيضا وانه من أول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (خ) عن زر بن حبيش قال سالت أبي بن كعب عن المعوذتين قلت ياأبا الوليد ان أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن حبيب قال أصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فخرج فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شئ وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما أقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل أعوذ برب الناس حتى تختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما أخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول أبي الدرداء ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه وفي رواية انه يخيل اليه فعل الشئ وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت ياعائشة ان الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت وماذاك يارسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بئر ذروان ومن الرواة من قال في بئر بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من أصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يارسول الله فاخرجه قال أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخفت أن أثير على الناس منه شرا وفي رواية للبخاري أنه كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن أرقم قال سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك أياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجه قط أخرجه النسائي وروى انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم واسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروى انه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م) عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك

بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى كأنما نشط من عقال فاذكر ذلك لليهود ولا أراه في وجهه قط قال

﴿ فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وما قيل في الرقى ﴾ قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه قال الامام المازري مذهب أهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر ما فيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده * فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره أم لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع أن ما قدر لا بد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة * قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ﴿ فصل ﴾ وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلائل القطعية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل اليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل اليه انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما يتخيله الانسان في المنام فلا يبعد أن يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل انه يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضي وقد جاءت في بعض روايات هذا الحديث مبينة ان السحر انما سلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ماوجع الرجل قال مطبوب أي مسحور قوله وجف طلعة ذكر يروى بالباء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جوازذلك اذا كان بآيات من القرآن أو اذا كانت وردت في الحديث ويدل على صحته الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روى عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفاسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم ﴿ وأما التفسير ﴾ فقوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على أن يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج كما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استعاذ أهل النار

مقاتل والكلبي كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كانت العقد مغروزة بالابرة فانزل الله هاتين السورتين وهي احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى انه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا بشر بن هلال الصواف ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أبي نضرة عن أبي سعيد ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك قوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين وهي رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله فالق الاصباح وروى عن ابن عباس انه سجن في جهنم وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحاك يعني الخلق وهي رواية الوالبي عن ابن عباس والاول المعروف

(من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المقانس ثنا هرون بن اسحق الهمداني ثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن خالد بن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة قالت أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي فنظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر غاسق اذا وقب هذا غاسق اذا وقب فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف وأسود وقب أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وأظلم وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شئ وأظلم والغسق الظلمة يقال غسق الليل وأغسق اذا أظلم وهو قول الحسن ومجاهد يعني الليل اذا أقبل ودخل والوقوب الدخول وهو دخول الليل بغروب الشمس قال مقاتل يعني ظلمة الليل اذا دخل سواده في ضوء النهار وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وقال ابن زيد يعني الثريا اذا سقطت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها قال أبو عبيدة هن بنات لبيد بن الاعصم سحرن النبي صلى الله عليه وسلم (ومن شر حاسد اذا حسد) يعني اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم

﴿سورة الناس مكية وقيل مدنية وهي ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس) يعني الشيطان يكون مصدرا واسما قال الزجاج يعني الشيطان ذا الوسواس الخناس الرجاع وهو الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر يرجع ويضع رأسه فذلك قوله

من حره ووجهه ان المستعيذ قال أعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس أيضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التاويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات (من شر ما خلق) قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وبأعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر الموروث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وانما أمر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وأنكر جماعة التفل والنفث في الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب أن لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة المغبور بما يكون مع ذلك سعي فلذلك أمر الله تعالى بالتعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم أو لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الناس﴾

وهي مدنية وقيل مكية والاول أصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (قل أعوذ برب الناس) انما خصص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال أعوذ من شر الموسوس الى الناس برب الناس الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذهم من شرهم وقيل ان أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس اله الناس) انما وصف نفسه أولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على انه رب هم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعني الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفي (الخناس) يعني الرجاع الذي من عادته أن يخنس أي يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب

(الذى يوسوس فى صدور الناس) بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع (من الجنة والناس) يعنى يدخل فى الجنى كما يدخل فى الانسى يوسوس الجنى كما يوسوس الانسى قاله الكلبى وقوله فى صدور الناس أراد بالناس ماذكر من بعد وهو الجنة والناس فسمى الجن ناسا كما سماهم رجالا فقال وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقد ذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقعوا فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وهذا معنى قول الفراء قال بعضهم ثبت ان الوسواس للانسان من الانسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعا كما قال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن كانه أمر أن يستعيذ من شر الجن والانس جميعا أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جويرية عن بنان عن قيس بن أبى حازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن ابراهيم العدل ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب (٢٧٠) ثنا أبو العباس بن الوليد بن مزيد أخبرنى أبى ثنا الاوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى محمد بن ابراهيم ابن الحارث التيمى عن عقبة ابن عامر الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم على بن أحمد الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى انا أبو عيسى الترمذى ثنا قتيبة ثنا المفضل بن فضالة عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات أخبرنا أبو الحسن السرخسى انا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى (يقول انا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتهما اخبرنا الامام ابو على الحسين بن محمد القاضى وأبو حامد أحمد ابن عبد الله الصالحى قالا ثنا ابو بكر أحمد بن الحسين الحيرى أنا محمد بن احمد بن معقل الميدانى انا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابراهيم ابن حمزة حدثنى بن أبى حازم عن يزيد يعنى ابن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابى هريرة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما أذن الله لشئ ما أذن لنبى حسن الصوت بالقرآن يجهر به والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعنى الجن (والناس) وفى معنى الآية وجهان أحدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثانى أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكما أن شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانس كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيديه رجاء بركتهما أخرجه مالك فى الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ يقول مصححه راجى عفو البارى على بن أحمد الشهير بالهوّارى ﴾

أحمد الله الحنان المنان منزل القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان شفاء ورحمة للمؤمنين وذكرى وضياء للمخلصين الموقنين موشحا بالحجج البالغة والبراهين الواضحة الدامغه قاصما بمواضيه ظهر كل مكار وجبار عنيد اذلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد عجزت مصاقع الخطباء عن الاتيان بمثل أقصر سورة من سوره وخرست ألسن بواقع البلغاء عن محاكاة شئ من منظومه ودرره قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وأصلى وأسلم على سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد وأسمح من جاد بما ليس فى امكان الاقيال والامجاد المنعوت بنعوت الجمال والجلال فى التوراة والانجيل المؤيد بسيدنا جبريل وسيدنا ميكائيل أرسله الله بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا واختاره أصحابا ظهروا فى سماء المعالى أهلة و بدورا وسبقت لهم من العزيز الوهاب الحسنى ففازوا برؤية محياه الاسنى ﴿و بعد﴾ فقد تم طبع التفسير الجليل المسمى (بلباب التأويل فى معانى التنزيل) للامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمه علاء الدين على بن محمد البغدادى الصوفى المعروف بالخازن وشهرة هذا الكتاب تغنى عن المدح والاطناب وقد طرزها مشه بالتفسير المسمى (بمعالم التنزيل) للامام الجليل محيى السنة و بدر الدجنة مفتى الفرق وناصر الحديث وعلم القراء أبى محمد الحسين الفراء البغوى نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم مبينا فيه أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ذاكرا مذاهب الصحابة والتابعين وكيفية استنباط الائمة الاربعة وغيرهم الاحكام الشرعية موردا فيه قراآت الائمة الذين خلفوا الصحابة والتابعين واتفقت الامة على اختيارهم هذا الى ما حلاه به من الاحاديث النبوية الصحيحة معرضا عن المناكير والى ما وشاه به من القصص الغريبة والاخبار العجيبة والى ما أتى به من اعراب ما أشكل من الآيات وايضاح ما فيه غرابة من الكلمات بعبارة قد أفرغت فى قالب الجمال ونظمت فى سلك اللطافة فقاقت فرائد اللآل وقد انتدب لطبعه لنشر فوائده وتعميم نفعه ﴿حضرات الاماجد أبناء المرحوم مولوى محمد بن غلام رسول السورتى عبد الستار وعبد الصمد وعبد الرزاق أصحاب المكتبة المحمدية فى (بومباى) حفظهم الله﴾ وذلك بمطبعة التقدم العلمية الكائن مركزها بشارع الحلوجى قريبا من الساحة الازهرية ادارة ﴿حضرة الفاضل السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه﴾ ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه

فى أوائل شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣٢

هجريه على صاحبها أفضل

الصلاة وأزكى

التحيه

م

﴿ فهرست الجزء السابع من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل للامام الخازن رحمه الله تعالى ﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	*(تفسير سورة الرحمن عز وجل)*	١٢٣	*(تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج)*
١٢	*(تفسير سورة الواقعة)*	١٢٧	*(تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام)*
٢٥	*(تفسير سورة الحديد)*	١٣١	*(تفسير سورة الجن)*
٣٦	*(تفسير سورة المجادلة)*	١٣١	فصل اختلف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن الخ
٣٧	فصل في أحكام الظهار وفيه مسائل	١٣٧	*(تفسير سورة المزمل عليه الصلاة والسلام)*
٣٩	فصل في أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار	١٣٨	فصل عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٦	*(تفسير سورة الحشر)*	١٤٣	*(تفسير سورة المدثر عليه الصلاة والسلام)*
٦٢	*(تفسير سورة الممتحنة)*	١٥١	*(تفسير سورة القيامة)*
٧٠	*(تفسير سورة الصف)*	١٥٤	فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة
٧٢	*(تفسير سورة الجمعة)*	١٥٧	*(تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان)*
٧٥	فصل في فضل الجمعة وأحكامها وأثم تاركها	١٦٣	*(تفسير سورة المرسلات)*
٨٠	ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام	١٦٦	*(تفسير سورة النبا وتسمى سورة عم يتساءلون)*
٨١	*(تفسير سورة المنافقين)*	١٧٠	*(تفسير سورة النازعات)*
٨٢	ذكر القصة في سبب نزول قوله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الخ	١٧٣	*(تفسير سورة عبس)*
٨٦	*(تفسير سورة التغابن)*	١٧٦	*(تفسير سورة التكوير)*
٨٩	(تفسير سورة الطلاق)*	١٨٠	*(تفسير سورة الانفطار)*
٨٩	فصل الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة الخ	١٨١	(تفسير سورة المطففين)*
٩٣	فصل في حكم قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم	١٨٦	*(تفسير سورة الانشقاق)*
٩٥	*(تفسير سورة التحريم)*	١٨٨	*(تفسير سورة البروج)*
٩٨	فصل اختلف العلماء في لفظ التحريم الخ	١٩٣	*(تفسير سورة الطارق)*
١٠١	فصل وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور الخ	١٩٥	*(تفسير سورة الاعلى)*
١٠٣	*(تفسير سورة الملك)*	١٩٧	*(تفسير سورة الغاشية)*
١٠٧	*(تفسير سورة ن)*	٢٠٠	*(تفسير سورة الفجر)*
١٠٩	فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٠٦	*(تفسير سورة البلد)*
١١٤	فصل في شرح ألفاظ حديث رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة	٢٠٩	*(تفسير سورة الشمس)*
١١٨	*(تفسير سورة الحاقة)*	٢١١	*(تفسير سورة والليل)*
		٢١٤	*(تفسير سورة والضحى)*
		٢١٨	*(تفسير سورة ألم نشرح)*
		٢٢١	*(تفسير سورة والتين)*
		٢٢٢	*(تفسير سورة العلق)*
		٢٢٢	فصل في هذا الحديث (أي حديث أول

صحيفة	
	ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة الخ)
٢٢٦	*(تفسير سورة القدر)*
٢٢٦	فصل فى فضل ليلة القدر وما ورد فيها
٢٢٧	ذكر ليال مشتركة
٢٣٠	*(تفسير سورة لم يكن)*
٢٣٣	*(تفسير سورة الزلزلة)*
٢٣٥	*(تفسير سورة العاديات)*
٢٣٦	*(تفسير سورة القارعة)*
٢٣٧	*(تفسير سورة التكاثر)*
٢٣٩	*(تفسير سورة العصر)*
٢٤٠	*(تفسير سورة الهمزة)*
٢٤١	*(تفسير سورة الفيل)*
٢٤٦	*(تفسير سورة قريش)*
٢٤٨	*(تفسير سورة الماعون)*
٢٤٩	*(تفسير سورة الكوثر)*

صحيفة	
٢٥١	فصل فى شرح هذه الاحاديث وما يتعلق بالحوض
٢٥٣	*(تفسير سورة قل يا أيها الكافرون)*
٢٥٥	*(تفسير سورة النصر)*
٢٦٣	*(تفسير سورة أبى لهب)*
٢٦٤	*(تفسير سورة الاخلاص)*
٢٦٤	فصل فى فضلها
٢٦٦	*(تفسير سورة الفلق)*
٢٦٨	فصل فى ذكر معنى الحديث وما قيل فيه (وهو قول عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه صنع الشئ ولم يصنعه الخ) وما قيل فى السحر والرقى
٢٦٨	فصل وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه الخ
٢٦٩	*(تفسير سورة الناس)*

(تمت)

﴿ فهرست الجزء السابع من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوي ﴾
(الذي بهامش الخازن)

صحيفة		صحيفة		صحيفة	
٢	سورة الرحمن	١٥١	سورة القيامة	٢٢١	سورة التين
١٢	سورة الواقعة	١٥٧	سورة الانسان	٢٢٢	سورة العلق
٢٥	سورة الحديد	١٦٣	سورة المرسلات	٢٢٦	سورة القدر
٣٦	سورة المجادلة	١٦٦	سورة النبأ	٢٣٠	سورة لم يكن
٤٦	سورة الحشر	١٧٠	سورة النازعات	٢٣٣	سورة الزلزلة
٦٢	سورة الممتحنة	١٧٣	سورة عبس	٢٣٥	سورة والعاديات
٧٠	سورة الصف	١٧٦	سورة التكوير	٢٣٦	سورة القارعة
٧٢	سورة الجمعة	١٨٠	سورة الانفطار	٢٣٧	سورة التكاثر
٨١	سورة المنافقين	١٨١	سورة المطففين	٢٣٩	سورة العصر
٨٦	سورة التغابن	١٨٦	سورة الانشقاق	٢٤٠	سورة الهمزة
٨٩	سورة الطلاق	١٨٨	سورة البروج	٢٤١	سورة الفيل
٩٥	سورة التحريم	١٩٣	سورة الطارق	٢٤٦	سورة قريش
١٠٣	سورة الملك	١٩٥	سورة الاعلى	٢٤٨	سورة الماعون
١٠٧	سورة ن	١٩٧	سورة الغاشية	٢٤٩	سورة الكوثر
١١٨	سورة الحاقة	٢٠٠	سورة الفجر	٢٥٣	سورة قل يا أيها الكافرون
١٢٣	سورة المعارج	٢٠٦	سورة البلد	٢٥٥	سورة النصر
١٢٧	سورة نوح	٢٠٩	سورة والشمس	٢٦٣	سورة أبي لهب
١٣١	سورة الجن	٢١١	سورة والليل	٢٦٤	سورة الاخلاص
١٣٧	سورة المزمل	٢١٤	سورة والضحى	٢٦٦	سورة الفلق
١٤٣	سورة المدثر	٢١٨	سورة ألم نشرح	٢٦٩	سورة الناس

(تمت)

کتب خانہ

جامعہ عثمانیہ